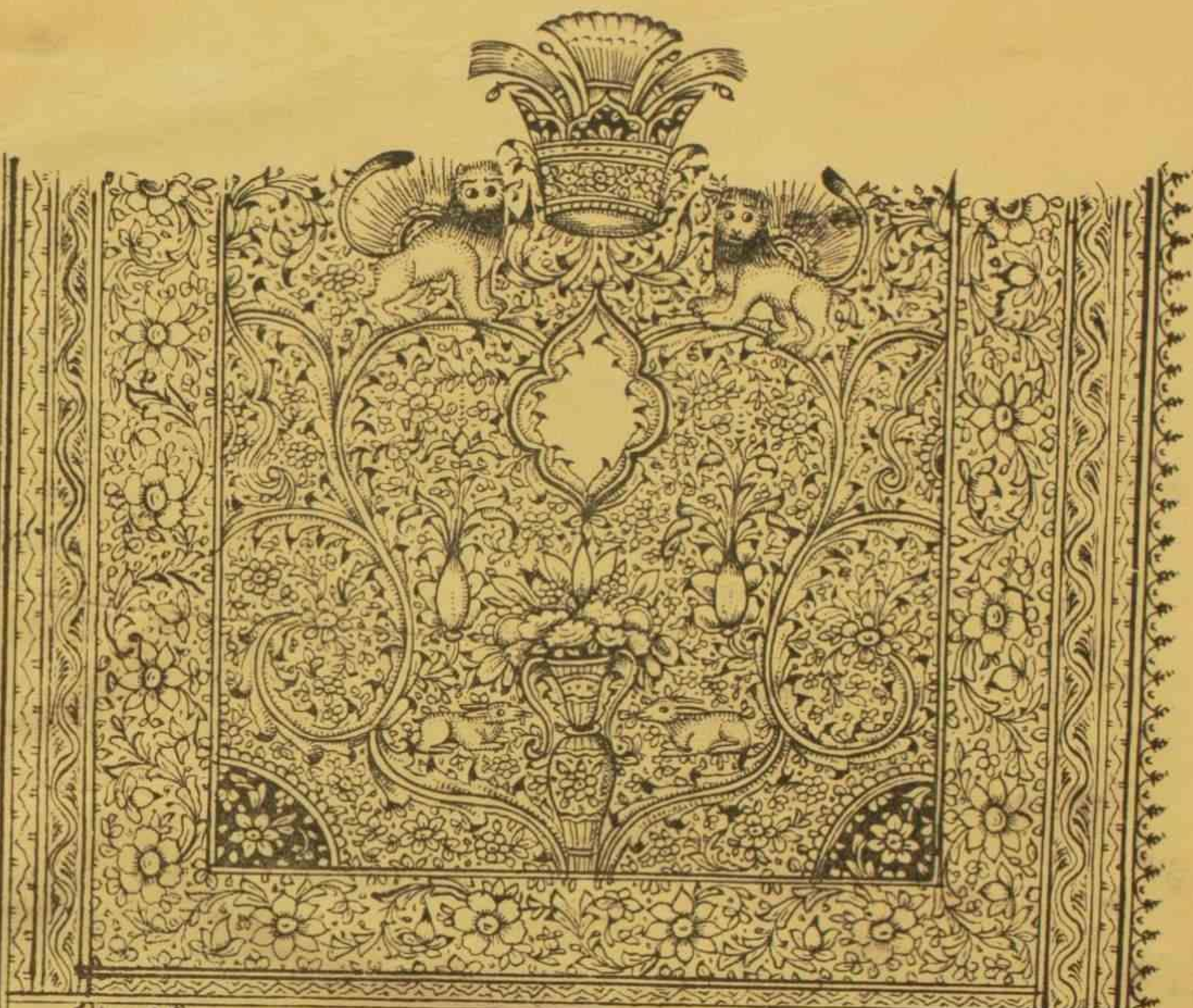








بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله
يحكم ما يريد يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل
السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن
اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه و
اتقوا الله إن الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل
لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد
حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن
كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم
به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين آمنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

دهم

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

القراءة ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة رويس وعن رويس الباقون مثقلة شنآن في الموضعين بسكون النون ابن عامر واسمعيل وابو بكر وحماد ويزيد من طريق ابن وردان الباقون بالفتح ان صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وابو عمرو الباقون بالفتح ولا تعاونوا بتشديد التاء البزي وابن فليح المنخنقة ومن اضطر كما مر في البقرة واخشوني بالياء في الوقف سهل ويعقوب وفي الوصل ابو عمرو ويعقوب احل لكم النصب ابن عامر ونافع وعلي والمفضل وحفص ويعقوب والاعشى في اختياره الباقون بالجر الوقوف بالعقود ط لاستيناف الفعل حرم ط ما يريد ورضوانا ط لابتداء نهي ان تعتدوا لئلا يتوهم العطف وحذف التاء من تعاونوا والتقوى ص لعطف المتفقين والعدوان ص كذلك واتقوا الله ط شديد العقاب بالازلام ط فسق ط واخشون ط دينا ط لان الشرط من تمام التحريم لاثم لا لما يليه لان ما بعده جزاء رحيم ص احل لهم فصلا بين السؤال والجواب الطيبات ط للعطف اي وصيد ما علمتم مما علمكم الله لفاء التعقيب مع عطف المختلفين عليه ص واتقوا الله الحساب الطيبات ط لان بعده مبتدأ لكم ص لعطف المتفقين لهم ز لان قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه خدان ط عمله ز لعطف المختلفين مع ان ما بعده من تمام جزاء الكفر معنى الخاسرين ص الكعبين ط لابتداء حكم فاطهروا ط كذلك وايديكم منه ط تشكرون واثقتم به لان اذ ظرف المواثقة واطعنا ص لعطف المتفقين مع وقوع العارض واتقوا الله ط الصدور بالقسط ز لعطف المتفقين مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستيناف فان لا تعدلوا للاستيناف اعدلوا ز لعطف المتفقين لطيفة لان الضمير مبتدأ مع ثم ذا مضاف المعنى للتقوى ز واتقوا الله خبير بما تعملون الصالحات لا لان ما بعده مفعول الوعد اي ان لهم عظيم الجحيم ايديهم عنكم ج لاعتراض الظرف بين المتفقين واتقوا الله ط المؤمنون التفسير وفوا بالعهد واوفى بمعنى والعقد وصل الشيء بالشيء على سبيل الاستيثاق والاحكام والعهد الزام مع احكام والمقصود من الامر بالعقود اداء التكاليف فعلا وتركا والتحقيق ان الايمان معرفة الله بذاته وصفاته واحكامه وافعاله فكانه قيل يا ايها الذين التزمتم بايمانكم انواع العقود اوفوا بها ومعنى تسمية التكاليف عقودا انها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثوق قال الشافعي اذا نذر صوم يوم العيد او نذر ذبح الولد لغا لقوله لا نذر في معصية الله وقال ابو حنيفة يجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى اوفوا بالعقود غاية ما لزم لغا هذا النذر في خصوص كون الصوم واقعا في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح في الولد وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت لقوله اوفوا بالعقود وخصص الشافعي عموم الامر بقوله المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وقال ابو حنيفة الجمع بين الطلقات حرام لان النكاح من العقود بدليل ولا تعزموا عقدة النكاح وقال اوفوا بالعقود ترك العمل في الطلقة الواحدة بالاجماع فيبقى سائرها على الاصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم انه سبحانه لما مهد القاعدة الكلية ذكر ما يندرج تحتها فقال احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الامر اذا اشكل وهذا باب مبهم اي مسدود ثم خص هذا الاسم بكل ذات اربع في البر والبحر والانعام هي المال الراعية من الابل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الانعام الحافر لانه ماخوذ من نعومة الوطء واضافة البهيمة الى الانعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وفائدة زيادة لفظ البهيمة مع صحة ما لو قيل احلت لكم الانعام كما قال في سورة الحج هي فائدة الاجمال ثم التبيين وانما وحد البهيمة لانها اسم جمع يشمل افرادها وجمع الانعام لان النعم مفرد يقع في الاكثر على الابل وحدها وقيل المراد بالبهيمة شيء وبالانعام شيء اخر وعلى هذا فوجهان احدهما ان البهيمة الظباء وبقر الوحش ونحوها كانه اراد ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس الانعام في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه الثاني انها الاجنة عن ابن عباس ان بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنبه وقال هذه بهيمة الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام وذكوته ذكوة امه قالت الثنوية ذبح الحيوانات ايلام والايلام قبيح وخصوصا ايلام من بلغ في العجز والحيرة الى حيث لا يقدر ان يدفع عن نفسها ولم يكن له لسان يحتج على من يقصد ايلامه والقبيح لا يرضى به الاله الرحيم الحكيم فلا يكون الذبح مباحا حلالا فلقوة هذه الشبهة زعم البكرية من المسلمين انه تعالى يدفع الم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة ان الايلام انما يقبح اذا لم يكن مسبوقا بجناية ولا ملحوقا بعوض وههنا يعوض الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات باعواض شريفة فلا يكون ظلما وقبيحا كالفصد والحجامة لطلب الصحة وقالت الاشاعرة الاذن في ذبح الحيوانات تصرف من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه لذا قال ان الله يحكم ما يريد قال بعضهم احلت لكم بهيمة الانعام مجمل لاحتمالات يكون المراد احلال الانتفاع بجلدها او عظمها او صوفها او بالكل والجواب ان الاحلال لا يضاف الى الذات فتعين اضمار الانتفاع بالبهيمة فيشمل اقسام الانتفاع على ان قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون يدل على الانتفاع بها من كل الوجوه الا انه الحق بالاية نوعين من الاستثناء الاول قوله الا ما يتلى عليكم اي الا محرم ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه واجمع المفسرون على ان الاية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم والثاني قوله غير محلي الصيد وانتم حرم داخلون في الحرم او في الاحرام قال الجوهري رجل حرام اي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل مفرد يستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم جنب وانتصاب غير محلي على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد في حالة الاحرام ودخول الحرم ثم كان لقائل ان يقول ما السبب في اباحة الانعام في جميع الاحوال واباحة الصيد في بعض الاحوال فقيل ان الله يحكم ما يريد فليس لاحد اعتراض على حكمه ولا سؤال لم وكيف ثم اكد النهي عن مخالفة التكاليف بقوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الاكثرون على انها جمع شعيرة فعيلة بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعارة ثم المفسرون اختلفوا على قولين احدهما انها عامة في جميع التكاليف ومنه قول الحسن شعائر الله دين الله والثاني انها شيء خاص من التكاليف ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال احرامكم من الصيد وقيل الافعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وقال الفراء كانت عامة العرب لا يرون

والمراد من شعائر الحج فهو اعز نرك النسك بينهما وقال ابو عبيدة الشعائر الهدايا التي يطعن في سنامها ويقلد ليعلم انها هدي قال ابن عباس ان الحطم واسمه
شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان
لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم وآتي بهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم
رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه
فطلبوه فعجزوا عنه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام عمرة القضاء سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هذا الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة
واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه نزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر لله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال
زيد بن اسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم نصد هؤلاء عن البيت كما صدنا اصحابهم فانزل الله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام اي
قوما قاصدين اياه والمعنى لا تعتدوا على هؤلاء العمار لان صدوكم اصحابهم فالشهر الحرام شهر الحج اعني ذي الحجة او المراد رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك جمع
هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات القلائد من الهدي افردت للاختصاص بالفضل مثل
وجبريل وميكائيل ويحتمل ان ينهى عن التعرض للقلائد ليلزم النهي عن ذوات القلائد بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهي عن ابداء الزينة
مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها وللمفسرين خلاف في الاية فذهب كثير منهم كابن عباس ومجاهد والحسن والشعبي وقتادة انها منسوخة وذلك ان المسلمين
والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله وهؤلاء فسروا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم
الى الله فوصفهم الله بظنهم وقال الآخرون انها محكمة وانه لم يرد ان لا يخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من ربهم اي ثوابا ورضوانا
وان يرضى عنهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالاية الكفار الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما زال العهد بسورة براءة زال
ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا ظاهر الامر للوجوب لانه يفيد ههنا الاباحة لانه لما كان المانع من حل الاصطياد هو الاحرام لقوله غير محلي
الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف على لا تحلوا وجرم بمعنى كسب من حيث المعنى ومن حيث تعديه الى مفعول
واحد تارة والى مفعولين اخرى تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وهذا هو المذكور في الاية الشنآن بالتحريك والتسكين مصدر شنئته
اشنؤه وكلاهما شاذ فالتحريك شاذ في المعنى لان فعلان من بناء الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من
المصادر عليه اتى له الجوهري ومعنى الاية لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء اي لا يحملنكم بغضهم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرأ بكسر الهمزة فهو شرط
وجوابه ما دل عليه لا يجرمنكم ومن قرأ بفتح ان فمعناه التعليل اي لان صدوكم ومثل هذه القراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية
عن العمرة والسورة نزلت بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء او على كل ما تعلق به او تقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
على الانتقام والتشفي او على كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد الحاصل ان الباطل والاثم لا يصلح لان يقتدى به ويعان عليه انما اللائق بالامتثال وبر التعاون
عليه هو الخير والبر وما فيه تقوى الله سبحانه وتعالى ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله اي في استحلال المحارم ان الله شديد العقاب ثم شرع في تفصيل
الاستثناء الموعود تلاوته في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة الاية والمجموع المستثنى احد عشر نوعا الاول الميتة كانوا يقولون انكم
تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله قال العقلاء الحكمة في تحريم الميتة ان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن
فيحصل من اكله مضار كثيرة الثاني الدم كانوا ياكلون الفصيد وهو دم كان يجعل في معا من فصد عرق ثم تشوى فتطعم الضيف في الازمة ومنه المثل لم
يحرم من فصد له البعير وربما يقال من قرد له الثالث لحم الخنزير قالوا العلة ان الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذي ولا بد ان يحصل للمغتذي اخلاق وصفات من جنس
ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص والشره فحرم اكله لئلا يتكيف الانسان بكيفيته واما الغنم فانها في غاية السلامة فكانها عارية
عن جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلها احوال الانسان الرابع ما اهل لغير الله به والاهلال رفع الصوت وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات
والعزى وقد مر في سورة البقرة سائر ما يتعلق بهذه الانواع الاربعة فلنرجع الى الخامس المنخنقة كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها
وقد تختنق بحبل الصائد وقد يدخل راسها بين عودين في شجرة فتختنق فتموت وبالجملة باي وجه انخنقت فهي حرام السادس الموقوذة وهي المقتولة بالخشب
وقذها يقذها اذا ضربها حتى ماتت ومنها ما رمي بالبندق فمات السابع المتردية التي تقع في الردى وهو الهلاك وتردى اذا وقع في بئر او سقط من موضع
مرتفع ويدخل فيه ما اذا اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على الارض فانه يحرم كله لانه لا يعلم انه زهق روحه بالتردي او بالسهم الثامن النطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت بسببه لا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة دخول الخاص في العام فافردت بالذكر لمزيد البيان والهاء في المنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة لانها صفات الشاة بناء على الاغلب فانها اكل الناس والا فالحكم عام وانما انث النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله الهاء كقولهم
كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف مذكور تقول مررت بامرأة قتيل فلان فاذا حذفنا الموصوف قلت بقتيلة فلان لانه لا يقع الاشتباه

التاسع

التاسع ما اكل السبع وهو اسم يقع على ما له ناب يعدو على الانسان ويفترس الحيوان كالاسد وما دونه قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي فحرمه الله وفي الآية حذف التقدير وما اكل منه السبع لان ما اكله السبع نفد ولا حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم الذكاة في اللغة تمام الشيء فمنه الذكاء في الفهم وفي السن التمام فيهما والمذاكي الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان وتذكية النار رفعها وقوة اشتعالها والتذكية كمال الذبح اما المستثنى منه فعن علي وابن عباس والحسن وقتادة انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع المعنى انك ان ادركت ذكاته بان وجدت له عينا تطرف او ذنبا يتحرك او رجلا تركض فاذبح فهو حلال لان ذلك دليل الحياة المستقرة وقيل انه مختص بقوله وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال ومن النحويين من قال اي حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه لكم حلال العاشر ما ذبح على النصب وهو مفرد وجمعه انصاب كطنب واطناب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله قاله الجوهري وضعف بانه يكون كالتكرار لقوله وما اهل لغير الله به وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب احجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويشرحون اللحوم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب ويحتمل ان يكون الذبح للاصنام واقعا عليها وقيل النصب جمع اما لنصاب كحمر وحمار او لنصب كسقف وسقف الحادي عشر ما ابدعه اهل الجاهلية وان لم يكن من جملة المطاعم اي حرم عليكم ان تستقسموا بالازلام وانما ذكر مع الذبح على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منهما عند البيت كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا آخر من معاظم الامور ضرب القداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وتركوا بعضها غفلا اي خاليا عن الكتابة فان خرج الامر اقدم على الفعل وان خرج النهي امسك وان خرج الغفل اعاد العمل فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح. وقال كثير من اهل اللغة الاستقسام ههنا هو الميسر المنهي عنه والازلام قداح الميسر والتركيب يدل على التسوية والاجادة يقال ما احسن ما زلم سهمه اي سواه ورجل مزلم اذا كان مخفف الهيئة وامرأة مزلمة اذا لم تكن طويلة ذلكم فسق اشارة الى جميع ما تقدم من المحرمات اي تناولها فسق ويحتمل ان يرجع الى الاستقسام بالازلام فقط وكونه فسقا بمعنى الميسر ظاهر واما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان ما خرج من الامر والنهي هو ارشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا وقال الواحدي انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تعالى مختص بمعرفته وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة غير منهي كالتعبير والفال وكما يدعيه اصحاب الكرامات والفراسات ثم انه سبحانه حرض على التمسك بما شرع فقال اليوم يئس وقيل ليس المراد يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانا اليوم شيخ وقيل المراد يوم معين وذلك انها نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي واقف على ناقته العضباء وعن ابن عباس انه قرأ الآية ومعه يهودي فقال اليهودي لو نزلت علينا في يوم جمعة وافق يوم عرفة اي يئسوا من ان يحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه حقق وعده باظهار هذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم واخشون اخلصوا الى الخشية لي وفي الآية دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه علل اظهار هذه الشرائع بزوال الخوف من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم سئل ههنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون النبي مواظبا على الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كمل ملكنا وزيف بان السؤال بعد باق لان ملك ذلك الملك قبل ان يكون قهر العدو ناقصا وقيل المراد اني اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام وقوانين القياس واصول الاجتهاد وضعف بانه يلزم ان لا يكمل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا محتاجين اليه من الشرائع وتاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز والمختار في الجواب ان الدين كان ابدا كاملا بمعنى ان الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة او مجملة او مبينة او غير ذلك كافية بحسب ذلك الوقت وفي آخر زمان البعثة حكم ببقاء الاحكام على حالها من غير نسخ وزيادة ونقص الى يوم القيامة قال نفاة القياس اكمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا عليه فلا فائدة في القياس واجيب بان كماله هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظائرها منها فاما تمكين كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون كمالا للدين وانما يكون الغاء للنصوص وردا للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب بانه اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله تعالى انه لما نزلت الآية على النبي فرح الصحابة واظهروا السرور الا اكابرهم كابي بكر الصديق وغيره فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال وكان كما ظنوا فانه لم يعمر بعدها الا احدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا نقص قال العلماء كان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب فيكون معجزا احتجت الاشاعرة بالآية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل لا يحصل الا بخلق الله وايجاده فانه لن يكون اكمال الدين منه الا واصله منه والمعتزلة حملوا ذلك على بيان الدين واظهار الشرائع ثم قال واتممت عليكم نعمتي اي بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين ورضيت اي اخترت لكم الاسلام دينا نصب على الحال او مفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صيرت واعلم ان قوله ذلكم فسق الى ههنا اعتراض اكد به معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة واختيار دين الاسلام للناس من بين سائر الاديان ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر في مخمصة اي مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف منصوب باضطر او بمضمر اي فتناول غير منحرف الى اثم بان ياكل فوق الشبع او عاصيا بسفره وقد مر القول في هذه الرخصة مستوفى في سورة البقرة يسئلونك ماذا احل لهم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سئلوا عما احل لهم والسؤال في معنى القول ثم انما لم يقل ماذا احل لنا حكاية

لا تعقد ... قال ابن عباس ... [illegible]

ثم لم نظر الى ضمير الغائب في يسئلونك مثل هذا يجوز في هذا الوجهين يقول قيل لهم ذلك فيفعلون ولا تقل اما سبب النزول فعن ابي رافع ان جبريل جاء الى النبي
فاستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل انا لا ندخل بيتا فيه كلب فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو قال ابو رافع فامرني
ان لا ادع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته فاتيت النبي فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب
فقتلته فجاء ناس فقالوا يا رسول الله ما ذا يحل لنا من هذه الامة التي تقتلها فسكت رسول الله الى ان نزلت هذه الآية فامر بقتل الكلب الكلب العقور
وما يضر ويؤذي واذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها وقال سعيد بن جبير نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه رسول الله زيد الخير قالا يا رسول
الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة واخذنا ناخذ البقر والحمر والظباء والضب فمنه ما ندرك ذكوته ومنه ما يقتل فلا ندرك ذكوته وقد حرم الله الميتة فما ذا يحل لنا
منها قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد واحل لكم كل ما يستلذ ويشتهي عند اهل المروة
والاخلاق الجميلة واعلم ان الاصل في الاعيان الحل لانها خلقت لمنافع العباد هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا واستثني من ذلك اصول الاول تنصيص
الكتاب على تحريمه كالميتة والدم وغيرهما الثاني تنصيص الكتاب والسنة كما روي عن جمع من الصحابة ان النبي نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية
والبغال كالحمير ولا يحرم الخيل عند الشافعي لما روي عن جابر انه قال نهانا رسول الله عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث ما هو في معنى المنصوص كالنبيذ
فانه مسكر كالخمر ويشاركها في التحريم الرابع كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور وقيل معنى السبع ما يفترس فلا يحل بموجب هذا الاصل الكلب والاسد
والذئب والنمر والفهد والدب والببر والقرد والفيل لانها تعدو بانيابها ولا يحل من الطيور البازي والشاهين والصقر والعقاب وجميع جوارح الطير الخامس
ما امر بقتله من الحيوانات فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان ماكولا لجاز اقتناؤه للتسمين واعداده للاكل وقت الحاجة
ومنه الفواسق الخمس روي انه قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والفارة والغراب الابقع والكلب العقور والحداة السادس ما ورد النهي عن قتله
فهو حرام لانه لو كان ماكولا لجاز ذبحه ليؤكل كما روي انه نهى عن قتل الخطاطيف وكذا الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش السابع الاستطابة
والاستخباث لقوله ثم قل احل لكم الطيبات قال العلماء ويبعد الرجوع الى طبقات الناس وتنزيل كل قوم على ما يستطيبون ويستخبثون لان ذلك يوجب
اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف موضوع الشرع فالعرب اولى بالاعتبار لان الدين عربي وهم المخاطبون ولا ولئن لهم ترفه وتنعم
توروث تضييق المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى والبلاد دون اجلاف البوادي الذين لا تمييز لهم وانما يعتبر اصحاب اليسار
والترفه دون اصحاب الضرورات والمحتاجات وانما المعتبر حال الخصب والرفاهية دون حال الجدب والشدة والحشرات باسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والجعل
وحمار قبان الا الضب فانه قال لا آكله ولا احرمه ومن الاصول انه لا يجوز اكل الاعيان النجسة في حال الاختيار وكذا اكل الطاهر اذا نجس بملاقاة النجاسة
كالدهن والسمن الذائب والدبس والخل ومن الاصول الكسب بمخامرة النجاسة ولكن كسب الحجام حلال عند الشافعي ومن الاصول ما يضر كالزجاج والسم
والنبات المسكر والحجر قوله سبحانه وما علمتم من الجوارح معناه احل لكم صيد ما علمتم على حذف المضاف لدلالة فكلوا مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون ما
شرطية والجزاء فكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات والجوارح الكواسب سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والبازي والصقر فانها تكسب وتعلم ما جرحت
باظفارها اي كسبته وجوز بعضهم ان يكون من الجراحة وقال فما اخلص الصيد فلم يسيل منه دم لم يحل وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم وفائدة هذه الحال
مع الاستغناء عنها بعلمتم ان معلم الجوارح ينبغي ان يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب ونقل عن ابن عمر والضحاك والسدي ان ما صاد غير الكلاب
فلم يدرك ذكوته لم يحل اكله لان قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب والجمهور على ان الجوارح يدخل فيه ما يمكن الاصطياد به من السباع والطير
المكلب مؤدب الجوارح ورائضها لان تصطاد لصاحبها وانما اشتق من الكلب لكثرة هذا المعنى في جنسه ولان سائر السبع يسمى كلبا كقوله اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد ومن الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا اذا كان حريصا عليه وهذا المذكور في الآية احضر الصيد بالكلب
لكن تخصيصه بالذكر لا ينفي حل غيره لجواز الاصطياد بالرمي والشبكة ونحوهما مع سكوت الآية عنها تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من علم
التكليب لان بعضه الهام من الله وبما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره واعلم انه يعتبر في صيرورة الكلب معلما امور منها ان ينزجر
بزجر صاحبه في ابتداء الامر كذا اذا انطلق واشتد عدوه وحده انه يشترط ان ينزجر بزجره ايضا على الاشبه ويظهر الثاني ومنها ان يسترسل بارسال صاحبه
اي اذا اغري بالصيد هاج ومنها ان يمسك الصيد لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظ ولا يخليه والثاني ان لا
ياكل منه لقوله لعدي بن حاتم فان اكل فلا تاكل فانما امسكه على نفسه وجوارح الطير يشترط فيها ان يهيج عند الاغراء وان يترك الاكل ولكن لا مطمع في
انزجارها بعد الطيران ويشترط عند الشافعي تكرر هذه الامور بحيث يغلب على الظن تأدب الجارحة بها واقله ثلث مرات ولم يقدره الاكثرون بعدد المرات كانهم
رأوا العرف مضطربا وطباع الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة بطباعها وعن سلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابي هريرة انه يحل وان اكل [illegible]
الامساك هو ان يحفظ ولا يترك ومعنى الآية كلوا مما بقي لكم الجوارح وان كان بعد اكلها منه ومن في مما امسكن تبعيضية اي كلوا من بعضه دون بعضه
وذلك ان بعض الصيد لا يؤكل كالعظم والدم والريش قال سعيد بن جبير وابو حنيفة والمزني يؤكل ما بقي من جوارح الطير ولا يؤكل ما بقي من الكلب والفرق
ان تأديب الكلب بالضرب على الاكل ممكن وتأديب الطير غير ممكن ولا خلاف انه اذا كان الجارحة معلمة ثم تصيد صيدا وجرحته وقتلته وادركه الصائد ميتا
فهو حلال وجرح الجارحة كالذبح وان قتلته بالغم من غير جرح ففي حله خلاف واما قوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه فالضمير اما ان يعود الى ما امسكن اي سموا

عليه اذا ادركتم ذكوته او الى ما علمتم اى سموا عليه عند ارساله او الى الاكل فى قوله فكلوا منه كلام وعلى الاول فالتسمية محمولة على الندب عند الشافعى وعلى الوجوب
عند ابى حنيفة وسيجىء تمام المسئلة فى سورة الانعام ان شاء الله تعالى اليوم احل لكم الطيبات فائدة الاعادة ان يعلم بقاء هذا الحكم عند كمال الدين و
استقراره وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الاكثرون على ان المراد بالطعام الذبائح لان ما قبل الاية فى بيان الصيد والذبائح ولان ما سوى الصيد
والذبائح محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة وعن بعض ائمة الزيدية ان المراد هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج
فيه الى الذكوة وقيل انه جميع المطعومات وطعامكم حل لهم اى يحل لكم ان تطعموهم من طعامكم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى اطعامهم من ذبائحنا وايضا فالفائدة فى
ذكره ان يعلم ان اباحة الذبائح حاصلة فى الجانبين ليست كاباحة المناكحة فانها غير حاصلة فى الجانبين والمحصنات الحرائر او العفائف من المؤمنات وعلى الثانى يدخل
فيه نكاح الاماء وتخصيص الاول بالذكر ثم قال فاذا آتيتموهن اجورهن ومهر الاماء لا يدفع اليهن بل الى ساداتهن وبان نكاح المحصنات ههنا مطلق ونكاح الامة مشروط
بعدم طول الحرة وخشية العنت وبان تخصيص العفائف بالحل يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت انه غير محرم ولو حملنا المحصنات على الحرائر لزم تحريم نكاح
الامة ونحن نقول به على بعض التقديرات وبان وصف التحصين فى حق الحرة اكثر ثبوتا منه فى حق الامة لان الامة لا تخلو من البروز للرجال والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم احتج بها كثير من الفقهاء فى انه لا يحل نكاح الكتابية الا اذا آمنت بالتورية والانجيل قبل نزول القرآن لان قوله من قبلكم يدل على ان
بهما بعد نزوله وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات اصلا متمسكا بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى
واول الاية بان المراد اللتى آمنت منهن ومن المحتمل ان يخطر ببال احد ان الكتابية اذا آمنت هل يحل للمسلم ان يتزوج بها ام لا وعن عطاء ان الرخصة كانت مختصة بذلك
الوقت لانه كان فى المسلمات قلة والان لا حاجة عن مخالطة الكفار وقد اوجب لا تتخذوا بطانة من دونكم اى خلطة اشد من الزوجية وقد يميل الولد الى دين
الام وقال سعيد بن المسيب والحسن الكتابيات يشمل الذميات والحربيات فيجوز التزوج بكلهن واكثر الفقهاء على ان ذلك مخصوص بالذمية فقط وهو مذهب ابن عباس
فانه قال من اعطى الجزية حل ومن لم يعط لم يحل لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية واتفقوا على ان المجوس قد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم و
نكاح نسائهم اذا آتيتموهن اجورهن فيه ان من تزوج امرأة وعزم على ان لا يعطيها صداقا كان كالزانى محصنين غير مسافحين وهو على سبيل الاعلان ولا متخذى اخدان
وهو على سبيل الاسرار فحرمهما الله تعالى فى الاية واحل التمتع بهن على سبيل الاحصان وهو التزوج بالشروط والاركان ثم حث على التزام التكاليف المذكورة
بقوله ومن يكفر بالايمان اى بشرائع الله وتكاليفه التى هى نتائج الايمان بالله ورسوله وقال ابن عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الايمان اى بالله وقال
قتادة ومن يكفر بالقرآن الذى انزل فيه هذه التكاليف التى لا بد منها فى الايمان فقد خاب وخسر فهذا اهل الكتاب ان حصلت لهم فضيلة المناكحة واباحة
الذبائح فى الدنيا الا ان ذلك لا ينفعهم فى الاخرة لان كل من كفر بالله فقد حبط عمله فى الدنيا ولم يصل الى شىء من السعادات فى الاخرة البتة واعلم ان القائلين
بالاحباط فسروا قوله فقد حبط عمله بان عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثواب اعماله ومنكروا الاحباط قالوا ان عمله الذى اتى به بعد ذلك الايمان
فقد بان انه لم يكن معتدا به وكان ضايعا فى نفسه ثم انه سبحانه لما افتتح السورة بطلب الوفاء بالعقود وكان قال عهد الربوبية منك وعهد العبودية منى ناسبت
اولى بتقديم الوفاء بعهد الربوبية فاجاب الله تعالى انا اولى بعهد الربوبية والكرم ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة فى نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فبين
الحلال والحرام من المطاعم والمناكح وقدم المطعوم على المنكوح لانه اهم وعند تمام هذا البيان كانه قال قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل انت ايها العبد بوظائف العبودية ولا
سيما بالصلوة التى هى اعظم الطاعات وبعقد فاتحتها ولنبين تفسير الاية على مسائل الاولى ليس المراد بقوله اذا قمتم نفس القيام والا لزم تاخير الوضوء عن الصلوة
وهو بالاجماع باطل وايضا لو غسل الاعضاء قبل الصلوة قاعدا او مضطجعا خرج عن العهدة بالاجماع فالمراد اذا شمرتم للقيام الى الصلوة واردتم ذلك
ووجه هذا المجاز ان الارادة الجازمة سبب لحصول الفعل واطلاق اسم المسبب على السبب مجاز مستفيض الثانية ذهب قوم الى ان الامر بالوضوء تبع للامر بالصلوة وليس
تكليفا مستقلا لانه شرط القيام الى الصلوة والاصح انه عبادة برأسها لان قوله فاغسلوا امر ظاهره الوجوب غاية ذلك انه مقيد بوقت التهيؤ للصلوة وايضا
انه طهارة وقد قال تعالى فى اخر الاية ولكن يريد ليطهركم وقال بنى الدين على النظافة امتى الغر المحجلون من آثار الوضوء يوم القيمة والاخبار الواردة فى كون
الوضوء سببا لغفران الذنوب كثيرة الثالثة قال داود يجب الوضوء لكل صلوة فانه ليس المراد فيها واحدا فى صلوة واحدة والا لزم الاجمال اذ لا دليل
على تعيين تلك المرة والاجمال خلاف الاصل فوجب حمل الاية على العموم وايضا ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يشعر بالعلية فيتكرر ويجب الوضوء
عند كل قيام الى الصلوة وايضا انه نظافة فلا يكون منها بد عند الاشتغال بخدمة المعبود وقال سائر الفقهاء ان كلمة اذا لا تفيد العموم ولهذا لو قال
لامرأته اذا دخلت الدار فانت طالق لم تطلق مرة اخرى بالدخول ثانيا ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلوة الا يوم الفتح فانه صلى الصلوات كلها
بوضوء واحد قال عمر فقلت له فى ذلك فقال عمدا فعلت ذلك يا عمر اجاب داود بان خبر الواحد لا ينسخ القرآن وايضا فى الخبر معنيان احدهما وجوب التجديد
لكل صلوة لا اقل من استحباب ذلك الثانى انه ترك ذلك يوم الفتح والاول يوجب المتابعة والثانى مرجوح لان الفتح يقتضى زيادة الطاعة لا نقصانها
وايضا التجديد احوط وايضا دلالة ظاهر القرآن قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية اقوى ولناصر المذهب ان يقول التيمم على المتغوط والمجامع واجب اذا لم يجد
الماء لقوله او جاء احد منكم من الغائط الاية وذلك يدل على ان وجوب الوضوء قد يكون بسبب آخر سوى القيام الى الصلوة فلم يكن هو موجبا وحده واذا لم يكن
موجبا مستقلا جاز تخلف الاثر عنه نعم التجديد مستحب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده كانوا يتوضؤن لكل صلوة وقال من توضأ على طهر كتب الله له عشر
حسنات وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الرابعة الاصح ان فى الاية دلالة على ان الوضوء شرط لصحة الصلوة لانه علق فعل الصلوة

بالطهور ثم بين انه متى عدم الماء لم يصح الصلوة الا بالتيمم فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك احتجوا بانه امر بالصلوة مع الوضوء فالاتي بها بدون الوضوء تارك للمامور به فيستحق
العقاب وهذا معنى البقاء في عهدة التكليف الخامسة قال ابو حنيفة النية ليست شرطا في الوضوء لانها غير مذكورة في الاية والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن
بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء مامور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل ما هو مامور به يجب ان يكون منويا لقوله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين والاخلاص النية الخالصة فاصل النية يجب ان يكون معتبرة وغاية ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور فيبقى حجة في غير محل التخصيص
السادسة قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير شرط في الوضوء لان الواو لا يفيد الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان الزيادة على النص وهو نسخ غير جائز وقال الشافعي
انه واجب لان فاء التعقيب في قوله فاغسلوا يوجب تقديم غسل الوجه ثم ساير الاعضاء على الترتيب قاله ع في حديث الصفا ابدأوا بما بدأ الله به وايضا الترتيب المعتبر
في الحس هو الابتداء من الراس الى القدم او بالعكس والترتيب لغير افراد العضو المغسول عن الممسوح ثم انه تعالى ادرج الممسوح في المغسول فدل هذا على ان الترتيب المذكور
في الاية واجب لان اهمال الترتيب في الترتيب مستقبح فوجب تنزيه كلام الله تعالى عنه وايضا ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع والغسل يجب في
موضع اخر ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله المؤمن لا ينجس حيا وميتا وتطهير الطاهر محال ولان الشرع اقام التيمم مقام الوضوء وليس في التيمم نظافة واقام المسح
على الخفين مقام الغسل ولانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر العفن يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيد فثبت ان الاعتماد على مورد النص لعل فيه
حكما خفية لا نعرفها او هو محض التعبد واذا وجب اداء التعبد في الترتيب في الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القرآن مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء مع ان القرآن
ناطق به اولى السابعة قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان ايجاب هذه الافعال قد يشترك بين ايجابها على سبيل الموالاة وايجابها
على سبيل التراخي وهذا القدر معلوم من الاية ومفيد للطهارة والزايد لا دليل عليه ايضا روي انه ع راى رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها ولم يامره بالاستيناف
ولم يبحث عن المدة الفاصلة وعند غيرهما شرط كيلا يتخلل بين اجزاء العبادة ما ليس منها وحد التفريق المخل بالموالاة ان يمضي من الزمان ما يجف فيه المغسول مع
اعتدال الهواء ومزاج الشخص الثامنة قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الاية يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة فلما ترك العمل
به عند عدم خروج الخارج النجس خالفه الشافعي معولا على ما روي انه ع احتجم وصلى ولم يزد على غسل اثر محاجمه التاسعة قال مالك لا وضوء في الخارج من السبيلين
اذا كان غير معتاد وسلم في دم الاستحاضة لنا التمسك بعموم الاية العاشرة قال ابو حنيفة القهقهة في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود تنقض الوضوء
وقال الباقون لا تنقض ولابي حنيفة ان يتمسك بعموم الاية الحادية عشرة قال ابو حنيفة لمس المراة وكذا مس الفرج لا ينقض الوضوء وقال الشافعي ينقض تمسكا
بالعموم الثانية عشرة لو كان على وجهه وبدنه نجاسة فغسلها ونوى الطهارة من الحدث بذلك الغسل هل يصح وضوءه قال في التفسير الكبير ما رايت هذه المسئلة في كتب
الاصحاب قال والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل في قوله فاغسلوا وقد اتى به والاقرب انه لا يكفي لانه لا يرتفع بغسلة واحدة نجاستان حكمية وعينية بخلاف
ما لو نوى التبرد او التنظف فان النجاسة هناك حكمية فقط الثالثة عشرة لو وقف تحت ميزاب حتى سال عليه الماء ونوى رفع الحدث هل يصح وضوءه
يمكن ان يقال لا لانه لم يات بالفعل وان يقال نعم لانه اتى بما افضى الى المقصود وهو الاغتسال الرابعة عشرة اذا غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلده فالاظهر وجوب غسله
لتحصيل الامتثال فان ذلك الموضع غير مغسول الخامسة عشرة لو رطب الاعضاء من غير سيلان الماء عليها لم يكف لانه مامور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي
الجنابة يكفي لانه هناك مامور بالتطهير لكن يريد ليطهركم والتطهير يحصل بالترطيب السادسة عشرة لو امر الثلج على العضو فان ذاب وسال جاز والا فلا خلافا
لمالك والاوزاعي لنا فاغسلوا وهذا ليس بغسل السابعة عشرة التثليث سنة لان ماهية الغسل تحصل بالمرة الثامنة عشرة المسواك سنة لا واجب لان
الاية ساكتة عنه وكذا القول في التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل اليد على الوضوء خلافا لبعضهم التاسعة عشرة قال الشافعي لا يجب
المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل وقال احمد واسحق يجب فيهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي
يكون مواجها وحده من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب ايصال
الماء الى داخل العينين لان العين جزء من الوجه الباقون لا يجب لقوله في اخر الاية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج الحادي و
العشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل نبات الشعر بالاجماع فكذا بعده
ولانه من الوجه والوجه يجب غسله كله الثاني والعشرون ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا ترك العمل
عند كثافة اللحية دفعا للحرج فيبقى عند خفتها على الاصل الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا والخارجة
الى الاذنين عرضا لانه مواجه مالك وابو حنيفة والمزني لا يجب لانه لا جلد تحتها حتى يغسل ظاهرها بتبعيتها الرابع والعشرون لو نبتت للمراة لحية وجب
ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت لحيتها كثيفة لانا تركنا العمل بظاهر الاية في اللحية الكثيفة للرجل دفعا للحرج ولحية المراة نادرة وخصوصا الكثيفة
فيبقى حكمها على الاصل الخامس والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجب والشارب والعذار والهدب لان قوله
فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جلدة ترك العمل به في اللحية الكثيفة دفعا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا فيبقى على الاصل السادس والعشرون الشعر
ما اقبل من الاذن فهو من الوجه فيغسل وما ادبر فمن الراس فيمسح ورد بان الاذن غير مواجه اصلا السابع والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما
مع اليدين وخالف مالك وزفر وكذا الخلاف في قوله وارجلكم الى الكعبين والمحققون ان الى يفيد معنى الغاية مطلقا والمراد بالغاية جميع المسافة او حقيقة النهاية
ثم ان حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود حسا كانفصال الظلمة عن النور في قوله ثم اتموا الصيام الى الليل فيكون الحد خارجا عن المحدود وقد لا يكون كذلك

نحو حقيقة

نحو حفظت القرآن من اوله الى آخره وبعتك هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك ان المرفق وهو موصل الذراع في العضد يسمى بذلك لارتفاق صاحبها بها عند تميزه في الحس عن محدوده فلا يكون بخارج الغسل الحد اولى من دخوله بل هو جزء آخر فوجب غسلهما جميعا وان سلم ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما حاذ طرف العظم ولا نزاع في ان ما وراء طرفها العظم لا يجب غسله وهذا الجواب نقله الزجاج وعلى هذا مقطوع اليد من المرفق يجب عليه مساس الماء بطرف العظم وان كان انقطع مما فوق المرفقين لم يجب عليه شيء لان محل هذا التكليف لم يبق اصلا الثامن والعشرون تقديم اليمنى على اليسرى مندوب وليس بواجب خلافا لاحمد لنا انه ذكر الايدي والارجل في الاية من غير تقديم لاحدى اليدين والرجلين التاسع والعشرون ذهب بعضهم الى ان مبدأ الغسل يجب ان يكون من الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرفق لان المرفق جعل في الاية نهاية الغسل وجمهور الفقهاء على ان عكس هذا الترتيب لا يخل بصحة الوضوء لان المراد في الاية بيان جملة الغسل لا بيان ترتيب اجزاء الغسل الثلاثون لو نبتت من المرفق ساعد وكفان وجب غسل الكل لعموم قوله وايديكم الى المرافق كما لو نبتت على الكف اصبع زائدة الحادي والثلاثون المريض يجد الغسل بالمرفق بان الواجب فقط لما ورد في الاخبار ان تطويل الغرة سنة موكدة الثاني والثلاثون مالك يجب مسح كل الرأس ابو حنيفة يتقدر بالربع لانه مسح على ناصيته وانها ربع الراس الشافعي الواجب اقل ما ينطلق عليه اسم المسح لانه اذا قيل مسحت المنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية اما لو قال مسحت يدي بالمنديل يكفي في صدقه مسح اليد بجزء من اجزاء المنديل فهكذا في الاية ولا احتياج في تعيين المقدار الى دليل منفصل ويصير الاية مجملة وهو خلاف الاصل الثالث والثلاثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لان ذلك ليس مسحا للراس قال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لما روي انه عم مسح على العمامة واجيب بانه لعله مسح الفرض على الراس والبقية على العمامة الرابع والثلاثون اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي الباقر ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقهاء والمفسرين على ان فرضهما الغسل وقال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراءة الجر وارجلكم عطفا على برؤسكم ولا يمكن ان يقال انه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لان ذلك لم يجيء في كلام الفصحاء وفي السعة وايضا انه جاء حيث لا لبس ولا عطف بخلاف الاية واما القراءة بالنصب فيكون للعطف على محل برؤسكم حجة الجمهور الاخبار الواردة بالغسل وان فرض الرجلين محدد الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والقوم اجابوا بان اخبار الاحاد لا تعارض القران ولا تنسخه وبالمنع في محل النزاع فزعم الجمهور ان قراءة النصب ظاهرة في العطف على مغسول فاغسلوا وان كان ابعد من امسحوا وقراءة الجر تنبيه على وجوب الاقتصاد في صب الماء لان الارجل تغسل بالصب فكانت مظنة للاسراف الخامس والثلاثون جمهور الفقهاء على ان الكعبين هما العظمان الناتئان من جانبي الساق وقالت الامامية وكل من قال بالمسح ان الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في ارجل جميع الحيوانات والمفصل يسمى كعبا ومنه كعوب الرمح لمفاصله حجة الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعبا واحدا وكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما انه لما كان الحاصل في كل يد مرفقا واحدا لا جرم قال الى المرافق وايضا العظم المستدير الموضوع في المفصل شيء خفي لا يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان والعظمان الناتئان في طرفي الساق محسوسان لكل احد ومناط التكليف ليس الا امرا ظاهرا ويؤيده ما روي انه عم قال الصقوا الكعاب بالكعاب السادس والثلاثون الجمهور على جواز مسح الخفين خلافا للشيعة والخوارج حجة الجمهور الاحاديث وحجة الشيعة الاية وان جواز المسح على الخفين حاجة عامة فلو كانت ثابتة لبلغت مبلغ التواتر السابع والثلاثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه ومسح الراس فان لم يكن معه من يوضئه او ييممه سقط عنه ذلك ايضا لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط بالقدرة عليه فاذا فاتت القدرة سقط التكليف الثامن والثلاثون قوله سبحانه وان كنتم جنبا فاطهروا الاصل تطهروا ادغم التاء في الطاء فاجتلبت همزة الوصل والجنابة سببان نزول المني لقوله عم الماء من الماء والتقاء الختانين خلافا لزيد بن ثابت ومعاذ وابي سعيد الخدري لما روي انه عم قال اذا التقى الختانان وجب الغسل ختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة واما ختان المرأة فان شفريها يحيطان بثلثة اشياء ثقبة في اسفل الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبة اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهي مخرج البول لا غير والثالث جلدة رقيقة فانها مثل عرف الديك فوق ثقبة البول وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا لا يجوز للجنب مس المصحف خلافا لداود لنا قوله فاطهروا ولا يدل على ان الطهارة غير حاصلة والا لكان امرا بتطهير الطاهر وح لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون التاسع والثلاثون اذا غابت الحشفة فهي بمنزلة الختانين للاطلاق قوله فاطهروا علم انه امر بتحصيل الطهارة في كل البدن والا لخصت تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب تقديم الوضوء على الغسل خلافا لابي ثور وداود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاسحق بانه وجب البداية باعلى البدن وعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك الاربعون الشافعي المضمضة والاستنشاق غير واجبين في الوضوء لقوله عم انما يكفيك ان تحثي على راسك ثلث حثيات فاذا انت قد طهرت ابو حنيفة هما واجبتان لقوله فاطهروا والتطهير لا يحصل الا بتطهير جميع الاعضاء ترك العمل به في الاعضاء الباطنة للتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرهما فيبقى داخلا في النص لان قوله عم بلوا الشعر يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا وانقوا البشرة يدخل فيه جلدة داخل الفم الحادي والاربعون لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع من وصول الماء الى منابته لان المقصود التطهير وان منع وجب خلافا للنخعي الثاني والاربعون كان المرض المانع من استعمال الماء حاصلا في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل [illegible]

ثم يتيمم للاحتياط وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن صحيحا غسل الصحيح دون التيمم وان كان الاكثر جريحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في بعض اعضائه
فهو مريض الثالث والاربعون لو الصق على موضع التيمم لصوقا منع وصول الماء الى البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق التلف قال الشافعي يلزمه نزع
اللصوق حتى يصل التراب اليه اخذا بالاحوط وقال الاكثرون لا يجب نفيا للحرج الرابع والاربعون قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله عليه السلام
فليستنج بثلاثة احجار وقال ابو حنيفة لا يجب وعند المجيء من الغائط اما الوضوء او التيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث فدل على انه غير واجب الخامس والاربعون
لمس المرأة ينقض الوضوء عند الشافعي ولا ينقض عند ابي حنيفة وقد مرت المسألة في سورة النساء السادس والاربعون لا يكره الوضوء بالماء المشمس لقوله
فلم تجدوا ماء وههنا قد وجد ماء وخالف مجاهد السابع والاربعون ابو حنيفة واحمد لا يكره المشمس لقوله فلم تجدوا ماء وهذا قد وجد ماء والشافعي
يكره للحديث الثامن والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في آنية المشرك لانه واجد للماء فلا يتيمم وقد توضأ النبي صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة
وتوضأ عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز التاسع والاربعون يجوز الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء خلافا لعبد الله بن عمرو بن العاص الخمسون
جوز ابو حنيفة الوضوء بنبيذ التمر في السفر للحديث فلم يجوزه الشافعي وقال يتيمم لانه غير واجد للماء الحادي والخمسون ذهب الاوزاعي والاصم الى انه يجوز الوضوء
والغسل بجميع المائعات الطاهرة والاكثرون لا يجوز حجتهما فاغسلوا امر بمطلق الغسل وانزال المائع على العضو غسل قلنا لكنا خصصناه ان تغسل
التيمم لما انه عند عدم الماء اوجب التيمم الثاني والخمسون الشافعي الماء المتغير بالزعفران تغيرا فاحشا لا يجوز الوضوء به لان واجده يصدق عليه انه غير واجد
للماء وخالف ابو حنيفة لان اصل الماء موجود بصفة زائدة كما لو تغير وتعفن بطول المكث وبتساقط الاوراق بالاتفاق الثالث والخمسون قال مالك وداود الماء المستعمل
في الوضوء يبقى طاهرا طهورا لان واجده واجد للماء وهو قول قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور ووافقه محمد بن الحسن قال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه
نجس لان النجاسة الحكمية كالحقيقية الرابع والخمسون قال مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم يتغير بقي طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول اكثر الصحابة والتابعين وقال
الشافعي ان كان قلتين لم ينجس وقال ابو حنيفة ان كان اقل من عشرة في عشرة ينجس حجة مالك انه واجد للماء فدخل تحت العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير
يبقى حجة في الباقي ويؤيده قوله خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي مفهوم قوله اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا الخامس
والخمسون يجوز الوضوء بفضل ماء الجنب لانه واجد للماء وقال احمد واسحق لا يجوز الوضوء بفضل ماء المرأة اذا خلت به وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب السادس والخمسون
اسآر السباع طاهرة مطهرة وكذا سؤر الحمار لانه واجد للماء وقال ابو حنيفة بنجسه السابع والخمسون قال الشافعي وابو حنيفة والاكثرون لا بد في التيمم من النية
لانه قال فتيمموا والتيمم عبارة عن القصد وهو النية وقال زفر لا يجب الثامن والخمسون قال الشافعي لا يجوز التيمم الا بعد دخول الصلوة لانه طهارة ضرورية ولا ضرورة
قبل الوقت وقال ابو حنيفة يجوز قياسا على الوضوء والظاهر قوله اذا قمتم الى الصلوة فقيامه الى الصلوة يكون بعد دخول وقتها التاسع والخمسون لا يجوز التيمم بما لا يخص لقوله تعالى
صعيدا طيبا الستون لا خلاف في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدلا عن غسل الجنابة فعن علي وابن عباس جوازه وهو قول اكثر الفقهاء وعن عمر وابن مسعود
انه لا يجوز لنا قوله او لامستم اما مختص بالجماع او يدخل الجماع فيه الحادي والستون للشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي فرض لان ظاهر قوله اذا قمتم
يقتضي اعادة الوضوء لكل الصلوة ترك العمل به في الوضوء لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي في التيمم على ظاهره ابو حنيفة يجوز اداء الفرائض به كالوضوء احمد يجمع بين الفوائت
ولا يجمع بين صلوتي فرض الثاني والستون للشافعي اذا لم يجد الماء في اول الوقت وتوقع في آخره جاز له التيمم لان قوله فلم تجدوا يدل على ان عند دخول الوقت لم يجد
الماء جاز له التيمم وقال ابو حنيفة يؤخر الصلوة الى آخر الوقت الثالث والستون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء فلا يجوز
له الشروع في الصلوة بالتيمم وخالف ابو مسلم موسى الاشعري والشعبي الرابع والستون لو فرغ من الصلوة ثم وجد الماء لا يلزمه اعادة الصلوة لانه خرج
عن عهدة التكليف خلافا لطاوس الخامس والستون لو وجد الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج منها وبه قال مالك واحمد لانه انعقدت صلوته صحيحة
بحكم التيمم فما لم يبطل صلوته لا يصير قادرا على استعمال الماء وما لم يصر قادرا على استعمال الماء لم يبطل صلوته وقال ابو حنيفة والثوري والمزني
يلزمه الخروج لانه واجد للماء السادس والستون لو نسي الماء في رحله وتيمم وصلى ثم علم وجود الماء لزمه الاعادة على احد قولي الشافعي وهو قول احمد وابي
يوسف والثاني لا يلزمه وهو قول مالك وابي حنيفة ومحمد لان النسيان في حكم العجز وكذا اذا ضل رحله في الرحال بالطريق الاولى لان مخيم الرفقة اوسع
من رحله ولو نشف الماء في رحله واستقصى في الطلب فلم يجده وتيمم وصلى ثم وجد فالاكثرون على انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف قيل لا لان حكمه حكم
العاجز السابع والستون لو صلى بالتيمم ثم وجد ماء في بئر بجنبه يمكنه استعمال ذلك الماء فان كان قد علمه او كان ثم نسيه فهو كما لو نسي الماء في رحله وان لم يكن
عالما فان كان عليها علامة ظاهرة فالاعادة والا فلا لانه كالعاجز الثامن والستون اذا لم يكن معه ماء ولا يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز
التيمم لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولو وهب منه الماء لزمه القبول لان المنة فيه سهلة ولو وهب منه ثمنه لم يلزمه القبول لان المنة تثقل فيدخل تحت الحرج ولنقتصر
[illegible] فهذه جملة المسائل الفقهية المستنبطة من هذه الآية سوى ما مر في سورة النساء واعلم ان قوله سبحانه ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج اصل معتبر في علم الفقه لانه يدل على ان الاصل في المضار الحرمة وفي المنافع الاباحة وقد يتمسك به نفاة القياس قالوا ان كل
حادثة فحكمها المفصل ان كان مذكورا في الكتاب والسنة فذاك والا فان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان من باب المنافع فالاصل فيها الاباحة
والقياس المعارض لهذين الاصلين يكون قياسا واقعا في مقابلة النص فيكون مردودا اما قوله ولكن يريد ليطهركم فقد تمسك اصحابنا به في ان
اصحاب ابي حنيفة ان عند خروج الحدث ينجس الاعضاء نجاسة حكمية فالمقصود من هذا التطهير ازالة تلك النجاسة الحكمية وقد بينا ان المؤمن لا ينجس لقوله

ايضا المشرك لا يكون نجسا ولقوله عليه السلام المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا وبانه لو كان رطبا فاصابه ثوب لم ينجس ولو حمله انسان وصلى لم تفسد صلوته بالاتفاق وبانه
لو كان يوجب نجاسة الاعضاء ثم كان تطهير الاعضاء الاربعة يوجب طهارة كل عضو لوجب ان لا يختلف ذلك باختلاف الشرايع وبان خروج النجاسة من موضع
كيف يوجب تنجس موضع اخر وبان التيمم زيادة في التكدير فكيف يوجب النظافة والتطهير وبان المسح على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين وبان الذي
يزول به الحدث ليس من الاجسام ولا كان محسوسا ولا من الاعراض لان انتقال الاعراض محال التفسير الثاني ان المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة
الله ثم لا ايصال الماء والتراب الى هذه الاعضاء المخصوصة تنبيه فايدة تعقلها المكلف فالانقياد لمثل هذا التكليف تعبد محض يزيل اثار التمرد ويؤكد
الاخبار في ان المؤمن اذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه وراسه ورجليه وليتم نعمته عليكم باباحة الطيبات الدنيوية من المطاعم و
المناكح بهذه النعمة الدينية وهي كيفية فرض الوضوء او لبيان رخصة كالتيمم ونحوه انعامه عليكم بعزايمه ثم ذكر ما يوجب عليهم قبول تكاليفه ذلك من وجهين
الاول تذكر نعمة يعني الشاملة في هذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لان هذا النوع وهو عطاء نعمة الحيوة والصحة والعقل والهداية والصون عن الافات
والايصال الى الخيرات في الدنيا والاخرة حيث انه يمتاز عن نعمة غيره وانه لا يقدر عليه غيره يجب تلقيه بالشكر وهو الاذعان لاوامره والانقياد لنواهيه فان
قيل اذكر واشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع تواترها وتواليها في كل لحظة ولمحة فالجواب انها لكثرتها وتواليها كالامر المعتاد فصار من غاية
الظهور كالامر المستور والمراد التوبيخ على عدم القيام بمواجبها فكانها كالشيء المنسي الثاني ذكر الميثاق ومعنى واثقكم به عاقدكم به عقدا وثيقا يعني ميثاق
رسوله حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه وعن ابن عباس هو الميثاق الذي اخذه على بني اسرائيل حين قالوا امنا بالتورية
وبما فيه من البشارة بنبي اخر الزمان ومن غيرها وقال مجاهد والكلبي ومقاتل انه اشارة الى قوله للذرية الست بربكم قالوا بلى وقال السدي هو ما ركز
في العقول من حسن هذه الشريعة وهو اختيار اكثر المتكلمين واعلم ان التكاليف وان كثرت الا انها منحصرة في نوعين التعظيم لامر الله والبر لاشاره
بقوله كونوا قوامين لله والشفقة على خلق الله وحث عليها بقوله شهداء بالقسط قال عطا يقول لا تحاف في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا
تمنع شهادتك اعداءك واضدادك وقال الزجاج يبينون دين الله لان الشاهد يبين ما يشهد عليه ثم امر جميع الخلق بان لا يعاملوا احدا الا على سبيل العدل
والانصاف يتركوا الظلم والاعتساف فقال ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي عليهم فحذف للعلم ثم استانف فصرح لهم الامر بالعدل
تاكيدا فقال اعدلوا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل فقال هو اي العدل الذي دل عليه اعدلوا اقرب للتقوى اي الى الاتقاء من عذاب الله ومن معاصيه
وقيل المراد سلوك سبيل العدل مع الكفار الذين صدوا المسلمين عن البيت بان لا يقتلوهم اذا اظهروا الاسلام ولا يرتكبوا ما لا يحل من قتل اولاد
او قتل ولا ما او نسبا او نقض عهد ونحو ذلك وفي هذا تنبيه على ان العدل مع اعداء الله اذا كان بهذه المكانة فكيف يكون مع اوليائه واحبائه ثم
ختم الكلام بوعد المؤمنين ووعيد الكافرين وقوله لهم مغفرة بيان للوعد قدم لهم وعدا ثم كانه قيل اي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة او يكون على ارادة القول
اي وعدهم وقال لهم مغفرة او يكون وعد متضمنا معنى قال ويجعل وعدا واقعا على هذا القول اذ وعدهم هذا القول من هو قادر على كل المقدورات عالم بجميع
المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف في وعده لان سبب الخلف اما جهل او عجز او بخل او حاجة وهو منزه عن الكل فهذا الوعد يصل اليه قبل الموت
فيفيده السرور عند سكرات الموت فيسهل عليه الشدايد وفي ظلمة القبر فيفيده نورا وفي عرصة القيمة فيفيده جنة وروحا والجحيم اسم من اسماء النار وهي كل نار عظيمة
في مهواة كقوله قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ملازموها واصحاب الجحيم يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط يده اذا مدها الى المبطوش به عن جابر ان النبي صلعم نزل منزلا وتفرق الناس
في العضاة يستظلون تحتها فعلق النبي صلعم سلاحه على شجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله فسله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلثا
والنبي صلعم يقول الله فاغمد الاعرابي السيف فدعا النبي صلعم اصحابه فاخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه لم يعاقبه وقال مجاهد والكلبي وعكرمة قتل رجل
من اصحاب النبي صلعم رجلين من بني سليم وبين النبي صلعم وبين قومهما موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فاتى النبي صلعم ومعه ابو بكر وعمر وعثمن وعلي رضي وغيرهم حتى دخلوا
على كعب بن الاشرف وبني النضير يستقرضهم في عقلهما فقالوا نعم يا ابا القسم قد ان لك ان تاتينا وتسئلنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسئلنا
فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش
انا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فجاء جبرئيل واخبره بذلك فخرج النبي صلعم وانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قصة عسفان حين هم الاعداء
ان يواقعوهم فنزلت صلوة الخوف وقيل انها لم تنزل في واقعة خاصة ولكن لم يزل الكفار ابدا كانوا يريدون ايقاع البلاء والنهب والقتل بالمسلمين فمنع الله
المسلمين وفل شوكة الكفار وقوى دين الاسلام واظهره على الاديان التاويل بسماع اسم الله وهو من صفات الهيبة يوجب الفناء والغيبة وسماع الرحمن
الرحيم وهما من صفات اللطف يورث البقاء والقربة اوفوا ايها العشاق بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق في يوم التلاق فمن صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده
عند بذل وجوده احلت لكم ذبح بهيمة النفس التي كالانعام في طلب المرام الا النفس المطمئنة التي يتلى عليها ارجعي الى ربك فتنفرد من الدنيا بما فيها فهي
كالصيد في الحرم وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال في احرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال ان الله يحكم ما يريد لمن يريد فيامر بذبح النفس اذا كانت متصفة
بصفة البهيمية ويترك ذبحها اذا كانت مطمئنة بذكر الحق ومتسمة بسمات الملك ثم اخبر عن تعظيم الشعاير من صدق القضاء فقال يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
القلوب فنقصد وانابة المحبوب وخرج عن اوطان الاوطار وسافر عن ديار الاغيار لا تحلوا معالم الدين والشريعة ومراسم ادب الطريقة والحقيقة
وعظموا الزمان والمكان والاخوان والقاصد كعبة الوصول الى الرحمن الذين اهدوا للقربان نفوسهم وقلدوها بقلادة الشجرة الطيبة ليامنوا

الاعلى الخبيثة واذا حللتم ايمتم مناسك الوصول فاصطادوا ارباب الطلب بشبكة الدعوة الى الله ولا يجرمنكم حسد الحساد الذين يريدون ان يصدوكم

عن الحق على ان تعتدوا على الطالبين فتكونوا قطاع الطريق عليهم في طلب الحق حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة وهي الدنيا باسرها والدم ولحم الخنزير اي حلالها

وحرامها قليلها وكثيرها الا ان من الدم ما هو حلال ولحم الخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل وما اهل به اي كل طاعة هي لغير الله والمنخنقة والموقوذة يعني

الذين يخنقون انفسهم بالتهلكات ويفقدونها بالرياضات رياء وسمعة والمتردية والنطيحة الذين يردون انفسهم الى اسفل سافلين الطبيعة بالتناطح

مع الاقران والتفاخر بالعلم والتعصب بين الاخوان وما اكل السبع الظلمة المتهارشون في جيفة الدنيا تهارش الكلاب الا ما ذكيتم بالكسب الحلال وصالح

تلك الرضا بهذه الحال وما ذبح على النصب ما يذبح عليه النفوس من المطالب الفانية وان تستقسموا بالازلام اي ان تكونوا مترددين في طلب المرام فاذا

انتهيتم عن هذه المناكر وتخلصتم عن هذه الرذائل فقد عاد ليلكم نهارا وظلمتكم انوارا اليوم يئس الذين كفروا من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها

من دينكم فلا تخشوهم واخشون فان كيدي متين اليوم اي في الازل اكملت لكم دينكم ولكن ظهر الامر في حجة الوداع يوم عرفة واتممت عليكم نعمتي وهي اسباب

تحصيل الكمال ببعثة النبي فمن اضطر فمن ابتلي بالتفات شيء من الدنيا والآخرة غير مائل اليه للاعراض عن الحق ولكن من فترة للطالبين او وقفة للسالكين يسألونك

ماذا احل لارباب السلوك اذ الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الله الطيبات كل ماكول ومشروب وملبوس يكون سببا للقيام باداء الحقوق

فكلوا مما امسكن عليكم ولو انما اصطادت النفوس المطمئنة المعلمة بعلوم الشريعة المؤدبة باداب الطريقة المنورة بانوار الحقيقة واذكروا اسم الله عليه

كلما ورد عليكم من الامور الدنيوية والاخروية اسم الله اي لا تنظروا اليه الا بالله في الله اليوم يعني الآن منذ ظهر كمال الدين الازلية وهو يوم عرفة

وهذه فائدة التكرار احل لكم الطيبات اي احل لكم الطيبات التي يتعلق بسعادة الدارين بل احل لكم التخلق بالاخلاق الطيبات وهي اخلاق الله المنزهات عن

الخبائث الكثيفات وطعام الذين اوتوا الكتاب وهم الانبياء حل لكم اي غذائهم بلبان الولاية كما غذوا بلبان النبوة وطعامكم حل لهم اي يشبع لبنا النبوة

والولاية واحد وان كان الثدي اثنين قد علم كل اناس مشربهم والمشرب واحد ولذلك كل مشرب يبيت عند ربي يطعمني ويسقيني والمحصنات من المؤمنات

وهي ابكار حقايق القرآن والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ابكار حقايق الكتب المنزلة على الامم السالفة اي التي ادرجت في القرآن فلا تعلم نفس ما

اخفي لهم من قرة اعين اذا آتيتموهن اجورهن وهي بذل الوجود محصنين في هذا البذل ليكون على وجه الحق غير مسافحين على وجه الطبع ولا متخذي اخدان

غير ملتفتين الى شيء من الاكوان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الذي عمل من دون المكاشفات يا ايها الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عند خطاب هذه المقامات

الستبربكم اذا قمتم من نوم الغفلة الى الصلوة وهي معراجكم للرجوع الى مكان من قربكم فاغسلوا وجوهكم التي توجهتم بها الى الدنيا والطمعوا فيها بالنظر الى

الاغيار بماء التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق اي اغسلوا ايديكم عن التمسك بالدنيا حتى الصلة لانه فوائد الوثوق المرافق وامسحوا برؤسكم

ببذل نفوسكم وارجلكم الى الكعبين من طين طبيعتكم والقيام بانانيتكم ولا يجرمنكم ولا يحملنكم حسد الحساد وعداوة الاندال على ان لا تعدلوا ومع انفسكم

اذ هم قوم من الشيطان والنفس والهوى ان يبسطوا اليكم **وَلَقَدْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا** ع

ايديهم فكفا ايديهم عنكم والله خير موفق ومعين — وبدرستی که گرفت خدا پیمان بنی اسرائیل را و برانگیختیم از ایشان دوازده نفر نقیب را

وَقَالَ اللّٰهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلٰوةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكٰوةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّٰهَ قَرْضًا

وگفت خدا که بدرستی که من با شمایم هرگاه که برپا دارید نماز را و بدهید زکوة را و بگروید به پیغمبران من و تعظیم کنید ایشان را و قرض دهید خدا را وامی

حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ

خوب هر آینه بپوشانم از شما گناهان شما را و هر آینه در آورم شما را در بوستانها که روانست از زیر آنها جویها پس هر که کافر شود پس از این

مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ

از شما پس بدرستی که گمراه شده از راه راست پس بجهت شکستن ایشان پیمان ایشان را لعنت کردیم ایشان را و گردانیدیم دلهای ایشان را سخت که تغییر دهند

الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلٰى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

کلمات را از جایگاه خود و فراموش کردند بهره از آنچه را که یاد آورده شدند و همیشه خبردار شوی بر خیانت ایشان مگر کمی از ایشان

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارٰى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا

پس درگذر از ایشان و ببخش بدرستی که خدا دوست میدارد نکوکاران را و از آنجمله که گفتند که بدرستی که ما ترسائیم گرفتیم پیمان ایشان را پس فراموش کردند بهره

مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّٰهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

از آنچه پند داده شدند بآن پس افکندیم در میان ایشان دشمنی و عداوت را تا روز قیامت و زود است که خبر دهد ایشان را خدا بآنچه که بودند که میکردند

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا

ای صاحبان کتاب بدرستی که آمد شما را پیغمبری از ما که هویدا کند از برای شما بسیاری از آنچه را که بودید که پنهان میکردید از کتاب و درگذرد از

عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ

از بسیاری بدرستی که آمد شما را از جانب خدا روشنی و کتابی هویدا کننده راه مینماید بآن خدا آنرا که پیروی کند خوشنودی او را براه سلامتی

ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ۝ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
وبیرون آوردشان از تاریکیها بسوی روشنی بفرمان او وراهنمایدشان بسوی راه راست بدرستی که کافر شدند آنانکه گفتند بدرستی که خدا او
المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا
مسیح پسر مریم است بگو کیست که نگاه دارد از خدا چیزی را اگر بخواهد که نابود گرداند مسیح پسر مریم را و مادر او را و هرکه را که در زمین است همه
ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ۝ وقالت
و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و آنچه در میان آنهاست بیافریند آنچه خواهد و خدا بر همه چیزی تواناست و گفت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق
یهود و ترسایان که ما فرزندان خدا و دوستان اویم بگو پس چرا عذاب کند شما را بگناهان شما بلکه شما بنده اید از آنها که آفرید
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ۝
بیامرزد مر او را که خواهد و عذاب کند او را که خواهد و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و هرچه در میان آنهاست و بسوی اوست بازگشت
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا
ای اهل کتاب بدرستی که آمد شما را فرستاده ما که ظاهر سازد برای شما احکام را در وقت نبودن پیغمبران که نگوئید فردا که نیامد ما را
من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ۝ القراءة فتنة ع
مژده دهنده و ترساننده پس بتحقیق که آمد شما را مژده دهنده و ترساننده و خدا بر همه چیز تواناست حمزة وعلي

والمفصل الباقون فاسبر الوقوف بني اسرائيل للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة نقيبا للعدول عن الحكاية الى الاخبار معكم لان ما بعده ابتداء شتم محذوف جوابه لاكفرن الانهار ۵ السبيل ۵ قاسية لاحتمال الاستيناف والحال اى لعناهم محرفين مواضعه لان ما تلوه حال اي قد نسوا ذكروا به للعدول عن الماضي الى المستقبل مع الواو واصلح المحسنين ۵ ذكروا به لعطف المتفقين يوم القيامة يصنعون عن كثير مبين لان قوله يهدي وصف للكتاب الى اخر الاية مستقيم المسيح بن مريم الارض جميعا وما بينهما ما يشاء قدير واحباؤه بذنوبكم لشائبة الاستفهام الى الاخبار ممن خلق من يشاء وما بينهما للفصل بين ذكر الحال والمآل المصير ولا نذير للعطف مع وقوع العارض ونذير قدير ۵ التفسير انه سبحانه لما خاطب المؤمنين بذكر نعمته وميثاقه اردفه بذكر ميثاق بني اسرائيل ونقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك تحذيرا لهذه الامة من مثل ما فعلوا وفعل بهم ووجه اخر لما ذكر عذر اليهود وانهم ارادوا ايقاع الشر بالنبي لولا دفع الله تعالى اردفه بذكر سائر فضائحهم ليعلم ان ذلك لم يزل من حرفهم والنقيب فعيل بمعنى فاعل لانه ينقب عن احوال القوم فيكون شاهدهم وضمينهم وقال ابو مسلم بمعنى مفعول يعني اختارهم على علم بهم واصل النقب الطريق في الجبل ونقب البيطار سرة الدابة ليخرج منها ماء اصفر والمناقب الفضائل لانها لا تظهر الا بالتنقيب عنها ويقال كلب نقيب وهو ان ينقب حنجرته لئلا يرتفع صوت نباحه وانما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله تعالى اختار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل رجلا يكون نقيبا لهم وحاكما فيهم ثم انهم بعثوا الى مدينة الجبارين لينقبوا عن احوالهم فرأوا اجراما عظيمة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم فنقلها موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا رجلين منهم ومعنى اني معكم اني ناصركم ومعينكم والتقدير وقال الله لهم فحذف الرابط للعلم به وفي الخطاب للنقباء او لكل بني اسرائيل والحاصل اني معكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وارى افعالكم واعلم ضمائركم واقدر على ايصال الجزاء اليكم فهذه مقدمة معتبرة جدا في الترغيب والترهيب ثم ذكر بعدها جملة شرطية مقدمها مركب من خمسة امور والجزاء هو قوله لاكفرن وهو اشارة الى ازالة العقاب قوله ولأدخلنكم وهو اشارة الى ايصال الثواب اللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له لكنه سد مسد جواب الشرط ايضا والتعزير في اللغة الرد ومنه التعزير التاديب لانه يردعه عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معنى عزرتموهم نصرتموهم لان نصرة الانسان دفع اعدائه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله وتوقروه تكرارا وههنا اسئلة لم اخر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع ان الايمان مقدم على الاعمال واجيب بعد تسليم ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر انه لا بد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن لتلك الاعمال اثر قلت يحتمل ان يكون التقديم وقد تقدم او اخر الايمان عن العمل تنبيها على ان الايمان انما يقع معتدا به اذا اقترن به العمل كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى او هو من القلب للذي يتيح عليه من الالتباس ولعل اليهود كانوا مقصرين في الصلوة والزكوة فكان ذكرهما اهم سؤال آخر ما الفائدة في قوله واقرضتم بعد قوله وآتيتم الزكوة واجيب بان الاقراض ذيل بر الصدقات المندوبة قال الفراء ولو قال واقرضتم الله اقراضا حسنا لكان صوابا ايضا الا انه اقيم الاسم مقام المصدر مثل وانبتها نباتا حسنا اخوله قال فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فان من كفر قبل ذلك ايضا فقد اخطأ الطريق المستقيم لكن شرط الله لهم والجواب جاء ولكن الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم اشنع فلهذا الاخص بالذكر فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم بتكذيب الرسل وقتلهم الانبياء منقضة مجاهدة او باخلال لجملة الشروط المذكورة لعناهم قال عطاء اخرجناهم من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم حتى صاروا قردة وخنازير

عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا قلوبهم قاسية من قرا قسية فمعنى القاسية اي الا انها ابلغ كعليم وعالم ومنه قولهم درهم قسي اي ردي مغشوش لما فيه
من اليبوس والصلابة بخلاف الذهب الخالص فان فيه لينا وانقيادا قالت المعتزلة معنى الجعل ههنا انه اخبر عنها بانها صارت قاسية كما يقال جعلت فلانا
فاسقا او عدلا يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير كلامه ونسوا حظا تركوا نصيبا وافرا وقسطا وافيا مما
ذكروا به من التوراة بدان تركهم التوراة واعراضهم عن العمل بها اغفال حظ عظيم او نسيت بسبب تحريفهم التوراة وذلك علوم منها عن حفظهم
كما روي عن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم وهو الايمان بمحمد ثم بين ان نكث اليهود والغدر
عادة لهم خلفا عن سلف فقال ولا تزال تطلع على خائنة اي خيانة كالعافية والخاذية او صفة لمحذوف مؤنث اي على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة
خائنة او للمبالغة مثل رجل راوية للشعر الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او هم الذين بقوا على الكفر من غير غدر ونقض
لعهودهم فاعف عنهم واصفح بعث على حسن العشرة معهم قيل منسوخ باية الجهاد يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد فاعف
عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف عنهم وقيل بناء على ان القليل هم الباقون على العهد منهم ان المراد لا تؤاخذهم بالصغائر ما داموا باقين على العهد هذا
قول ابي مسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس معناه اذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فقد احبك الله وعلى قول ابي مسلم فالمراد بهؤلاء المحسنين
هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله وفي هذا التفسير بعد والله تعالى اعلم ثم قال ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى لانهم انما سموا انفسهم
بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة انصار الشيطان حيث اختلفوا وخالفوا الحق اخذنا ميثاقهم
ان كان الضمير عائدا الى الذين قالوا فالمعنى ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في افعال الخير والايمان بالرسل فاغرينا الصقنا
والزمنا ومنه الغراء الذي يلصق به وغري بالشيء لزمه والضمير بينهم بين فرق النصارى او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد
فقال يا اهل الكتاب لانه اخرج مخرج الجنس مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة رسول الله وكصفة الرجم وهذا معجز لانه لم يقرا كتابا وقد اخبرهم باسرار
كتابهم ويعفوا عن كثير مما تخفونه فلا يبينه مما لا تمس الحاجة في هذا الدين وعن الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور محمد او الاسلام
وكتاب مبين هو القران لابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القران والمغايرة اللفظية كافية بين
المعطوفين ولا شك ان القران نور معنوي تتقوى به البصيرة على ادراك الحقائق والمعقولات يهدي به الله اي بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه
اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا الذي لغرض يجب هواه سبل السلام طرق السلامة وطرق دار السلام او سبيل الله ان الله هو المسيح ابن مريم بناء على الحلول
الحلول فمن يملك من الله شيئا من الذي يقدر على دفع شيء من افعال الله ومنع شيء من مراده وقوله ان اراد شرط جزاؤه محذوف قد دل عليه ما تقدم والمعنى ان اراد
ان يهلك المسيح المدعو الها وغيره فمن الذي يقدر على ان يدفعه عن مراده ومقدوره والمراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم وشكلهم في
الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وسائر الاعراض فلما سلمتم كونه تعالى خالقا لغيرهما وجب ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما وانما قال وما بينهما بعد ذكر
السموات والارض ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين او النوعين وفي قوله يخلق ما يشاء وجهان احدهما يخلق تارة من ذكر وانثى وتارة من انثى فقط كما في حق
عيسى وتارة من غير ذكر وانثى كادم وثانيهما ان عيسى اذا قدر صورة الطير من الطين فان الله تعالى يخلق فيها اللحمية والحيوة معجزة لعيسى وكذا احيا الموتى وابرا
الاكمه والابرص نحن ابناء الله واحباؤه قيل عليه ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل ذلك عنهم واما النصارى فلا يقولون ذلك في حق انفسهم واجيب بان
المضاف محذوف اي نحن ابناء رسل الله او يريد ان عنايته تعالى بنا لهم كعناية الاب بالابن او اليهود يزعمون ان عزيرا ابن الله والنصارى ان المسيح ابن
الله وقد يقول اقارب الملوك وحشمهم نحن الملوك وغرضهم كونهم مختصين بذلك المتخصص كانه هو الملك عن ابن عباس ان النبي دعا جماعة من اليهود الى الاسلام
وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه ومما يتلوا النصارى في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي
وابيكم ثم انه سبحانه ابطل عليهم دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان قيل ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا وهو ممكن المعارضة بوقوعه احد يقتل
احباء الله كالحسن والحسين او عذاب الاخرة والقوم ينكرون ذلك ولو كان مجرد اخبار بانهم كذبوا في ادعائهم انهم احباء الله كان فيه ويصير الاستدلال ضايعا
اجيب بان محل الالزام عذاب عاجل في المعارضة بيوم احد ساقطة لانهم وان ادعوا انهم الاحباء لكنهم لم يدعوا انهم الابناء او عذاب اجل فان اليهود والنصارى
يعترفون بذلك وانهم تمسهم النار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسخهم قردة وخنازير بل هذا الجواب اولى ليكون الاحتجاج عليهم بشيء قد دخل في الوجود
فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر من جملة من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق يوجب ان يغفر له ولا قدرة تمنعه من ان يعذبه وياتي الاية تاكيد لهذا
المعنى يبين لكم في محل النصب على الحال وفيه وجهان ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحسن حذفه لان كل احد يعلم ان الرسول انما ارسل لبيان الشرائع او هو
ما كنتم تخفون وحسن حذفه لتقدم ذكره وان لا يقدر المبين والمعنى بذل لكم البيان وحذف المفعول اعم فائدة وقوله على فترة متعلق بجاءكم او حال اخر قال ابن عباس
اي على حين فتور من ارسال الرسل وفي تفسير انقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع كان بين عيسى
ومحمد خمسمائة وستون او ستمائة سنة وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل
وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي اما العيسي بالنون فهو المتنبي الكاذب المقصود ان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وتطرق التحريف
والتغيير الى الشرائع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف

المائدة

فقد منّ الله تعالى عليهم بان ختم هذه الفترة وذلك قولهم ان يقولوا اى كراهة ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم اى لا تعتذروا فقد جاءكم رسول وجيب عليكم
ان الفترة توجب الحاجة الى بعثة الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شئ فكان يجب فى حكمته ورحمته ارسال الرسل فى الفترات الزمانية والامامية انه قال
انّا وبل جعل فى امة موسى اثنا عشر نقيبا وجعل فى هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين رجلا كما قال يكون فى هذه الامة اربعون على خلق ابرهيم وسبعة على
خلق موسى وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد وقال ابو عثمن المغربى البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء ثلثة والواحد هو القطب فالقطب
عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه هو امام الاولياء وهكذا حال الثلثة مع السبعة والسبعة مع الاربعين فاذا نقص من الاربعين
واحد بدل مكانه واحد من غيرهم واذا نقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى
القطب الذى به قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلثة هكذا الى ان ياذن الله تعالى فى قيام الساعة نعم امة الصلوة بان يجعلها معراجك الى الحق فى درجات
القيام والركوع والسجود والتشهد فبالقيام يتخلص عن حجب صفات الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار وبالركوع يتخلص عن حجب صفات الحيوانية
واعظمها الشهوة وهو من خاصية الهواء وبالسجود يتخلص عن حجب طبيعة النبات واعظمها الحرص على الجذب للنشو والنماء وهو من خاصية الماء وبالتشهد يتخلص
عن حجب طبع الجماد واعظمها الجمود وهو من خاصية التراب فاذا تخلصت من هذه الحجب فقد اقمت الصلوة مناجيا ربك مشاهدا له كما قال عبد الله كانك تراه
واتيتم الزكوة بان تصرف ما ادّى من وجودك فيك بتعلق الغالب فى سبيل الله وامنتم برسلى استسلمتم بالكلية لتصرفات النبوة والرسالة واقرضتم الله بالوجود
قرضا حسنا وهو ان ياخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما يقول لاكفرن لاسترن بالوجود الحقيقى عنكم سيئاتكم الوجود
المجازى ولادخلنكم جنات الوصلة تجرى من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على خائنة منهم لان العصيان جبلى لهم فاغرينا بينهم العداوة حتى
نقضوا الميثاق وابطلوا الاستعداد الفطرى وصاروا كالسباع يتهارشون ويتحاربون يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بجعل اقواما مظهر لطفه
وفضله واخرين مظهر قهره وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَعَلَ فِيكُمْ اَنْبِيَآءَ وَجَعَلَكُمْ
وعدله وهو اعلم بعباده — وچون گفت موسى مر قوم خود را كه اى قوم ياد آوريد نعمت خدا را بر شما چون قرار داد در شما پيغمبران و كردانيد شما را
مُلُوكًا وَاٰتٰيكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ اَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ
پادشاهان و داد شما را آنچه را كه نداد هيچيك از عالميان را اى قوم در آييد در زمين پاكيزه كه نوشت خدا از براى شما
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلٰى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسٰى اِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَاِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا
و باز نگرديد بر پشت خود پس باز گرديد زيان كاران گفتند اى موسى بدرستى در آن گروهى از ستمكاران و بدرستى ما داخل نشويم آنرا
حَتّٰى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا
تا كه بيرون روند از آن پس اگر بيرون روند از آن پس ما داخل شوندگانيم گفتند دو مرد از آنانى كه مى ترسيدند و انعام فرمود خدا بر ايشان كه در آييد
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَاِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَاِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسٰى
بر ايشان از در پس چون داخل شديد در آن بدرستى كه شما غالب شونده ايد و بر خداى پس توكل كنيد اگر هستيد گروندگان گفتند اى موسى
اِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا اَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ اَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا اِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ اِنِّى
ما هرگز داخل نشويم آنرا هميشه تا ايشان در آن اند پس برو تو و پروردگارت پس قتال كنيد كه ما در اينجا نشستگانيم گفت پروردگارا من
لَا اَمْلِكُ اِلَّا نَفْسِى وَاَخِى فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ قَالَ فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِينَ
مالك نيستم بجز نفس و برادر را پس جدائى انداز در ميان ما و ميان گروه فاسقان گفت كه پس آن حرام است بر ايشان در چهل
سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْاَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ القراءة جبارين بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو ورويس
سال كه سرگردان باشند در زمين پس تأسف مخور بر گروه فاسقان — كان فلا تأس بغير همزة حيث وقعا ابو عمرو ويزيد
والاعشى وورش وحمزة فى الوقف الوقوف ملوكا ج العالمين ه جبارين قد قيل لشبهة الابتداء بان ولكن كسر الفاء يجيبه بعد القول معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب داخلون ط الباب ج لذلك غالبون ج مؤمنين ه قاعدون ه الفاسقين ه سنة ج لانها تصلح ظرفا للتيه بعده وللتحريم قبله الفاسقين ه تفسير
وجه النظم انه سبحانه كانه قال اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وذكرهم موسى نعم الله وامرهم بمجاهدة الجبارين فخالفوا فى الكل من الله عليهم بامور ثلثة
اولها قوله اذ جعل فيكم انبياء وذلك انه لم يبعث فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء وثانيها قوله وجعلكم ملوكا قال السدى اى جعلكم احرارا تملكون
انفسكم بعد ما استعبدكم القبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكانت لهم اموال كثيرة وخدم يقومون بامرهم ومن كان كذلك
كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يدخل عليه احد الا باذنه وقيل الملك هو القناعة والاسلام والامن والقوة وقهر النفس وقيل من كان مستقلا بامر
نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا فى مصالحه الى احد فهو ملك وقيل كان فى اسلافهم واخلافهم ملوك وعظماء وقد يقال لمن حصل فيهم ملوك
انهم ملوك وقيل كل نبى ملك لانه يملك امر امته ينفذ فيهم حكمه وثالثها واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق والعظائم وقيل اراد عالمى زمانهم روى ان ابرهيم لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما ادرك بصرك

ومیراث لهذه البلدة وقيل لما خرج قوم موسى من مصر وعدهم الله إسكان أرض الشام وكان بنو إسرائيل يسمون أرض الشام أرض المواعيد ثم بعث موسى عليه السلام
اثني عشر نقيبا من الأمناء ليتجسسوا لهم من أحوال تلك الأراضي فلما دخلوا تلك البلاد رأوا أجساما عظيمة هائلة قال المفسرون لما بعث موسى النقباء
لأجل التجسس رآهم واحد من أولئك الجبارين فأخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه وأتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال متعجبا للملك
هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا إلى صاحبكم وأخبروه بما شاهدتم فانصرف النقباء إلى موسى فأخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكتموا ما شاهدوا
فلم يقبلوا قوله إلا رجلان هما كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط أفرايم بن يوسف فإنهما قالا هي بلاد طيبة كثيرة النعم والأجسام عظيمة
إلا أن قلوبهم ضعيفة وأما العشرة الباقية فإنهم أوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى أظهروا الامتناع عن غزوهم والأرض المقدسة هي المطهرة من الآفات
وقيل من الشرك وزيّف بأنها لم يكن وقت الجبارين كذلك وأجيب بأنها كانت كذلك فيما قبل لأنها كانت مسكن الأنبياء ثم إنها ما هي عن عكرمة والسدي وابن زيد
هي أريحا وقال الكلبي دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم وهبها لكم أو خط في
اللوح المحفوظ أنها لكم أو أمركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم وقيل المراد خاص أي مكتوب لبعضهم وحرام
على بعضهم وقيل إن الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وقيل حرم عليهم أربعين سنة فلما مضى الأربعون حصل ما كتب وفي
قوله كتب الله لكم تقوية القلوب بأن الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على أدباركم لا ترجعوا من الدين الصحيح إلى الشك في نبوة
موسى وإخباره بهذه النصرة أو لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها إلى التي خرجتم عنها فقد روي أن القوم كانوا قد عزموا على الرجوع إلى مصر فتنقلبوا خاسرين
في الآخرة بفوت الثواب وحصول العقاب وقد رجعوا إلى الذل أو تيهوا في التيه عمرا وآسفين إلى شيء من مطالب الدنيا ومنافع الآخرة والجبار فعال من جبره على الأمر
بمعنى أجبره عليه هو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وهو اختيار الفراء والزجاج قال الفراء لم أسمع فعالا من أفعل إلا في حرفين جبار من أجبر ودراك من أدرك
وقيل نخلة جبارة إذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الأيدي إليها والقوم كانوا في غاية القوة ونهاية العظم حتى جبن قوم موسى عنهم حتى قالوا على سبيل المبالغة
في الاستبعاد إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون كقوله عز وجل ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال رجلان هما يوشع
وكالب من الذين يخافون الله وقد أنعم الله عليهما أي بالهداية والثقة بقوله والاعتماد على نصره مرتفع صفة لرجلان ويحتمل أن يكون جملة معترضة قال القفال
يجوز أن يكون التقدير من الذين يخافون بنو إسرائيل والعائد إلى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون فعلى هذا الرجلان من الجبارين
ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد بالنصر والظفر كأنه قال متى دخلتم باب بلدهم لم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن دار فإذا دخلتموه فإنكم غالبون علموه ظنا
أو يقينا من عادة الله في نصرة رسله عامة ومن صنعه لموسى عليه السلام في قهر أعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا العبا فلا بد أن يلائم ما قبلها وما بعدها والمعنى
لما وعدكم الله النصر فلا ينبغي أن تصيروا خائفين من عظم أجسامهم بل توكلوا على الله إن كنتم مؤمنين مقرين بوجود الإله القادر مؤمنين بصحة نبوة
موسى قالوا يا موسى إنا لن ندخلها نفوا دخولهم في المستقبل على وجه التأكيد بقولهم أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك قال بعض العلماء لعلهم كانوا مجسمة يجوزون
الذهاب والمجيء على الله تعالى أو أنهم لم يقصدوا حقيقة الذهاب كقولك كلمته فذهب يجيبني تريد القصد والإرادة وقيل المراد بالرب أخوه هارون وسموه ربا
لأنه أكبر من موسى وقيل التقدير اذهب أنت وربك معين لك بزعمك ولكن لا يجاوبه قوله فقاتلا ولا يبقى لقوله أنت فائدة واضحة ولا يخفى أن هذا القول منهم كفر
أو فسق فلهذا قال موسى على سبيل الشكوى والبث رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي قال الزجاج في أخي وجهان الرفع على موضع إني والمعنى أنا لا أملك إلا نفسي وأخي
وكذلك والنصب عطفا على الضمير في أملك أي لا أملك أنا وأخي إلا أنفسنا أو على نفسي أي لا أملك إلا نفسي ولا أملك إلا أخي لأن أخاه إذا كان مطيعا له فهو مالك
طاعته وكأنه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما أو لعله قال ذلك تقليلا لمن يوافقه وأراد من يواخيه في الدين فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين والمراد فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لكل منا بما يستحق وهو معنى الدعاء
عليهم بدليل فاء التسبيب في قوله فإنها أي الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يفتحها الله لهم من غير محاربة والمراد أنهم يتيهون أربعين سنة
ومعنى يتيهون يسيرون متحيرين عن مقاتل أن موسى عليه السلام لما دعا عليهم أخبره الله بأنهم يتيهون قالوا لم دعوت علينا وندم على ما عمل فأوحى الله إليه فلا تأس
أي لا تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين فإنهم أحقاء بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم أن يكون ذلك خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم أي لا تحزن على قوم لم يزل
مخالفة الرسل ديدنهم واعلم أن المفسرين اختلفوا في أن موسى وهارون هل بقيا في التيه أم لا فقال قوم إنهما ما كانا في التيه لأنه دعا أن يفرق بينه
وبينهم وكل نبي مجاب ولأن التيه عذاب والأنبياء لا يعذبون ولأن سبب ذلك العذاب لتمردهم ثم علم بهم وقال آخرون إنهما كانا مع القوم إلا أن الله تعالى
سهل عليهما ذلك العذاب كما كانت النار على إبراهيم بردا وسلاما ثم من هؤلاء من قال إن هارون عليه السلام مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل
يوشع عليه السلام أريحا بعد موته بثلاثة أشهر وكان ابن أخت موسى ووصيه بعد موته ومات النقباء في التيه بغتة بعقوبات غليظة إلا كالب ويوشع ومنهم
من قال بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم وأخذ الأرض المقدسة والله تعالى أعلم واختلفوا أيضا في التيه فقيل المفازة التي
تاهوا فيها فقال الربيع مقدار ستة فراسخ وقيل تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل ستة في اثني عشر وقيل كانوا ستمائة ألف فارس ثم الأكثرون على
أن قوله فإنها محرمة عليهم تحريم منع كانوا يسيرون كل يوم على الاستنان جادين حتى إذا أمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان مع ذلك نعم الله
عليهم من تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك متظاهرة كالولد الشفيق يضربه أبوه ويؤدبه لينتهي ولكن لا يقطع عنه معروفه

واحسانه ويشكل هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في ذلك القدر الصغير من المفازة سنين سنة ولم يخرج احد منهم ان اتفق
طريقا الليل ولو بامارات حركات النجوم والجواب ان هذا من الخوارق التي يجب التصديق بها كسائر المعجزات التي يستبعد وقوعها وقال بعضهم ان هذا
التحير تعبد ثم نعم امرهم بالمكث في تلك المفازة اربعين سنة عقابا لهم على سوء صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال التأويل اشار موسى الروح الى
القوى البدنية ادخلوا ارض القلب المقدسة التي كتبها الله ثم للاذت المستعد في الفطرة فهابوا تحمل اعباء المجاهدات وملازمة المخالفات والرياضات
فقال لهم النفسان اللوامة والمطمئنة انكم غالبون اذا دخلتم باب الجد الطلب يتبدل الراحة بالتعب فلم يعتدوا بقولهما فحرم الله ثم ذلك عليهم ويغير
سنة هي مدة استيفاء حظوظ النفس الامارة وانكسار سورة هواها في الاغلب كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وفي الاية نكتة هي ان موسى
لما ظن انه لا يملك الا نفسه ونفس اخيه ابتلاه الله في الحال بالدعاء على امته لانه لم اغتاظ نفسه وما ملكها عند الغضب فشتان بينه وبين من قال حين شج راسه
وكسرت رباعيته اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون اللهم صل عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين قوله الله عز وجل

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا
وبخوان بر ایشان حکایت دو پسر آدم را براستی چون تقرب کردند قربانی را پس قبول شد از یکیشان و قبول نشد از دیگری گفت که هرآینه میکشم من ترا گفت که
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
قبول میکند خدا از پرهیزکاران اگر بگشائی بسوی من دست خود را که بکشی مرا نمیگشایم من دستم را بسوی تو که بکشم ترا بدرستی که من میترسم خدا را
رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ
که پروردگار جهانیانست من میخواهم که بازگردی بگناه من وگناه خودت پس بوده باشی از یاران آتش واین است پاداش ستمکاران پس قبول کرد
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي
برا او نفسش کشتن برادرش را پس کشتش پس صبح کرد از زیانکاران پس فرستاد خدا غرابی را که بجنگ کود کردی زمین را تا بنماید که چگونه پنهان کند
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ
نعش برادرش گفت که ای وای بر من که نتوانستم که بوده باشم مانند این غراب پس پنهان کنم نعش برادرم را پس صبح کرد از پشیمانان
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
از اینجهت نوشتیم بر گروه بنی اسرائیل که بدرستی که هرکه کشت نفسی را بدون نفسی یا فسادی در زمین پس چنان است که کشته
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ
مردمان را همه وهرکه زنده گرداند او را چنانست که زنده کرده باشد مردم را همه وبدرستی که آمد ایشان را پیغمبران ما بگواهان
ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ
پس بدرستی که بسیاری از ایشان پس از این در زمین هرآینه زیاده روانند جز این نیست که پاداش آنها که جنگ کنند با خدا ورسول او وشتابند
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
در زمین بجهة فساد که کشته شوند یا بدار کشیده شوند یا بریده شود دستهاشان وپاهاشان از پشت یا رانده شوند از زمین
ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ
این است براشان زیان است در دنیا ومر ایشانراست در آخرت عذاب بزرگ مگر آنهائی که بازگشتند پیش از آنکه دست یابید بر ایشان
ع فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا
پس بدانید که خدا آمرزنده مهربانست ای زمره آنها که گرویده اید بپرهیزید خدا را وبخواهید بسوی او وسیله را وکوشش کنید
فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا
در راه او شاید شما رستگار شوید بدرستی که آنهائی که کافر شدند اگر که بشد مر ایشانرا آنچه در زمین است همه ومانند او با آن که فدیه دهند
بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ
بآن از عذاب روز قیامت پذیرفته نشود از آنها ومر ایشانراست عذاب دردناک میخواهند که بیرون آیند از آتش ونیستند آنها
بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
بیرون آیندگان از آتش ومر ایشانراست عذاب پاینده ومرد دزد وزن دزد پس ببرید دستهاشان را پاداش آنچه کسب کردند وعقوبت
مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَلَمْ
از خدا وخدا غالب داناست پس هرکه توبه کرد پس از ظلم کردنش ونیکی کرد پس بدرستی که خدا میپذیرد از او بدرستی که خدا آمرزنده مهربانست آیا
تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
ندانی که خدا مر اوراست پادشاهی آسمانها وزمین عذاب کند هرکه را خواهد وبیامرزد هرکه را خواهد وخدا بر همه

القراءة لا قتلنك بالنون الخفيفة ردى المعدل عن يد يدى اليك بفتح ياء المتكلم ابو جعفر و نافع من اجل بكسر النون بزيد فقرا ورش بفتح النون موصولة
وسكنا بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف بالحق لحلى ان دمعمولا ذكر محذوفا ولو وصل لا وهم انه معمول اتل وهو محال من الاخر لاقتلنك المتقين
لاقتلنك لاحتمال اضمار اللام او القاء العالمين لتناد لاختلاف الجملتين الظالمين لاجل الفاء الخاسرين سوأة اخيه ط اخي لطول ما اعترض من المعطوف والمعطوف
عليه الناد مين من اجل ذلك كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق باصبح و بكتبنا جميعا في الموضعين بالبينات لا انه ثم لترتيب الاخبار المسرفون من الارض ط
عظيم عليهم لتناهي الاستثناء مع الجواب اي لا تعذب التائبين ان الله غفور رحيم تفلحون منهم لتناهي الشرط مع اتحاد المقصود من الكلام اليم لاد المقصود مع
اختلاف الجملتين مقيم من الله حكيم يتوب عليه من يشاء قدير التفسير في النظم وجوه منها انه راجع الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكانه تعالى
ذكر لاجل تسلية نبيه قصصا كثيرة كقصة النقباء وما انجر اليه الكلام من اصرار اهل الكتاب وتعنتهم بعد ظهور الدلائل القاطعة ثم ختمها بقصة بني ادم
وان احدهما قتل الاخر حسدا وبغيا ليعلم ان الفضل كان محسودا بكل اوان ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة
وكيفية ايجاب القصاص بسببها كانت من اسرار التوراة ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اي لا ينفعهم كونهم من اولاد الانبياء مع كفرهم كما لم ينفع
قابيل والمراد اتل على الناس او على اهل الكتاب خبر ابني ادم من صلبه هابيل وقابيل تلاوة متلبسة بالحق والصحة من عند الله او متلبسة بالصدق موافقة لما
في التوراة والانجيل او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد والتحذير من سوء عاقبة الحاسد واتل عليهم واتل محقا صادقا لا مبطلا هازلا كالاقاصيص التي لا غناء
فيها اذ قربا قال في الكشاف نصب بالنبأ اي قصتهم في ذلك الوقت وبدل من النبأ اي نبأ ذلك الوقت على حذف المضاف والمقصود قرب كل واحد منهما قربانا الا
انه جمعهما في الفعل اتكالا على قرينة الحكاية او لان القربان في الاصل مصدر ثم سمي به ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة روي ان ادم كان يولد له كل
سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن اخرى فولد قابيل وتوأمته اقليما وبعدهما هابيل وتوأمته ليوذا وكانت توأمة قابيل احسن
واجمل فاراد ادم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل وقال انا احق بها وليس هذا من الله وانما هو رأيك فقال ادم لهما قربا قربانا فمن ايكما قبل قربانه زوجتها منه
فتقبل الله قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وقتل اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن والضحاك انهما ما كانا ابني ادم
لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ومن البين ان صدور الذنب من احد ابني ادم لا يصلح ان يكون
سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل وزيف بان الاية تدل على ان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بني اسرائيل لم يخف
عليه قال مجاهد اكل النار علامة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك علامة القبول لحيلة ما كان في ذلك الوقت يتقرب به الى الله تعالى فكانت النار
تنزل من السماء فتاكله وانما صار احد القربانين مقبولا والاخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن المحق في جواب المبطل
انما يتقبل الله من المتقين وذلك لانه لما كان الحسد هو الذي حمله على توعده بالقتل فكانه قال له ما لك لا تعاتب نفسك لا تحملها على طاعة الله تعالى التي هي
السبب في القبول قيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانه احسن ما كان معه وكان صاحب غنم والاخر جعله ارذل ما كان معه وكان صاحب زرع وقيل انه اضمر
انه لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل او لم يقبل وقيل لم يكن قابيل من اهل التقوى وفي الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب المتوعد لم تقتلني قال لان قربانك
صار مقبولا فقال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه عن المظلوم انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك ذكر
الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتاكيد النفي دلالة على انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال مجاهد كان
اقوى من القاتل وابطش منه لكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وهذا وجه قوله اني اخاف الله رب العالمين
وقيل المعنى لا ابسط يدي اليك لغرض قتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر فالايسر وليس له ان يقصد القتل ثم
ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فيه سؤال انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا تزر وازرة وزر اخرى تعالى
ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة اي تحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقال الزجاج يرجع الى الله باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقال
في الكشاف انه يحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي سؤال اخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه كونه من اهل النار والجواب
ان هذا الكلام انما دار بينهما عند ما غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على القتل فكانه لما وعظه ونصحه قال له ان كنت لا
تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان تترصد لقتلي في وقت غفلة وحينئذ لا يمكنني ان ادفعك عن قتلي الا اذا قتلتك ابتداء بمجرد الظن والحسبان وهذ
مني كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان اكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان تكون انت فانا احب ان تحصل هذه الكبيرة لك لا لي ومن البين ان ارادة صدور
الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عين الطاعة والمراد اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عقاب الظالم
وروي ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه اخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان يقال اني اريد ان تبوء باثمي الذي يحمل عليك
يوم القيامة اذا لم تجد ما ترضيني به وباثم نفسك باي فهذا يصلح جوابا عن السؤال الاول ايضا فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعته وخفضته وسهلته من
طاع له المرتع واطاع اذا اتسع وله لاجل زيادة الربط كقولك القائل حفظت لزيد ماله ومنهم من قال شجعته نفسه والتحقيق ان الانسان اذا علم ان القتل
العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا يطاوعه النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقاد لها وخضع واستكانه

والتطويع والتزيين الى النفس لا ينافى كون الكل مضافا الى قضاء الله قيل يحكى ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس واخذ طيرا ووضع راسه على حجر فشدخه فتعلم
قابيل
ذلك منه ثم انه وجد هابيل يوما نائما فضرب راسه بحجر فمات وعن النبى صلعم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها وذلك انه اول
من سن القتل فاصبح من الخاسرين دينا ودنياه واخرته لانه اسخط والديه وبقى مذموما الى يوم القيمة ثم يلقى فى النار ولما قتل اخاه هرب من ارض اليمن
الى عدن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فنصب بيت نار وهو اول من عبد النار وقيل ان هابيل قتل وهو ابن
عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة وفى موضع المسجد الاعظم وروى انه لما قتل اسود جسده وكان ابيض فسئل ادم عن اخيه فقال ما كنت
عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة لم يضحك وانه رثاه بشعر وهو تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الارض مغبر
قبيح تغير كل ذى لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح قال فى الكشاف انه كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون عن الشعر وصدقه فى التفسير الكبير قال ان ذلك
من قائله لو كان بحيث لا يليق بالاحاد فضلا عن الافراد وخصوصا من علم حجة على الملائكة واقول اما ان جميع الانبياء معصومون عن الشعر فلعل عمّ
العموم لا يمكن فيه وكانه من خصائص نبينا محمد صلعم وهذا انه الله عليه بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغى له واما انه من ركاكة الجملة المذكورة
فمكابرة مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر المصنوع والله اعلم بحقيقة الحال قال المفسرون انه لما قتله تركه لا يدرى ما يصنع به ثم خاف عليه
السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى تغير فبعث الله غرابا اى الاكثرون انه بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة
فتعلم من الغراب قال الاصم لما قتله وتركه بعث الله غرابا يحثى على المقتول فلما راى القاتل ان الله تعالى كيف يكرمه بعد موته ندم وقال ابو مسلم عادة الغراب دفن الاشياء
فجاء غراب فدفن شيئا فتعلم ذلك منه ليريه اى الله او الغراب اى ليعلمه وذلك انه كان سبب تعليمه كيف يوارى محله نصب على الحال من ضمير يوارى والجملة مفعول
ليريه مفعولا ثانيا اى كيفية مواراة سوأة اخيه اى عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل جيفة اخيه والسوأة السوء الحالة الفضيحة
يا ويلتى كلمة عذاب يقال ويل له وويله ومعناه الدعاء بالاهلاك وقد يقال فى معرض الترحم وانما طلب اقبال الويل هيهنا على سبيل التعجب اى احضر
حتى يتعجب منك من فظاعتك واحضر فهذا اوان حضورك والالف بدل من ياء المتكلم اعجزت استفهام بطريق الانكار ان اكون اى عن ان اكون مثل هذا
الغراب فى الفعل المذكور ولهذا قال فاوارى بالنصب على جواب الاستفهام من النادمين لان الندم وضع للزوم ومنه النديم لملازمته المجلس وانما لم يكن
ندمه توبة لانه انما تعلم الدفن من الغراب صار من النادمين على ان حمله على ظهره سنة او ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابواه واخوته او ندم لانه
تركه بالعراء استخفافا وتهاونا وكان دون الغراب فى الشفقة على مفقوده حتى صار الغراب دليلا وقد قيل اذا كان الغراب دليل قوم من اجل ذلك القتل قيل هو
من اجل شرا باجله اجلا اذا جناه كتبنا على بنى اسرائيل لان كان القاتل والمقتول من غير بنى اسرائيل فالمناسبة بين الواقعة وبين وجوب القصاص عليهم
ظاهرة وان كان ابنى ادم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما فى القصة من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالندم على الامور المذكورة اى من اجل
ما ذكرنا فى اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص فى حق القاتل ثم وجوب القصاص وان كان عاما فى جميع الاديان
والملل الا ان التشديد المذكور فى الاية وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت الا على بنى اسرائيل والغرض بيان قساوة قلوبهم فانهم مع
علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل فيكون فيه تسلية لرسول الله صلعم فى الواقعة التى عزموا فيها على قتله ثم القائلون بالقياس استدلوا بالاية
على ان احكام الله تعالى قد يكون معللة بالعلل لانه صرح بان الكتبة معللة بتلك المعانى المذكورة ولهذا يقول من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا انها تدل
على ان الاحكام معللة بمصالح العباد ويعلم منه امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبائح لان ذلك ينافى مصلحة العبد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم الاستكمال
والتحقيق ان استتباع الفعل الغاية الصحيحة لا ينافى الكمال الذاتى وقد سبق مرارا بغير نفس اى هو ان يقع لا على وجه الاقتصاص او فساد قال الزجاج انه معطوف
على نفس بمعنى او بغير فساد فى الارض كالكفر بعد الايمان وكقطع الطريق وغيره من المهلكات فكانما قتل الناس جميعا وههنا نكتة وهى ان التشبيه لا يستدعى
التسوية بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس ثم ان الجزء لا يعقل انه مساو للكل فالغرض استعظام امر القتل العمد العدوان
واشتراك الفعلين فى استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك والتحقيق فيه انه
اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى كل واحد بل الانسان
الى الكل لان كل انسان يدلى من الكرامة والحرمة بما يدلى به الاخر فلذلك جد الناس واجتهادهم فى دفع قاتل شخص واحد يجب ان يكون مثل جدهم فى دفعه لو علموا
انه يقصد قتلهم باسرهم ومن احياها اى استنقذها من مهلكة كحرق او غرق او جوع مفرط ونحو ذلك والكلام فى تشبيه احياء البعض باحياء الكل كما تقرر
فى القتل ثم ان كثيرا منهم اى من بنى اسرائيل بعد ذلك اى بعد مجئ الرسل لمسرفون فى القتل لا يبالون بعظمته ومعنى ثم التراخى فى الرتبة ثم انه تعالى لما ذكر
ان الفساد فى الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله استدل بالاية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ
واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن حمله على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال تاويل هذه المحاربة على مخالفة الامر والتكليف والتقدير
انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء فى الخبر من اهان لى وليا فقد بارزنى
بالمحاربة ويسعون فى الارض فسادا نصب على الحال اى مفسدين او على العلة اى للفساد او على المصدر الخاص نحو رجع القهقرى لان الفساد نوع من السعى عن
انس ان الاية نزلت فى العرنيين الذين قتلوا راعى رسول الله صلعم واستاقوا الذود فبعث رسول الله صلعم فى آثارهم وامر بقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم



ويزكيهم حتى قيل انه كان نسخ الاية ناسخة لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقرآن كان الناسخ لتلك السنة سنة اخرى ونزل هذا القرآن مطابقا للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم ابي بردة عامر الاسلمي وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فقطع عليهم قوم من كنانة يريدون الاسلام وابو بردة غائب فقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل انها في بني اسرائيل الذين حكى الله عنهم انهم مسرفون في القتل وقيل في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول اكثر الفقهاء قالوا ولا يجوز حمل الاية على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض ولانه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد او النفي ولان حده يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه وبعدها ولان الصلب غير مشروع في حقه ولان اللفظ عام وشرطوا في هذا المحارب كونه مسلما مكلفا ان يكون معتمدا القوة في المغالبة مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والمراهقون والمعتمد على الهرب وكذا المتعرض للقافلة على الاستغاثة لمن يعينه واتفقوا على ان هذه الحالة اذا حصلت في الصحراء كان قاطع الطريق فاما في نفس البلد فكذلك عند الشافعي لعموم النص وخالف ابو حنيفة ومحمد لانه يلحقه الغوث في الغالب فيحكم بحكم السارق والمختلس وللعلماء في لفظة او في الاية خلاف فعن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد انها للتخيير اي الامام ان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع الايدي والارجل وان شاء نفى وعنه في رواية عطاء ان الاحكام مختلفة بحسب الجنايات فمن اقتصر على القتل قتل ومن قتل واخذ المال قدر نصاب السرقة قتل وصلب ومن اقتصر على اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم ياخذ المال نفي من الارض واليه ذهب الشافعي والاكثرون والذي يدل على ضعف القول الاول انه ليس للامام الاقتصار على النفي بالاجماع ولان هذا المحارب اذا لم يقتل ولم ياخذ المال فقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر المعاصي فتقدير الاية ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان جمعوا بين القتل والاخذ او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على الاخذ والتشديد في هذه الافعال للتكثير او ينفوا من الارض ان اخافوا السبيل والقياس الجلي ايضا يؤيد هذا التفسير لان القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الطرفين من خلاف اي يده اليمنى ورجله اليسرى فان عاد فاليسرى واليمنى قيل وانما قطع هكذا لئلا يفوت جنس المنفعة قلت هذا ايضا من باب التغليظ لان اليد اليمنى اعون في العمل والرجل اليسرى اعون في الركوب وان جمعوا بين القتل والاخذ جمع بين القتل والصلب لان بقاءه مصلوبا في ممر الطريق يشهره ويزجر وان اقتصروا على مجرد الاخافة اقتصر الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال ابو حنيفة اذا قتل واخذ المال فالامام مخير بين ان يقتل فقط او يقطع ثم يقتل او يصلب وعند الشافعي لا بد من الصلب لاجل النص وكيفية الصلب ان يقتل ويصلى عليه ثم يصلب مكفنا ثلاثة ايام وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده اي صليبه هو الودك وعند ابي حنيفة يصلب حيا ثم يزرق بطنه برمح حتى يموت ويترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم ان نزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وان ترك حتى يتهرى فلا غسل ولا صلاة اما النفي فان الشافعي حمله على معنيين احدهما انهم اذا قتلوا واخذوا المال فالامام ان ظفر بهم اقام عليهم الحد وان لم يظفر بهم طلبهم ابدا ليكونوا خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني الذين يحضرون الواقعة ويعينونهم بتكثير السواد واخافة المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما اخذوا المال فالامام ياخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم هو هذا الحبس وقال ابو حنيفة واحمد واسحق النفي هو الحبس لان الطرد عن جميع الارض غير ممكن والى بلد اخرى استضرار بالغير والى دار الكفر تعريض للمسلم بالردة فلم يبق الا ان يكون المراد الحبس لان المحبوس لا ينتفع بشيء من طيبات الدنيا فكانه خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة الزندقة وطال لبثه خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاموات فيها ولا الاحياء اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذلك لهم خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الاحباط وقالت الاشاعرة بل بشرط عدم العفو الا الذين تابوا قال الشافعي ان تاب بعده ثم لم يسقط عنه ما يختص بقطع الطريق من العقوبات لانه متهم بدفع العذاب عنه وفي سائر الحدود بعد القدرة عليه قيل يكفي في التوبة اظهار الاسلام تحت ظلال السيوف والاصح انه لا بد مع التوبة من اصلاح العمل لقوله في الزنا فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ولعل الفائدة في هذا الشرط انه ان ظهر منه ما يخالف التوبة اقيم عليه الحد وانما يسقط بتوبة قاطع الطريق قبل القدرة عليه تحتم القتل فالولي ان يعفو او يعفو بناء على ان عقوبة قاطع الطريق لا يتمحض حدا بل يتعلق بها القصاص وهو الاظهر اما ان تمحضت حدا فلا شيء عليه ان كان قد اخذ المال وقتل سقط الصلب وتحتم القتل وفي القصاص وضمان المال ما ذكرنا وان كان قد اخذ المال سقط عنه قطع الرجل وفي قطع اليد وجهان الاظهر السقوط لانها على انه جزء من الحد الواجب فان لم يتم الكلام بغير شيء من اجزائه بالاتفاق والثاني انه ليس من خواص قطع الطريق لانه يجب بالسرقة ففي سقوطه الخلاف في سائر الحدود ثم انه سبحانه لما بين كمال جسارة اليهود على المعاصي وغاية بعدهم عن الوسائل الى الله وال الكلام الى ما العاد الى ارشاد المؤمنين ليكونوا بالضد منهم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وايضا فانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن ابناء الانبياء وكان افتخارهم باعمال ابائهم فقيل للمؤمنين ليكن مفاخرتكم باعمالكم لا بالاسلاف فقوله اتقوا الله اشارة الى ترك المنهيات وقوله وابتغوا اليه الوسيلة عبارة عن فعل المأمورات وان كان ترك المناهي ايضا من جملة الوسائل لان هذا النظر يناسب الفعل والترك ايضا يعتبران في الاخلاق الفاضلة والذميمة وفي الافكار الصائبة والخاطئة واهل التحقيق يسمون الترك والفعل بالتخلية والتحلية وبالمحو والصحو او بالنفي والاثبات او بالفناء والبقاء والاول مقدم على الثاني فما لم يفن عما سوى الله لم يرزق البقاء بالله والوسيلة فعيلة وهي كل ما يتوسل به الى المقصود ولهذا قد يسمى الشهيد توسلا والتوسل الراغب الى الله قال لبيد بلى كل ذي لب الى الله واسل والوسيل والتوسل واحد يقال وسل الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل ثم انه لما علم ان التقليد

اظهار لا يكفي صح

انه تعالى امر بابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يعلمنا معرفته واجيب بان الامر بالابتغاء موقوف على الايمان لقوله يا ايها الذين آمنوا فعلمنا ان المراد بالوسيلة
هي العبادات والطاعات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع لان العقل يدعو الى خدمة الله والنفس تدعو الى
اللذات الحسية والجمع بينهما كالجمع بين الضرتين او الضدين اردف التكليف المذكور بقوله وجاهدوا في سبيله والمراد بهذا القول ليعلم ان تكون
العبادة لاجله لا لغرض سواه وهذه مرتبة الشاكرين ثم قال لعلكم تفلحون والفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب فهذه دون الاولى
لان غرضه الرغبة في الجنة او الرهبة من النار وكلتا المرتبتين مرضية ثم اشار الى مرتبة الناقصين بقوله ان الذين كفروا وخبر ان مجموع الجملة الشرطية وهي قوله
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور او الواو بمعنى مع والعامل في المفعول معه هو المثل لما في ان من معنى الفعل اي لو ثبت من عذاب
يوم القيامة ما تقبل منهم والغرض التمثيل بان العذاب لازم لهم ومثله في سورة آل عمران وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارايت لو كان لك ملء
الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك يريدون ان يخرجوا اي يتمنون الخروج من النار او يقصدون ذلك قيل اذا رفعهم
لهب النار الى فوق فهناك يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون منها لقوتها ورفعها اياهم عمم المعتزلة هذا الوعيد في الكفار والفساق وخصصه
الاشاعرة بالكفار ولهذا لا تلائم الاية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى تتميم حكم اخذ المال من غير استحقاق وهو المأخوذ على سبيل الخفية لا المحاربة فقال والسارق
والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف فعند سيبويه والاخفش والتقدير فيما فرض او فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند
الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط كانه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا
ايديهما وقراءة عيسى بن عمر بالنصب فضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع خبرا الا باضمار وتأويل واما اذا نصبت فانه يكون من باب
الاضمار على شريطة التفسير والفاء يكون مؤذنا بتلازم ما قبلها وما بعدها مثل وربك فكبر وضعف قول سيبويه بانه طعن في قراءة واظب عليها رسول الله
وترجيح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على ان الاضمار الذي ذهب اليه هو خلاف الاصل والذي قال الفراء ادل على العموم واوفق لقوله سبحانه جزاء بما
كسبا فانه تصريح بان المراد من الكلام الاول هو الشرط والجزاء اما البحث المعنوي في الاية فان كثيرا من الاصوليين زعموا انها مجملة لانه لم يتبين نصاب
السرقة وذكر الايدي وبالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان اليد تقع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا بيده فلمسه باصابعه فانه يحنث ويقع على الاصابع
من الكف وعلى الاصابع والكف والساعدين الى المرفقين وعلى كل ذلك الى المنكبين وابهم الخطاب في فاقطعوا اما للامام او للزمان كما هو مذهب الاكثرين او
لمجموع الامة او لطائفة منهم غير معينة فثبت بهذه الوجوه ان الاية مجملة وقال المحققون مقتضى الاية ولا سيما في تقدير الفراء عموم القطع بعموم السرقة الا انه
خصص بالنصاب ويقول ناس من اهل اللغة لا يقولون لمن اخذ حبة من بر انه سارق والمراد بالايدي اليدان مثل فقد صغت قلوبكما وقد انعقد الاجماع على انه لا يجب
قطعهما معا ولا الابتداء باليسرى واليد اسم موضوع لهذا العضو الى المنكب لهذا قيد في قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهب الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين
لظاهر الاية الا ان السنة خصصته بالكوع والحاصل ان الاية عامة لكنها خصصت بدلائل منفصلة فيبقى حجة في الباقي وهذا اولى من جعلها مجملة غير مفيدة اصلا
ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى ان القطع لا يجب الا عند شرطين كالنصاب والحرز وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج تمسكا
بعموم الاية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فالذي يستقله الملك يستكثره الفقير وقد قال الشافعي لو قال لفلان علي مال عظيم ثم فسره بالحبة
يقبل لاحتمال انه يريد انه عظيم في الحل او عظيم عند الشدة نفرة ولما طعنت الملحدة في الشريعة بان اليد كيف ينبغي ان يقطع في قليل مع ان ديتها خمسمائة دينار
من الذهب اجيب عنه بان ذلك عقوبة من الشارع لم علي دناءته واذا كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا منا في ايجاب القطع على القليل والكثير
وايضا اختلاف المجتهدين في قدر النصاب كما يجيء يدل على ان الاخبار المخصصة عندهم متعارضة فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ودعوى الاجماع على ان القطع
مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف بعض الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق
اما المسروق فمن شروطه عند الاكثرين ان يكون نصابا ثم قال الشافعي انه ربع دينار من الذهب الخالص وما سواه يقوم به وهو مذهب الامامية لما روي انه
قال لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روي انه قال لا قطع الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم
وقال مالك ربع دينار او ثلاثة دراهم وعن احمد روايتان كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وفي قول عنه اخذ منهم
في درهم ومنها ان يكون المسروق ملك غير السارق فلو سرق مال نفسه من يد غيره كيد المرتهن والمستأجر او طرأ ملكه في المسروق قبل الاخراج
من الحرز بان ورثه السارق او وهبه هو منه سقط القطع ومنها ان يكون محترما لا كخمر وخنزير ومنها ان يكون الملك تاما قويا فالمراد بالتمام ان لا يكون
للسارق فيه شركة او حق كمال بيت المال وبالقوة ان لا يكون ضعيفا كالمستولدة والموقوف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق
رب الدين من مال المديون فان اخذه لا على قصد استيفاء الحق او على قصده والمديون غير جاحد ولا مماطل قطع وان اخذه على قصد استيفاء الحق
وهو جاحد او مماطل فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او لا من جنسه واذا سرق احد الزوجين من مال الآخر وكان المال محرزا عنه فعند ابي حنيفة لا يجب القطع
وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا آواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن
المجن والحرز لكل شيء على حسب حاله فالاصطبل حرز للدواب وان كانت نفيسة والبيت حرز للثياب والنقود والصفة في الدار وعرصتها حرز للاواني
وثياب البذلة دون الحلي والنقود فان العادة فيها الاحراز في الصناديق والمخازن وعن ابي حنيفة ان ما هو حرز لمال فهو حرز لكل مال حتى



اخراج المال عن ان يكون محرزا ولا بد من شرط الحفظ فلا قطع على المختلس والمنتهب المعتمد على القوة ولا على المودع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق فيشترط
فيه التكليف والتزام الاحكام الا خيرنا فيقطع الذمي والمعاهد ولا يقطع المكره وانما تثبت السرقة بحجة باليمين المردودة او بالاقرار او بشهادة رجلين
ويتعلق بها حكمان الضمان والقطع قال ابو حنيفة القطع والغرم لا يجتمعان وحجة الشافعي قوله على اليد ما اخذت حتى تؤدي فيوجب الضمان وقد اجتمع في هذه
السرقة امران حق الله لا يمنع حق العباد وهذا يجمع الجزاء والقيمة في الصيد المملوك ولو كان المسروق باقيا وجب رده بالاتفاق وحجة ابي حنيفة قوله
جزاء بما كسبا والجزاء هو الكافي فهذا القطع كاف في جناية السرقة وقد يلزم رد المسروق عند كونه قائما اما كيفية القطع فقد روي انه اتي بسارق
فقطع يمينه قال الشافعي فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا فيده اليسرى فان سرق رابعا فرجله اليمنى وبه قال مالك وروي ذلك عن ابي هريرة
عن النبي ﷺ وعند ابي حنيفة واحمد لا يقطع في الثالثة وما بعدها والمتفق عليه عن ابن مسعود انه قرأ فاقطعوا ايمانهما وضعفه الشافعي بان القراءة الشاذة لا
تعارض ظاهر القرآن المقتضي لتكرار القطع بتكرر السرقة واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق والقدم والسبيل فيه ان الامام اقامه يحل
على ما ابيته لعموم قوله فاقطعوا ولم يجوزه ابو حنيفة واحتج المتكلمون بالاية انه يجب على الامة نصب الامام لان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم الواجب
الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب نصبا جزاء ونكالا على انه مفعول لهما والعامل فاقطعوا وان شئت على المصدر من الفعل الذي دل عليه فاقطعوا اي
جوزوهم ونكلوا بهم جزاء بما كسبا نكالا من الله فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح اي بتوبة صالحة وعزيمة صحيحة خالية عن الاغراض الفاسدة
فان الله يتوب عليه وعند بعض الائمة يسقط العقوبة ايضا وعند الجمهور لا يسقط والتائب لا اثر له في تغيير الحكم وانما قدم التعذيب على المغفرة طباقا لتقدم
السرقة على التوبة التأويل ان آدم الروح بازدواجه مع حواء القالب تولد قابيل النفس توأمة اقليما الهوى ثم هابيل القلب توأمة لبوذا العقل وكان
الهوى في غاية الحسن في نظر النفس لانه يميل الى الدنيا ولذاتها وكان في نظر العقل ايضا في غاية الحسن لانه يميل الى طلب المولى وكان العقل في نظر النفس في غاية القبح
لانه ينزجر عن طلب الدنيا وكذا في نظر القلب لانه بالعقل يمتنع عن طلب الحق والفناء في الله ولهذا ابى العقل عقيلة الروح فحرم الله تعالى الازدواج بين
التوأمين لان الهوى اذا كان قرين النفس انزلها اسفل سافلين الطبيعة واذا كان قرين القلب كان عشقا يوصله الى اعلى فراديس القرب واذا كان العقل
قرين القلب صار عقالا له واذا كان قرين النفس حرضها على العبودية فرضي هابيل القلب وسخط قابيل النفس وكان صاحب زرع اي مدبر النفس النامية
وهي القوة النباتية فقرب طعاما من رداءة زرعه وهي القوة الطبيعية وكان هابيل القلب صاحب المواشي الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية
فقرب نصفه البهيمية وهي احب الصفات اليه لاحتياجه اليها لضرورة التغذي والبقاء ولسلامتها بالنسبة الى الصفات السبعية والشيطانية فوضعا
قربانهما على جبل البشرية ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فحملت الصفة البهيمية لانها حطب هذه النار ولم تأكل من قربان قابيل النفس
شيئا لانها ليست من جنسها بل هي حطب نار الحيوانية فتبوء باثمي واثمك اي اثم وجودي واثم وجودك فان الوجود حجاب بيني وبين محبوبي فقتلها بيل النفس
هابيل القلب والنفس عدو القلب فاصبح من الخاسرين اما في الدنيا فبالحرمان عن الواردات والكشوف واما في الاخرة فبالبعد عن جنات الوصول
فبعث الله غرابا هو الحرص الدنيا ليشتغل بذلك عن قتلها وفي تعليم الغراب اشارة الى انه تعالى قادر على تعليم العباد باي طريق شاء فيزول تعجب الملائكة
والرسل باختصاصهم بتعليم الخلق في الارض لمسرفون اي في ارض البشرية انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله ان يقتلوا بسكين الخذلان او يصلبوا
بحبل الهجران على جذع الحرمان او تقطع ايديهم عن اذيال الوصال وارجلهم من خلاف عن الاختلاف او ينفوا من ارض القربة والائتلاف يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله جعل الفلاح الحقيقي في اربعة اشياء في الايمان وهو اصابة رشاش النور في بدء الخلقة وبه يتخلص العبد من ظلمة الكفر وفي التقوى وهو منشأ
الاخلاق المرضية وصنع الاعمال الشرعية وبه الخلاص من ظلمة المعاصي وفي ابتغاء الوسيلة وهو افناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية وبه يتخلص من ظلمة
اوصاف الوجود وفي الجهاد في سبيله وهو محو الانانية في اثبات الهوية وبه يتخلص من ظلمة اوصاف الوجود ويظفر بنور الشهود وما هم بخارجين منها لانهم
خلقوا مظاهر القهر والسارق والسارقة كانا مقطوعي الايدي عن قبول رشاش النور فكان قطعهما بايديهما اليوم الى ابتداء السعادة ومن نتائج
قضى بدنهما من قبول تلك السعادة جزاء بما كسبا الان في عالم الصورة نكالا من الله بقدر منه في الازل

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن
اى پيغمبر اندوهناك نگرداند ترا انهائى كه مى شتابند در كفر از انهائى كه گفتند ايمان آورديم بدهانهاى خود و گرويده
قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه
دلهاشان واز كسانيكه يهود شدند شنونده اند مر دروغ را شنونده اند مر گروه ديگر را كه نيامده اند ترا تغيير ميدهند كلمها را از پس مواضع آن
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا
گويند اگر داده شويد اين را پس بگيريد آنرا واگر داده نشويد پس حذر كنيد و هر كه بخواهد خدا فتنه او را پس مالك نشوى از براى او از خدا چيزى را
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم
آن گروه آنانند كه نخواسته است خدا كه پاك گرداند دلهاشان را مر ايشانراست در دنيا زيان ومر ايشانراست در آخرت عذابى بزرگ
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا
شنوندگان مر دروغ را خورندگان مر حرام را پس اگر آمدند ترا پس حكم كن در ميان ايشان يا روگردان از ايشان پس ضرر نرسانند ترا چيزى

وان حكمت

وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها
واگر حکم کردی پس حکم کن درمیان ایشان بعدالت بدرستی که خدا دوست دارد عادلان را و چگونه داور نمایند ترا و حال آنکه نزد ایشانست توریة که در آنست
حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ع ١١
حکم خدا پس رو گردانند از پس این و نیستند آن گروه گروندگان بدرستیکه ما فرستادیم توریة را که در آنست راستی
ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا
و روشنی که حکم کنند بآن پیغمبران آنان که اسلام آوردند مر آنهارا که یهود شدند و خداشناسان و دانشمندان بآنچه یاد گرفتند
من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا
از کتاب خدا و بودند بر آن گواهان پس مترسید مردم را و بترسید مرا و مخرید بآیات من بهای کم را
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين
و هر که حکم نکند بآنچه فرستاد خدا پس آن گروه ایشانند کافران و نوشتیم بر ایشان در آن که قصاص نفس بنفس و چشم
بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة
بچشم و بینی ببینی و گوش بگوش و دندان بدندان و زخمها را قصاص است پس هر که صدقه دهد آنرا پس آن کفارت
له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا
مر او را و هر که حکم نکند بآنچه فرستاد خدا پس آن گروه ایشانند ستمکاران و از عقب در آوردیم ایشان را بعیسی پسر مریم تصدیق کننده
لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى
مر آنرا که در پیش او بود از توریة و دادیم او را انجیل که در او است راستی و روشنی و تصدیق کننده مر آنرا که در پیش او بود از توریة و راستی
وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل
و پند از برای پرهیزکاران و باید که حکم کنند اهل انجیل بآنچه فرستاده خدا در آن و هر که حکم نکند بآنچه فرستاد
الله فأولئك هم الفاسقون القراءة السحت بضمتين ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد على الباقون بسكون العين
خدا پس آن گروه ایشانند فاسقان واخشوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب ابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في

الوصل والعين وما بعده بالرفع علي وافق ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويزيد في والجروح بالرفع والأذن وبابه بسكون العين نافع وليحكم بالنصب حمزة
الباقون بالجزم الوقوف قلوبهم اي من الذين هادوا ومن سماعون وان شئت عطفت ومن الذين هادوا على من الذين قالوا آمنا ووقف على هادوا
واستانفت بقوله سماعون راجعا الى الفريقين والاول اجود لان التحريف يحكي عنهم وهو مختص باليهود جزء لان ما بعده صفة لهم لم يأتوك ط
لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف فاحذروا ط شيئا ط قلوبهم ط عظيم ط للسحت ط لان الشرط غير مخصوص بما يليه اعرض عنهم ج شيئا ط بالقسط ط المقسطين ذلك ط
لتناهي الاستفهام بالمؤمنين ونور لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف شهداء لاختلاف النظم مع فاء التعقيب قليلا ط الكافرون بالنفس لمن قرأ
والعين وما بعده بالرفع بالسن لمن قرأ والجروح بالرفع قصاص ط لابتداء الشرط كفارة له ط الظالمون من التورية الاولى لطول الكلام ونور لان الحال بعدها
معطوف على محل الجملة قبلها والوقف على المتقين لمن قرأ وليحكم بالنصب فيه ط الفاسقون التفسير خاطب محمدا بقوله يا ايها النبي في مواضع ولم يخاطبه بقوله يا ايها
الرسول الا ههنا وفي قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ولا شك انه خطاب تشريف وتعظيم شرف به في هذه السورة التي هي آخر السور نزولا لا
حيث تحققت رسالته في الوقائع اما وجه النظم فهو انه سبحانه لما بين بعض التكاليف والشرائع وكان قد علم مسارعة بعض الناس الى الكفر فلا جرم صبر
رسول الله على تحمل ذلك ووعده ان ينصره عليهم ويكفيه شرهم والمراد بمسارعتهم في الكفر تهافتهم فيه وحرصهم عليه حتى اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها
آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وناجزي قالوا بافواههم آمنا سماعون للكذب اي قابلون لما يفعله احبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه والطعن
في نبوة محمد من قولك الملك يسمع كلام فلان اي يقبله سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اي قابلون من الاحبار ومن الذين لم يصلوا الى مجلسك من شدة
البغضاء وافراط العداوة ويحتمل ان يراد نفس السماع واللام في للكذب لام التعليل اي يسمعون كلامك لكي يكذبوا عليك يحرفون الكلم مبدلين ومغيرين سماعون
لاجل قوم آخرين وجهتهم عيونا وجواسيس من بعد مواضعه اي التي وضعها الله فيها من حكم الحل والحظر والفرض والندب وغير ذلك ومن تحريف
الترتيب والنظم بنقلها بغير مواضعها بعد ان كانت ذات مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه
وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا فهو الباطل عن البراء بن عازب قال مر على النبي يهودي محمما مجلودا فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا
رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التورية على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني لم اخبرك نجد حد الزاني
في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الوضيع اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا لنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع
فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله اللهم اني اول من احيى امرك اذا اماتوه فامر به فرجم فانزل الله الآية الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقولون

ائتوا محمدا فان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به وان افتاكم بالرجم فاحذروا وفي رواية اخرى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فكرهوا ذلك وهو ارجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده قال العلماء القائلون برجم الكتابي وهم الشافعية ان كان الامر برجم الكتابي لاجل ما في دين الرسول فهو المقصود وان كان لما ثبت في شريعة موسى عليه السلام فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على نسخه ولهذا الطريق اجمع العلماء على ان قوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس حكمه باق في شرعنا ومن يرد الله فتنته ظاهر الآية ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها من اليهود وغيرهم والمعنى ومن يرد الله كفره وضلالته فلن يقدر احد على دفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه دليل على انه تعالى لا يريد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل لآمن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب كقوله يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة او بالاضلال اي تسميته ضالا او المراد ومن يرد الله اختباره فيما يبتليه من التكاليف ثم انه يتركها ولا يقوم باداءها فلن تملك له من الله ثوابا ولا نفعا ثم قالوا اولئك الذين لم يرد الله ان يمد قلوبهم بالالطاف لانه تعالى علم انه لا فائدة في تلك الالطاف لانها لا تنجع في قلوبهم او لم يطهر قلوبهم من الحرج والغم والوحشة الدالة على كفرهم او هو استعارة عن سقوط وقعه عند الله تعالى وانه غير ملتفت اليه بسبب قبح افعاله وسوء اعماله ثم وصف اليهود بقوله سماعون للكذب اكالون للسحت وهو الحرام وكل ما لا يحل كسبه سحته اي استأصله لانه مسحوت البركة ومال مسحوت اي مذهب قال الليث السحت حرام يحصل منه العار وذلك انه يسحت فضيلة الانسان ويستأصلها ورجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يلفى الا جائعا ابدا كانه يستأصل كل ما يصل اليه من الطعام والسحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسيب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستكساب في المعصية روي ذلك عن علي وعمر وعثمان وابن عباس وابي هريرة ومجاهد فزاد بعضهم ونقص بعضهم وكل ذلك يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة ويكون فيه عار يخبث يخفيه صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة سمع كلامه ولا يلتفت الى خصمه فكان يسمع الكذب ويأكل السحت وقيل كان فقراؤهم يأخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه من اليهودية فكانوا يسمعون الاكاذيب لاغنياء ويأكلون السحت وقيل سماعون للاكاذيب التي كانوا ينسبونها الى التورية اكالون للربا لقوله واخذهم الربا فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خيره الله بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا التخيير مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انه في امر خاص وهو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وقيل في قتيل من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في بني النضير شرف كانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف دية فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل الدية سواء وعن النخعي والشعبي وقتادة وعطاء وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الآية عامة في كل من جاء من الكفار وان الحكم ثابت في سائر الاحكام غير منسوخ وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وهو مذهب الشافعي ان هذا التخيير منسوخ في حق غير المعاهد بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فيجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام عليهم صغارا لهم واهل الحجاز يسمعهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية انهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الاسهل والاخف كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق عليهم وعادوه فآمنه الله بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت في الرجم وكيف يحكمونك تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تحكيمهم لوجوه منها عدولهم عن حكم كتابهم ومنها رجوعهم الى حكم من كانوا يعتقدونه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة ونهاية العناد والواو في قوله وعندهم للحال من التحكيم وما في الاستفهام من التعجيب اي قوله فيها حكم الله فاما ان ينتصب حالا من التورية على ضعف وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التورية ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر واما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كقولك عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره والتأنيث للتورية لما فيها من صورة تاء التأنيث ثم يتولون عطف على يحكمونك وثم لتراخي الرتبة اي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اخبار انهم لا يؤمنون ابدا او المراد انهم غير مؤمنين بكتابهم كما يدعون او المراد انهم غير كاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم ثم رغب اليهود في ان يكونوا كالمتقدمين من انبيائهم ومسلمي احبارهم فقال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور العطف يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان الاحكام والشرائع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد قال الزجاج الهدى بيان الحكم الذي جاؤا يستفتون فيه والنور بيان ان امر النبي صلى الله عليه وسلم حق وقيل فيها هدى للخلق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام فهما عبارتان عن معبر واحد وقد يستدل بالآية على ان شرع من قبلنا يلزمنا لان الهدى والنور لا بد ان يكون احدهما متعلقا بالفروع والآخر بالاصول

والاكان

والا كان تكرارا وابقاء اتها زانية الرجم ومورد الاية لابد ان يكون داخلا فيها سواء قلنا ان عبرة داخل او خارج يمكن ان يجاب بان التكرار بعبارة غير
محذور وان فى الكلام تقديما وتاخيرا والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون اما قوله الذين اسلموا فاورد عليه ان كل نبي مسلم فما الفائدة
فى هذا الوصف واجيب بانها صفة جارية على سبيل المدح والتوضيح والكشف وفيه تعريض باليهود انهم بعداء عن ملة الاسلام التى هى دين الانبياء قديما وحديثا
لان غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم من ادعاء الحكم بالتورية اخذ الرشى من العوام فالفريقان متباينان وفى هذا ادمج بقوله للذين هادوا
اى يحكمون لاجلهم قال فى الكشاف قوله تعالى الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ان اليهود بمعزل عن الاسلام قلت هذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان
يكون مغايرة لصفة المحكومين ولقائل ان يقول بعد تسليم ذلك انه لا يكفى مغايرة العام للخاص قال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدى المراد
بالنبيين هو محمد ص كقوله ان ابرهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كانت متفرقة فى الانبياء وقيل اسلموا اى انقادوا لحكم التورية من الانبياء من لم يكن
شريعتهم شريعة موسى والربانيون قد مر تفسيره فى آل عمران والاحبار عن ابن عباس هم الفقهاء الواحد حبر بالفتح من قولهم فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا
حسن الهيئة او حبر بالكسر من ذلك لانه يقولهم حسن الحبر بالكسر ايضا وفى الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه ويحبر الخط والشعر
تحسينه او من هذا الحبر الذى يكتب به يكون العالم صاحب كتب قال الفراء والكسائى وابو عبيدة ثم ان ذكر الربانيين بعد النبيين يدل على انهم اعلى حالا من
الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار كاحاد العلماء وقوله بما استحفظوا اما ان يكون من صلة يحكم اى يحكم بها الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا
او يكون من صلة الاحبار اى العلماء بما استحفظوا اى بما سألهم انبياؤهم حفظه ومن كتاب الله للنبيين وقد اخذ الله تعالى على العلماء ان يحفظوا كتابه من
وجهين احدهما ان يحفظوه فى صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثانى ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه وكانوا اى هؤلاء النبيون والربانيون و
الاحبار عليه على ان كل ما جاء فى التورية حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل ويحتمل ان يعود ضمير استحفظوا الى النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ
من الله اى كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى اليهود المعاصرين عن التحريف لرهبة فقال فلا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير لرغبة فقال
ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا هو الرشوة وابتغاء الجاه ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون احتجت الخوارج بالاية
على ان كل من عصى الله فهو كافر وللمفسرين فى جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود ورد بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب ان لفظ من فى معرض
الشرط للعموم فلا وجه لتخصيصه من لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لانه زيادة فى النص قال عطاء هو كفر دون كفر وقال طاوس ليس بكفر ينقل عن الملة ولا
كمن يكفر بالله واليوم الاخر فلعلهما ارادا كفران النعمة وضعفه ان الكافر اذا اطلق ينصرف الى الكافر فى الدين وقال ابن الانبارى المراد انه يضاهى الكافر لانه فعل
فعلا مثل فعل الكافر فهو تنبيه بالغ وعن الظلم وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى معناه من ابى بعض حكم الله تعالى فى كل ما انزل يخرج الفاسق لانه
فى الاعتقاد والاقرار موافق وان كان فى العمل مخالفا واعترض بان سبب النزول يخرج لانه لم يخالف اليهود فى الرجم فقط ويمكن ان يقال المحرف
داخل فى الكل وفى العكس انما نشاء ولاية من انكر بقلبه وجحد بلسانه اما العارف المقر فداخل باعتقاده حاكم بما انزل الله تعالى ولكنه تارك فلا يتناوله
الاية ثم انه سبحانه لما بين ان الحكم الزانى المحصن فى التورية هو الرجم واليهود غيروه اراد ان يبين ان فى التورية هو قتل النفس بالنفس وانهم بدلوه ايضا ففضلوا
بنى النضير على بنى قريظة فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين من قرأ المعطوفات كلها بالنصب فظاهر ومن قرأ ما سوى الاول بالرفع
فالعطف على محل النصب لان النفس اذ المعنى وكتبنا عليهم فى التورية النفس بالنفس فان الاجزاء كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت الحمد لله
وقرأت سورة انزلناها واما على سبيل الاستيناف والمعنى على جميع القراآت فرضنا عليهم فيها ان النفس مقتولة اذا قتلت نفسا بغير حق والعين مفقوءة
بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص اى مقاصة وهذا تعميم للحكم بعد ذكر بعض التفاصيل
والمراد منه كل ما يمكن المساواة فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والاليتين والقدمين ومن الجراحات المضبوطة كالموضحة وهى التى توضح العظم وتبديه
وضحه وهو الضوء والبياض وكذا منافع الاعضاء والاطراف كالسمع والبصر والبطش فاما التى لا يمكن القصاص فيه كرض لحم او كسر عظم وجائفة او فى جلد
ونحو ذلك دية او حكومة وتفاصيلها فى كتب الفقه فمن تصدق به فهو كفارة له الضمير به يعود الى القصاص وفى هو الى التصدق الدال عليه الفعل وفى له وجهان
احدهما انه يعود الى العافى المتصدق لما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله ص قال من تصدق من جسده بشئ كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه وعن عبد الله بن
عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به والثانى انه يعود الى الجانى المعفو عنه اى لا يؤاخذه الله تعالى بعد ذلك العفو واما العافى فاجره على الله تعالى وقفينا على
آثارهم اى على آثار النبيين يقال قفوته مرة اى عقبته ثم يتعدى الى المفعول الثانى بالباء وقوله على آثارهم يسد مسد الاول لانه اذا قفى على اثره فقد قفى به اياه
مصدقا لما بين يديه اى مقررا بان التورية كتاب منزل من عند الله تعالى وانه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه وهو الانجيل المصدق اياه لكونه مبشرا بالمبعث محمد
كالتورية اما النور فبيان الاحكام الشرعية وتفاصيل التكاليف وهدى لارشاد اصول الديانات كالتوحيد والنبوة والمعاد وهدى الثانى اشتماله على البشارة
بمجئ محمد ص لان ذلك سبب هداية الناس الى نبوته واشتماله على المواعظ والنصائح والزواجر ظاهر وخص الجميع بالمتقين لانهم هم المنتفعون بذلك
من قرأ وليحكم بالجزم فالغيبة رعاية لهم فى ذلك لو قيل من الحكم بما تضمنه الانجيل اى قلنا لهم ليحكموا بما فيه ان الاحكام هنا نقضها النصارى فى الحكم بما فى كتابهم
من الدلائل الدالة على نبوة محمد ص او بما لم يصر منسوخا بالقرآن ومن قرأ بالنصب فلانه علة فعل محذوف يدل عليه ما تقدم اى لاجل حكمهم بما انزل فيه
كتابهم وعلى هذا يجوز ان يكون هدى وموعظة ايضا معطوفين للحكم والله اعلم اما قوله الكافرون الظالمون الفاسقون فللمفسرين فيه اقوال



العقاد هو كقولك من اطاع الله فهو المؤمن من اطاع الله فهو المتقى لان كل منها اوصاف مختلفة حاصلة لموصوف واحد فهذه كلها نزلت في الكفار وقال آخرون
الاول في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك وقال الاصم الاول والثاني في اليهود والثالث في النصارى التأويل سماعون لكذب الشيطان في وسوسته
والنفس في هواجسها سماعون لقوم آخرين يسنون السنن السيئة لغيرهم يحرفون بغيرهم قوانين الشريعة بموجبات الطبيعة وهذه حال عادلي القرآن والاخبار
على وفق اهوائهم سماعون للكذب اكالون للسحت لان الاخلاق اورثتهم الاعمال الذميمة فالاخلاق نتائج الاعمال والاعمال نتائج الاستعداد الفطري — الاخلاق وكلها من نتائج
فان جاؤك فاحكم بينهم مداوياً لدائهم ان رأيت التداوي سبباً لشفائهم او اعرض عنهم ان لم ينفعهم دواء الشفاء لشقائهم فان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
داوهم على ما يستحقون من دائهم بما استحفظوا من كتاب الله الفرق بين بني اسرائيل وبين هذه الامة انهم استحفظوا التورية فضيعوها وحرفوها وقال لنا حفظنا
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم فيها ان في اهلاك النفس هلاك النفس المهلك ففي احياء النفس الطالب بحيوة الذين حيوة نفس محييها وفي معالجة
عين قلبه انف قلبه واذن قلبه وسن قلبه معالجة هذه الاعضاء بنيل الادراك فمن تصدق في نيل الاحياء فهو كفارة له فيما فرط من احياء نفسه معالجة قلبه طرفة
عين ومن لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتحليتها فاولئك وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق والله اعلم — و فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تصدیق کننده مر انرا که پیش از او بود از کتاب

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا
وگواهی رست بران پس حکم کن در میان انها بانچه فرستاده خدا و پیروی مکن هواهای انهارا از انچه آمد ترا از حق از برای هریک قرار دادیم

مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
از شما طریقه و راهی واگر خواهد خدا هرآینه بگرداند شمارا گروهی یگانه ولکن تا بیازماید شمارا در انچه داد شما پس پیشی گیرید

الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
خوبیها را بسوی خداست بازگشت شما همه پس خبر دهد شمارا بانچه که بودید که در ان اختلاف میکردید وانکه داوری نما در میان انها بانچه فرستاده خدا

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
و پیروی مکن هواهای انهارا و بترس از انها که مفتون کنند ترا از بعض انچه فرستاده خدا بسوی تو پس اگر رو گردانند پس بدان که میخواهد خدا

أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَن
که مصیبت افکند انهارا ببعض از گناهان ایشان و بدرستیکه بسیاری از مردمان هرآینه فاسقانند آیا پس حکم زمان جاهلیت را خواهش دارند و کیست

ع أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
خوبتر از خدا در داوری مر گروهی را که یقین دارند ای زمره انهائی که گرویده اید مگیرید یهود و نصاری را دوستان بعضی از ایشان

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
دوستان بعضی اند و هر که دوستی گیرد انهارا از شما پس بدرستی که او از ایشانست بدرستیکه خدا راه نمی نماید گروه ستمکاران را پس میبینی انهارا که در دلهاشان

مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا
ناخوشی هست میشتابند در ایشان میگویند که میترسیم که فرو گیرد ما را گردش روزگار پس امید هست که خدا بیاورد گشایش را یا فرمانی از نزد او پس صبح کنند

عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
بر انچه پنهان داشتند در نفسهای خود پشیمانان و میگویند انان که گرویدند آیا اینانند انهائی که سوگند یاد کردند بخدا از جهة استحکام سوگندهاشان

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ
بدرستی که انها هرآینه با شمایند باطل شد کردارشان پس صبح کنند زیانکاران ای زمره انهائی که گرویده اید هر که برگشت از شما از دین خود

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ
پس زود است که بیاورد خدا گروهی را که دوست دارد ایشان و دوست دارند او را فروتنان بر مؤمنان و با هیبتان بر کافران کوشش کنند

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
در راه خدا و نترسند از ملامت ملامت کنان این بهره خداست که میدهد انرا بهر که میخواهد و خدا محیط

عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
داناست جز این نیست کارگذار شما خداست و پیغمبرش و انهائی که گرویدند انها که برپای دارند نماز را و بدهند زکوة را الذین

وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ يَا أَيُّهَا
و ایشان رکوع کننده گانند و هر که دوستی کند با خدا و رسول او و انها که گرویدند پس بدرستی که لشکر خدا انهایند غالبان ای زمره

٣ع آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
مؤمنان مگیرید انهارا که فرا گرفتند دین شمارا ریشخند و بازیچه از انان که داده شده اند کتاب را از پیش شما

وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا

وكافرانرا دوستان و بپرهیزید خدارا اگر هستید گروندگان و چون صلا در دادید بسوی نماز فرا گرفتند ازرا

هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿﴾ القراءات يبغون بتاء الخطاب ابن عامر والخزاز عن هبيرة الباقون بالياء

ریشخند و بازیچه این بجهت آنست که ایشان گروهی اند که ادراک نکنند

ويقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب بالنصب عباس مخير الباقون يقول بدون واو العطف من يرتد بالاظهار ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالادغام والكفار بالجر ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون بالنصب عطفا على محل الذين اتخذوا وقرأ ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وابن رستم الطبري عن نصير طريق ابن مهران بالامالة الوقوف بالحق ط ومنهاجا ط الخيرات لا تختلفون لا لعطف ان احكم على ما قبله ومن وقف فلانه راس اية انزل الله اليك ط ذنوبهم لفاسقون يبغون ط يوقنون اولياء البعض الزم النهي عن اتخاذ الاولياء مطلقا اولياء بعض ط منهم ط الظالمين زائرة لتمام المقول نادمين لمن قرأ ويقول بالنصب عطفا على ان ياتي جهد ايمانهم لا لان قوله انهم جواب القسم لمعكم خاسرين ويحبونه لان ما بعده صفة قوم الكافرين لئلا يلتبس لانه لا ئم من يشاء عليم راكعون الغالبون اولياء للعطف ولطول الكلام مؤمنين ولعبا لا يعقلون التفسير من الله تعالى على نبيه ما انزل القران اليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب اي جنسه وهو كل كتاب سماوي القران نازل من السماء وفي المهيمن قولان قال الخليل وابو عبيدة هيمن على الشيء يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا ومصدقا وقال الجوهري اصله امين هيمن قلبت الثانية ياء لكراهة اجتماع الهمزتين ثم الاولى هاء كما في هرقت وهياك والمعنى انه امين على الكتب التي قبله لانه لا يتبع التبديل ولا يحرف قوله وانا له لحافظون ومن هنا قرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حوفظ من التغيير والتبديل والذي هيمن عليه الله عز وجل كما قلنا او الحفاظ في كل بلد القراء المشهور لهم بالاجازة فاحكم بينهم بين اليهود بالقران ولا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق او ضمن لا تتبع معنى لا تنحرف فعلى قول جواز المعصية على الانبياء لم يجز هذا النهي والجواب ان ذلك مقدور له ولكن لا يفعله لمكان النهي او الخطاب له والمراد غيره لكل جعلنا منكم ايها الناس او الامة امة موسى وامة عيسى وامة محمد لتقدم ذكر الثلاثة شرعة ومنهاجا قال ابن السكيت الشرع مصدر شرعت الاهاب اذا شققته وسلخته وقيل الشروع في الشيء الدخول فيه والشرعة الهيئة بمعنى الشريعة فعلة بمعنى مفعولة وهي الامور التي اوجبها الله تعالى على المكلفين ان يشرعوا فيها والمنهاج الطريق الواضح وهما عبارتان عن معبر واحد هو الدين والتكرير للتاكيد ويحتمل ان يقال الشريعة غاية والمنهاج مكارم الشريعة فالاولى اقدم وهذه يتلوها وفي الطريقة وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والطريقة المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا خلاف فيه وفيه دليل على ان الكل بمشيئة الله تعالى والمعتزلة حملوه على مشيئة الالجاء ولكن ليبلوكم اي جعلكم مختلفين متخالفين ليعاملكم معاملة المختبر هل تعملون بالنواميس الالهية وتذعنون للعقائد الحقة ام تقصرون في العمل وتتبعون الشبهة ولذلك قال فاستبقوا الخيرات سارعوا اليها وتسابقوا نحوها ويعني بالخيرات ههنا ما هو الحق من الاعتقادات والمحقق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون معه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر والمراد ان الامر سيؤول الى ما يحصل معه اليقين من مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وان احكم قيل معطوف على الكتاب في انزلنا اليك الكتاب ان احكم على ان ان المصدرية توصل بالامر لانه فعل كسائر الافعال وعلى قوله بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم والاولى يحتمل ان يكون ان مفسرة وفعل الامر محذوف اي وامرناك ان احكم والتكرار الامر بالحكم اما للتاكيد واما لانهما حكمان لانهم احتكموا اليه في زنا المحصنين ثم احتكموا في قتل كان بينهم وزعم بعض الائمة ان هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وعن ابن عباس ان جماعة من اليهود منهم كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله وانزل الله فيهم واحذرهم ان يفتنوك محله نصب على انه مفعول له اي مخافة ان يفتنوك او على انه بدل اشتمال من مفعول احذرهم والمراد بالفتنة ردهم الى اهوائهم فكل من صرف من الحق الى الباطل فقد فتن قال بعض اهل العلم في الاية دليل على ان الخطاء والنسيان جائزان على النبي لان التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق الا الخطاء والنسيان فلو لم يكونا جائزين ايضا لم يكن للحذر فائدة فان تولوا عن حكم المنزل اي فان لم يقبلوا احكامك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم فالمراد بها الاصابة فالمراد بها قتلهم واجلاؤهم وانما ذكر بعض الذنوب فلان مجازاتهم ببعض الذنوب كان يكفي في اهلاكهم وتدميرهم او اراد بالبعض ذنبا التولي عن حكم الله وفيه ان لهم ذنوبا جمة وان هذا الذنب عظيم جدا كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه انما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام فكانه قال نفسا كبيرة لان التنكير يفيد بعضيته وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر ومبالغون في التولي عن حكم الله تعالى مؤكد جدا ثم استفهم منكرا عليهم فقال افحكم الجاهلية يبغون وفيه تعيير لليهود بانهم اهل كتاب وعلم ومع ذلك يطلبون حكم الملة الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال مقاتل ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى فقال رسول الله القتلى بواء اي سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية واللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كالتي في هيت لك



اى هذا الخطاب هذا الاستفهام لهم لانهم الذين يعرفون انه لا احد اعدل من الله حكما ولا احسن منه بيانا قال عطية العوفي جاء عبادة بن الصامت
فقال يا رسول الله ان لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولاية اليهود والى الله ورسوله فقال عبد الله بن
ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد قبلت
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تعاشروهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية
علة الضم ثم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس يريد انه كافر مثلهم وهذا من التغليظ والتشديد ثم
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فوضعوا الولاء في غير موضعه عن ابي موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان
لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت هذه الاية قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا
ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت لا قوام بالبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا فاصنعه الان فترى الذين في قلوبهم مرض
يعني امثال عبد الله بن ابي يسارعون فيهم في موالاة اليهود والنصارى يهود بني قينقاع ونصارى نجران لانهم كانوا اهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهماتهم
ويقرضونهم يقولون معتذرين عن الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدي هي الدولة ومثلها صروف الزمان ونوائبه قال الزجاج نخشى
ان لا يتم الامر لمحمد فيدور الامر كما كان قبل ذلك ثم سلى رسوله والمؤمنين بقوله فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده وعسى من الله الكريم اطماع واجب والفتح
اما فتح مكة او مطلق دولة الاسلام وغلبته وقهره وقوله او امر من عنده المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وعزمهم
من الكف رد وقيل هو ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم من النفاق والشك في امر الرسول نادمين ويقول
الذين امنوا قال الواحدي حذف الواو هاهنا كاثباتها فانها جاءت في مصاحف اهل الحجاز والشام بغير واو وفي مصاحف اهل العراق بالواو وذلك ان في الجملة
المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها فان قوله هؤلاء اشارة الى الذين يسارعون فلما حصل في كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن الوجهان وجه العطف مع النصب
ظاهر ووجه ذلك مع الرفع على انه كلام مبتدأ اى ويقول الذين امنوا في ذلك الوقت ووجه الفصل هو ان يكون جواب سائل فماذا يقول المؤمنون حينئذ فانما يقولون
هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص او يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى
الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اى باغلاظ الايمان نصب على الحال اى مجتهدين جهد ايمانهم او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قول
الله تعالى او من جملة قول المؤمنين اى بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء وفيه معنى التعجب اى ما احبط اعمالهم فما اخسرهم حيث بقي عليهم التعب في الدنيا
والعذاب في العقبى من يرتد منكم عن دينه اى من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى ياتي بقوم اخرين ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه وقال الحسن
علم الله تعالى ان قوما يرجعون الى الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه فيكون الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا
روي في الكشاف ان اهل الردة كانوا احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى
على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله
ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول
الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي
واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي
بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وحاربهم
ابو بكر وكفى الله امرهم على يديه وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم كان يطوف بالبيت ذات يوم بعدما كان اسلم على يد عمر فوطئ رجل ازاره
فلطمه فتظلم الرجل الى عمر فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء الى ان بلغ عشرة الاف فابى الرجل الا القصاص
فاستنظره فانظره عمر فهرب الى الروم وتنصر وفي تفسير المحبة تقدم في سورة البقرة في قوله يحبونهم كحب الله وانما قدم محبته على محبتهم لان محبتهم اياه نتيجة محبته
الازلية اياهم فتلك اصل وهذه فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اذلة
جمع ذليل لا ذلول من الذل بنقيض الصعوبة لا يجمع على اذلة وانما يجمع على ذلل وليس المراد انهم مهانون عند المؤمنين بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق
ولين الجانب فان من كان ذليلا عند انسان فانه لا يظهر الكبر والترفع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدى بعلى دون اللام كانه قيل عاطفين عليهم
او المراد انهم مع شرفهم واستعلاء حالهم واستيلائهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ليضموا الى منصبهم فضيلة التواضع اعزة على الكافرين
يظهرون لهم الغلظة والترفع عليهم من عزه يعزه اذا غلبه ونحو هذه الاية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم اما الواو في قوله ولا يخافون فاما ان يكون
للحال اى يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة اوليائهم اليهود واما ان يكون للعطف كقولك فلان كثير العزم وابي الحزم
اى هم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين الصلابة في الدين اذا شرعوا في امر من امور الدين لا يزعهم اعتراض معترض ولا قدح لائم وتنكير اللائم مبالغة

كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوت الكمال من المحبة والذلة والعزة وغيرها فضل الله احسانه وتوفيقه قال الاشاعرة انه صريح
في ان الاعمال مخلوقة لله تعالى والمعتزلة حملوه على فعل الالطاف وضعف بان اللطف عام في حق الكل فلا بد للتخصيص من فائدة والله واسع عليم تام القدرة كامل
العلم يعلم اهل الفضل واعلم ان للمفسرين خلافا في ان القوم المذكورين في الاية من هم قال الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم ابو بكر واصحابه لانهم الذين
قاتلوا اهل الردة وقال السدي نزلت في الانصار وقال مجاهد هم اهل اليمن لانها لما نزلت اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري فقال هم قوم هذا وقال
آخرون هم الفرس لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس وقالت الشيعة نزلت في علي عليه السلام كرم الله وجهه لما روي انه صلى الله عليه وسلم دفع الراية الى علي يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
وكان قبل هذه الاية نازلة مرتبة باتفاق اكثر المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي هذه الاية من ادل الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين اتفقوا
على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة علي عليه السلام لكان كلهم مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحاربهم ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان
فرقة الشيعة مقهورون ابدا حصل الجزم بعدم النص ولناصر مذهب الشيعة ان يقول فابدلهم الله بقوم يحاربهم ولعل المراد بخروج المهدي
وبعد ذلك فان محاربته من ارتد بعد الاوائل هي محاربة الاوائل وهذا انما ذكره بطريق المنع لا لاجل العصبية والميل فان اعتقادنا في الصحابة الكرام
امر قطعي والله اعلم ثم انه سبحانه لما نهى في الايات المتقدمة عن موالاة الكفار امر هنا بموالاة من يجب موالاته فقال انما وليكم الله ولم يقل اولياؤكم ليعلم
ان الولاية لله اصل ولغيره تبع انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا وفيه قولان الاول ان المراد عامة المؤمنين لان الاية نزلت على وفق ما مر من قصة عبادة بن
الصامت ويروى ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قومنا قد هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل فنزلت
هذه الاية فقالوا رضينا بالله تعالى وبرسوله وبالمؤمنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلاة ومحله رفع على البدل او على هم الذين يقيمون او نصب بمعنى اخص او اعني
وفي الكل مدح والغرض تمييز المؤمن المخلص عمن يدعي الايمان نفاقا ومعنى وهم راكعون قال ابو مسلم اي خاضعون لاوامر الله تعالى وتواضعه وقيل المراد
ومن شانهم اتمام الصلاة وخص الركوع بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة كانوا عند نزول الاية مختلفين في هذه الصفات منهم من قد اتم الصلاة
ومنهم من دفع المال الى الفقير ومنهم من كان بعد في الصلاة راكعا فنزلت الاية على وفق احوالهم القول الثاني ان المراد شخص معين وعلى هذا ففي لفظ
الجمع ترغيب للناس في مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روى عكرمة انه ابو بكر وروى عطا عن ابن عباس انه علي عليه السلام وروي ان عبد الله بن سلام قال لما
نزلت هذه الاية يوما صلوة الظهر فسال سائل في المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد الرسول فما اعطاني
احد شيئا وعلي عليه السلام كان راكعا فاومى اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم من اصبعه فقال اللهم ان اخي موسى سألك
فقال رب اشرح لي صدري الى قوله واشركه في امري فانزلت قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك
فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ظهري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال يا محمد
اقرأ انما وليكم الله الاية فاستدلت الشيعة بها على ان الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب لان الولي هو المتولي المتصرف في امور الامة وانه
علي عليه السلام برواية ابي ذر وغيره واجيب بالمنع ان الولي هيهنا هو المتصرف بل المراد به الناصر والمحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الاية وفيما بعدها هو
بهذا المعنى فكذا الولاية المامور بها وايضا ان عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الاية وايضا فالظاهر ان يكون الولاية حاصلة في الحال وايضا اطلاق
لفظ الجمع على الواحد لاجل التعظيم مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين آمنوا عامة المؤمنين وان بعضهم يجب ان يكون ناصر البعض
كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وايضا الاية المتقدمة نزلت في ابي بكر كما مر من انه هو الذي حارب المرتدين فالمناسب ان يكون
هذه ايضا فيه ثم ان علي بن ابي طالب عليه السلام كان اعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الامامية فلو كانت الاية دالة على امامته عليه السلام لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه من
تمسكه يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضائله ولم يتمسك البتة بهذه الاية في اثبات امامته لكنه ما كان نافذ التصرف في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
يبق الا انه سيصير اماما ونحن نقول بموجبه لكن بعد الشيوخ الثلثة ومن اين قلتم انها تدل على امامته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير فصل وايضا انهم كانوا
قاطعين بان المتصرف فيهم هو الله ورسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله ورسوله ان من كان الله ورسوله ناصرين له فاي حاجة
به الى طلب النصرة والمحبة عن غيرهم واذا كان الولي مستعملا بمعنى النصرة مرة امتنع ان يراد به معنى التصرف لانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه
معا فكانه تعالى قسم المؤمنين قسمين وجعل احدهما الانصار والاخر وايضا ان الزكوة اسم للواجب لا للمندوب ومن المشهور ان عليا ما كان يجب عليه الزكوة ولو سلم
فاللائق بحال علي ان يكون في الصلوة مستغرق القلب بالله فلا يفرغ لاستماع كلام السائل ولا الى دفع الخاتم اليه لانه عمل كثير اللهم الا ان يكون الخاتم سهل
المأخذ وكان قد وجهه الى السائل فاخذه السائل والحق انه ان صحت الرواية فالاية دالة على عظم شان علي عليه السلام والمناقشة في امثال ذلك تطويل
بلا طائل الا ان اصحاب المذاهب لما تكلموا فيها اوردنا حاصل كلامهم على سبيل الاختصار ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون اقام
المظهر مقام المضمر تشريفا والمراد فانهم هم الغالبون لكن جعلهم حزب الله والحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم وقال الحسن جند الله ابو روق اولياء الله ابو العالية
شيعة الله وقيل انصار الله الاخفش هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم صاحب الكشاف يحتمل انه يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين اي ومن يتولهم
فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب ثم عمم النهي عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عن ابن عباس كان رفاعة بن زيد

انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الاية في تفسير ... و ...

قلت يا رسول الله انا رايت عليا تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه وروي عن ابي ذر انه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا بيانه في اتخاذكم اياهم اولياء بل يجب نفيها ذلك بالتشنيع والبغضاء وانما عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان اهل الكتاب ايضا كفار والعطف يقتضي المغايرة لانه اراد بالكفار الوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك باللسان دون مواطاة الجنان واتقوا الله في موالاة الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحقيقي يابى موالاة اعداء الدين قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة فقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فنزلت واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة وهذا بعض ما اتخذوه من هذا الدين هزوا ولعبا فلهذا ادرجه في الاية المتقدمة قال الكلبي وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقال اخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اولى الناس به الانبياء والرسل قبلك فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الاية وانزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قيل ان اصل الاذان بالمنام والتقرير بنص الكتاب كان اصوب ذلك الاتخاذ بانهم قوم لا يعقلون ما في الصلوة من المنافع لانها التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود ولا يفهمون ما في اللعب والهزء من السفه والجهل قال بعض الحكماء اشرف الحركات الصلوة وانفع السكنات الصيام الم تر او قيل وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي بالحقيقة لانه انزل على قلبه وانزل سائر الكتب في الالواح والصحف فلهذا كان خلقه القران وكان مهيمنا على جميع الكتب فقد بقي على انبيائه لا بما يحتاج هذه قلبه لما نزل عليه بقوة حفظ الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها لكل جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة شرع فيها بالبيان ومنهاجا جانبك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم ايها الامم فيما اتيكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان فابتلاكم بزينة الدنيا واتباع الهوى ونيل المنى والوقوف بين الورع والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان ويهتدي العاملون بالبرهان ويحكم العارفون بالسلطان بل يقصد الزاهد فرفض الدنيا ويقدم العابدون نهي الهوى ويسلك المشتاقون نفي المنى ويجتنب العارفون ترك الورع ويسلك الواصل بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا اختيارا بقدم الصدق واضطرارا بحلول الاجل فان تولوا عن قبول الحق فاعلم انما يريد الله في حكم القدر ان يصيبهم مصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعراض فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف ويقدمهم ويؤخرهم بعين التصريف فالتكليف فيما اوجب والتصريف فيما اوجد والعزم بالايجاد في الايجاب لفاسقون لخارجون عن حد بانا العناية الحكم الجاهلية يبغون اي يطلبون منك ان تحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس الدنيا وسطعت اهل اليقين وانمحت اسناد الريب واستنار القلب بانوار الغيب يسارعون فيهم لان شبهة الشيء تجذب اليه ان باتي بالفتح فتح عيون القلوب او امر من عنده وهو الجذبة الى تواترت عمل الثقلين ويقول الذين امنوا بانوار الغيوب في استار القلوب فاصبحوا خاسرين بابطال الاستعداد الفطري يقوم يحبهم ويحبونه ارباب السلوك اتاهم عنهم يسبطوا انه يحبهم ثم ابقاهم به عند هبوبهم نفحات يحبونه فان محبة الله للعبد افناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله ابقاء اللاهوتية في فناء الناسوتية والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رضي الله عنه قد عكس القضية فلعله فهم عبرها فيهما ثم قال ان الله تعالى يحب العبد بصفة ذاته ازلا وهي الارادة القديمة المخصوصة بالعناية والعبد يحب الله بذات تلك الصفة ابدا اذلة على المؤمنين لارتفاع الانانية اعزة على الكافرين لبقاء اللاهوتية واثبات الوحدة يجاهدون في سبيل الله في طلب الحق في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد في الوسط لدوام الشهود ذلك يعني صدق الطلب في البداية وغلبة الوجد في الوسط والاختصاص بالجذبة في النهاية والله واسع كرمه قادر على ان يتفضل على كل احد لكنه عليم بحال كل احد فلا يتفضل الا على من يشاء اهل يقيمون الصلوة يديمونها بالحضور ويؤتون حقوقها في الباطن بمراعاة الشرع ويؤتون الزكوة من وجودهم وهو الفناء في الله وهم راكعون راجعون الى الله بالانحطاط من قيام الحيثية الى قيام القيومية هم الغالبون على اهوائهم وانفسهم والدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسلو المستهزئين باهل المحبة والقرب من الدنيا ونبذوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والحكمة في الفلاسفة وشغلهم بمعزل عن العلوم اللدنية والكشفية واذا ناديتم الى الصلوة دعوتهم الى محل القرب والنجوى لا يتعقلوا بالوهم والخيال الدانية تشوقهم ذلك الجمال قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ

بگو که ای اهل کتاب آیا زشت مینماید شما را از ما مگر آنکه گرویدیم بخدا

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ

وانچه فرود آمد بسوی ما وانچه فرستاده شد از پیش و بدرستی که بیشتر از شما فاسقانید بگو که آیا خبر دهم شما را بدتر از این پاداشی در نزد خدا هر که لعنت کرد او را

اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

خدا و خشم کرد بر او و گردانید از ایشان میمون و خوکان و پرستندگان بتان آنگروه بدترند منزلت ایشان و گمراه‌ترند از راه راست

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَىٰ

وچون آیند بشما گفتند گرویدیم و بتحقیق درآمدند بکفر و ایشان بتحقیق بیرون آمدند با او و خدا داناتر است بآنچه که هستند که پنهان دارند و می‌بینی

كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا

بسیاری از ایشان را که پیشی میگیرند در گناه و دشمنی و خوردن ایشان حرام را هر آینه بد است آنچه که بودند که میکردند اگر نه

يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

باز داشتندی ایشان خدای پرستان و دانشمندان از گفتار ایشان گناه را و خوردن ایشان حرام را هر آینه بد بود آنچه که بودند که میکردند

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ

و گفتند یهودان که دست خدا بسته است بسته باد دستهای ایشان و لعن کرده شدند بگفتار ایشان بلکه دستهای او گشاده است میبخشاید هر نوع که

يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

میخواهد و هر آینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرود آمد بسوی تو از پروردگار تو سرکشی و کفر و افکندیم در میان ایشان دشمنی

وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ

و کینه را تا روز قیامت هر قدر که افروختند آتشی را از برای جنگ خاموش کرد آنرا خدا و میکوشند در زمین در فساد و خدا

لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ

دوست ندارد مفسدان را و اگر که اهل کتاب گرویدندی و پرهیزگاری کردندی هر آینه بپوشیدیم از ایشان گناهان را و هر آینه داخل کردیم ایشان را

جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ

در بهشت نعیم و اگر که ایشان بپای داشتندی توریة را و انجیل را و آنچه فرود آمد بایشان از پروردگار ایشان هر آینه خوردندی از بالای ایشان

وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ع

و از زیر پاهای ایشان بعضی از ایشان گروهی اند میانه روان و بسیاری از ایشان بد است آنچه میکنند ای پیغمبر برسان

مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ

آنچه فرود آمد بتو از جانب پروردگار تو و اگر نکردی پس نرسانده رسالت و پیام او را و خدا نگاه دارد ترا از شر مردم بدرستی که خدا

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ

راه ننماید گروه کافران را بگو ای اهل کتاب نیستید بر چیزی تا که برپا دارید توریة

وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

و انجیل و آنچه فرود آمد بسوی شما از پروردگار شما و هر آینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرود آمد بسوی تو از پروردگار تو

طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ

سرکشی و کفر پس اندوه مخور بر گروه کافران بدرستی که آنانکه گرویدند و آنانکه یهود شدند و از دینی بدینی رفتگان

وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

و ترسایان آنکه گروید بخدا و روز پسین و کرد کردار شایسته پس نیست ترسی بر ایشان و نباشند اندوهناکان

القراءة هل تنقمون بادغام حمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت حمزة الباقون بنصب الطاغوت
على ان عبد فعل ماض عطفا على صلة من كان قيل ومن عبد الطاغوت مبسوطتان مثل زاده بصطة وقد مر في البقرة رسالته ابو عمرو
وابن كثير وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون رسالاته الوقوف من قبل لعطف ان اكثركم على ان امنا فاسقون عند الله
لتناهي الاستفهام والتقدير هو من لعنه الله ومن جعل محله جرا على البدل من شر لم يقف الطاغوت ط السبيل ج خرجوا به ط يكتمون ط السحت ط يعملون ط
السحت ط يصنعون ط مغلولة ط وقيل لا وقف لتتصل قوله غلت وهو جزاء قولهم يد الله مغلولة بما قالوا لئلا يوهم ان قوله بل يداه مبسوطتان مفعول
قالوا ثالوا الحب مبسوطتان ط لان قوله ينفق من مقصود الكلام فلا يبتدأ نفي كيف يشاء ط وكفرا ط يوم القيمة ط اطفأها الله قال السجاوندي لا لان الواو
للحال اي وهم يسعون وفيه نظر فسادا ط المفسدين ط النعيم ارجلهم ط مقتصدة ط يعملون ربك ط رسالته ط من الناس ط الكافرين ربكم ط وكفرا ج لاختلاف النظم
مع فاء التعقيب الكافرين ط يحزنون ط التفسير لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا قال لهم ما الذي تنقمون من اهل هذا الدين
نقمت على الرجل انقم بالكسر اذا عتبت عليه ونقمت بالكسر لغة ونقمت الامر ايضا اذا كرهته وانكرته وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل
والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها ولكن هذا مما يوجب حسنا لا عيبا لان الايمان بالله رأس جميع الطاعات
واما الايمان بمحمد وبجميع الانبياء فهو الحق الذي لا محيد عنه لان الطريق الى تصديق الانبياء هو المعجز وانه حاصل في الكل فلا ... الايمان

والكفر ببعض ثم عطف عليه أن أكثركم فاسقون والمراد ما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم كأنه قيل ما تنكرون منا إلا مخالفتكم فآمنا وما فسقنا
مثلكم وهذا من حسن الازدواج والطباق كقول القائل هل تنقم مني إلا أني عفيف وأنك فاجر ويجوز أن يعطف على المجرور أي ما تنقمون منا إلا الإيمان
بالله وبما أنزل وبأن أكثركم خارجون عن الدين ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أي ما تنكرون منا إلا الإيمان مع فسقكم لأن أحد الخصمين إذا كان متصفا
بالصفات الحميدة مع اتصاف الآخر بالصفات الذميمة كان ذلك أشد تأثيرا في وقوع البغض والحسد في قلب الخصم ويحتمل أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل
محذوف أي ما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم ولأجل فسقكم ومن هنا قال الحسن في تفسيره بفسقكم نقمتم ذلك علينا ويجوز أن ينتصب بفعل محذوف
يدل عليه ما قبله أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع بالابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت محقق عندكم على أن حب الجاه والمال يدعوكم إلى
عدم الإنصاف وإنما خص الأكثر بالفسق مع أن اليهود كلهم فساق تعريضا بأحبارهم ورؤسائهم الطالبين للرياسة والمال المتقربين إلى الملوك والمراد
أن أكثرهم في دينهم فساق لا عدول فإن الكافر والمبتدع قد يكون عدلا في دينه أو ذكر الأكثر لئلا يظن أن من آمن منهم داخل في ذلك قال ابن عباس أتى نفر
من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبرهيم وإسمعيل إلى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر
عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت الآية ثم قال هل أنبئكم بشر من ذلك يعني المنقوم
وهو الإيمان ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله ومثوبة نصب على التمييز من شر وهي من المصادر التي جاءت على
مفعول كالميسور والمجلود ومثلها المشتور وقد مثوبة كما يقال مشورة والمثوبة مثل العقوبة واستعمال أحد الضدين مكان الآخر مجاز رخصه
إرادة التهكم مثل فبشرهم بعذاب أليم وقد أخرج الكلام ههنا على حسب قولهم واعتقادهم وإلا فلا شركة بين المسلمين وبين اليهود في أصل العقوبة
حتى يقال إن عقوبة أحد الفريقين شر ولكنهم حكموا بأن دين الإسلام شر فقيل لهم هب أن الأمر كذلك ولكن لعن الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك قال
المفسرون عني بالقردة أصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروي أن كلا المسخين كان في أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا
خنازير ولهذا كان المسلمون يعيرون اليهود بعدها ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم أما قوله وعبد الطاغوت فقد ذكر في الكشاف
فيه أنواعا من القراءة لا مزيد فائدة في تعدادها فالشاذ منها بعد الأفراد قراءة حمزة والوجه فيه أن العبد بمعنى العبد إلا أنه بناء مبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ
في الحذر والفطنة قال الشاعر أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد أبني لبينى لستم بيد إلا يدا ليست لها عضد وقيل هما لغتان مثل سبع وسبع
وقيل إن العبد جمع عباد والعباد جمع عبد كثمار وثمر إلا أنهم استثقلوا الضمتين فأبدلوا الأولى فتحة وقيل أراد أعبد الطاغوت مثل فلس وأفلس
إلا أنه حذف الألف وضم الباء لئلا يشبه الفعل والطاغوت ههنا قيل هو العجل وقيل هو الأحبار والظاهر أنه كل ما عبد من دون الله وكل من أطاع أحدا في
معصية فقد عبده احتجت الأشاعرة بالآية على أن الكفر بجعل الله تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أو أنه خذلهم حتى عبدوها أولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا من المؤمنين قال ابن عباس لأن مكانهم سقر
ولا مكان أشر منه وقال علماء البيان هو من باب الكناية لأنه ذكر المكان وأراد أهله الذي هو ملزوم المكان وأضل عن سواء السبيل قصده ووسطه
كان ناس من اليهود يدخلون على رسول الله ﷺ يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبر الله بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يؤثر فيهم شيء
من التصحيح والموعظة فقوله بالكفر وبه حالان أي ملتبسين بالكفر وكذا قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال
وليفيد التوقع أيضا وذلك أن أمارات النفاق كانت لائحة على صفحات أحوالهم فكان رسول الله ﷺ متوقعا لإظهار الله أسرارهم والعامل في هذه الحال قالوا
وفي الأولى دخلوا وخرجوا أي قالوا آمنا وحالهم أنهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وإنما ذكر عند الخروج كلمة هم تأكيدا فإن الكفر إليهم ونفي أن يكون
من النبي ﷺ في ذلك فعل أي لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم ما يوجب كفرا فتكون أنت الذي ألقيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار أنفسهم
وههنا استدل المعتزلي على صحة مذهبه أن الكفر من العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والداعي والله أعلم بما كانوا يكتمون فيه أن حسدهم وغيظهم لا يحيط
به إلا الله فما أعظم ذلك وأبلغ الإثم الكذب كقوله تعالى عن قولهم الإثم والعدوان الظلم وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم وقيل الإثم
كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وفي الآية فوائد منها ذكر كثيرا لأن كلهم كان لا يفعل ذلك إذ بعضهم يستحيي فيترك ومنها أن المسارعة إنما تليق بالخيرات وأنهم كانوا
يستعملونها في المنكرات ومنها أن الإثم يتناول جميع المعاصي فذكر بعده العدوان وأكل السحت ليدل على أنهما أعظم أنواع الإثم والكلام في معنى السحت وفي
تفسير الربانيين والأحبار تقدم في السورة عن قريب قال الحسن الربانيون علماء الإنجيل والأحبار علماء التوراة وإنما قال ههنا لبئس ما كانوا يصنعون
وفي الأول يعملون لأن الصنع أرسخ من العمل فلا يسمى العامل صانعا ولا العمل صنعا إلا إذا تمكن فيه وتدرب بنسبته فكان ذنب العلماء إذا تركوا النهي
عن المنكر أشد وأعظم وأبلغ وأرسخ وتحقيقه أن المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته وأحكامه فإذا حصل هذا العلم وما زالت المعصية
دل على أن مرض القلب في غاية القوة والشدة كالمرض الذي شرب صاحبه الدواء فما زال عن ابن عباس هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن
آية أخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة قيل في هذه الآية إشكال لأن اليهود مطبقون على أنا لا نقول ذلك كيف وبطلانه معلوم
بالضرورة لأن الله اسم لموجود قديم قادر على خلق العالم وإيجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع أن يكون يده مغلولة وقد تقرر فاسد والجواب
أن الله تعالى صادق في كل ما أخبر عنه فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم فلعل القوم قالوا هذا على سبيل الإلزام فإنهم لما سمعوا قوله من ذا الذي يقرض الله

المائدة

قرضاً حسناً فقالوا من يحتاج الى القرض كان فقيراً عاجزاً مغلول اليدين ولعلهم لما رأوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في غاية الفقر والضيق قالوا ان اله محمد كذا فقال كذا
اراد وانه لا يمسهم النار الا اياما معدودة الا بمقدار ما عبدوا العجل ثم عجز عن تعذيبهم الا هذا القدر لكونه مهتما بهذه العبادة الفاسدة فاستوجبوا اللعن
لفساد العبادة وسوء الادب فقيل لعلهم كانوا على مذهب بعض الفلاسفة انه تعالى موجب لذاته وان حدوث الحوادث عنه لا يمكن الا على نسق واحد فعبروا عن عدم
اقتداره على غيره لذلك النسق بغل اليد وقال المفسرون كان اليهود اكثر الناس مالا وثروة فلما بعث الله محمداً وكذبوه ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك
قالوا يد الله مغلولة اي مقبوضة عن العطاء على جهة النعت بالبخل والجاهل اذا وقع في البلاء والشدة قد يقول مثل هذه الالفاظ وغل اليد و
بسطها مجاز مستفيض عن البخل والجود ومنه قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد آلة لاكثر الاعمال لا سيما
لاخذ المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد سبط البنان رطب الانامل وللبخيل يابس الاصابع مقبوض
الكف جعد الانامل لا فرق عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه حتى انه يستعمل في ملك لا يعطي ولا يمنع الا بالاشارة بل يقال للاقطع بسط
يده بالنوال وقد يستعمل حيث لا يصح اليد كقول لبيد قد اصبحت بيد الشمال زمامها فجازاهم الله تعالى بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم بالبخل والنكد
ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم دعا به عليهم تعليما لعباده كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكما علمهم
الدعاء على المنافقين في قوله فزادهم الله مرضا وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة او اخبارا قال
الحسن يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز وانما لم يقل فغلت
ايديهم مع ان الجزاء يناسب فاء التعقيب ليكون قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدأ به فيزداد قوة ووثاقة لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام
به وقوة الاعتناء بتقريره ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار ومما وقع في عصرنا من اعجاز القرآن ما حكي ان متغلبا
من اليهود مسمى بسعد الدولة وهو من اشقى الناس كان قد سمع بهذه الآية فاتفق ان وصل الى بغداد فنزل بالمدرسة المستنصرية ودعا بمصحف كان
مكتوبا باحسن خط واشهره من خطوط الكتاب الماضين وكان يعلم ان اهل هذا العصر يتفقدون على كتابته مثله ثم قال اين هذه الآية يعني قوله غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا فاراد ان يمحاها فلم يمض اسبوع الا وقد سخط السلطان عليه فبعث في طلبه وامر بغل يديه فغلوه وحملوه اليه فامر بقتله ثم انه سبحانه
رد على اليهود بقوله بل يداه مبسوطتان واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة وهو ظاهر وعلى النعمة لفلان عندي يد اشكرها له وعلى القوة
ومنه اولي الايدي والابصار فسرت بذوي القوى والعقول ومنه لا يدين له بهذا والمعنى سلب كمال القدرة وعلى الملك هذا بيد فلان اي ملكه قال تعالى بيده عقدة
النكاح وعلى شدة العناية قال لما خلقت بيدي ويقال يدي لك رهن بالوفاء اذا ضمنت له شيئا ولا شك ان اليد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال لدلالة
الدال على انه ليس بجسم ولا ذي اجزاء خلافا للمجسمة واما سائر المعاني فلا يبعد ارادتها وكان طريقة السلف الايمان بها وانها من عند الله ثم تفويض معرفتها
الى الله وقد جاء في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي و
المراد تخصيص آدم بهذا التشريف نص القرآن ناطق باثبات اليد فانه يد الله فوق ايديهم وباثبات اليدين اخرى كما في الآية وباثبات الايدي اخرى
مما عملت ايدينا انعاما ووجه التوحيد والجمع ظاهر واما وجه التثنية فلان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه فكان ابلغ في رد كلام الكفرة
خذلهم الله او المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا او نعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة النفع ونعمة الدفع او نعمة على اهل اليمين ونعمة على اهل الشمال بل لطفه
في حق اولئك وقهره في شان هؤلاء او المراد المبالغة في وصف النعمة نحو لبيك وسعديك معناه اقامة على طاعتك بعد اقامة واسعادا بعد اسعاد
ثم اكد الوصف بالقدرة والسخاء فقال ينفق كيف يشاء وفيه انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وقانون العدل والرد على حسب المشيئة والارادة لا مانع له ولا مكره ومن
اوجب عليه شيئا او اعترض على فعل من افعاله فقد نازعه في ملكه وحجر تصرفه وقيده وغل ونسبه الى ما لا يليق به وليزيدن جواب قسم محذوف كثيرا منهم يعني علماء
اليهود ما انزل اليك من ربك من القرآن والحجج طغيانا وكفرا مجاوزة في الحد وغلوا في الانكار لان اليدين عن النفي كلما غلوا ترددوا شرا والقينا بينهم
بين اليهود والنصارى قاله مجاهد والحسن وفيما بين اليهود العداوة والبغضاء لا يأتلف كلمتهم ولا تتساعد افئدتهم فمن اليهود جبرية وقدرية وموحدة و
مشبهة ومن النصارى ملكانية ونسطورية ويعقوبية وكل ذلك لاختلاف يوجب السخط واللعن بخلاف هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولتفرقهم في الحق
وتشعب ذاته كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله فلا يهمون بامر من الامور الا ولم يجتمعوا يحقق حتى قيل كلما حاربوا رسول الله غلبوا وعن
قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم اذل الناس ويسعون في الارض فسادا يستخفون كيدا للاسلام وذويه والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم سوى
بل خالفوا احكام التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى
يوم القيامة ثم لما بالغ في تهجين سيرتهم ذكر انهم مع ما عدد من سيئاتهم لو آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا المنكرات التي كانوا يأتونها ليكون توبتهم نصوحا
لكفرنا عنهم تلك السيئات سترناها عليهم ولادخلناهم مع المسلمين جنات النعيم من النعم خلاف البؤس اي نعيم صاحبها فما اوسع رحمة الله تعالى وما اعظم عفوه
وغفرانه ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى ومن الاقرار بنبوة نبي آخر الزمان محمد او حافظوا على احكامهما
وحدودهما او اقاموهما نصب اعينهم لئلا ينسوا ما فيهما من التكاليف وما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن او سائر الكتب الالهية كصحف ابراهيم وزبور
داود وكتاب شعيا وحبقوق ودانيال فان كلها مشحونة من البشارة بمبعث محمد وانهم مكلفون بالايمان بجميعها لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي

ينزل عليهم بركات السماء وبركات الارض ويكثر لهم الاشجار المثمرة والزروع المغلة او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون
ما تساقط على وجه الارض ويحتمل ان يراد به المبالغة في شرح السعة والخصب لا ان هناك فوقا وتحتا اي لاكلوا اكلا كثيرا متصلا ويحتمل ان يكون هذا اشارة
الى ما جرى على بني قريظة وبني النضير من قطع نخيلهم وافساد زروعهم واجلائهم عن مواطنهم والحاصل انه سبحانه وعدهم سعادة الدارين بشرط الايمان
بما جاء به محمد وقدم السعادة الاخروية لانهما اهم ولانهما دفع العذاب وايصال الثواب والثاني كالشرط فيهما ثم فصل حالهم فقال منهم امة مقتصدة طائفة متوسطة في الغلو
والتقصير وذلك ان من عرف مقصوده فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب بخلاف من لا مقصد له فانه يذهب متحيرا يمينا وشمالا فجعل
الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدي الى الغرض ومن هم فيه قولان احدهما الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عدولا في دينهم ولا يوجد فيهم عناد شديد ولا غلظة
كاملة والثاني هم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعين من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل ما اسوء عملهم لكونهم
اجلافا متعصبين لا ينجع فيهم القول ولا يؤثر فيهم الدليل قيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة المعاندين
ولا يخشى مكروههم فقال يا ايها الرسول بلغ عن ابي سعيد الخدري ان هذه الآية نزلت في فضل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوم غدير خم فاخذ رسول الله بيده
وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر وقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو
قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي وروي انه نام في بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابي وهو نائم فاخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من
يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه فنزل والله يعصمك من الناس وقيل لما نزلت آية التخيير
يا ايها النبي قل لازواجك لم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا فنزلت يا ايها الرسول بلغ وقيل نزلت في امر زيد وزينب بنت جحش وقيل لما نزلت ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله سكت رسول الله عن عيب آلهتهم فنزلت اي بلغ معايب آلهتهم ولا تخفها وقيل انه لما بين الشرائع والمناسك في حجة الوداع
قال هل بلغت قالوا نعم فقال اللهم اشهد فنزلت وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص المذكورين وقال الحسن ان نبي الله قال لما بعثني الله برسالته ضقت بها
ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني واليهود والنصارى يخوفونني فنزلت الآية فزال الخوف وقالت عائشة سهر رسول الله ذات ليلة فقلت يا رسول الله
ما شانك قال الا رجل صالح يحرسني الليلة قالت فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله
حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الآية فاخرج رسول الله راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وعن ابن عباس كان رسول الله يحرس
فكان يرسل معه ابو طالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الآية فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسه فقال يا عماه ان الله قد عصمني
من الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك اي شيء انزل اليك وان لم تفعل ما امرتك به كما امرتك به فما بلغت رسالته من قرأ على الوحدة فلان القرآن كله رسالة جميع ما انزل اليك
واحدة او لان الرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى الجمع ومن جمع فلان كل آية حكم رسالة فان قيل معنى قوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته
لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته فما وجه صحته فالجواب ان هذا جار على طريق التهديد والمراد انك لم تبلغ منها ادنى شيء فانك لم تبلغ شيئا لان اداء
بعضها ليس اولى من اداء البعض الآخر كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها او المراد ان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله فوضع السبب
موضع المسبب ويعضده ما روي انه قال بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
فان قيل اين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد ما جرى فالجواب ان الآية نزلت بعد يوم احد والمراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يحتمل كل ما دون النفس
والناس الكفار ولقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يمكنهم مما يريدون بك ثم امره بتبليغ اي شيء كان طاب للسامع او ثقل عليه مرة ان يقول
لاهل الكتاب لستم على شيء اي على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشيء مزيدا لتحقيره وتصغير شانه وباقي الآية مكرر للتاكيد ومعنى فلا تاس فلا تاسف ولا تحزن عليهم بسبب
زيادة طغيانهم فان وبال ذلك عائد عليهم او لا تاسف بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك يقال اسي على مصيبته بالكسر ياسى اسى
اي حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في الكل وانه لا يحصل لاحد منقبة ولا سعادة الا اذا آمن وعمل صالحا وذلك
ان كمال القوة النظرية لا يحصل الا بمعرفة المبدا والمعاد اعني الايمان بالله واليوم الآخر وكمال القوة العملية انما يحصل بتعظيم المعبود والشفقة على
المخلوق اعني العمل الصالح وغاية هذا الكمال الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن على ما مضى من طيبات الدنيا لانهم وجدوا امورا اعظم واشرف
وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث لفظي وهو ان قوله والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون انه معطوف على
محل الذين لان اسم ان اذا كان مبنيا جاز العطف على محله وان كان قبل ذكر الخبر فنحو انك وزيد ذاهبان وان لم يجز ان زيدا وعمرو قائمان وذهب البصريون الى عدم
جواز ذلك مط لانه يؤدي الى اعمال ان ومعنى الابتداء معا في تابع فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع
بالابتداء على نية التاخير كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فيكون هذه جملة معطوفة على جملة
معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة هذا التقديم التنبيه على ان التوبة مقبولة البتة وذلك
ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا لانهم صبوا عن الاديان كلها اي خرجوا فكانه قال جل هؤلاء الفرق اذا تابوا بالايمان والعمل الصالح قبلت
توبتهم حتى الصابئون ولو قيل والصابئين لم يكن من التقديم في شيء لانه ثابت في مركزه الاصلي وانما يطلب نكتة التقديم للمرفوع في موضعه الراجع الى
اسم ان محذوف الخبر من آمن منهم كما في البقرة والله اعلم التاويل بشر الفريقين من جعله الله مستعدا للقبول بنفي القهر من العفو الغضب وجعل صفر

القرفية

المائدة ١٢ — لان القردة والخنازير يوم

القردية والخنزيرية اعني الحيلة والحرص والشهوة من بعض خصائصهم او كانت شرّ مكاناً من القردة والخنازير لانّ استعداداتهم وقواهم ما بطلوا استعدادهم
الفطري ومثله اولئك كالانعام بل هم اضلّ ولهذا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الربانيون مشايخ الطريقة والاحبار علماء الشريعة غلّت ايديهم من بسط
الخير مغلولة ومشامّهم عن نسيم نفائح الصدق فى كونه فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكلّ اناء يترشّح بما فيه ولكن الكلّ ادركته العناية الازليّة وسلبت عنهم صفات
الظلوميّة والجهوليّة ص قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار ينفق كيف يشاء بيدي اللطف والقهر على المؤمنين من الهداية والاحسان وعلى
الكافرين من الغواية والخذلان والقينا بينهم العداوة فلا يوجد الا وبينه وبين صاحبه بغض الى ان يتوارثوا بطناً بعد بطن ولو انّ اهل العلوم الظاهرة
آمنوا بالعلوم الباطنة واتّقوا الانكار والاعتراض ولو انّهم عملوا بمقتضيات الكتب المنزلة ومستحسناتها لاكلوا من فوقهم من الواردات الروحانية
ومن تحت ارجلهم الى على مقاماتهم من العلماء الظاهرين امّة مقتصدة ان لم تكن سابقاً بالخيرات والمقتصد هو العالم المتّقي والمريد الصادق دون السابق وهو
الواصل الكامل العالم الربّاني بلّغ ما انزل اليك يندرج تحته الوحي والالهامات فى المنامات والوقائع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار
والاخلاق والمواهب الخفايا وعند معنى النبوّة والرسالة فالرسول ان لم يبلّغ بعض هذه الحقائق الى العالم يكتمه الوصول الى الله فلا يحصل مقصود ارسال
بل فلم يبلّغ رسالته الا انّ التبليغ مراتب كما انزل اليه فيتبلّغ بالعبادة ويتبلّغ بالاشارة ويتبلّغ بالتأديب ويتبلّغ بالتعليم ويتبلّغ بالتزكية ويتبلّغ بالتحلية
ويتبلّغ بالهمّة ويتبلّغ بجذبات الولاية ويتبلّغ بقوّة النبوّة والرسالة ويتبلّغ بالشفاعة وللخلق فيه مراتب بحسب قبول الدعوة بحسب الاستعدادات المختلفة
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك باوصاف لاهوتيّة عن اوصاف ناسوتيّة لئلّا تنصرف فى الخلق بقوّة اللاهوتيّة فتوصلهم الى الله
ولا ينصرفون فيك فيقطعوك عن الله يا ارباب العلوم الظاهرة لستم على شيء من حقيقة الدين حتّى تقيموا ظاهركم وباطنكم بالاعمال والاحوال الواردة فى كتب
الالهيّة وذلك بمقدّمتين واربع نتائج فالمقدّمتان الجذبة الالهيّة ونتيجتها الاعراض عن الدنيا والتوجّه الى المولى ثمّ تربية الشيخ ونتيجتها تزكية النفس عن
الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
الفاضلة والله حسبي ونعم الوكيل — بدرستی که فرا گرفتیم پیمان بنی اسرائیل را و فرستادیم بسوی ایشان پیغمبران هر چند که آورد ایشان پیغمبری

بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
آنچه ناخواسته ایشان بود گروهی را تکذیب کردند و گروهی را میکشتند و پنداشتند که نباشد شرک و کفر پس کور و کر شدند پس پذیرفت خدا از ایشان
ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ
پس کور و کر شدند بسیاری از ایشان و خدا بیناست بآنچه میکنند هر آینه کافر شدند آنان که گفتند که خدا آن مسیح پسر مریم است و گفت مسیح
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
ای بنی اسرائیل بپرستید خدای را که پروردگار من و شماست جز این نیست که هر که شرک آورد بخدا پس حرام گرداند خدا بر او بهشت را و منزل او آتش است
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ
و نیست از برای ظالمان از یاوری هر آینه کافر شدند آنهائی که گفتند که بدرستی که خدا سیمی از سه است و نیست خدائی بجز خدائی یگانه و اگر
يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ
وا نمانند از آنچه میگویند هر آینه در رسد آنهائی را که کافر شدند از ایشان عذاب دردناک آیا پس باز نگردند بسوی خدا و طلب آمرزش کنند او را و خدا آمرزنده
رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ
مهربانست نیست مسیح پسر مریم مگر پیغمبری که بگذشتند پیش از آن پیغمبران بوده اند و مادرش راستگو بود بودند که میخوردند طعام را ببین که چگونه
نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
ظاهر گردانیم از برای ایشان آیات را پس ببین که چگونه برگردانیده میشوند بگو که آیا میپرستید از غیر خدا آنچه را که دارا نیست از برای شما ضرری و نه نفعی را
وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا
و خدا اوست شنونده دانا بگو که ای اهل کتاب در مشوید در دین خود بناحق و پیروی مکنید خواهشهای گروهی را که گمراه شدند
مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ ع
از پیش و گمراه کردند بسیاری را و بازگردیدند از راه راست لعنت کرده شدند آنها که کافر شدند از بنی اسرائیل بر زبان داود
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
و عیسی پسر مریم این بجهة نافرمانی ایشانست و بودند که از حد در گذشتند بودند که نهی نمیکردند از ناشایسته که کردند آنرا هر آینه بد است آنچه
يَفْعَلُونَ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي
میکنند میبینی بسیاری از ایشان را که دوستی میکنند آنها را که کافر شدند هر آینه بد است آنچه پیش انداخته از برای ایشان نفسهای ایشان که خشم کرد خدا بر ایشان و در
الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا
عذاب ایشان جاویدانند و اگر بودند که گرویدندی بخدا و پیغمبر و آنچه فرود آمد بر او نگرفتندی ایشان را دوستان و لکن بسیاری

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ

از ایشان فاسقاند هرآینه مییابی سختترین مردمان در دشمنی با زمره مؤمنان یهود و زمره مشرکان را و هرآینه بیابی نزدیکترین مردمان در دوستی زمره

آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا

مؤمنان آنان که گفتند که ما ترسایانیم این بجهة آنست که بعضی از ایشان دانشمندانند و زاهدان و بجهة آنکه ایشان برتری نجویند و چون شنیدندی

ع مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ

آنچه را که فرود آمدی بسوی پیغمبر دیدی چشم ایشان را که میریخت از گریه از آنچه شناختند از حق میگویند که پروردگارا گرویدیم پس نویس ما را با

الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ

گواهان وچه شده ما را که نگرویم بخدا و آنچه آورد با ما از حق و امید داریم که داخل کند ما را پروردگار ما با گروه نیکوکاران

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ

پس عوض داد ایشان را خدا بآنچه گفتند بهشتها که روانست از زیر آن جویها جاویدانند در آن و اینست پاداش نیکوکاران و آنانکه

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

کافر شدند و تکذیب کردند آیات ما را آن گروه یاران دوزخند

القراءة ان لا تكون بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف غير سهل وحفص وابي بكر وحماد الباقون بالنصب الوقوف رسلاً ط انفسهم لا لان ما بعده جواب كلما قوله كذبوا ويقتلون كثير منهم ط بما يعملون ط ابن مريم ط وربكم ط النار ط من انصار ط ثلثة لئلا يوهم ان ما بعده من قول الكفار واحد ط اليم ويستغفرونه ط والوصل اتم حسن بناء على ان الواو للحال اي هلا يستغفرون وهو غفور رحيم ط رسول ط لاحتمال ما بعده الصفة والاستيناف الرسل ط لان الواو للاستيناف لا للعطف صديقة ط لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير لهما كانا يأكلان الطعام ط يؤفكون ط ولا نفعا ط والوصل يحسن على ان الواو للحال اي يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال ان الله يسمع دعاء المضطر ويعلم حاجته العليم ط السبيل ط ابن مريم ط يعتدون ط فعلوه ط يفعلون ط كفروا ط خالدون ط فاسقون ط اشركوا ط للطول كلا الفصل بين الوصفين المتضادين نصارى ط لا يستكبرون ط من الحق ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف الشاهدين من الحق ط لان الواو بعده للحال الصالحين ط خالدين فيها ط المحسنين ط الجحيم ط التفسير افتتح الله تعالى بقوله اوفوا بالعقود واجرى الكلام الى ما انجر والان عاد الى ما ابتدأ به والمقصود بيان عتو بني اسرائيل وشدة تمردهم اي اخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال وارسلنا اليهم رسلا لتعريف الشرايع والاحكام قال في الكشاف كلما جاءهم رسول الخ جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف اي رسول منهم واقول الاصوب جعلها جملة مستأنفة جوابا لسائل يسأل كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا اما جواب الشرط فقال في الكشاف انه محذوف لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان يقال ان اكرمت اخاك اكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه او عادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف فعلوا واقول اما ان التركيب المذكور غير مستحسن فبعين النزاع واما ان الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لان قوله كلما يدل على كثرة مجيء الرسل فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى بما لا تهوى انفسهم بما يضاد شهواتهم لرغبتهم عن التكاليف وفائدة تقديم المفعول وايراد يقتلون مضارعا ذكرناها في سورة البقرة وزعم في التفسير الكبير انه ذكر التكذيب بلفظ الماضي لانه اشارة الى معاملتهم مع موسى في التيه وتمردهم عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان ادوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لانه ومن اكما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على زعمهم وان ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر وحسبوا ان لا تكون فتنة قال علماء الادب الافعال على ثلثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء كالعلم والتيقن فيقع بعده ان المشددة الدالة على ثبات الشيء ايضا لما كانت مقتضاه كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين فان خففت ودخل على الفعل لم يجز الا ان يكون مع فعله قد او سوف او السين او حرف نفي ليكون كالعوض من احد النونين وقيل من حذف ضمير الشأن مثل علم ان سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار نحو اطمع واخاف وارجو فلا يجيء معه الا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذي اطمع ان يغفر لي وفعل يحتمل المعنيين فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا ان لا تكون قرئ بالنصب على ان المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على ان المخففة اي انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم وما اشتمل عليه صلة ان من المسند والمسند اليه سد مسد المفعولين وكان تامة والمعنى وحسب بنوا اسرائيل انه لا يقع فتنة وهي محصورة في عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فعذاب الدنيا اقسام منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرنا الفتنة بكل ذلك وحسبانهم ان لا تقع فتنة يحتمل وجهين الاول انهم كانوا يعتقدون ان لا نسخ لشريعة موسى وان كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه الثاني انهم اعتقدوا كونهم مخطئين في التكذيب والقتل الا انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الاية تدل على ان عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا في زمان زكريا ويحيى وعيسى ثم تاب الله على بعضهم حيث وفقهم للايمان به ثم عموا وصموا كثير منهم في زمان محمد ﷺ فانكروا نبوته الا بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله كثير منهم بدل عن الضمير كقولك رأيت القوم اكثرهم وقيل انه على لغة من يقول اكلوني البراغيث وقيل خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو

بلبث وتاب الله عليهم وقال القفال انه يجوز ان يكون اشارة الى ما في سورة بني اسرائيل فاذا جاء وعد اولیهما وعد الآخرة وقرئ عموا وصموا بالضم اي رماهم
الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال ركبته اذا ضربته بالركبة ثم انه سبحانه لما استقصى الكلام مع اليهود شرع في حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم
انهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية القائلين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم انه تعالى حل في ذات عيسى او اتحد به ثم حكى عن المسيح انه
ليكون لهم حجة قاطعة على فساد ما اعتقدوا وهو ذلك انه لم يفرق بين نفسه وبين غيره في المربوبية وفي ظهور دلائل الحدوث عليه ثم اكد ذلك المعنى بقوله انه من
يشرك بالله اي في العبادة او في تجويز الحلول والاتحاد في اجزاء وصفه في المخلوقين او بالعكس فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي منعه
منها وما للظالمين من انصار من كلام الله تعالى او من حكاية قول عيسى لهم وقد مر تفسيره في اخر سورة آل عمران وفيه تقريع لهم لانهم كانوا يعتقدون ان
لهم انصارا كثيرا انما يقولون ويعتقدون من قضى الله تعالى او جليسي ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه قال المفسرون ثالث ثلاثة معناه ثالث الهة ثلاثة لاستلزام
الكفر والايمان من شيئين الا والله ثالثهما يحكى ان النصارى يقولون اب وابن وروح قدس والثلاثة اله واحد كما ان الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة
وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحيوة قالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وزعموا ان الاب اله واحد
والابن اله واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلاثة لا يكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة
فلا جرم رد الله عليهم بقوله وما من اله الا اله واحد فزاد من للاستغراق والمعنى ما اله في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا
شريك ثم زجرهم بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا قال الزجاج يعني الذين اقاموا على هذا الدين لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية
ومن في قوله منهم للتبعيض ويجوز ان يكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن اقيم الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر وتنزيلا الى انهم من الكفر
بمكان رفيع لو فسر الكفار المعذبون عنوا بذلك خاصة ومعنى عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون قال الفراء انه امر بلفظ الاستفهام
وفيه تعجيب من اصرارهم على الكفر بعد الوعيد الشديد ثم احتج على ابطال معتقدهم بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول وهذا في نهاية غاية الحسن لانه منعهم
من الكفر اولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا ثم شرع في حل شبههم ثالثا ومن هنا قيل انما المراد بالانتساب بالامهال والمناظرة ان عنت لهم شبهة مثل ما يسلم اولا ثم حل شبهته
ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من جنس الرسل الماضين لا يتخطى الرسالة الى الالهية كما لم يتخطوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى
وان ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى الى غير ذلك من آيات دبرا لكبرى في امه صديقة كبعض النساء المؤمنات بالانبياء
المصدقات في اقوالهن وافعالهن واحوالهن قال تعالى في وصفها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين اي من الذين صدقوا انبياء الله
عليهم وهم الجهد في اقامة مراسم العبودية ففيه تكذيب الجمهور للنصارى المفرطين فيها اذ جعلوها الهة وفيه تكذيب لليهود المفرطين في شانها حيث نسبوها الى الزنا
والى الكذب في ان عيسى خلق من غير اب وفيه ان من كان له ام فقد حدث بعد ان لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم اكد حدوثهما وعجزهما بقوله كانا ياكلان الطعام فان
المحتاج الى الاغتذاء يحتاج الى ما يتبعه من الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما وانهما في حيز الامكان ثم عجب
عباده غوايتهم فقال انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نبين لهم الآيات الادلة الظاهرة على بطلان قولهم والعامل في كيف قوله نبين ومفعول انظر مجموع
الجملة بل مضمونها اي تبصر هذه الحالة وتفكر فيها وتامل ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق افكه بالفتح يافكه بالكسر افكا بالفتح والسكون صرفه عن الشيء
ومنه الافك بالكسر للكذب لانه مصروف عن الحق وارض مافوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين العجيبين اي بينا لهم الايات بيانا عجيبا ولكن
اعراضهم عنها اعجب ثم الصارف عن تامل الحق هو الله او العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وانت قد عرفت التحقيق فيهما مرارا ثم اقام حجة اخرى على فساد
قول النصارى فقال قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك اي شيئا لا يستطيع والذي لا يقدر على مثل ما يضركم به الله من البلايا في المصائب ولا ينفعكم به من الصحة
والخصب سطرا او بعيره او سطرا بل لم يملك شيئا من ذلك النفس فان اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم يقدر على منعهم ومن مذهب النصارى ان اليهود صلبوه ومزقوا
اضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه وكان عم مصروف الهمة الى عبادة الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا عابدا والله هو السميع العليم
بالطلبهم ويعلم ضمائرهم ليجازيهم عليه فيه من الوعيد ما فيه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا اهل الكتاب لا تغلوا الغلو مجاوزة حد الاعتدال وانه
شامل لطرفي الافراط والتفريط وان كان قد يخص بطرف الافراط ويجعل مقابلا للتقصير ولعل المراد ههنا هو الاول فاليهود فرطوا فيه حيث نسبوه الى الزنا وكذبوه
والنصارى افرطوا فيه حيث ادعوا فيه الالهية قال في الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر اي غلوا غير الحق ولو ظهر القول بان الغلو في الدين غلوان حق
وهو ان يبالغ في تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه وباطل وهو ان يتبع الشبهات على حسب الشهوات فالثاني منهي عنه دون الاول اقول لما كان الغلو
مجاوزة الحد وكل شيء جاوز حده انقلب ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القائل كلا طرفي قصد الامور ذميم فالاصوب ان يقال انتصب غير الحق على انه
صفة قامت مقام المصدر اي لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي فسادا او كقولهم تعالى جاها وقم قائما ولو سلم ان المصدر محذوف كان غير الحق
صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة وامس الدابر لا صفة مميزة فافهم ولا تتبعوا اهواء قوم هي المذاهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحجة قال الشعبي ما ذكر الله
لفظ الهوى في القرآن الا ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابو عبيد لم نجد الهوى موضع الخير الا في الشر لا يقال
فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواك فقال ابن عباس كل
هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني اسلاف النصرانية واليهودية قبل بعثة النبي واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث والتفريط في شان مريم وضلوا

ومن الزنا وغيره

لسمع



عن سواء السبيل عند مبعث النبي عم فكذبوه والغرض بيان استمرارهم على الضلال قديما وحديثا وقيل الضلال الاول عن الدين والضلال الثاني عن محجة
وقيل الضلال الثاني اعتقادهم في ذلك الاضلال انه ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى بن مريم بتغييرهم حيث ادعوا انهم
اولاد الانبياء وقد لعنوا على السنتهم وقال كثير من المفسرين ان اصحاب ايلة كما سيجيء في الاعراف لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم اية
فمسخوا قردة وان اصحاب المائدة لما اكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم
امرأة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى بشرا بمحمد ولعنا من يكذبه ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون
للتناهي معنيان احدهما وعليه الجمهور انه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن مسعود عن النبي عم قال من رضي عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم
فهو منهم وذلك ان في التناهي التآمر بحسم الفساد فكان الاخلال به معصية وظلما والثاني انه بمعنى الانتهاء اي لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد لا يتناهون
عن معاودة منكر فعلوه لان النهي بعد الفعل لا يفيد والمراد لا يتناهون عن منكر ارادوا فعله واحضروا آلاته او لا ينتهون ولا ينهون عن الاصرار على منكر
فعلوه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المصدر فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف اسلافهم بما وصف شرع في نعت الحاضرين وانهم كثير منهم يتولون
المشركين والمراد كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله عم وقد مر في سورة النساء عند قوله هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا لبئس ما قدمت
لهم انفسهم من العمل المعاد لهم ومحل ان سخط رفع على انه مخصوص بالذم اي بئس الزاد الى الاخرة سخط الله يعني موجب سخط الله وسببه ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما
انزل اليه في التوراة كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك متأكد في شريعة موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم لان مرادهم تحصيل الرياسة
والجاه باي طريق قدروا عليه لا تقرير دين موسى ويحتمل ان يراد ولو كان هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله وبمحمد والقران ايمانا خالصا ما اتخذوا المشركين
اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال القفال ولو ان هؤلاء المشركين يؤمنون بالله وبمحمد ما اتخذهم هؤلاء
اولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد او كل من له اهلية الخطاب اشد الناس عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله
للذين امنوا كما تعلقت بالمودة فيما بعد ظاهر الاية يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين وكيف لا وقد نبه على تقديمهم في العداوة بتقديمهم على الذين
اشركوا وعن النبي عم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله لكنه روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي ان المراد النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على
رسول الله عم وامنوا به لا جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال اخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم في الدين باي طريق
كان بالقتل او بغصب المال او بوجوه المكايد والحيل وليس للنصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام وهذا هو وجه التفاوت بالعداوة والمودة وقد
اكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالاشدية والاقربية في الاية ومن الفائدة ان التمرد والمعصية عادة لهم ففرغ قلبك يا محمد ولا تبال بمكرهم ولا تحزن على كيدهم ثم ذكر
سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا القس والقسيس اسم لرئيس النصارى في العلم والدين وكانه من القس وهو تتبع الشيء وطلبه قال
قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه التوافق بين اللغتين وقال عروة بن الزبير ضيعت النصارى الانجيل وادخلت فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم
على الحق والدين فسمي قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وراكب وفرسان وفارس وقيل انه واحد وجمعه رهابين كقربان و
قرابين ولكن النظم يأباه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالى وانما صارت الرهبانية ممدوحة في مقابلة قساوة اليهود وغلظتهم والا
فهي مذمومة في نفسها لقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ولقوله عم لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة هي ان كفر النصارى حيث انهم ينازعون في الالهية
والنبوة جميعا اغلظ في الحقيقة من كفر اليهود لانهم لا ينازعون الا في النبوة الا بعضهم القائلين بان عزير ابن الله ثم ان النصارى لما لم تشتد
حرصهم على طلب الدنيا وعلى الحيوة واقبلوا على العلم والبراءة من الكبر خصصهم الله تعالى بالمدح وذم اليهود حيث قال ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
غلب عليهم فتبين صحة قولهم حب الدنيا راس كل خطيئة قال ابن عباس كان رسول الله عم خائفا على اصحابه من المشركين فبعث جعفر بن ابي طالب وابن مسعود
في رهط من اصحابه الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه اكرمهم وقال لهم
هل تعرفون شيئا مما انزل عليكم قالوا نعم فقرأ وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرأوا اية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق وقال اخرون قدم جعفر بن
ابي طالب من الحبشة هو واصحابه ومعهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الى رسول الله عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل
الشام وهم بحيرا الراهب وابرهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله عم سورة يس الى اخرها فبكوا وامنوا فنزلت والخطاب في ترى لكل راء وقد وضع الفيض
الذي هو مسبب الامتلاء موضع الامتلاء واصله تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل ان يكون الدمع مصدرا ومعنى تفيض
وقصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء كان الاعين تفيض بانفسها ومعنى مما عرفوا من الحق اي مما نزل على محمد وهو الحق من الاولى لابتداء الغاية على
ان فيض الدمع نشأ من معرفة الحق والثانية للبيان ويحتمل التبعيض يعني انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف لو عرفوا كله واحاطوا بالسنة
ربنا امنا المراد انشاء الايمان لا الاخبار عنه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد وقد مر مثله في ال عمران وما لنا انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع حصول موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين قالوا ذلك في انفسهم او فيما بينهم او في جواب قومهم حين
رجعوا اليهم ولاموهم ومحل لا نؤمن نصب على الحال نحو ما لك قائما والعامل فيه معنى الفعل اي ما نصنع غير مؤمنين وهو العامل ايضا في ونطمع
لكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو حذفتها وقلت ما لنا ونطمع لا حلت ويحتمل ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن كانه انكر انهم لا يوحدوا

الله وهم

الله وهم يطمعون في الثواب وان يكون عطفا على لا نؤمن اى ما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع او ما لنا لا نجمع بين الايمان وبين الطمع فاثابهم الله
بما قالوا اى اظاهر يدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد القول لكن فيما سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما انضاف اليه القول
كمل الايمان ويحتمل ان يكون ماخوذا من قولك هذا قول فلان اى اعتقاده ومذهبه روى عطاء عن ابن عباس ان المراد بما سئلوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين
قال اهل السنة فيه دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول الثواب ضمنا الكبيرة له المعرفة والاقرار والايمان يؤول حال الى هذا الثواب والمعتزلة سلموا ان
الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب لكن بشرط عدم الاحباط التاويل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذرات ذريات آدم عم واشهدناهم وسلكناهم بالا
في عالم الشهادة وصيروا الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا بعض الالهامات والواردات وفريقا يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا ان الله
ازادوا ان تسلكوا طريق الحق بقدم العقل فتاهوا في اودية الشبهات وامة محمد عم سلكوا الطريق باقدام جذبات الالوهية على وفق المتابعة الحبيبية فاسقط عنهم
براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان الشبلي يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل انت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال
فيحقق لهم ان عيسى بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما ان المراة المحرقة يحرق بما قبل من فيض
الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على انبياء ودو جنتي مرجعه هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل
المستحق للخلافة يقول بقبول الحق ورده رد الحق لا يتناهون عن منكر سمى المعصية منكرا لانه يوجب النكرة كما سمى الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا ينبغي ان تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى بركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخشوعهم تبتلهم كفراتهم
والمودة من اهل الايمان وعرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فامنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله وشاهدونه بلوائح المعرفة ولوامع
المحبة فالاحسان ان يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ع
تعبد الله كانك تراه — ای زمره انهائی که گرویده اید حرام مسازید پاکیزهای آنچه را که حلال کرد خدا برای شما و از حد مگذرید بدرستی که خدا دوست ندارد از حد گذرندگان را
وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
و بخورید از آنچه روزی کرد شما را خدا حلال و پاکیزه و بپرهیزید خدا را آنچنانکه شما باو ایمان آورده اید نمیگیرد شما را خدا بواسطه بیهوده در سوگندهای شما
وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ
و لکن میگیرد شما را بآنچه بسته باشید سوگندان پس کفاره آن طعام دادن ده نفر بینوا است از میانه آنچه میخورانید اهل خود را یا پوشش ایشان
أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ
یا آزاد کردن بنده است پس هر که نیافت پس روزه سه روز است این است کفاره سوگندهای شما چون سوگند یاد کردید و نگاه دارید سوگندهای خود را
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ
همچنین ظاهر گرداند خدا از برای شما آیات خود را شاید که شما سپاس کنید ای زمره انهائی که گرویده اید جز این نیست که شراب و قمار و بتان و تیرهای قمار
رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ
پلیدانند از کردار شیطانند پس دوری کنید از آن شاید که رستگار شوید جز این نیست که میخواهد شیطان که بیندازد در میان شما دشمنی را
وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
و کینه را در خمر و قمار و باز دارد شما را از یادآوری خدا و از نماز پس آیا شما باز ایستادگانید و پیروی کنید خدا را
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ
و پیروی کنید پیغمبر را و بپرهیزید پس اگر برگشتید پس بدانید که جز این نیست که بر پیغمبر ماست رسانیدن ظاهر نیست بر آنها که گرویدند و
عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا
کردند شایستها باکی در آنچه خوردند چون بپرهیزند و گرویدند و کردند شایستها پس پرهیزکردند و گرویدند پس پرهیز کردند
وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ ع
و خوبی کردند و خدا دوست دارد خوب کاران را ای زمره انهائی که گرویده اید هر آینه بیازماید شما را خدا بچیزی از شکار که گرفته باشد از دستهای شما
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
و نیزهای شما تا بداند خدا کیست آنکه میترسد او را در پنهانی پس هر که از حد گذشت پس از این پس مر او راست عذاب دردناک ای زمره انهائی که گرویده اید
لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مکشید شکار را و شما احرام بسته اید و هر که کشت آن را از شما از روی عمد پس جزای دهش او مانند آنست که کشت از چهارپایان حکم کنند بدان دو صاحب عدل
مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ
از شما قربانی رسنده بکعبه یا کفاره که طعام دادن چند فقیر است یا عدل آن روزه داشتن تا بچشد وبال امر خود را درگذرد خدا

عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم و

از آنچه گذشته و هر که باز گردد پس انتقام کشد خدا از او و خدا غالب صاحب انتقام است حلال شد از برای شما شکار دریا و طعام آن بهره از برای شما و

للسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة

کاروانان و حرام کرده بر شما شکار دشت مادامیکه احرام بسته اید و بپرهیزید خدائی را که بسوی او گرد آئید قرار داد خدا کعبه را

البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات

که خانه احترام است ایستادن مر مردمان را و ماه حرام را و قربان و گردن بندان را این از برای آنست که بدانید که خدا میداند آنچه را که در آسمانهاست

وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم

وآنچه در زمین است و آنکه خدا بهر چیزی داناست بدانید که خدا سخت عقوبت است و آنکه خدا آمرزنده مهربانست

ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث

نیست بر پیغمبر بجز رساندن و خدا میداند آنچه را که ظاهر میسازید و آنچه را که نهان دارید بگو که یکسان نیست ناپاک

والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون القراءة بما عقدتم بالتخفيف

و پاک و هر چند که بشگفت آرد ترا بسیاری ناپاک پس بپرهیزید خدا را ای صاحبان خرد شاید که شما رستگار شوید

حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد [illegible] فجزاء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة بالتنوين طعام بالرفع قياما بغير الف ابن عامر الوقوف ولا تعتدوا ط المعتدين ه طيبا ص لعطف المتفقين مؤمنون ه الايمان ج لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب ثلثة ايام ط حلفتم ط للاضمار اي حلفتم وحنثتم ايمانكم ط تشكرون ه تفلحون ه وعن الصلوة ج لابتداء الاستفهام لاجل التحذير مع دخول الفاء منتهون ه واحذروا ج المبين ه واحسنوا ط المحسنين ه بالغيب ج اليم ه وانتم حرم ط وبال امره ط عما سلف ط منه ط انتقام ه وللسيارة ج لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما ط لاطلاق الامر بالابتداء تحشرون ه والقلائد ط عليم ه رحيم ه البلاغ ط تكتمون ه كثرة الخبيث ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون ه التفسير انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع اهل الكتاب عاد الى بيان الاحكام فبدأ بحل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم ان مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقهم في هذا الدين قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمن بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فاتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديار والصوامع فانزل الله هذه الاية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فهذا وجه اتصال الايات فان قيل ما الحكمة في قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان في اللذات والطيبات يمنعه عن الاستغراق في تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا شبعت الاجسام ضاعت الارواح لجسادها واذا جاعت الاجسام صارت الاجساد ارواحا فالجواب ان الرهبانية المفرطة مما توقع الانثلام في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التامل في الجواهر الروحانية ومباديها على ان النفوس القوية لا يمنعها التصرف في الجسمانيات عن التامل في الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال في الوفاء بالجهتين وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الترهب مع رعاية وظائف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال في اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه كما لا يجوز تحليل المحرم لا يجوز تحريم المحلل وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله ولا تظهروا باللسان تحريمها ولا تجتنبوها اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والعمل ويحتمل ان يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى ولا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك او لا تخلطوا المملوك بالمغصوب والطاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه تحريم للكل والطيبات المستلذات التي تشتهيها النفوس ويميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله في دخول من التبعيضية ارشاد الى الانفاق والاقتصار في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وبينه انه هو الذي رزق عبيده وتكفل برزقهم قال النسفي الكبير قوله

حلالاً طيباً ان كان متعلقا بالاكل كان حجة للمعتزلة على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه يدل على الاذن في اكل كل ما رزق الله نعم وانما ياذن في اكل الحلال فيلزم ان يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالماكول اي كلوا الشيء الذي رزقكم الله حال كونه حلالا كان حجة لاصحابنا لان التقييد يؤذن بان الرزق قد لا يكون حلالا اقول هذا فرق ضعيف ولهذا قال في الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاد تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم ههنا وقد تقدم تفسير يمين اللغو في سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان فمن قرأ بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قرأ بالتشديد فان ابا عبيدة اعترض عليه بان التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدي بان عقد بالتخفيف وعقد بالتشديد واحد في المعنى ولو سلم فالتكثير يحصل بان يعقدها بقلبه ولسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الاخر فلا كفارة ومن قرأ بالالف فمثل القراءة المخففة كقولك عافاك اللص وعافاه الله والمعنى على القراءات لكن يؤاخذكم بعقد الايمان او بتعقيدها او معاقدتها اذا حنثتم فحذف الظرف للعلم والمراد بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته اي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها احد هذه الامور ويسمى بالواجب المخير وحاصله انه لا يجب الاتيان بكل واحد منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باي واحد شاء منها فانه يخرج عن العهدة ومن ههنا قال اكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء اخر وهو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعي يصيب كل مسكين مد اي ثلث من وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والحسن والقاسم لانه ثم قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا في العرف فثلث من من الحنطة اذا جعل دقيقا وخبز فانه يصير قريبا من المن وذلك كاف للواحد في يوم واحد وان كان المراد ما كان متوسطا في الشرع فليس له في الشرع مقدار الا ما جاء في خبر الاعرابي المفطر ان النبي صلعم امره باطعام ستين مسكينا من غير مقدار فقال الرجل ما اجد فاتي النبي صلعم بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال النبي صلعم اطعم هذا ويدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلق لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الاهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطرة وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها قال الاولون الاوسط هو الاعدل فما ذكره الشافعي هو الادنى في ما يكفي واما الاعدل فيكون بادام وهكذا روي عن ابن عباس مد بادامه والادام تبلغ قيمته مثل الخبز او يزيد فاجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقداره فما ذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال ابو حنيفة اذا غداهم وعشاهم عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الاهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون اهليكم ولقائل ان يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لا لاجل كيفية الاطعام وقال ابو حنيفة لو اطعم مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي الا اطعام عشرة لان مدار الباب على التعبد الذي لا يعقل معناه فيجب وروده على مورد النص قال في الكشاف او كسوتهم عطف على محل من اوسط ووجهه ان من اوسط بدل هو المفعول فكانه قيل فكفارته من اوسط واقول الاظهر ان يكون من اوسط مفعولا اخر للاطعام سواء كان من للابتداء او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزي في الكفارة اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة ازار او رداء او قميص وسراويل وعمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روي عن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب يجمع يداه الى رقبته فاذا اطلق حل ذلك الحبل فسمي الاطلاق من الحبل فك رقبته ثم اجري ذلك على العتق هكذا قيل في اصل هذا المجاز ومذهب اهل الظاهر ان جميع الرقاب مجزية وقال الشافعي لا يجزي الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت او كبيرة ذكرا او انثى بعد ان كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا [illegible] وفي تقديم الاطعام على العتق مع ان العتق افضل تنبيه على التخيير وان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام افضل لان الحر الفقير قد لا يجد الطعام او لا يكون هناك من يعطيه فيقع في الضر اما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحتمل التاخير والاطعام قد لا يحتمل ذلك فمن لم يجد احد الامور الثلثة فصيام اي فعليه صيام ثلثة ايام قال الشافعي اذا وجد قوت نفسه وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمه الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك انه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلث فعند وجدانها وجب ان لا يجوز الصوم تركنا العمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوما وليلة لان ذلك ضروري وتقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعا فبقي الباقي معمولا به فيما في غيره وعند ابي حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكوة ثم صيام الايام الثلثة مشروط عند ابي حنيفة بالتتابع تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات فان قراءتهما لا تختلف عن روايتهما وقال الشافعي في اصح قوليه ان التفريق جائز لان القراءة الشاذة لا تعتبر لانها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن النبي صلعم ان رجلا قال له علي ايام من رمضان افيجزيني ان اقضيها متفرقات فقال له ارأيت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم فالدرهم اما كان يجزيك قال بلى قال فالله احق ان يعفو ويصفح واذا جاز هذا التفريق في صوم رمضان ففي غيره اولى والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مسئلة من صام ستة ايام عن يمينين اجزأه ولا حاجة الى تعيين احد الثلثين لان الواجب عن كل منهما ثلثة ايام وقد اتى بها فخرج عن العهدة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف وللتنبيه على ان الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعي واحمد لما روي ان النبي صلعم قال اني ما حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني

ثم اتى بالذي هو خير ولان الكفارة حق مالي يتعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود احد السببين كتعجيل الزكوة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير
الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير
به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب ان كان الحنث بارتكاب محظور كان حلف ان لا يشرب الخمر اجزاء التكفير قبل الشرب
ايضا لوجود السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير وبعده لا اثر لهما فيه هذا جميع ما
ذكرنا ظاهر مذهب الشافعي اما عند ابي حنيفة واصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا واحفظوا ايمانكم فلا تبذلوها ولا تكثروا منها او احفظوها اذا حلفتم
عن الحنث وعلى هذا يكون الايمان مختصة بالتي الحنث فيها معصية كمن حلف ان لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشربن فانه لا يؤمر بالحفظ عن الحنث
وقيل احفظوها بان تكفروها او المراد لا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان الشافي يبين لكم اياته احكامه واعلام شريعته لعلكم تشكرون
نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسلك
في سلك التحريم الانصاب والازلام وقد ذكرناهما في اول هذه السورة واعلم انه كانت تحادث قبل تحريم الخمر اشياء يكرهها رسول الله صلعم منها قصة علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روي في الصحيحين انه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلعم اعطاني شارفا من الخمس فلما
اردت ان ابني بفاطمة بنت رسول الله صلعم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل معي فناتي باذخر اردت ان ابيعه من الصواغين فاستعين به في وليمة
عرسي فبينا انا اجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت فاذا انا بشارفي قد اجتب
اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عيني حين رايت ذلك المنظر وقلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في البيت في شرب
من الانصار غنته قينة فقالت في غنائها الا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء واطعم من
شرائحها كبابا ملهوجة على رهج الصلاء فانت ابا عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء فوثب الى السيف فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما
قال علي عم فانطلقت حتى دخلت على النبي صلعم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلعم الذي لقيت فقال ما لك فقلت يا رسول الله صلعم ما رايت
كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلعم بردائه ثم انطلق يمشي واتبعته انا
وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه فاستاذن فاذن له فاذا هم شرب فطفق رسول الله صلعم يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول
الله صلعم ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال هل انتم الا عبيد لابي فعرف رسول الله صلعم انه ثمل فنكص على عقبيه القهقري فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب
الموجبة لنزول تحريم الخمر قالت العلماء هذه الاية تدل على تحريمهما من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر ومعناه ليست الخمر الا الرجس او عمل الشيطان
ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلعم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال في موضع اخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان واصل الرجس
العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي العقاب والغضب كانه ابدال الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد
ومن هدير البعير فلهذا اسمي العمل القوي للدرجة في القبح رجسا ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها انه
امر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب منه من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير في فاجتنبوه عائد الى الرجس او العمل
او الى المضاف المحذوف اي اجتنبوا تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنتجة منهما من التعادي والتباغض والصد عن ذكر الله وعن الصلوة
خصوصا وبيانه ان غرض الشرع من الاجتماع تاكد الالفة والمودة ثم انهما يورثان نقيض المقصود لان العقل اذا زال استولت الشهوة والغضب وتؤدي الى التنازع
والتجاج وكذا القمار يفضي الى افناء المال وما الى ان يقامر على حبيبة اهله وولده وكل ذلك يورث شدة العلية الحالية وكلاهما توجب الاشتغال عن اللذات
الحقيقية الحاصلة من الاستغراق في طاعة المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المؤمنين فقرنهما اولا بذكر الانصاب والازلام تنبيها
انهما جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك ثم افردهما لان الكلام مسوق لتحريمهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون ذينك ومنها سوق الكلام
بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا
ولهذا قالوا قد انتهينا يا رب فهموا التحريم المؤكد ومنها انه قال عقيب ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم
من الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك الباب ومنها تهديد من خالف هذا التكليف بقوله فان توليتم الاية والمراد ان اعرضتم فالحجة قد قامت
عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد اعذر من انذر وجزاء المخالف الى الله المنتقم عن انس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت ابي طلحة
وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال ابو طلحة اخرج فارقها فقالوا قتل فلان
وفلان وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الطعم خلاف الشرب في الاغلب وقد يقع على المشروب كقوله
ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز ان يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل ويشرب جميعا فقد يقول العرب طعام
ذق وتطير هذه الاية قوله في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اي لا ياثمون في ذلك اذا اتقوا المحرم
لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد انهم لو كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان وزعم بعض
الجهلة ان هذا الحكم متعلق بالمستقبل لا الماضي لم يكن او ما كان جناح مثل وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل معه العداوة

والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل حصل معه انواع المصالح من الطاعة والتقوى والاحسان الى الخلق والجواب ان صيغة طعموا وهي للمضي تأباه دافعه
ان سبب نزول الآية يكذبه روى ابو بكر الاصم انه لما نزل تحريم الخمر قال ابو بكر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر واكلوا القمار
وكيف بالغائبين عنا في البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل قد ثبت فيما يستقبل لكونه حق الغائبين الذين لم يبلغهم فالتكرير
ثم انه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفي الثالثة التقوى والاحسان فقال الاكثرون الاول على الاتقاء والثاني وامر البقاء
عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم وقيل الاول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول الآية والثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الآية والثالث اتقاء ما يحدث
تحريمه بعد هذه الآية وهذا قول الاصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الاول الاتقاء من القدح في صحة النسخ لان تحريم الخمر بعد ان كان
مباحا والثاني الاتيان بالعمل المطابق للآية والثالث المداومة على التقوى مع الاحسان الى الخلق ثم انه سبحانه شرع في بعض الفتن من المحللات فقال [illegible]
التوكيد القسمي ليبلونكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر (بشيء) التنوين للتحقير وفيه انه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها الاقدام كالابتلاء ببذل الارواح
والاموال فامتحن الله امة محمد بصيد البر كما امتحن اصحاب ايلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش
والطير يغشاهم في رحالهم فيقدرون على اخذها بالايدي وصيدها بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عن ذلك ابتلاء قال الواحدي الذي تناله
ايديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان او للتبعيض وهو صيد البر وصيد الاحرام والمراد
بالعلم العين لا الحدوث بل ليكون الضمير في تناله ليعلم الله ليظهر معلومه وهو خوف الخائف او ليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم او يتعلم [illegible]
ومحل بالغيب النصب على الحال اي يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته او عن حضور الناس فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم في الآخرة وقيل
في الدنيا عن ابن عباس هو ان يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه لا تقتلوا الصيد قال الشافعي انه البري المتوحش الماكول اللحم الاول فلقوله تعالى
بعد ذلك احل لكم صيد البحر واما المتوحش فيدخل فيه نحو الظبي وان صار مستأنسا ويخرج الانسي وان صار متوحشا ابقاء للحكم الاصلي واما كونه ماكولا
فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه انه مما يحل اكله في غير الاحرام وقال ابو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم انه لا يجب
الضمان في قتل الذئب وفي قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع المؤذيات لا سيما وقد جاء خمس يقتلن في
الحل والحرم الغراب والحداة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية زيادة السبع العادي واحتج لابي حنيفة بقول علي رضي الله عنه صيد الملوك
ارانب وثعالب فاذا ركبت فصيدي الابطال نعيب بانا الثعلب عنده ناحلال وانتم حرم اي محرمون بالحج والعمرة ايضا على الاصح وقيل قد دخلتم الحرم وقيل
هما مرادان بالآية وهو قول الشافعي فقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له ان يتعرض للصيد ما دام محرما او في الحرم بالسلاح ولا بالجوارح
من الكلاب الطيور سواء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من قرأ جزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه
جزاء صفته كذا ومن قرأ بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول اي فعليه ان يجزي مثل ما قتل فالعقل العلماء المثل مقحم للتاكيد والواجب عليه جزاء
المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم انا احب مثلك اي احبك وقيل الاضافة بمعنى من اي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن جبير المحرم اذا قتل الصيد خطأ لا
يلزمه شيء وهو قول داود ولان التقيد ورد على المتعمد وهو ان يقتله ذاكرا للاحرام وعالما ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى
صيدا وهو يظن انه ليس بصيد او رمى غير صيد فعدل السهم فاصاب صيدا فهو مخطئ لا شيء عليه لفقدان القيد المذكور وقد يتاكد هذا الرأي بقوله
ليذوق وبال امره وبقوله ومن عاد اي الى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام ايضا يناسب العمد لا الخطأ وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء
قتل عمدا او خطأ قياسا على سائر محظورات الاحرام كحلق الرأس وغيره وكما في ضمان مال المسلم فانه لما ثبت الحق للمالك لم يختلف ذلك بكونه
عمدا او لا وانما ورد في الآية بالتعمد لان العمد اصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه
برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت الآية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ قاله في الضبع
كبش اذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة اطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطأ ثم العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد الحـ
الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه ما لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال ابو حنيفة وابو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي
قوله من النعم فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمن وعبد الرحمن بن عوف و
ابن عباس وابن عمر انهم حكموا في امكنة مختلفة وازمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع
بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بحمل وفي [illegible] بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة ويعني به كل ما عب وهدر
كالقمري والدبسي والفاختة والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيع صوته وتغريده وفيه دليل على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد
من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلف باختلاف الاسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال الانثى والجفرة من اولاد المعز اذا انفصلت عن امها والعناق
الانثى من اولاد المعز ايضا المقصود من الضمان جبر الهلاك فكلما كانت المماثلة اتم كان الجبر اكمل مسائل الاولى جماعة محرمون قتلوا صيدا قال الشافعي
واحمد واسحق لا يجب عليهم الا جزاء واحد لان مثل الواحد واحد وقال ابو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم
جميعا وكذا لو حلف كل منهم ان لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة واجيب بان قتل الجماعة بالواحد تعبدي [illegible]

الاحكام الثانية الشافعي المحرم اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن لانه لا يجب بالدلالة لا كفارة القتل ولا الدية وكما لو دل على قتل المسلم وذلك لان الدلالة
ليست بقتل ولا اتلاف ابو حنيفة يضمن لما روي ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس اوجبوا الجزاء على الدال الثالثة الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص
من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الاسهل لانه قد لا يجد شريكا في ذبح شاة ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة
وقال داود لا ضمان الا بالقتل لظاهر الآية حيث علق الجزاء بالقتل فقط الرابعة اذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء آخر خلافا
لداود ويروى عن ابن عباس لنا ظاهر الآية ان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت واحدة مرتين فانه
لا يقع الا طلاق واحد لان تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة الخامسة
قال الشافعي اذا اصاب صيدا اعور او مكسور اليد او الرجل فداه بمثله والصحيح احب وكذا الكبير لاجل الصغير والذكر يفدى بالذكر والانثى بالانثى والاولى ان
لا يغير ليحصل المثلية والانثى افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه اطيب وصورته احسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس اي حكمان
صالحان فقيهان من اهل دينكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به ولهذا احتج من نصر قول ابي حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر واما
الخلقة والصورة فمشاهدة لا تفتقر الى الاجتهاد ورد بان وجوه المشابهة بين النعم والصيد ايضا يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر انه رمى
ظبيا في الاحرام فمات فسأل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى ذلك فاذهب فاهد شاة قال قبيصة
فخرجت الى صاحبي فقلت ان امير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال ففاجأني عمر وعلاني بالدرة وقال اتقتل في الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم
به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روي انه صلى الله عليه وسلم قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة
او التابعين ومن اهل عصر آخر من النعم انه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لان بحثهم ادق ونظرهم اعلى وقال مالك يجب
التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكم وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد حكما ان كان القتل عمدا عدوانا فلا لانه يورث الفسق والحكم موصوف بالعدالة
وان كان خطأ او كان مضطرا اليه فكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روي ان بعض الصحابة اوطأ فرسه ضبيا فسأل عمر فقال احكم
فيه فقال انت خير مني واعلم يا امير المؤمنين فقال عمر انما امرتك ان تحكم فيه ولم آمرك ان تزكيني فقال الرجل ارى فيه جديا فقال عمر فذلك فيه واتفقوا انه حق الله
فيجوز ان يكون من عليه مستوفيا كما ان رب المال امين في الزكوة ولو حكم عدلان بان له مثلا وآخران بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان
بمثل وآخران بمثل آخر فاصح الوجهين انه يتخير والاحوط انه يأخذ بالاغلظ قيل في الآية دلالة على ان العمل بالاجتهاد والقياس جائز واجيب بانه لا نزاع في
الفتوى الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في قيم المتلفات وارش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن
في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات شرع عام في حق جميع المكلفين باقيا على وجه الدهر والانصاف انه يجوز الاجتهاد في القبلة وفي تعيين مثل الصيد المقتول
امر كلي يعم وانتصب هديا على انه حال عن جزاء عند من وصفه بمثل لانه تخصص بالصفة او بدل عن محل مثل عند من اضاف او حال عن الضمير في به ووصف هديا
ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح في الحرم
لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة ولا في غاية القرب منها فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء حيا لم يجز قال الشافعي يجب عليه ان يتصدق
به في الحرم ايضا لان نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء ولانها لما وصلت الى الكعبة
فقد خرج عن العهدة قوله او كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين بيان له ومن اضاف فللتبيين ايضا اي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم فضة
او عدل ذلك الطعام صياما نصب على التمييز كقولك لي مثله رجلا وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه والعدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك اذا كان
غلاما يعدل غلاما فاذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي انه يصوم لكل مد يوما ومذهب ابي حنيفة انه يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك
بسبب الاختلاف في طعام مسكين واحد كما مر في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة انه يوجب قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي
تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل
مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي ان الصيد ضربان ما له مثل من النعم وما ليس كذلك والاول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله فيتصدق
به على مساكين الحرم اما بان يفرق اللحم او يملكهم جملته اياهم مذبوحا وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها
طعاما ويتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني وهو ما ليس له مثل كالعصافير ونحوها فالحكم كل
ما دون الحمام او فوقه فيه قيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن كل مد يوما فان انكسر مد في القسمين صام
يوما لان الصوم لا يتبعض فالجزاء في القسم الاول ثلاثة اركان الحيوان والطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام وهي ادلتها على التخيير
في ظاهر المذهب لا على الترتيب ووافق مالك وابو حنيفة لان او للتخيير غالبا وقال احمد وزفر انها في الآية للترتيب لان الواجب ههنا شرع على سبيل
التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على ان الخيار في تعيين هذه الثلثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر
الآية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالعبرة في القيمة بمحل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم
والمعتبر في الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالعبرة بقيمته بمكة يوم عدل به

محل الذبح لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم باكل الصيد سواء ذبحه بنفسه او اصطيد له او بدلالته لانه ليس بتام بعد الذبح ولا يؤول الى النماء فلا يتعلق بالانتفاع
الجزاء كما لو اتلف بيضه مذرة هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك واحمد يلزمه القيمة بعدما اكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الاكل
منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك واحمد وابو حنيفة لانه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة لمالكه وهل يحل له بعد زوال
الاحرام اظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم اذا ذبح اما قوله ليذوق فانه متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق ويحتمل ان يتعلق
بتعلق المحذوف اي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة فعله هو هتك حرمة الحرم والاحرام والتركيب يدل على الثقل من قولهم كلأ وبيل اذا كان مضرا وخامة وطعام
وبيل ثقيل على الطبع وعلى المعدة والامور الثلاثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث هو الصوم يثقل على البدن ايضا وكل منهما نوع عقوبة
عفى الله عما سلف في الجاهلية كانهم متعبدون بشرع من قبلهم او عما سلف قبل التحريم في الاسلام وعلى مذهب داود عفى الله عما سلف في المرة الاولى بسبب اداء
الجزاء ومن عاد فانه اعظم من ان يعفى بالجزاء فينتقم الله منه اي فهو ينتقم الله منه لاجل هذا دخل الفاء والجزاء لا يناط بنفسه احل لكم صيد البحر اي
مصيداته ويعني بالبحر جميع هذه المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلاثة اجناس الحيتان وجميع انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام وفيما سوى
هذين خلاف فقال ابو حنيفة حرام وقال ابن ابي ليلى والاكثرون حلال لقوله وطعامه فالعطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه يروى عن ابي بكر الصديق ان الصيد
ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر او نضب عنه الماء من غير معالجة في اخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للاكل وقد يكون لغيره
كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها واسنانها فالمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل
الماكول منه وعن سعيد بن جبير ان الصيد هو الطري والطعام هو القديد منه وفي التفسير ضعف قال الشافعي السمكة الطافية في البحر محللة لانه طعام البحر وقد
قال ثم احل لكم صيد البحر وطعامه وقال ان البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعا لكم في الحضر طريا وللسيارة في السفر مالحا وانتصب متاعا على انه مفعول
له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج انه مصدر مؤكد لان قوله احل لكم في معنى التمتيع وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال العلماء صيد البحر هو الذي
لا يعيش الا في الماء اما الذي لا يعيش الا في البر والذي يمكنه ان يعيش في البر تارة وفي البحر اخرى فذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء
كل ذلك من صيد البر يجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على ان المحرم يحرم عليه الصيد الذي اصطاده اما الذي اصطاده الحلال فعن علي وابن عباس وابن عمر وسعيد
بن جبير وطاوس والثوري واسحق ان الحكم كذلك لاطلاق الاية ولما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدي له حمار وحش وهو محرم فابى ان ياكله وقال مالك
والشافعي واحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم بشرطين لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى ابو داود في سننه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صيد البر لكم
حلال ما لم تصيدوه او يصاد لكم وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد انهم اجازوا للمحرم ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل عليه ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل
احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه لما روي عن ابي قتادة انه اصطاد حمار وحش وهو حلال في اصحاب محرمين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اشرتم هل اعنتم
فقالوا لا فقال هل بقي من لحمه شيء قالوا معنا رجله فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فاكلها وهذان القولان متفرعان على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال في الكشاف اخذ ابو حنيفة
بالمفهوم فكانه قيل وحرم عليكم ايها المحرمون ما صدتم في البر فيخرج عنه مصيد غيرهم ويرد عليه ان المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عن المعاصي
بقوله واتقوا الله الذي اليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد في الحرم وفي الاحرام فقال جعل الله اي حكم وبين بالخطاب
والتعريف او صير بخلق دواعي التعظيم في القلوب قياما للناس من هم العرب وجعل الجار ان اهل بلدة اذا قالوا الناس فعلوا كذا ارادوا اهل بلدهم فنطق القرآن
على مجرى عادتهم وبيان القيام ان قوام المعيشة اما بكثرة المنافع وقد جعل بحيث يجبى اليه ثمرات كل شيء واما بدفع المضار فقد صيره حرما آمنا واما بحصول
الجاه والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك بدعاء ابرهيم عليه السلام فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكها وشعائرها
اكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى وانتصب البيت الحرام على انه عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح اذ الكعبة وضح من ان توضح ويحتمل ان يراد بالناس عامة
الناس لانه يتم لهم امر حجهم وعمرتهم وتجاراتهم وانواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء ابن ابي رباح لو تركوا عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر
الشهر الحرام والهدي والقلائد تقدم في اول السورة وانما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم لانه اذا دخل الشهر الحرام كان يزول خوفهم ويقدرون
على الاسفار وتحصيل الاقوات لما يكفيهم طول السنة فلولا حرمة ذلك لهلكوا من الجوع واما الهدي فهو سبب لاكتساب الثواب من قبل مناسك الحج واما الهدي
فانه نسك للمهدي وقوام لمعايش الفقراء وكذا القلائد فكان من قلد الهدي او قلد نفسه من لحاء شجر الحرم لم يتعرض له احد وكل ذلك لان الله تعالى اوضع في قلوبهم
تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياما للناس ومن حفظ حرمة الاحرام والحرم مشروع لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
وذلك انه علم في الازل ان مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة وكان ذلك مما يفضي الى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم وجعل
المنفس كي يصير سببا للامان في بعض الامكنة وفي بعض الازمان فيستقيم مصالح الانسان ولا ريب ان مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح الا ممن يعلم الكائنات
واسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات باسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عللها ومعلولها موجودها ومعدومها وذلك قوله وان الله بكل شيء
عليم فما احسن هذا الترتيب ثم خوفهم واطمعهم بقوله اعلموا ان الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وان الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر
الوصفين في جانب الرحمة دليل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر ان الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فاذا بلغ خرج من العهدة
وبقي الامر من جانبكم وانه تعالى يعلم جهركم وسركم ومنه من ابو عبيد ما بينه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل حرم عليكم عبادة الاوثان

فقالوا لا

والطعن في الانساب لاولاد الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيها وبايعها واكل ثمنها فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله اني كنت رجلا كانت هذه تجارتي واقتنيت
من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا
الطيب فانزل الله عز وجل تصديقا لقول رسوله قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو عام في حرام الاموال وحلالها وفاسد الاعمال
وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها ورديء النفوس وجيدها واخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية واطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته
والبون بين الصنفين في العالم الروحاني ابعد مما بينهما في العالم الجسماني الا ان اثرهما في عالم الارواح ابقى وادوم واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث بالطيب
ولو اعجبك كثرة الخبيث لان كثرته في الحقيقة قلة ولذته في الآخرة ذلة ونفعه ضرر يعني صرف العمر في طلبه حيف لنا ويل لا تحرموا على انفسكم بالاستغراق
النفسانية طيبات ما احل الله لكم دون سائر المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله اجتهدوا في
طلب ما خصكم به الله من تجلي جماله وجلاله حلالا لا طيبا بحل منكم بربنا من سمات النقائص باللغو في ايمانكم ان تخلعوا بالاثر عن المبرم من ولاية النفوس
وكلاله العقول واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في اثناء المجاهدات واعواز المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عرضتم على الهجران وتعرضتم للخذلان
فكفارته اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة والباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم وهم القلب والسر والروح والخفي طعامهم الشوق والمحبة والصدق
والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف
والرجاء يشتغل الحواس العشرة بهذه الامور او يكسوهم لباس التقوى او تحرير رقبة النفس من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد امساك اليوم الماضي عما جرى
عليه في اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن العوائد ومن لغو اليمين عند ارباب اليقين ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق
يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه شيئا من اقباله ووصاله وذلك في بعض الرضا لغو وفي مذهب التسليم سهو ولكن حجته عفو فلا يؤاخذه به فاما العلم
بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة ابدا وصاله ويريد هجره فاريد ما يريده ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في غلبات الوجد
من تجديد العهد تاكيدا للعقد كقول بعضهم وحقك ما نظرت الى سواكا يعني مودة فهو اذا كان هذا ينافي التوحيد واين في الدار ديار كلا بل هو الله
الواحد القهار ليس على الذين آمنوا بالتقليد وعملوا الصالحات الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذا ما اتقوا الشبهة والاسراف وآمنوا
بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما سواه ومن تحليته بالاحوال المضادة لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل
والتسليم وما علاه ثم اتقوا شرك الانانية وآمنوا بالهوية ثم اتقوا هذا الشرك وهو الفناء في الفناء واحسنوا وهو البقاء بربا فانهم حبل الله البلاء لاهل الولاء
كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين آمنوا ايمان الحسبي الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال واحرموا بحج الوصول لعمرة الوصال ليبلونكم
الله في اثناء السلوك بشيء من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية الدنية تناله ايديكم يعني اللذات البدنية ورماحكم يعني اللذات الخيالية
فلم غلب لوقوا والعند لا تقتلوا الصيد وانتم حرم معتمين من احرم لزيارة كعبة الوصال بعقليته بقسم الاطماع من الحرام والحلال ومتعمد الى ما يقابلها في الالتفات الى
غيره من المضاد فمثل ما قتل من النعم يجازي بتقسم برياضة ومجاهدة بما ثل المهانة للذة ذوا عدل منكم هما القلب والروح يحكمان على مقدار الاسلام وعلى حسب
قوة السالك بتقليل الطعام والشراب وبذل المال وبترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة هذا الصانع عن الخلق لاجل الحق طعام
مساكين هم العقل والقلب والسر والروح والخفي كالنواحي فمن عن غذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على الكاو
والفطام عن المالوفات ومن الشكر والرضا وغير ذلك او عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار ليذوق النفس الامارة
وبال امره فان كل هذه الامور على خلاف طبعها وانتقام يلتقم من اجابته بنقاب الدلال عن اعدائه بحجاب الملام والملال احل لكم صيد البحر المعارف والحكم
تنتفعون بالواردات وتطعمون منها السائرين الى الله من اهل الارادات وصيد البر هو تحريم للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرما اي في حال المحو وفنا
الصحو جعل الله الكعبة الظاهرة قياما للعوام والخواص يستجيبون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص ولخواص الخواص يطوفون بها
بدوام الذكر ونفي الخواطر حتى تعلموا ان لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام ان يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو ايام الطلب حرام
على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية يساق الى كعبة القلب فلا تدار كان الشرعية فيذبح على عتبة القلب بسكين
آداب الطريقة عن شهواتها فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانوار ان الله ما في السموات وما في الارض شديد العقاب يسد الحجاب بغير الاحباب
غفور رحيم للصادقين في الطلب يفتح الابواب لا البلاغ بالقال يتلوا عليهم آياته وبالحال يزكيهم ما تبدون بتغيير اللسان وما تكتمون من تصديق الجنان
الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وفي ذلك كثرة والله اعلم قول الله عز وجل

ع يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل
ای گروه آنان که گرویده اید مپرسید از چیزهائی که اگر ظاهر شوند برشما بدگند شمارا و اگر بپرسید از آن هنگامی که فرو فرستاده شود
القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين
قرآن پیدا کرده شود شمارا درگذشت خدا از آن و خدا آمرزنده بردبارست پرسش کرد پرسیدند از آن گروهی پیش از شما پس صبح شدند بآن کافران از آن
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
قرار نداده است خدا از بحیره و نه سائبه و نه وصیله و نه حامی ولکن آنان که کافر شدند می افترا بندند برخدا دروغ را

واکثرهم

وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
و بیشتر ایشان درک نکنند و چون گفته شد بایشان که رو آرید بسوی آنچه فرستاد خدا و بسوی پیغمبر گفتند کس است ما را آنچه را که یافتیم
عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
براو پدران خود را آیا اگر بودند پدران ایشان بیخبران چیزی را و راه نیافتگان ای زمره آنان که گرویده اید نگاه دارید خودتان را
لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا
ضرر نمیرساند شما را آنکه گمراه شد اگر شما در راه آئید بسوی خدای بازگشت شماست همه پس خبر دهد شما را بآنچه که بودید که میکردید ای زمره آنان که گرویده اند
شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم
گواهی ضرورت در میان شما چون در رسد یکی از شما را مرگ در هنگام وصیت دو نفر از صاحبان عدل از شما یا دیگران از غیر شما اگر شما
ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري
سیر کردید در زمین پس در رسید شما را واهیه مرگ بازدارید آنها را پس از نماز پس سوگند یاد کنند بخدا اگر بشک ترديد که نگیریم
به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين فإن عثر على أنهما استحقا
بدن بهاء و اگرچه باشد صاحب خویشی و پنهان نداریم گواهی خدا را بدرستیکه ما آنگاه از گناهکارانیم پس اگر دیده شود که ایشان سزاوار شدند
إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
گناه را پس دو نفر دیگر بایستند در مقام اینها از آنان که مستحق شدند بر ایشان دو نفر اول پس سوگند خورند بخدا که هرآینه گواهی
أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا
راست‌تر است از گواهی آنها و درنگذشته ایم اگر آنگاه ما هرآینه از ستمکاران بودیم این نزدیکتر است که بیاورند گواهی بر روی آن یا بترسند
أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله ع
که رد کنند سوگندها پس از سوگند ایشان و بپرهیزید خدا را و گوش دارید و خدا هدایت نکند گروه فاسقان را در روزیکه گرد آرد خدا
الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر
پیغمبران را پس گوید که چه جواب داده اند شما را گویند که دانشی نیست ما را بدرستی که تو دانای پنهانهائی چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم یاد کن
نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب
نعمت مرا بر تو و بر مادرت چون قوت دادم ترا بروح القدس که گفتگو میکردی با مردم در گهواره و در موی و چون آموختم ترا کتاب
والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ
و حکمت و توریه و انجیل را و چون میساختی از گل مانند ترکیب مرغی بفرمان من پس میدمیدی در آن پس میگردید مرغی بفرمان من و شفا میدادی
الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال
کور مادرزاد و صاحب برص را بفرمان من و چون زنده میکردی مرده را بفرمان من و چون بازداشتم بنی اسرائیل را از تو چون آوردی آنها را گواهان پس گفتند
الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا
آنانکه کافر شدند از آنها که نیست این مگر جادوئی هویدا و چون رسانیدم بسوی حواریین که بگروید بمن و بفرستاده من گفتند گرویدیم
واشهد بأننا مسلمون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء
و گواه باش با آنکه ما تسلیم کنندگانیم چون گفتند حواریون ای عیسی پسر مریم آیا میتواند پروردگار تو که فرو فرستد بما خوان طعامی از آسمان
قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون حزب
گفت که بپرهیزید خدا را اگر هستید مومنان گفتند که میخواهیم که بخوریم از آن و محکم گردد دلهای ما و بدانیم که تو تصدیق کرده ای ما را و باشیم
عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
بر آن از گواهان گفت عیسی پسر مریم که خداوندا پروردگارا فرو فرست برما خوانی از آسمان که بوده باشد برای ما عید
لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد
از برای اول ما و آخر ما و آیتی از تو و روزی کن ما را و توئی بهترین روزی دهندگان گفت خدا که من میفرستم آنرا بر شما پس هر که کافر شود پس از آن
منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس ع
از شما پس من عذاب کنم او را عذابی که عذاب نکرده ام باحدی از جهانیان و چون گفت خدای ای عیسی پسر مریم آیا تو گفتی مردم را

وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ اللّٰهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ

و مادر مرا دو خدا از غیر خدای یگانه گفت منزهی تو تا چه شده بودم مرا که بگویم چیزی را که نیست مرا سزاوار اگر من گفته‌ام آنرا پس بدرستی که میدانی آنرا میدانی

مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا

آنچه را که در نفس منست و نمیدانم آنچه را که در نفس تست بدرستیکه توئی دانای پنهانها نگفتم من بایشان بجز آنچه فرمودی مرا بآن که بپرستید

اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ

خدا را که پروردگار منست و پروردگار شما و بودم بر ایشان گواه زمانی که من در ایشان بودم پس چون میرانیدی مرا بودی تو خود مواظب

عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ

بر ایشان و تو بر هر چیزی گواهی اگر عذاب کنی ایشانرا پس ایشان بندگان تواند و اگر بیامرزی ایشانرا پس بدرستی که توئی خود غالب

الْحَكِيمُ قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

داور گفت خدا این روزیست که سود بخشد راستگویانرا راستی ایشان مر ایشانراست بهشتها که روانست از زیر آن جویها

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ

جاویدانند در آن همیشه خوشنود است خدا از ایشان و راضی اند از خدا اینست بهرمندی بزرگ مر خدایراست پادشاهی آسمانها و زمین

وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ القراءة تنزل من الانزال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين الله بالمد روح وزيد عن يعقوب

و آنچه در آنهاست و او بر هر چیزی تواناست

بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين
جمع الاول بفتح الاخرين سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى في اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى الاحق الغيوب بكسر الغين حيث
كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشموني والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساحر وكذلك في هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتاء الخطاب
ربك بالنصب علي والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها
بالتشديد عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص لي ان بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع
الباقون بالرفع الوقوف تسؤكم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف تبد لكم ط عنها ط حليم كافرين ه ولا حام لا للاستدراك الكذب ط لا يعقلون ه باؤنا ط لا يهتدون
انفسكم ج لاحتمال الاستئناف والحال اي احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم تعملون ه مصيبة الموت ط قربى لا لان قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة
من قرأ الله بالمد الاثمين ه وما اعتدينا ز لظاهر ان والوصل اجوز لتعلق انا بقوله وما اعتدينا الظالمين ه ايمانهم ط لابتداء الامر واسمعوا ط الفاسقين
اجبتم لنا ط الغيوب ه والذلك لئلا يوهم انه ظرف لا ذكر بل عامله محذوف في التقدير واذكر اذ ايدتك وكهلا ج والانجيل ج باذني ج الموتى لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق
به اذ الاول ويمكن تعلق كل واحد بمحذوف آخر لتفصيل النعم مبين ه بين نوع الجزء برسولي ج لاحتمال ان قالوا استئناف وعامل اذا وحيث مسلمون ه من السماء ط
الاول مؤمنين ه الشاهدين ه آية منك ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين ه عليكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين ه من دون الله ط قال سبحانك
بحق قيل وهو ضعيف لان المكي لا يقسم بدون القسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمته ط نفسك ط الغيوب ه ربكم ج على ان الواو للاستئناف او الحال اي وقد كنت
فيهم ج لان عامل لما متأخر وفاء التعقيب يحملها عليهم ط لان الواو لا يحتمل الحال التعميم في كل شيء شهيد ه عبادك ج لابتداء الشرط مع الواو الحكيم ه صدقهم ط لاختلاف
الجملتين بلا عطف ابدا ط عنه ط العظيم ه وما فيهن ط قدير ه التفسير عن انس انهم سألوا رسول الله ﷺ فاكثروا المسئلة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء
ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس وقال سراقة بن
مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله ﷺ حتى اعاد مرتين او ثلثا فقال ويحك وما يؤمنك ان اقول
نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا
منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله ﷺ اين ابي فقال في النار ولما اشتد غضب رسول الله ﷺ قام عمر فقال رضينا
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانزل الله هذه الآية وهي عائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كانه قال ما آتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا
في غيره فلعله يجيبكم بما يشق عليكم وايضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات اخر كقوله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى تمام الآية وكان لبعض المسلمين ايضا ميل الى ظهورها فاضعوا ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم انكرت
استحق العقاب العاجل ويحتمل ان يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن اشياء مخفية
ان تبد لكم تسؤكم وللنحويين في منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه اصلها شيئاء على وزن حمراء فهو اسم جمع لشيء استثقلوا الهمزتين في آخره
فنقلوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنها لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء بناء على ان شيئا مخفف شيّء كما يقال هين وهيّن فيجمع على
افعلاء كنبي وانبياء لكنهم استثقلوا اجتماع الياءين والهمزتين فحذفوا اللام فبقي اشياء على افعاء وقال الكسائي وزنها افعال [illegible] الصرف لتشبيهها
بحمراء ولا يلزم منه منع صرف ابناء واسماء لان ما ثبت على خلاف الدليل لا يلزم اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الاشياء

دبما نادى

وبما تأدى الى ظهور احوال مكتومة يكره ظهورها وبما ترتب عليها من التكاليف شاقة صعبة قال الله سئل عن ابيه لو لم يأمن ان يلحق بغير ابيه فيفتضح والسائل الحج كاد
ان يوجبه وقد قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسئلته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم فما احل فاحلوه
وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله تعالى فاقبلوه وقال ابو ثعلبة ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء
فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم اشار بالمساءة على السؤال ذكر ان الابداء سيكون لان الوحي غير
منقطع فقال وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور والتكاليف فالحاصل انهم ان سئلوا عنها ابدت
لهم وان ابديت لهم سائتهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سئلوا عنها سائتهم وقيل السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فنهى عنه بقوله لا تسئلوا
والثاني السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسئلوا ورفع الحرج ويمكن
ان هذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسئول عنه في الجملة وقيل المعنى وان
تسئلوا عن تلك السؤالات هل هي جائزة ام لا تبد لكم والمراد بطلب الرخصة في السؤال ولا تم يسئل عفى الله عنها اي عما سلف من مسئلتكم واعضابكم
للرسول فلا تعودوا الى مثلها او المراد بالعفو انه تعالى ما اظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى للاشياء كان الجملة
الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسئلوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي خففت
عنكم باسقاطها قد سئلها يعني المسئلة التي دل عليها لا تسئلوا قوم من قبلكم سأل الناقة قوم صالح فعقروها وسئل الرؤية قوم موسى فصار وبالا
عليهم وسئل المائدة قوم عيسى عليه السلام فكفروا بها ويحتمل ان يعود الضمير في سئلها الى الاشياء فكانه قيل قد سئلوا عن احوال الاشياء والمتقدمين سئلوا عن
الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت الاسئلة لاختلاف العبارة الا ان كل واحد من القسمين يشتركان في ضعف هو الخوض في الفضول والشروع فيما
لا يعني فتوجه اللوم عليهما جميعا ولما منعهم عن ان يتكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم بذلك ولا
شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وبحر اذنه اذا شقها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن وكان آخرها
ذكرا شقوا اذن الناقة وامتنعوا من ركوبها وسيبوها لآلهتهم لا تنحر ولا يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى ولا ينتفع بها حتى لو لقيها المعيي لم يركبها تحرجا
واما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب حيث شاءت قال ابو عبيدة
كان الرجل اذا مرض او قدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرا فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هي ام البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشر ابطن كلهن
اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة امها
في انها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها
ابناء السبيل وقيل هي العبد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة فاذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت
ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم فالوصيلة بمعنى الموصلة كانها وصلت بغيرها ويجوز ان تكون بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها واما الحامي فيقال
حماه يحميه اذا حفظه قال السدي هو الفحل الذي يضرب في الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء
ولا مرعى الى ان يموت فان قيل اذا جاز اعتاق العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام فالجواب ان الانسان خلق لعبادة الله تعالى فاذا
ازيل الرق عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله اما النعم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها بمقتضى نفوت كما لها عليها وايضا الانسان
اذا اعتق قدر على تحصيل المنافع ودفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جذب الملايم ودفع المنافي في الاغلب فاعتاقها يفضي الى ضياعها فظهر الفرق
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي واصحابه كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام
ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه لقد رايته في النار يؤذي اهل النار بريح قصبه ويروى يجر قصبه
في النار هذا حال رؤسائهم واكثرهم لا يعقلون يعني العوام والاتباع ثم رد على اهل التقليد بقوله واذا قيل لهم الاية وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة نفي العقل
عنهم هنالك والعلم هيهنا مع نفي الاهتداء في الموضعين وفيه دليل على ان الاقتداء لا يجوز الا بالعالم المهتدي لابتناء قوله على الحجة والدليل لا على التقليد
والاهتداء قيل قال اهل البرهان العلم ابلغ درجة من العقل ولهذا يوصف الله تعالى بالعلم ولا يوصف بالعقل وكان دعواهم هيهنا ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا
فناسب ان ينفي عنهم العلم الذي هو ابلغ ثم ذكر ان هؤلاء الجهال مع ما تقدم من انواع المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء
منه بل اصروا على جهالاتهم وضلالاتهم فلا تبالوا بهم ايها المؤمنون فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه
يقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا يعدونهما الى المفعول كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وعندك عمرو فخذه وليس المراد في عليك انه
حرف جر مع مجرور متعلق بمحذوف وقيل الجار والمجرور معا منقول الى معنى الفعل نقل الاعلام ولهذا سمي اسم فعل فان قيل ظاهر الاية يوهم ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الاية لا تدل الا على ان المطيع لا يؤاخذ بذنب العاصي ولهذا خطب ابو بكر فقال انكم تقرؤن هذه الاية
وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن عبد الله بن المبارك ان هذه اكد اية
في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان معنى عليكم انفسكم احفظوها والزموا صلاحها بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره

ثم ان اجلها السوائم

العاصي والسيئات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك وقيل ان الآية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه او على عرضه او على ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين
فقد فر ومن فر من ثلاثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ ويؤكده ما روي في سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ من مجوس هجر الجزية
قال منافقو العرب عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركي اهل هجر
ما رد على مشركي العرب فانزل الله تعالى الآية اي لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من
الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الآية قرئت عنده فقال ان هذا في آخر الزمان ومثله ما روي عن ابي ثعلبة
الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون
مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس في قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس
ان تميما الداري واخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل
فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه اخفاه بين الامتعة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى اليهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء
من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقي المتاع الى اهله لما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم اي من التنازع والتشاجر وانما اضيفت الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم عند التنازع واذا حضر
ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم عند ظهور امارات الموت فكان وقتهما واحدا وهما متلازمان
وارتفع اثنان على انه قائم مقام الخبر اي شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف والتقدير شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفي قوله منكم
ومن غيركم قولان فعن الحسن والزهري وعليه جمهور الفقهاء ان منكم اي من اقاربكم ومن غيركم اي من الاجانب والمعنى ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من
اقاربكم فاستشهدوا على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم بحال الميت وارأف به وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن
جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم اي من اهل ملتكم ومن غيركم اي من كافر كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشعبي
مرض رجل من المسلمين في الغربة فلم يجد احدا من المسلمين يشهد على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعري وكانا ذميين
عليهما فاخبراه بالواقعة فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم فحلفهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا واجاز شهادتهما
والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب في منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد
بهما مشروطا بالسفر لجواز ذلك في الحضر ايضا بالاتفاق وبانه تعالى اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين في سبب النزول كانا
نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورة تبيح المحظورات كالتيمم والافطار واكل الميتة والمسلم اذا قرب اجله ولم يجد
مسلما ولو لم تقبل شهادة الكافر ضاع اكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون وعليه ودائع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النساء
فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين ان يجيبوا بان حذف المضاف غير عزيز وبان ذكر السفر ليس لاجل اشتراطه في قبول الشهادة
ولكن لاجل ان الغالب في السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان التحليف مشروط بالريبة وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه كان يحلف
الشاهد والراوي اذا اتهمهما وبان سبب النزول لا يلزم ان ينطبق على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قضية ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت في اول
الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في السفر غالبا ومما يصلح ان يكون مؤكدا لهذه الآية وان لم يجز ان يكون ناسخا لها عند من يرى ان المائدة من آخر القرآن نزولا
قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد والكذب اعظم من الفرية على الله
وعلى رسله وانما تقبل شهادة اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتشاما لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما مر اي توقفونهما وتصبرونهما استيثاقا
كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة قال ابن عباس من بعد صلوة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلوة العصر لان هذا
الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلف عديا وتميما فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر ولان جميع اهل الاديان
يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر
او بعد العصر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان تغلظ
في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت
المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعديد كما في القسامة واللعان او بزيادة الاسماء والصفات
وقال ابو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان او مكان ولا يخفى ان قول الشافعي اوفق للآية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى
ان ارتبتم اعتراض والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من نقسم له قريبا منا ارادوا ان هذه
عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا كقوله شهداء لله ولو على انفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم والمداهنة بينهم اكثر ولا نكتم شهادة الله

الى امر يحفظها ونعظيمها واذاً بها لنا اذاً لمن الآثمين اى اذا كتمناها كنا من الآثمين وتقل عن الشعبى انه وقف على قوله الله عز فجل شهادة ثم ابتدأ
الله بالمد على حذف حرف القسم نعويضا حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول الله لقد كان كذا والمعنى بالله
فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على امر لم يهجم عليه غيره وقيل منه العثار لان العاثر انما يعثر بشىء كان لا يراه والمعنى فان حصل
الاطلاع على انهما استحقا اثما وهو كناية عن الخيانة والحنث فى الحلف فآخران خبر مبتدأ محذوف او فاعل فعل محذوف وصفته مبتدأ محذوف
اى فالشاهدان او فليشهد او فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم قال فى الكشاف اى الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم
وهم اهل الميت وعشيرته وفى التفسير الكبير اى المال وانما وصفوا الى الميت بذلك لانه اخذ ما لهم وكل من اخذ ما لغيره فقد اخذ او ولذلك العيران يكون
تعلقه بذلك المال استعليا على تعلقه به لكنه يرفضى ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال اما رفع الاوليان على انهما خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل ومن الآخران فقيل هما الاوليان ويجوز ان يكون بدلا من الضمير فى يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفع باستحق اى من الذين استحق عليهم
انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال قال فى الكشاف والمعنى الاوليان الاقربان الى الميت والاوليان الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما او الاحقان باليمين اما على تقدير اليه وذلك عند الشافعى وكل من يرى رد اليمين على المدعى واما الانقلاب القضية عند من لا
يرى ذلك كابى حنيفة واصحابه فان من اقر لآخر بدين ثم ادعى انه قضاه حكم برد اليمين الى الذى ادعى الدين اولا لانه صار مدعى عليه انه قد استوفاه وفى هذه
القضية ادعى الوصيان ان الميت باع منهما الاناء والورثة انكروا فكان اليمين حقا لهم ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى انه نعت الذين استحق عليهم او
او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب فى الشهادة او التقدم فى الذكر فى قوله يا ايها الذين آمنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم
ذكرا قبل قوله او آخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل عليهم الاوليان فقد قال فى الكشاف فمعناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من
بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وفى التفسير الكبير ان الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما اولى
من غيرهما بسبب ان الميت عينهما للوصية ولما خانا فى مال الوصية صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان روى انه لما نزلت الآية الاولى صلى
رسول الله صلعم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهم لم يوجد منا خيانة فى هذا المال فخلى رسول الله صلعم
سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعوه فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فطلبوه منهما فقالا كنا قد اشتريناه فقالوا
الم نقل هل باع صاحبنا شيئا فقلتم لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر به فكتمناه فرفعوا القصة الى رسول الله صلعم فانزل الله ثم فان عثر الآية فقام
عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة فحلفا بالله بعد العصر لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا فى طلب هذا المال وفى نسبتهم الى الكذب والخيانة
فدفع رسول الله صلعم الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الدارى يقول بعدما اسلم صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس
انه بقيت تلك الواقعة مخفية الى ان اسلم تميم الدارى فقال حلفت كاذبا وانا وصاحبى بعنا الاناء بالف وقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه
خمسمائة اخرى ودفع الالف الى اولياء الميت ذلك الحكم الذى شرعناه والطريق الذى فحصناه اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اى كما هو في الواقع
او يخافوا ان ترد فى مثل هذه القضية ايمان على الورثة بعد ايمانهم وهذا تفسير من يرى رد اليمين واما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده ان تكر ايمان شهود
آخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل ان هذا الحكم يصير باعثا للشهود على اداء حق الشهادة للداعى والصارف واتقوا
الله فى الايمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرايعه واحكامه ومنه من الوعيد ما فيه قال
المفسرون هذه الآية فى غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وذكر الواحدى فى البسيط عن عمر بن الخطاب ان هذه الآية اعضل ما فى هذه السورة من
الاحكام ولهذا ذهب اكثر الفقهاء الى ان حكم هذه الآية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيمة وذكر بعض ما سيجرى هناك
من المخاطبات والعتاب جريا على عادته فى هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج
تقديره واتقوا الله يوم كذا لا على انه ظرف لانهم غير مأمورين بالتقوى فى ذلك اليوم ولكن على انه بدل الاشتمال من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا
لقوله لا يهدى اى لا يهديهم ... الى الجنة يوميئذ ومنصوبا باضمار اذكروا وظرفا لما يجئ بعده وهو قال وعلى هذين الوجهين تكون الآية منقطعة عما قبلها
وماذا منصوب باجبتم ... انتصاب المصدر على معنى اى اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بما اجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال
الموؤدة توبيخا للوائدتم ظاهر قوله لا علم لنا يدل على ان الانبياء لا يشهدون لاممهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
مشكل فقال جمع من المفسرين ان للقيمة زلازل واهوالا بحيث تزول العقول فالانبياء عند ما يشاهدون اكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت
اليهم عقولهم يشهدون للامم ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان اولياء الله لا خوف عليهم لان مواقف القيمة مختلفة ولان عدم
الخوف فى العاقبة لا ينافى الحيرة والدهشة اولا وقال آخرون المراد منه المبالغة فى توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود من السؤال كما يقول الواحد لغيره تقول
فى فلان فيقول انت اعلم به منى كانك قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار له لا نبياء ممن كذبوهم وعادوهم وقال ابن
عباس نفوا العلم عن نفسهم عند علام الغيوب بعلم ان علمهم هناك كلا علم وقيل المراد نفى العلم بخاتمة احوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم وانما
الامور بخواتيمها وقال فى التفسير الكبير ان الذى عرفوه منهم فى الدنيا كان مبنيا على ظاهر احوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا والحكم

اى مقاما لهم الاولين ح

طريق
دكن

في الآخرة منبئة على حقائق الامور وبواطنها فلهذا نفوا العلم فان الظن لا عبرة به في القيمة مع ان السكوت وتفويض الامر الى الاعلم الاعدل اقرب الى
الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم عند قوله انك اى انك الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على
النداء ثم عدد انواع نعمه على عيسى واحدة فواحدة تنبيها على انه عبد ليس باله وتوبيخا للملة من الامم واولى الامم بذلك النصارى المطاعنون
في ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذاك اذ قال الله او نصب باضمار اذكر او هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر
القول بلفظ الماضي دلالة على قرب القيمة حتى كانها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب اتيانه ثم امور على الحكاية كقول الرجل لصاحبه
كانك بنا قد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا ومحل يا عيسى مضموم على انه منادى مفرد معرفة او مفتوح لانه وصف بابن مضافا الى علم وهو المختار للتخفيف
وكثرة الاستعمال نعمتي عليك لم يجمع ووحد لانه مضاف يصلح للجنس وانما قال وعلى والدتك لان النعمة على الولد نعمة على ابويه ولان مكارم الاخلاق
دليل على الاعراق اذ ايدتك بدل من نعمتي اى قويتك بروح القدس اى بجبرئيل والقدس هو الله كانه اضافه الى نفسه تعظيما له او بالروح الطاهرة المقدسة
وقد تقدم في البقرة تكلم الناس حكاية حال ماضية في المهد وكهلا في انه تكلم في الحالين من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب الخط او جنس الكتب والحكمة
النظرية والعملية والتورية والانجيل بعضا للاحاطة بالاسرار الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ فيها الضمير للكاف لا للهيئة المضاف اليها لانها ليست
من خلقه ولا نفخ في شيء وكذا الضمير في فتكون والكاف مؤنث بحسب المعنى لدلالتها على الهيئة التي هي كهيئة الطير ومذكر في الظاهر فلهذا عاد الضمير اليه مذكرا
تارة كما في آل عمران ومؤنثا اخرى كما في هذه السورة وكرر باذني اى بتسهيلي ليعلم ان الكل باقدار الله وتمكينه واظهاره الخوارق على يديه والا فهو
عبد كساير عبيده واذ كففت يروى انه لما اظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله ثم رفعه الى السماء ان هذا الا سحر مبين من قرا بغير الف
اشار الى ما جاء به او الى انه ذو سحر فاطلق عليه الحدث مبالغة ومن قرا بالالف اشار الى الرجل واللام في البينات يحتمل ان يكون للجنس ويحتمل ان يراد بها
المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار في حقه ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن ان يراد بذلك تعداد النعم ايضا لان كل
ذي نعمة محسود فطعن الكفار فيه يدل على علو شانه وسمو مكانه واذ انت صدقتني من اقضى بهي الشهادة لي باني كامل ولا سيما حبه بهذه النعم الجسام والمنن
العظام كان يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان كانوا
انبياء فظاهر والا فالوحي بمعنى الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى وهذا ايضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول
عند الناس محبوبا في قلوبهم من اعظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام ليعلم انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل تستطيع ربك من قرا بالتاء
وبالنصب فقط والمراد هل تستطيع سؤال ربك اى هل تسئله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ومن قرا بالياء وبالرفع فمشكل لانه تعالى حكى عنهم انهم قالوا امنا
فكيف يتصور مع الايمان شك في اقتدار الله تعالى واجيب بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين ومنها انهم طلبوا مزيد الايقان والطمانينة ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها انهم ارادوا هل هو جائز في الحكمة ام لا وهذا على اصول المعتزلة من وجوب
رعاية الاصلح او ارادوا هل قضى بذلك وعلم وقوعه ام لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السدي ان السين زائدة وكذا التاء اى هل
يطيع ربك ومنها لعل المراد بالرب جبرئيل لانه كان يربيه ومنها ان المراد بالاستفهام التقرير كمن ياخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على اشباع هذا
يريد ان ذلك امر جلي لا يجوز للعاقل ان يشك فيه قال الزجاج المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك فكانها تميد بما عليها ولذلك لا تسمى مائدة الا اذا كان
عليها طعام فهي خوان وقال ابن الانباري هي من ماد اذا اعطاه كانها تعطي من تقدم اليه وقال ابو عبيدة هي بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية اى مرضية كان
صاحبها اعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجز فانه كالتحكم وفي اقتراح معجزة بعد ظهور معجزات كثيرة تعنت او امرهم بالتقوى ليتوسلوا بها
الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاجاب الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزة لمجردها بل لكثير فيها نريد ان ناكل منها فان الجوع
قد غلب علينا ولا نجد طعاما اخر فقد يروى انهم سالوها في مفازة على غير ماء ولا طعام وان نعلم يقينا وعرفانا وتطمئن قلوبنا فان التي شاهدناها من
معجزات ارضية وهذه سماوية فيكون اعجب واغرب ان نعلم صدقك في دعوى النبوة او مما وعدتنا وذلك انه كان قال لهم صوموا ثلثين يوما فاذا تم صومكم
فكلما سالتموه الله تعالى فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله تعالى بالكمال ولك
بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة او استيناف وقرئ بالجزم جوابا للامر كان نزولها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود
البال ووقته معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اى لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا او ياكل
منها اخر الناس كما ياكل اولهم او للمقدمين منا والاتباع وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق وانزل علينا
انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله واية منك
اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة الى حظ حصة النفس فالحواريون قدموا غرض النفس واخروا الاغراض
الدينية وان عيسى بدا بالاشرف حتى انتهى الى الاخس ثم قال وانت خير الرازقين وهو عروج مرة اخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس
الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من اهل الكمال والاشراق بعميم فضلك وجسيم طولك منزلها بالتخفيف من الانزال وقيل بالتشديد
للتكثير وبالتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذبه احدا قال ابن عباس يريد مسخهم خنازير وقيل قردة وخنازير وقيل جنسا من العذاب لا يكون لاحد في الاخرة وعذابا

فان لم يكن عليها طعام

ضب على المصدر اي تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء في الموضعين فقيل اعذبه بعذاب لا اعذب به احدا او
اراد بالعالمين عالمي زمانهم واختلف ان عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه او سألها لقومه وان كان اضافها الى نفسه في الظاهر وكلاهما محتمل اما نزولها
فقد قال مجاهد والحسن ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها واكدوا هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا
لاولهم واخرهم فلو نزلت لبقي العيد الى يوم القيمة وقال جمهور المفسرين انما نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله اني منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان
عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم روي ان عيسى لما اراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها
واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم
ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله
فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل ان عيسى كان شرط عليهم ان لا يخونوا في الاكل ولا يدخروا فعصوا فمسخوا واذ قال الله معطوف على مثله
والصحيح ان هذا القول ايضا يوم القيمة عقيب قوله هذا يوم ينفع وقيل هذا عند رفع عيسى عليه السلام نظرا الى ان اذ للماضي وظاهر توجيه ذلك أانت قلت استفهام
الانكار والغرض منه توبيخ النصارى قال بعض المتشككين ان احدا من النصارى لم يذهب الى القول بالهية عيسى وامه مع القول بنفي الهية الله تعالى واجيب بان
الاله هو الخالق وانهم يعتقدون ان خالق المعجزات والكرامات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم وليس لقدرة الله سبحانه في ذلك مدخل فبهذا التأويل
صح ما حكي عنهم واقول يشبه ان يكون المراد بقوله من دون الله اي بعد الله فيكون التوبيخ على التثليث والمراد انه لما دل البرهان على نفي تعدد الاله فمن قال
بالهية عيسى وامه لزمه القول بنفي المعبود الحق ثم عن ذلك لهذا قال عيسى سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ثم لم يجب باني قلت وما قلت لان ذلك
يجري مجرى الطهارة والتنزيه بل اجاب بقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي لا يحق لي ان اقوله اظهارا لغاية الخضوع والاستكانة ثم فوض الامر
الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وذكر النفس
ثانيا لاجل المشاكلة وانه من فصيح الكلام او تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي او تعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك او تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل
عبارات المفسرين ثم اكد ما ذكر بقوله انك انت علام الغيوب ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول او فعل الامر ولا وجه
لكليهما اما فعل القول فيحكى بعده الكلام بلا ان فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا ان يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما امرتني بقوله فيكون كقولك
الصريح القول المقدر كالفعل المأول بالقول في عدم الظهور حتى يجوز توسيطان واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسر باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا
الله ربي وربكم وان جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بدلا من ما امرتني والمبدل في حكم المنحى كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم
لان العبادة لا يقال وان جعلته بدلا من الهاء في به لم يصح ايضا لان يؤول المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا ما امرتني بان اعبدوا الله فيبقى الموصول بلا عائد فالت
الوجيه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم الا انه وضع القول موضع الامر رعاية
للادب كيلا يجعل نفسه وربه امرين ودل على الاصل بذكر ان المفسرة قال في الكشاف ويجوز ان يكون ان مصدرية عطف بيان للهاء لا بدلا ويبقى العائد بحاله وكنت
عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من التدين بما يوجب التكفير ما دمت فيهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كنت انت الرقيب عليهم
المراقب لاحوالهم وانت افضل وانت على كل شيء شهيد من الشهادة او من الشهود الحضور وان تغفر لهم فيه سؤال وهو انه كيف جاز لعيسى هذا القول والله تعالى لا
يغفر الشرك والجواب ان قوله لعيسى أأنت قلت للناس ينبئ عن ان قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكي لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا
فقط ولو سلم انه شرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان العقاب حق الله على المذنب وليس في اسقاطه على الله مضرة بل كلما كان
الجرم اعظم كان العفو احسن الا ان الدليل السمعي في شرعنا دل على انه لا يكون فلعل هذا الدليل السمعي لم يكن موجودا في شرع عيسى ولعل عيسى جوز ان يكون
بعضهم قد تاب عنه اما من زعم ان هذه المناظرة والمحاورة انما كانت عند رفعه الى السماء فلا اشكال اصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك
فلك ذلك وان اخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك انت العزيز القادر على ما تريد الحكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لاحد
عليك وفي مصحف عبد الله فانك انت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمته والمقام مقام هذا
لا ذاك وعن بعضهم ان ذكر الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة اما العزة والحكمة فلا يوجبان الا التعالي عن جميع جهات الاستحقاق فحصول المغفرة
بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة يكون ادل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلماء في الاية نوع شفاعة من عيسى لقومه [illegible]
فلان يليق ذلك من محمد لقومه اولى هذا يوم ينفع من قرأ بالرفع فظاهر وانه في تقدير الاضافة اي هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرأ بالنصب فاما على انه
ظرف قال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر اي هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع في هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت قال الفراء يوم اضيف الى [illegible]

وصريح القول المقدر مع

بنى على الفتح كأنى بوسند وخطاه البصريون وقالوا انما يبنى الظرف اذا اضيف الى المبنى كالماضى فى قول النابغة على حين عاتبت المشيب على الصبى ومثال الاول فى قوله تعالى يوم لا تملك واجمعوا على ان هذا اليوم يوم القيمة والمراد ان صدقهم فى الدنيا ينفعهم فى القيمة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا فى الدنيا وفى الآخرة فنفعه صدقه وفى هذا الكلام تشديد لمن اتخذه ثم لعيسى فى قوله ما قلت لهم الا ما امرتنى به رضى الله عنهم ورضوا عنه هما مثلا ذلك لان رضى الله عن العبد دعائه وظائف العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان نسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار فيكون اداة مغموة فى ارادته ذلك الفوز العظيم اشارة الى جميع المذكورات او الى الجزاء الاشرف الاوفى وهو الرضوان وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون دالا على العموم ولينبه على ان عقول ذوى العقول وعلوم ذوى الالباب العلوم بالنسبة الى علمه كلا علم وانما هم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله اوفوا بالعقود وهو الشريعة والبداية وختم السورة بهذه الآية الدالة على فناء الكل تحت جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق وايضا فى السورة بيان الشرايع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك الجميع لممكنات الكائنات موجد لجميع الارواح والاجساد فيصح التكليف على اى وجه اراد وليكون ردا على اليهود بحكم المالكية فى نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد وليكون ردا على النصارى فى ان عيسى ومريم داخلان فى المخلوقات موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية الا هذا وايضا لما اخبر عن فناء وجودهم المجازى لم يبق هناك مجيب فاجاب بنفسه لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل فى هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه والله اعلم باسرار كتابه التأويل اخبر عن كثرة السؤال انما يورث الملال وذلك ان علوم القال عن علوم الحال صنف الاول يجد فيه السؤال والثانى يذم فيه ذلك اذ يحصل بالعيان الا بالبرهان كما كان حال الانبياء مع الله وكذلك نرى ابراهيم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال ارنا الاشياء كما هى وقال الخضر لموسى فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء وقال موسى فى الثالثة ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى فان تعلم العلم اللدنى بالحال فى الصحبة والمتابعة والتسليم وفى السؤال الانقطاع عن الصحبة وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن اى ان كان لابد لكم من السؤال عن خفايق فاسألوا عنها بعد نزول القرآن عن القرآن يخبركم عن خفايقها على قدر عقولكم والله غفور لمن تاب من طلب علوم الحقايق بالقال حليم لمن يطلب بالحال عفى الله عنه فى اثناء الطلب سؤال قد سألها قوم من قبلكم كقدماء الفلاسفة اعرضوا عن متابعة الانبياء واتبعوا على مجرد العقل والقال فوقعوا فى اودية الشبهات والضلال ما جعل الله من بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الجبلة بنوا القلندرية يشعون انهم وذكرهم ويجعلون فيها حلق الحديد يحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين يضربون فى الارض خليعى العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون انهم اهل الحقيقة ولا وصيلة هم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرفضون صحبة الاثار ولا حام هو العناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن انه يبلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله من الاحكام والى الرسول لمتابعته قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اى مشايخنا واهل صحبتنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اى اشتغلوا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغير لا يضركم الظالم سبحانه اذا نسبت مرجعكم هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فللطالبين بجذبات العناية وللمضلين بسلاسل القهر بالنكاية اذا حضر احدكم الموت اى النفس تموت عن صفاتها الذميمة بالرياضة والمجاهدة فتوصى بصفاتها لورثتها وهم القلب وصفاته والوصيان اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات او آخران من غيركم هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر يشهدان الحق وان كان على ذى قرباهم من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم فى الارض اى سافرتم فى السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اى فتصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم فى شك من الروحانيات من بعد الصلوة من بعد حضورها مع الله وتوجهها الى الحق ومراقبتها فيقسمان على الشاهدين بالقسم والتخويف بالله ان يؤديا شهادة الحق وبعد فنان ذهن النفس وهى صفاتها الى ورثتها وهم القلب صفاتها ولا يصرف هنا فى شىء من السفليات فان كل حلو اذا استعملته النفس فى طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب فى طلب العلوم والكمالات صار ممدوحا فان عثر على انهما استحقا اثما بان مالا الى حظوظ الخطوط السفلية فآخران من صفات القلب هما التذكر والفكر الصائب ينظران فى عواقب الامور ويشهدان على دار الآخرة خير من الدنيا وان الباقى خير من الفانى كشهادة شاهد الحق من شاهديهما لان الوهم والخيال مالا الى الحظوظ بحكم الحقوق والتذكر والتفكر مالا الى حفظ الحقوق بترك الحظوظ ان يأتوا بالشهادة على وجهها اى العقل والسر بالبيان فى بدء الامر باستعمال صفات النفس لتحصيل الآخرة او يخافان عواقب الامور بان يشددا على انفسهم بالاستعمال فيضيع الزمان فيما لا يستعمل ثم بالتفكر والتذكر فى الامر الى الوجوب غاية الخصوص فيما جاء الى كثرة الرياضة ماذا اجبتم قالوا ذلهم مستغرقون فى بحر الشهود لا علم لنا اى بمواطن الامور وخفاياها وخفايا الحوادث التى فى عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب ذلك التغاير فى عالم الاشباح امثال بعض الحواريين المقلدين فى الايمان قالوا يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل الابدع مع نبيهم حيث لم يقولوا يا رسول الله وقالوا يا روح الله لانه حيث شكوا فى كمال قدرته ثم اظهروا دناءة همتهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى مرة طلبوا مائدة جسمانية لا فائدة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مائدة الاسرار والحقايق من سماء العناية عليها المعمر الهداية تكون لنا اى لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لاولنا الاولى تقاسينا واخرنا فانا اهل الحق نقرأون الانفاس لحظة مع الله ونهوى مع الله وآية منك لان الكرامة ... ومن يكفر بعد منكم بان لا يقوم بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فانى اعذبه من المراتب الروحانية الى المهالك الجسمانية وهو السخط فى يوم القيمة لمن عتب على صفاتهم الى ما نزلوا عليها كما قال كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون

لان مصدريته فاذا استعمله القلب صار ممدوحا وكذا العكس وان استعملته النفس

عليه أأنت قلت للناس الخطاب مع الامة الامين سنة سبحانه ان لا يكلم الكفار ويكلم عيسى بدلا منهم او المراد بالقول امر التكوين فالمعنى أأنت خلقت
فيهم ايجادك وامك الهين ام انا خلقت ذلك فيهم خلا لا نالهم انك انت علام الغيوب لعيب طلغاب عن الخلق ويحتمل ان يستعلم الخلق وغيب
الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم ان يعلموه والله حسبي
ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

سورة الانعام مائة وثنتان وعشرون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خدای بخشاینده مهربان

ع الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

سپاس مر خدای راست آنکه آفرید آسمانها و زمین را و آفرید تاریکیها و روشنی را پس آنها که کافر شدند به پروردگار شان عدول میکنند

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله في السموات

اوست آنکه آفرید شما را از گل پس حکم فرمود مدتی را و مدتی نامیده در نزد اوست پس شما شک میکنید و هم اوست خداوند در آسمانها

وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من اية من ايات ربهم

و در زمین میداند پنهان شما و آشکار شما را و میداند آنچه را کسب کرده اید و نیامد ایشان را از آیتی از آیات پروردگار ایشان

الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون

مگر آنکه بودند از آن روگردانان پس بتحقیق تکذیب کردند حق را چون آمد ایشان را پس زود است که بیاید ایشان را خبرهای آنچه که بودند بآن استهزا میکردند

الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم

آیا ندیدند که چه قدر هلاک کردیم از پیش ایشان از زمانها که جای دادیم ایشان را در زمین آنچه جای ندادیم شما را و فرو فرستادیم از آسمان بر ایشان

مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم

باران را و قرار دادیم نهرها که روان بود از زیر ایشان پس نابود کردیم ایشانرا بگناه ایشان و ایجاد کردیم از پس ایشان

قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا

قرنهای دیگر را و اگر فرستادیم بر تو کتابی در کاغذی پس بپرمیدند آنرا بدستهای خود هر آینه گفتند آنان که کافر شدند نیست این

الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون

مگر جادوئی هویدا و گفتند که چرا فرو نیامد براو فرشته و اگر چنانچه فرستادیم فرشته را هر آینه حکم رسیده بود پس مهلت نمی یابند

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك

و اگر آن را میکردیم فرشته هر آینه میگردانیدیم او را مردی و هر آینه مشتبه میکردیم برایشان آنچه مشتبه میکنند و بدرستی که استهزا نموده شد به پیغمبران از پیش تو

ع فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة

پس احاطه کرد بآنها که سخریه کردند از ایشان آنچه که بودند بآن استهزاء میکردند بگو که سیر کنید در زمین پس بنگرید که چگونه بوده است عاقبت

المكذبين القراءة ممّا نا يعبرهم حيث كان ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف ولقد استهزئ وبابه بالهمز

تکذیب کنندگان ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرا يزيد والشموني وحمزة في الوقف بغير همز الباقون بغير همز فحاق بالامالة حيث كان حمزة

الوقوف والنور لا لان ثم لترتيب الاخبار يعدلون ج اجلا لا تمترون ج وفي الارض ط لا وقف بتبصر التقليد وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض

دون بعد بل المعنى وهو المستحق للعبودية في اهل السموات واهل الارض تكسبون معرضين لما جاءهم ط للابتداء بالتهديد يستهزءون مدرارا والعطف

آخرين سحر مبين عليه ملك ط لا ينظرون يلبسون يستهزءون المكذبين التفسير عن ابن عباس ان رسول الله ص قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزلت معه من الملائكة

سبعون الف ملك قفلا واما بين الاخشبين فدعا رسول الله ص الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى آيات معدودات وعن انس ان رسول الله ص قال لقد بعث

بها الى جبرئيل مع خمسين الف ملك او خمسين الف ملك يحفونها حتى اقروها في صدري كما يقرأها في الحوض ولقد اعزني الله واياكم بها عزا لا يذلنا بعدها ابدا

فيها دحض حجج المشركين وعدة من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ولنزولها جملة ذهب علماء الكلام الى ان علم الاصول

مع جلالته يجب تعلمه على الفور لا على التراخي بخلاف الاحكام فانها نزلت كفاء المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذكور

في اوائل سور خمس واختص كل منها بصفة لكن اعمها واصلها فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور

تفاصيل لهذه الجملة اثنى الله سبحانه على نفسه بقوله الحمد لله الذي خلق السموات والثناء على النفس قبيح في الشاهد ففيه دليل على انه لا يمكن قياس الحق على

الخلق فكما انه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد عليه والتحقيق فيه انه انما يستقبح المدح بحسب الفضيلة والكمال في الموجود الممكن فيه نقص

كما الا وهي مشوبة بالنقص والاختلال ودناءة الامور في افق الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا يتصور فيه الاستعلاء

هو ولان يثنى الا عليه ولان يشكر ويحمد الا الاله ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف
سما على انه معرفة وانما الذي ذكرناها وقد تقدم في الاسماء ان معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض
حسب علمه الازلي قال بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعيين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر
لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد
الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجيء تقرير ذلك في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين وان تخصيص حجم
فلك بمقدار معين وتخصيص كل من اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد
معين من السرعة والبطوء وبجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وايضا ان الحركة كل فلك اولا لان حقيقة الحركة
انتقال من حالة الى حالة فيقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافي المسبوقية بالغير وعدم الاولية ينافي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل
حركة اول فاختصاص ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اختصاص بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوي الكل
في تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما ثبت في الكلام فحصول هذا العالم في حيزه الذي حصل فيه دون سائر الاحياز امر ممكن يحتاج
الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا في ذوات هذه الاجرام اما اذا اعتبرنا منافعها وكيفية تاثير الاثيريات وهي الاباء في
العنصريات وهي الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير دبرتها على
احسن ترتيب الممكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشأ ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم
يقل وخلق لانه اراد التضمين اعني انشاء شيء من شيء كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحد منهما تولد من الاخر وقيل
لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل ظلمة ووحد النور لان النار واحدة هو منها والظلمة والنور
ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل في الاطلاق الحقيقة والقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس الظلمة ظلمة الشرك والنفاق
والنور نور الاسلام واليقين فعلى الاول انما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا
وتلك المراتب كثيرة او لانه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم
المحدثات سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور او شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الخبر ان
الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد
على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم
هم يعدلون اي يسوون به ما لا يقدر على شيء من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثاني هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم انتم
تراخي الرتبة واستبعاد مضمون الجملتين احدهما عن الاخرى دليل اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي من ادم
لانه مخلوق من الطين او خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا ريب ان خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم توليد
النطفة المتشابهة الاجزاء عن تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام
والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت
الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحياة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يرد بمعنى
بمعنى الحكم والامر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع
سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والانسب ههنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التاخير ومنه
نقيض العاجل ثم انه صريح الاية يدل على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم الاول اجال الماضين لانهم لما ماتوا صارت اجالهم معلومة والثاني
اجال الباقين لانها غير معلومة بعد انما هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثاني اجل القيامة لانه لا اخر له ولا يعلم احد كيفية
الحال في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثاني ما بقي
من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعي الذي يمكن بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي مصونا عن الافات الخارجية والثاني
الاجل الاخترامي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى مسمى اي مذكور
اسمه في اللوح المحفوظ او عنده اي في حكمه وعلمه كما يقول هذه المسألة عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا وارتفع اجل بالابتداء وجاز ذلك مع معنى
تنكيره لمكان وصفه فقارب المعرفة ولتمام يقول وعنده اجل مسمى تعظيما لشان هذا الاجل فكانه قيل واي اجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى ثم
استبعاد الامتراء عن مثل هذه الحجة الباهرة الموجبة للتيقن في امر المبدأ والمعاد ثم بين انه سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا
يمكنه تمييز المطيع من العاصي ولا تمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو فقال وهو الله في السموات في نعت المجسمة هذا ونحو قوله ءامنتم من في السماء الله سبحانه
منزه

مستقر في الشاذ لو ادنوكد وقف بعض القراء على السموات الابتداء بقوله وفي الأرض يعلم اي يعلم سركم وجهركم الموجود في الارض ولو سلم لن لا وقف فالاجماع
حاصل على انه ليس موجودا في الارض ولا يلزم من ترك العمل باحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الآخر من غير دليل ونوقض بانه تعالى لله ما في السموات فلو كان هو في
السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شئ قدير وبانه اما ان يكون في سماء واحد هو العرش او الظاهر
في جميع السموات وهو يقتضى كونه ذا اجزاء او حصول المتحيز الواحد في مكانين وكلاهما محال والحق انه لا يلزم من استحالة المكان الا استحالة التجسم والتحيز وهو قريب فيهم
وبانه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بمقدار معين لتخصيص مخصص فيكون محدثا ورد عليه بانه لا
ان يكون في السموات وفوقها الى غير النهاية هو لا يتناهى الا بسماء عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان في السموات فان لم يقدر على عالم آخر فوقها
لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل الحصل تحت ذلك العالم والقول ينكرون كونه تحت العالم والاعتراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال غيره الجسم المراد وهو الله في
تدبير السموات والارض كما يقال فلان في امر كذا اي في تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون في السموات اجزاء بعلمه ويوقف على اسم الله ثم يبتدأ بما بعده وهو الذي يقال له
الله فيهما لا شريك له في هذا الاسم والسر من صفات القلوب هي الدواعي والصوارف والجهر من اعمال الجوارح لان الاول متقدم على الثاني طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة
خبر قوله يعلم سركم وجهركم مقررة لما قبلها او خبر ثالث او كلام مبتدأ ويعلم ما تكسبون الكسب الاعمال السرية والجهرية لانه الفعل المفضي الى اجتلاب نفع او
اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب وافراد الاخص بالذكر بعد الاعم المتقرر في التاكيد ويكون انه مهم حسن لا يلزم منه عطف الشئ على نفسه والمراد انه
عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب وعقاب ثم لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع في النبوات فرتب احوال الكفار مع الانبياء في ثلث مراتب الاولى
كونهم معرضين عن التامل في الدلائل وذلك قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد وما يظهر لهم دليل قط
من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم الثانية كونهم مكذبين وهذه شر مما قبلها لان الاعراض
قد يكون للغفلة لا للتكذيب اذا كذب فقد اعرض وزاد قال علماء المعاني ههنا حذف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما
هو اعظم آية وهو الحق قال ابن عباس هو انشقاق القمر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عنه وقيل محمد
وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء
كان غاية في الغواية وذلك قوله فسوف يأتيهم انباء ما كانوا اي اخبار الشئ الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس
المراد نفس الانباء بل العذاب الذي انباء الله تعالى به كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحكيم اذا توعد فربما قال ستعرف نبأ هذا اذا نزل بك العذاب وذلك
ان الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الآية سيعلمون باي شئ استهزؤا وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند
نزول العقاب بهم في الدنيا كيوم بدر وغيره او في الآخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة و
النصيحة بتذكير احوال الامم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان قيل على الاكثر
ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى
القرن وليس المراد ان يصدق الكفار محمدا في هذه الاخبار لانهم يصدقون التكذيب فكيف يؤمنون بها وانما المراد ان ما يخص المتقدمين منهم قد شهد بين
الناس فيبعد ان يقال انهم ما سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلثة اوصاف الاول تمكينهم في الارض يكون
في الارض جعل لهم مكانا ومكنه فيها اثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الآية والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في
والسعة في الاموال واسباب الدنيا الثاني ارسال السماء عليهم يعني الغيث والسحاب والخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار الكثير الدر ودر اللبن
اذا اقبل على الحالب منه شئ كثير ومدرار يعني المطر ويقال ايضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث
الثالث وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت امكنتهم والمراد انهم اصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم دائما
يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين ايضا قلنا لدفع هذا الاشكال ذكر فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي والآثام لا يكون الا
بالعذاب لا بالآلام ثم نبه بقوله وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين على كمال عزته واستغنائه ونهاية قدرته واستيلائه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد فالبلاد بلاده والعباد عبيده التخريب والتعمير والاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف منهم من
بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومناه لا على قانون الحجر والعدل فيمنعه ذلك عن التزام التكاليف وهم المذكورون في الآية وفيه
ان لذات الدنيا ذاهبة وعذاب الكفر باق وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء
وجعلها من قبيل السحر الذي لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة واحدة
فرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره
منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فلذلك يقدح على انه من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم يكن عصمة الملائكة معلومة فيجوز ان يكون
نزول ذلك من قبل بعض الجن والشياطين او من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الآية
ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا لمسوه بايديهم يقوى الادراك البصري بالادراك اللمسي وبلغ الغاية في الظهور ثم ان هؤلاء يبقون شاكين في ذلك

نلك
ويكون المعنى
انه يعلم في السموات
والارض سر الملائكة
والانس والجن او المراد وهو
المعبود فيهما او المعروف
بالالهية المتوحد
فيهما

موجودا لاوذلك يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي في الاية دليل على وجوب اللطف لانه بين انه انما لم ينزل هذا الكتاب من حيث انه لو انزله لقالوا هذا القول فيفهم منه انهم لو قبلوه وامنوا به لانزله لا محالة وزيف بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد ص والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله قالوا لولا انزل عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر اية باهرة وحينئذ فان لم يؤمنوا يجب اهلاكهم بعذاب الاستيصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك [illegible] لان رسول الله صلى الله عليه واله لما راى جبرئيل على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كاضياف ابرهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وان جبرئيل تمثل لمريم بشرا سويا وفائدة ثم ان عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة افظع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد ص من جهة اخرى وهي انه بشر مثلهم ويقولون لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة ان الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم اكثر وقدرتهم اشد ومهابتهم اعظم وامتيازهم عن الخلق اكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم اختار ما هو اسرع افضاء الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه رجلا لان انزال الملك اية ظاهرة جارية مجرى الالجاء وازالة الاختيار وذلك مناف لغرض التكليف ولان الجنس الى الجنس اميل ولان البشر لا يطيقون رؤية الملك ولان طاعات الملك كثيرة فيحقرون طاعات البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصي فلا يصيرون معهم ولان انزال الملك يقوي الشبهة من وجه اخر وذلك ان اي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة لفعلنا مثل ما فعلت ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك في صورة البشر كان فعلنا نظير فعلهم في التلبيس وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع انه ليس بملك ويظنونه بشرا مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على انفسهم ويقولون ان البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال ابدا ويبقى الامر في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز ان يراد وخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فيكون مفعولا به يعني ان القوم اذا راوا الملك في صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا ثم سلى رسول صلى الله عليه واله عما يلقى من قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة ومنه الحوب بالضم ما استدار من الكرة ما كانوا اي الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه واله اسند الحيق اليه حيث اهلكوا لاجل الاستهزاء به ويحتمل ان يراد بلفظة ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول صلى الله عليه واله وهم يستهزؤن بذلك ثم امر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا في الارض لتشاهدوا اثار الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الاسفار تورث الاعتبار و تفيد الاستبصار واعلم انه سبحانه قال هيهنا ثم انظروا وفي موضع اخر فانظروا فالفاء بمجرد اعتبار ترتب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان السير مباح والنظر واجب وايضا شتان بين السير الصوري بقدم الاشباح وبين السير المعنوي بقدم الارواح والله اعلم التاويل الحمد نفسه القديم الازلي على ان خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس والنور في القلوب هو صفاتها الملكية والروحانية فخص الجعل بالمعاني التي هي من عالم الامر والخلق بالاعيان لانها من عالم الصورة وطين المذكور صورة ادم قال اني خالق بشرا من طين وحيث اراد معناه قال اني جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبة الظلمات الى طاغوت الهوى فجعلوه عديلا لربهم ثم قضى اجلا للروح المفارق عن حضرته لايام فراقه واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال كما يمترى اهل الفراق وهو الله في سموات القلوب وفي ارض النفوس يعلم سر الخلافة الذي اودع فيكم وجهركم الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد في الشر والجهد في المامورات والمنهيات في الخير والشر وما تاتيهم من اية من ايات ربهم في الافاق وفي انفسهم مكاشفاتهم في طلب الحق من قهر النفس واسباب الخيرات و الطاعات وارسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا متواليا وجعلنا انهار الحكمة تجري من تحت نظرهم فاهلكناهم مع هذه المقامات ارواحهم بذنوب طلب الدنيا وطاهرها وجاهها وانشانا من بعدهم قرنا اخرين من طلاب الصادقين التائبين المستقيمين فجعلناه رجلا ليفهموا خطابه ويكون واقفا على الاحوال البشرية فيعالجهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم قل سيروا في ارض النفوس بقدم التقوى ومخالفة الهوى الى ان تبلغوا سواحل بحار القلوب فتشاهدوا بانوار الهداية عبرها عاقبة من هلكوا في بوادي القطيعة اذ ساروا بقدم الطبيعة

بكلامه القديم الازلي

وهذا الحال

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا

اشهد

اشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون القراءة انى امرت بفتح يا
المتكلم ابو جعفر ونافع انى اخاف بفتح الياء هما وابن كثير وابو عمرو والباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف و
عاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول ائنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة اينكم بالياء بعد الهمزة ابن
كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد اينكم بالمد والياء ابو عمرو ويزيد وزيد وقالون بتخفيف همز حيث كان يزيد وحمزة فى الوقف نحشرهم
ثم نقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التانيث حمزة وعلى وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير
وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلى وخلف المفضل الباقون بالجر على البدل والبيان الوقوف
الارض ط قل لله ط الرحمة ط لان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف ليجمعنكم جواب معنى القسم فى كتب فيه نظر لان كتب عدة ليجمعنكم وعد
منتظر لا ريب فيه ط بناء على ان الذين مبتدأ فيه معنى الشرط لا يؤمنون والنهار ط العليم ولا يطعم ط من المشركين عظيم ط رحمه ط المبين الا هو ط قدير عباده ط الخبير
شهادة ط ومن بلغ ط اخرى ط لا اشهد ج لانها الاستحسان الى الاخبار قل لا اشهد لاتساق الكلام بلا عطف يشركون م ابناءهم لئلا يوهم ان ما بعده وصف لا يؤمنون
نصف السبع بآياته الظالمون ط تزعمون مشركين ط يفترون التفسير سبحانه لما برهن على اثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد وانجر الكلام الى الامر
باعتبار احوال الغابرين عاد الى اثبات هذه المطالب بطريق الالزام واخذ الاعتراف وذلك ان آثار الحدوث وسمات الامكان لائحة
على صفحات السموات والارضين حتى بلغ فى ظهوره الى حيث لا يقدر منكر على انكاره فكان فى السؤال تبكيت وافحام وفى الجواب تقرير والزام اى هو لله بلا
مراء وشقاق ولن يتم الملك الملك الحق اذا كان قادرا على الاعادة كما هو قادر على الابداء ولن تحصل حكمة الاعادة الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين
ولن يحسن ايضا الثواب والعقاب الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل فلاجل ذلك قال كتب على نفسه الرحمة اى بنصب الادلة وازاحة العلة
ابتغاء الفضل والكرم وقيل هذه الرحمة هى انه يمهلهم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستيصال او فرض على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب واناب
وصدقهم وقبل شريعتهم وتلك الرحمة هى انه يجمعهم الى يوم القيمة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كانه قيل
لما علمتم ان كل ما فى السموات والارض لله تعالى وانه مالك الكل فاعلموا ان الملك الحكيم لا يهمل امور عبيده ولا يجوز فى حكمته التسوية بين المطيع والعاصى
والغافل والساهى ومعنى ليجمعنكم اى المحشر فى يوم القيمة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان وقيل ليجمعنكم فى الدنيا خلقكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة
قال الاخفش الذين خسروا بدل من ضمير المخاطبين فى ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدأ خبره فهم لا يؤمنون وذلك لتضمنه معنى الشرط فكانه قيل ما
للمشركين مع وضوح الدلائل الباهرة لا يؤمنون فاجيب الذين خسروا انفسهم اى فى علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون فى طرف الابد فكان امتناعهم
الآن عن الايمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال فى الكشاف الذين خسروا نصب او رفع على الذم بمعنى اريد الذين او انتم الذين
ثم لما بين ان له المكان والمكانيات ارتقى فى البيان كما هو شأن الترتيب التعليمى الى ما هو اخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال
وله ما سكن فى الليل والنهار وعن ابن عباس ان كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا محمد انا قد علمنا انما يحملك على ما تدعونا اليه
الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من اموالنا حتى تكون من اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزل وله ما سكن الآية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير
كل ما سكن وتحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر اى تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر للقرينة والاصوب ان اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان
سكن ببلد كذا اى حل فيه والمراد كل ما حل فى الوقت والزمان سواء كان متحركا او ساكنا او ثابتا وذلك ان الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث
فلابد له من محدث يتقدم عليه على نفس الزمان وهو السميع العليم الذى يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فتوصل كل ممكن الى كماله
اللائق به ويستعد له ثم لما كان لزاعم ان يزعم ان الذى يتعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا فى نفسه كالمفارقات التى يثبتها الفلاسفة فلا
جرم قال قل اغير الله اتخذ منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه اهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الانكار اولا
الى نفس اتخاذ الولى وانه غير مهم فاطر السموات عطف بيانا من الله وبدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر
حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها قال ابن الانبارى اصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات و
الارض اى خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذى سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى البعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من
فطور واذا السماء انفطرت وهو يطعم ولا يطعم اى هو الرزاق لغيره ولا يرزقه احد الرزق والاطعام وان كانا متغايرين والا لم يحسن العطف فى قوله وما اريد
ان يطعمون لا انهما متقاربان فحسن جعل احدهما كناية عن الآخر وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول ولا يطعم مبنيا للفاعل على ان الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم
ولا يطعم كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله والله يقبض ويبسط والثانى بمعنى لا يستطعم وحاصل الآية انه يجب شغل القلب كله بالله وقطع
العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذى يهب لا لعوض ولا انتفاع ثم بين ان النبى ايضا داخل فى تكليف المعرفة بل هو اسبق وادخل فى ذلك فقال قل انى
امرت ان اكون اول من اسلم وقيل لى لا تكونن من المشركين وفيه ان اولى العظماء يجب ان يتعظ اولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر ان النبى

لفصنكم وقيل فيه حذف اى ليجمعنكم م

انا فطرتها م



قدر به بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الفرض قد يتعلق بالمستحيل كقولك ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من قرأ من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما او مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز ان ينتصب يومئذ على المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله ومن قرأ على بناء المفعول فهو مسند الى ضمير العذاب او الى يومئذ الفاعل هو الله تعالى العلم به فقد رحمه اي الله الرحمة العظمى كقولك اذا اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه يعني كمال الاحسان او المراد فقد ادخله الجنة فان من لم يعذبه لم يكن له بد من الثواب تفضلا او استحقاقا فالاشاعرة في الاية دلالة على ان ايصال الثواب على الطاعة غير واجب وانما هو ابتداء فضل واحسان والا لم يحتج الى ذكر الرحمة ههنا الا ترى ان الذي يقبح منه ان يضرب يدا فاذا لم يضربه لا يقال انه رحمه وذلك لان صرف العذاب ايضا الثواب على سبيل التفضل او الاستحقاق الفوز المبين لانه المطلب الاعلى والمقصد الاسنى لكل مكلف ثم اكد المعنى المذكور وهو انه لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وان يمسسك الله بضر من مرض وفقر او غير ذلك من البليات فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير ثم عمم الحكم لينتج تحته كل خير والحاصل ان اندفاع جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته وراس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل نفرة الكفر ودعية الايمان الا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور انه قد نفع او ضر من الجمادات او الحيوانات فان ذلك ينتهي الى تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع او الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده وهو اشارة الى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وانه اشارة الى كمال العلم فالحكمة اعم من العلم لانها عمل وعلم وكونه خبيرا اخص من العلم لانه العلم ببواطن الامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الاية من اثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها انه لو كان فوق العالم بان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وان كان ذاهبا في الاقطار كلها كان متجزيا والجواب انه لم لا يجوز ان يكون نورا فاما بانه غير متناه لا متجزيا ولا متبعضا قاهر الجميع الانوار بناء على جميع الاشيا لا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده واما انه كيف يتصور نور بلا نهاية مع انه لا ينقسم ولا يتبعض فتحير استبعاد فلا يصلح حجة وادراك شيء من هذا النور محتاج الى نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها انه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب ان هذا كلام مخيل فلا يستعمل في البرهان ومنها انه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن حصول ذات الله تعالى فيه وان كان خلاء فحصوله في جزء من اجزاء ذلك الخلاء دون سائر اجزائه محتاج الى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف والجواب انا ذكرنا ان نور الانوار لا يتناهى وانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها انه سبحانه موجود قبل الخلاء والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الاشيا موجودا فيها والا لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين المعية وبين الافتقار ومنها ان العالم كرة فاما ان يكون الله تعالى فوق اقوام باعيانهم وح يلزم ان يكون تحت اقدام من يقابلهم واما ان يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بكل الافلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب لا نزاع بعد تسليم كون العالم كرة انا نختار القسم الاول ولا يلزم التحتية لان التحت من جميع الجوانب هو ما يلي المركز والفوق ما يلي السماء او القسم الثاني ولا يلزم من احاطته بجميع الاشيا كونه فلكا كسائر الافلاك واما التحقيق فقد مر ومنها ان لفظ الفوق في الاية مسبوق بالقهر فيراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وانه يشعر بالمملوكية والمقدورية فالمناسب ان يراد بالفوق ايضا فوقية والقدرة ولا يلزم التكرار لان المراد ان القهر والقدرة عام في حق الكل والجواب ان حمل الوسط على الطرفين اولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهومي القاهرية والفوقية وحمل احدهما على الاخر اولى من غيره ومنها ان الاية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب ان الفوقية بالوجه الذي قررنا في جواب الاعتراض الاول يفيد الاستعلاء المطلوب وذلك يوجب ان يكون التعويل عليه في كل الامور اذ لا وجود ولا ظهور لشيء من الاشيا الا بفيضه ونوره وقد يلوح للمتامل في هذه الاجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد اسرار غامضة شريفة ان كان اهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكلبي ان رؤساء مكة قالوا يا محمد صلعم ما نرى احدا يصدقك بما تقول من امر الرسالة ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فادنا من يشهد لك انك رسول كما تزعم فنزلت قل اي شيء اكبر شهادة الاية قال العلماء انها دلت على ان اكبر الشهادات واعظمها شهادة الله ثم بين ان شهادة الله حاصلة الا انها لم تدل على ان تلك الشهادة لاثبات اي المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلعم لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر الاشيا شهادة هو الله تعالى فاذا اعترفوا بذلك فقل ان الله شهد لي بالنبوة بان اظهر على وفق دعواي المعجز اعني القرآن الذي عجز تمام معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقيل ان حصول هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى وذلك ان الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى قل الله شهيد بيني وبينكم في اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والامثال والاشباه واوحي الي هذا القرآن لانذركم به وابلغكم ان الدين هو التوحيد والشرك مردود واستدل الجمهور بالاية على انه يصح اطلاق الشيء على الله تعالى وخالفهم جهم محتجا بقوله تعالى الله خالق كل شيء اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فان التخصيص انما يجوز في صورة شاذة لا يلتفت اليها لقلة اعتبارها فيطلق لفظ الكل على الاكثر تنبيها على ان البقية جارية مجرى العدم فلو كان

البارى تعالى شيئا لكان اعظم الاشياء واشرفها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب واجيب بان الشئ يطلق على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والشئ الذى سيفعله غدا معدوم فى الحال فالشئ لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول ان اخراج الاكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الاشياء والمخرج بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقى وعن الثانى ان لفظ الشئ اعم الالفاظ ومتى صدق الخاص كالذات والحقيقة صدق العام بالضرورة قال جهم قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح استدلالكم قلنا قل اى شئ سؤال ولابد له من جواب هو اما مذكور او مضمر قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدأ فقيل شهيد اى هو شهيد بينى وبينكم او محذوف المعنى قل هو الله والله شهيد بينى وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك ان الله شهيد علم جزما ان اكبر الاشياء شهادة هو الله اما قوله ومن بلغ فمعطوف على ضمير المخاطبين العائد الى من محذوف اى لانذركم يا اهل مكة وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلى الله عليه وآله وقيل ومن بلغ من احتلم او بلغ اوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى وصف الجمع بصفة الواحدة كما يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلث جمل اولاها قل لا اشهد اى بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيتها قل انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها وانى برئ مما تشركون ومن هنا قالت العلماء المستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتى بالشهادتين ويضم اليهما التبرى عن كل دين سوى دين الاسلام ولما زعم مشركوا مكة انهم سئلوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وآله فقالوا ليس عندنا ذكره كذبهم الله تعالى بقوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه اى يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة فى الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالنعوت والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون بغير ابنائهم الذين خسروا انفسهم اما بدل او بيان من الذين الاول ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستانفة شاملة لجميع الجاحدين من اهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذى يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من احد الا وله منزل فى الجنة الا ان من كفر كان منزله الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله بان ورث منزله غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم وذلك انهم جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بايات الله فمن الاول ان المشركين كانوا يقولون للاصنام انهم شركاء الله والله امرهم بذلك وكانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون ان التورية والانجيل لا يلحقهما النسخ وانهم ابناء الله واحباؤه وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثانى قدحهم فى القرآن وفى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم يوم القيمة فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اى يوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذى هو ادخل فى الوعيد ويحتمل ان يكون مفعولا لاذكروا او معطوفا على محذوف اى لا يفلح الظالمون فى الدنيا ويوم الحشر اين شركاؤكم الهتكم التى جعلتموها شركاء الذين كنتم تزعمون هم شركاء فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حيث لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ويجوز ان يحال بينهم وبين الهتهم وقت التوبيخ ليفقدوهم فى الساعة التى علقوا بهم الرجاء فيها فيزداد حسرتهم ويحتمل ان يقال اين شفاعتهم لكم وانتفاعكم بهم والغرض من جميع الوجوه ان يتقرر فى نفوسهم ان الذى يظنونه كان مما يوئس منه فيصير ذلك تنبيها لهم فى الدنيا على فساد هذه الطريقة ثم لم تكن فتنتهم من قرأ بالرفع على انه اسم كان فالخبر الا ان قالوا والتقدير شيئا الا ان قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فيعكس ما قلنا والتقدير شئ الا ان قالوا واما مع تانيث يكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وبتاويل مقالتهم قال الواحدى الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان ان اذا وصلت بالفعل لم يوصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر وكما ان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك كنت القائم كان جعل المضمر اسما اولى من جعله خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج تاويل هذه الآية حسن فى اللغة لا يعرفه الا من وقف على معانى كلام العرب وذلك انه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم متهالكين منهمكين فيه فذكر ان عاقبة كفرهم الذى لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين ابائنا لم تكن الا الجحود والتبرى والحلف على عدم التدين به ومثاله ان ترى انسانا يحب شخصا مذموم الطريقة فاذا وقع فى محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك اى عاقبة محبتك لفلان الا ان تبرأت منه وتركته وعلى هذا فتنتهم هى شركهم فى الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لابد من تقدير مضاف هو العاقبة ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمى فتنة لانه كذب قال القاضيان الجبائى وابو بكر ان اهل القيمة لا يجوز اقدامهم على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى بالاضطرار فيكونون ملجئين الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون ان ذلك لا يروج منهم ولا يستفيدون بذلك الا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم ولا يجوز ان يقال انهم لما عاينوا القيمة اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب او انهم نسوا كونهم مشركين فى الدنيا لانه لا يليق بحكمته تعالى ان يوبخهم ثم يحكى عنهم ما يجرى مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولان تجويز نسيان امر دام عليه الشخص مدة عمره نوع من السفسطة وايضا انهم لو كذبوا فى موقف القيمة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد اقدموا على نوعين من القبيح فان عوقبوا على ذلك صار ذلك الآخرة دار التكليف وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى فى ارتكاب الذنوب وكلاهما محال فاذن الوجه فى الاية ان يقال ان القوم كانوا يعتقدون فى انفسهم ويظنون انهم موحدون فاجابوا بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اى فى اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما اخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين



عند انفسهم فيجب طرحه بل قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم انهم على صواب وان ما هم عليه ليس بشرك وان
الهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اي انظر كيف غاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترونه اي يفتعلون الهية وشفاعة والحاصل ان
الاية سيقت لبيان تضاد حاليهم في الدنيا وفي الاخرة بالكذب والصدق لان الصدق في الاخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق في الدنيا هذا اجمال
كلام القاضيين قال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد ما كنا مشركين في اعتقادنا كيف كذبوا على انفسهم في الدنيا لمخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون
في القيمة لقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الى قوله الا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا ان الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيرة
ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واختلال عقولهم مما
ما يتكلموا بمثل هذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في شتى الاوقات ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسئل ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل
لله وله ما سكن في ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية وفي نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع لانين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق
اليه قل اغير الله اتخذ وليا او قد تخذ في الازل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر ارض النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين
طعام المكاشفات ويطعم طعام المشاهدات ويسقيهم كؤوس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من غيره فالانوار عنده كالذرات اول من اسلم
لاني خارج من حبس الوجود بالكلية وحده وهذا يقول الانبياء نفسي نفسي واقول امتي امتي ان عصيت ربي برؤية الغير عذاب يوم عظيم هو وقت
الاستتار عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يوم قدر الشرك لاقوام والتوحيد لاقوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة الازلية
متصلة بالابدية وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فلن ينتهي الى الابد وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب
فضلوا في ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلدغات الاشواق الى يوم التلاقي
وقهر ارواح الصديقين بسطوات الجلال في اوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهره فلا يخلو من حكمة الخبير لمن يستاهل كل صنف من قهره فنوره بنور الله
اكبر شهادة لانه يحيط بحقايق الاشياء ولا يخبر بشيء من الاشياء ومن بلغ القران ووقف على حقايقه ويقول بوحدانيته للمشركين انكم لتشهدون
الذين اتيناهم الكتاب يعني العلماء بالقران يعرفون الله او النبي وفيه اشارة الى ان الابناء قد تحقق عندهم انهم مصار الابناء فكذلك اهل المعرفة قد تحقق
عندهم ان الله مصدر جميع الاشياء الذين خسروا انفسهم باتلاف الاستعداد الفطري ويوم نحشرهم جميعا يعني اهل المعرفة والنكرة اين شركاؤكم من الهوى
والدنيا كذبوا على انفسهم لانهم كذبوا في الدنيا من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان

يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك
وازیشان کسی است که گوش می‌دهد بتو و گردانیدیم بر دلهاشان پردها [illegible]
يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين
[illegible]
وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون
[illegible]
ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب
[illegible]
بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
[illegible]
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا
[illegible]
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس
[illegible]
هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم
[illegible]
ع تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة
[illegible]
قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على
[illegible]
ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار
[illegible]
الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم
[illegible]
انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات
[illegible]
الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك
[illegible]
فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله و
[illegible]
لقد جاءك من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك
[illegible]
اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم
[illegible]
باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
[illegible]
نصف من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه
[illegible]

قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون القراءة ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة ويعقوب ووافق ابن عامر في ونكون الباقون
بالرفع ولدار الاخرة بالاضافة ابن عامر بتاويل الساعة الاخرة الباقون بتنوين الدار ورفع الاخرة على الوصفية تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن
ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك في الاعراف يكذبونك بالتخفيف من اكذبه اذا وجده كاذبا علي ونافع والاعشى في اختياره الباقون بالتشديد
من كذبه اذا نسبه الى الكذب بان تنزل بالتخفيف ابن كثير الوقوف وقرأنها الاولين وينأون عنه لابتداء النفي مع واو العطف وما يشعرون من المؤمنين
من قبل لكاذبون لمبعوثين بضعف الجزء بهم بالحق وربنا تكفرون بلقاء الله لان حتى للابتداء فيها الا ساء ما يزرون لاتحاد الحال على ظهورهم يزرون ولهو يتقون
يعقلون يجحدون نصرنا لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين نبأ من الجاهلين يسمعون يرجعون من ربه لا يعلمون التفسير
لما بين احوال الكفار في الاخرة اتبعه بعض اسباب ذلك فقال ومنهم من يستمع اليك قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه واله ابو سفيان
والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف واستمعوا الى حديث رسول الله صلعم فقالوا للنضر ما يقول محمد
فقال ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث
من القرون الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الاية والاكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره من الاغطية والغلف ومنه اكننت
وكننت وان يفقهوه مفعول له لاجله اي كراهة ان يفقهوه والوقر الثقل في الاذان والتركيب يدل على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم وفي الاية دلالة
على ان الله تعالى هو الذي يصرف عن الايمان ويحول بين المرء وبين قلبه قالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون
تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم في قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلابد من التاويل وذلك من وجوه الاول قال الجبائي ان القوم كانوا يستمعون لقراءة الرسول
ليتوسلوا باستماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاءه فكان الله تعالى يلقي على قلوبهم النوم والغفلة وعلى اذانهم الثقل وزيف بان المراد
لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه وبان قوله وان يروا كل اية اي كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبه الثاني ان المكلف الذي علم
الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة ليستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع انها في نفسها ليست
بمانعة عن الايمان الثالث يقال اجبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التي تصلح ان يفعل بالمهتدين
فوض امورهم الى انفسهم لم يبعد ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم في اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وعورضت هذه
الادلة بالعلم والداعي وذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف علمه محال وانه سبحانه هو الذي خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك
الداعية يستحيل الايمان فهو المعنى بالكنان وتحقيق المسئلة تقدم في اول سورة البقرة في قوله ختم الله على قلوبهم والافراد في يسمع والجمع في قلوبهم
اعتبار للفظ من تارة ولمعناه اخرى حتى اذا جاؤك هي حتى المبتداءة التي يقع بعدها الجمل كقوله حتى ماء دجلة اشكل والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء
اعني قوله اذا جاؤك ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون جارة حتى اي وقت مجيئهم ويجادلونك حال بحاله ويقول تفسير له والمعنى انه بلغ
تكذيبهم الايات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدل بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا في صف ومنه
سطر الكتاب وسطر من نخيل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير وقال الزجاج واحد الاساطير اسطورة كاحاديث واحدوثة وقال ابو زيد لا واحد له كعباديد
قال ابن عباس معناه احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها اي يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى ان الاغلب هو ان لا يكون فيها فائدة
معتبرة كحديث رستم واسفنديار وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القران معجزا كان الكتب المشتملة على الاخبار
والقصص ليست بمعجزة والجواب ان هذا مقرون بالتحدي وقد عجزوا عن اخرهم دون تلك فظهر الفرق ثم اكد طعنهم في القران بقوله وهم ينهون عنه
قال محمد بن الحنفية وابن عباس والسدي وابن زيد والضحاك اي عن القران وتدبره والاستماع له وينأون عنه والنأي البعد ناء ينأى ونأيت عنه ونأيته
الرجل اذا بعد لغة في نأى وحملوه على القلب لان المصدر لم يجئ الا على النأي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي عن اتباعه والتصديق بنبوته
قبيحين الناهي والنأي فضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس نزلت في ابي طالب كان ينهى المشركين ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه واله ويتباعد عما
جاء به روي ان قريشا اجتمعوا الى ابي طالب يريدون سوءا بالنبي صلى الله عليه واله فقال ابو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا ودعوتني وزعمت انك
ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وضعفت هذه الرواية بان قوله وان يهلكون
الا انفسهم يعني بما تقدم ذكره ولكن النهي عن اذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن ان يجاب بان الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي عن
كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولو سلم فلم لا يجوز ان يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين انه كيف يعود الضرر اليهم فقال ولو
ترى اذ وقفوا على النار وجواب لو محذوف اي لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به ولما في الحذف من تفخيم الشأن وهو باب
الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى انواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت
لاضربنك ومثل هذا من ارادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي اذ الدال على المضي كان هذا الامر وقع وتحقق فكان من حقه ان يخبر عنه بلفظ الماضي
ووقفوا على ان يدخلوا النار وهم يعاينونها او وقفوا عليها وهي تحتهم او هو من قولهم وقفت على المسئلة الفلانية وقفوا اي عرفوا حقيقتها تعريفا لو المراد انهم



الجزء السابع

وجوف النار غايصين فيها فيكون على بمعنى في وجاز لان النار دركات بعضها فوق بعض فلا يخلوا من معنى الاستعلاء يا ليتنا نرد وهو داخل في حكم التمني اما قوله ولا
نكذب ونكون فمن قرا بالنصب منهما فباضمار ان على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكن من المؤمنين ومن قرا بالرفع فيهما فوجهان
احدهما ان التمني تم عند قوله نرد ثم ابتدا ولا نكذب ونكون اي نحن لا نكذب ونكون كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل الرد
او لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني وثانيهما ان يكونا معطوفين على نرد او حالين على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين
وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان المتمني لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون واجيب بان هذا التمني قد
تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا متمني في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى
صاحبه كذب لانه كانه قال ان رزقني الله مالا احسنت اليك اما قراءة ابن عامر فمعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم
بانهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذي شاهدوه وعاينوه
فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين في بعض مواقف القيمة يجحدون الشرك فيقولون
والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقايدهم
واعمالهم وسوء عاقبتها وذلك ان كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيمة قال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الرؤساء منهم من امر البعث والنشور
بدليل قوله بعد ذلك قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فهذا قول الحسن وقيل انها في المنافقين كانوا يسرون الكفر فيظهر نفاقهم
على رؤس الاشهاد يوم القيمة وقيل هو في اهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله والاولى حمل الاية على الكل لانه يوم تبلى
السرائر فلا جرم تظهر الفضائح والقبائح وينكشف من الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قيل
كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان المراد ولو ردوا الى حالة التكليف لعادوا وعلى هذا التقدير
لا يبقى المعرفة ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة في غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض عودهم
الى حالة التكليف لم يبق التعجب كما هو الان فاذن لا تنحل العقدة الا بان يقال المراد توكيد جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم
سئلوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم ينجع ذلك فيهم وانهم لكاذبون فيما وعدوا في ضمن التمني او في كل شيء ولهذا قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا
ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحيوة المعلومة في الاذهان ولهذا اضيف الى ضمير المتكلم جمع اي ما لنا حيوة الا هذه الحيوة التي هي اقرب الينا وما نحن بمبعوثين
بعدها وقيل ان تقدير الاية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولانكروا البعث ولقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيمة
فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم تمسك بعض المشبهة بهذا على انه تعالى يحضر تارة ويغيب اخرى ورد بان استعلاء شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق
فوجب تاويل الاية بانه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب او المضاف محذوف اي على جزاء ربهم او وعده او اخباره
بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين او هو من قولك وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسائل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذا وقفوا عليه فاجيب قال اليس
هذا الذي عاينتموه من حديث البعث والجزاء بالحق الذي جحدتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حالهم في الانكار يئول الى الاقرار ثم كانه سئل ماذا فعل بهم
بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة
القدسية بعث الى هذا العالم الجسماني الكثيف واعطي الالات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي يعظم منافعها بعد الموت
فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع راس المال ولا
ربح وذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي ببلوغ الاخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هناك الا الله بخلاف
الدنيا فانه قد يظن ان للانسان تصرفا واختيارا وملكا وملكا وحمل اللقاء على الرؤية ايضا غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا
لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي لم يزل بهم التكذيب الى تحسرهم وقت مجيء الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة يلوح على صفحات
احوال المكلف من وقتئذ وهذا معنى قوله صلى الله عليه واله من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيمة الساعة لسرعة الحساب فيه وكانه قيل
ما هو الا ساعة الحساب او لانها تفجا الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي فجاة وانتصابها على الحال اي باغتة من بغته اذا فاجاه
او على المصدر العامل اي بغتتهم الساعة بغتة او الخاص لان البعث نوع من المجيء قالوا عامل اذا يا حسرتنا مثل يا ويلتي وقد مر في المائدة اي احضري فهذا
وقتك على ما فرطنا اصله يدل على الترك والهمزة في الافراط للازالة وقولهم فرط القوم اي سبقهم الى الماء معناه تركتهم من ورائي حتى حصل لي
التقدم اما الضمير في فيها فقال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الاية بدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن اي في وقت الساعة
على معنى قصرنا في شانها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران او
قبل الملاقي ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم مواجب الثواب
ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الاثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لانه يحمل ثقل صاحبه والوزر
الملجأ لانه يرفع عنه ما اضناه فكانه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل

الانفال

ربع

اى نكرك

الاشتمال على الظهور كما في الكتب بل بدا قال الزجاج التقدير بل بدا لهم في الحال ما لصفة نقل عن خطاب فلان الى كبره والمعنى انهم يقاسون عذاب ربهم
فمقاساة يثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك شخصك نصب عيني لا تزال في والجمع من المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شيء هو احسن الاشياء
صورة واطيبها ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا
وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو اقبح الاشياء صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فانا اركبك فالحمل
والسد الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم ثم رغب في الحيوة الباقية وزهد في الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس
يريد حيوة اهل الشرك والنفاق لان حيوة المؤمن يحصل فيها اعمال الصالحة فلا يكون لعبا ولهوا وقال اخرون هو عام في حيوة المؤمن والكافر فقد ذلك ان مدة اللهو واللعب
وكل شيء يلهيك ويشغلك مما لا اصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الحيوة كذلك وايضا اللعب واللهو لا يلبثان صبا في اكثر الامر الى شيء من المكاره
ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون وللدار الاخرة قال ابن عباس هي الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي قال الاصم التمسك بعمل
الاخرة خير وقال الاخرون نعيم الاخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انقضاء ذاك وبقاء هذا وانه مصون عن شوائب الافات والمخافات مبرأ من نقص الانقضاء والانقراض
للذين يتقون فان هذا الخير انما يحصل لمن اتقى الكفر والمعاصي اما الكافر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
افلا تعقلون قال الواحدي من قرأ بالتاء فعلى الخطاب والمعنى قل لهم افلا تعقلون ايها المخاطبون ومن قرأ بالياء فعلى افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الاخرة خير من
هذه الدار وقد قال ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما كان امر الحيوانات فيها اكمل فالجمل اكثر اكلا والديك
والعصفور اكثر وقاعا والذئب انمر والحيوة اقوى غضبا وقهرا وكل من يقف همه على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء
قدر وكل من صرف عمره في تحصيل الكمالات الذاتيات والسعادات الباقيات كان في العيون مهابا وفي القلوب مقبولا وذلك دليل على ان ما في الفطرة الاصلية
بحسب اللذات الجسمانية وعلوم سبب الكمالات الروحانية وهب ان النوعين تشاركا في الفضل المتيقنة لكن المعلوم افضل من المظنون وان خيرات الاخرة معلومة
قطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكرة وصار تحت التراب عشية وكم من متمول مغتبط صبح اميرا كبيرا ثم امسى
فقيرا حقيرا وهب انه وجد بعد هذا اليوم يوما اخر فلعله لا يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فلعله لا يخلص من شوائب المكاره والافات كما روى انه صلعم
من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق قيل وما هو يا رسول الله صلعم قال سرور يوم بتمامه هذه التسلية قد تم الغرض كل ذلك للتسلي الى زوال الا انقراض
وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال ان الكمال التام عند كل من هو مستغن عن صاحبه فاما ذلك المرء سلى رسوله وقال قد نعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة كما في قوله
قد نرى تقلب وجهك والهاء في انه ضمير الشان وكسرت لمكان اللام الابتداء في ليحزنك وما تلك الحزن قال الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن
مجنون وقيل بقولهم انهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي وتغلب كذبه واكذبه بمعنى
وقيل اكذبت الرجل الفيته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبته اذا اخبرت انه جاء بالكذب ورواه وكذبته اذا اخبرته انه
انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى اكذبته اردت ان الذي اتى به كذب نفيه من غير ان يحتاج ان كان لا يكلف ذلك الكذب والذي يدل
سبيل الافعال والقصد من قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون ان محمدا لم ما ذكره في التشديد على سبيل الافعال والترجيح بل بالحمل صحة
ذلك وانه في الا ان تخيله باطل ثم ان ظاهر الاية يقتضي انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه واله ولكنهم يجحدون بايات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه الاول
ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القران ونبوته ويؤكده رواية السدي ان الاخنس بن شريق وابا جهل
هشام التقيا فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هيهنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان
محمدا الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله
مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا الصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن
نوفل كان يكذب النبي في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا فاذن هذا الامر نظير قوله تعالى في قصة
موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر الثاني في تاويل الاية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الطويل ما وجدوا
منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون لعلك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض له نوع
خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل انه رسول لا انه كذب في نفسه واما لانهم زعموا انه امين في كل الامور الا في هذا الواحد الثالث انه لما ظهر
المعجزات على يده ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال لهم ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لعبده اذا اهانه بعض الناس انهم
لم يهينوك وانما اهانوني ومثله قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكانه قيل الرعيل ليخففك وليشغلك عن ذلك ما هو اهم
وهو استعظام جحود ايات الله والاستهانة بكتابه الرابع مثل في التفسير الكبير انهم لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجز على الصدق مطلقا
ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر مقام المضمر ليحكم عليهم بالظلم في جحودهم لانه من وضع التكذيب مقام
التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على اذى القوم فقال ولقد كذبت رسل من قبلك واي رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا
فانت اولى بهذه السيرة لانك مبعوث الى كافة الخلق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده في نحو قوله كتب الله لاغلبن انا

وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإى المرسلين قال الاخفش من زائدة والاصح انها للتبعيض
لفقد مجيء تمامه من الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد
جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي ص كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت وان كان كبر عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القرآن فان
استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن الحذف به والنفق سرب
في الارض له مخلص الى مكان ومنه اشتقاق للمنافق والسلم واحد السلالم التي يرتقى عليها واصله من السلامة كانه يسلمك الى مصعد المراد بيان حرصه على
اسلام قومه انه لو استطاع ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها ولكل ما اقترحوا رجاء ايمانهم ويجوز ان يكون ابتغاء النفق والسلم
هو الآية كانه قيل لو استطعت ذلك الفعل لعل ذلك ليكون لك آية يؤمنون عندها ثم قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل على
انه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشية الالجاء المنافية للتكليف والالجاء هو ان يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون
الى الايمان مثاله ان يحصل شخص بحضرة السلطان للقلوب في الحال فيجبر هذا العلم ما نعاله من الفعل وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا اما قوله فلا
تكونن من الجاهلين اي من الذين يرومون خلاف ما اراد الله فهذا النهي لا يقتضي اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ والتاكيد
الامتناع عن الجزع والاضطراب والحزن والاسف على ايمان من لم يشاء الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال انما يستجيب
الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله مثل لقلة على الجائهم الى الايمان والمراد انه تعالى هو الذي يقدر على احيا قلوب هؤلاء الكفار بحيوة الايمان
وانت لا تقدر على ذلك والمعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فح يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم اما وجه تشبيه
الكفرة بالموتى فلان حيوة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما ان حيوة الجسد بالروح ثم ذكر شبهة اخرى للطاعنين في نبوة محمد ص وهو انه ما جاء
بآية قاهرة ومعجزة باهرة فكانهم طعنوا في كون هذا القرآن معجزا على سبيل العناد وقياسا على سائر الكتب السماوية وطلبوا معجزات تقرب على حد الالجاء
كشق الجبل وفلق البحر فان معجزات نبينا من تسبيح الحصا وانشقاق القمر وغير ذلك ليست باقل منها او اقترحوا مزيد الآيات بطريق التعنت واللجاج
او المراد قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان فاعليته ليست الا بحسب محض المشية عند اهل السنة وعلى وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس ومطالباتهم
او انه ظهرت المعجزة الدالة الكافية من القرآن وغيره لم يبق لهم عذر ولا علة فلو اجابهم الى مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم
جرا وذلك يفضي الى ان لا يستقر الدليل ولا يتم الحجة وهذا اخلاف المقصود ولا يعلمون انه لو اعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستيصال ولا
يعلمون انهم انما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق ومثله لاعطى
مطلوبهم على اكمل الوجوه التاويل ومنهم من يستمع اليك انكارا واختبارا وجعلنا على قلوبهم من شوم انكارهم حجبا من غير الانكار وفي آذانهم
وقرا من فساد الاستعداد الفطري وان يروا كل آية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى القلوب اعوا نور الايمان فيها فهم ينهون الخلق عن الحق
وان يهلكون بمنع الخلق عن الحق الا انفسهم لان التباعد من اهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقي ولو ترى اذ وقفوا على
النار نار دولج الاستيفاء بعد المراجعة عن حبس الطبيعة عن عوالم عذاب القطيعة فقالوا يا ليتنا نرد الى عالم الصورة والى الاستعداد الفطري بل
بدا لهم ما كانوا يخفون كان يظهر عليهم آثار الشقاوة التي كتبت لهم كانوا يستكفون سرها في عالم الصورة لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى فيفسدون استعدادهم
مرة اخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل التصديق ولهذا انه اما شاهد يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف
وقولهم بلى بخجوا خطاب الست بربكم اذ وقفوا على ربهم عرفوا ربوبية ربهم ولو عرفوها في الدنيا لم يقولوا ابدا البعدية العقبى حتى اذا جاءتهم
الساعة بغتة هي الساعة التي يجذب العبد فيها عن اوصاف البشرية بجذبات الحق فجأة وهي قيامة اخرى لان فيها تبدل ارض البشرية غير الارض
واشرقت الارض بنور ربها فنظر المحجوب الصادق بالنور الساطع الى ايام ضاعت عنه في طلب غير الحق فيتاسف عليها ويقول يا حسرتنا الفائض احسن صيد
الطيبات فانك التربة وما ازددت غير الحسرات وهم يحملون اثقال التعلقات الزائدة على ظهور وجودهم فانا لو جوعل السالك تعبيل مانع عن السلوك
فكيف ما زيد عليه الا لعب ولهو كلعب الصبيان ولهو اهل الغصبا وللدار الآخرة هي السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما
سواه خير للذين يتقون غير الله افلا تعقلون ان الانسان خلق لهذا الشأن لا لغيره كقوله واصطنعتك لنفسي قد نعلم انه ليحزنك من ضيق نطاق
البشرية اثر في حبيب الله مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات الله لقد ابرأته فقدرها ودبرها من الازل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم على
في عالم الارواح عند رشاش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل التعرض في مظاهر اللطف والتعرض بظاهر القهر
والنهي في حقه صلى الله عليه هو نهي الامتناع عن الكينونة لا حلف في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن
قل ان الله قادر على ان ينزل آية في كل لحظة ولمحة ولكن اكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والمكانات على الواجب والمصنوعات على
الصانع وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شيء آية تدل على انه واحد وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات

بل يلجون البحر ولو ردوا الى عالم الصورة

مَن يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ

هر كرا خواهد خدا از راه ببردش و هر كرا بخواهد در آورد او را در راه راست بگو كه آيا ميبينيد اگر بيايد شما را عذاب خدا يا فرا گيرد شما را قيامت

أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ وَلَقَدْ

آيا غير خدا را ميخوانيد اگر راستگوييد بلكه مر او را ميخوانيد پس بر طرف ميكند آنچه را ميخوانيد اگر خواهد و فراموش ميسازيد آنچه را انباز قرار داده ايد

أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَ

فرستاديم بسوى گروهها از پيش تو پس گرفتيم ايشان را بفقر و ناخوشى شايد كه ايشان در تضرع در آيند پس اگر وقتى كه آمد ايشان را بلاى ما زارى كردندى و

لَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا

وليكن سخت شد دلهاى ايشان و آراست از براى ايشان شيطان آنچه را كه ميكردند پس چون كه فراموش كردند آنچه را كه با آن پند داده شدند گشوديم بر ايشان درهاى هر چيز را تا آنگه چون شاد شدند

بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ

بآنچه داده شدند گرفتيم ايشان را ناگهان پس آنگاه ايشان نوميدانند پس منقطع شد عقب آن گروهى كه ستم كردند و ستايش مر خدا راست پروردگار جهانيان بگو آيا

إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ

اگر فرا گرفت خدا شنيدن شما را و ديده شما را و مهر نهاد بر دلهاى شما كيست آن خدائى كه بياورد بشما آن را بنگر كه چگونه مكرر ميگوييم آيات را باز ايشان رو ميگردانند

قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ

بگو كه آيا اگر فرود آيد بر شما عذاب خدا ناگهان يا آشكارا آيا هلاك شوند بجز گروه ستمكاران و نفرستيم پيغمبران را مگر مژده دهان

وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا

و ترسانندگان پس هر كه گرويد و نيكو كار شد پس نيست ترسى بر ايشان و نه ايشان اندوهگين شوند و آنان كه تكذيب كردند آيات ما را برسد بايشان عذاب بجهت آنچه بودند

يَفْسُقُونَ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ

فاسق ميشدند بگو كه نميگويم بشما كه نزد من است گنجهاى خدا و نه آنكه ميدانم غيب را و نميگويم شما را كه من فرشته ام پيروى نميكنم مگر آنچه را كه وحى شده بمن بگو آيا

يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ

يكسانست كور و بينا آيا پس انديشه نميكنيد

القراءات أرأيتكم وبابه بتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وحمزة في الوقف رأيتكم وبابه بحذف الهمزة علي الباقون أرأيتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد يزيد وابن عامر ينظر بضم الهاء روى الأصفهاني عن ورش الوقوف أمثالكم ط يحشرون ه في الظلمات ط يضلله ط لا بتداء الشرط مستقيم ه تدعون ج لأن جواب ينتظر بعد قل إن كنتم صادقين فاجتمعوا مع اتحاد الكلام صادقين ه تشركون ه يتضرعون ه يعملون ه كل شيء ط مبلسون ه ظلموا ط العالمين ه به ط يصدفون ه الظالمون ه ومنذرين ج يحزنون ه يفسقون ه إلى ملك ج للابتداء بما ينفي مع اتحاد القائل والقول إلي ط تتفكرون ه التفسير لما بين أن إنزال المعجز لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك أكده بما يؤذن أن آثار فضله وإحسانه ولطفه وامتنانه واصلة إلى جميع الحيوانات فلو كانت مصلحة المكلفين في إظهار تلك المعجزة القاهرة لفعل بل للناس البتة وهذا أيضا مزيد تقرير لأمر البعث وأنه حاصل لجميع الحيوان فضلا عن الإنسان فإن الحيوان إما أن يكون بحيث يدب ويكون بحيث يطير وإنما خص من الدواب ما في الأرض بالذكر دون ما في السماء وفي الماء لأن عنايته بمصالح الأدون يستلزم لزوم عنايته بمصالح الأشرف ويمكن أن يقال إن الماء أيضا من جملة الأرض لكونهما جميعا كالكرة الواحدة قال علماء المعاني إنما وصف الدابة بكونها في الأرض والطائر بأنه يطير بجناحيه ليعلم أنهما باقيان على عمومهما إذ نعتهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل أن يقتصر فيهما صفة ترتع أو يصيد فتختصا أو لأوهم أن المراد بهما غير الجنس المتعارف لقوله بعده إلا أمم أمثالكم وقد يقول الرجل لعبده طر في حاجتي والمراد الإسراع قال الحماسي طاروا إليه زرافات ووحدانا وفي قيل يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذو الأجنحة فإن المراد ذكر من هو أدون حالا وقيل إن الوصف للتأكيد كقولهم نعجة أنثى وكما يقال مشيت برجلي وإنما جمع الأمم مع إفراد الدابة والطائر لأن النكرة المستغرقة في معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم أمة وفي الحديث لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها وما وجه المماثلة بين البشر والدابة والطائر نقل الواحدي عن ابن عباس أنه قال يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني كقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وعن أبي الدرداء أبهمت عقول البهائم إلا عن معرفة الإله وطلب الرزق ومعرفة الذكر والأنثى وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة كونها جماعات وكونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضا ويأنس بعضها ببعض ويتوالد بعضها من بعض وضعف بأن هذا أمر معلوم مشاهد لا فائدة في الإخبار عنه وقيل هو أنه دبرها وخلقها وتكفل برزقها وأحصى أحوالها وما يجري عليها من العمر والرزق والأجل والسعادة والشقاوة بدليل قوله عقيبه ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل هو أنها تحشر يوم القيامة ويوصل إليها حقوقها وقد جاء في الحديث يقتص للجماء من القرناء ولكن قوله بعد ذلك ثم إلى ربهم يحشرون يصير كالمكرر وعن سفيان بن عيينة ما في الأرض من آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم إقدام الأسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعل الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير فإنه لو ألقي إليه الطعام الطيب تركه وإذا قام رجيعه ولغ فيه وكذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة وإن أخطأ

كونها

واحدة حفظه ولم يجلس مجلسا الا ازداد فيه واعلم يا اخى انك تعاشر البهائم والسباع فبالغ فى الحذار والاحتراز وذهب اهل التناسخ الى ان الارواح

البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها ينتقل الى ابدان الملوك و

ربما قالوا انها تصل الى مخالطة عالم الملكية وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت اكثر شقاء فانها تنتقل الى بدن حيوان

اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضى حصول المساواة فى جميع الصفات الذاتية ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من

جنسها لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهدوا ببعض النمل حتى قالت نملة وبنحو ذلك وفى تعليق مذاهب اهل التناسخ طول والله تعالى اعلم

بحقيقة الحال ما فرطنا فى الكتاب من شىء من مزيدة للاستغراق اى ما تركنا وما اغفلنا شيئا فاتنا وقيل للتبعيض اى ما اهملنا فيه بعض شىء يحتاج المكلف

الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع الاحوال الكلية على التفصيل وقيل القران لانه هو الذى سبق اليه الاذهان فيما بين اهل الايمان وارد عليه انه

ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا تفاصيل مذاهب الناس ولا دلائلهم فى علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل

الا فيما يجب ان يفعل والحاجة اليه انما هو الاصول القوانين لا الفروع التى لا تنضبط ولا تنتهى وما علم الا وفى القران اصله من شرفه وفضله كقوله كلوا

ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين للطب فى قوله وهو اسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين للاخلاق واما تفاصيل علم

الفروع فذكر العلماء ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير

سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا وقيل ان القران واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من

دليل منفصل كل حكم لم يكن مذكورا فى القران بالمطابقة او التضمن او الالتزام لم يكن ذلك تكليفا اذ يكون باقيا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم

اما قوله ثم الى ربهم يحشرون فالعقلاء فيه قولان الاول قول الاشاعرة انه تعالى يحشرها يوم القيامة لا لايصال العوض اليها بل بمجرد الارادة و

المشية ومقتضى الالهية الثانى قول المعتزلة انه تعالى يحشر الطيور والبهائم لايصال الاعواض اليها لان ايصال الالام اليها من غير سبق جناية لا يحسن

الا للعوض وفرع القاضى على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما الحقه من الالام وكان ذلك العوض لم يصل اليه فى الدنيا فانه يجب على

الله تعالى حشره فى الاخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذى لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا ان السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك فرع اخر كل حيوان

اذن الله تعالى فى ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذى اذن فى قتله فى كونه مؤذيا او الم المرض وسخره للانسان فى حمل الاثقال واما اذا ظلمها

ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح المأكول لغير ماكلة فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهى عن ذبح الحيوان

لغير ماكلة والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت فى الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت انه لا سبيل الى تحصيل تلك

المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به واختار مذهب القاضى واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك يصيرها ترابا ويقول الكافر يا

ليتنى كنت ترابا وقال ابو القاسم البلخى يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب

الالم وذلك الالم يوجب عوضا اخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له والجواب بالمنع من ان الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام ثم البهيمة اذا استحقت

عوضا على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانه يوصل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى

يتكفل بذلك العوض هذا القدر يكفى فى احكام الاعواض بحسب المقام سبحانه اعلم ولما ذكر من خلايقه وقدره واثار قدرته ما يدل

على عظمته ويشهد لربوبيته وينبه على حكمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا باياتنا صم وبكم اى لا يسمعون كلام المنبه وبكم

خابطون فى الظلمات ظلمة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الحيرة والضلال ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيته وارادته

وتيسيره وتدبيره فقال من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم والجبائية اولوا الاية بان المراد انهم كذلك فى الاخرة

كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما او انهم شبهوا بمن حاله كذا او هو محمول على الشتم والاهانة واما قوله

من يشاء الله يضلله اى عن طريق الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن يستحق عقوبته كما انه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين او المراد بالاضلال

منع الالطاف لانهم ليسوا من اهلها وبالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وانهم مع جحودهم يفزعون الى الله فى

البليات فقال قل ارايتكم هو منقول من رايت بمعنى ابصرت او عرفت كانه قيل ابصرتم وشاهدتم حالتكم العجيبة او اعرفتموها اخبرونى عنها فلاجله

يستعمل الا فى الاستخبار عن حالة عجيبة بشىء فهذا من باب اطلاق السبب على المسبب لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة او العرفان اما

اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء يكون بلفظ واحد فى التثنية والجمع والتانيث ويختلف هذه المعانى على الكاف فيقال ارايتك

ارايتكما ارايتكم ارايتكن والتاء فى جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف الخطاب ليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة

وليست الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع ايضا لان التاء فاعل ولا يكون لفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها

ان هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين نحو ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان

مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض ارايت نفسك بل ارايت غيرك ولذلك قلت ارايتك زيدا او زيد
وغير المخاطب كلا هو بدل منه وثالثها لو كان منصوبا على انه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتانيث في الذاخوا ارايتماكما وارايتموكم وقد ذهب
الفراء الى انه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز تصريفها لثناء فاما مفعولا ارايت في الاية فقيل هما محذوفان تقديره ارايتكم عبادتكم الاصنام
هل ينفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله اغير الله تدعون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول واما جواب
الشرط فما دل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تقديره ارايتكم الساعة دعوتم الله وحاصل الاية قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارايتكم ان اتيكم العذاب في
الدنيا او عند قيام الساعة المخصوص المتكم بالدعوة ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعون
الى كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا يكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم باقيا على الاطلاق لكن في الدنيا ولو علق
المشيئة بكشف العذاب في الدنيا كان قوله ادعوني استجب لكم مقيدا بالمشيئة وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونهم
لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع ويجوز ان يراد لا تذكرون الاصنام في ذلك الوقت لان انهاكم مقهورون بذكر الله وحده والمقصود من الاية تبكيت الكفار
كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون على عبادتها وفيه ان مبنى الدين على الحجة والدليل لا على محض
التقليد ثم سلى النبي صلى الله عليه وآله بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا و
اصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله في الشدائد ويحتمل ان يقال ان حكم الطائفتين واحد لان التضرع والالتجاء
الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفي الاية محذوف تقديره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذنا
هم بالباساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والباساء والضراء البؤس والضر والباساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والرزايا
لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل ضراعة فهو ضارع اي ذليل ضعيف احتج الجبائي بالاية على انه تعالى
انما ارسل [illegible] ل بهذه الباساء والضراء عليهم ارادة ان يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل واجيب بان الترجي في حقه تعالى محال فانهم
يحملونه على الارادة ونحن نحمله على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي فان الترجي على ان الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفوضونه لا بد ان ينتهي الى خلق الله
وتكوينه اما قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا فمعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا لاجل التخصيص ليفيد انه
لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين انه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر ونقلهم من الباساء والضراء الى الراحة والرخاء
فيفتح ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاينه اخرى ومعنى كل شيء اي كل شيء كان مغلقا
عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفا اخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة
وقال ص اذا رايت الله تعالى يعطي العاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما اخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم
من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون ايسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه ويقال للذي سكت عند انقطاع حجته قد ابلس و
قال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذا ههنا للمفاجاة وهي ظرف مكان وهم مبتدا ومبلسون خبره وهو العامل في اذا فقطع دابر القوم الدابر
التابع للشيء من خلفه كالولد للوالد دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان اخرهم ابو عبيدة دابر القوم اخرهم الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع
الله دابرهم اي اصلهم والحمد لله رب العالمين حمد نفسه على ان لم يترك منهم احدا واستاصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على اولئك الرسل او على
اولئك الهالكين كيلا يزيدوا كفرا وعنادا فيزدادوا عقابا او حمد على ما انعم عليهم قبل ذلك وهو ان كلفهم وازال عنهم الاعذار والعلل و
بعث الانبياء والرسل واخذهم بالباساء والضراء ثم نقلهم الى الالاء والنعماء لانهم لم يزدادوا الا تماديا في الغي والضلال فطهر وجه الارض من
شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة الاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار و
بيان وحدته جل جلاله فقال قل ارايتم ان اخذ الله وتقرير ذلك ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عددنا منافعها في اوائل
الكتاب لا ارباب القادر على تحصيل قواها وصرفها عن الافات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم
على القلب ازالة العقل بحيث يصير كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع او الامانة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يأتيكم به اي بذلك الذي اخذ من السمع
والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم ان يكون لذي عقل ولو فرضا والاحسن انه
لما ذكر اشياء متعددة فوجب ان يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مؤنثا علم انه اراد المذكور وحده فتعين ان يشار اليه
بذلك ثم انه اقام الضمير المذكور مقامه او يعود الى ما اخذ وختم عليه وصح من غير التكلف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد او كل من له اهلية
النظر كيف نصرف الايات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوي ما قبله في الايصال الى المطلوب ومعنى ثم
التفاوت بين الحالين وهم يصدفون اي يعرضون ويقال امراة صدوف التي تعرض وجهها عليك ثم تصدف اي تعرض والصدف ميل في الحافر
الى الشق الوحشي وصدف الدرة غشاؤها لميله فيه قال الكعبي لو خلق الله فيهم الاعراض والصد لم يكن ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لما منع
الله تعالى بالنجح فيهم الدلائل القاطعة الاعداد ثم عمم الدليل بقوله قل ارايتكم ان اتيكم والمعنى انه لا دافع لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه

ان لا يكون معبودا الا هو ثم العذاب المفروض اما ان يجئ من غير سبق امارة تدل على ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجهرة واكثره بالنهار ولهذا
قال الحسن معناه ليلا او نهارا اما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون اى لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه
ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستفيدون بذلك ثوابا جزيلا
فهو لهم بلاء فى الظاهر لا بالحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والاخرة ومثله قوله صلى الله عليه وآله ان امر المؤمن خير كله ان اصابته ضراء
فصبر كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا ارأيتكم مرتين فرد خطابا واحدا لان عذاب الاستيصال ما عليه من مزيد فتناسب
زيادة الخطاب لاجل التأكيد فيما بينهما قال ارأيتم حيث لم يكن كذلك كما فى يونس وهود وكان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة
لهم على اظهار الآيات وانزال المعجزات التى اقترحوها فى قوله وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه وان ذلك مفوض الى مشية الله وحكمته فقال وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين مبشرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصى فمن قبل قولهم وآمن بالايمان الذى هو من افعال القلب
والعمل الصالح الذى هو من افعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال فى الكشاف جعل
العذاب ماسا كانه حى يفعل بهم ما يريد ولم يكن بعيدا قال القاضى انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا واقول هذا
من باب ايهام العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم امر نبيه ان ينفى عن نفسه امورا ثلثة فقال قل لا اقول لكم
عندى خزائن الله وهى جمع خزانة للمكان الذى يخزن فيه الشىء احرازه بحيث لا يناله الايدى ولا اعلم الغيب قال فى الكشاف محله النصب عطفا على محل
قوله عندى خزائن الله لانه من جملة المقول اى لا اقول لكم ذاك ولا هذا قلت ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اى قل لا اعلم الغيب فيكون فيه دلالة
على ان الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبى يحتمل ان يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها
واختلف المفسرون فى فائدة نفى هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود و
النصارى فى المسيح وقيل المقصود ابداء العجز والضعف وانه لا يستقل باتيان المعجزات التى كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل اى لا ادعى سوى النبوة والرسالة ولا ادعى الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف سورة هود
حيث قال ولا اقول انى ملك لانه تقدم ذكر لكم فى قوله انى لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائى فى الآية دلالة على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعى
فوق منزلتى قال القاضى ان كان الغرض التواضع فالاقرب ان ذلك يدل على ان الملك افضل وان كان المراد نفى قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا
الملائكة لم يدل على افضلية الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الى قيل هذا النص يدل على انه لم يحكم من تلقاء نفسه وبالاجتهاد فى شىء من الاحكام
ولا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بالوحى النازل عليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس واكد هذا الحكم بقوله هل يستوى الاعمى والبصير
وذلك ان العمل بغير نص يجرى مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحى يقوم مقام عمل البصير ثم قال افلا تتفكرون تنبيها على انه يجب على العاقل ان يعرف
الفرق بين هذين واجيب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحى لم يلزم الضلالة والآية مثل للضال والمهتدى او لمن ادعى المستقيم وهو
النبوة والمحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين كالعميان او فتعلموا انى ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر والله تعالى اعلم
واحكم التأويل وما من دابة تدب فى ارض البشرية وتتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا امم امثالكم فى السؤال عن اقوالهم و
احوالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ما فرطنا فى الكتاب فى القرآن من شىء يحتاج اليه الانسان ظاهره وباطنه ذاته
وصفاته فى السير الى الله من الاوامر والنواهى والندب والآداب ثم الى ربهم يحشرون ههنا بالسير وجذبات العناية او هناك بالسلاسل
والاغلال يسحبون فى النار فى القطيعة على وجوههم لان من شأنهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بآياتنا الموصلة الينا صم اذان قلوبهم
عن استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوة الحق فى ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعه الى ربه مركوز فى
روحانيته ولقد ارسلنا الى امم اى ارسلنا اليهم نعم الصحة والكفاف والامن فشغلوا بها عنا فارسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة
فدعوهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالبأساء والضراء التى هى موجبة الالتجاء فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا وعلموا ان الحقائق الطافنا
فى دقايق صور قهرنا وتحققوا ان درر محبتنا مستودعة فى اصداف شدايد باسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع فى الدعاء فلما
نسوا بسبب القساوة ما ذكروا به من معارضة البأساء والضراء فانها تذكر ايام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعماء وتؤدى الى رؤية المنعم فتحنا عليهم ابواب كل
شىء من الابتلاء فى صور النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وامثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب و
اشباهها حتى اذا فرحوا بما اوتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفاته فتشرعوا فى الطلب على وفق هواهم اخذناهم بغتة بفقد الاحوال
والاشتغال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون فى تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لاربابه والقهر لاصحابه ليعلم ان الكل بقدره كما قال قل ارأيتم الآية الا القوم
الظالمون الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد عبودية المولى فى عبادة الهوى فاما من ابتلى بعذاب الله من الآفات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء
فتاب ورجع فهو غير هالك على الحقيقة قل لا اقول لكم لم يقل ليس عندى خزائن الله ليعلم ان خزائن الله وهى العلم بحقائق الاشياء وماهياتها عنده
باراءة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم وباستجابة دعائه فى قوله ارنا الاشياء كما هى ولكنه يكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اى لا اقول



والبصير فلا يستوي مع الاعمى

لكم هذا مع انه كان يخبرهم عما مضى وعما سيكون ما علام الحق وقد قال صلى الله عليه وآله في قصة ليلة المعراج قطرت في حلقه قطرة علمت ما كان وما
سيكون ولا اقول لكم انى ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبرئيل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت ان
اتبع الا ما يوحى الي ان اخبرهم وقل معهم قل هل يستوي الاعمى كلام البصير فكيف اخبركم عما اعمى الله بصائركم عنه وانا به بصير قوله تعالى

ع ١٢ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ
وبترسان بان انها را که میترسند که جمع آیند بسوی پروردگارشان نیست مر ایشان را از غیر او دوستی و نه واسطه شاید که ایشان بپرهیزند و مران آنها را که
يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن
میخوانند پروردگارشان را در بامدادان و شام میخواهند دیدار او را نباشد بر تو از حساب ایشان از چیزی و نیست از حساب تو بر ایشان از
شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا
چیزی پس برانی ایشان را پس بگردی از ستمکاران و همچنین آزمودیم برخی از ایشان را ببعضی تا گویند آیا این گروهند که منت نهاد خدا بر ایشان از میان ما
أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ
آیا نیست خدا داناتر بسپاس کنندگان و چون آیند ترا آنان که ایمان آورده اند بآیات ما پس بگو درود بر شما نوشت پروردگار شما بر خودش
الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
رحمت را که هر که بکند از شما بدی را بنادانی پس توبه کرد از پس آن و نیکو کار شد پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربانست و همچنین بیان کنیم آیات را
ع ١٣ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ
و تا ظاهر شود راه گناهکاران بگو که من نهی کرده شدم که بپرستم انها را که میخوانید از غیر خدا بگو پیروی نکنم خواهشهای شما را
قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ
هر آینه گمراه شوم آنوقت و نباشم من از راه یافتگان بگو که من بر گواهی از پروردگارم و تکذیب کردید بان نیست نزد من آنچه بشتاب خواهید نیست
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
فرمان مگر از برای خدا حکایت حق را و اوست بهترین جدا کنندگان بگو که اگر بودی در نزد من آنچه بشتاب خواهید هر آینه گذشته بود فرمان در میان من و میان شما
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ
و خدای داناتر است بستمکاران و در نزد اوست کلیدهای پنهان که نداند آنها را مگر او و میداند آنچه را که در بیابان و دریاست و نیفتد هیچ برگی
إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ
مگر که میداند آنرا و نه دانه در تاریکیهای زمین و نه تری و نه خشکی مگر که در کتاب هویداست و اوست آنکه در خواب کند شما را در شب
وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ القراءة
و میداند آنچه را کسب کرده اید در روز پس برانگیزاند شما را در روز تا تمام شود مدتی که نام برده شده پس بسوی اوست بازگشت شما پس خبر دهد شما را بانچه بودید که میکردید

القراءة بالغدوة مضموم الغين ساكن الدال مفتوح الواو وكذا في الكهف ابن عامر الباقون بفتح الغين والدال وبالالف انه بالفتح وانه بالكسر
ابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين بياء الغيبة زيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم
غير حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب ابو جعفر ونافع وزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وابو جعفر ونافع وعاصم الباقون
يقضي الحق الوقوف يتقون وجهه الظالمين من بيننا الشاكرين الرحمة لمن قرا انه بكسر الالف رحيم المجرمين من دون الله اهواءكم للتعيين اذا
بما قبله قد ضللت اذا اتبعت المهتدين وكذبتم به تستعجلون به لله الفاصلين وبينكم بالظالمين الا هو الا يعلمها مبين مسمى لان ثم لترتيب الاخبار
مع اتحاد المقصود تعملون التفسير لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين امر الرسول صه بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال
له وانذر به قال ابن عباس والزجاج اي بالقرآن وهو المذكور هنا في قوله ان اتبع الا ما يوحى الي وقال الضحاك اي بالله قيل والاول اولى لان
الانذار التخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لان الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا كقوله وانذرهم يوم الآزفة فانذرتكم
نارا تلظى ولو زعم ان المراد وانذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا نقدر مثله ههنا والمعنى انذرهم العذاب يقول بلغني عن
شدة سخط الله وعقوبته اما الذين يخافون ان يحشروا فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين من حالهم انهم
يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا انهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار فامر ان ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم
قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون انهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس
كافة لعدم الجزم بالثواب وقبول الطاعة وان كانوا مقرين بصحة الحشر والنشر فالظاهر ان الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد ان يخاف
الحشر سواء كان جازما به او شاكا فيه وايضا انه مامور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه

يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقيل هم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الى ربهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة
اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها يكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه
ليس لهم من دونه ولي وشفيع ولا بد من هذه الحال لان الحشر مطلقا ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا ان لا ناصر ولا شفيع
الا الله واذا لم يكن الله ناصرا او شفيعا لزم ان لا يكون ناصر اصلا لعلهم يتقون قال ابن عباس لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت
المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيب بان لعل للترجي راجع الى العباد ولما امر بانذار عموم المكلفين ليتقوا اردفه ببذل التقريب
وامر بتقريبهم واكرامهم روي عن ابن مسعود ان الملأ من قريش مروا على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين
فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اتريد ان تكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما انا بطارد المؤمنين
فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون
ثم الحوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وآله اكتب لنا بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته
قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون ربهم بالغدوة والعشي قال ابن عباس والحسن ومجاهد اي يصلون صلوة الصبح والعصر وقيل اي
يذكرون ربهم طرفي النهار والمراد بالغدوة والعشي الدوام والغدوة لغة ما بين صلوة الغداة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب
قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونه معرفة غير منصرفة كسحر ومحل يريدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما ارادوا
بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء
او حقيقته كما توهم او وجه الرأي في ذلك وجه الدليل وايضا المحبة يستلزم طلب الوجه كناية عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله ما عليك فههنا احصل الوجه صح
من حسابهم من شيء قيل الضمير عائد الى المشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى ان تطرد
المؤمنين والاولى ان يعود الى الفقراء لما سبق انه قال فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم
وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولازموك لاجل المأكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الامر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر
ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حساب رزقهم عليهم من شيء وانما الرزاق لك ولهم هو الله رزقهم من شيء ولا من حسابك صح
سبحانه فدعهم يكونوا عندك اما قوله فتطردهم فهو جواب النفي في ما عليك وفي انتصاب فتكون وجهان احدهما انه جواب النهي والثاني انه عطف
على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طردهم يستوجب التقريب والترحيب وضع للشيء في غير موضعه ومن
هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وآله قالوا وكان يقول كلما دخل اولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني
ربي فيهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما افرد لهم مجلسا تألفا لقلوب المشركين و
تكثير سواد الاسلام مع علمه بانه لا يفوت الفقراء هذه المصلحة امر مهم في الدنيا ولا في الدين فغاية ذلك انه يكون من باب ترك الاولى
والافضل وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين هم الكفار يرى الآخر مقدما عليه في المناصب
الدينية فيقول أهؤلاء المسترذلون من الله عليهم من بيننا كقوله أألقي الذكر عليه من بيننا والفريق الآخر يرى الاول مقدما عليه في الخيرات
العاجلة والخصب والسعة والراحة والدعة فيقول اهذا هو الذي فضله الله علينا واما المحققون فهم الذين يعلمون ان كل ما فعله الله فهو صواب
ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب رعاية الاصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع في انسان واحد البشر بل هي موزعة على الخلائق
وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما آتاه الله تعالى من صفة الكمال فمن عرف سر القدر رضي بنصيب نفسه وسكت عن التعرض
لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والآخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على انه تعالى لا يعلم
الجزئيات الا عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر وقالت الاشاعرة في الآية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لان تلك
الفتنة التي القاها الله تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى خالق الكفر وايضا من الله عليهم ليس الا بالايمان ومتابعة
الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد لكان العبد هو المان على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل امرهم الى ان قالوا فكون
اللام لام العاقبة ضعيف بانه عدول عن الظاهر مع انا ننقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين بمن
يصرف كل ما انعم عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر امتنانه على حسب معلوم الله تعالى وقال الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم

وكان

وكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفي اتى قوم النبي صلى الله عليه وآله
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة والاسف فما اجابهم بشيء فلما ذهبوا وتولوا نزلت الآية قال في التفسير الكبير الاقرب ان نحمل الآية
على عمومها فكل من آمن بآيات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف الاكرام ثم ابدى اشكالا وهو ان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة
واحدة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال في كل واحدة من جميع آيات هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في ان تنزل السورة
دفعة ويتنزل الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقائق التنزيل واعلم بدقائق التأويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب مراتب
الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى فهو آيات وجود الله وانها لا تكاد تنحصر فيجب على المكلف ان يكون مدة حيوته كالسابح في تلك القفار ليكون دائما
الحار والثلج في مذاجه
مترقيا في معارجها مترقبا ان يفيض عليه الانوار من مدارجها فيستسعد ببشارة سلام عليكم ويحيا اهل الكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة فقوله سلام
عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما
مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بان يسلم من الآفات في نفسه ودينه واما ان يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم اي على حفظكم
ولعل هذا الوجه تماما يتاتى في المعرفة لا في المنكر كتب ربكم من جملة المقول لهم تبشيرا بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه اوجب على
نفسه اوجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل
كان ظلما وايجاب الرحمة ينافي القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امره حال خلق المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان والجواب بانه فاعل
لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل
منكم سوءا بجهالة وهو في موضع الحال اي عمله وهو جاهل بما للمراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان
فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير او انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله ثم تاب من بعده بان يندم
على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور يزيل العقاب عنه رحيم يوصل الثواب اليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرأ بالفتح
فعلى ان الخبر او المبتدأ محذوف اي فغفرانه كائن او فامره انه غفور وقيل ان الآية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم انها مفسدة
وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر نفصل الآيات ونميز لك في تقرير كل حق ينكره اهل
الباطل ولتستبين معطوف على محذوف كانه قيل ليظهر الحق وليستبين او معلق بمحذوف اي وليستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل
البين من رفع السبيل قرأ ليستبين بالياء او بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان
الامر وتبين واستبنته واستبانة سبيل المجرمين يستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر
وتبيينه
البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف يشتبه امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فيهم قبول
الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يتوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك انه نهي عن عبادة معبوديهم
وذلك قوله قل اني نهيت اي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية ان اعبد الذين تدعون تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لانه
عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وعين الهوى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اي انا اتبعت الضلال اذ ذاك وفي الحكم مع انهما متلازمان
للتقرير والتاكيد وفيه تعريض بهم انهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود سواه
وكذبتم انتم به حيث اشركتم به غيره او انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عنده بدليل يقال اي على حجة من جهة ربي
وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل القرآن او البيان ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب
الذي تعدنا به استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقال الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع
منه فعل الكفر الا بارادة الله واحتجت المعتزلة بقوله يقص بالحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية
من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يقال ان جميع احكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم المالكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي
القضاء الحق او مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله من قرأ يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي
نقول الحق او يتبعه من قص اثره وهو خير الفاصلين اي القاضين وانما كتب يقض في المصاحف بغير ياء لانها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين
وليوافق قراءة يقص قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي والله
اعلم بالظالمين فيؤخر عقابهم الى وقته وانا لا اعلم ما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره فان قلت اما يناقض هذا قوله فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال الهلاك ينافي الحرص على الايمان لان من حرص على ايمان احد حرص على طول حياته طمعا في ايمانه قلت لا بل
بل كذلك لاشتراك كل من الحكمين في الاستعجال اللازم للبشر في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه اعلميته بقوله على سبيل الاستعارة وعنده
مفاتح الغيب اراد انه المتوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح

اوجمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن قال الحكيم في بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه
بواسطة او بوسائط فعلمه بذاته يوجب العلم بجميع اثاره على ترتيبها المعتبر كلياتها كانت او جزئياتها وعلمه بذاته لم يحصل الا لذاته فصح ان يقال
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب اخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا
الحصر ولا يمكن ان يكون هذه المفاتح عند شئ من الممكنات لان المحاط لا يحيط بالمحيط فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح الاول
للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية
نادر جدا والقران انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لها ليعين الحس العقل فقال
ويعلم ما في البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظمة ذلك المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما
فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان واما البحر فاحاطة الحس باحواله اقل مع كثرة ما فيه من العجائب والغرائب
ايضا ثم افرد من هذه المحسوسات قسما فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي لا يتغير حال ورقة الا والحق يعلمها ثم عدل عن التعجيب بكثرة
المدركات الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على امر الحساب
لانه اذا كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة
بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها
كانه قيل وما يسقط شئ من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في
كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل شانه اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان
يخلق الخلق ليقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يغيب عنه شئ فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون
به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له او لانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب
او الجهل فيصير كتبه جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في انه يمتنع تقدم ما تاخر وتاخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اردفه ببيان كمال
قدرته بقوله وهو الذي يتوفيكم اي ينيم انفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح الجسمانية تغور حالة النوم
من الظاهر الى الباطن فيتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت
فصح لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه ويعلم ما جرحتم اي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثم يبعثكم فيه اي
يرد اليكم ارواحكم بالنهار ليقضى اجل مسمى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت ثم لما ذكر انه يميتهم اولا ثم يوقظهم ثانيا
كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل بذلك على صحة البعث في القيمة فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما تعملون في ليلكم
ونهاركم وجميع احوالكم واوقاتكم واعلم ان في الاية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث
في النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون
ثم يبعثكم في النهار الاتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف عدل عن التفسير الى ان قال
هو الذي يتوفيكم بالليل والخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كالجيف والانسداح الانبطاح او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم
من الاثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام في النهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني
فتقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب
والاصوب عندي ان يبقى الخطاب عاما وكذا الكسب في النهار لا ينبغي ان يقيد بالاثام اما الضمير في فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب و
البعث هو البعث من القبور الى اخر ما قال والله اعلم التاويل وانذر به اهل الحقائق والمعاني الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا الى
ربهم بجذبات العناية ويتحققوا انه ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاولياء ولا شفيع يعني من الانبياء لان الوصول لا يمكن
الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقراء انهم جلساؤه بالغدوة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم عن مجالستك
فانهم يطلبوني في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهي كل له سؤل ودين ومذهب ووصلكم سؤلي وديني رضاكم
قال المحققون الارادة اهتياج يحصل في القلب يطلب الفراغ من العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون
الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شئ يعني الذي لنا معك في الخلاء من المواصلة والتوحيد في الخلوة فانهم ليسوا في شئ ذلك
ليكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شئ اي الذي لنا معهم في الخلاء من التفرد بالوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم
فتطردهم فيكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليشكر الفاضل ويصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كليهما نعم العبد مع قدرة سليمان على اسباب الطاعة
وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول رؤية فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه في فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسده على

فضل

فضله وسخطه عليه ثم منع حقه من فضله عنه فان المعطى والمانع هو الله ومنها ان لا يرى الفاضل مستحقا للفضل فيقولوا أهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء جعلهم محل الاكابر والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وآله كن مبتدئا
بالسلام وفي الآخرة فالهم الملائكة ان يسلموا عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم سلام قولا من رب رحيم وكل ذلك نتيجة سلامتهم من ظلمة
الخلقة باصابة رشاش النور في الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة اي الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله وآتيناه رحمة من عندنا والرحمة
العامة كما في الحديث الرباني للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي من عمل منكم اي من المؤمنين سوءا بجهالة اي بجهالة الجهولية التعجيل الانسان عليها
لا بجهالة الضلالة التي هي نتيجة اخطاء النور فان هذه لا توبة لها ثم تاب من بعده اي رجع الى الله بقدم السير من بعد فساد الاستعداد الفطري واصلح
الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني نهيت في الازل باصابة النور المرشش ما عندي ما تستعجلون به من غبار الهوى لقضي الامر يعني
القتال والخصومات لاسترحت من ذنبكم لان الشيء انما ينفعل عن ضده لا شبهه وعنده مفاتح الغيب يعني العلوم العقلية التي سبب فتح باب صور عالم
الشهادة كالنقاش يعني الصورة ذهنه ثم يصورها في الخارج وانما وحد الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد في جميع
الاشياء وفي الملكوت كثرة ويعلم ما في البر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب وبهذا العلم ما تسقط من ورقة عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها
ومسقطها ولا حبة هي حبة الروح في ظلمات صفات ارض النفس او حبة المحبة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب المؤمن واليابس ما يصير
موجودا وما فقد صار او الرطب الروحانيات واليابس الجمادات او الرطب المؤمن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل والرطب العارف واليابس
الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنصيبه
وهو الذي يتوفيكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر او الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة

ع وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا
واوست قهر كننده در بالای بندگان خود و میفرستد بر شما نگاهبانان تا چون که آید یکی از شما را مرگ جان بستانند او را فرستادگان ما و ایشان تقصیر نکنند پس بازگردانند
إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا
بسوی خدا که مولای ایشان است بحق آگاه باش که مر او راست فرمان و اوست زود حساب کننده بگو کیست که برهاند شما را از تاریکیهای بیابان و دریا میخوانید او را بزاری
وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ
وپنهانی هرآینه اگر رهاندی ما را ازین هرآینه میباشیم از سپاس گذاران بگو خدا برهاند شما را ازان و از هر اندوهی پس شما شرک آورید بگو
هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ
اوست توانا بر اینکه وا دارد بر شما عذابی از بالای سرتان یا از زیر پای شما یا برآمیزد شما را گروهان و بچشاند پاره از شما را عذاب
بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ
بعضی بنگر که چگونه مکرر گردانیم آیات را شاید که ایشان فهم کنند و تکذیب کردند ازان قوم تو و اوست حق بگو که نیستم من بر شما وکیل مر هر
نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
خبری را جایگاهیست و زود است که بدانید و چون دیدی آنها را که فرو روند در آیات ما پس روی گردان از ایشان تا فرو روند
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ
در حکایتی غیر ازان و اگر از خاطر برد تو را شیطان پس منشین بعد از یادآوری با گروه ستمکاران و نیست بر آنها که
يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ
بپرهیزند از محاسبه ایشان از چیزی ولیکن پند دادنیست شاید که ایشان بپرهیزند و واگذار آنها را که فرا گرفتند دین خود را بازیچه و بیهوده و فریب داد ایشان را زندگانی
الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ
دنیا و پند ده بدین قرآن که در گرو کرده نشود هیچ تنی بانچه کسب کرده نیست مر او را از غیر خدا دوستی و نه شفاعت کننده و اگر فدا کند هر فدا کردنی
ع لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ قُلْ
پذیرفته نشود ازان آن گروه آنانند که در گرو کرده شدند بانچه کسب کردند مر ایشان راست آشامیدنی از آب گرم و عذابی دردناک بانچه که بودند کافر میشدند بگو
أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ
آیا بخوانیم از غیر خدا آنچه که سود نرساند ما را و ضرر نکند ما را و برگردانیده شویم بر پاشنهای خود بعد از آنکه راه نمود ما را خدا چون کسی که سرگشته گردانیدند او را دیوان
فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
در زمین حیران و متحیر مر او را یارانیست که میخوانند او را بسوی راستی بیا بما بگو بدرستی که راه خدا آن راهست و مامور شده ایم که منقاد شویم پروردگار عالمیان را
وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ
و اینکه برپای دارید نماز را و بپرهیزید او را و اوست آنکه بسوی او گردانیده شوید و اوست آنکه آفرید آسمانها و زمین را بحق و روزی

يقول كن فيكون ۞ قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير

میگوید که باش پس میشود گفتار او حق است و مر او راست پادشاهی در روزی که دمیده شود در صور دانای نهان و آشکار او است داور آگاه

القراءة توفته واستهوته مما لحمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخفية بالكسر حيث كان ابو بكر وحماد الباقون بالضم انجانا ممالة حمزة وعلي وخلف انجانا بين الامالة عاصم الباقون انجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد وحمزة وخلف وعاصم هشام الباقون بالتخفيف بعض انظر واشباه ذلك بكسر الهاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن اهل مكة وابن ذكوان يغشينك بالتشديد ابن عامر الوقوف حفظة لا يفرطون الحق الحاسبين وخفية لاحتمال الاضمار يقولون لئن انجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه الشاكرين تشركون باس بعض يفقهون وهو الحق بوكيل مستقر للابتداء بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى يعلمون غيره الظالمين يتقون ولا شفيع للشرط مع العطف منهما كسبوا للانقطاع لنظم مع اتصال المعنى والاحتمال ان يكون الذين خبرا اولئك وقوله لهم شراب خبر الهدى اتنا الهدى العالمين لان التقدير وامرنا بان اقيموا واتقوه تحشرون بالحق فيكون في الصور والشهادة الخبير التفسير من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال امر فلان فوق امر فلان اي انه على ينفذ منه ولا ريب ان الممكنات باسرها تحت تصرف الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس وتصرفه فيها كيف يشاء علويات كن او سفليات ذوات او صفات نفوسا او ابدانا اخلاطا واركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده يضبطون اعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على اقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى افعالهم لقوله يعلمون ما تفعلون واما صفات القلوب كالجهل والعلم فليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله ان يتوب منها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه يكتبون اعماله في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك ازجر له عن القبائح ومنها ان يوزن تلك الصحائف يوم القيمة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها ان العبد يعلم ان الله يكلف ان يؤمن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكم في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان مع طبائعها المتضادة على امتزاجها وقال بعض العلماء منهم ان النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم تعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات اخرى فالارواح الخيرة لها مبادي من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم يسمى بالطباع التام لان تلك الارواح في تلك الطبايع والاخلاق تامة كاملة وهذه الارواح السفلية المتولدة منها اضعف منها لان المعلول في كل باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما يناسبها ويشابهها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فتحفظها وتعينها حتى اذا جاء احدكم الموت اي وقته لو اماراته توفته رسلنا اي باذننا وتفويضنا فالمتوفي في الحقيقة هو الله تعالى لما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهؤلاء الرسل اتباع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم ام غيرهم فيه قولان اشهرهما الثاني ليكون ملائكة الروح والسجاد وهم لا يجانسون غير ملائكة الكرب الاخوان وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناول وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت اولئك الملائكة او الى البشر اي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فلما ماتوا تخلصوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بان الانسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان هذا الهيكل يبقى ميتا والانسان يرد الى الله تعالى وفي لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به فلما مات رد الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح يعني بتراجعي الى ربك الا له الحكم كقوله ان الحكم الا لله وهو اسرع الحاسبين حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة لا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملك باذن الله تعالى لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات في النفس على النفس فان قطع التعلق قليلة كانت او كثيرة حميدة او ذميمة وبعد تعارض البعض بالبعض يبقى ما هو غالب وبحسب ذلك يكون الثواب وضده وذلك انه لا يحصل للانسان لحظة ولا لحظة ولا حركة ولا سكون الا ويظهر منها في جوهر نفسه اثر من آثار السعادة او ضدها قل او كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائي ههنا لو كان كلامه قديما لوجب ان يكون متكلما بالمحاسبة الآن وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة تقتضي حكاية عمل تقدم وعوض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيوجد وبعد وجوده صار عالما بانه وجد ولا يلزم منه تغير الا للعلم ثم عد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

مجازاً عن مخاوفها واهوالها يقال لليوم الكريه يوم مظلم وذو كواكب كانه ظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات بالتحقيق
وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه في موضع الحال تضرعاً وخفية مفعول لاجلهما او تميز
او مصدر خاص والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدائد يأتي بامور احدها الدعاء الثاني التضرع والثالث الاخلاص
بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر وهو قوله لئن انجيتنا من هذه الظلم والشدة لنكونن من الشاكرين فبين
الله سبحانه انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا عليه وجب ان يبقى هذا الاخلاص
عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على
الشرك الجلي وهو عبادة الاوثان او الخفي وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف اخلصوا واذا انتقلوا
الى الامن والفراغ اشركوا ثم ذكر نوعاً آخر من دلائل التوحيد مقروناً بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد
او للجنس فيفيد انه من الذي عرفتموه قادراً وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم كالمطر او الحجارة
مثل ما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل اكابركم
وسلاطينكم او من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعاً هي جمع شيعة اي يخلطكم فرقاً
مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في
ملاحم القتال يحكى عن رسول الله صلعم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذاباً من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته
ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبرئيل ان فناء امتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله او يلبسكم شيعاً دلالة على ان
الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم بأس بعض اشارة الى ان المعاصي
وانواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على انه تعالى قادر على القبيح والنزاع في انه هل يفعل
ذلك ام لا واجيب بان الآية دلت على ان القدرة على هذه الامور مختص به وهذه الامور افعال فيكون هو فاعلها با
لضرورة انظر كيف نصرف الآيات نقرر الدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف
الآيات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به اي بالعذاب المذكور في الآية السابقة
قومك يعني قريشاً ومن دان بدينهم وهو الحق اي لابد ان ينزل بهم وقيل اي بالقرآن وهو الحق لانه كتاب منزل من عند
الله وقيل اي بتصريف الآيات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل اي بحافظ حتى اجازيكم
على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما انا منذر لكل نبأ لكل خبر يخبره الله تعالى مستقر استقرار وموضع استقرار
والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد حصل والمقصود ان لعذابهم وقتاً او لاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتاً
ومكاناً يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين ان اولئك المكذبين ان ضموا الى
كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الله والرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال واذا رأيت ايها السامع
الذين يخوضون في آياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللعب والعبث وقريب منه قول المفسرين
انه في الآية الشروع في آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم
بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان كان
غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية واجبة
نعم كل ما وجب على الرسول صلعم فعله وجب عليه سواء ظهر اثر الخوف او لم يظهر والا لم يبق الاعتماد على التكاليف
التي يبلغها واما ينسينك الشيطان ان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم
بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هي الذكر قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد
وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكرها العقول فلا تقعد بعد
الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشيء يوجب سقوط
التكليف فعدم القدرة على الشيء اولى بان يوجب سقوط التكليف وهذا يدل على ان تكليف ما لا يطاق
لا يقع ولا يدل على ان الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر

قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما
استهزأ المشركون بالقران وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف
بالبيت فنزلت الرخصة ان يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله وما على الذين يتقون اى الشرك
والكبائر والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التى يحاسبون عليها من شيء ولكن ذكرى اى ولكن يذكرونهم
تذكيرا او ولكن عليهم ان تذكروهم او ولكن الذى تامرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من
شيء كقول القائل ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك فان الذكرى ليس من
حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم
لا ترك الانذار وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم وصفهم بوصفين الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وفيه وجوه اتخذوا الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا واتخذوا
ما هو لعب ولهو يعنى عبادة الاوثان وغيرها دينا لهم او المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحاير
والسوائب والمراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا لا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه
الله تعالى قال ابن عباس او هو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة
والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثانى وهو قوله وغرتهم الحيوة الدنيا
كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا وذكر به اى بالقران
او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد ان تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء عملها واصله
المنع فالمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس في جهنم وعن
ابن عباس تفتضح ليس لها اى للنفس من دون الله ولى ولا شفيع وان تعدل كل عدل اى تفد كل فداء لان الفادى
يعدل المفدى بمثله لا يؤخذ منها قال في الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند
اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الاخذ بالقبول كما في قوله
ويأخذ الصدقات ارتفع الفرق اولئك المحدثون هم الذين ابسلوا بما كسبوا ثم بين ما به صاروا مرتهنين وعليه محبوسين
بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام بقوله قل اندعوا من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا
اى لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اى نرجع الى الشرك بعد اذ انقذنا الله تعالى منه وهدانا للاسلام
فان الردة عود الى الحالة الاولى التى كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
كالذى استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اى ننكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى
في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه اى سقوطه من الموضع العالى الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى وحيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد
في الامر بحيث لا يهتدى الى مخرج منه ومنه تحيرت الروضة بالماء اذا امتلأت فتردد فيها الماء اى لهذا المستهوى اصحاب
رفقة يدعونه الى الهدى اى ان يهدوه الطريق المستوى فيكون مصدرا او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له
ائتنا والدعاء في معنى القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من ان الجن والغيلان تستهوى الانسان وتستولى عليه فشبه
به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمه تابعا للجن غير ملتفت اليهم وقيل
ان لذلك الكافر اصحابا يدعونه الى الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروى ان الاية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه
كان يدعو اباه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله هو الهدى وهو الاسلام هو الذى يحق ان يسمى هدى وما وراءه عمى وضلال وامرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تاويل ليستقيم العطف فالتقدير امرنا للتسليم ولان نقيم او امرنا ان نسلم وان اقيموا
قيل والسر في العدول عن الظاهر ان المكلف كالغائب ما لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقرير الاية ان تعلق الامر اما ان يكون من باب
الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال الجوارح ورئيس افعال القلوب الايمان بالله و
الاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه
ثم قال وهو الذى اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما تظهر في يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر

الحاشر بقوله وهو الذي خلق السموات والارض قائما او ملتبسا بالحق بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة ومن ذلك انه اودع في هذه الاجرام قوى وخواص واثار يتضمن مصالح الابدان ومناجح نوع الانسان وهكذا خلق يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق المعنى انه تعم خلق العالم من الافلاك والطبايع والعناصر والمواليد وخلق يوم القيمة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز ان يكون قوله الحق مبتدأ وخبرا مستانفا وقوله الحق مبتدا ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال اي القتال واقع يوم الجمعة والمراد انه قضاؤه في ذلك اليوم حق وصدق وخال عن الجور والعبث ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود انه لا ملك في ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا ممانع والصور باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القران ونفخ في الصور فصعق ففزع فاذا نقر في الناقور وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطاه الائمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد نواحد بزيادة هاء فيه كالصوف اما اذا سبق الواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فاحسن صوركم ومن اسكن فقد اخطاء ومما يدل على ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تعالى لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم انشاناه خلقا اخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة اي هو العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وهو الحكيم المصيب في اقواله وافعاله الخبير النافذ علمه في بواطن الحقايق من غير اشتباه والتباس فان امر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق التاويل وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء تهابوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو اراد نفس الخروج عن قيد مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب فردتها الى بذل الجهد وان اراد قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة فرده الى توديع البهجة ولو اراد روحه استرواحا من الحرقات قهرته بوارق الجلال فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء احدكم الموت يعني الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يفرطون في افنا الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب افة وفتنة ثم انتم تشركون حين يتجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما اعظم شاني عذابا من فوقكم بسدل حجاب العزة والغيرة بينه وبينكم او من تحت ارجلكم حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا يجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هو ومن قائل هم الزنديقون ويذيق بعضكم باس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف ايات المعارف للسائرين الى الله لعلهم يفقهون لشرائط السير ولا يقفوا في مقام دون الفناء عن كلية الوجود بالبقاء بهوية المعبود وكذب به بهذا المقام قومك المنكرون وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لاسلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبا مستقر اي لكل سائر وواقف مستقر من درجات القرب او دركات البعد واذا رايت الذين يخوضون في احوال الرجال ولاحظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره تلك الطامات التي هي ريح في شبح وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لان همتهم لبس الخرقة والتزيي بزي الطالبين انما هو الدنيا وقبول الخلق ان تبسل نفس اي كراهة ان يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل اندعوا من دون الله اطلب غير الله الذي هو النافع الضار والنفع الحقيقي هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقي هو الانقطاع عنه ونرد على اعقابنا الى مقام الانسانية التي كنا فيها بعد ان هدانا الله الى الوحدة كالذي استهوته شياطين الجن والانس في ارض البشرية باتباع الهوى حيران من اغواتهم وامرنا لنسلم بتراب الوجود كالكرة في ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء ان اقيموا الصلوة بمحافظة الاسرار عن الاغيار واتقاء به عن غيره ونحشر اليه لا الى الجنة او النار كما قال الا من طلبني وجدني وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي لاظهار صفاته فجعل المخلوقات مراة لجماله وجلاله واذا اراد ان يرى عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن رائيا فيكون رائيا لو بصير وبي يبصر ... قوله الحق في الانسان كن رائيا هو الحق وله الملك الارادة وملك الربوبية ينفخ الارادة في صور القلب هو الحكيم فيما اختص الانسان بارادة الايات الخبير بمن يخصه من بين الناس بالارادة

واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اريك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري

و چون گفت ابراهيم مر پدر خود ازر را كه ايا فرا گرفته بتهارا خدايان بدرستي كه من مي بينم تورا و قوم تورا در گمراهي هويدا و همچنين والنوريم

ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل را كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب

ابراهيم را پادشاهي اسمانها و زمين و تا بوده باشد از يقين دارندگان پس چون در امد بر او شب ديد ستاره را گفت كه اين است پروردگار من پس چون غروب كرد گفت دوست ندارم

الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى

غروب كنندگان را پس چون ديد ماه را تابان گفت كه اين پروردگار من است پس چون غروب كرد گفت اگر راه ننمايد مرا پروردگار من هر آينه مي باشم از گروه ستمكاران پس چون ديد

الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي

افتاب را تابان گفت كه اين پروردگار من است اين بزرگتر است پس چون غروب كرد گفت اي قوم من بدرستي كه بيزارم از انچه شريك قرار داده ايد بدرستي كه من رو اوردم روي خود را

للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد

مر انكه افريد اسمانها و زمين را مايل از باطل و نيستم من از مشركان و خصومت كردند او را قومش گفت كه ايا خصومت ميكنيد با من در خدا

هدانِ ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف

هدایت کرد مرا و نمی‌ترسم آنچه را که انباز قرار داده اید مگر آنچه خواهد پروردگار من چیزی را فرا گرفته پروردگار من هر چیزی را از جهت دانش آیا پس پند نمی‌گیرید و چگونه

اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان

می‌ترسم آنچه را که شریک آورده اید و نمی‌ترسید که شما شریک آورده اید بخدا آنچه را که فرو نفرستاده بر شما برهانی پس کدام از این دو طائفه سزاوارترند با ایمنی اگر

كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا

هستید که بدانید آنان که گرویدند و نیامیختند ایمان خود را بستم آن گروه مر ایشان راست ایمنی و ایشانند راه یافتگان و اینست دلیل

ع ١٢ آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم القراءات اني اريك

که آوردیم ابراهیم را بر قومش بالا بریم بمراتب آنرا که خواهیم بدرستی که پروردگار تو داور داناست

بفتح الياء ابو عمرو وابن كثير وابو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب رأى كوكبا باماله الهمزة ابو عمرو غير عباس والنجاري عن ورش وكذلك
راه وراك وقراء حمزة وعلي وخلف ويحيى وعباس وهبيرة من طريق الخراز بكسر الواو والهمزة ووافق ابن ذكوان في رأى فقط وخالفهم فيما اتصلت بالكاف
والياء في سورة النجم ووافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء في سورة اقرأ باسم رأى القمر ورأى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف
ونصير وعباس ويحيى والخراز وروى خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة اتحاجوني بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب
في نون الوقاية وقد هدان بالامالة علي وقراء سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الحالين ووافق ابو عمرو وابن مجاهد واسمعيل في الوصل
درجات من بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الوقوف آزر ج للابتداء بان مع اتحاد المقول مبين الموقنين رأى كوكبا لان جواب لما قوله رأى
مع اتحاد الكلام بلا عطف ربي ج لان جواب لما سطر مع فاء التعقيب فيها الآفلين هذا ربي ج لذلك الضالين هذا اكبر ج لذلك يشركون المشركين ج لاحتمال
الواو الحال اي قد حاجه قومه ط هدان ط لانتهاء الاستفهام شيئا ط علما ط تتذكرون سلطانا ط لانتهاء الاستفهام بالامن ج لان جواب ان منتظر محذوف فالتقدير ان كنتم
تعلمون فاجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون لتناهي الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله مهتدون على قومه ط من نشاء ط عليم التفسير انه سبحانه
كثيرا ما يحتج على مشركي العرب باحوال ابرهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعترف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف وذلك انه سلم قلبه للرحمن
ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الآية تدل على ان اسم والد ابرهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارح
قال الزجاج لا خلاف بين النسابين ان اسمه تارخ فمن الملحدة من طعن في هذا القرآن لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابين لا عبرة به لان ذلك
ينتهي الى قول واحد او اثنين مثل وهب وكعب وغيرهما سلمنا ان اسمه كان تارخ لكنه من المحتمل ان يكون احدهما لقبا والآخر اسما اصليا او يكون آزر
صفة مخصوصة في لغتهم كالمخطئ والمخذول قيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على الفاظ قليلة من غير
لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم فيجوز ان يسمى به للزوم عبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعو كل
اناس بامامهم وقال الشاعر أدعى باسماء نبزا في قبائلها كأن اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد
ابرهيم كان تارخ وكان آزر عما له والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق ومعلوم ان اسمعيل
كان عما ليعقوب ومما يدل على صحته ظاهر الآية ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا احرص ما كانوا على تكذيب الرسول ص واظهار نقصه فلو كان
النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا ان النسب صحيح قالت المعتزلة ومن يجري مجراهم ان احدا من آباء الرسول
صلى الله عليه وآله ما كان كافرا وفسروا قوله وتقلبك في الساجدين بانتقاله من ساجد الى ساجد واكدوه بما روي انه صلى الله عليه وآله
قال لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وان آزر كان عم ابرهيم وما كان والدا له لان ابرهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله
اني اراك وقومك في ضلال مبين وقد قال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرأ آزر بالضم والنداء بالاسم دليل
الاستخفاف ولهذا لم يقرأ بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني واجيب بان قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها اخر سوف يجيء
ذكرها وبان قوله لم ازل انقل محمول على انه لم يقع في نسبه ما كان سفاحا والتغليظ من ابرهيم انما كان لاجل اصراره على الكفر كما قال فلما تبين
له انه عدو لله تبرأ منه لا لاجل السفه والجفاء لقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب ثم ان ابرهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله
منكرا على آزر وقومه أتتخذ اصناما آلهة اي معبودين وذلك ان الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا
فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وان كثرت احتج بعضهم بالآية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى ان وجوب الاشتغال بشكره معلوم
بالعقل لا بالسمع لان ابرهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال واجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين
عليه وكذلك اي مثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والنكتة فيه ان التخلي عن غير الله
يوجب نزع الحجاب وبعد ذلك يكون حصول التجلي والتحلي بالله وانما لم يقل اريناه بلفظ الماضي لانه اراد الحكاية كانه قيل كيف بلغ ابرهيم هذا
المبلغ في قوة الدين والذب عنه فاجيب انا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه والمقصود بيان ان ارتقائه

في معارج الكمال وان زيادة في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا ان
جهات دلالتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته في تلك المعلومات ايضا غير متناهية
فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال التقديرية معلو[مة]
الله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية
فاما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت والرحموت والرهبوت من الرهبة قال بعضهم انه سبحانه اراه
الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى ما تحت الثرى فرأى ما فيها من البدائع والعجائب
عن ابن عباس انه لما اسري بابرهيم الى السماء واري ما فيها وما في الارض من العجائب رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى اخر بالهلاك فقال الله تعالى
له كف عن عبادي فهم بين خلال ثلث اما ان اجعل منهم ذرية طيبة او يتوبون فاغفر لهم او النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة
كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضايعا وايضا قوله
فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انه استدل بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم
ثم قال بالاخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا يصير حجة على قومه وايضا الاراءة بالعين يفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة
لا يوجب المدح والثواب كما للكفار في الاخرة وايضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتامل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد نري ابرهيم يستدل
بها وليكون من المؤمنين او ليكون من الموقنين نريها وفعلنا ذلك وذلك ان الاراءة قد تصير سببا للجحود لا الايقان كما في حق فرعون ولقد اريناه
اياتنا كلها فكذب وابى وايضا الانسان لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء
وبتقدير البقاء يكون شاغلة للرائي عن الله تعالى اما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف ان كل ممكن محتاج الى
الصانع الحي الواجب فكانه يرى بها ان المقلد منين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه
الرؤية باقية غير زايلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم الا ان الاطلاع على تفاصيل اثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واصنافها
واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا للاكابر الانبياء ولهذا قال عم في دعائه ارنا الاشياء كما هي ثم ان الانسان في اول استدلاله لا ينفك
قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تاثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد
ويزداد النفس بكل منها نورية واشراقا وانبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايقان ويطلع شمس العلم والعرفان الى حيث اتيح لها من الارتقاء على
وذلك كقوله فلما جن عليه الليل قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابرهيم وقوله وكذلك نري جملة وقعت اعتراضا
بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل واجنه الليل والتركيب يدور على الستر منه الجنة والجن والجنون والجنين وقيل جن عليه الليل اي
اظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى واما اجنه فمعناه ستره من غير تضمين معنى اظلم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك الزمان
رأى رؤيا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه في ملكه فامر بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابرهيم عم وما اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق
ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابرهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبرئيل عم فوضع اصبعه في فمه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبرئيل عم
وكانت الام تاتيه احيانا وترضعه وبقي في الغار حتى كبر وعرف ان له ربا فسال الام فقال لها من ربي فقالت انا فقال من ربك فقالت ابوك فقال للاب
من ربك فقال ملك البلد فعرف ابرهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى ما يستدل به على وجود الرب سبحانه فرأى النجم الذي كان
اصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى اخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ واوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واكثر
المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها ان ابرهيم كان قد عرف
ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى اخبر عنه انه دعا اباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الايات وفي هذا الموضع دعا
اباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت السموات
والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها انه تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل
اي من اول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه القصة وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها انه قال بعد القصة يا
قوم اني بريء مما تشركون مع انه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في الكواكب
بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا احب الافلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم ويؤكده
قوله وكيف اخاف ما اشركتم لا انه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ومنها ان تلك
الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل اولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى
ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام القوم وافحامهم والابتداء بافول الكوكب لانه اتفقت مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتد

المناظرة الى ان طلعت الشمس ثم ههنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا كلام ابرهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله ومثاله ان
يقول لمناظره من يزعم قدم الجسم الجسم القديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه متركبا متغيرا فقوله الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لالزام الحجة
عليه او المراد هذا ربي في زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال تعم ويوم يناديهم فيقول اين شركائي
وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك كان ثم يقول بالاله الاعلى في زعمهم او المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف
الاستفهام لدلالة الكلام او اضمر القول اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا
والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء او انه عرف من تقليدهم
لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا ولم يلتفتوا فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع ان ابرهيم
كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة المامور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود
الى شخص واحد كقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فلان يجوز ذكرها لتخليص عالم من الكفر والعقاب الابدي كان اولى قالت
العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة انهزم عسكر الاسلام فحينئذ
يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم وان من كان في الصلوة فراى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق
وجب عليه قطع الصلوة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث
المستقبلة فوافقهم ابرهيم على هذا الطريق في الظاهر مع انه كان بريئا عنه في الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح
من الله تعالى اظهار خوارق العادات على من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله يدل على كذبه فلا يروج التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها
على يد من يدعي النبوة كاذبا لان التلبيس يروج فكذا ههنا قوله هذا ربي لا يوجب الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج
لهم لقبول الدليل فكان جائزا الاحتمال الثاني انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله قبل البلوغ وقد اشتد ذكاؤه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فراى
النجم فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا الفكر فقال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم ان القصة
التي ذكرناها من ان ابرهيم عم ولد في الغار وتركته امه وكان جبرئيل يربيه محتملة في الجملة لان الارهاص هو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز
عندنا ولم يجوزه القاضي الا اذا حضر في ذلك الزمان رسول من الله تعالى فيكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال في الكشاف فان قلت لم
احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وانا اقول الاحتجاج
بالبزوغ في الاينر لا يصح لانه تعم بين انه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه فيلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس
دليله انه لم يقل راى القمر يبزغ بل بازغا ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والاوساط والعوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان
فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز ان يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق
الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب
سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما في الباب ان يقال ان لها تاثيرات في احوال العالم السفلي ولكن تلك التاثيرات
لما لم يكن لها بذاتها لزم استناد الكل الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم النيرات فيجب ان يكون قادرا على خلق
البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدا بحال ويعلم من قوله لا احب الافلين انه تعم ليس بجسم والا كان تعالى
عنه افلا وانه لا يصح عليه المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة وفيه ان معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل
الى معرفته تعالى الا بالنظر والاستدلال اما قوله فلما راى القمر بازغا يقال بزغ القمر او الشمس اذا ابتدا بالطلوع واصل البزغ الشق كانه يشق الظلمة شقا
الازهري وفي قوله لئن لم يهدني ربي اشارة الى ان الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة يحملونها على التمكين واراحة الاعذار ونصب الدلائل
وزيف بان كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك لا بد ان يكون زائدا عليها فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي اراد هذا
الطالع او هذا المرئي او ذكر بتاويل الضياء والنور باعتبار الخبر وهو ربي مع رعاية الادب وهو ترك التانيث عند اللفظ الدال على الربوبية
كما لم يقولوا في صفة الله علامة وان كانت بناء مبالغة هذا اكبر اي اكبر الكواكب جرما واقوى نورا وقد برهن في الهيئة على انها مائة وستة وستون
مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس او لا مع انه يلزم منه عدم ربوبية ما دونها من القمر والكواكب لانه اراد الاخذ من الادون الى
الاعلى لمزيد التقرير والتصوير يا قوم اني بريء مما تشركون قيل لا يلزم من نفي ربوبية النجوم نفي الشريك مطلقا والجواب ان القوم لم ينازعوه
الا في الصور المذكورة فلما اثبت انها ليست اربابا ثبت بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهي للذي وجهت عبادتي له
فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة واصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق
والورد اذا اظهرهما والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال ابو العالية الذي يستقبل البيت في صلوته ثم ان قومه حاجوه وتمسكوا
بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا آباءنا على امة وكقولهم للرسول اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وتخويفهم اياه بالاصنام

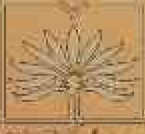
اخوي فاجابهم بقوله أتحاجونّي في الله وقد هدان اي لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قولي فكيف التفت الى حجتكم الواهية ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا ان يشاء الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف المضاف اي الا ان انبت فيشاء انزال العقوبة بي او الا ان يريد ابتلائي بمحنة او الا ان يمكن بعض تلك الاصنام من ضرر مثل ان وحي بكوكب وكان قد اودع فيها طلسم فيصيبني مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شيء من المكاره في الايام المستقبلة لم يحمله الحمقى والجهلة على قدرة الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يفعل الا الخير والصالح افلا تتذكرون ان نفي الانداد عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب و نزول العذاب وان الضر لا يتأتى من الفاسد والعاجز لا يساوي القادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا اذ لا سلطان فيه نزل وقيل انه لا يمتنع عقلا ان يؤمن باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء ولكنه لم يؤمر به والمعنى ما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ثم قال فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه والغرض انه احق بالامن ان كنتم تعلمون ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا الاية والمعنى ان الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية مشار اليه بالايمان ولكمال القوة العملية وهو وضع الاشياء في مواضعها واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا اي لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط في الايمان الموجب للامن عدم الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا في الايمان لم تكن لهذا التقييد فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط في حصول الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له ابدا واجيب بان الظلم ههنا الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه مع الاقرار بالصانع ممكن ورجح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا في المعبودية ويؤيده ان القصة وردت في نفي الاضداد والانداد وانه لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدي واعلم ان المحاجة في الله تارة يكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابرهيم وتارة يكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابرهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا واليها الاشارة بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدنا اليها ووفقنا لها نرفع درجات من نشاء من قرأ بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرأ بالتنوين فيكون كقوله ورفع بعضهم درجات وقد تقدم في البقرة واختلف في تلك الدرجات فقيل اعمالهم في الاخرة وقيل تلك الحجج درجات رفيعة لانها غاية ارتفاع الروح من حضيض العالم الجسماني الى اعلى العالم الروحاني وقيل نرفع من نشاء في الدنيا بالنبوة والحكمة وفي الاخرة بالجنة والثواب او نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا بموجب التشهي والجزاف التأويل رأى ابرهيم ملكوت الاشياء وبواطنها ليكون من الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال المودع في ذرو قومه فلما جن عليه ظلمة ليلة البشرية امطر سحاب العناية غيث الهداية على ارض قلبه فانبت بذر الخلة المودعة في ملكوت قلبه فرأى نور الرشد في صورة الكوكب طالعا من افق سماء روحانيته فقال هذا ربي اراد به سره المكوكب لا الكوكب ان لم يشعر به نفسه كما قيل هوى فؤادي ولم يعلم به بدني فالجسم في غربة والروح في وطن فان كذبت النفس فيما قالت للكوكب هذا ربي ما كذب الفؤاد ما رأى من الكوكب فقال هذا ربي فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخليقة عند رجوعه الى وصافه من وافقه كوكب السماء بالغروب قال اني لا احب الآفلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر القمر تجلى له نور الربوبية في مرآة القمر قال هذا ربي فلما افل عند رجوعه الى وصافه وان دام الشوق قال لئن لم يهدني ربي برفع حجب الاوصاف ويبقيني على وجود الخليقة لاكونن من القوم الضالين عن الحق كأزر وقومه فلما انخرق حجب الاوصاف وخرجت شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال هذا ربي فلما افلت شمس الهداية تعززا وتعظما ليغرب ابرهيم عليه عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب تبرأ عن الاضداد والانداد ونزهه الخلة عن الجهات وخلص تجلي صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم اني بريء مما تشركون وقد يدور في الخلد ان ابرهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر اولا في عالم الاجسام فرجحها افلة في افق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها افلة في افق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها افلة في افق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده ان هذه القوى المدركة الثلثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم قاهر لها مستول عليها وحاجه قومه ليبطلوا استوار شبههم على شموس عرفانه وقد هدان اليه بالعيان بعد قولي البرهان الا ان يشاء ربي شيئا من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربي كل شيء علما فهو اعلم باهل العرفان وباصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الشرك لا التفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبرئيل اما اليك فلا وتلك يعني اراءة الملكوت وشواهد الربوبية في مرآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والتبري عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقي بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات آتينا ابرهيم بنا لا من غير واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية ان الله حكيم

ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى

وَهٰرُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَ
وهرون وهمچنین پاداش میدهیم نیکوکارانرا وزکریا ویحیی وعیسی والیاس را وهریک از نیکوکارانند واسمعیل ویسع ویونس و
لُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
ولوط را وهریک را زیادتی دادیم بر جهانیان واز پدران ایشان وفرزندان ایشان وبرادران ایشان وبرگزیدیم ایشانرا وهدایت کردیم بسوی راه راست
ذٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
این است راه خدا که هدایت کند بان انرا که خواهد از بندگانش واگر شرک آورند هراینه باطل گردد از ایشان انچه بودند که میکردند انگروه انانند که دادیم ایشانرا
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولٰئِكَ
کتاب وداوری وپیغمبری پس اگر کافر شوند بان اینگروه پس هرآینه برگماریم بان گروهیرا که نیستند بان کافران انگروه
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ القراءة
انانند که هدایت کرد ایشانرا خدا پس بهدایت ایشان اقتدا کن بگو نمیخواهم از شما بازاء ان مزدی را نیست ان مگر اگاهی برای جهانیان

والیسع بتشدید اللام حمزة وعلی وخلف الباقون بالتخفیف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلوانی عن الهشام مختلسة وبحذف الهاء فی الوصل سهل یعقوب وحمزة وعلی وخلف الباقون بسکون ها السکت علی الاصل الوقوف ویعقوب ط کلا هدینا لان ونوحا مفعول مابعده ولو وصل التبس بانه مفعول ماقبله مع اتفاق الجملتین وهرون المحسنین لا للعطف والیاس ط من الصالحین لا للعطف ولوطا العالمین لا للعطف واخوانهم لبیان ان قوله واجتبیناهم یعقوب الی قوله کلا هدینا کقوله ممن هدینا واجتبینا ولاحتمال الواو للحال ای وقد اجتبینا وذکرهدیناهم بعد مستقیم من عباده یعملون والنبوة بکافرین اقتده اجرا للعالمین التفسیر لماذکر حجة ابرهیم صلوات الرحمن علیه فی التوحید والذب عن الدین الحنیفی عدد وجوه نعمه واحسانه علیه فبعد نعمة ایتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال علی العظمة کما یقوله عظماء الملوک لیدل بذلک علی عظم العطیة وذلک انه جعل اشرف الناس وهم الانبیاء والرسل من نسله وعقبه قیل وانما لم یذکر اسمعیل مع اسحق وان کان هو ایضا لصلبه لان المقصود بالذکر ههنا انبیاء بنی اسرائیل وهم باسرهم اولاد اسحق ویعقوب اما اسمعیل فانه ماخرج من صلبه احد من الانبیاء الا محمد صلی الله علیه واله ولایجوز ذکر محمد صلی الله علیه واله فی هذا المقام لانه امر محمدا ان یحتج علی العرب بان ابرهیم لما ترک الشرک واصر علی التوحید شرفه الله بالنعم الجسام فی الدین والدنیا ومن جملته ذلک ان اتاه اولادا کانوا ملوکا وانبیاء فاذا کان المحتج بهذه الحجة هو محمد امتنع ان یذکر نفسه فی هذا المعرض فلهذا السبب لم یذکر اسمعیل مع اسحق اما قوله ونوحا هدینا من قبل فالمقصود منه بیان کرامة ابرهیم بحسب الاباء ایضا مثل نوح وادریس وشیث واما الضمیر فی قوله ومن ذریته فقد قیل انه یعود الی نوح لانه اقرب ولانه تعالی ذکر فی جملتهم لوطا وهو کان ابن اخی ابرهیم وماکان من ذریته بل کان من ذریة نوح ولان ولد الانسان لایقال انه ذریته فعلی هذا اسمعیل ماکان من ذریة ابرهیم وکان من ذریة نوح وکان یونس علیه السلام لم یکن من ذریة ابرهیم علی قول بعضهم وقیل الضمیر عائد الی ابرهیم لانه المقصود بالذکر فی هذا المقام واعلم ان الله تعالی ذکر اربعة من الانبیاء وهم نوح وابرهیم واسحق ویعقوب ثم ذکر من ذریتهم اربعة عشر نبیا داود وسلیمن وایوب ویوسف وموسی وهرون وزکریا ویحیی وعیسی والیاس واسمعیل والیسع ویونس ولوطا فالمجموع ثمانیة عشر وانه لم یراع الترتیب بینهم فی الایة لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلک علی ان الواو لاتفید الترتیب قال فی التفسیر الکبیر ان وجه الترتیب انه تعالی خص کل طائفة من طوائف الانبیاء بنوع من الکرامة من المراتب المعتبرة عند الجمهور الملک والسلطنة وقد اعطی داود وسلیمان من ذلک نصیبا عظیما والثانیة البلاء والمحنة وقد خص ایوب بذلک والثالثة استجماع الحالتین وذلک فی حق یوسف فانه ابتلی اولا ثم اوتی الملک ثانیا الرابعة قوة المعجزة وکثرة البراهین والبینات وذلک حال موسی وهرون الخامسة الزهد الکامل کما فی حق زکریا ویحیی وعیسی والیاس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحین السادسة الانبیاء الذین لیس لهم فی الخلق اتباع ولا اشیاع وهم اسمعیل والیسع ویونس ولوط واما المراد بقوله کلا هدینا ونوحا هدینا فقیل المراد الهدایة الی طریق الجنة بدلیل قوله وکذلک نجزی المحسنین فان جزاء المحسن علی احسانه لایکون الا الثواب قیل لایبعد ان یکون المراد الهدایة الی الدین والمعرفة لانهم اجتهدوا فی طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول کما قال والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا وقیل انها الارشاد الی النبوة والرسالة لان الهدایة المخصوصة بالانبیاء لیست الا ذلک وهذا انما یصح عند من جوز ان یکون الرسالة جزاء علی عمل واستدل بعضهم بقوله وکلا فضلنا علی العالمین علی ان الانبیاء افضل من الملائکة وذلک ان العالم اسم لکل موجود سوی الله تعالی فیدخل فیه الملائکة وکذا الاولیاء وقیل فضلناهم علی عالمی زمانهم فلا یتم الاستدلال قال القاضی ویمکن ان یقال المراد وکل من الانبیاء یفضلون علی کل من سواهم من العالمین ثم الکلام فی ان ای الانبیاء افضل من بعض کلام اخر لاتعلق له بالاول ثم قال ومن ابائهم وذریاتهم واخوانهم وانه معطوف علی کلا ای فضلنا بعض ابائهم فالاباء هم الاصول والذریات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفیه دلیل علی انه تعالی خص کل من تعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والکرامة ثم ان قلنا المراد من الهدایة الی الثواب الجنة فقوله من ابائهم وکلمة من للتبعیض یدل علی انه قد کان فی ابناء هؤلاء الانبیاء

من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون المرأة رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اي
اصطفيناهم من جبيت الماء في الحوض جبوته اي جمعته ذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو اشركوا لحبط وفيه
دليل على ان الهداية من الله تعالى ولكن للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك
يعني الانبياء الثمانية عشر الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لا بد بحكم العطف من تغاير الامور الثلثة ووجهه ان الحكام على الخلق ثلث طوائف بعد
الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الامرين وهم الانبياء فالامور الثلثة اشارة الى هذه الاصناف
الثلثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما في هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحي والتنزيل كصحف ابرهيم
وتورية موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اي بالامور الثلثة او بالنبوة
هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي ليسوا كافرين بها ومن توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها
كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم برعايته وتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم
الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج وقوله عقيبه اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء يعني الملائكة وضعف بان اسم
القوم قلما يقع على غير بني آدم وفي الاية دلالة على انه تعالى سينصر نبيه ويظهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد وكان اخبارا بالغيب
فصح اعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على انه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشترك
بين الكل لم يصح هذا التخصيص اجاب الكعبي بانه زاد المؤمنين من الالطاف ما لا يحصيه الا الله وبتقدير ان يستوي فاذا لم ينتفع به الكافر صح
الظاهر ان يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف ورد بان الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن وبان الوالد اذا سوى
بين الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز ان يقول احد ان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهداهم اقتده من
حذف الهاء في الوصل فعلى الاصل ومن اثبتها في الوصل كما في الوقف اراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط في الحالين واما قراءة ابن
عامر فقال ابو بكر بن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليست بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم
اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اي لا تقتد الا بهم ولا خلاف في ان رسولنا مأمور بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدى
فمن الناس من قال المراد الذي اجمعوا عليه هو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال آخرون المراد
به الاقتداء بهم في شرايعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزم ما شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل
وقال القاضي هذا بعيد لان شرايعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالامور المتناقضة معا ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس
العمل ودليل ثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه وانه باطل بالاجماع واجيب بان العام يجب تخصيصه
في الصورة المتناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبان المستدل بالدليل فصل في ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا
لوجوب الفعل على الثاني وبانه يلزم ان يكون منصبه اجل من منصبهم لانه استجمع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في
داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون ولهذا
قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولما امره بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هديهم ان لا يطلبوا الاجر على المال والجعل في ايصال الدين و
ابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسئلكم ايها الامة عليه على البلاغ اجرا ان هو يعني القرآن الا ذكرى للعالمين يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه
في المعاش والمعاد وفيه دليل على انه صلى الله عليه وآله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم التأويل ووهبنا قصد بنا درجات ابرهيم انا
وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله افرد ذكر اسمعيل لمكان محمد صلى الله عليه وآله كيلا يقع ذكره تبعا لموهبة ابرهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله
عليه وآله واجتبيناهم في الازل لهذا الشأن وهديناهم الى الابد ولو اشركوا بان لاحظوا غيرنا فاثبتوا شيئا من دوننا ونسبوا شيئا من الحوادث
الى غير قدرتنا ولم يشهدوا انا نثبتهم في هويتنا لحبط عنهم لتلاشي عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا وانتهى
سير كل منهم الى ما قدر له آدم في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في
السادسة وابرهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى سدرة المنتهى وانت يا محمد الى مقام قاب قوسين او ادنى قل لا اسئلكم ايها الانبياء
على الاقتداء اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ليعلموا ان الطريق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء ولا اسئلكم ايها الامة على دعوتكم الى الحق اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين من الله وبه واليه
وهو المستعان وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
نشناختند خدا را سزای شناختنش چون گفتند که نفرستاده است خدا بر هیچ بشری چیزی بگو که فرو فرستاد کتاب را که آورد او را موسی روشنی
وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم
و راهنمایی از برای مردم که قرار داده اید او را کاغذها آشکار امی نمایید و پنهان داشته اید بسیار را و آموخته شدید آنچه ندانستید شما و نه پدران شما بگو که خدا پس واگذار ایشان را
يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون



بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه

باخرت میگروند بان وایشان بر نگاه نماز شان نگاهبانانند وکیست ستمکارتر از انکه دروغ گفت بر خدا دروغ یا گفت که وحی شده بمن و وحی نشده باشد باو

شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا

چیزی و هر که گفت زود بیکه فرو فرستم مانند انچه فرو فرستاد خدا و اگر ببینی وقتی را که ستمکاران در شدائد مرگند و فرشتگان پهن کننده اند دستهای را که برون آرید

انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد

جان زتن خود امروز جزا داده شوید عذاب خوار را بانچه بودید که میگفتید بر خدا ناحق و بودید از آیات او گردن کشی کردید و هر آینه

جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم

بیائید ما را تنها چنانکه آفریدیم شما را اول مرتبه و واگذارید انچه را عطا کردیم شما را در عقب سرهای خود و نبینیم با شما وسیلهارا

ع ١٢ الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى

انانرا که گمان داشتید که ایشان در باره شما انبازانند بتحقیق جدا شده پیوند میان شما و گم شد از شما انچه که بودید گمان داشتید بدرستی که خدا شکافنده دانه و هسته خرما

يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا

برون ارد زنده را از مرده و برون ارنده مرده است از زنده اینست خدای پس بکدام برگردانیده میشوید شکافنده صبح و گردانید شب را آسایش

والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا

و آفتاب و ماه را بحساب اینست تقدیر خدای غالب دانا و او است آنکه قرار داد از برای شما اختران را تا راه یابید بانها در تاریکیهای بیابان و دریا هر آینه تفصیل دادیم

الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم

آیات را از برای گروهی که بدانند و او است آنکه آفرید شما را از شخص واحدی پس است قرارگاهی و ودیعت جائی هر آینه هویدا کردانیدیم آیات را از برای قوم

يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا

که فهم نمایند و او است آنکه فرو فرستاد از ابر آب را پس برآوردیم بان رستنی هر چیزی را پس برآوردیم ازان سبزه که

نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان

برآوریم ازان دانهای سوار بهم را و از درخت خرما از شکوفهای آن خوشهای نزدیک بهم و بوستانها از انگور و زیتون و انار را

مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون و

مانند یکدیگر و غیر مانند نگر بسوی میوه آن چون ثمر آید و وقت رسیدن آن بدرستی که درین هر آینه نشانهاست مر گروهی را که ایمان آرند و

جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون

قرار دادند از برای خدا انباز پریان را و آفریده است ایشانرا و بافتند بهم از برای او پسران و دختران بدون دانشی منزه است او و برتر است از انچه وصف کنند

القراءات يجعلونه يبدونها ويخفون بياء الغيبة ابو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة ابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح
النون ابو جعفر ونافع وعلي وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ الماضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون وجاعل الليل
على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح
ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف وكذلك في آخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف الوقوف من شيء ط لمن قرأ
يجعلونه بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم آباؤكم ط قل الله لا لان قوله ثم ذرهم معطوف على
قل يلعبون ومن حولها ط يحافظون انزل الله ط ايديهم ج لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف اي يقولون اخرجوا انفسكم ط لان المراد من اليوم يوم القيمة تستكبرون
ظهوركم ج لاتحاد القول والوقف وضع لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء ط تزعمون ط والنوى ط من الحي ط تؤفكون فالق الاصباح ج لمن قرأ وجعل لانقطاع
النظم واتصال المعنى على تقدير فلق وجعل او وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل في فالق حسبانا ط العليم والبحر ط يعلمون ومستودع ط يفقهون ط للعدول
مع اتحاد المقصود متراكبا لمن قرأ وجنات بالرفع فلعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقفه على دانية والا فليعطف ويفهم ان جنات من جملة النخل ومن
خفض فوقفه على متراكبا جائز للعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه ط وينعه ط يؤمنون بغير علم ط يصفون التفسير اعلم ان مدار القرآن
على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فبعد ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن
عباس اي ما عظموا الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ايضا في رواية ما آمنوا بان الله على كل شيء قدير وقال ابو العالية ما وصفوه
حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته اي في اللطف باوليائه وفي القهر لاعدائه وقال الجوهري قدر الشيء مبلغه وقدرت الشيء
اقدره واقدره قدرا من التقدير اي حزره وعرف مقداره ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء وانما كان منكر البعثة و
الرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما ان يدعي انه تعالى ما كلف احدا من الخلائق تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح باسرها واما ان

يسلم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا جهل فان قيل لم لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر
المنكرات فالجواب ان الامر كذلك الا انه لا يمتنع تاكيد التعريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحة على السنة الرسل لان اكثر العقول
قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا اعين بنور من خارج كنور الشمس او السراج وايضا تفويض
مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الاراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد يصدرون عن رايه وتعيين
ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطاء في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون التعيين
من الله سبحانه بكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا لمقاله ومن انكر ذلك
ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونقصان القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الاية بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش او البراهمة
فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وآله فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان
قوله تجعلونه قراطيس تبدونها الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا اهل الكتاب فهم لا يمكنهم ان يقولوا ما انزل الله على بشر من شيء بل يقرون بنزول التورية على موسى
والانجيل على عيسى وايضا الاكثرون اتفقوا على ان السورة مكية وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مدنية
فكيف يمكن حمل الاية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل
التواتر ظهور المعجزات على موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا
يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى
الله عليه وآله لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش ولاهل الكتاب بلغوا واما ان كانوا اهل الكتاب هو المشهور عند الجمهور فانه
ما روي عن ابن عباس ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله
صلى الله عليه وآله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي
يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني
ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما تاذى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول
صلى الله عليه وآله وانما انزل عليه من شيء البتة فامر بان يقول في جوابه من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي لما سلمت ان الله تعالى انزل الوحي
والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك ان تقطع بانه ما انزل على شيئا غاية ما في الباب ان تطالبني بالمعجزة والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار
انزال القران على رسول الله صلعم فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض
واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء في انه يبغض الحبر السمين
وهذا كما اذا ارادت المراة ان تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك
المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا لكلام الخصم اما قوله ان
السورة مكية والمناظرات مدنية فلعله يجيب عنه بان السورة مكية الا هذه الاية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة
من الايات قوله ما قدروا الله حق قدره يفيد ان عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في
موضع اخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم تكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على
بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل حجة ويعلم منه ان قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون
النقض مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الاية فان للمبهوت ان يقول معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم نبوتك
ومنها ان الغزالي رحمه الله تكلف وقال حاصل الاية يرجع الى ان موسى انزل الله عليه شيئا وواحد من البشر ما انزل الله عليه شيئا فينتج من الشكل
الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا انه لزم من
فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت ان دلالة هذه الاية على المطلوب انما تصح
عند الاعتراف بصحة شكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي
المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القران ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال
ابو علي الفارسي تجعلونه قراطيس اي تودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس
مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض كما فيه نعت محمد صلى الله عليه وآله وشيء من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره
وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد صلعم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الا انكم من الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤن الايات المشتملة على نعت محمد صلعم وما كانوا يفقهون معانيها الى ان بعث الله محمدا فظهر ان المراد منها
بقدومه وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون على ان ينكروا ذلك فان العقل

السليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف المؤيد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل اى شئ اكبر شهادة
قل الله والمقصود انه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف بها فسواء اقر الخصم به او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون
يقال لمن كان فى عمل لا يجدى عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون فى خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة
له او لذرهم والمعنى انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت فى الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ فقيل انها
منسوخة باية السيف وفيه نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول اية القتال رافعا للنهى من مدلولات هذه الاية ثم لما ذكر حال التورية اعقبه بذكر
القران فقال وهذا كتاب انزلناه وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا ص مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القران على
هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذى تولى انزاله بالوحى على لسان جبرئيل ع مبارك كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات
زاجر عن المنكرات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز الدنيا وسعادة فى
الاخرة وقد جرب فوجد كذلك مصدق الذى بين يديه اى موافق لما قبله من الكتب الالهية اما فى الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه
بحسب الازمنة واما فى الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وآله ويحصل منه ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره
ثم يصير منسوخا ولتنذر من قرا بتاء الخطاب فظاهر ومن قرا على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذركم بالوحى
وهو معطوف على ما دل عليه سابق الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة ولتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى
لان الارضين دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هى كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس يجتمعون اليها للحج و
للتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة فى الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف
اى اهل ام القرى ومن حولها قيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع
بالذكر لا يدل على نفى ما عداها لا سيما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعى انه رسول الى العالمين ويحتمل ان يعنى ما حول مكة يتناول جميع البلاد والذين
يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اى بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة
فى تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه وآله وفيه ان كفار مكة يبعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر
وهم على صلاتهم يحافظون يعنى ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبى وبالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة
بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كان المحافظ عليها ان ياتى باخواتها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة
وانزال الكتاب عليه فرية وافتراء فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت فى الكذابين مسيلمة الحنفى والاسود العنسى عن النبى ص رايت
فيما يرى النائم كان فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على واهمانى فاوحى الله الى ان انفخهما فنفختهما فطارا عنى فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة
مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسى او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ كان مسيلمة يقول محمد صلى الله عليه وآله رسول الله فى بنى قريش وانا
رسول الله فى بنى حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو برئ منه اما فى الذات واما فى الصفات واما فى
الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعى معارضة القران وهو قوله لو
نشاء لقلنا مثل هذا وروى ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابى سرح القرشى كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا املى عليه سميعا
عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما
انتهى الى قوله انشاناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبى ص اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد
الله وقال لئن كان محمد ص صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله ص
مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة ثم اتى به رسول الله ص فاستامن له ثم فصل ما اجمل من الوعيد فقال ولو
ترى الاية وجوابه محذوف اى لرايت يا انسان امرا عظيما اذ الظالمون يعنى الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس
فيندرج هؤلاء فيه فى غمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
قيل انه لا قدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسامهم فما الفائدة فى هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات
الموت فى الاخرة اذا دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يكلمونهم
يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت عند نزول الموت بهم فى الدنيا و
الملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات والالام ومنها هاتوا ارواحكم و
اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد فى زهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح
يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الى مالى عليك الان لا اريم مكانى حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل
امض الان لترى ما يحل بك ثم التحقيق ان نفس المؤمن حال النزع يبسط فى الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر يكره ذلك ويشق عليها الابتهاج وقطع التعلق لانها

تشير إلى العذاب وإليه الإشارة في الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المألوف وفي الآية دلالة على أن النفس الإنسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس لأن المخرج يجب أن يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريد به وقت الإماتة أو الوقت الممتد الذي يلحقهم فيه العذاب يعني البرزخ والقيامة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالإضافة لأن العقاب شرطه أن يكون مضرة مقرونة بالإهانة كما أن الثواب شرطه أن يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشيء ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشيء أي خف وأهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والمهانة والحاصل أنه جمع لهم بين الأمرين الإيلام والإهانة بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعني أن هذا العذاب الشديد إنما حصل لمجموع الأمرين الافتراء على الله والتكبر على آيات الله وهو عدم الإيمان لها قال الواحدي وكنتم عن آياته تستكبرون أي لا تصلون له لقوله صلى الله عليه وسلم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر ولقد جئتمونا يحتمل أن يكون معطوفا على قول الملائكة أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة إما الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم وإما الملائكة الموكلون بعقابهم ويحتمل أن يكون القائل هو الله تعالى لأنا جوزنا أنه يتكلم مع الكفار فرادى جمع بنون ولا بنون واحده قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران قاله ابن قتيبة وقيل فريد كرديف وردافى وهم الحداة والأعوان لأنه إذا أعيى أحدهم خلفه الآخر كما خلقناكم أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو مجيئا مثل خلقنا لكم أول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لأنهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا إلى تحصيل أمرين أحدهما المال والجاه والثاني أنهم عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فغلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك أن النفس الإنسانية إنما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة لها في اكتساب المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة فإذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى أي منفردين عما يجب من الأعمال والعقائد ثم إنها مع ذلك اكتسبت أشياء قد علقت الرجاء بها لأنه أفنى العمر في تحصيلها وأنها ليست مما يبقى معها فلا جرم استحق التفريع بقوله وتركتم ما خولناكم أي أعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني أنها كالشيء الذي يبقى وراء ظهر الإنسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما يبقى معوج الرأس بسبب التفاته إليها وما نرى معكم شفعاءكم أي ليسوا معكم حتى تروا أو ليس معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الآية من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الأسباب بين جمع بين الشيئين أي وقع الجمع بينهما على إسنادها الفعل إلى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم إذا كان غدا فأتني أي إذا كان الرجاء والبلاء غدا فأتني فأضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلأنه أسند الفعل إلى الظرف اتساعا كما يقول قوتل خلفكم وأمامكم أو لأن المراد بالبين الوصل وإنما حسن استعماله في معنى الوصلة مع أن أصله الافتراق والتباين لأنه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض الوجوه كقولهم بيني وبينه مشاركة وبيني وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل أن يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد جده فالعاقل من يكتسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال في وجوه التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرته يوم ينقطع بين النفس والجسد وصله ثم إنه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد إلى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته ليعلم أن حاصل المباحث العقلية والنقلية إنما هو معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله فقال إن الله فالق الحب والنوى أي بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفالق هو الخالق ووجهه أن العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق فإخراج الشيء من العدم إلى الوجود شق لذلك العدم فلق بحسب التخيل والتعقل واعلم أنه إذا وقعت الحبة والنواة في الأرض الرطبة ثم مر بها قدر من المدة أظهر الله في أعلاها شقا ومن أسفلها شقا أما العالي فيخرج منه الشجرة الصاعدة إلى الهواء وأما السافل فإنه يخرج منها الشجرة الهابطة في الأرض وهي المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها أن طبيعة الشجرة إن كانت تقتضي الهوي في الأرض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة إلى الهواء وبالعكس فاتصال الشجرتين على التباين ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى إرادة الموجد المختار ومنها أن باطن الأرض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه المسلة ولا السكين ثم إنا نشاهد أطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص في جرم الأرض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم الضعيف ليس إلا بتقدير العزيز العليم ومنها أنه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة أغصان وأوراق وأزهار وأثمار وللثمر قشر أعلى وقشر أسفل وفيه اللب وفي اللب الدهن الذي هو المقصود الأصلي فتولد هذه الأجرام المختلفة في طبائعها وصفاتها وألوانها وطعومها وأشكالها مع تساوي تأثيرات النجوم والطبائع في المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها قد نجد الطبائع الأربع حاصلة في الفاكهة الواحدة فالأترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس كذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها أنك تجد أحوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه في الداخل وقشره في الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة في الخارج والخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون لنواها حب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يكون مطلوبا كالتين فهذه الأحوال المختلفة والأشكال المتخالفة تتضمن حكما وفوائد لا يعلمها إلا مبدعها ومنها أنك إذا أخذت ورقة واحدة من أوراق الشجرة وجدت في سطحها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في بدن الإنسان ولا يزال يتشعب حتى يخرج عن إدراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق أصغر من الأول فكأنه سبحانه أوجد ذلك ليقوم به الجاذبة [illegible]

جوهر تلك النواة وعلى جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك النواة الواحدة علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة اكثر وعلمت عنايته بتخليق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله النبات و الحيوان وبصيرتك مرقاة لك الى وجود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله يخرج الحي من الميت لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس اخرج من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحي نطفة او يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المؤمن من الكافر كما في حق ابرهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه او المطيع من العاصي و العاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا سقى الافيون في الشراب ليموت فما اثر ولما ظن القوم انه سيموت فرفعوه و جعلوه في بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برودة الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجاني ره ان قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذكر الفعل في كل وقت بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقهم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحي اشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحي من الميت اكثر من العكس ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحي المميت فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهي الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في اخر الليل وكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد فالق الاصباح بياض النهار واسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب او الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح في البقرة في تفسير قوله عز من قائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض من جانبه الشرقي لا ينافي كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي اراد ان يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار النوع الثاني من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا حجة من قرا باسم فاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرا بصيغة الفعل ان قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبا ولا بد من عامل وما ذاك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المؤنسة لانها تستانس بها والليل يطمئن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعم واثنان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله والشمس والقمر حسبانا اي سببي حسبان لان حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل او يعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل اريد ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون لليل محل قلت وهذا مناقض لما ذكره في مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى يكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة واما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدا بين محذوف الخبر اي والشمس والقمر مجعولان او محسوبان حسبانا وذلك الجعل تقدير العزيز الذي قهرهما العليم الذي دبرهما وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهيئاتها المحدودة واوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذي جعل لكم النجوم عد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير في ظلمات الليل بالبر والبحر فاضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات التعطيل وبحر التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمجال وصفة اخرى مع تشاركها في الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافها بالاعضاء و الابعاض والحدود دال على انها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال قد فصلنا الايات لقوم يعلمون فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب ثم عدل عن الايات الافاقية الى ايات الانفس فقال وهو الذي انشاكم اي خلقكم بطريق النشو والنماء من نفس واحدة هي ادم وحوا مخلوقة من ضلع من اضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن او بالنفخ و هي من ادم فمستقر من قرا بكسر القاف فالتقدير ومنكم مستقر ومنكم مستودع الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قراه بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمي مكان او مصدر وذلك ان استقر لازم فلا يجي منه المفعول به بلا واسطة فينبغي تفسير مستودع ايضا بما يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان النطفة في الرحم اكثر فيكون لفظ القرار به الانسب بخلاف المستودع فانه في معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شان المني في الاصلاب فانه بصدد الانزال في كل حين والرحم تقبل المستقر صلب

[illegible]

كما قال لتسكنوا فيه

الاب المستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقرت هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب مناسب لتقديم
المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر
قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى وحصل في الوجود والمستودع
الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر من في قرار الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وعن
ابي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر في صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة
ثم انه ينقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والا لتساوى الكل في الاحوال والاحكام فبقي ان ذلك بتدبير فاعل قدير
مختار خبير ولهذا قال قد فصلنا الآيات ميزنا بعضها عن بعض لقوم يفقهون لان الفائدة تعود اليهم وان كان الارشاد عاما ولان الآيات الانفس اقرب
الى الاعتبار واهون لدى الاستبصار ختم الاية بالفقه وخصص خاتمة الاولى بالعلم ليعلم ان الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء اصلا فضلا عن العلم ثم عدد
ما كونه نعمة ابين فيه من كونه اية فقال وهو الذي انزل من السماء ماء قيل اي من جانب السماء وقيل اي من السحاب لان العرب يسمي كل ما فوقك سماء كسماء
البيت وقال اكثر اهل الظاهر اي من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار قادر على خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب
الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر ولا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة
الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها فاخرجنا به اي بواسطة ذلك الماء وذلك بموجب الطبع والمتكلمون ينكرونه نبات كل شيء قال الفراء اي نبتا كل شيء
له نبات فيخصص بحيث كل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عدا ذلك وفي الاية التفاتان الاول من الحكاية الى الغيبة ثم لم يقل نحن الذي انزلنا
والثاني من الغيبة الى الحكاية وانه خبر ان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو ديدن الملوك ثم لما بين
ان السبب هو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسب ما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال فاخرجنا منه اي من
النبات خضرا شيئا اخضر طريا وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه اي من ذلك الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح و
الشعير والسلت والذرة فاصل ذلك هو العود الاخضر ويكون السنبلة ذا كثيرة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة اجسام دقيقة حادة كا
الابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب اتبعه بذكر ما ينبت من النوى فقال ومن النخل وهو
خبر وقوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان او الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان
وهو جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب الطلع اول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين
التي قد تدلت من الطلع دانية من تحتها وعنه ايضا انه اراد عذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان احد القسمين
يغني عن الآخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى معرضة
للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وجنات من اعناب بالنصب
عطفا على خضرا اي واخرجنا به جنات من اعناب ومن قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا
يجوز ان يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف اذ يصير المعنى حاصلة او مخرجة من النخلة من طلعها جنات حصلت من اعناب اما قوله والزيتون
والرمان بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها او للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم
انه سبحانه قدم الزرع على الاشجار لانه غذاء والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولا سيما للعرب ومن
فضائلها ان الحكماء بينوا ان بينه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر
العنب عقيب النخل لانه اشرف انواع الفواكه وانه ينتفع به من اول ظهوره الى آخر حاله فاوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ
منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل
ومنافع كلها لا تحصى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واخس ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة
ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذي يعظم غناؤه واما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وعجم وشحم وماء والثلاثة
الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة واما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات فانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها
مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه وكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة
والرحمة والحكمة فيه اكمل وانواع النبات اكثر من ان يفي بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه
ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه قد تكون متشابهة في اللون والشكل مع انها تكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد تكون
متشابهة في الصورة واللون والشكل ثم انها تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهة
في الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود
متشابهة وذلك انك قد تأخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة فانها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة

وبعضها غير متشابه

والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد اي اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف
احدهما او على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان ايضا كذلك كقوله رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي رماني انظروا
الى ثمره من قرأ بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كانهم خشب مسندة
او على انه ثمار جمعه على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر اذا اخرج ثمره اي اثمر وينعه اي ينعت الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا ادركت ونضجت امر بالنظر في حال ثمر كل شجر
اول حدوثها وفي اخر حالها فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تصير الى السواد والحلاوة وربما كانت اول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم
يصير حارة الطبع وقد يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لابد له من سبب
مستقل في التاثير سوى الطبائع والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الاية بقوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون
قال القاضي المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه اية لمن امن ولمن لم يؤمن ويحتمل ان يخص المؤمنين لانهم المنتفعون بها الذين دون غيرهم او المراد
ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع بها البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا
لله شركاء الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس
خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان
الكتاب الذي زعم زرادشت انه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم
قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على
ان اهرمن محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكة نفسه واستعظمها فحصل نوع من التعجب فتولد الشيطان من ذلك العجب
وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم ازلي والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة و
عسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة يلهمون الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون
الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع و
ان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل او بيان للشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا
وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء
وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الاية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن
اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء انها مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة لله تعالى اعانة الولد للوالد وعن الحسن طائفة من
المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع
على ابطال الشريك والضمير فيه اما ان يعود الى الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الاية نزلت في المجوس فنقول ان الاكثرين منهم
معترفون بان ابليس محدث ولو لم يعترفوا به لكن البرهان العقلي قائم على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول
ح كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه ثبت ان اله الخير قد فعل اعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو
مادة كل شر وان قلنا انها في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم تولد الولد من الوالد وان
عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا
من لا يخلق شريكا للخالق والجملة في موضع الحال اي وقد خلقهم وقرئ وخلقهم بسكون اللام اي اختلاقهم للافك يعني جعلوا لله خلقهم حيث نسبوا
قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها ثم حكى عن قوم اخرين نوعا اخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في
المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة
يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقتها والله ويجوز
ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم ففيه التنبيه على ابطال قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال
ان يثبت له ولدا لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالاخر تعلق الفرع عنه
وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب كان عبدا له لا ولدا وايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس
عن الفناء لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به
فقال سبحانه وهذا على لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا له في نفسه سواء سبحه مسبح ام لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة
بدليل قوله عما يصفون التاويل وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب والبعثة على انهم لو اعترفوا بذلك ايضا لم يعرفوه حق
معرفته لان المحاط لا يحيط بالمحيط نعم يزداد معرفته بان يزداد معرفته وصفاته تجعلونه قراطيس اي في القراطيس وما يجعلونه في ... بالتخلق باخلاقه
وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وآله ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سر الذي

يكون تعليمه بنسبة المتابعة سرا بسر وباضمار والذى علم النبى هو الله فى خلق ما سوى الله ولهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى
الخواص بان يهديهم اليه بهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفى كتاب المجبول شفاء لما فى القلوب مصدق الذى بين
يديه لانه يصدق ويحقق جميع ما فى الكتب ولتنذر ام القرى وهى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطب فى الميثاق وقد دحيت جميع ارض القلب
تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفواد والصفات والاخلاق بان تنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا والذين يؤمنون
بالاخرة فيستعملون الادوات والالات فى امور الدنيا والاخرة لا فى لذات الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقران وهم على صلوتهم
بالترقى من صفاتهم الى التخلق باخلاق القران يداومون فان الصلوة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجد والحالات ريا
مراء من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحى الى الاشارات ولم يلهم بنفسه شيئا منها ومن قال ننشد فى المنقبة فقاسا اتكلم بمثل كلام الله من الحقايق
والاسرار فيظهر معرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات
وطلب الرياسات ويكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها او فرادى عن تعلقات الكونين
كما خلقناكم اول مرة فى اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا والاخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى
معكم الاعمال والاحوال التى ظننتم انها يوصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبرئيل عند سدرة المنتهى ولا يصل
الى الوحدة الا بجذبة ارجعى الى ربك ولو لم يدركه الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير فى الله بالله وبقى فى السدرة وهو يقول وما منا الا له
مقام معلوم ان الله فالق حب الذرة التى اخذ منها الميثاق المودعة فى حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله فى ارض القلب
شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة تخرج نبات المحبة التى هى من صفات الحى القيوم من الذرة والمحبة الانسانية ويخرج الافعال الطبيعية التى هى من
صفات الكفار الموتى من المؤمن الحى فى الدارين وايضا يخرج نخل الايمان الحى من نوى الحروف الميتة فى كلمة لا اله الا الله ومخرج ميت النفاق
من الكلمة الحية وهى لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الجمادية بصباح العقل والحيوة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراك
وفالق ظلمات العالم الجسمانى يتخلص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم المكان بصباح نور الاستغراق فى
مذاق المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس
الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعنى تجلى شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحساب لئلا يفسد امر القلب والقالب ايضا
شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحساب لئلا يفسد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شموس
المعارف والشهود انا الحق وسبحانى وفى تفريطها فانا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذى لا يهتدى اليه الا بالعلم
بمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذى جعل لكم النجوم انوار الغيوب فى سموات القلوب لتهتدوا بها فى ظلمات البر البشرية وبحر الروحانية الى
عالم الربوبية وهو الذى انشاءكم من نفس واحدة هو روح محمد صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله روحى كما اجسادكم من جسد آدم ابى البشر فمن
الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر وما هو بعد مستودع فى عالم الارواح وايضا من الارواح ما هو مستقر منه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه
جذبات الحق ومنها ما هو مستقر فى انانيته مع علو رتبته بالبقاء وما هو مستودع فى بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا دلالات الوصول الى الوصال
لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذى انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شىء من انواع المعارف فاخرجنا منه خضر الحق من الحقايق والاسرار
يخرج منه من الحقايق ما تركب بعضها بعضا فترتب على بعض ومن النخل يعنى اصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين ومنهم من يكون
مرشدا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات يريد ارباب الزهد والتقوى والفتوى الذين لم يبلغوا رتبة الولاية
من اعناب الاجتهاد والزيتون الاصول والرمان الفروع مشتبها اى متفقا فى الاصول والفروع وغير متشابه اى مختلفا فيما بين العلماء انظروا
الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وينعه الكامل منها ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم
وجعلوا لله شركاء الى آخره كما يخرج بماء اللطف من ارض القلوب لارباب انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس لاصحابها انواع الضلالة

بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
اوست آفریننده آسمانها و زمین از کجا باشد مر او را فرزندی و نبود او را زنی و آفرید هر چیز را و او بهر چیزی داناست این است خدا پروردگار شما نیست خدائی بجز او آفریننده هر چیز پس بپرستید
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ
و اوست بر هر چیزی کارگذار   در نیابد او را دیدها   و او در یابد دیدها را   و اوست ناپیدای آگاه   بتحقیق آمد شما را بینائیها از پروردگار شما
فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ
پس هر که دید پس از برای خودش است و هر که چشم پوشید پس بر خود است و نیستم من بر شما نگاهبان   و همچنین مکرر میگردانیم آیات را   و تا بگویند که تو درس کرده و تا بیان کنیم آنرا
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ
از برای گروهی که میدانند پیروی کن آنچه را که وحی شد بسوی تو از پروردگارت نیست خدائی بجز او و روگردان از مشرکان و اگر خدا خواستی شرک نیاوردندی و قرار ندادیم ترا

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ

برانها نگاهبان ونیستی تو برایشان کارگذار ودشنام مدهید انهارا که میخوانند از غیر خدارا پس دشنام دهند خدارا از دشمنی وبی دانشی همچنین

زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ

آراستیم از برای هر طائفه کردار ایشانرا پس بسوی پروردگار ایشانست بازگشت ایشان پس خبر دهد انهارا بآنچه بودند که میکردند وسوگند یاد کردند بخدا غایت سوگندان که اگر بیاید بایشان

آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

نشانی هر آینه بگروند بدان بگو که جز این نیست که نشانها در نزد خداست وچه اگاه کرد شمارا که آن نشانها چون درآید نگروند وبرگردانیم دلهای ایشانرا وچشمهای ایشانرا چنانکه نگرویدند بدان اول بار ودرگذاریم ایشانرا در ...

القراءة ولم يكن بتاء الغيبة قتيبة درست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة الوقوف والارض ط صاحبة ط كل شيء ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف عليهم ربكم ج لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو لان قوله خالق بدل الضمير المستثنى او خبر ضمير محذوف فاعبدوه ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف وكيل لا تدركه الابصار لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ج اللطيف الخبير ج من ربكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه ج لذلك مع الواو فعليها ط بحفيظ يعلمون من ربك ج لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة الا هو ط للعطف مع العارض المشركين ما اشركوا ط حفيظا ط للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل بغير علم ط يعملون ليؤمنن بها ط وما يشعركم لمن قرا انها بالكسر الا فلا يؤمنون يعمهون التفسير لما بين اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الاية والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما ان تريدوا بكونه ولدا لله انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا اب وح يلزمكم القول بانه والد السموات والارض لكونه مبدعا لها وهذا باطل بالاتفاق واما ان تريدوا به الولادة كما هو المالوف في الحيوانات وهذا ايضا محال لان تلك الولادة لا تتصح الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس في رحمها وهذه الاحوال انما يثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد بهذا الطريق انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فذلك في حقه مستحيل واليه اشار بقوله خلق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون ازليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقي ان يكون حادثا فيقول انه تعالى عالم بكل المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة لتعلقت ارادته بايجاده في الازل دفعا لذلك الاحتياج والانتقاص فيكون الولد ازليا فان لم يكن حادثا هذا خلف فتبين ان اله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والاضداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى اخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا ذكر بعد الشركاء والبنين والبنات فكان رفع الشرك ههنا اهم وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظه ويدبره ورقيبه قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم نفى طريق من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن للعلماء في اثبات التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد اخر فيلزم العشر الى غير نهاية او القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله احدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للاخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد يعجز الاخر وهو محال وان كان في احدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الها ثانيا لكان اما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال او لا وعلى الاول لابد ان يحصل الامتياز بامر ما والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع ان الدليل النقلي في التوحيد كاف والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق افعال العباد وقالت المعتزلة انه تعالى ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا يتمدح بخلق الزنا والكفر واللواط وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج كثير من المعتزلة به على نفي الصفات وعلى ان القران مخلوق اما الثاني فلان القران شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه وبحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القران وانما الفرق بين قوله وخلق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك لان الاول يتعلق بالزمان الماضي والثاني يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين انه شيئا

ويكون جميع صفات الكمال

من النوى المدركة لا يحيط بحقيقته والى عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال لا تدركه الابصار هذه الاية من مشهورات استدلالات
المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري وما رايته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه
الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا انه ذكره في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا لم
يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيد وانما
لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يمدح بنفي الظلم عن نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من ان ادراك
البصر عبارة عن الرؤية لانه في اصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي لملحقون وقوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق
اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا انضجت واذا قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر رؤية مع الاحاطة ولا
يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد
الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي فاين ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما يحمل على الاستغراق فقد يحمل على المعهود
السابق ايضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد انها لا تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الاخرة او نقول قول القائل لا يدركه جميع الابصار يفيد
سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار ان محمدا ما امن به كل الناس فانه يفيد انه امن به بعض الناس
سلمنا ان الابصار لا تدركه لكن لم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيمة كما هو مذهب ضرار بن عمرو
الكوفي او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه اما قولهم ان الاية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى
جايز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل التمدح لو كان بحيث يصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله
ونهاية جماله والتحقيق فيه ان النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة
من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا
تاخذه ولا نوم لا هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع ان
يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية
عليكم لا لكم لانها افادت انه تعالى جايز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيمة لان القائل قائلان
قائل بجواز الرؤية مع ان المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع
انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال لطيف ثم ان القاضي استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه اخر خارجة عن التفسير لا تعلقه
بالاصول فاولها ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا او كانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد
وارتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية والا لجاز ان يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا
نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي
لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته حيث
لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه
وثانيها لو صحت رؤيته لاهل الجنة لرآه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لا يجوز ان يخلق الله تعالى الرؤية
في عيون اهل الجنة ولا يخلقها في عيون اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب
بمنع الكلية وبانه اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة
يلزم ان يروه في كل حال حتى عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك
لا يليق بحال اهل الجنة واجيب بانهم لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية منها
هذه الاية كما بينا ومنها هذه الاية كما بيناه ومنها ان موسى عم طلب الرؤية فدل على ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار
الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قد اتفق الجمهور على ان النبي صلى الله عليه واله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية
ومنها قوله فمن كان يرجوا لقاء ربه ونحو ذلك من الايات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا
يجوز فلا بد ان جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد راه نزلة اخرى وسوف ياتي في سورة النجم انشاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهيه الانفس ولا
شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فيمن
قرا بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية
بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه واله هل راى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم

في الدنيا واما الملئكة ع



السبب فدل على انهم كانوا يجمعون على امكان الرؤية اما قوله تعالى وهو يدرك الابصار ففيه دليل على انه سبحانه مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع
عليها عالم بها عليم بعوارضها وذاتياتها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام
بل المراد لطف صنعه في تركيب بدن الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف في
الانعام والرحمة لا يأمرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه يثني عليهم بالطاعة ويقطع مواد اطماعهم بالمعصية او المراد انه يلطف عن ان يدركه الابصار
الخبير بكل لطيف ولا يلطف شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصائر موجباتها والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين
فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد متمكن من الامرين الفعل والترك
وعورض بالعلم والداعي وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبهة المنكرين بقوله وكذلك
اي مثل ذلك التقرير البليغ نصرف الايات نأتي بها متواترة حالا بعد حال وليقولوا عطف على محذوف اي لتلزمهم الحجة وليقولوا درست تصرفها
ومعنى درست قرأت وتعلمت من الدرس ومن قرأ دارست اي قرأت على اليهود وقرأوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة واما قراءة
ابن عامر درست فهي من الدروس بمعنى ان هذه الايات قد مضت وعفت وهذه الاخبار التي تتلوها علينا من جملة اساطير القرون الخالية قالت العلماء
التركيب يدل على التذليل والتليين لان من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق دريس لانه قد لان فكانه تعالى ذكر الوجه
الذي لاجله صرف الايات وهو امران احدهما درست والثاني قوله ولنبينه اما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة في هذا التصريف ان
يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للايات لانها في معنى القران او يعود الى القران وان لم يجر له ذكر للعلم به او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل
نحو ضربته الضرب بل واما الاول فقد ورد ان قولهم للرسول عليه درست كفر منهم بالقران والرسول وعلى هذا يعود مسئلة الجبر والقدر اما الاشاعرة
فاجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم درست فيزدادوا كفرا على كفر وتنبيه لبعض فيزدادوا
ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي والتقدير ونصرف
الايات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا والمراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب
يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان انزال الايات نجما نجما هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا انما اتى بالقران على
سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القران جملة واحدة فالجواب الذي ذكروه انما يصح لو كان التصريف
علة لان يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم انه لما حكى عن الكفار
انهم نسبوه في اتيان القران الى الافتراء او الى انه تدارس اقواما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرانا وادعى انه نزل عليه من الله اتبعه قوله
اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه
بسماع تلك الشبهة وتبريه بالجملة المعترضة او الحال المؤكدة وهي قوله لا اله الا هو على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية فانه يجب طاعته ولا
يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الاية بقوله واعرض عن المشركين وحمله بعضهم على انها منسوخة باية القتال
وضعف بان المراد ترك مقابلتهم فيما يأتونه من سفه وان يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذي يكون اقرب الى القبول وابعد عن
التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشية الالجاء والقسر واجيب بعد المعارضة بالعلم و
الداعي بان الايمان الاختياري هب انه انفع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب في حكمته ان
يخلق الله فيه الايمان القهري كي يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص في
البحر ولا تطلب اللالي فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يامره بالغوص في البحر مع اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك
فان ذلك من الحمق والسفاهة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه واله وذلك انه بين له قدر ما جعل اليه فذكر انه ما جعله
اليه فذكر انه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول صلعم الى انه جمع القران بطريق المدارسة وكان
لا يبعد ان يغضب له المسلمون فيسبوا الهتهم لسبب ذلك نهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك
ان المسلمين اذا شتموا الهتهم فربما غضبوا فذكروا الله بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك
ان تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب الهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة قالت
قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فيقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه
فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب
فقالوا انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه واله
فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلعم ماذا تريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال ابو طالب

او متعلق بما تعلق به اي ليقولوا ع

نبينا اي حسن ع

قد انصفك

قال نصف قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطيّ كلمة ان تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها
العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا واشمأزوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك
قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمن من
يأمرك فانزل الله تعالى هذه الآية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا
بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي هذا النوع من السفاهة او لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه وآله فاجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان الشيطان يحمله على ادعاء الرسالة ثم انهم سموا ذلك الشيطان بانه اله
محمد صلى الله عليه وآله وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة
الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة ويقتضي
تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى الى
زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين في هذا الباب وفيه تاديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد في المطلوب فان وصف الاوثان
بانها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما مجاوز القدر
قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد اي في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على انه تعالى هو الذي زين للكافر الكفر وللمؤمن
الايمان وللعاصي المعصية وزيفه الكعبي بقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فاذا المراد انه تعالى زين لهم
ما ينبغي لهم ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار عملهم اي خليناهم وشأنهم وامهلنا حتى حسن عندهم سوء عملهم وامهلنا الشيطان
حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا وضعف بعد المعارضة بالعلم ومحض الداعي بان قوله تعالى كذلك زينا بعد قوله
فيسبوا الله مشعر بان اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا و
جهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول لما اختار الجهل الثاني ولا
يذهب الجهالات الى غير النهاية فلابد ان ينتهي الى جهل اول يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال واقسموا بالله
جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي ان هذا القرآن كيف ما كان امره فليس من جنس المعجزات البتة ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة
قاهرة لآمنا بك واكدوا هذا المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر
الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب بمعنى الاقسام ازالة القسمة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد
ابن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وآله قريش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان عيسى
كان يحيي الموتى وان صالحا كانت له ناقة فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شيء تحبون ان آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا
ذهبا قال فان فعلت تصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه جبرئيل عليه السلام فقال ان شئت اصبح الصفا
ذهبا ولكن لم ارسل آية فلم يصدق بها الا انزلنا العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركهم حتى يتوب تائبهم و
انزل الله الآيات الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا في الايمان والمراد
بقوله ان جاءتهم آية ما روينا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآيات وقيل كان النبي صلى
الله عليه وآله يخبرهم بان عذاب الاستيصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا امثالها قل انما الآيات عند الله اي هو مختص
بالقدرة على امثال هذه الآيات لان المعجزات لا تحصل الا بتخليق الله تعالى او المراد بالعندية هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم
ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد انها وان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تتحكموا في طلبها كقوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما يشعركم ما استفهام والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما
يكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار
لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فيصير معنى الآية انها اذا جاءت آمنوا وذلك يوجب مجيء هذه الآيات ويصير هذا الكلام عذرا
لهم في طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها قال الخليل ان بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك
ويقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان يجعل لا صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
وثالثها ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون
ما سبق به علمي من انهم لا يؤمنون واما من قرأ لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار قال الجبائي في الآية دلالة على انه تعالى يجب ان يفعل كل
ما هو مقدوره من الالطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بانهم لا يؤمنون وجه لو ...

الهتنا او لنشتمن

الجزء الثامن

فائدة اللطف

بخلاف الله تعالى ولم يكن لفعل الالطاف اثر في حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر واجيب بان تاثير المعجزات عندهم مبني على وجوب اللطف بل لزم الدور وبان الاية الاخرى ابعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم تدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة والابصار هو انهم اذا جاءتهم الايات القاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفيتها ودلالتها على صدق الرسول الا انه تعالى اذا قلب قلوبهم وابصارهم عن ذلك الوجه الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الايات والتقليب تحريك الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه وآله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك والمراد انه تعالى يقلب القلوب تارة من داعي الخير الى داعي الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعي والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر آلتان للقلب فلهذا السبب وقع الابتداء بتقليب القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم في جهنم على لهب النار لنعذبهم وزيف بان قوله ونذرهم انما يحصل في الدنيا وهذا يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بانا لا نفعل لهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث اخرجوا انفسهم عن هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانه انما استحق الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامه على الكفر وهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى في قوله ونقلب قال القاضي القلب باق على حالة واحدة الا انه تعالى ادخل التقليب لتبديل الدلائل واعترض بان تقليب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة اما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة فقال الواحدي فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذه الاية كما لم يؤمنوا بظهور الايات اول مرة يعني اول مرة اتتهم الايات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به اما عائدة الى القرآن او الى محمد صلى الله عليه وآله او الى ما طلبوا من الايات وقيل الكافر للجزاء اي كما لم يؤمنوا اول مرة فكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول بينهم وبين اختيارهم ولا نمنعهم بمعاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان اقاموا على الطغيان فذلك من قبلهم وانه يوجب تاكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة اذا انقلب افئدتهم من الحق الى الباطل بقوا في ذلك الطغيان والضلال والعمه التاويل قد جاءكم بصائر دلالات السعادات الباقية فمن ابصرها بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها واقبل على الله بسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غني عن العالمين ومن عمي فبالعكس ولا تسبوا الذين يدعون لا يخاطبوا اهل الضلال على موجب نوازع النفس الطبيعية فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والزام الحجة ونفي الشبهة واقسموا بالله حسبوا ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغني وضوح الادلة لمن ابدركه سوابق الحرمان ونقلب افئدتهم عن الآخرة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد المولى الى مشاهد النفس والهوى كما لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت الست بربكم قالوا بلى

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

واگر چنانچه ما فرستادیم بسوی ایشان فرشتگان را و گفتگو کردندی با ایشان مردگان و گرد آوردیم بر ایشان هر چیزی را روبرو نبودند که بگروند مگر آنکه بخواهد خدا

ع

اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

خدا ولیکن بیشتر ایشان نادانانند و همچنین گردانیدیم از برای هر پیغمبری دشمنی را از دیوان انس و پری که وحی کنند بعضی از ایشان بسوی بعضی بیهوده گفتار را

غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَ

از جهت فریب اگر خواستی پروردگار تو نکردندی آنرا پس واگذار ایشان را و آنچه دروغ گویند و تا میل کند بآن دلهای آنان که نگروند بروز واپسین و تا پسندند آنرا

لِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

و تا اندوزند آنچه ایشان اندوزندگانند آیا پس غیر خدا را بجویم داوری و اوست آنکه فرو فرستاد بسوی شما کتاب را هویدا کرده و آنان که دادیم ایشان را

الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا

کتاب میدانند که آن فرود آمده از پروردگار تو براستی پس مباش تو از شک آورندگان و تمام است سخن پروردگار تو از راستی و عدالت نیست

مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ

تغییر دهنده مر کلمات او را و اوست شنونده دانا و اگر پیروی کنی بیشتر آنها را که در زمین هستند بیرون برند ترا از راه خدا نه

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

پیروی کنند مگر گمان را و نباشند ایشان مگر دروغ میگویند بدرستی که پروردگار تو او داناتر است از کسی که گمراه میشود از راه خود و او داناتر است

بِالْمُهْتَدِينَ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ

براه یافتگان پس بخورید از آنچه ذکر شد نام خدا بر او اگر باشید بآیات او گروندگان و چیست بر شما که نخورید از آنچه یاد شده است نام خدا

عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ

بر او و حال آنکه ظاهر ساخت برای شما آنچه را که حرام کرد بر شما مگر آنچه را که ناچار شدید بسوی آن و بدرستی که بسیاری هر آینه گمراه میشوند بهواهای خود بدون دانش بدرستی که پروردگار تو

هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا

او است داناتر بگذرندگان و بگذارید گناه فاش و پنهان آنرا بدرستی آنان که کسب میکنند گناه را زود است که جزا داده شوند بآنچه بودند که میکردند و مخورید از آنچه

لم يذكر اسم الله [عليه] وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون

یاد کرده نشده است نام خدا بر او و بدرستی که آن هر آینه نافرمانی است و بدرستی که دیوان هر آینه وحی کنند بسوی دوستان خود تا خصومت کنند شما را و اگر پیروی کنید ایشان را هر آینه شما مشرک باشید

القراءة قبلا بكسر القاف وفتح البا، ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك عاصم وحمزة وعلي وخلف وعاصم وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصبهاني عن نصير ضل على البنا للفاعل حرم على البنا للمفعول حمزة وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرا ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم اليا، عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح الوقوف الجزء الثامن يجعلون غرورا مفترون مفصلا الممترين وعدلا لكلماته لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو والحال اي لا تبديل لكلماته وهو السميع ويعلم العليم عن سبيل الله يخرصون عن سبيله بالمهتدين مؤمنين اليه بغير علم بالمعتدين وباطنه يقترفون لفسق ليجادلوكم لمشركون التفسير هذا شروع في تفصيل ما اجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزءون بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي والعاص بن وائل السهمي والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة اتوا الرسول صلى الله عليه وآله في رهط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة تشهدوا بانك رسول الله او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسئلهم احق ما تقول ام باطل او ائتنا بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان اتوا هذه المقترحات قال ابو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدي وقال ابو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روي عن ابي ذر قال قلت للنبي صلى الله عليه وآله اكان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا واما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش في تفسيره اي قبيلا قبيلا او معناه الكفيل والعريف من قبل به يقبل اي يقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شيء كفلوا بصحة ما يقول ما امنوا وموضع الاعجاز فيه ان الاشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها حي ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبائعها مجتمعة في موقف واحد ثم انطقها واطبقوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء ايمانهم و قالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم الايمان كما لو امرهم بما يجب ولو اراد الكفر من الكافر لكان الكافر في كفره مطيعا لله لان الطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يامر به ويكلفه وان يامر بترك الكفر فالمراد من الاية انه شاء من الكل الايمان القهري والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون وزيف بان الاختيار لابد معه من حصول داعية يترجح بها احد طرفي الممكن ولا يحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكانه لا اختيار قال الجبائي قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشيئة اذ لو كانت قديمة وهي الشرط لزم من حصولها حصول المشروط واجيب بانها قديمة الا ان تعلقها باحداث المحدث في الحال اضافة حادثة ثم ختم الاية بقوله ولكن اكثرهم يجهلون قالت الاشاعرة اي لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون انهم يبقون كفارا عند ظهور الايات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها فيقسمون بالله جهد ايمانهم من حال علو بهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم الاختياري بمجي الايات المقترحات ثم قال وكذلك قيل انه معطوف على قوله وكذلك زينا لكل امة عملهم وجعلنا وقيل ان المشار اليه محذوف اي كما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر وان جعلها شرفا لانه يدل على ان خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائي المراد بهذا الجعل انه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبي امر الانبياء بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم صاروا اعداء للانبياء لان العداوة يكون من الجانبين اجاب ابو بكر الاصم بانه لما ارسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة او للبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم اعداء له وزيف بان الافعال مستندة الى الدواعي وهي من الله تعالى وبان العداوة والمحبة متعلق بالطبع لا بالارادة والتكليف فلا يقدر عليها الا الله تعالى وانتصاب الشياطين كما مر في قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانباري عدوا في معنى الجمع ولقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء عدوا اكثر من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان الشيطان الجني اذا اعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه عليه روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال لابي ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت هل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا ان الذي يوسوس الانس يسمى شيطان الانس والذي يوسوس الجن يسمى شيطان الجن وزيف بان المقصود من الاية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا ومعنى الايحاء الايماء او القول السريع اي يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وكانه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتسخير وزخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي والتحقيق فيه ان الانسان ما لم يعتقد في امر من الامور خيريته ونفعا لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق

الايمان الاختياري وما شاء الايمان ع

اي وكان نبيا ايام

واحدا او العسر بحيث يتفصل لكل واحد من الانبياء ع

والالهام وكان صادرا من الملك والاكان مزخرفا اى يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدي غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف
من القول في معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة بظاهره والمعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على
انه مفعول معه او مفعول به اى واتركهم وافتراءهم وما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب في الايمان وتسلية لرسول الله
صلى الله عليه وآله وتنبيه له على ما اعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو في اللغة الميل يقال في المثل
انه صغو اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت واصغى الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى واصغى قال
الجوهري صغا يصغو ويصغى صغوا اى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام في ولتصغى لا بد له من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير
وانما جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبي لتميل اليه اولا قوله المزخرف افئدة الكفار فيبعدوا بذلك لتسبب عن قبول دعوة النبي وليرضوه وليختاروه
على انفسهم وليقترفوا وليكتسبوا من الآثام ما هم مقترفون وقال الجبائي ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت
منهم بصوتك وزيف بان حمل لام كي على لام الامر تحريف وقال الكعبي هي لام العاقبة تقديره ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة
الشياطين افئدة الكفار جعلنا لكل نبي عدوا وعن ابي مسلم انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا
بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد عليه ان ميل القلوب الى الآراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشيء على نفسه
وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحيوة فالحي هو الجزء الذي قامت الحيوة به والعالم هو الجزء الذي قام العلم به وقالت المعتزلة
الحي والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة في الآية هو القلب لا جملة الحي وبمثله استدل من جعل المتعلق
الاول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم في اظهار الآيات التي اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغي حكما الآية
ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزائد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول
ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا
الوجه بقوله افغير الله ابتغي حكما يعني قل يا محمد انكم تحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما فان كل احد يقول
ان ذلك غير جائز الوجه الثاني اشتمال التورية والانجيل على ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حقا وعلى ان القرآن كتاب حق من عند الله
واشار اليه بقوله والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اى اذا ظهرت
الدلائل فلا ينبغي ان يمترى فيه احد وقيل الخطاب للرسول في الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة والمراد التهييج والالهاب
كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم قال الواحدي
الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التأويل الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القرآن
معجز قال وتمت كلمة ربك اى القرآن وقوله صدقا وعدلا مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها انها وافية كافية في كونها معجزة
دالة على صدق محمد او كافية في بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علما وعملا او المراد بالتمام انها ازلية لا يحدث بعد ذلك شيء واعلم ان كل ما
حصل في القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته اعني كونه تعالى قادرا سميعا
بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تأخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله
تعالى وكيفية تدبيره لملكوته في السموات والارض وفي عالم الارواح والاجسام ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب
والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال الحشر والقيامة وصفات اهل الجنة و
النار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهي توجه منه سبحانه على عبده سواء كان ملكا او بشرا او شيطانا
وسواء كان ذلك في شرعنا او في شرايع الانبياء المتقدمين او في مراسم الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما
وراءه مما لا يعلم احوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن
وقيل ان كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لا بد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لان افعاله منزهة
عن ان يكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبهات في كون القرآن دالا على صدق محمد الا ان تلك الشبهات
لا تأثير لها في هذه الدلالة لبقاء جلاء الدلالة ووضوحها او المراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون او الغرض انها براءة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا او المعنى ان احكام الله تعالى
لا تتغير ولا تتبدل لانها ازلية والازلي لا يزول وهذا الوجه احد الاصول القوية في اثبات الجبر اذ يلزم منه ان لا ينقلب السعيد شقيا وبالعكس
ثم لما اجاب عن شبه الكفار بين انه بعد ظهور الحجة وتبيين المحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله والمضل لا بد ان يكون ضالا ويعني بهم الذين ينازعون النبي في الدين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب
والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بانه حق ان يتبعون الا الظن

وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله احل كذا وحرم كذا واصل الخرص حزرما على النخل من الرطب تمرا وليس لفظهم القياس تمسكا بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذي لا يستند الى امارة كظن الكفار المستند الى تقليد السلف فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ والمراد انك بعد ما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن في قيدهم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المهتدي من هو والضال من هو فيجازي كل احد بما يليق بعمله او المراد ان هؤلاء الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم باحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم في اودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان افعل التفضيل لا يعمل في مظهر ففي الكلام محذوف اي يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوي بالباء كما في القلم إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان الاكثر باستعمال افعل ان يستعمل مع الماضي نحو اعلم من دب ودرج واحسن من قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم ان يكون من للاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى ثم قال فكلوا والفاء مسبب عن نكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وهو المذكى ببسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع في اكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون اكل المذكاة و يبيحون اكل الميتة فرد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه او نقول المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله اعلم اما قوله وقد فصل لكم فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في اول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة الى اخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من اخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضي ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى ان يقال المراد بقوله تعالى بعد هذه الآية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخرها فان هذا القدر من التاخير غير ضائر وقوله الا ما اضطررتم اي دعتكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل ضال فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب واكل الميتة وقوله باهوائهم بغير علم يريد ان عمرو بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها ويحتجون عليها بقولهم اذا ما انتم تحللون ما تذبحون فلان يحل ما يذبحه الله تعالى اولى وكذا كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفي الآية دلالة على ان التزاع في الدين بمجرد التقليد حرام إن ربك هو اعلم بالمعتدين فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر ان جماعة فقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فقيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اي ما اخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع بيان انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعي له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على افعال الخيرات ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل إن الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اي يكتسبون من الآثام ومنه الاعتراف بمحو الاقتراف كما في التوبة نحو الحوبة وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب واهل السنة على انه اذا لم يتب احتمل العفو ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية واجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فمالك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا او سهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وانه لفسق والضمير عائد الى الاكل الذي دل عليه الفعل او الى الموصول على انه في نفسه فسق مثل رجل عدل او على تقدير حذف المضاف اي ان اكله لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لا يفسق باكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله تعالى وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وهذه المناظرة كانت في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يذبحون حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع في انفس ناس من

وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله

شئ نزلت الاية ثم قال وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ يعني في استحلال الميتة إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله تعالى او حرم
شيئا مما احل الله فهو مشرك لانه اثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعي الفسق في اية اخرى وهي قوله قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا الى قوله اَوْ فِسْقًا
أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ مفسر بما اهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق في هذه الاية ايضا مفسر لكنا عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم
انه لم يوجد ذكر الله ههنا المارودي انه صلى الله عليه واله قال ذكر الله مع المسلم سواء قال او لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب ونقول هب ان
هذا الدليل يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل في الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة
على الحل كقوله خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا كُلُوا وَاشْرَبُوا ولانه مستطاب وقد قال أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ولان الطبع يميل اليه وقد نهي عن
اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعي ومع ذلك فالاولى بالمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبي في الاية دلالة على ان الايمان
اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا واجيب بانه لم لا يجوز ان يراد بالشرك ههنا اعتقاد ان لله شريكا في الحكم التاويل وكلمهم الموتى اي تلونهم
الميتة وحشرنا اي ربناهم جميع الايات المودعة في المكونات الا ان يشاء الله فان المشية تغير السجية والعناية الازلية كفاية الابدية ولكن
اكثرهم يجهلون ان الهدى ليس بالمنى وانه بمشية المولى ثم اخبر ان البلاء بالشاكرين الى الله هي المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس هي النفس الامارة التي هي اعدى الاعداء وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ هم هديناهم بنور الكتاب الى حضرة الجلال فلا تكونن في التكوين في الان
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ كلامه وقضاؤه في الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير والشر و
الحسن والقبح والايمان والكفر احسن كل شئ خلقه هو الانسان لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وكل شر شئ هو الانسان عند فساد استعداده
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ولاهل الكمال ترق في كمال الحسن الى الابد ولاهل النقصان تنزل في القبح الى الابد ايضا اظهارا للقدرة الكاملة
غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي حاجة العليم بما يستاهله كل موجود وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وهم اهل الاهواء واقلهم اهل الحق وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ في دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا تسلك بالهوى انما يسلك بالصدق والهدى فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فمن امارات
الايمان ان ياكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويذيبوه بذكر الله كما قال صلى الله عليه واله اذيبوا طعامكم بذكر الله فالاكل على الغفلة
والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث الجنان والحرمان عن الجنان وقد فصل لكم يا اهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها والاخرة
ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضرورات البشر في الدارين بامر المولى لا بالطبع والهوى إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ الذين جاوزوا المولى
وركنوا الى الدنيا والعقبى وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ يعني الاعمال الطبيعية وباطنه يعني الاخلاق الذميمة الردية سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ لان
الاخلاق الظلمانية توجب صداء مرآة القلب بزيدها رينا الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تاكلوا طعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله
وفي طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعني ظلام الطعام يؤدي الى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى الظلمة
النفسانية وان الشياطين مجال الاولى وسوسة اذا كانت النفوس في المجادلة مع القلوب ليدعوها الى متابعة الهوى الى الله حسبي أَوَمَنْ

يوحون الى الشياطين

ع

كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ
بود مرده پس زنده گردانیدیم اورا و قرار دادیم از برای او روشنی که راه رود بآن در میان مردمان چون کسیست که در تاریکیهاست نیست بیرون آینده از آن اینچنین آراسته
لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ
از برای کافران آنچه که بودند میکردند و همچنین قرار دادیم در هر دهی بزرگان گناهکاران تا مکر کنند در آن و مکر نمیکنند مگر بنفسهای خود
وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ
و درک نمیکنند و چون آمد ایشانرا آیتی گفتند که نگرویم تا بیاید ما را مانند آنچه داده شد پیغمبران خدا خدا داناتر است که کجا قرار دهد رسالت خود را
سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
زود است که برسد آنهارا که گناه کردند خواری در نزد خدا و عذابی سخت بآنچه که بودند که مکر میکردند پس هر کرا خدا خواهد که هدایت کند اورا بگشاید سینه اورا
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
از برای اسلام و هر کرا خواهد خدا که گمراه کند اورا بگرداند سینه اورا تنگ گویا که بالا میشود در آسمان اینچنین بگرداند خدای لعنت برآنانکه
لَا يُؤْمِنُونَ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ
نگروند و اینست راه پروردگار تو که راست است هر آینه بیان کردیم آیات را از برای گروهی که پند گیرند مر ایشانراست بهشت در نزد پروردگار ایشان و اوست
وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ
کارساز ایشان بآنچه بودند که میکردند و روزی که گرد آوریم ایشانرا همه که ای طائفه پریان هر آینه بیشتر شدید از آدمیان و گویند دوستان ایشان از آدمیان
رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ
پروردگارا بهره برد برخی از ما ببرخی و رسیدیم باجلی که قرار دادی برای ما گفت که آتش جایگاه شماست جاویدان در آن مگر آنچه خواهد خدا بدرستی که پروردگار

حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ

داور است دانا و همچنین بگماریم بعضی از ستمکاران را بر بعضی بانچه بودند کسب میکردند ای جماعت پری و آدمی آیا نیامد شما را پیغمبران از جنس شما که حکایت کردند

عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

بر شما آیات من و میترسانیدند شما را از دیدن این چنین روزی گفتند گواهی میدهیم بر نفسهای خود و فریب داد ایشان را زندگانی دنیا و گواهی دادند بر نفسهای خود که ایشان بودند کافران

القراءة ميتا بالتشديد ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب على التوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر في موضع النصب ضيقا بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابو جعفر ونافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد على بادغام التاء في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الآخرون بالنون الوقوف بخارج منها يعملون فيها وما يشعرون رسل الله ط رسالاته ط يمكرون للاسلام ج لابتداء شرط او مع العطف في السماء ط لا يؤمنون مستقيما ط يذكرون يعملون جميعا ج لحذف اى يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس ج لاول لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين اجلت لنا ط قال النار بغلظ الصوت على النار اشارة الى ان النار مبتدأ بعد القول وليست فاعله بمثله الله ط عليم يكسبون يومكم هذا ط كافرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر ان المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وابا جهل وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي جهل والقول الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحيوة والنور قال بعض العلماء قوله أو من كان ميتا اشارة الى اول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فاحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل اي الفعل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن في الظلمات ليس بخارج منها وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة و معنى المثل ههنا الصفة الغريبة اي كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة او الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة او المجاز اولى بدليل قوله وكذلك جعلنا اي كما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا او وكما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا في كل قرية اكابر وهو جمع الاكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه يحمل الناس على المبالغة في حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام في ليمكروا على اصله عند الاشاعرة واستدلوا على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال في معرض التهديد وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم موعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك سنا واكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم آية اي معجزة قاهرة او وحي قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما في الآية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الآية المتقدمة وللمفسرين في مقترحهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي ص وان يكونوا متبوعين لا تابعين

ومخلدون لا خادمين وتابعهما عن ابن عباس والحسن ان المغيرة واذا جاءتهم اية من القران يامرهم باتباع محمد صلى الله عليه واله قالوا لن نؤمن
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرءه من الله تعالى الى ابي جهل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا
ايات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستيناف الله
اعلم حيث يجعل رسالته على القول الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجهه ان القوم اذا اقترحوا تلك الايات فلو اظهر الله تعالى تلك المعجزات
على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون
بعض تشريف من الله تعالى احسانا وتفضلا وقال اخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علايق الجسمانيات مشرقة
بالانوار الالهية مستعلية مؤثرة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب
الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين او اكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من امن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان
مدار امره على التغليظ والتشديد وفي الاية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لابد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد فيهم فكيف
يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب اخلاقهم واحوالهم ولهذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وهوان عند الله اي
في الاخرة او في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل والمراد من عند الله بحذف في وقوله عند الله مستانف اي معد لهم ذلك واعلم ان كمال
العقاب لابد فيه من امرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه واله طلبا للعزة والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد
مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد جميع ذلك بسبب مكرهم ومكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان
توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح مال الطبع اليه و
قوي طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن
يكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زايد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لان المكان
اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق والاسلام وقد ورد في
الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله
عليه واله يقذف الله تعالى فيه نور الحق فينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال عم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لابد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الاخرة والخير زايد
النفع والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زايد الضرر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد
في الدنيا والرغبة في الاخرة اما قوله حرجا فمن قرا بكسر الراء فعلى النعت ومن قرا بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج في
اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا يناله الراعية حكى الواحدي باسناده عن ابن عباس انه قرا
هذه الاية وقال هل ههنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الاشجار المستمسك الذي لا طريق فيه فقال
كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في
نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام وقبوله تباعد ما بين الارض والسماء كذلك
يجعل اي كما جعل ضيق الصدر في قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان
سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب قال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة قالت الاشاعرة
في الاية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى بيانه ان العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح
الا لداعية ولا معنى للداعية الا علمه او اعتقاده او ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زايدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولا
بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح
الصدر مال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقادات الايمان مجلبة سبب المفسدة الدينية والدنيوية نبا الطبع عنه وبقي على الكفر فحاصل الاية
ان من اراد الله منه الايمان قوى دواعيه اليه ومن اراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة في الاية على قولكم لانه ليس
فيها اكثر من انه اذا اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل به كيت وكيت فيها انه اراد ذلك او لم يرد نظيره قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
فيبين انه كيف يفعل اللهو لو اراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لم قلتم انه اراد ومن يرد ان يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه
يوم القيمة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو انه يفعل به الطافا يدعوه الى البقاء على الايمان والثبات
عليه ومن يرد ان يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقي في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا
عند ظهور نصرة المؤمنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وايضا لم لا يجوز ان يكون المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام

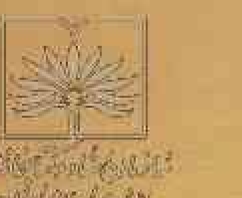
في ذلك

في ذلك الوقت الذي يهدي به فيه الى الجنة لما رأى من فوائد الايمان ونتائجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فيزداد رغبة فيه ومن يرد ان يضله يوم القيمة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره الحزن الشديد الذي ظهر له عند الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام ويمكن اليه نفسه ويحبب الدخول فيه ومن يرد ان يضله اي يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان واجيب عن قولهم ليس في الاية انه اراد ذلك ولم يرد بان قوله في اخر الاية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بانه فعل بهم ذلك لاضلال لان الكاف للتشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج في صدره كذلك يجعل فيه ايضا ودلالة على ان المراد من قوله ومن يرد ان يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وآله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالاخرة كان من ايضاح الواضحات فمن المعلوم لكل احد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف ما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان تحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى وكذا القول في جانب الكفر فان سمى الداعية من احد باللطف والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي انه قال تذاكرنا امر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيمة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل اين خصماء الله فيقوم القدرية قال ولا يخفى انهم الذين ينسبون افعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون اللهم اي ذنب لنا حتى تعاقبنا انت الذي خلقته فينا واردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا يسر لنا غيره فهؤلاء لابد ان يكونوا خصماء الله اما الذين قالوا ان الله تعالى مكن وازاح العلة وانما اتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماء هذا كلام القاضي تعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد فهو حكمة وصواب ليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعي عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطني ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وان من واظب على الكفر سبعين سنة ثم اتى في اخر رمق حيوته وقال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين اعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق مجلس استاده ابي علي الجبائي وترك مذهبه وكثر اعتراضه على اقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق ان ابا علي عقد مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ ابو الحسن الى ذلك المجلس مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من العجائز اني اعلمك مسئلة فاذكريها لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلثة من البنين واحد في غاية الزهد والاخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبرني ايها الشيخ عن احوالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات الجنة واما الكافر ففي دركات النار واما الصبي فمن اهل السلامة فقال قولي له ان الصبي لو اراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل فيها اخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائي لا لان الله تعالى يقول انما اخوك وصل الى تلك الدرجات لانه تعب نفسه في العلم والعمل وانت فليس معك ذلك فقال ابو الحسن قولي له لو ان الصبي يقول يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي ولو ابلغتني فربما زدت على الزاهد في الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال له ابو الحسن قولي له لو ان الاخ الكافر الفاسق رفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب العالمين ويا احكم الحاكمين ويا ارحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فراى ابا الحسن فعلم ان المسئلة منه لا من العجوز ثم ان ابا الحسن البصري جاء بعد ذلك وارد اكثر مجيبا عن الجبائي فقال الحق لا نرضى بهذا الجواب انما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العبد ام لا فقال البصريون انه غير واجب لكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب على الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي اني لو طولت عمرك مثل الاخ الزاهد وكلفتك على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على احد بشيء ان اتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطالة عمر اخيك وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته اما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته فظهر الفرق واورد على القسم الاول انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص بذلك شيء من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر في مرآته المنصوبة على الجدار لعامة الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن هيهنا ايضا مقبولا والا فلا يقبل في شيء من الصور ويبطل بالكلية مذهبكم واورد على الشق الثاني ان قولنا تكليفه يتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه انه انه اذا كلف هذا الشخص فان اخاه يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ان يترك الله تعالى تكليفه وجب ان يقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر ح والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتذكر ثم قال وهذا صراط ربك في المشار اليه وجوه منها ان المذكور في الاية المتقدمة اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية

يلطف به حتى يرغب في الاسلام صح

هو انه خذله تم

مفسدة للغير معناه انه ذات التكليف يتضمن



من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة والمراد هذا الذي قررناه طريقتك التي اقتضتها الحكمة
وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل او
هو محذوف وفي اي حفص وعن ابن عباس يريد هذا الذي انت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني القرآن قد فصلنا الآيات ذكرناها فصلا
فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة
بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرر في عقل كل واحد ان طرفي الممكن لا يترجح عن الآخر الا لمرجح فكانه يقول للمعتزلي تذكر
ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي مع تساوي طرفيه
وجب ان يحصل هذا الاستغناء في كل الممكنات والمحدثات وح يلزم نفي الصانع وابطال القول والفعل والفاعل والتأثير والمؤثر ثم لما بين عظم
نعمته في الصراط المستقيم بين ما اعد وهيأ للمتذكرين فقال لهم دار السلام اي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله
او دار السلامة من كل آفة وكرب السلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان انواع السلامة
حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها
وهو وليهم اي قريب منهم بالرحمة والرضوان او مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا
هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا
به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل بجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم او متوليهم
بجزاء ما كانوا يعملون لئلا ينقطع العمل ولا يتكلموا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيئات النفسانية قد تؤثر في البدن كحمرة
الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس
فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم اردفه ببيان حال من تعلق بضده فقال ويوم نحشرهم
والمراد واذكر يوم كذا او يوم نحشرهم قلنا او متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما
ان يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علموا ان الله تعالى يبعثهم من الثقلين و
غيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا
في الدنيا انتهى حالهم في الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى
بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن اي الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس
الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم تحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود اما قوله وقال اولياؤهم من الانس
فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال للجن تبكيتا ما سبق يقول للانس ايضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول فلذا
لما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان المراد استمتع الجن بالانس والانس بالجن
وعلى هذا ففي الاستمتاع وجهان احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض منفردا وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه
فيبيت امنا في نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانس اذا عاذ بالجن كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجن يقول
قد سدت الجن والانس لان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج ويعضده قوله سبحانه وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثاني الوجهين ان الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا
بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما انتفاع الانس بالجن فهو ان دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي افضوا اليه عاقبتهم وهذا اختيار
الزجاج القول الثاني ان البعضين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي ذلك الاستمتاع
كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه
يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة في القيمة قال الله تعالى
في جوابهم النار مثواكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا اقام به قال ابو علي الفارسي المثوى اسم للمصدر دون المكان لان قوله تعالى
خالدين فيها حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان يقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم
في المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله
قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة
الذين يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فيدخلون واديا فيه برد شديد فهم
يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد
طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد
مع

يتولى بعضاهم

تحكم لانه اطماع محض ويأس كلي وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الحلول وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كانهم قالوا وبلغنا اجلنا الذي سميته
لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعني الاجال الاخر ايضا ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة عليم بما يستأهل كل طائفة فكانه
تعالى يقول حكمت لهؤلاء بعذاب الابد لعلمي انهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم يتولى بعضا بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا وذلك ان الغدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح احد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه
سبحانه وتعالى اهل الجنة بعضهم بقوله وكيلهم ذكران اولياء اهل النار من يشبههم في الظلم والخزي والنكال واشار اليه بقوله بما كانوا يكسبون اي بسبب كون ذلك البعض
مكتسبا للظلم وهذا مناسبة في غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الاية دلالة على ان الرعية متى كانوا
ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان ارادوا الخلاص فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء في بعض الكتب المنزلة انا الله مالك الملوك
قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليهم رحمة ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى اعطفهم عليكم ثم بين ان
كفار الثقلين لا يكون لهم الى النجاة يوم القيمة سبيل وانهم لا يعذرون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة نحوهم
امر واحد الم يأتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالاية بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس
ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بني

على المطلوب م

ادم وزعموا ان ذلك مجمع عليه ورد بانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم بقوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم
وال عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الاية تقتضي ان رسل الجن والانس بعضا يكون من بعض
هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا في حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان
من الجن نفر يستمعون من رسل الانس وينذرون قومهم بذلك قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى
سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الاية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب انه
ارسل الرسل اليهم يقصون الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة فالنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدي اراد رسل من احدكم وهو
الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي احدهما وهو الملح الذي ليس بعذب وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه و
اله بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم اياتي فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتأويل وبالتلاوة وينذرونكم لقاء يومكم هذا تخوفونكم عذاب
هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا والسبب في انهم اقروا في هذه الاية وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين
هو انهم مختلفوا الاحوال في يوم القيمة مضطربون فتارة يقرون واخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى
عن حالهم في الدنيا بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا وعن حالهم في الاخرة بقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم في
القيمة زجرا لهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالاية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة
التأويل او من كان ميتا في حالة العدم فاحييناه بالحيوة الحقيقية اي بالحي الذي لا يموت وجعلنا له نورا الوجود الحقيقي الذي يمشي به في الناس
ويه يسمع ويه يبصر كمن هو محجوب في ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا في كل قرية اي كل قالب اكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا
فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره اي ينظر الى قلبه بنظر العناية فيتنور بنور جماله
وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع في القلب هذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاشتداد الى ان يصير
الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عينا ضيقا حرجا لتراكم ظلمات صفات البشرية لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كانما يصعد في السماء لانه
سفلي بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقهر وهذا الذي بيناه من الهداية والضلالة صراط ربك باللطف والقهر فيجذبات اللطف يهدي السعيد
وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام اي السلامة عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم
نحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن اي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس اي غلبتم على
الصفات الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو ان يستعين
به في مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان
بحواء على اغواء ادم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بان التوبيخ النار الخ
نقضا الله الا ان يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليم باهل الجنة وباهل النار وكما جعلنا فريقا من الجن والانس بعضهم اولياء بعض كذلك
نجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري الم يأتكم رسل منكم يعني الالهامات الربانية وشهدوا على انفسهم اقروا اعند
الحرمان عن السعادة العظمى انهم بدوا وانهم كانوا اصلا مرأت قلوبهم وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وما التوفيق الا من الله

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك

این از آنجهت است که نبوده است پروردگار تو هلاک کننده دهها بستم که اهل آن بیخبر باشند و هر یک را درجات است از آنچه کردند و نیست پروردگار تو بیخبر از آنچه میکنند و پروردگار

الغنی ذو الرحمة ان یشأ یذهبکم ویستخلف من بعدکم ما یشاء کما انشأکم من ذریة قوم آخرین انما توعدون لآت

الدار صاحب مهربانی است اگر بخواهد ببرد شما را و جانشین سازد پس از شما آنچه را که خواهد چنانچه آفرید شما را از فرزندان گروهی دیگران هر آینه آنچه وعده کرده شده اید آینده

وما انتم بمعجزین قل یا قوم اعملوا علی مکانتکم انی عامل فسوف تعلمون من تکون له عاقبة الدار انه

و نیستید شما عاجز کنندگان بگوای قوم من کار کنید بر خوی خویش بدرستی که من کارکنم پس زود است که بدانید کیست که مر او راست عاقبت سرای بدرستی که

لا یفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصیبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشرکائنا فما کان

رستگار نشوند ستمکاران و قرار دادند از برای خدا از آنچه پیدا کرد از کشت و چهارپایان بهره پس گفتند که این مر خدا راست بگمان ایشان و این مر انبازان ما راست پس آنچه باشد

لشرکائهم فلا یصل الی الله وما کان لله فهو یصل الی شرکائهم ساء ما یحکمون وکذلک زین لکثیر من

مر شریکان ایشان را پس نمی رسد بسوی خدا و آنچه باشد از برای خدا پس آن می رسد بشریکان ایشان بد است آنچه حکم میکنند و همچنین جلوه داد از برای بسیاری از

المشرکین قتل اولادهم شرکاؤهم لیردوهم ولیلبسوا علیهم دینهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما یفترون

مشرکان کشتن فرزندان ایشان را انبازان ایشان تا که هلاک کنند ایشان را و تا بپوشانند بر ایشان دین ایشان را و اگر میخواست خدا نمیکردند آن را پس واگذار ایشان را و آنچه دروغ

وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا یطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا یذکرون

و گفتند که این حیوانات و کشت ممنوعند که نخورد آنها را بجز آنکه که میخواهیم بگمان ایشان و حیواناتی اند که حرام است پشتهای آن و حیواناتی که یاد نکنند

اسم الله علیها افتراء علیه سیجزیهم بما کانوا یفترون وقالوا ما فی بطون هذه الانعام خالصة

نام خدا را بر آن از روی دروغ بر او زود است که پاداش دهد ایشان را بآنچه بودند که دروغ گفتند و گفتند که آنچه در شکمهای این حیوانات است مخصوص است

لذکورنا ومحرم علی ازواجنا وان یکن میتة فهم فیه شرکاء سیجزیهم وصفهم انه حکیم علیم قد خسر

از برای مردان ما و حرام است بر زنهای ما و اگر بچه باشد مرده پس ایشان در آن انبازانند زود است که پاداش دهد ایشان را وصف ایشان بدرستی که او دانا است بتحقیق زیان کردند

الذین قتلوا اولادهم سفها بغیر علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء علی الله قد ضلوا وما کانوا مهتدین القراءة عما

آنان که کشتند فرزندان خود را از بیخردی بی دانش و حرام کردند آنچه را که روزی کرد ایشان را خدا از روی دروغ بخدا هر آینه گمراه شدند و نباشند راه یافتگان

تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مکاناتکم بالجمع حیث کان ابو بکر وحماد الباقون مکانتکم علی التوحید من یکون بالیاء التحتانیة حمزة وعلی وخلف الباقون بتاء التانیث

بزعمهم بضم الزاء علی وکذلک ما بعده الباقون بالفتح زین علی البناء للمفعول قتل بالرفع اولادهم بالنصب شرکائهم بالجر ابن عامر الآخرون زین علی البناء للفاعل

قتل بالنصب اولادهم بالجر شرکاؤهم بالرفع وان تکن بتاء التانیث ابن عامر ویزید وابو بکر وحماد میتة بالرفع ابن کثیر وابن عامر ویزید وقرأ ابن یزید

میتة بالتشدید ابن کثیر وابن عامر الباقون بالتخفیف الوقوف غافلون مما عملوا یعملون ذو الرحمة آخرین لآت لان الواو بعد للحال بمعجزین عامل

لابتداء التهدید مع فاء التعقیب تعلمون لان ما بعده مفعول سواء کان من استفهامیة او موصولة عاقبة الدار الظالمون لشرکائنا للشرط مع الفاء الی

الله للفصل بین المتضادین معنی مع الاتفاق لفظا الی شرکائهم یحکمون دینهم یفترون افتراء علیه یفترون ازواجنا للشرط مع العطف شرکاء وصفهم علیم علی

الله مهتدین التفسیر ذلک اشارة الی ما تقدم من بعثة الرسل الیهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف ای الامر ذلک ویحتمل ان یکون

مبتدأ خبره ان لم یکن وهو التعلیل والمعنی الامر ما قصصنا علیک لاجل ان الذی ذکر لانتفاء کون ربک مهلک القری وان هی الناصبة للافعال

او مخففة من الثقیلة وعلی هذا یکون ضمیر الشان والحدیث کذا ویجوز ان یکون ان لم یکن بدلا من ذلک کقوله وقضینا الیه ذلک الامر ان دابر هؤلاء

مقطوع ومعنی قوله بظلم ای بسبب ظلم اقدموا علیه وهذا الیق باصول الاشاعرة او المراد ظلما الکم فیکون من فعل الله وهذا السبب باصول المعتزلة

ومعناه انه تعالی اهلکهم قبل بعثة الرسل لم ینبهوا برسول ولا کتاب کان ظالما وعلی هذا التفسیر یمکن للاشاعرة ان یقولوا انه لو فعل ذلک لم یکن

صورة الظلم فاطلق الظلم علی نفسه مجازا والا فهو تعالی یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید ولا اعتراض علیه لاحد فی شیء من افعاله واما قوله واهلها غافلون

فلیس المراد ان هذه الغفلة ان یتغافل المرء عما یوعظ وانما معناه انه لا یبین لهم کیفیة الحال وان لا ینزل علیهم وعلیهم قالت الاشاعرة فی الآیة دلالة

علی انه لا یحصل الوجوب قبل الشرع وان الفعل المحض لا یدل علی الوجوب البتة لانها تدل علی انه تعالی ما یعذب احدا علی امر من الامور قبل بعثة

الرسل لکن بعدها قالت المعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر علی تقریر الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان کان عائدا الی العبد دل علی انه یمکن ان یصدر

منه الظلم والقبیح قبل البعثة وان کان عائدا الی الله تعالی فقد تم الاعتراف بتحسین العقل وتقبیحه ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذکر

کلاما کلیا فقال ولکل درجات ای لکل عامل من عمله درجات وعلی حسب تلک الدرجات یکون الجزاء ان خیرا فخیر وان شرا فشر ومعنی مما عملوا ای من

جزاء اعمالهم وقیل ان اول الآیة مختصة باهل الطاعات لان لفظ الدرجة یلیق بهم ولاهل المعصیة یکون الدرکات والیه الاشارة بقوله

وما ربک بغافل عما یعملون قالت الاشاعرة فی الآیة دلیل علی مسئلة الجبر والقدر فانه تعالی حکم لکل واحد بدرجة معینة فی وقت معین بسبب

فعل معین واثبت تلک الدرکة فی اللوح المحفوظ واشهد علیها الملئکة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال ثم بین انه لیس یحتاج طاعة المطیعین

ولا یدخل علیه نقص بمعصیة العاصین فقال وربک الغنی ذو الرحمة اما انه غنی فی ذاته وصفاته وفی افعاله وفی احکامه عن کل ما سواه ممکن لذاته

مفتقر في الوجود في الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات
والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك
الا رحمة الكاملة والقدرة الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فيتمكن التخصص من الانتفاع بها
الامة فقال ومن هذا انه تنزه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف
نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله ان يشأ يذهبكم انه قادر على وضع الرحمة في هذا
الخلق وقادر على ان يخلق قوما اخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم
مبلغ التكليف ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله ما يشاء اي خلق ثالث و
رابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا اخرين من امثال الجن والانس لكن اطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون اقوى في دلالة
القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم اخرين لان من قدر تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة
قدر على تصويرها بصور اخرى مخالفة لها وقال في الكشاف المعنى كما انشأكم من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح ع
ثم ذكر حال المعاد فقال ان ما توعدون لآت قال الحسن اي من مجيء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيمة ويحتمل ان يقال انما توعدون لآت اشارة الى الطرف
اي ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهرية اعجزه الشيء اي فاته فالجزم
في جانب الوعد والتعريض في جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان اغلب ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله بتهديد منكري البعث فقال قل يا
قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدي قراءة الافراد اوجه لان المصدر لا يجمع في اغلب الاحوال وقال في الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يعني اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على
جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على
كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد بدليل قوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون اينا
تكون له العاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعاد اي قل اعملوا فستجزون وهكذا في صورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل لما
استينافا ومحل من نصب ان كان بمعنى الذي او رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى اي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها
وهي مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار ولطيف المسلك فيه انصاف وادب وثوق بان المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر لا تكون العاقبة
عليه لا له ثم حكى انواعا من جهالاتهم وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى اقوال اشباههم
فقال وجعلوا لله قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاءهم لانهم
جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفي تفسيره وجوه قال
ابن عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموه الضيفان والمساكين
ولا ياكلون منه البتة ثم ان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شيء مما جعلوا للاوثان في نصيب الله
تعالى اخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدي كان اذا هلك لاوثانهم شيء اخذوا
بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد
ذلك تركوه وقال قتادة اذا اصابتهم شدة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم وقال مقاتل ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب
الله تركوا نصيب الآلهة وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه واما ان زكا نصيب الله ولم يزك نصيب الالهة فانهم قالوا لا بد لآلهتنا من نفقة واخذوا نصيب
الله تعالى فاعطوه السدنة فمعنى فلا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونها اليها من قرى الضيفان والتصدق الى المساكين ومعنى
الوصول الى شركائهم انهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرأ فيه ان الله تعالى كان اولى بان يجعل
له الزاكي لانه هو الذي ذرأه اي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام
في الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثاني جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم احدثوه من
قبل انفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع واليه بقوله اشار بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر الخامس لا
تاثير للاصنام في حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث النوع الثاني من احكامهم
الفاسدة قوله وكذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر ومن التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له
كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم في معصية الله تعالى
وعلى الثاني هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثاني الكلبي تقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان
بين الله والالهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم

او بالنحر ثم ان وجه القراءة الاكثر ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به واما قراءة ابن عامر فخطاها الزمخشري من جهة
الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك انما جوز بالظرف كقوله لله در اليوم من لامها وضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج
القلوص ابي مزاده وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندي في هذا المقام ان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراءات السبع
كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القران المجيد مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير في
اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكثير ام لا ومع ذلك فقد وجهه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله بين ذراعي
وجبهة الاسد والمضاف مضمر مع الثاني كقراءة من قرأ والله يريد الاخرة بالجر على تقدير عرض الاخرة فتقدير الاية قتل شركائهم اولادهم قتل شركائهم
ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان
كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم دينهم ليخلطوه عليهم ليشتبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي اتاهم
بهذه الاوضاع الفاسدة ارادوا ان يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل ليوقعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله
ما فعلوه كما فعل المشركون ما زين لهم او لما فعل الشياطين والسدنة والتزيين او الارداء او اللبس او جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة
والمعتزلة حملوا هذه المشية على مشية الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على قانون قوله واعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على المامور
بانه لا ياتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال في هذه الاية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه
وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الايات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم اقساما فاولها ان قالوا
هذه انعام وحرث حجر وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل
الحجر المنع وسمي الحجر لمنعه من القبائح وفلان في حجر القاضي اي في منعه كانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم
الاوثان والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها انعام لا يذكرون
اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع
منه بل افتراء عليه وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى افتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد
والنوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ان ولد حيا وان
يكن ميتة فهم فيه شركاء اي اشترك فيه الذكور والاناث من قرأ بنصب ميتة فتقديره وان لم يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى ان كان تامة او لان
التقدير وان لم يكن لهم او هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتانيثه لان تانيث الميتة غير حقيقي ولان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل ميت
ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي على الله الكذب في التحليل والتحريم انه
حكيم عليم ليكون الجزاء واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف انث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام
في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي الاول وجها اخر وهو ان يكون التاء للمبالغة مثل رواية الشعر وان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية
اي ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح احكامهم وافعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها بغير علم لا يدرون ذلك ان الولد نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر وغيره او
لفائدة موهومة هي التقرب الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما احل الله من الطيبات بالهوى والتقليد
بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب واكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم اولا بالضلال ثم بعدم الاهتداء لتحصيل كلا الامرين لهم بالمطابقة
كما حصل بالتضمن والله اعلم التاويل مهلك القرى اي قوى اشخاص الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية واهلها
غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وربك الغني عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة ذو الرحمة خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم اي
على ما جبلتم عليه اني عامل على ما جبلت عليه قتل اولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون ذهبوا مذهب
الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور انما يكون لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا اولادهم لان
ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد دخول مراتب اهل القرب وما كانوا
مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات اليقين حقا يقين كثرة العيال على بساط التوكل

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا

واوست آنکه بستانهای بسته و نابسته و درخت خرما و کشت را که مختلف است میوه‌اش و زیتون را و انار را که مانند‌اند بهم

وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً

و نامانند بخورید از میوه‌اش چون میوه آورد و بدهید حق او را در روز درویدنش و زیاده‌روی مکنید که خدا دوست ندارد زیاده‌روان را و از جمله چهارپایان شتران بارکش

وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ

و شتران خورد بخورید از آنچه روزی کرد شما را خدا و پیروی مکنید گامهای شیطانی را که او شما را دشمنیست آشکارا هشت قسم از میش دو



وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

واز بز دو بگو آیا دو نرینه حرام کرده اند یا دو مادینه یا آنچه جمع آمد براو رحمهای دو مادینه خبر دهید مرا اگر هستید راستگویان

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ

واز شتر دو واز گاو دو بگو آیا دو نرینه حرام کرده اند یا دو مادینه یا آنچه فرا گرفته براو رحمهای دو مادینه یا بودید

شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

گواهان چون فرمود شما را خدا باین پس کیست ستمکارتر از آنکه افترا بست برخدا دروغ را تا از راه برد مردم را بدون دانشی بدرستی که خدا راه نمی نماید گروه ستمکاران را

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ ع

بگو نمی یابم در آنچه وحی کرده شد بمن حرام بر خورنده که بخورد آنرا مگر آنکه بوده باشد مرده یا خون ریخته یا گوشت خوک پس بدرستی که آن پلید است یا فسقی که آواز

لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا

جز نام خدا بان پس هرکه لاچار شود نه جوینده و نه از حد گذرنده بدرستی که پروردگار تو آمرزنده مهربانست و بر آنها که یهود شدند حرام کردیم هر صاحب ناخنی را واز گاو و گوسفند حرام کردیم

كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَا

برایشان پیه هاشانرا مگر آنچه را برداشته پشتهاشان یا چربی روده ها یا آنچه ممزوج شده است باستخوان اینرا پاداش

هُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ سَيَقُولُ

دادیم ایشانرا بستمشان وبدرستی که ما راستگویانیم پس اگر تکذیب کردند ترا پس بگو پروردگار شما صاحب رحمت فراخ است و برنگردد عذابش از گروه گناهکاران زود است که گویند

الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا

آنان که انباز آوردند اگر خواستی خدا شرک نیاوردیم و نه پدران ما وحرام نکردیم از چیزی همچنین تکذیب کردند آنان که از پیش ایشان بودند تا چشیدند

بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ

عذاب ما را بگو آیا در نزد شماست دانشی پس بیرون آرید آنرا برای ما پیروی نمی کنید مگر گمان را ونیستید شما مگر دروغ میگوئید بگو پس خدا راست دلیل رسنده پس اگر خواستی

اللَّهُ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ

خدا هر آینه راه نمودی شما را همه بگو بیارید گواهان خود را آنانکه گواهی دهند بدرستی که خدا حرام کرد اینرا پس اگر گواهی دادند پس گواهی مده با ایشان

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ القراءة

وپیروی مکن خواهشهای آنها را که تکذیب کردند بآیات ما وآنان که نگروند بروز واپسین وایشان به پروردگارشان برابری میکنند

حصا بفتح الحاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر كلاهما مصدر من الضان بغير همزة ابو عمرو غير شجاع والاوقية والاعشى والا عن ورش ويزيد وحمزة في الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وابو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي والقواس غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عند الباقون بفتحها الا ان تكون بتاء التانيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس من طريق ابن رومي عنه ميتة بالتخفيف الا نافع ابن عامر زاد يزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا بالامالة علي وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهر الحلواني عن قالون والبرجمي الوقوف متشابه ط ولا تسرفوا ط المسرفين لا لان قوله حمولة منصوب بانشا وفرشا ط الشيطان ط مبين لا لان ثمانية منصوب بانشا جنات او ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ط ارحام الانثيين ط لانتهاء الاستفهام صادقين لا لان اثنين منصوب انشا ايضا ومن البقر اثنين ط ارحام الانثيين ط لان ام في قوله ام كنتم بمعنى الف الاستفهام توبيخ بهذا ج للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم ط الظالمين ط لغير الله به رحيم ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ببغيهم ز للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا والوصل وجه لان المعنى وانا لصادقون فيما اخبرنا عن التحريم ببغيهم واسعة ج لاختلاف الجملتين المجرمين من شيء باسنا لنا تخرصون البالغة للشرط مع الفاء اجمعين حرم هذا ج لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون التفسير انه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكري البعث والقيامة ثم اتبعه حكايات اقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشا الآية نشا الشيء ينشا نشا اذا ظهر وارتفع وانشاه الله ينشئه انشاء اظهره ورفعه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا يعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب تعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى ان تتخذ له عريش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة ساقه من التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش والنخل والزرع قال ابن عباس الزرع جميع الحبوب التي يقتات مختلفا اكله اي اكل كل ما في كل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما والمراد ان لكل شيء منهما

طعما غير طعم الآخر ومختلفا حال مقدرة اي انشاءه مقدرا اختلاف اكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه في القدر واللون
والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الآية المتقدمة اعني نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الى
انظروا الى ثمره تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاولى سعادة روحانية
ابدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم على المالك تناوله لمكان
شركة المشاركين فيه وفي الآية اشارة الى ان خلق هذه النعم اما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير
وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم وان
من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام
قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة او الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة
اذا اثمر وقد علم انه اذا اثمر يؤكل منه هي ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت طلوع الشجر الثمرة لا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع اما قوله وآتوا حقه
يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الآية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا
فكيف يؤدي الزكوة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب ان المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت
يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا كدسته
واذا عرفت كيله فاعزل زكوته وزيف بقوله صلى الله عليه وآله ليس في المال حق سوى الزكوة وبان قوله وآتوا حقه انما يحسن لو كان ذلك الحق معلوما
قبل ورود هذه الآية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة فلما فرض العشر ونصف العشر فيما سقي بالسواني نسخ
والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكوة في الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهو العنب والنخل والزرع والزيتون
والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو ايضا بها على ان العشر
واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب ان بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسير ان فعن
ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف كما في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول
روي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فجذها فقسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيئا فنزلت الآية ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة
فقد اسرف وبهذا فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد يكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر السرف المال ما ذهب منك في غير
منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري ولا تنفقوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو
قبيس ذهبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المسرفين والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من اهل النار لان محبة الله
تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اي انشأ من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة
بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان
والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة اي مما احلها لكم ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه الذي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة
وفي انتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد فردا اذا كان
وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم
فسرها بقوله من الضأن اثنين اي زوجين اثنين ومن المعز اثنين وفي الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضأن خلاف
الماعز والجمع الضئين والمعز والجمع المعيز اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر والضأن ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انه قرئ
بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل آلذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده
ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس وبالانثيين الانثى من الضأن وهي النعجة والانثى
من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها
واناثها ولا مما تشتمل عليه ارحام الانثيين اي مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منهما الناقة
والبقرة وما يحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا
يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم واكد ذلك بقوله نبئوني
بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية
من الانعام لمنافعهم واباحتها لهم الا انه فصل بين بعض المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي لانها هي جملة معترضة حجتي

بها تاكيد وتشديد للتحليل بخلاف الاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد اما قوله ام كنتم شهداء فام منقطعة اى بل اكنتم شهداء ومعناه الانكار
ومعناه اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى
امثالهم بالظلم بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل ع
وبحر البحائر وسيب السوائب الاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله
تعالى في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوات وفي المعاد قال القاضي في الاية دلالة على ان الاضلال عن الدين مذموم
فلا يجوز ان ينسب الى الله تعالى واجيب بانه ليس كل ما كان مذموما منا مذموما من الله تعالى فان تمكين العبد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا
دونه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال القاضي لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التي يختص المهتدى بها وقالت الاشاعرة معناه انه
لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه البيان الصحيح في الباب فقال قل لا
اجد فيما اوحى الى محرما اى طعاما محرما على طاعم يطعمه على اكل ياكله الا ان يكون ذلك الماكول او الموجود او الطعام ميتة او دما مسفوحا مجرى
سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي احياء وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما ولا ما يختلط باللحم من الدم
فانه غير سائل وسئل ابو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التي ترى فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما النهي عن الدم المسفوح وباقي الاية
ظاهر مما سلف في امثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوب قبله واهل صفة له منصوب المحل سمى ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق كما يقال فلان كرم وجود ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير في به يعود الى ما يرجع اليه
المستكن في يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين في الاية انه لم يجد فيما اوحى اليه قرانا او غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا
بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذي جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله
وما اكل السبع الا ما ذكيتم من اقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من اولها الى اخرها
كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس
وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه يحرم اكله هذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات
وان جوزنا تخصيص عموم القران بخبر الواحد كما روى انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا اشكال
وقيل المراد ان وقت نزول هذه الاية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم شيء خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه انه حرم على اليهود
اشياء اخر سوى هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الاول انه حرم عليهم كل ذي ظفر وفيه لغات ضم الفاء والعين وهي
الفصحى وكسرها وهي قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهي قراءة الحسن اختلف في الظفر فعن ابن عباس في رواية عطاء انه
الابل فقط وعنه في رواية اخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على
الاستعارة وزيف بان الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحان لهم كما يجيء مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن
من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا اكد
الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر
مبينا للاية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثاني قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد اخذت
ماله تريد بالاضافة يعني اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما وهو
ذلك شحومهما فقط وهذا ايضا ليس على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس الا ما علق من الشحم فانه لم يحرم وقال قتادة الا ما علق
بالظهر والجنب من داخل بطونهما وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهي الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى
الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه يجمد عند الهزال ولهذا لو حلف لا ياكل الشحم فاكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثاني
قوله او الحوايا قال الجوهري في الحوايا الامعاء واحدها حوية وفي معناها حاوية البطن وحاوياء البطن وقال الواحدي هي المباعر والمصارين ونحو
او ما اشتمل على الامعاء يعني ان الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث او ما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم
الالية وقال ابن جريج كل شحم في القوائم والجنب والراس وفي العينين والاذنين فانه مختلط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذي حرم الله
عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما او الحوايا
او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة او كدخولها في قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى كل هؤلاء اهل
ان يعصى فاعص هذا وكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبياء و
اخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبائح افعالهم وانا لصادقون في هذه الاخبار او فيما وعد به العصاة
قال القاضي نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على جرم صدر منهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان واجب ان

من الانتفاع يمكن ان يكون لمزيد الثواب يمكن ان يكون بشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في ادعاء النبوة والرسالة او في تبليغ الاحكام وعلى المعتزلة فان
كذبوك في انجاز ايعاد العصاة وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد بأسه
اذا جاء وقت عن القوم المجرمين يعني المكذبين على اصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فماتوا قبل
التوبة ثم حكى اعذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان اكد
بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلاء الزائدة لتأكيد النفي اخبر الله تعالى بما سوف يقولونه ولما قالوه قال في سورة النحل وقال الذين اشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وانما قال في سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على
اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل اشياء وتحريم اشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما
المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا يدل على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الاية لفظة من دونه مرتين حذف معه
نحن ليطرد الاية في حكم التخفيف وانما تغيير الاية فزعمت المعتزلة انها يدل على قولهم في مسئلة ارادة الكائنات من سبعة اوجه الاول ان الذي حكى عن
الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك وهو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك
كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على انهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على
غناه وبرائته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب كله وهو
تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ ادلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب
الانبياء ودفع دعوتهم عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشيئة الله تعالى الثالث قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله
تعالى في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار اي لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة الخامس ان
تتبعون الا الظن السادس وان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما
الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو اتينا بعمل على خلاف مشيئة الله لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر
على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف هذا هو المراد من قوله فلو شاء لهديكم
اجمعين وبوجه اخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تلفوا دين من
يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجابت الاشاعرة بانا قد بينا ما دل الدلائل القاطعة من اول القران الى ههنا صحة مذهبنا
فوجب تاويل هذه الاية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشيئة الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء وفي ان التكليف عبث فبين الله
تعالى ان ذلك من تكاذيبهم واكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء
الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس قال ما خلق
الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه واله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة
ثم ان ظاهر الاية معناه هو قوله فلو شاء لهديكم اجمعين وحمل المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر تعسف والله اعلم ثم لما ابطل جميع حجج الكفار
بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم ومعناه اذا كان لازما اقبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله ها لم ثم حذفت الالف لكثرة
الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتانيث والتذكير في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها هلما هلموا هلمي وهلممن والاول افصح وقد
يوصل بالى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام ارادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى ام اقصد وقيل ان اصل
استعماله ان قالوا هل لك في الطعام ام اي قصد ثم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم
على تحريم ما حرموه وانما قيل شهداءكم يشهدون لانه ليس الغرض احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم
المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال فان شهدوا اي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم
محض الهوى والتعصب لاجل ذلك قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب لي ترتب عليه
باقي الاية فيعلم ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة التاويل وهو الذي اشاء اجتثاث في القلوب معروشات
من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة و
الفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان
الاخلاص متشابها اعمالها وغير متشابه احوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوي و
القيل والقال واتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة يوم حصاده وان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند
ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على
الدعوة قبل اوانها ومن الانعام اي ومن الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع منها ما هو مستعد

بالشواهد و الاحوال

للاكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التحرز
عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط
الى حد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت في محالها وبمقدار
ما ينبغي من الضان اثنين ومن المعز اثنين والضان والمعز من جنس الفرشية كما ان الابل والبقر من جنس الحمولية والذكر من الضان والمعز هما صفتا
شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلوم
والجهولية وانثاهما الحمولية والاستسلام للاستعمال فبهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات عن حملها
وبين ايضا حملة عرش القلب في فهم وقد احل الله تعالى استعمالها واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وفصلها با
بالكلية فقد افترى لو شاء الله ما اشركنا الكلام في نفسه حق وصدق الا انهم لما ذكروه في معرض الاعتذار دفعا للاقتضاء الالهي كذبوا فيما قالوا والله سبحانه اعلم بالصواب

ع قُلْ تَعَالَوْا اَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ اَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا اَوْلَادَكُمْ مِنْ اِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
بگو بیائید تا بخوانم آنچه را که حرام کرد پروردگار شما بر شما که شریک قرار ندهید چیزی را و به پدر و مادر خوبی و مکشید فرزندان خود را از بیچیزی ما روزی میدهیم شما را
وَاِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِالْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصّٰيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
و ایشان را و نزدیک نشوید زناها را هرچه پیداست از آن و هرچه ناپیداست و مکشید نفس آنچنانی را حرام کرد خدا مگر براستی این است که فرمود شما را بآن شاید که دریابید
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهُ وَاَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا وَاِذَا
و نزدیکی مکنید مال یتیم را مگر بانطور که آن بهتر است تا برسد بقوت و تمام دهید پیمانه را و ترازو را براستی تکلیف نمیکنیم نفسی را مگر بقدر اندازه و چون
قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰى وَبِعَهْدِ اللّٰهِ اَوْفُوا ذٰلِكُمْ وَصّٰيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَاَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
گفتید پس راستی گوئید و هرچند بوده باشد خداوند خویشی و بپیمان خدا وفا کنید این است که فرمود شما را بآن شاید که شما پند گیرید و آنکه این راه من است که راست است
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصّٰيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا
پس متابعت کنید آن را و متابعت مکنید راهها را پس پراکنده سازد شما را از راه او این است که فرمود شما را بآن شاید که شما پرهیز کنید پس دادیم موسی را کتاب را
عَلَى الَّذِي اَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَهٰذَا كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ
بر طریق کسی که بهتر است و بیان از برای هرچیزی و راستی و رحمتی شاید که ایشان بدیدار پروردگارشان بگروند و این کتابی است که فرو فرستادیم آن را با برکت
ع فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اَنْ تَقُولُوا اِنَّمَا اُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلٰى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَاِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
پس متابعت کنید آن را و پرهیز کنید شاید که بر شما رحمت کرده شود تا نگوئید براستی که فرو فرستاده شد کتاب بر دو طائفه از پیش ما و اگرچه بودیم از خواندن ایشان بیخبران
اَوْ تَقُولُوا لَوْ اَنَّا اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا اَهْدٰى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ
یا بگوئید که اگر ما فرود آمده بود بر ما کتاب هر آینه بودیم یابنده تر از ایشان پس بتحقیق آمد شما را گواهی از پروردگارتان و راستی و رحمت پس کیست ستمکارتر از آنکه تکذیب کرد
بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ اٰيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ
بآیات خدا و برگشت از آن زود است که پاداش دهیم آنها را که بازگردیدند از آیات ما بدتر عذاب بآنچه بودند که بازگردیدند آیا چشم میدارند
اِلَّا اَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ اَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ اَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ اٰيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ اٰيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا اِيمَانُهَا
مگر آنکه بیاید ایشان را فرشتگان یا بیاید فرمان پروردگار تو یا بیاید پاره از آیات پروردگار تو روزیکه بیاید بعضی از آیات پروردگار تو سود نبخشد نفسی را ایمانش
لَمْ تَكُنْ اٰمَنَتْ مِنْ قَبْلُ اَوْ كَسَبَتْ فِي اِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا اِنَّا مُنْتَظِرُونَ اِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا
که نبود که گرویده باشد از پیش یا فرا گرفته باشد در ایمانش خوبیرا بگو چشم دارید بدرستیکه منتظرانیم بدرستیکه آنان که پراکنده ساختند دین خود را و گشتند طائفها
لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ اِنَّمَا اَمْرُهُمْ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ اَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
نیستی تو از ایشان در چیزی جز این نیست که کار ایشان بسوی خداست پس خبر دهد ایشان را بآنچه بودند که میکردند هر که آورد نیکوئی پس مر او راست ده مانند آن و هر که آورد بدی
فَلَا يُجْزٰى اِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ قُلْ اِنَّنِي هَدٰنِي رَبِّي اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
پس جزا داده نشود مگر مانند آن و ایشان ستم کرده نشوند بگو که من راه نمود مرا پروردگارم بسوی راه راست دینی راست ملت ابراهیم میل از باطل و نبود از مشرکان
قُلْ اِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ اُمِرْتُ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ
بگو بدرستیکه نماز من و اعمال من و زندگانیم و مردنم مر خدای راست که پروردگار عالمیان است نیست شریک مر او را و باین فرمان داده شدم و منم نخست تسلیم کننده بگو
اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ اِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى
آیا سوای خدا را بجویم پروردگار و اوست پروردگار هرچیز و نکند هیچ تنی بجز آنچه مر او راست و برندارد بردارنده بار دیگری را
ثُمَّ اِلٰى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْاَرْضِ وَرَفَعَ
پس بسوی پروردگارتان بازگشتن پس خبر دهد شما را بآنچه بودید که در آن اختلاف کردید و اوست آنکه گردانید شما را جانشینان در زمین و بلند کرد

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتيكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم القراءة

بعضی از شما را بالای بعضی در مرتبه تا که بیازماید شما را در آنچه داد شما را هر آینه پروردگار تو زود عقوبت است و هر آینه او آمرزنده مهربان

تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد وحفص فاما الباقون بالتشديد لاجل ادغام تاء التفعل فى الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلى وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطى بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمى فتفرق بتشديد التاء البزى وابن فليح ان يأتيهم بالياء التحتانية وكذلك فى النحل على وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك فى الروم حمزة وعلى الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين امثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربى الى بفتح ياء المتكلم ابو عمرو وابو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياى بالسكون مماتى بالفتح ابو جعفر ونافع الباقون بالعكس وانا اول بالمد نافع وابو جعفر الوقوف شيئا للحذف اى احسنوا بالوالدين احسانا لابتداء النهى مع احتمال العطف اى وان لا تقتلوا من املاق واياهم للعطف مع العارض وما بطن للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق لانتهاء بيان الاحكام الى توكيد لا ابتداء للاحكام تعقلون اشده للفصل بين الحكمين بالقسط لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف ذا قربى لتناهى جواب اذا وتقدم مفعول او فوائد كرون لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله تتقون يؤمنون ترحمون لان التقدير فاتبعوه لئلا تقولوا من قبلنا الغافلين للعطف هدى منهم للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة للاستفهام مع الفاء وصدف عنها يصدفون بعض آيات ربك خيرا منتظرون فى شىء يفعلون امثالها لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون مستقيم لاحتمال ان دينا نصب على البدل من محل الى صراط او على الاغراء اى الزموا حنيفا لابتداء النفى مع اتحاد المعنى المشركين العالمين لا شريك له المسلمين كل شىء لانتهاء الاستفهام الى الا عليها التفصيل الامر بين على التهويل مع اتفاق الجملتين اخرى لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون آتيكم العقاب للتفصيل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف وضح رحيم التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار فى باب التحليل والتحريم اتبعه البيان الشافى فى الباب فقال قل تعالوا وهو الخاص الذى صار عاما لان اصله ان يقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه وما فى قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة اى اتل الذى حرمه ربكم فالعائد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا باتل او بحرم واما منصوب بحرم على ان ما استفهامية فلا راجع والمعنى اتل اى شىء حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله فى قوله ما حرم فيلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من التحريم البيان المضبوط او الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتداء فقال عليكم ان لا تشركوا او مفسرة ان اى ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا فى النواهى واضح واما الاوامر فيعلم بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهى الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل فى القول ونكث عهد الله ولا يجوز ان يجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب اعنى الامر على الخبر واعلم انه سبحانه بين فرق المشركين فى هذه السورة احسن بيان وذلك ان منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فاشار اليهم بقوله واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين ابطل قولهم بقوله لا احب الآفلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهى بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على احسان الوالدين وكفى به خصلة شريفة ان جعله تاليا للتوحيد ثم وجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى من املاق اى من خوف الفقر كما صرح بذلك فى الآية الاخرى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات احياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك نبه على خطأ ذلك لوهم بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال فى رزق نفسه على الله فكذا القول فى حال الولد قال شمر املق الرجل اذا افتقر واملق الدهر ما عنده اذا افسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال فى سبحان بالعكس لان التقدير فى الآية من املاق بكم نحن نرزقكم واياهم وهناك نريد الخشية التى تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية فى الظاهر ولم يحترز عنها فى الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال امره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس ثم افرد من جملة الفواحش قتل النفس المحرمة تنبيها على فظاعتها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لجرم يصدر عنها كما جاء فى الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق ويندرج فى سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل ان الاصل فى قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا بامر منفصل ثم لما بين النواهى الخمسة اتبعه الكلام الذى يقرب الى القلوب القبول فقال ذلكم وصيكم لما فى لفظ التوصية من الرأفة والاستعطاف ومعنى لعلكم تعقلون لكى تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها فى الدين والدنيا ثم ذكر بعض انواع اخر من التكاليف وذلك قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى اى بالخصلة او الطريقة التى هى احسن السعى فى تثميره وانمائه ورعاية وجوه الغبطة لاجله كما مر فى اول سورة النساء حتى يبلغ اشده اى احفظوا ماله الى هذه الغاية اى اوان الاحتلام ولكن بشرط ان يونس منه الرشد قال الفراء واحد الاشد شد فى القياس وشد ولم يسمع وقال ابو الهيثم الواحد شدة كنعمة فى نعم والشدة القوة

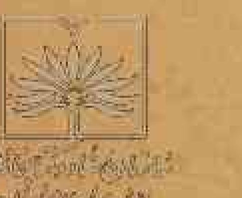
املق لازم و متعدى

ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما وَاَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ بالعدل والتسوية وايفاء الكيل
اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان اى الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا امر الله المعطي بايتاء
ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة
والتسوية لا التحقيق المؤدى الى الحرج والعسر فزعمت المعتزلة ههنا ان هذا القدر من التضييق حين لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع
انه لا قدرة له عليه او يخلق القدرة الموجبة للكفر او الداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وعورض بالعلم والداعي كما تقدم مرارا وَاِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
وَلَوْ كَانَ المقول له او عليه ذَا قُرْبَى حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهي والاولى ان يحمل على الاقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل في
الى الدين وتقريره الدلائل عليه بان يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومبرا عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهي
كذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوى فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر الا رضاء الله
وختم الاوامر بقوله وَبِعَهْدِ اللّٰهِ اَوْفُوا كما قال اَوْفُوا بِالْعُقُودِ ويندرج في هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة وَاَنَّ هٰذَا صِرَاطِي من قرا
بالفتح والتخفيف فاعماله في ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم واتل انه هذا صراطي ولكن الاحسن قراءة بالتشديد وبالفتح لان ضمير الشان
لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبله اى ذلكم وصيكم به وبان او بما بعده والتقدير ولان هذا صراطي مستقيما فَاتَّبِعُوهُ ومن كسر فلان
التلاوة في معنى القول وعلى الاستيناف والمعنى اتبعوا صراطي انه مستقيم وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وسائر البدع والضلالات فَتَفَرَّقَ بِكُمْ الباء للتعدية اى فتفرقكم ذلك الاتباع عَنْ سَبِيلِهِ المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وآله انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا
اليه ثم تلا هذه الاية هذه الاية بالحقيقة اجمال لما في الايتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولى بقوله
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لانها امور ظاهرة جلية يكفي في تعقلها ادنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ لان المذكورة فيها امور
خفية يحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال او نقول الامور الخمسة المذكورة في الاية الاولى كانها عظام جسام وكانت
الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بما في الانسان من اشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة
في الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجري مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تَذَكَّرُونَ اى تتعظون بمواعظ الله تعالى
قوله ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ معطوف على وصيكم فسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل الوصية بدهر طويل واجيب بان التكاليف
التسعة المذكورة تكاليف لا يختلف بحسب اختلاف الشرائع كما روى عن ابن عباس ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل
انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التورية
مختصة بها فهي اقدم حدوثا بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى
الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان في الاية حذفا والتقدير ثم قل يا محمد صلى الله عليه وآله انا آتينا والمعنى قُلْ تَعَالَوْا اَتْلُ مَا اُوحِيَ اِلَيْكَ ثم
اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وقوله تَمَامًا عَلَى الَّذِي اَحْسَنَ
مفعول له اى لتتم نعمتنا على الذي احسن اى على من كان محسنا صالحا او لنريد اتماما للنعمة والكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ
وكل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اى زيادة على علمه وقرئ احسن بالرفع على الذي
الذي هو احسن دين وارضاه وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ يدخل فيه ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وآله وصحة دينه وشرعه وَهُدًى
دلالة وَرَحْمَةً لكي تؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب وَهٰذَا كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ لا شك انه القرآن مُبَارَكٌ كثير الخير والنفع او ثابت
لا يتطرق اليه النسخ كما في الكتابين فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لكي تُرْحَمُوا لان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى او اتقوا لترحموا جزاء على التقوى او اتقوا مخالفته
على رجاء الرحمة قال الفراء قوله اَنْ تَقُولُوا مفعول واتقوا وقال الكسائي التقدير انا انزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا انزلناه كراهة
ان تقولوا والخطاب لاهل مكة اِنَّمَا اُنْزِلَ الْكِتَابُ اى التورية والانجيل عَلٰى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا اليهود والنصارى وَاِنْ كُنَّا هي المخففة من الثقيلة
واللام في لَغَافِلِينَ هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدى منهم لحدة اذهانهم
وكثرة حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها وامثالها مع كونهم اميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال فَقَدْ جَاءَكُمْ
اى ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا اَهْدٰى مِنْهُمْ فقد جاءكم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فيما يعلم سمعا
وَهُدًى فيما يعلم سمعا وعقلا وَرَحْمَةٌ من الله في صلاح المعاش والمعاد فَمَنْ اَظْلَمُ بعد هذه المعجزات والبينات مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَصَدَفَ
عَنْهَا اى منع غيره منها لان الاول ضلال والثاني اضلال ثم ختم الاية باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة
العذر لا يؤمنون البتة وشرحوا الا ما يوجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هَلْ يَنْظُرُونَ اى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفي و
تقدير الاية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجيء احد هذه الامور مجيء الملائكة او مجيء الرب ويعني به عذابه وبأسه كما سلف في البقرة او مجيء

المعجزات القاهرة قال في الكشاف الملائكة ملائكة الموت او ملائكة العذاب ومجيء الرب مجيء كل آية ثم يوم يأتي بعض آيات ربك واجمعوا على ان المراد بهذه الآيات
علامات القيمة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر امر الساعة اذ اشرف النبي صلى الله عليه وآله فقال ما تتذاكرون قلنا الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى ونار تخرج من عدن والمراد انه اذا بدت اشراط الساعة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل ايمانها ولا — ايمانها
نفسا ما كسبت في ايمانها خيرا ثم اوعدهم بقوله قل انتظروا انا منتظرون ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله ان الذين فرقوا دينهم او فارقوا ومعنى
الفراقين في الحقيقة واحد لان الذي فرق دينه بمعنى انه اقر ببعض وكفر ببعض فقد فارقه اي تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبدون
الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله نصارى واشيعا اي فرقا واحزابا في الضلالة
والشيعة كل فرقة تشيع اماما لها وقال مجاهد ايضا انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين
كلها في الهاوية الا واحدة لست منهم في شيء اي انت بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الاباطيل مقصور عليهم لا يتعداهم اليك
وقال السدي معناه لم تؤمر بقتالهم فلما امر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يبقى ان النهي عن القتال في وقت لا ينافي الامر به في وقت آخر فلا نسخ انما امرهم الى الله بالاستيصال
والامهال ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي الآية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان يكون واحدة ليس فيها التحزب بل كما قال
من جاء بالحسنة هي لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم فله عشر امثالها اقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
امثالها بالرفع والتنوين قيل هذا اقل الموعود وقد وعد بسبع مائة وبغير حساب قيل ليس المراد التحديد بل اراد الاضعاف مطلقا كقول القائل لئن اسديت
الي معروفا لاكافينك بعشرة امثاله وفي الوعيد لئن كلمتني واحدة لاكلمنك عشرا روى ابو ذر ان النبي صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى الحسنة عشر او ازيد
والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسيئة فلا تكتبوها
فان عملها فسيئة وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم سؤال ما الحكمة في الاضعاف جوابه كان للامم اعمار طويلة وطاعات
كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خير من الف شهر واضعف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وايضا لان الخصماء يتعلقون بهم يوم القيمة فيذهبون باعمالهم الى ان يبقى الاضعاف فيقول الله اضعافه
ليس من فعلهم ومن رحمتي فلا اقبض منهم ابدا سؤال كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب
الابدي بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم يكون عقوبته منقطعة وايضا الذي جهله الكافر وهو ذات
القديم سبحانه وصفاته شيء لا نهاية له فيكون جهله لا نهاية فكذا عقابه سؤال اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في
كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام ايام قلائل سؤال احدث في راس انسان موضحتين فوجب ارشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة
واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب سؤال آخر قد يجمع بسبب اطراف ثمان ولطائف ثلاث ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد ينتهي
الى نيف وعشرين الاذنان او ابطال حسهما العينان او البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان او النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر
الانثيان او البيضتان الحلمتان الشفران الاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء او الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال
لذة الطعام الافضاء البطش المشي وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجات فان عاد الجاني قبل الاندمال وحز الرقبة او قده
بنصفين لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على ان رعاية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب عن الاسولة الثلاثة ان هذه الامور من تعبدات
الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل بعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل في دية النفس لعسر ضبط
ذلك والجزاء الحقيقي موكول الى يوم الجزاء والله اعلم قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب
والتفضل فرقا لان الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا يكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائي العشرة تفضل والثواب
غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال آخرون لا يبعد ان يكون
الواحد ثوابا الا انه يكون اعلى شانا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله صلى الله عليه وآله انواع الدلائل والرد على اصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات
القضاء والقدر ورد على اهل الجاهلية اباطيلهم امره بان يقول انني هداني ربي ليعلم ان الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل قيما فيعل من قام كسيد
من ساد ومن قرأ قيما فعلا انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا من ابراهيم او من ملة والمعنى هداني
وعرفني ملة ابراهيم كونه او كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابراهيم وما كان من المشركين ردا على من زعم عليه شيئا من ذلك فسر الدين القويم
والطريق المستقيم على كيف يصنع به ويؤدى به فقال قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي وتقربي اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال النسك
سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك
ههنا الذبائح جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي اخذا من مناسك الحج ومحياي ومماتي اي حيوتي وموتي مقصدان

امر نبيه لما امر نبيه بالتوحيد

ميميا وقال في الكشاف المراد وما اتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل لا بد ان
يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته وقال في التفسير
الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وساير عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك ان المحيا والممات
بخلق الله فكذا الصلوة والنسك وبذلك من التوحيد المحض امرت بذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل اغير الله ابغي ربا وتقريره ان طوايف
المشركين من عبدة الاصنام والكواكب من اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد منكرا اغير
الله اطلب ربا مع ان هؤلاء الذين اتخذوا من دونه الهة مقرون بانه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب
والمولى وبوجه اخر الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد
الواجب لذاته فهو اذن رب كل شيء وصريح العقل شاهد بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل
القاطع على التوحيد ذكر انه لا يرجع اليه عن كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على
غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تؤخذ نفس اثمة باثم نفس اخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء
المشركين الى موضع لا حاكم هناك الا الله تعالى فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدأ والوسط
والمعاد على سبيل الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض قيل الخطاب لبني ادم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة
محمد صلى الله عليه وآله لانه خاتم النبيين تخلفت امته ساير الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها
بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق
لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان ولظهور الموفر من المقصر وتميز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير
والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم فادخل
اللام في قرينة الترغيب واسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه بالذات والقهر والتعذيب
يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا ورد سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات قريب
وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة اصحاب السبت لان ذلك تقدم وعقيب ذكر المسخ فناسب التاكيد باللام وانما اخر
قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون على كمال رافته ادل وفور احسانه التاويل من ملاقي فيه ترك التوكل على الله وعلم التقدير
بالله واوفوا الكيل اوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله
اوفوا بان لا تعبدوا ولا تحبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله تماما
على الذي احسن اي على من احسن من امته اسلامه وفيه ان الكتب المنزلة كلها وشرايع الانبياء كانت تتمة للدين الحنيفي الذي هو الاسلام وهذا
امر بان يقتدي بالانبياء ليجمع بين هداه وهداهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلى الله عليه وآله والاحسان تعبد الله كانك تراه وهذا كتاب انزلناه مبارك وبركته
انزل على قلبه فكان خلقه القران فقد جاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله اتم واكمل مما جاء في الكتابين فلا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة عيانا او يسوقهم الى الله قهرا او الجاء او ياتي ربك الهم ذكر لم ياتوا اليه في متابعتك
قل انتظروا للمستحيلات انا منتظرون للمتبعات في المعادات الذين فارقوا الدين الحنيفي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المتبدعة
والزنادقة والمتزندقة رياء وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شيء لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما امرهم
الى الله في بدو الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم يوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قبل ذلك حتى يقدر
على الاتيان بتلك الحسنة وهي حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل
وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيئات وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول الحسنات
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في ارض النفس والنفس خبيثة لانها امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في ارض
القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات
والمئات وبعد ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان اربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس
اي قاصد دنت عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشر امثالها وفي مرتبة الروح يكون بمائة وفي مرتبة السر يكون بالف الى اضعاف
كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء في القران والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل
انني هداني ربي من اسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية وتسليك سيري على منهاج الصلوة معراج المؤمن ومحياي اي حيوة قلبي
وروحي ومماتي اي موت نفسي لطلب رب العالمين والوصول اليه وانا اول المسلمين عند الايجاد لامر كن كما قال اول ما خلق الله نوري قل
اغير الله كيف اطلب غير الله وهو حبيبي والمحب لا يطلب الا الحبيب واذا هو رب كل شيء فيكون ما له لي وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير



لا الى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس امارة بالسوء والسوء عليها لا لها ولا تزر وازرة وزر اخرى فان كان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يؤاخذ بمعاملة النفس ولا ينالها بعذابها وانما يكون النفس فقط ماخوذة بوزرها معاقبة بما هي اهله وان كان القلب منقلب الحال واذا عاد الله تعالى باصبع القهر الى محاذات النفس فيصدأ مرآة القلب بصفات النفس واخلاقها فيتبع النفس وهواها فيزول عنه الصفاء والطهارة والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظايف العبودية فيكون ماخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو الذي جعل كل واحد من بني ادم وقته وخليفة ربه في الارض وسر الخلافة ان صوره على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات في استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق باخلاقه منكم القائم بدوره وامره في العباد والبلاد ممن الذي رجع القهقرى الى صفات البهائم وابطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس في سجين الطبيعة غفور رحيم لمن وفقه للرضا ورفع درجاته الله حسبي

سورة الاعراف مكية الا خمس ايات وسئلهم عن القرية الى قوله وقطعناهم حروفها ١٤٠١٠ كلماتها ٣٣٢٥ اياتها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا

كتابى است كه فرود آمد بسوى تو پس نباشد در سينه تو تنگى از آن تا بترسانى بآن و پندى است از براى مؤمنان پيروى كنيد آنچه را كه فرستاده شده بسوى شما از پروردگار شما و

تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعويهم

متابعت مكنيد از غير او دوستان را اندكى است كه پند ميگيريد و چه قدر از ديار كه هلاك كرديم آنرا پس آمد او را عذاب ما در شب يا ايشان در خواب بودند پس نبود حرفشان

اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم

چون آمد ايشان را عذاب ما مگر گفتند كه بوديم ستمكاران پس هر آينه سؤال كنيم آنها را كه فرستاديم بسوى ايشان و هر آينه سؤال كنيم پيغمبران را پس هر آينه حكايت كنيم بر ايشان

بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك

بدانش و نبوديم ما پنهان و ترازو در آن روز حق است پس آنكه سنگين است ترازوى او پس آن گروه ايشانند رستگاران و هر كه سبك است ترازوى او پس آن گروه

الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون

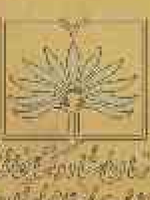
آنانند كه زيان كردند نفسهاى خود را بآنچه بودند بآيات ما ستم ميكردند و هر آينه جاى داديم شما را در زمين و قرار داديم از براى شما در آن گذران كم است سپاس گذاريد

القراآت يتذكرون بياء الغيبة ثم التاء ابن عامر والباقون كما مر في اخر الانعام الوقوف المص كوفي للمؤمنين ه اولياء ط تذكرون ه قائلون ه نصف الجزء والربع الثاني من القرآن ظالمين ه المرسلين ه للعطف غائبين ه الحق ج للابتداء بالشرط مع فاء التعقيب المفلحون ه يظلمون ه معايش ط تشكرون ه التفسير قد تقدم في اول الكتاب مباحث هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله اعلم وافصل وقال السدي معناه انا المصور وقيل معناه الم نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج منه كما زاد في الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز ان يكون المص مبتدأ وكتاب بمعنى السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز ان يكون المص خبر مبتدأ محذوف وكذا كتاب اي هذا المص هو كتاب انزل عليك والدليل على انه منزل من الله تعالى هو انه ما تلمذ استاذا ولا تعلم من معلم ولا طالع كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك اربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والاخرين فلا يبقى شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي القائلون بخلق القرآن زعموا ان الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجيب بان الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف اعراض غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول اجيب بانه تعالى احدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وآله ثم قال فلا يكن في صدرك حرج اي شك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه ومعنى منه اي من شان الكتاب اي لا تشك في انه منزل من عند الله او من تبليغه اي لا يضيق صدرك من الاداء وتوجه النهي الى الحرج كقولهم لا ارينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثل قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره امر للمشركين وانه في الحقيقة امر للمؤمنين بان يغلظوا على المشركين وفي متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتاخير اي انزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتاخير ان الاقدام على الانذار و التبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي الكلام بمعنى والتقدير فلا يكن في صدرك شك كي تنذر على انذار غيرك لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريدون ان يطفؤا وفي موضع اخر ليطفؤا والتقدير لا يضيق صدرك ولا تضعف عن ان تنذر به وقيل التقدير الكلام هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تعالى فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب اشتغل بالابلاغ

نصف

ع

ربع الثاني من القرآن



والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا يبالي باحد من اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين
وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر
به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب وبانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى وانما لم ينقل على محل لتنذر
لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين
والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار
الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى
انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تعالى تذكرت معدنها وابصرت مركزها واشتاقت
الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم يحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طائفة
وذكرى في شان طائفة ثم كما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون به لانهم مكلفون بما دل عليه وهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقران والسنة
جميعا عن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الاية دلالة على ان تخصيص عموم القران بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل
واجبة فلو عمل بالقياس لكونه مستفادا من القران وهو قوله فاعتبروا عمل بالقران ايضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء
ومن العمل بالمنزل بواسطة اكد الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء اي لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين الجن والانس فيحملوكم
على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا من دون دين الله دينا اولياء احتج نفاة القياس
بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما انزل فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله
فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجتمعت
الامة على عدم تكفيره اجاب مثبتوا القياس حجة ثبتت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف
بانكم اثبتم ان الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع امتي
على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس قوي الظن
وحصل الترجيح ومن الحشوية من انكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القران حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل
العقلية فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال قليلا ما تذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما نزل بالناس
من الوعيد فقال وكم من قرية فموضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اي كثير من القرى اهلكناها مثل زيد ضربته وتقدير
النصب ايضا غير جيد في الاية حذف لا القرية لا اهلاك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكنه يقال التقدير
وكم من اهل قرية لقوله فجاءها باسنا والباس بالاهل يتسبب لقوله او هم قائلون ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا باهلاكهم وكان
معنى البيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها ردا بالكلام على اللفظ او كما يقال الرجال فعلت وهنا سؤال وهو انه قوله فجاءها باسنا
يقتضي ان يكون مقدما على مجيء الباس ولكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها او اردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجيء الباس واحد فكانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح
فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد يجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع ال
الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء الباس جار مجرى التفسير
للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد ان يقع الباس
والهلاك معا كما يقال اعطيتني فاحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير
اهلكناها فحكمنا بمجيء الباس كان الاهلاك امارة للحكم بوصول مجيء الباس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه امن الالتباس كقولهم عرضت الناقة
على الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيت العدو اي اوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القولين
فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين او مبيتين ثم قال او هم قائلون والجملة حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءها باسنا مبيتين او بائتين وانما حسن
ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان واو الحال قريب من واو العطف لانهما استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرفي العطف فيه
جمع بين المثلين وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو
محذوف فيه مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله
تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول
العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والرخاء والامن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق امارة

لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس صح

بان كون القياس صح

او قائلين صح

الليل مسروراً باولهٰ ان الحوادث قد يطرقن اسحاراً فقوم لوط هلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجيء الباس فقال فما كان
دعويهم اى ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاسائة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس
فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على انفسهم بالشرك وقال اهل اللغة الدعوى اسم يقوم مقام الدعاء حكى سيبويه
اللهم اشركنا فى صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين اى فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم انفسهم
وتحسرهم على ما فرط منهم وفى طوافه محل دعويهم وعلى عكسه محل ان قالوا ويجوز ان يكون نصباً او رفعاً كما سبق فى اعراب قوله فلم تكن فتنتهم الا
ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيداً اجلاً فقال ولنسئلن الذين ارسل اليهم نسال المرسل اليهم عما اجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال فلنقصن عليهم اى على الرسل
والمرسل اليهم اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة
فى سؤال المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم
والتقصير تقريعاً وتوبيخاً فان قيل ما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بانه لم يوجد عنهم تقصير البتة قلنا لتلحق كل التقصير بالامة فيتضاعف
اكرام الله تعالى فى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب الخزى والاهانة فى حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن
وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لعلهم لا يسئلون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها
ولكنهم يسئلون عن الدواعى التى دعتهم اليها وعن الصوارف التى صرفتهم عنها او المراد نفى سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة
فلا تناقض وفى الاية ابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ
فى الارض ولا فى السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والا كان غائباً عن غيره ثم بين ان من جملة
احوال يوم القيمة وزن الاعمال فقال والوزن هو مبتداء خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتداء اى الوزن العدل يوم يسئل الله الامم ورسلهم
وقيل لا يجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبراً ويومئذ ظرفاً للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفى كيفية
الميزان قولان الاول ما جاء فى الخبر انه تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان
احدهما ان المؤمن يتصور اعماله بصور حسنة واعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التى
يكون فيها اعمال العباد يروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب
العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتى الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض فى احديهما لوسعتهن
وجبرئيل آخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى برجل يوم القيمة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين
سجلاً مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع فى كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً صلى الله عليه وآله
عبده ورسوله فيوضع فى الاخرى فيرجح قال القاضى يجب ان يحمل هذا على انه اتى بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراءً على المعصية
ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوفر من ساير الاعمال لان معرفة الله تعالى اشرف العقايد والاعمال
روى الواحدى فى البسيط انه اذا خف حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من حجرته بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته
فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وآله بابى انت وامى ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك وهذه صلواتك التى كنت
تصليها على قد وفيتك احوج ما تكون اليها القول الثانى قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتاخرين ان المراد من الميزان العدل لان
العدل فى الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازاً عن العدل ومما يؤكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قد فنيت
وعدمت ووزن المعدوم محال وبتقدير بقائها فوزنها محال ايضاً وما قولهم الموزون صحائف الاعمال او صور مخلوقة على حسب مقادير الاعمال فنقول المكلف
يوم القيمة اما ان يكون مقراً بانه تعالى عادل حكيم ولا يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب فى علمه بانه عدل وصواب واما ان لا يكون مقراً
فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات او بالعكس حقيقة الرجحان اجاب الاولون بان جميع المكلفين يعترفون يوم القيمة انه تعالى منزه عن الظلم والجور
لكن الفائدة فى وضع الميزان ظهور الرجحان لاهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر واختلف العلماء ايضاً فى كيفية الرجحان
فقال بعضهم يظهر هناك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيئات وقال آخرون بل يظهر الرجحان فى الكفة واختلف ايضاً فى الموازين
فقيل انها جمع موزون والمراد الاعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول
خرج فلان الى مكة على البغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين
بهذه الصفة فالموجب لترك الظاهر والمصير الى التاويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وايضاً لا يبعد ان يكون لافعال
القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر
اهل الموقف فى قسمين منهم من يزيد حسناته على سيئاته ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم هم اهل الكفر لانه حكم عليهم بانهم الذين خسروا

كل سجل منها

ومن ثقلت موازينهم

انفسهم بسبب الظلم بآيات الله اى التكذيب بها وهذا لا ينافى الّا بالكافر ولئن سلّم انّ العاصى معاقب لكنّه يعاقب بآثامه ثمّ يعفى عنه ويتخلّص
الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله ابد الآباد من غير زوال ولا انقطاع قيل انّ الآية دالّة على انّ الّذى يكون حسناته
وسيّئاته متعادلتين او متساويتين غير موجود والله اعلم ثمّ لمّا فرغ من التّخويف بالعذاب لاجل ردع الخلائق فى قبول دعوة الانبياء بطريق
الوعيد اخذ يذكر النّعم فانّ ذلك يوجب الطّاعة فقال وَلَقَدْ مَكَّنّاكُمْ فِى الْأَرْضِ اقدرناكم على التّصرّف فيها وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ هى جمع معيشة
وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصّل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع الّتى يحصل بتخليق الله تعالى ابتداءً كالاثمار او بواسطة
كالاكتساب والوجه فى معايش تصريح الياء لانّها اصليّة لا زائدة كصحائف بالهمزة فى صحيفة وعن ابن عامر او نافع فى بعض الروايات الهمزة تشبيها
بصحائف واستبعده النّحويّون البصريّون ثمّ عاتب المكلّفين بانّهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغى فقال قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ وفيه اشارة الى انّهم قد
يشكرون وقليل من عبادى الشّكور المتأدّب المقرّ بانّ ما له من لطفه افرد عباده بالمحبّة والمعرفة وانعم عليهم بالصّدق والصّبر لقبول الهبوط كالآية
المعرفة والمحبّة بواسطة كتاب انزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما انزل من الكتب فى الالواح والصّحف فقد
عرض لبعضهم ضيق وعطش فالقى الالواح وكما شرّف نبيّه بالكتاب المنزل على قلبه حتّى صار خلقه القرآن اشرف امّته بان امرهم باتّباع ما انزل اليهم
ليتخلّقوا باخلاق الله وكم من قرية قلب فسدناها استعدادها فجاءتهم باسنا اى اذا قلوبهم باصبع القهّاريّة واهلها نائمون على فراش الحسبان
قائلون فى نهار الخذلان فما كان ادّعائهم الّا ان قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الادب انّا كنّا ظالمين فنسبوا التّصرّف الى انفسهم ولم يعلموا انّ
الله تعالى مقلّب افئدتهم وابصارهم فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وهم عامّة الخلائق هل قبلتم الدّعوة وعلمتم بما امرتم ام لا فيكون السّؤال سؤال
تعنيف وتعذيب وهم الّذين قبلوا الدّعوة فيكون السّؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسئلنّ المرسلين سؤال انعام والزام هل بلّغتم وهل
وجدتم امما قابلة الدّعوة فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ فلنعلمنّ انّا ارسلنا الرّسل اليهم عبثا وانّما ارسلناهم لامر عظيم وخطب جسيم وَما كُنّا غائِبِينَ عن
الرّسل بالنّصرة والمعونة وعن المرسل اليهم بالتّوفيق والعناية والوزن يومئذ لاهل الحقّ لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا والوزن يوم
القيمة بالرّجل العظيم الطّويل الاكول الشّروب فلا يوزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالاعمال الصّالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الكاملة
فاولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه وانّما جمع الموازين لانّ لبدن كلّ مكلّف ميزانا يوزن به اعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه
ميزانا يوزن به اوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسرّه ميزانا يوزن به احواله ولخفيّه ميزانا يوزن به اخلاقه والخفىّ لطيفة روحانيّة قابلة
لفيض الاخلاق الرّبّانيّة ولهذا قال صلّى الله عليه وآله ما وضع فى الميزان شيء اثقل من حسن الخلق وذلك لانّه ليس من نعوت المخلوقين وانّما هو
خلق ربّ العالمين والعباد مامورون بالتّخلّق باخلاقه خسروا انفسهم افسدوا استعدادها ولقد مكّنّاكم هيّأنا لكم خلافة الارض دون غيركم من
الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصّة معايش لكلّ صنف من الملك والحيوانات معيشة واحدة وذلك انّ الانسان مجموع من الملكيّة والحيوانيّة
والشّيطانيّة والانسانيّة فمعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشّيطان هى معيشة نفسه الامّارة بالسّوء وقد حصل للانسان
بهذا التّركيب نشآت وانّه يمكن لكلّ واحد من الملك والحيوان والشّيطان والقلب والسّرّ والخفىّ فمعيشة قلبه هى الشّهود ومعيشة سرّه هى الكشوف ومعيشة خفيّه هى الوصال والوصول

ع وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ قالَ ما مَنَعَكَ
وهر آینه آفریدیم شما را پس صورت بستیم شما را پس گفتیم مر فرشتگان را که سجده کنید مر آدم را پس سجده کردند بجز ابلیس که نبود از سجده کنندگان گفت که چه وا داشت تو را
أَلّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ
که سجده نکردى چون بفرمودم ترا گفت که من بهترم از آن آفریدى مرا از آتش وآفریدى او را از گل گفت که پس فرود آى از آن پس نباشد ترا که تکبّر کنى
فِيها فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصّاغِرِينَ قالَ أَنْظِرْنِى إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِى
در آن پس بیرون رو که تو از زیردستانى گفت که باز دار مرا تا روزى که مردگان زنده شوند گفت که تو از مهلت داده شدگانى گفت که پس بسبب گمراه کردنت مرا
لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ
هر آینه باز دارم ایشان را از راه تو که راست است پس هر آینه بیایم ایشان را از پیش روى ایشان واز پشت ایشان واز طرف راست ایشان واز طرف چپ ایشان ونیابى
أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ قالَ فَاخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ وَيا آدَمُ
بیشتر ایشان را سپاس گزاران گفت که پس بیرون رو از آن نکوهیده ورانده هر آینه اگر پیروى کند ترا از ایشان هر آینه پر کنم دوزخ را از شما همه واى آدم
اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ فَوَسْوَسَ
ماوى کن تو وزنت در بهشت پس بخورید از هر جا که خواسته باشید ونزدیک مشوید این درخت را پس بوده باشید از ستمکاران پس وسوسه کرد
لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ
مر ایشان را شیطان تا ظاهر کند برای ایشان آنچه را که پنهان بود از ایشان از عورتهای ایشان وگفت که نهى نکرده است شما را پروردگار شما از این درخت مگر که بوده باشید دو فرشته
أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ وَقاسَمَهُما إِنِّى لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ فَدَلّاهُما بِغُرُورٍ فَلَمّا ذاقَا الشَّجَرَةَ
یا بوده باشید از جاویدان وسوگند خورد با ایشان که من مر شما را هر آینه از پند دهندگانم پس راهنمود گردانید ایشان را بفریب پس چون چشیدند

بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ

ظاهر شد مر ایشان را عورت ایشان و در گرفتند که بپوشانند بر خود از برگ درخت بهشت و ندا کرد ایشان را پروردگار ایشان که آیا نهی نکردم شما را از این درخت

وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

و گفتم شما را که شیطان مر شما را دشمنی است آشکارا گفتند ای پروردگار ما ستم کردیم بر نفس خود و اگر نیامرزی ما را و رحم نکنی ما را هر آینه باشیم از

الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ

زیانکاران گفت فرود آیید بعضی از شما مر بعضی را دشمن است و مر شما راست در زمین قرارگاه و برخورداری تا هنگامی گفت که در آن زندگانی کنید و در آن بمیرید و از آن بیرون آورده شوید

القراءة لاملأن بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف. تخرجون من الخروج حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج والله اعلم الوقوف الا ابليس ط لانه مع ... فلا يصح ... صفة له الساجدين ط اذ امرتك ط منه ج لانقطاع النظم من اتحاد المقول طين ط الصاغرين ط يبعثون ط المنظرين ط المستقيم ط للعطف شمائلهم ط شاكرين ه مدحورا ط لان ما بعده ابتداء قسم محذوف وفى اجمعين ه الظالمين ه الخالدين ه الناصحين ه بغرور ج لان جواب لما منتظر مع الفاء ورق الجنة ط لان الواو للاستئناف مبين ه انفسنا للادب سكتة اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة الخاسرين ه عدو ج لعطف المختلفين الى حين ه تخرجون ه التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا ان خلق ابانا آدم فجعله مسجودا للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكر النعم ونظير هذه الايات ما سبق فى سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما فى الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل آدم خليفة فى الارض مسجودا للملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليقان بازاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله فى سبعة مواضع فى البقرة وههنا وفى الحجر وفى سبحان وفى الكهف وفى طه وفى ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضى ان امر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر فى الواقع بالعكس واجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان آدم عليه السلام اصل البشر نظيره قوله لبنى اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اى ميثاق اسلافكم وقال لهم ثم انتم ... قد قتلتم هذا القتل وانما قتله احدهم ومنها ان المراد خلقناكم من آدم ثم صورناكم اى صورنا ذريته آدم فى ظهره فى صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق فى اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيته بتخصيص كل شئ بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر فى هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت فى اللوح المحفوظ صورهم كما انه اثبت صور كل كائن كما جاء فى الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى آدم وامر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين ره وهذا التاويل عندى اقرب الوجوه وتاويل هذه السجدة وان ابليس هل هو من الملائكة ام لا قد تقدم فى اوايل سورة البقرة فلا وجه لاعادته اما قوله سبحانه ما منعك ان لا تسجد فظاهره يقتضى انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال فى سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى فلهذا الاشكال حصل للمفسرين ره اقوال اولها وهو الاشهر ان لا صلة زائدة كما فى لا اقسم وكما فى قوله لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليعلم وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والاكثرين قال فى الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذى يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل فى لئلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب فيما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعل المراد بزيادة لا الاشارة الى نفى المذكور ويلزم منه تحقق المذكور وثانيها ان اثبات الزيادة فى كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار اى لم يمنعك من ترك السجود شئ كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذى يمنعك من ضربى ادينك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه فما امتنعت من ضربى ثالثها قال القاضى ذكر الله تعالى المنع واراد الداعى فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسأل عن الداعى اليها وقيل الممنوع من الشئ مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذى جعلك فى منعة من عذابى وقيل معناه من قال لك لا تسجد واقول يمكن ان لا يعلق قوله ان لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا والتقدير ما منعك من السجود ان لا تسجد اى لكى لا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذ امرتك امر ايجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وافشاء معاندته وجوده واستدل العلماء بالآية على ان مجرد الامر يقتضى الوجوب لا لما يترتب الذم عليه وان الامر يقتضى الفور والا لم يستوجب الذم بترك السجود فى الحال ثم استأنف اللعين قصة اخرى فيها عن نفسه بالفضل على آدم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر بما امر به وتلك الخيرية هى التى منعته عن السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار افضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوى لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلى كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها وايضا النار قوية التاثير والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة وهى مادة الحيوة والنضج واما الارضية فللبرد واليبس مناسب للموت والحيوة اشرف من الموت و ايضا سن النمو والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان وبخلافه وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية و

المخلوق

والمخلوق من الافضل افضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر في العقول فهذه
شبهة ابليس المقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوايد ليست لغيره وكل منها
ضروري في الوجود وفي التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه
الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن في النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار
والترفع وفي الارض الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به رد الكلام واما ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة
عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان والتكليف يتناول الجن بعد انتهائه
الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال اتوني باعمالكم ولا تاتوني بانسابكم ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء
العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل المفضول تواضعا
واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال او تشريف المفضول والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة
اسجدوا لادم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس اخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول في جملة المتكبرين
على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس انه كانت الطاعة اولى بابليس من القياس
فعصى وقاس واول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه
كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار من كان مخلوقا من النور المحض بسجود من هو مخلوق من الارض
اولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان الشريف اذا رضي بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وح لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا
باس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح امره بالسجود فقياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان بتخصيص
النص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف او قال على لسان بعض الملائكة فاهبط يعني اذ لم تمتثل امري
فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق ادم وقال بعض المعتزلة امره بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان يقال صغر الرجل ثم صغر اذا اهين وفي ضده ثم رشد قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار
قال النبي صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث
هو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل قال انك من المنظرين
قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال
اخرون لم يوقت الله تعالى له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله لانه
يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله تعالى من
حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء او على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا تفاوت حاله
بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض في جوفه
من كثرة شرب اللبن ولا يمكن ان يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تلوح لك لا يقال والله بزيدا لامرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام
وحرف النفي الذي هو ما وهي تعمل من حيث اللفظ فكانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولاتها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف
وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي فبسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن ومعنى القسم بالاغواء
بالاغواء انه من جملة اثار القدرة اي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف
والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا يناسب اصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف
بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف
بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب قال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ فقال لاقعدن ويرد على
هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم
اضاف الاغواء الى نفسه الاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة اجابت المعتزلة عن قوله فبما
اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لادم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى اضاف الغي الى الله وقد يقال لا
نحمله على ضرب عنده او المراد بالاغواء الاهلاك واللعن قالت الاشاعرة نحن لا نبالغ في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيف
ما كان يرجع على حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انا نقطع بان الغاوي لا بد له من مغو وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها
غواية والدور والتسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود اما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصابه على الظرف كقوله

الارض كان نجح من كان مخلوقا من صح

المعنى لامين حيث

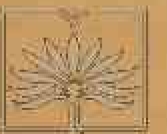
اي لا تفعل ما اضر

بهذا الكف يغسل منه فيه كما غسل الطريق الثعلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن والمراد لاعترضن لهم اى
لبنى آدم الذين كونهم فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل انه يواظب
على الافساد بالوسوسة حتى الجبلة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من اراد المبالغة فى تكميل امر من الامور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود
واعلم ان العلماء اختلفوا فى ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن
قائل بالثانى لقوله فبما اغويتنى فدل ذلك على انه اعتقد ان الذى هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده
ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب وهو المعنى بكفر العناد ويمكن ان يجاب
بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة فى الاية دلالة على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد فى دينه ولا فى دنياه والا لم يمهل ابليس حين
استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الانبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا
الى الكفر والضلال ثم انه امات الانبياء وابقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال الجبائى فى دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف
الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل ايضا بدليل قوله تعالى ثم انكم وما تعبدون ما انتم
عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا
مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة يوجب الزيادة فى الثواب ضعف قول الجبائى بانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا جلس عنده
جلساء السوء وحسنوا فى عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى فانه لا يكون حاله فى الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا
الشيطان المزين للقبائح فى قلوب الكفار والفساق وزيف قول ابى هاشم بان خلق الزيادة فى الشهوة حجة اخرى لنا فى انه تعالى لا يراعى
المصلحة وتقريره ان خلق تلك الزيادة يوقع فى الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته ان يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة
شىء لا حاجة اليه والاهم دفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان الاله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة التى لا ضرورة
اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه احدها من بين ايديهم اى اشككهم فى صحة البعث والقيمة ومن خلفهم القى اليهم ان الدنيا قديمة ازلية
وثانيها من بين ايديهم انفرهم عن الرغبة فى سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوى رغبتهم فى لذات الدنيا وطيباتها فالاخرة بين ايديهم لانهم يردون
اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدى من بين ايديهم يعنى الدنيا لانها بين يدى الانسان وانه يشاهدها
ومن خلفهم الاخرة لانها تأتى بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم فى الكفر والبدعة وعن شمائلهم فى انواع
المعاصى وقيل عن ايمانهم فى الصرف عن الحق وعن شمائلهم فى الترغيب فى الباطل وقيل عن ايمانهم افترهم عن الحسنات وعن شمائلهم اقوى دواعيهم
الى السيئات قال ابن الانبارى وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلنى فى يمينك اى من المقدمين ولا تجعلنى فى شمالك اى من المؤخرين وعن
الاصمعى هو عندنا باليمين اى بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان فى البدن قوى اربعا هى الموجبة لفوات السعادات الروحانية
احدها القوة الخيالية التى تجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة
الوهمية التى تحكم فى غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد
التى عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذى هو فى الشق الايسر فالشياطين الخارجة ما لم تستعن بشىء من هذه القوى الاربع لم
يقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما فى الذات او فى الصفات كشبهة المجسمة واما فى الافعال
كشبهة المعتزلة فى التعديل والتجويز والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهى بين يديه ويحضره فيعتقد ان الغائب مثل
الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم الترغيب فى ترك المأمورات وعن شمائلهم الترغيب فى فعل المنهيات
وعن شقيق ما من صباح الا ويأتينى الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدى فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا واما من خلفى فيخوفنى من وقوع اولادى فى الفقر فاقرأ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها واما من يمينى فيأتينى من قبل الثناء
فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلعم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه
قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر
فقعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود فى الطريق والرصد من الجهات مثل
لوسوسته اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك بقى ههنا بحث
وهو انه كيف قال من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال فى الكشاف وقد يختلف حروف الظروف
كما يختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فمعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن
انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى المتجافى وغيره ونظيره فى المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس ومن القوس
لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمى ويبتدئ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لانهما ظرفان للفعل ومن

الاعراف

بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئت من الليل يريد بعض الليل وقال بعض المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن
لانها تفيد البعد والتباعد وعلى جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لابد ان يتباعد عن الملك ولا كذلك للجانب
القدام والخلف قالت الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر وعن ايمانهم وعن شمائلهم
الشهوة والغضب والناشئ منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا
السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انهما في اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق
والتحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد
روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملئكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف تخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات
فاوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهة الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض
بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه ان يدخل في بدن ابن ادم ويخالطه اذ لو امكنه
ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة احق قلت هذا مناف لما في الحديث ان الشيطان يجري من ادم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم
شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان قد راه في اللوح المحفوظ فقال على سبيل القطع واليقين وقال اخرون انه
قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدق الله
تعالى ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة
والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع النباتية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو
النفس الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكثر من استيلاء واحدة لاسيما
وهي في اول الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوتها يعسر جعلها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين
قال الله تعالى في جوابه اذا كان هذا عزمك اخرج منها مذؤوما مدحورا الذام العيب والذام يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفي المثل
لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى
لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم فقلت غير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون اي انكم وانتم على هذا فقوله لاملان
في محل الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كما ان الكافر يتبعه وكذا الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار واجيب بشرط
عدم العفو قوله ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الاية فيها من المسائل ان يقول اسكن امر تعبد او امر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه
فلا يتعلق به التكليف فان زوج ادم وهي حواء وان تلك الجنة كانت جنة الخلد او جنة من جنان السماء او جنة من جنان الارض وان قوله وكلا امر
اباحة لا امر تكليف وان قوله ولا تقربا نهي تحريم وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانها اي شجرة كانت وان ذلك الذنب كان
صغيرا او كبيرا وان الظلم في قوله فتكونا من الظالمين باي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة ادم او بعدها ونحن قد قضينا الوطر
عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع
الذئب والمصدر الوسواس ايضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله
ووسوس اليه القاها اليه اي تكلم معه كلاما خفيا يكرره ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما قيل اللام لام العاقبة لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة
ظهور عورتهما وانما ال امرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبدو العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي كان غرضه ولعله راى في اللوح
المحفوظ او سمع من الملائكة انه اذا اكل الشجرة فويت عورته وفي ذلك سقوط حشمته وقوله ووري اي ستر والسوءة فرج الرجل والمراة وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين سؤال كيف يطمع ابليس ادم في
ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة وبعد
سجود الملائكة له ان هذا احد ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لادم هم ملائكة الارض اما ملئكة السموات او ملئكة العرش والكرسي والملئكة
المقربون فما سجدوا البتة لادم والا كان هذا التطميع فاسدا ويمكن ان يجاب بان مراده انه يصير مثل الملك في البقاء والدوام ويتايد بلزوم التكرار
من قوله او تكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرا ملكين بكسر اللام كان الملعون اتاهما من جهة الملك كقوله هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بان ادم لعله رغب في ان
يصير من الملائكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يصير جوهرا نورانيا مقره العرش والكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن ان ادم وحواء
هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن ان تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيمة وانه كفر
ويمكن ان يقال لو اراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم ان الخلود مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من ادم يوجب الكفر لان
العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعي لم يصل الى ادم وقتئذ ثم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد

تنزيه او يعنى ... ومعنى ... دبكاء



من الجزء الثامن

لا قطعا ولا ظنا وانما اقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان نقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد
ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير سؤال المقاسمة من الجانبين
فكيف تصور التقاسم بين ادم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقالا له انقسم بالله انك ناصح واقسم لهما بالنصيحة واقساما له بقبولها
او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدليهما بغرور ای اوقعهما ارادهما من تعزير واصله ان الرجل العطشان يدلى
رجليه في البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه قيل اي جرءهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدل
على اقرانه في الحرب كالطائر يدل على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين وكان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا رأی
من بعض عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا
به فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في اية اخرى فاكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من
غير اكل بدت لهما سواتهما ظهرت عوراتهما اي عورتاهما مثل صغت قلوبكما كان قلبا وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف
ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج اي يجعلان ورقة على ورقة ليسترا بها كما يخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق
التين وفيه دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة الم انهكما
عتاب من الله وتوبيخ وباقي الايات مفسر في سورة البقرة عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملئكة فجعلت حواء
تدور حولهم فقال لها خلي ملئكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملئكة بماء وسدر وترا وحنطوه وكفنوه في وتر
من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقي علينا من التفسير اسرار المتشابهات
الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها قوله ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك وفي الحجر يا ابليس ما لك حذف المنادي في هذه السورة لان مضى
ذكره هنا اقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السو
لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما
منعك ان تسجد ومالك ان لا تسجد وحذف ان تسجد وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما منعك ان لا تسجد قوله
انا خير منه الاية في ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهر الا انه زاد في الحجر لفظ ان يكون فقال لم اكن لا سجد ليكون مطابقا للسؤال حيث
قيل مالك الا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر فانظرني لانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح
الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون المنادى بخلاف السورتين واما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلان داعية
الفاء ما تضمنه النداء من ادعوا نادي نحو قوله ربنا فاغفر اي ادعوك فاعرض فلما حذف النداء في هذه السورة ترك الفاء وكذلك قوله
من المنظرين ليطابق الجواب السؤال قوله فبما اغويتني وفي الحجر رب بما اغويتني بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد في هذه الفاء وكذا في ص
فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذءوما ليس في
القران غيره وانما اختص الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى اخره فبالغ الله جل وعلى في ذمه اذ الذام
اشد الذم قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ المواضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا
يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو فان المعنى اجمعا بين الاقامة فيها
والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تاخير الاكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض
الافاضل في الجواب غيره وهذه المسائل ان اقتصار ما مضى اذا لم يقصد به اداء الا الفاء بعينها كان اختلافهما واتفاقهما سواء اذا ادى المعنى
المقصود وهذا جواب حسن رصين يريك مؤنة السهر الى السحر والله اعلم التاويل ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا الارواح
اجسادا كما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام والتصوير الاجساد بدايته وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسط يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهايته هي حالة الكهولية في الاغلب ثم قلنا للملئكة اسجدوا
لادم وانتم في صلبه وهذا من التمكين ايضا فسجدوا لاستعدادهم الفطري للسجود ولايتمارهم لامر الله الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود
لما فيه من الاستكبار الناري قال ما منعك خطاب الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب منعني تقديرك
قضاؤك ولكنه كان اعور عين اليمنى بصيرا بالعين التي رای بها انانيته فقال انا خير منه ادى منعني خيريتي منه ان اسجد لمن دوني واستدل على
خيريته بانه خلق من نار وهي علوية نورانية لطيفة وادم خلق من طين سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بان النار من خاصيتها الاحراق
والفناء والطين من خواصه النشو والنماء والاستمساك الذي يقوى به بصيرة الانسان مستمسكا للفيض الالهي ونفخ فيه الروح ووصفى بالفساد واطمان
بالحيوة فقال انظرني فاجيب الى ما سئل ليكون دبا للاعلية ويزيد في شقوته ولكن لم يجبه بان لا يذيقه الم الموت لقوله في موضع انك من المنظرين و
في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لم يكن حوالة الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم

لاقعدن ثم لاتينهم من الجهات التي فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من
قبل الطعن في الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن ايمانهم من قبل افساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم
من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين او المراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل
الصلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على نفسهم ما ليس فيها من الكشوف والاحوال
او من بين ايديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من
قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول او من بين ايديهم اثر عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم اثر عليهم اباءهم وامهاتهم و
عن ايمانهم اثر عليهم احبائهم وعن شمائلهم اثر عليهم اعدائهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا من الظالمين
على انفسكما ان المحبة نار او نور لمن ير دنارها يجد نورها ومن يرد نارها احترقت نائبته فيبقى بلا هو ية بر ففيهما نجد نور المحبة و يتنور بر كقوله
يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل ادم كما خمر طينة ادم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعهما منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان
حريص على ما منع ولم تكن الشجرة طعمة لغير ادم واولاده الا ان تكونا ملكين اي من اهل السلو كالملكين في ذوايا الجنة او تكونا من الخالدين في الجنة
كالحور والرضوان فسقاهما ابليس في كاس القسم شراب كو الحبيب قاسمهما فلما غرقا في لجة المحبة بدت لهما سوأة نار المحبة قبل نورها وهي نار فرقة الاحبة
وفي البداية وطفقا لاشتغال نائرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما فلما التهبت احترقت بلظاها اجنحة الواصلة ونعب غراب البين بالفرقة
فبينا نحن في الهود في طرب بدا سحاب فراق صوبه هطل وان كنت مشعوفا بطلعته مضى وافقر منه الرسم والطلل فالصبر منهمل والوجد متصل
والروع منهمل والقلب مشتغل ونادىهما ربهما نداء العزة والكبرياء الم انهكما عن تلكما الشجرة فانهما نذل العزين وتنزيل النعيم وتذهب الطرب و
تورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صلة خفية تظهر ولو بعد حين والحلنا من وتوبة باب دارهم لوا اقيل لي
مغضبا من تنيار جل فاغتسل بماء الخجل منهما دعونات التشريف ولوث العجلة نائبة فرجعا عما طاعيه ووقفا لو يد وعلما ان لا نجاة ولا ملجا منه الا
اليه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعناها في شبكة المحبة تعيينا ولا المحنة تعيينا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال
لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو والنفس
عدو والقلب والروح والقلب عدو قلما سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال الطريقة
للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة تستحق لخطاب ارجعي من الهبوط وارفعي بعد السقوط ان الامور اذا انسدت مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا لا تياسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا اخلق بذي الصبر ان تحظى بحاجته وقد من القرع
للابواب ان تلجا قال فيها اي في الجنة تحيون بصدق الهمة وقرع باب العزيمة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة
ع ١٠ يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ايات الله لعلهم
اى فرزندان آدم تحقيق فرستاديم برشما پوششى را كه پنهان كند عورت شمارا وجامهٔ نيكو و لباس پرهيزكارى اين بهتر است اين از ايات خدا است شايد كه ايشان
يذكرون يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما
پند گيرند اى فرزندان آدم فريب ندهد شمارا شيطان چنانچه بيرون كرد پدر و مادر شمارا از بهشت ميكند از ايشان لباس ايشان را كه بنمايد
سوآتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون
عورت ايشان را به درستى كه او ميبيند شمارا او و خويشان او از آنجا كه نمى‌بينيد ايشان را بدرستى كه ما گردانيديم ديوان را صاحب اختياران از براى آنان كه نگرويدند
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها [illegible] ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا
و چون كردند ناشايسته را گفتند كه يافتيم بران فاحشه پدران خود را و خدا فرموده ما را بان بگو بدرستى كه خداى نفرمايد بناشايسته آيا ميگوئيد بر خدا آنچه را
تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون
نميدانيد بگو كه فرمان داد پروردگار من براستى و راست داريد روهاى خود را نزد هر مسجدى و بخوانيد او را خالص كنندگان از براى او دين را چنانچه آفريد شما را
فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون
گروهى را راه نمود و گروهى را ثابت گرديد برايشان گمراهى بدرستى ايشان فرا گرفتند ديوان را دوستان از غير خدا و ميپندارند
ع ١١ انهم مهتدون يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا [illegible] المسرفين
كه ايشان هدايت كرده شدگانند اى بنى آدم فرا گيريد زينت خود را در نزد هر مسجدى و بخوريد و بياشاميد و اسراف مكنيد
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا
بگو كيست حرام كرده زينت خدا را كه بيرون آورد از براى بندگانش و پاكيزه‌هاى از روزى بگو آن از براى آنان كه گرويدند در زندگانى دنيا
خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
خالص روز قيامت همچنين ظاهر سازيم ايات را از براى گروهى كه ميدانند بگو جز اين نيست كه حرام كرده پروردگار من ناشايسته‌ها را

الجزء الثامن

مِنها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا
از آنها و آنچه پنهانست و گناه و از حد گذشتن را بدون حق و آنکه شرک آورید بخدا آنچه نرسیده است بان حجتی و آنکه بگوئید
على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
برخدای آنچه را که نمیدانید و مر هر گروهی را مدتیست پس چون آمد مدتشان پس پس نیفتند ساعتی و پیش نیفتند

القراءة ورياشا ابو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلى الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الآخرون بالنصب
ربي الفواحش مرسلة الياء حمزة الوقوف وريشا لمن قرأ ولباس مرفوعا ومن قرأ بالنصب فقف على التقوى خير لتذكرون سواتهما لا يؤمنون
امرنا بها ط بالفحشاء ما لا يعلمون الدين ط تعودون على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة مهتدون ولا تسرفوا لاحتمال الحال منها ولا
يستقدمون التفسير لما ذكر ان الارض مستقر لبني ادم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني ادم قد انزلنا وايضا لما ذكر واقعة
ادم في انكشاف العورة انه كان يخصف عليها اتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان التستر باب من ابواب التقوى ومعنى انزال
اللباس انه قضي ثمه وكتب او انه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد والريش لباس الزينة
استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها
وزينة ولكم فيها جمال ومن قرأ ورياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهري الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر
ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان ومنه قولهم رشت فلانا اصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص
بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال اما قوله ولباس التقوى فمن قرأ بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء
وخبره ما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة كالضمائر في صلوح العود بسببها واما المفرد خير وذلك بدل
او عطف بيان او صفة بتاويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما لتعظيم لباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس
التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس الذي انزله الله تعالى ليواري به السوأة هو لباس
التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفتك الصدق
في ابواب البر والصدق خير لك من غيره فتعبد به او المراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها في الحروب او يراد الملبوسات
المعدة لاجل اقامة الصلوة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح
وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال مكشوفا
وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما ظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الاية
ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضافة اللباس الى التقوى كاضافة
الى الجوع والخوف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفوا
عظيم النعمة فيه ثم حذر اولاد ادم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بني
ادم لا يفتننكم الشيطان والفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق ودينار مفتون
اي فضة محرقة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون من تدل على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان دبره فهو على الاولاد
على ان لا يدخل الجنة اقدر ومحل كما اخرج نصب على المصدر اي فتنة مثل اخراج ابويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة في اولاده ومحل ينزع
عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام في ليريهما سوآتهما لام العاقبة او لام الغرض كما تقدم في قوله
ليبدي لهما قال ابن عباس يرى ادم سوأة حواء ويرى حواء سوأة ادم وكانا لا يريان ذلك من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه
ولا راى مني وحمله العلماء على الكراهة لا على التحريم واختلفوا في لباس نزع عنهما فقيل النور الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما
من جنس الاظفار وقيل اللباس الذي هو ثياب الجنة قال الكعبي في الاية دلالة على ان المعاصي والفتن كلها منسوبة الى الشيطان واجيب
بانه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النهي والتحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اي جماعته الثلثة
فصاعدا والقبيل بنو اب واحد وقال ابن قتيبة اي اصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله وجماعته من حيث لا ترونهم اي يكيدون
ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في روية
الجن الانس كثافة اجسام الانس والوجه في روية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله في قوة ابصارنا لرايناهم كما
يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف اجسامهم وبقيت ابصارنا على هذه الحالة لرايناهم وقال اهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق في
عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك في عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول اوقات الاستقبال
من غير تخصيص ففيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من ادعى رؤيتهم زور

معنى الفتنة

ومخففة

ومخرقته ولو قدر الجن على تغيير صور انفسهم باى صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط
الناس وازالة العقل عنهم لكان اولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس اشد وعن مجاهد قال
ابليس اعطينا اربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى والضمير في انه للشأن وهو تاكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل
ثم قال انا جعلنا الشياطين الاية واحتج اهل السنة على انه تعالى هو الذى سلط الشيطان عليهم حتى اضلهم واغواهم ويتاكد هذا النص بقوله
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اعتذر القاضى بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولى لمن لا يؤمن او المراد التخلية بينهم و
بينهم كمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل واجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم بذلك فهل يمكن مخالفة
حكم الله وبان الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت في اتخاذهم البحائر والسوائب
وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزائدة في القبح اعنى الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هي في انفسها
فواحش ويعتقدون انها طاعات فنهوا عن ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند
كل عاقل والثانية ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء قالت المعتزلة انه يحتجوا به على ان الشئ انما يقبح و
لوجه عائد اليه واقع كونه في نفسه من الفحشاء مغايرا لتعلق الامر والنهى ولهذا المعنى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب
ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافى ارادة الفحشاء ومشيتها ونحن لا ندعى الا انه تعالى مريد لجميع الكائنات وان شيئا منها لا يخرج عن حكمه وارادته
وتقديره مع انه لا يأمر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربي بالقسط قال عطاء والسدى اى بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا
وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى باسمائه وافعاله واحكامه اما قوله واقيموا فليس من باب عطف الطلب
على الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم اى استقبلوا واخلصوا عند كل مسجد في كل وقت سجود او كان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما
كنتم في الصلوة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم لا اصلى الا في مسجد
قومى ثم لما امر بالتوجه الى القبلة امر بعده بالدعاء والاظهر ان المراد به اعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة هو الدعاء و
الذكر ويمكن ان يبقى الدعاء بمعنى العبادة فيكون كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد ليتحقق الجزاء
فقال كما بدأكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم
مؤمنا او كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى في اول الامر للشقاوة يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته
ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة وانتصاب فريقا الثانى بفعل مضمر يفسره ما بعده اى خذل واضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت
به قال القاضى المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة اى العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذى
يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يأمر انبياءه باضلالهم عن الدين كما امرهم بانذار الخلق
المستحقة واجيب بان قوله هدى وحق ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة او الضلال عنها لا بد ان يكون محكوما في الازل فخلاف
حكمه محال ثم بين ما لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة اعنى السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم
مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفى في اصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملته امر اللباس والماكول
والمشروب وايضا امر باقامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال يا بنى آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب
يطوفون بالبيت عراة حتى كانت المرأة لتطوف بالبيت وهى عريانة فتعلق على سفلتها سيورا مثل هذه السيور التى تكون على وجه الحمر من الذباب
وهى تقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه
وراء المسجد ان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا بالتعرى
من الذنوب كما تعروا من الثياب وقال الكلبى كان اهل الجاهلية لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم فقال المسلمون يا رسول
الله نحن احق بذلك فانزل الله الاية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى لا يبدين زينتهن يعنى الثياب وايضا الزينة
لا تحصل الا بالستر التام للعورات ولانه مناسب لما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوى اللبس غير واجب فوجب
حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والستر ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب فالاية تقتضى وجوب اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل به في القدر الذى لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقى الباقى داخلا تحت
اللفظ فاذن ستر العورة واجب في الصلوة والا فسدت صلوته قال اصحاب ابى حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد على اقبح وجوه النظافة اخل الزينة
في صحة الصلوة واحتج بان اللام في قوله واقيموا الصلوة ينصرف الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله فلم قلتم انه صلى في الثوب المغسول بماء

القبلة وتقيموا

يفعلون بذلك جماعتهم



الورد اما قوله وكلوا اى اللحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما امر باحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم
من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين انهم في الجملة وهما يشملان جميع المطعومات والمشروبات
وبيننا ولان الاحوال والاوقات الاما خصه الدليل المنفصل والعقل انه مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا
تسرفوا وجها الاول انه ياكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثاني
وهو قول ابى بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم
في وقت الحج ما احلها الله لهم تعالى قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي اولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلى بن الحسين بن
واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم ابدان وعلم اديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه
قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في الفاظ
يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن عباس واكثر
المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال اخرون انها يتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمراكب والحلى وكذا كل ما يستطاب ويستلذ
من الماكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتى رسول الله صلعم وقال غلبتني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال
مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي يحدثني بالترهب فقال ان ترهب امتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال
يحدثني نفسي بالسياحة فقال سياحة امتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي يحدثني ان اخرج مما املك فقال الاولى ان تكفي نفسك وعيالك وان ترحم قال ثم
المسكين واليتيم وتعطيه ما فضل من ذلك فقال نفسي يحدثني ان اطلق خولة فقال ان الهجرة في امتي هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسي يحدثني
ان لا اغشاها فقال ان المسلم اذا غشى اهله وما ملكت يمينه فان لم يصب وقعته تلك ولدا كان له وصيف في الجنة وان كان له ولد مات قبله
وبعده كان له قرة عين وفرح يوم القيمة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيمة قال فان نفسي يحدثني ان لا اكل اللحم قال
مهلا فان جبرئيل اتاني بالطيب وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فانه من رغب عن سنتي ومات فليس مني ولو مات قبل
ان يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة تقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضرر او يتساوى ضررها ونفعها فوجب الحكم
في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر وجب قطعا الاثم
مرجوحا تقابل المثل بالمثل وبقي القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا وان كان الضرر خالصا
الطريق صارت هذه الاية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحل والحرمة الا ان نجد نصا خاصا في الواقعة فنقضي بتقديم الخاص على العام ثم
قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان هذا
النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فاذن
القران واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت في الحيوة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة والكفرة
بالتبعية كقوله ومن كفر فامتعه قليلا واما في الاخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة من قرأ بالرفع فلانه الدنيا
خبر بعد خبر قال ابو علي وعلى الخبر للذين امنوا متعلق به والتقدير هي خالصة الذين امنوا في الحيوة يوم القيمة وعلى هذا يكون في الحيوة الدنيا
ظرف الخالصة فيفهم من ذلك انها في غير يوم القيمة غير خالصة لهم بل يكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون في الحيوة ظرفا للمحذوف
اى هي للذين امنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيمة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال وباقي التقدير كما ذكرنا نفصل الايات
لقوم يعلمون اى لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة وحصرها في
ستة انواع لان الجناية اما على الفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما ان يكون على العقول وهي شرب
الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كانه
خصص ولا اثم عمم واما ان يكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليهن الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا يقدموا
على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فيخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد
واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اى لا سلطانا حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله ان تقولوا على الله ما لا
تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الاية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب
ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم ذكر التكاليف الاجال المحدودة
والانفاس المعدودة فقال لكل امة اجل عن ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى امهل كل امة كذبت رسولها الى وقت معين لا يعذبهم

قبل ذلك ولا يؤخر عنها والمقصود وعيد اهل مكة وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم ولا يتاخر سواء الهالك والمقتول وقيل معناه ان اجل الامة لا يتقدم
ولا يتاخر اورد على القول الاول انه ليس لكل امة من الامم وقت معين لا يعذبهم في نزول عذاب الاستيصال وعلى الثاني انه كان ينبغي ان يقال
ولكل انسان او احد اجل ويمكن ان يقال الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الاجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى
لا يقدر على تبقيته ازيد من ذلك ولا انقص ولا يقدر على ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه
قادرا مختارا وصيرورته كالموجب وذلك باطل بل المراد انه تعالى اختار ان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما
يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمتنع عقلا
وقوع ذلك الاجل في وقت متقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون واجيب بان مجيء الاجل محمول على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته
ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتاخر عنه اخرى التاويل قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوات الافعال القبيحة
في الظاهر وسوات الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية باداب الطريقة في الباطن وريشا زينة وجمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو
هو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى يواري به سوات الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من
التقوى هو محبة المولى فيواري به سوات التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى يتوارى بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من
التقى بقاؤه بهوية المولى فيواري بها هوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالتقوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك
من ايات الله اي نزول الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها وللنا بعث الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب
الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سواتهما من مخالفة الحق وما علما ان في
هذه الصفة ومن جملة سواتهما كل كمال ونقصان وكان مستورا فيهما فاراهما بعد تناول الشجرة انه يريكم هو وقبيله يعني من الروحانيين الذين لا
صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما راوا في ادم وقالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم اي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشاها الصفات الحيوانية فانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم
لا من حيث الروحانية التي هي منشا علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بانظر الروحاني بل بالنور انا جعلنا الشياطين اولياء
خلقناهم مستعدين لتولية امور اهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وجمعها قالوا انا وجدنا اباءنا على محبة الدنيا وشهواتها
والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالكسب لحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق
العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما بداكم لطفا او قهرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين
حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن
الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين اثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على
البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العبدية كما قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ
القوة بحيث يضيع حقوق العبودية من زينة الله فزين الابدان بالشرايع واثارها وزين النفوس بالاداب وانواعها وزين القلوب بالشواهد وانوارها
وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع واثارها من تصدى لطلب هذه المقامات وهي مباحة له من غير تاخير وقصور
وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بالحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات خالصة للسادة في الدنيا مشوبة بشوائب الافات
النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيمة من هذه الافات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الفواحش ما يقطع
على العبد طريق الساير الى الرب ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع الانفس
نصيبه ولو ندرة وما بطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ما ظهر منها ترك ادب من الاداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون
الى شيء في الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغي هو حب غير الله فانه وضع في غير موضعه وان تستغيثوا
بغير الله ما لم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وان تقولوا بتقول النفس وهواها او بنظر العقل على الله ما لا يعلمون حقيقتها او تقولوا في معرفة الله دنيا احوالهم
السايرين ما لم يشهدوا بعيان وكل امة من اهل الله ملك وللجنة مضروبة في الازل وفيه وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم

يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
ای فرزندان آدم اگر آیند شما را رسولان از شما که بیان کنند بر شما آیات مرا پس آنکه پرهیزکرد و نیکوکاری نمود پس ترسی نیست بر ایشان و نه ایشان اندوهناک و آنانکه
كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
تکذیب کردند آیات ما را و سرکشی کردند از آن آنگروه یاران آتشند ایشان در آن جاویدان پس کیست ستمکارتر از آنکه دروغ گفت بر خدا دروغ را
كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون
یا تکذیب کرد آیات او را آنگروه میرسد ایشان بهرهٔ ایشان از کتاب تا چون آید ایشان فرستادهای ما که بمیرانند ایشان را گفتند کجا بود آنکه میخواندید

مِنْ دُونِ اللّٰهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ قَالَ ادْخُلُوا فِيْ اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ

از غیر خدا گویند که گم گشتند از ما و گواهی دهند بر خود شان که ایشان بودند کافران گوید که در آیید در طایفه که گذشته بود از پیش شما از

الْجِنِّ وَالْاِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَعَنَتْ اُخْتَهَا حَتّٰى اِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ اُخْرٰىهُمْ لِاُولٰىهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ

پری و آدمی در آتش هرچند داخل شد گروهی لعنت کرد خواهر خود را تا آنگه چون بیکدیگر رسند در آتش همه گوید طایفه اخری مر اولی را که پروردگار ایشان

اَضَلُّونَا فَاٰتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ اُولٰىهُمْ لِاُخْرٰىهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا

از راه بردند ما را پس بده ایشان عذاب فراوان از آتش گوید که مر هر یکی را عذاب فراوان است لیکن نمیدانید و گوید طایفه اولی مر اخری را پس نیست شما را بر ما

ع
مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ اِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوَابُ

از زیادتی پس بچشید عذاب با نچه بودید که کسب کردید بدرستی آنان که تکذیب کردند آیات ما را و سر پیچیدند ازان گشوده نشود ازبرای ایشان درهای

السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِيْ سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ

آسمان و در داخل نشوند بهشت را تا که آید ریسمانهای رشت در سوراخ سوزنها و همچنین مزد دهیم گناهکاران را مر ایشانراست از دوزخ گهوارا و از بالای ایشان

غَوَاشٍ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا اُولٰئِكَ

پوشش و همچنین مزد دهیم ستمکاران را و آنان که گرویدند و کردند شایسته نفرماییم تکلیف هیچ چیزی کس را مگر بقدر طاقت او آن گروه

اَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ

یاران بهشتند ایشان در آن جاویدان و برداشتیم آنچه در سینهای ایشان بود از کینه روانست از زیر ایشان جویها و گویند سپاس مر خدای را

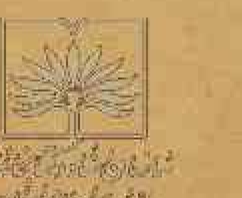
الَّذِيْ هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدَانَا اللّٰهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا اَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ اُورِثْتُمُوهَا

آنکه راهنمود ما را ازبرای این و نبودیم ما که راه یابیم اگر که خدا هدایت نکرده بود ما را هر آینه آمدند فرستادهای پروردگار ما براستی و آواز داده شوند که این است بهشتی که داده شدید آنرا

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ القراءة حتى اذا ادّاركوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدئ تداركوا بالتاء سهل مخبر وكذلك تعالى آأنتم وقالوا الحمد والحق لكتابى في بنا قلتم اخريهم لاوليهم بالامالة الشديدة ابرهيم بن حماد وحمزة وعلى وخلف وقرأ ابو عمرو وفى ابرهيم بن حماد اوليهم لامالة اللطيفة اخريهم بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق البخاري هبيرة في اخريهم بالامالة الشديدة فاتهم بضم الطاء رد عليه وكذا كل كلمة سقطت الياء لعلة الاولى ومن يوليهم لا يعلمون بتاء الغيبة ابو بكر وحماد لا تفتح لهم بتاء التانيث والتخفيف ابو عمرو وقرأ وحمزة وعلى وخلف بفتح التحتانية وبالتخفيف الباقون بتاء التانيث والتشديد غواشي بالياء في الوقف يعقوب وكذا كل كلمة سقطت الياء لاجل التنوين او لاجتماع الساكنين وهو من هبة سهل من طريق ابن دريد ما كنا بغير واو العطف ابن عامر الاخوين بالواو اورثتموها وبابه بادغام الثاء في التاء ابو عمرو وحمزة وعلى وهشام الوقوف اياتي ط لان الفاء بعده لجواب الشرط ولا هم يحزنون النار ط خالدون بآياته ط من الكتب ط يتوفونهم لا لان ما بعده جواب اذا من دون الله ط كافرين في النار ط اختها ط جميعا ط من النار ط لا يعلمون يكسبون الخياط المجرمين غواش ط الظالمين وسعها وجعل اولئك خبر الموصول وجعلنا على ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضا الجنة ط خالدون الانهار للعطف مع العارض هدانا الله لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق لا ابتداء بانها حجة بعد انتهاء الحمد والثناء على انتهاء عطاء تعملون التفسير لما بين احوال التكليف وان لكل احد اجلا معينا لا ينقدم ولا يتأخر بين انهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان كانوا متمردين وقعوا في اشد العذاب فقال يا بني آدم اما يأتينكم واعرابه مثل ما مر في سورة البقرة فاما يأتينكم مني هدى والراجع محذوف اي من اتقى واصلح منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون اقطع لعذرهم واقرب الى الفهم والانس ومعنى ايات احكامي وشرايعي الدالة على صحة المبدأ والمعاد ثم فصل شأن الجاحدين بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته والاول الحكم بوجود ما لم يجد كاقوال اصناف المشركين وطوايف المبتدعة والثاني انكار حكم وجد من نبي او كتاب ثم عن عاقبة امرهم فقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل اي العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج اي انواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا في ذمتنا ان ننصفهم ولا نتعدى عليهم وان نذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ان النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله تعالى ومشيته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك او على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كانه سبحانه بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الا ان ذلك ليس بمانع من ان ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكي يصلحوا ويتوبوا ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والمراد ههنا جملة شرطية تدل على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت واعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون في الآخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفون عدتهم عند حشرهم الى النار اي يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم احد في

معنى النصيب

الكشاف ما وقعت موصولة بابن تخط المصحف قلت ولى رايت النقل على العكس كما ذكرته فى المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب معنا الابنراين
الالهة التى تدعون الى تعبدونهم وتدعونهم فى الشدائد قالوا على سبيل الاعتراف والعود الى الانصاف ضلوا عنا اى غابوا وذهبوا ولم ننتفع بهم وشهدوا
على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية احوال الكفار وذلك قوله قال اى الله عز وجل قال
هو من كلام خازن النار وهذا مبنى على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان كلام سبحانه ادخلوا فى امم قيل اى ادخلوا فى النار مع امم والاولى ان لا يلزم
الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين فى جملة امم تقدم زمانهم زمانكم فى النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن
فيهم سابق ومسبوق كلما دخلت امة لعنت اختها فى الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك واليهودى اليهودى والنصرانى النصرانى وكذا المجوس وسائر
اديان الضلالة نظيرها فلا يلعن غيرها او حتى اذا اداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا فى النار وادرك بعضهم بعضا واستقر معه قالت اخراهم دخولا فى
النار لاولاهم دخولا فيها او اتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندى لان المضل لا بد ان يكون مقدما على الضال فى دخول
النار واللام بمعنى لاجل اولاهم وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم الفاء للجزاء عذابا ضعفا اى مضاعفا وذلك عذاب الضلال
وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه فى اعينهم والسعى فى اخفاء الدلائل قال ابو عبيدة الضعف مثل الشئ مرة واحدة وهو قول الشافعى
فى رجل اوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدى يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الازهرى العرب يريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصود على
المثلين بدليل قوله عز من قائل فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا واقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها واما الشافعى فالاول
ذلك متيقن وما فوقه مشكوك قال الله او خازن النار لكل من القادة والاتباع ضعف اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم
واتبعوا امرهم سئل ههنا ان تضعيف العذاب الذى يستحقه الشخص ظلم واجيب فى التفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فكل الم يحصل فانه يعقبه حصول
الم اخر الى غير النهاية قلت هذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب
التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زائد على مقدار ما يستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من جهته لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن
قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب او لا تعلمون يا اهل الدنيا ما مقدار ذلك وقالت اولاهم لاخراهم اذا قد
حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان لنا اى فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مؤاخذون بالاتباع كما نحن مؤاخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال فى التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لانه
ارتسا لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار
يوم القيمة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا ان هذا
الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم فى النار فقال ان الذين كذبوا
باياتنا وهى الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اى ترفعوا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء قال ابن
عباس اى لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ولا لشئ مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن
قوله ان كتاب الابرار لفى عليين وقال السدى وغيره لا تفتح لارواحهم ابواب السماء التى هى موضع بهجة الارواح واماكن سعادتها كما جاء
فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى ينتهى
الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء وقيل بناء على ان الجنة فى السماء معناه ولا يؤذن
لهم فى الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل اى لا ينزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة
الى ان طلب معنى اخر تكلف والسم بالحركات الثلاث وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب فى البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه
فى مسام البدن حتى يصل الى القلب الخياط والمخيط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل
اعظم الاجسام المشهودة عند العرب كما قال لا عيب بالقوم من طول ومن عظم جسم الجمال واحلام العصافير وكان سم الابرة مثلا فى ضيق
المسلك حتى قيل اضيق من خرت الابرة قالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه فى المضائق المشبهة باخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة
على حصول هذا الشرط المحال ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا افعل كذا حتى يشيب
الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل وزن القمل وكذا الجمل بوزن الحبل ومعناه الحبل الغليظ فان الحبل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الابرة
والبعير لا يناسبه واهل التناسخ اولوا الاية بان الارواح كانت فى الابدان البشرية لما عصت واذنبت فانها بعد موت الابدان ترد
من بدن الى بدن ولا يزال يبقى فى التعذيب حتى ينتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فينفذ فى سم الخياط حينئذ يصير مطهرة عن تلك
الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء القطيع نجزى المجرمين قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون
المذكورون وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم



يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهاد اى فراش ومن فوقهم غواش هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك اى يجللك والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين فى غواش مثلها فى جوار اعنى انها للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء او عن اسكان الياء وكذلك نجزى الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره فى اخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدا وخبره وليس باجنبى والا لم يحسن وفيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها يحصل بالعمل السهل من غير مشقة وصعوبة فبعد المن فاتته وسحقا ومن جعله خبرا فالعائد محذوف اى لا يكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا ما فى صدورهم من غل نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى ان يغل والاية تفسير ان الاول ازلنا الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوسواس ومنعه من ان يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التواد والتعاطف عن على كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان والزبير منهم الثانى ان درجات اهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى ازال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرى بعض اهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببعيد ولا يبعد من حال اهل الجنة فان اولياء الله تعالى فى دار الدنيا ايضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهذا شكر كل منكم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه الى زوجه وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيموتون كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام بمنه وكرمه اولئك الكرام تجرى من تحتهم الانهار وهذه من جملة اسباب التنزه والتزهر ان اجرى على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان اريد بها انواع المكاشفات واصناف التجليات وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا النعيم والفوز العظيم المقيم والفوز العظيم بان يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف او بان اعطى العقل ونصب الادلة وازاح العلة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله من قرا بواو العطف فظاهر ومن حذف الواو فلانها جملة يقرب معناها من معنى الاولى وكانها تفسيرها فلا حاجة الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فجعله واسطة لهداية ربنا او لطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم الجنة بان تلكم الجنة والضمير للشان والحديث ويجوز كونه بمعنى اى لان النداء فى معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكون التقييد للتعظيم ومعنى اورثتموها صارت اليكم ميراثا كما يصير الميراث الى اهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورثك الشرف او العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل اهل النار لما روى ان رسول الله صلى الله عليه واله قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار دفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله تعالى ثم يقال يا اهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك والله تعالى اعلم التاويل يا بنى ادم اما ياتينكم رسل الالهامات من انفسكم من طريق قلوبكم واسراركم وفيه ان بنى ادم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول اكرمنى بالكرامات والمقامات ولم يعط او كذب بمقامات اعطاها بعض اوليائه اولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب الله لهم حتى اذا جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات الربانية بعد ان كان هائما فى تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المحرومون انهم كانوا ساترين الحق بالباطل هداهم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لان الله تعالى خلق اولا بنى الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة وقيل رئيسهم ابليس فاستاصلوهم ثم خلق ادم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت امة فى اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سبقوها حتى اذا اداركوا الكل فى الاعمال الموجبة للنار عذابا ضعفا لان من سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها الكل ضعف لان المتاخر ايضا متقدم الذى يتلوه ويستن بسنته ولكن لا يعلمون انكم متقدمون للمتاخر بكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم للمتاخر بكم كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط احكام الشريعة واداب الطريقة وحتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله ادق من الشعر بالف مرة فيلج فى سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين صاروا انفسهم فى جمل الاول كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس وقمع الهوى لحاف فذهبهم ونجرى انانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فرغ عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم

الربع

فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون

پس ندا در دهد ندا کننده درمیان ایشان که لعنت خدا باد بر ستمکاران آنان که باز دارند از راه خدا و بخواهند آنرا در کجی وایشان بآن سرای کافرانند

وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها

ودرمیان ایشان پرده است و بر اعراف مردانند که میشناسند هر یکرا بچهره ایشان و آواز دهند یاران بهشت را که درود باد برشما نرفته باشند آنجا

وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين

وایشان طمع دارند وچون برگردد دیده ایشان بجانب یاران آتش گویند که پروردگارا مگردان مارا با گروه ستمکاران

ع۳ ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين

صدا زنند یاران اعراف مردانرا که میشناسند ایشانرا بچهره ایشان گویند که بی نیاز نکرد شمارا جمعیت شما و آنچه بودید گردنکشی میکردید آیا اینهااند آنان

اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب

که سوگند یاد کردید که نرساند ایشانرا خدا رحمت خدا درآیند در بهشت ترسی نیست برشما و نه شما اندوهناک شوید و گویند یاران آتش یاران

الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم

بهشت را که بریزید برما از آب یا از آنچه روزی کرد شمارا خدا گویند که بدرستی که خدا حرام کرد آنهارا بر کافران آنان که فرا گرفتند دین خودرا

لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون

لهو و بازیچه و فریب داد ایشانرا زندگانی دنیا پس امروز فراموش کنیم ایشانرا چنانکه فراموش کردند دیدار چنین روز را و آنچه بودند که بآیات ما انکار میکردند

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله

وهرآینه آوردیم ایشانرا کتابی که ظاهر کردیم آنرا بر دانش خود براستی و رحمت از برای گروهی که گرویدند چشم ندارند مگر تاویل آنرا

يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء

روزیکه بیاید تاویل او گویند آنها که فراموش کردند آنرا از پیش بحقیقه آوردند پیغمبران پروردگار ما براستی پس آیا از برای ما است از واسطها

فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون القراءة نعم

پس شفاعت کننده از برای ما یا برگردیم پس بجای آریم غیر آنچه را که بودیم میکردیم هرآینه زیان کردند نفسهای خودرا و رفت از ایشان آنچه بودند که افترا می بستند

بكسر العين حيث كان على الكسائي بالفتح مؤذن بغير همز البخاري عن ورش ويزيد والشموني وحمزة في الوقف ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب الوقوف حقا لانتهاء الاستفهام نعم للعطف مع الابتداء بالتاذين على التعظيم الظالمين لان الذين صفتهم عوجا لاحتمال الواو الاستيناف والحال كافرون لان ما بعده لم يدخل في التاذين ولم يجز ان يكون حالا للتناهي حال القسمين باتفاق الجملتين بسيماهم يطمعون اصحاب النار لان بعده جواب اذا الظالمين تستكبرون برحمة لتناهي الاستفهام والاقسام تحزنون رزقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب هذا وما مصدرية كانى كما نسوا والتقدير تناساهم نسيانهم وجحودهم يجحدون يؤمنون الا تاويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء للتعقيب كنا نعمل يفترون التفسير لما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال ونادى وانما ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه موجب التحقق وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قيل الجنة في اعلى السموات والنار في اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب الشديد عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلم نسلم في الغايب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وان في ان وجدنا مخففة من الثقيلة كما في قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتاذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في طلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في ساير الاخبار وانما حذف المفعول في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وساير احوال القيمة قالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق اي يستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل ان نعم للتصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او اقام زيد فتقول نعم كان معناه نعم قام زيد وان لم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن العباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكفروا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل اليس لي عليك دين فقلت نعم التزمت الدين بناء على العرف الطارئ



بعد الوضع وكانه تكسر العين من نعم وروى عن عمر انه سئل قوما عن شيء فقالوا نعم فقال عمر اما النعم فالابل قولوا نعم وانكر هذه الرواية ابو عبيد فاذن
مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور يامره الله فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى التاذين بالنداء والتصويت للاعلام بالصلوة
ويوقتها والظالمون في الآية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله اي المنع عن قبول الدين الحق بالقهر او بالحيلة و
القاء الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله ويبغونها عوجا وقد مر في آل عمران والكفر بالآخرة كلها من اوصاف الكفرة وانما قدم
بالآخرة تصحيحا لفواصل الآي لم يرد لفظة هم هنا على القياس واما في سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال الا لعنة الله
على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك لئلا يلتبس انهم هم ام غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال
وبينهما يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب هو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل اي حاجة الى ضرب هذا السور
والجنة فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب بان بعد احدهما عن الآخر لا يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو
الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه والاعراف في الآية يفسر بالمكان
تارة وبغيره اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعالي السور المضروب بين الجنة والنار ويروى عن ابن عباس
وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون في الدرجة العليا
من الثواب وثانيهما انهم في الدرجة النازلة وعلى الاول فيه وجوه وقال ابو مجلز هم ملائكة يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل له يقول الله تعالى
وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة فقال الملائكة ذكور لا اناث ويرد عليه ان الرجل لغة يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل
يطلق على الذكر من بني آدم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين
مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني فقيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله على
هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يؤول عاقبة امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء
وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن ابائهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن
الحرث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذين فسروه بغير المكان وهو قول
الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة اهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام او بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا
ادري لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون اهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة
مستبشرة ومبيضة واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف
بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة امتن قال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشر والكفر
والافساد وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل
يشهدون على كل احد بما يليق به ثم قال ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر على سبيل الاستيناف
ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون كان سائلا سأل عن حالهم او على تقدير اي رجال فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى
اخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العالية في الجنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان اهل
الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابرهيم والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولا يخفى ما في هذه العبارة من حسن الادب وان قلنا اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل
الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدي التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة
وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يات من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء وانه في الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما
وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا الى الله تعالى ان لا يجعلهم من زمرتهم وفي بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدة هي
ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتجنبوا ثم بين ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من اكابر اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم
عما لا يليق بهم فقال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا في التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون احوالهم
وربما استهزءوا بهم وانفوا من مشاركتهم في دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اما قوله ادخلوا
الجنة الى آخر الآية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف او من قول الملائكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يحبسوا ويحسبوا و
يقولوا قال المفسرون ان الرجال ههنا الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراءهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان
وعمارا وامثالهم لا يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا خدمنا ورعاتنا اقسموا ان لا يخصهم بفضل دونهم فناداهم
اصحاب الاعراف ثم ختم المناظرة بقوله ونادى اصحاب النار قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار بفرج بعد الياس.

فقالوا

فقالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فائذن لنا حتى نريهم ونكلمهم فامر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه
من النعيم فعرفوهم فنظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا اخر فنادى اصحاب النار اصحاب الجنة
باسمائهم وقالوا ان افيضوا علينا من الماء طلبوا الماء ولا لما في بواطنهم من الاحتراق الشديد وفي الافاضة نوع دلالة على ان اهل الجنة على
مكان من اهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال الاخرون بل مع الياس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الايس من الشيء
قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله او مما رزقكم الله قبل اي سائر الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل
اي من الثمار او الطعام والمراد والقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا فيكون في الاية دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم
ثم كان لسائل ان يسأل فبماذا اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهم شراب الجنة وطعامها كما تمنع المكلف ما يحرم عليه
وهذه نهاية الحسرة والخيبة اعاذنا الله منها ثم وصف هؤلاء الكافرين بانهم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا وقد مر تفسير الوصفين
في اوسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجملة الامر ان الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال
وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا في بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيمة على سبيل الحكاية
فقال فاليوم ننسيهم اي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قال الحسن ومجاهد والسدي والاكثرون قيل اي نعاملهم معاملة من نسي تركهم
في النار كما فعلوهم في الاعراض عن اياتنا فسمى جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل انه لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم
وذلهم عن ابي الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من
جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى اهل الجنة كما في هذه الاية فيقول اهل الجنة ان الله
حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسئوا
فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون في زفير وشهيق وعن ابن عباس في صفة اهل الجنة انهم يزورون الله عز وجل في كل
جمعة ويبنى لكل واحد منهم الف باب فاذا زاروا الله تعالى دخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها
الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها امثال القلال اشد بياضا من الفضة والين من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه
صفة الفريقين من القران والحديث فتاهب لايهما شئت والله الموفق ولما شرح الله تعالى احوال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا
للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة في مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدي الى الرشاد ويؤمن من الغلط والتخابط وما فعلنا ذلك لا كيفما اتفق بل على علم بما في كل فصل من تلك الفصول
من الفوائد الكثيرة والمنافع الغزيرة حتى جاء بريئا من كل خلل وقادح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هدى ورحمة حالان من منصوب
فصلناه كما ان على علم حال مرفوعه ويحتمل ان يكونا مفعولا لهما لقوم يؤمنون لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا
الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب فقال هل ينظرون الا تأويله والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف
ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعلهم انما تشككوا وتوقفوا لهذا السبب انتظروه وايضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين
من حيث ان تلك الاحوال تأتيهم لا محالة قال الفراء الضمير في تأويله للكتاب اي عاقبة امره وما يؤول اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق
به من الوعد والوعيد او عاقبة ما وعدوا به على السنة الرسل من الثواب والعقاب والتأويل مرجع الشيء ومصيره من قولهم آل الشيء يؤل يوم يأتي
يريد يوم القيمة وانتصابه على انه ظرف يقول ومعنى نسوه تركوا العمل به والايمان او انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قد جاءت رسل
ربنا بالحق اي متلبسين بما هو الحق والباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر واحوال القيمة واهوالها اذا عاينوها فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع او هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فنوحد الله تعالى بدلا
عن الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الاخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار ومن يتبعه والا لم يسألوا الرد الى دار التكليف ولم
يتمنوه بل كانوا يتوبون في الحال ثم حكم بان ذلك التمني لا يفيدهم شيئا وان مطلوبهم لا يكون البتة قال قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا
يفترون اي لا ينتفعون بالاصنام التي عبدوها في الدنيا وليس تفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا في نصرها التأويل نادى اهل الجنة اهل
القطيعة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعني قوله الا من طلبني وجدني فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيري لم يجدني فاذن مؤذن العزة و
العظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبونها عوجا
صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وما بينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة وبينهما اهل
الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة وسموا رجالا لانهم
بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال في النساء ولا يتصرف فيهم شيء منه فالاعراف مرتبة فوق الجنان في حظائر القدس عند
يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النيران بسيماهم من اثار نور القلب وظلمته ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني هنيئا لكم فانتم فرهين

الجنة واهلها

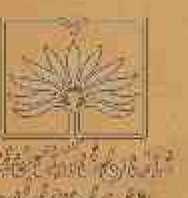
النعيم والحور والقصور ثم اخبر عن حال اهل الاعراف فقال لم يدخلوها اى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون فى الوصول الى الحق
سبحانه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ابتلاء ليعرفوا انه تعالى من يرد ذكر خلقهم وباى كرامة خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما ينبغى لارباب
الكمالات من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعنى اهل الجنة واهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل الله من الطاعات ويا اهل
النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير فى حقيقة لا اله الا الله اهؤلاء الذين اقسمتم يعنى الحق من المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر
فى بعض الاوقات من يقول الدنيا جنة لاهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعنى الجنة المضافة اليه فى قوله ادخلى جنتى
فى حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان الله
خطائر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن ابا جعفر الابهرى انه دخل على بابا طاهر الهمدانى فقال اين
كنت فانى حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رايتك ثمة فقال بابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما رايتنى
افيضوا علينا من الماء كانوا فى الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا ان اهل الجنة ما جوعوا بطونهم
لولينهم الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس المضايقة فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفى الحقيقة انما حرمهما عليهم فى الازل فلم يوفقوا لما
تورث الجنة هل ينظرون الا تاويله اى ما يؤول اليه عاقبة فى شانهم فللمؤمنين كشف الغطاء ولاهل الحجاب الفرقة والانقطاع وعذاب النار اعاذنا الله تعالى

ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه
بدرستى كه پروردگار شما او است كه افريد اسمانها و زمين را در شش روز پس جاى گرفت بر عرش ميپوشاند شب بر روز طلب ميكند
حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا
بشتاب و افتاب و ماه و ستارگان منقادند بر فرمان او اگاه باش كه مر او راست افرينش و فرمان بزرگوار است خدا پروردگار جهانيان بخوانيد پروردگار خود را
وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب
و در پنهانى بدرستى كه او دوست ندارد گذرندگان را و فساد مكنيد در زمين پس از اصلاح ان و بخوانيد خدا را بيم و اميد بدرستى كه رحمت خدا نزديكست
من المحسنين وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه
از نيكوكاران و او است انكه ميفرستد بادها را مژده دهنده در جلو رحمت خود تا انكه چون بر دارند ابرهاى سنگين را رانديم انرا
لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون
سوى شهرى مرده بجانب پس فرو فرستاديم بان اب را پس بيرون اورديم بان از هر ميوه همچنين بيرون اوريم مردگان را شايد شما پند گيريد
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون
و زمين پاكيزه بيرون ميايد روئيدنى ان بفرمان پروردگارش و انكه ناپاكست بر نيايد مگر اندكى همچنين بگردانيم ايات را از براى گروهى كه سپاس گزارند

القراءة يغشى بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب
الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف نشرا بالنون وسكون الشين حمزة وعلى وخلف ابو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة
عاصم غير ابى زيد الباقون بضم النون والشين ميت بالتشديد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وحفص والمفصل نكدا بفتح الكاف ابن يزيد الآخرون
بكسرها الوقوف حثيثا لمن قرا والشمس وما بعده مرفوعات بامره والامر العالمين وخفية المعتدين للعطف مع الاية وطمعا المحسنين رحمته الثمرات تذكرون
باذن ربه للابتداء مع العطف نكدا يشكرون التفسير لما بالغ سبحانه فى تقرير امر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدا وهو كالدليل الدال على
التوحيد وكمال القدرة والعلم تاكيدا للمعاد والمعنى ان الذى يربيكم ويصلح شانكم ويوصل اليكم الخيرات ويرفع عنكم المكاره هو الذى بلغ كمال قدرته
وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام الجسام واودع فيها انواع المنافع واصناف الفوائد فكيف يليق ان يرجع الى غيره فى طلب الخيرات و
يعول على غيره فى تحصيل السعادات قال علماء الادب اصل ستة سدسة بدليل سدس واسداس ثم ان العرب كانوا يخاطبون اليهود فالظاهر انهم
سمعوا بعض اوصاف الخالق منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذى سمعتم من عقلاء الناس انه بالغ
هو الذى خلق السموات والارض على غاية عظمتها وبهاية جلالتها فى ستة ايام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادها دفعة واحدة فما الفائدة فى ذكر
انه خلقها فى ستة ايام فى اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع واجيب بانه اراد ان يعلم عباده الرفق والتانى فى الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تاخير
الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال ان الشئ اذا احدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على
سبيل الاتفاق اما اذا احدثت الاشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك اقوى فى الدلالة على كونها واقعة باحداث
محدث حكيم عليم قادر رحيم وايضا ثبت بالدليل انه تعالى خلق العاقل اولا ثم خلق السموات والارض بعده لان خلق ما لا ينتفع فى الحال عبث الى العبث
ثم ان ذلك العاقل ملكا كان او جنيا اذا شاهد فى كل ساعة وحين حدوث شئ آخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك اقوى فى افادة اليقين
لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة واما تقدير المدة بستة ايام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على اى مقدار فرض وقيل

ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا خصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل
كيف يعقل حصول الايام قبل الشمس التي ينضبط تقدير الايام بطلوعها وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات والارض في مقدار ستة ايام كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام ايام الآخرة كل يوم الف سنة مما
تعدون والاكثر على انها ايام الدنيا لان التعريف بما نفع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ويقول يمكن ان تحمل الايام الستة على الاطوار
الستة على الاطوار الستة التي للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدني والنباتي والحيواني والله تعالى اعلم بمراده اما قوله سبحانه
ثم استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب
الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل ان يقول لم لا يجوز
ان يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد استقراره على العرش بلا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه في الكل كاحاطة الفلك الحاوي بالمحوي
ولا كنفوذ النور المحسوس في الشرف بل على نحو اخر تعوذه العبادة ومنها انه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات
او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام المحتاجة للقاذورات ومع ذلك فالشيء الذي محل السموات اما ان يكون عين الشيء
الذي هو محل الارض او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالين في محل واحد فهما شيء واحد لا شيئان وعلى الثاني يلزم التركيب
والتجزية في ذاته تعالى واما ما كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فردا
لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه يكون مغايرة لمقابلها وكذا الكلام فيما ان كان متناهيا من
بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشيء المحدود من جانب وجوانب قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس والقمر او كوكب
اخر وايضا يصح على الشق المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما صح على واحد منها
صح على الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل ان يقول انه غير متناه
ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشيء للمحل غير كونه نفس المحل او مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل
لا اصل له عند رجل البرهاني ومنها انه لو كان الباري تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض
ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك يضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب بان مكان الجسم عندنا
عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل ان يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية
وهذا في حقه محال لعدم تناهيه لم لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك ولا
امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة
في تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من ان استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى لها الا الفراغ
المحض ولان هذا المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل
ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل ان يقول ما لا يتناهى لا يعقل
له حيز معين ولو فرض لا تناهي الاحياز ايضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشيء الى ما تاخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعية بعد ذلك
لا تضر ومنها لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزي والا لكان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان
يقال ان اله العالم اخس من الخ من راس ابرة ملتصقة بذنب نملة او غلة ولقائل ان يقول لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة
يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس مشار اليها بحسب
الحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغاير الجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان
في حيز لكان اما اعظم من العرش او مساويا او اصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم و
كذا الزائد عليه لان القدر الذي فضل عليه مغاير لما ساواه ولقائل ان يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار ويستحيل هذه التقادير
ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهي الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد ولقائل ان يقول ان براهين
تناهي الابعاد لا نسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول
جسم اخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه اخر صح عليه التغيرات والتمزق
محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة
وهو طبيعة البعد والامتداد اما ان يكون محلا لما به المخالفة او حالا فيه او لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه والامور
التي بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية وكل ما يصح على البواقي وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق
والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان كان ما به المخالفة محلا او ذواتا وما به المشاركة حالا او صفة فلذلك اعدل ان كان

بعضها بعين علي
م



له ايضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل اخر لا الى نهاية والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا

محلا كان اجنبيا مباينا فيكون ذات الله تعالى مشاركة لتمام الاجسام فى الماهية ويصح عليها ما هذا محال وعلى التقدير الثانى وهو ان ذاته تعالى لا يمنع من

حصول جسم اخر فى حيزه ان سريانه فى ذلك الجسم وتداخل البعدين كما ذكر وكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى فى حيز محال وللقائل ان يقول كون البارى

تعالى مع الحيز مغاير لكون الجسم فى الحيز فاين الاشتراك ولو سلم فالاشتراك فى اللوازم لا يوجب الاشتراك فى الملزومات فمن اين يلزم التركيب قوله

فان كان محالا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التى بها حصلت المخالفة

اعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطوء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال

وجود بعد مجرد بل اوجوده والكلام فى سريانه فى الموجودات قد مر ومنها لو انه كان فى حيز فان امكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر فى

حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن الحادث اولى بان يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد

العاجز وذلك محال وايضا لا يبعد فرض اجسام اخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل

الحركة والسكون والكرامية ما ينشاء من ذلك انه كفر وللقائل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى الاحياز فاما النور المجرد فلا يوصف

بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب اتصافه باحدهما فلم لا يجوز ان لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه

لا يصح وصفه بالتخلخل ونحو ذلك فيستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز اخر ولات العالم النورانى الذى لا نهاية له مملو منه

فكيف يتصور خلو حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان الاله العالم

جبلا واقفا فى الحيز العالى وان كان نورا محضا جاز ان تعرض هذه الانوار التى تشرق على الجدران الفاسدة وايضا ان كان لطرف وحد فان كان ذا عمق

وتحرك كان بالمنخفض ظاهر والا كان سطحا فى غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل ارق منها الف الف مرة قلت ان امثال هذه الكلمات لا يصدر الا عمن لا يفرق

بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادى والشئ القائم بذاته والمفتقر لغيره ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد سمع

من جمهور العقلاء ان الاجرام الفلكية لا تطلق عليها الصلابة واذا جاز ان يكون نوع فى انواع الاجسام نوع لا يمكن ان يتصف بضد بين المتقابلين لان

ذلك الموضع اجل واشرف من ان يتصف باحدهما فلم لا يجوز ان يكون فيما هو اشرف من ذلك النوع شئ لا يتصف بهما ومنها لو كان الاله العالم فوق

العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد متناه او غير متناه وعلى الاول فان لم يكن له تحيز فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم تركيبه وان كان مباينا

ببعد متناه فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيزه الى حيز ثانية ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم ان يكون غير المتناهى

محصورا بين الحاصرين وللقائل ان يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصح عليه الاتصال والانفصال والتماس

والتباين والتداخل واشباه ذلك ومنها ان الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت اقوى كانت الفاعلية والتاثير اضعف وبالعكس

ولهذا كان تاثير الارض اقل من تاثير الماء وتاثير الماء من تاثير الهواء وتاثير الهواء من تاثير النار بالاحراق والطبخ وتاثير النار من تاثير الافلاك

المؤثرة فى العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة اشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريئا من الحجم والجرم والكثافة والتركيب قلت ان الاستقراء

لا نزاع انه صحيح تام اولا ولكن لا نزاع فى ان واجب الوجود تعالى شانه برئ عن الجسمية والكثافة وعن كل شئ يقدح فى قيوميته وههنا حجج قد اوردت

فى سورة الانعام فى تفسير قوله سبحانه وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وقد عرفت ما عليها فهذه حجج عقلية صال بها الامام فخر الدين الرازى رح فى تفسير

الكبير وقد اوردنا عليها ما كانت ترد من المنوع والاعتراضات لا اعتقادا للتشبيه والتجسيم او تقليدا لاولئك الاقوام بل تشحيذا للاذهان وتفريبا

الى المعارف والحقائق وحثا بالضبع المتامل فى المضايق والمزالق فليحترز المصنف عما اراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا ينكشف المقال

عنها غير الخيال والله اعلم بحقيقة الحال ثم قال رح واما الدلائل السمعية فكثيرة منها قوله تعالى قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ والاحد مبالغة فى كونه واحدا والذى

يمتلى منه العرش ويفضل العرش يكون مركبا من اجزاء وذلك ينافى كونه احدا واجيب بانه ذات واحدة حصلت فى كل الاحياز دفعة واحدة ورد

من هذا المعلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقع جميع الارض الى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا ان ذلك الجزء

الذى لا يتجزى حصل فى جملة الاحياز فظن انه اشياء كثيرة قلت وهذه مغالطة فان الجزء الذى لا يتجزى لصغره غير الشئ الذى لا يقبل التجزى

والانقسام لذاته وايضا المتحيز الذى له مقدار ذراع لا يشتغل بالبديهة حيزين كل منهما ذراع فى ذراع فلزم منه ان لا يشتغل ذلك الحيز

متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نورا لا نور فوقه قيوم فى ذاته حاصل لجميع الاشياء لا منفصل المحيط عن المحاط ولا متصل بها اتصال العرض السارى فى الاجسام ولهذا لا يلزم بانفصامها الانقسام ومنها قوله وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ويلزم منه ان يكون

حامل العرش حاملا للاله والجواب انك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله وَاللّٰهُ الْغَنِيُّ فوجب ان يكون غير مفتقر الى المكان والجهة

والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها ان فرعون طلب حقيقة الاله تعالى قوله وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف ولما فرعون

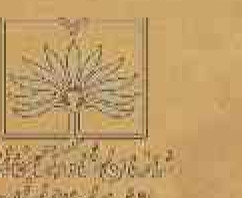
نفد طلب الاله تعالى لسمه قوله فَاَطَّلِعَ اِلٰى اِلٰهِ مُوْسٰى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والجهة دين فرعون والجواب لا نزاع فى

ان حقيقة ذاته كما هى لا يعلمها الا هو والبسائط المحضة لا تعرف الا باللوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور ان يكون الاله شخصا

مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم من اله غيري ومنها هذه الاية لانها تدل على انه استقر على العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل
ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شيء فاذا خلق ما خلق من عالم الاجسام والاخلاط تقي وراءه نورا محضا ومنها قصة ابرهيم
وتبريه من الافلين ولو كان جسما لكان افلا في افق الامكان والجواب ان نوره لا افل بل من ذلك فلا يلزم من كونه مع جميع الاشياء ومع ما سواها ان
يكون في مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها ان اول الاية اعني قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض يدل على قدرته وحكمته وكذا
قوله يغشي الليل والنهار الى اخر الاية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر
عليه بق وبعوض صدق عليه انه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته بتدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما
قبلها ولما بعدها والجواب ان الاستقرار بالتفسير الذي ذكرناه ادل شيء على المدح والثناء وحديث البق والبعوض جزاف وهل هو الا كقول
القائل لو كان واجب الوجود بقا او بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الا له دالا على المدح ومنها انه سبحانه حكم في ايات كثيرة بانه سما
الساكن العرش لان السما عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد يسمى السحاب سما فيلزم ان يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع
فهو سما من غير اعتبار انه نور او جسم ان ذاته سبحانه محصوصة بل منفصل كقوله الله خالق كل شيء هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة في الاية
قولان الاول انقطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تاويل الاية وتفويض علمها الى الله والثاني الخوض في التاويل وذلك من وجوه احدها
تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف
ودم مهراق وثالثها ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على سريره وملكه اذا
استقام له امره واطرد وفي ضده خلا عرشه اي انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذي الفوه من
ملوكهم ورؤسائهم استقرت عظمة الله تعالى في قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شيء
ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باشتغال حاسة واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا
انه غني في ذلك الايجاد والتكوين عن الالات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول في كل من صفاته واذا اخبر ان له بيتا
يجب على عباده حجه فهموا منه انه نصب موضعا يقصدونه لمسالة بهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤسا لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم
نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه لم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا انه
لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه انه بعد ان خلقها استوى
على عرش الملك والجلال ومعنى التراخي انه ظهر تصرفه في هذه الاشيا وتدبيره لها بعد خلقها لان تاثير الفاعل لا يظهر الا في القابل وقال ابو
مسلم العرش لغة هو البنا والعارش الباني قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد انه بعد ان خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال
الموافقة لها قوله سبحانه يغشي الليل النهار قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال صاحب القفال لما اخبر
بالاستواء على العرش وان امر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيته اراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر وقدم ذكر الليل والنهار لما
في تعاقبهما من المنافع الجليلة فبهما يتم امر الحيوة ثم وصف الحركة التي يحصلان منها بالسرعة حثيثا فانها في مقدار ما يقول واحد واحد واحد يتحرك الفلك سبعا
واثنين وثلثين فرسخا من مقعر فلكه والله اعلم تتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلت اما الاولى فلا محل لها لانه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات
والارض فاجيب يغشي الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف يحتمل ان يكون هذه الجملة مبينة واما الثانية ففي محل
النصب على الحال من الملحق كما ان حثيثا منصوب على الحال من الطالب هو الملحق بعينه ثم قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات من قراهما مرفوعات فعلى
الابتداء والخبر وكلتا القراتين حسنة لانك اذا قلت ضرب زيد استقام ان تقول زيد مضروب وقوله بامره متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات
بمقتضى حكمته وتدبيره قال في الكشاف سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك ومنهم من حمل هذا الامر على الامر الذي هو الكلام وعلى هذا لا
يبعد ان يكون بامره متعلقا بخلق بدا بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر لانه كالنائب وثلث بسائر النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار
والقمر سلطان الليل والشمس تاثيرها بالتسخين والقمر تاثيره في الترطيب تولهما بخاصية عجيبة وتاثير غريب لا يعلم بتمامه الا مبدعه وخالقه واعلم
ان الاجسام متماثلة في الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور الباهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص
كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوة اخرى لا بد ان يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وايضا ان لكل واحد
من اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المشرق الى المغرب وسيرا اخر سريعا بسبب حركة الفلك الاعظم فقوله يغشي الليل النهار تنبيه على ان حدوث
الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الاعظم المسمى بالعرش اودع في جرمه قوة قاهرة تامة باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف طبعها من المشرق
الى المغرب وايضا ان اقسام الاجسام ثلثة متحرك الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحرك عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط وهي الاجرام
الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولا جرم ما اكثر الله سبحانه في كتابه الكريم
من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة باحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية تبدل الضيا بالظلام وبالعكس واحوال الشمس

اي استعلى

والنجوم



والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها قائلا اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات وما بينهما الا بالحق واحسن مصنف كتابا شريفا مشتملا على دقايق العلوم العقلية والنقلية فا
لمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقايقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب
ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق
اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن احوال العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل لمكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان
ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى ان تصير علما معقولا مضاهيا لما عليه الموجود ولمثل هذه الفوايد والاغراض والغايات
انزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل الا له الخلق فالخلق عبارة
عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم جسمانى لانه مختص بمقدار معين فكل ما كان بريا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بامر
كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا مسائل ذكرها العلما
الاولى انه تعالى متكلم امر نا مخبر مستخبر لان قوله الا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وساير انواع الكلام ضرورة انه لا قايل
بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق بعض الاشياء ويح
يثبت المطلوب لان افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة
الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في بعض الممكنات يحتاج الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر
يصدر عن فلك وملك وجني وانسي فخالق ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله وان
كان الثاني حديد او خالفا وانه لا تأثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة على ما يزعم
الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى والقول بان العلم يوجب العالمية والقدرة يوجب القادرية كل باطل ذلك
لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب
الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله وملائكته
بقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى
وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله
تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقع الامر داخلا في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع اخر من الكمال والجلال
والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية وقال اخرون معنى قوله الا له الخلق انه ان
شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر ويلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن
ذلك الامر بحسب مشيته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر هذا خلف اجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم
التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة في الاية دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل
الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا يوجب العوض السادسة دلت الاية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح لوجه
عايد اليه والا لم يأمر الا بما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد هذا خلف السابعة اطلق الخلق والامر
فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل
الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر صفة له فكذا الخلق صفة قايم
به انه فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخالق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الى
خلق اخر ويتسلسل ويمكن ان يقع الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة لما كان الامر يقتضي ان لا امر الا لله وقول النبي صلى الله عليه واله اذا امرتكم
بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان المؤمن لان الموجب لا غير في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة في الاية دلالة على ان الله تعالى امر ونهى على
عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا لو ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وايضا الكافر والفاسق لا
يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا
لا يليق بالرحيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة ولا بد ان يعود الى المكلف لانه سبحانه غني عن جميع الفوايد
منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكاليف اضرارا محضا والجواب ان
اول الاية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن ويحسن
منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا ومن كونه موجبا عوضا او ثوابا ولما ثبت
انه الامر والنهي الحكمة والتكليف كرامة يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين والبركة تفسيرها احد الامرين الثبات والدوام

ولا ريب انه الواجب لذاته الدايم القايم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الاثار الفاضلة ولا شك
ان كل الخيرات والكمالات فائضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد
الى التكاليف الموصلة الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب الدينية والمآرب الدنيوية فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية قال في الكشاف نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت يحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع
التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم والكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف
الشيء على نفسه في قوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع او كان مرادا
في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا وقد يطلب ما ليس بنافع او فيه
من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والجواب ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي رفض كثير من الوسايط والروابط
ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وآله ما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء
الا انه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء واليهما اشار بقوله تضرعا وخفية ونحن قد اطنبنا في تحقيق الدعاء وشرايطه في سورة البقرة في تفسير
قوله واذا سألك عبادي عني ثم ختم الاية بقوله انه لا يحب المعتدين اتفقوا على انه ليس المحبة عند اطلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع و
لكنها عبارة عن ايصال الثواب او ارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء
نظير ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الاجسام والالوان ومعنى المعتدين المجاوزين ما امروا به
فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء وفيه انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهره
الوجوب اذ اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي ص دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه ص خير الذكر الخفي
وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في
العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي
الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار امنا من شائبة
الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار الثناء افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب
اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى على ما قيل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية
فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض فيدخل فيه خمسة اشياء المنع
من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات
وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعها
ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين والمراد اصلاح الارض بسبب ارسال
الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث
الفتن في الارض وفي الاية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص
على العام ومنها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا
نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالاخص فجميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الاية الدالة على ان الاصل
في المضار الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل
في المنافع واللذات الاباحة والحل فكل واحدة من الايتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء
وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه الخمسة ذكر ان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض
عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى الالهية والعبودية اي كونه الها لنا وكوننا عبيدا له اقتضى ان يحسن منه ان يامر عبيده
بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها للخوف
من العقاب والطمع في الثواب لم يات بها لوجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الاية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض
الشرايط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع
اعمالكم ولا تقطعوا اعمالكم وان اجتهدتم انكم اديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية
التكليف من الامر غير غاية من المامور به لان الغاية الاولى هي المصلحة الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من
العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الاية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان يقول قريبة وذكروا في حذف علامة التانيث

وجوهها فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقى وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد او لان المراد بالرحمة الترحم والرحم وقيل
انه صفة موصوف محذوف اى شئ قريب وشبه بفعيل الذى بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء وقيل لانه بزنة المصدر كالنقيض
صوت العقبان او الزجاجة والضغيف صوت الارنب قيل المراد ذات مكان قريب كلابن وتامر وروى الواحدى باسناده عن ابن السكيت يقول
العرب هو قريب منى وهما قريب منى وهى قريب منى لانه فى تاويل هو فى مكان قريب منى قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الدنيا
وقربا من المستقبل اى الاخرة التى هى مقام رحمة الله ويمكن ان يقال المراد به قرب الحصول سواء كان فى الدنيا او الاخرة كقوله الا ان نصر الله قريب
قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شئ والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من
العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من امن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن والدليل عليه الاجماع
على ان الصبى اذا بلغ وقت الضحوة وامن بالله ورسوله واليوم الاخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مومنا محسنا على ان قوله ماهية
الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا فى رحمة الله ونعمته فى الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية
وكمال العلم والقدرة من العالم العلوى اتبعه ذكر الدلائل من احوال هذا العالم وهى الاثار العلوية والمعادن والنبات والحيوان ومن جملتها
احوال الرياح والسحب والامطار لما تقدم ان الدلائل التى لابد ان تدل على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة فى هذه الاية على
صحة القول بالحشر والنشر بالاية التى تقدمها لتقرير المبداء والمعاد فقال وهو الذى يرسل الرياح الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم
ذاته والا لدام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل المختار قالت الحكماء من اسباب الريح يرتفع من الارض اجزاء ارضية تسخنت تسخينا شديدا
فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الذى يقرب الفلك تمنع هذه الادخنة من الصعود
بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك فترجع الادخنة وتتفرق فى الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح
وكلما كانت تلك الادخنة اكثر وكان صعودها اقوى كان رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح وزيف بان صعود تلك الاجزاء الارضية انما
يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك
سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك يمنة ويسرة
وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا يكون قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها
ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت اشد وجب ان يكون
حصول الاجزاء الغبارية الارضية اكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة فى وجه البحر وليس فيها شئ من الغبار ويمكن ان يجاب بان الحكم
بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبنى على ان الريح هى تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا خرق الهواء
حركه واضطرب وتموج شبيه ما يحدث فى الماء اذا القى فيه حجر وكذا الكلام فى الوجهين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب
معين الى موضع معين من البرج ريح عاصفة وزيف بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلانى
انما يوجب تحرك الهواء بتسخين او تلطيف او تكثيف يحدث فى بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب لذلك القابل مكانا اكثر او اقل مما كان عليه
فيلزم من ذلك تحرك المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء ولا يندفع الى ان يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض اجزاء الهواء ثم يستقر كل فى
موضعه ويختلف مقداره ذلك بحسب المؤثر والمتاثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره واعلم انه فى هذه السورة يرسل الرياح بلفظ
المستقبل وكذا فى الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل واما فى الروم فليناسب ما قبله ومن اياته ان يرسل وقال
فى الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضى ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما قبله وهو الذى جعل وكذا فى فاطر مبنى على اول السورة فاطر
السموات والارض جاعل الملئكة وهما بمعنى الماضى والله تعالى اعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال
بمعنى منتشرات واما لان ارسل ونشر متقاربان كانه قيل نشرها نشرا ومن قرا نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف كرسل
من قرا بشرا بضم الباء الواحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر جمع بشير ومعنى بين يدى رحمته امام نعمته وهى الغيث الذى هو من اجل النعم
واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قلما لا يتقدمه رياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب يستعمل اليدين بدل قدام وامام مجازا
لان اليدين من الحيوان مقدمتان على الرجلين حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذى يقدر على حمل الثقيل
يزعم ان ما يرفعه قليل سحابا جمع سحابة ولهذا قال ثقالا على الجمع جمع ثقيلة والضمير فى سقناه يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم فى سقناه
على صلة انا الذى فى قوله وهو الذى فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر ان يقال نحن ارسلنا واعلم ان السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى
معلقا فى الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان يحرك الرياح تحريكا شديدا وللتلك الحركات فوائد منها ان اجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم
وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم يصير متفرقة ومنها ان تتحرك الرياح يمنة ويسرة فيمنع الاجزاء المائية الرشية عن النزول فيبقى معلقا
فى الهواء ومنها ان يسوق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها

خذ بنيانها من الهواء

الهواء

من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطلة لها كما في الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم او البرد الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالحقيقة تهب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد يشاهد غليان شديد في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وعن ابن عمر الرياح ثمان اربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبي صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر الارض وعن السدي انه تعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه في السماء فينزل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وهي المطر ومعنى لبلد ميت اي لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامر او غير عامر خال او مسكون فانزلنا به الماء قال الزجاج وابن الانباري اي بالبلد وجائز ان يراد بالسحاب او بالسوق فاخرجنا به اي بذلك السبب فاخرجنا به قال الزجاج اي بالبلد من كل الثمرات ويجوز ان يراد بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى اودع في الماء قوة وطبيعة توجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما اجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى فالتشبيه انما وقع في اصل الاحياء اي كما احيينا هذا البلد بانبات الشجر وجعل فيه الثمر كذلك نحيي الموتى بعد ان كانوا ترابا لان من يقدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحيوة في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال مطر على الاجساد الرميمة يروى انه يمطر على اجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمني اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد يمطر السماء عليهم حتى ينشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فيعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والمتمزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الاية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القرآن بالمطر وذلك ان الارض الحرة اذا انزل بها المطر حصل فيها انواع الازهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها انوار القرآن ظهرت عليه انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس المراد من الاية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يتعب نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الاخرة بالمشقة التي لا بد منها ومن تحملها اداء للطاعات كان اولى وفي الاية دلالة على ان السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على ان الارواح قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان يعرف الحق بذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا يقبل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا يتولد فيها الاشجار والازهار والثمار ومما يقوي هذا الكلام ان النفوس نراها مختلفة في سبيل الله فمنها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة ومنها ما تلذ ان الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين في المال من يحب العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس ومما يؤكد هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا كاملا لوقوعه في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وتقدير الاية ونبات البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارزا ومن قرأ نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الآيات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الاية باعثة على الشكر لان الذي سبق ذكره هو ان الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذي هو سبب الملاذ والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقد تقدم ذكره ومن الوجه الثاني على عظيم نعمه وقدرته فوجب من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله اعلم التاويل عرف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكيمية والاستوائية فقال ان ربكم الله الاية وانما خص ستة ايام لان انواع المخلوقات ا الارواح الانسانية ب المكنونات منها الملائكة والجن والشياطين والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة ج النفوس السماوية والارضية د الاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار ه الاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر و الاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة قابلة للفيض الرحماني والاستواء لا يشبه استواء المخلوقين كما ان علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن اسرار الخلافة الروح يتصرف في النطفة ايام الحمل فيجعلها عالما صغيرا فيه كالارض ورأسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات

ومع تعظيم هبوب الرياح في بحر العجم

البلد الميت يحيي الموتى بواسطة انزال المطر عليهم

او البلد الخبيث لا يخرج

ستة الايام

كالعلم صفة من صفاته

يغشى اى استولى ليل ظلمات النفس وصفاتها على نهار انوار القلب بالعكس الا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة ادعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب او تضرعا باداء حق العبودية وخفية بطلب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين يطلبون منه سواه ولا تفسدوا فى ارض القلوب بعد ان اصلحها الله برفع الوسايط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا فى الاصطناع او خوفا من الاثنينية وطمعا فى الوحدة او خوفا من الانفصال وطمعا فى الوصال من المحسنين الذين لا يرون سواه برسل رياح العناية فتثير سحاب الهداية سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فانزلنا بهماء المحبة فاخرجنا ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام حيوتكم فى عالم الارواح اذ كنتم فى رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحى يتخلق باخلاق الحميد كذلك نصرف الآيات الى النفوس صفاتها الى اوصاف القلب واخلاقه

ع٥ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهٖ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهٗ اِنِّىٓ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

بتحقیق که فرستادیم نوح را بسوی قومش پس گفت که ای قوم بپرستید خدا را نیست شما را خدائی بجز او بدرستی که من میترسم بر شما عذاب روز بزرگ را

قَالَ الْمَلَاُ مِنْ قَوْمِهٖٓ اِنَّا لَنَرٰىكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَالَةٌ وَلٰكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ اُبَلِّغُكُمْ

گفتند بزرگان از قوم او که ما هر آینه میبینیم ترا در گمراهی هویدا گفت ای قوم نیست در من گمراهی ولیکن من پیغمبری از پروردگار جهانیانم میرسانم بشما

رِسَالَاتِ رَبِّى وَاَنْصَحُ لَكُمْ وَاَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ اَوَعَجِبْتُمْ اَنْ جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ مِنْكُمْ

پیغامهای پروردگار خود را و پند میدهم شما را و میدانم از خدا آنچه را که نمیدانید آیا عجب دارید که آمد شما را پندی از پروردگار تان بر مردی از شما

لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فَكَذَّبُوهُ فَاَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهٗ فِى الْفُلْكِ وَاَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا اِنَّهُمْ كَانُوا

تا بترساند شما را و تا بپرهیزید و شاید که شما رحم کرده شوید پس تکذیب کردند او را پس نجات دادیم او را و آنها را که با او بودند در کشتی و غرق نمودیم آنها را که تکذیب کردند آیات ما را بدرستیکه ایشان بودند

قَوْمًا عَمِينَ وَاِلٰى عَادٍ اَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهٗ اَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَاُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

گروهی کوردلان و بسوی عاد برادر ایشان هود را گفت که ای قوم بپرستید خدا را نیست شما را خدائی غیر او آیا پس پرهیز نمیکنید گفتند بزرگان آنانکه کافر شدند از

قَوْمِهٖٓ اِنَّا لَنَرٰىكَ فِى سَفَاهَةٍ وَاِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ

قوم او که ما هر آینه میبینیم ترا در بیخردی و بدرستی ما هر آینه گمان میبریم ترا از دروغگویان گفت ای قوم نیست بمن بیخردی ولیکن من پیغمبریم از پروردگار

الْعَالَمِينَ اُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَاَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ اَمِينٌ اَوَعَجِبْتُمْ اَنْ جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ

جهانیان که میرسانم بشما پیغامهای پروردگار خود را و من شما را پند دهنده امینم آیا عجب دارید که بیاید شما را پندی از پروردگار تان بر مردی از شما تا بترساند شما را

وَاذْكُرُوٓا اِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوٓا اٰلَآءَ اللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قَالُوٓا

و یاد آرید وقتی را که گردانید شما را جانشینان از بعد قوم نوح و افزود شما را در آفرینش درشتی جثه پس یاد آورید نعمتهای خدای را شاید که رستگار شوید گفتند

اَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحْدَهٗ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَآؤُنَا فَاْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ

آیا آمدی ما را تا بپرستیم خدا را تنها و واگذاریم آنچه را میپرستیدند پدران ما پس بیاور ما را آنچه وعده کرده ما را اگر میباشی از راستگویان گفت بتحقیق واقع شد بر شما

مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ اَتُجَادِلُونَنِى فِىٓ اَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ اَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوٓا اِنِّى مَعَكُمْ

از پروردگار تان پلیدی و خشم آیا خصومت میکنید مرا در نامهائی که خود بر نهاده اید آنرا و پدران شما نفرستاده است خدا بآن از حجت پس منتظر باشید که من همراه شما

مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَاَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهٗ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ

از منتظرانم پس رهانیدیم او را و آنها را که با او بودند بمهربانی از خود و بریدیم دنبال آنها را که تکذیب کردند آیات ما را و نبودند مؤمنان

القراءة اله غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلى والباقون بالرفع حملا على محل من اله انى اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير ابلغكم بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بسطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابى عون عن قنبل وعاصم وعلى وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلوانى عن قالون مخير الوقوف غيره ط عظيم مبين العالمين لا يعلمون ترحمون باياتنا عمين هودا غيره ط تتقون الكاذبين العالمين امين لينذركم ط لتناهى الاستفهام بسطة تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون اباؤنا للعدول مع فاء التعقيب الصادقين وغضب سلطان لانتهاء الاستفهام الى امر التهديد المنتظرين مؤمنين التفسير لما ذكر تقرير المبدا والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع فى قصص الانبياء وفى ذلك فوائد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله صلعم ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفى ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على ان الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلعم من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحى لا محالة ثم ان القصص اولاها قصة ادم قد مرت فى اول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه يشكر فسمى نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا فندم او حين راجع ربه فى شان ابنه او حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ

يا. قبيح فعوتب على ذلك قال الله اعتبنى اذ خلقته ام عتب الكلب هذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة فى المسمى والصحيح انه اسم اعجمى
قال ابن عباس معنى ارسلنا بعثنا وقال آخرون معناه انه تعالى حمله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير يكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع
لا انه اصل فى ذلك قال فى التفسير الكبير هذا البحث مبنى على مسئلة اصولية هى ان الرسول ارسل الى قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم او الغرض
من بعثته مجرد تاكيد ما فى العقول وهذا الاختلاف بتفاريع المعتزلة اليق امرهم نوح بعبادة الله ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم
هو القيامة او الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى الثلث لان قول النبى بعد ظهور المعجزة حجة او لعله قد ذكر الحجج وما حكاها الله تعالى لانه قد علم
من القرآن ذم التقليد فى مواضع كثيرة فيعلم ان نبى الله لا يامر قومه بالتقليد المحض وايضا قدم دلائل التوحيد والنبوة وصحة القرآن من اول سورة
البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع ان الحكم الثانى كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع
والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام يوجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بانه واحد
لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فيقع العبادة ضائعا والاله معناه المستحق للعبادة والالهية فى الازل غير معبود ومعنى الخوف فى الاية قال بعضهم
الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا وقال آخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب ولعل
السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا او لعله وصف العذاب على جواز انه تردد فى وصف العذاب لا فى نفس العذاب وقيل المراد من الخوف
التحذير وجملة قوله انى اخاف بيان للداعى ان عبادته لانه هو المحذور وعقابه دون الاصنام فقال الملأ من قومه اى الاشراف وصدور المجالس
الذين يملأ بعضهم قومهم فى جواب نوح انا لنريك فى ضلال فى ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد
والظن دون المشاهدة وابعد نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بى ضلالة انه لم يقل ضلال
ليكون ابلغ لعموم السلب كانه قال ليس بى نوع من انواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذى نسبوه اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها
فاستدرك قائلا ولكنى رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمى فى علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفى ذلك بيان فرط جهالتهم
وعتوهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذى لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه اذا كان فى موضع
جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران الاول تبليغ الرسالة والثانى تقرير النصيحة فقال ابلغكم الاية الجملة الاستيناف بيانا لكونه
رسولا من رب العالمين او صفة لرسول وانما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غائب نظرا الى المعنى كقوله انا الذى سمتنى امى حيدره رسالات
ربى ما اوحى الى فى الاوقات المتطاولة او ما اوحى الى فى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهى وشرح مقاديره وان كان جايزا ولكن يقول انصح
لكم قال فى الكشاف وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه معنى
الاية وابلغكم تكاليف الله ثم ارشدكم الى الاصلح الاصوب ادعوكم الى ما دعانى الله تعالى واحب لكم ما احب لنفسى واعلم من الله ما لا تعلمون اى اعلم انكم
ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم فى الآخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من
صفات جلاله ما لا تعلمون يكون المقصود حمل القوم على ان يرجعوا اليه فى طلب تلك العلوم اوعجبتم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير اكذبتم
وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعنى الوحى الذى جاءهم به وقال آخرون الذكر المعجز كتابا او غير كتاب قيل هو الموعظة على رجل اى على لسان
قاله ابن قتيبة ونظيره اتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخير على وجهك كلاهما جائز وقيل المنزل على رجل معنى
منكم من بنى نوعكم كانه استبعد وان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة للمبعوث اليه
ولا للعابد لتضرره فى الحال واما فى المآل فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وايضا ان العقل كاف فى معرفة الحسن والقبيح وما لا يعلم
حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه تواترحه وان احتمل الحظر ويعتقد بانه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة اولى لشدة بطشهم وفوق
عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وبتقدير جواز كون النبى من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان فقيرا خاملا لا يصلح
للنبوة فانكر نوح عم كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم
تلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهى الى حد الالجاء المنافى للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس
اسكن وقد مر فى اول الانعام ثم بين ما لاجله بعث الرسول فقال لينذركم الاية وانه ترتيب انيق لان المقصود من البعثة الانذار والتقوى و
من التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائى والكعبى فى الاية دلالة على انه تعالى اراد من المبعوث اليهم التقوى ومن التقوى الجنة دون الكفر والعذاب
وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا فكذبوه فى ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف اصرارا قال بعض العلماء ما فى حق العقلاء من التكذيب فبغير
الباء نحو كذبوا رسلى وكذبوه وما فى حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا باياتنا والتحقيق ان المراد كذبوا رسلنا بآياتنا فانجيناه والذين استقروا
معه فى الفلك وانجيناهم فى السفينة من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا او امراة وقيل كانوا تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن وانما
قال فى سورة يونس فنجيناه ومن معه فى الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من ادل على العموم وهذا يقع على الواحد والاثنين والمذكر
والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة يقال رجل عمى

البصيرة واعمى في البصر العمه يدل على عمى ثابت عمى حادث القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا والتقدير لقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم هودا انما كان اخاهم في الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من ادم ومن جنسهم لا من جنس الملئكة والجن وقيل اراد واحدا منهم قاله الكلبي وهو من قولك يا اخا العرب لواحد منهم وخص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله في صدقه وامانته وقيل معناه صاحبهم والنسبة هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لاخاهم واما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم ان الفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين اسرارها اعني الجواب عن مشابهاتهم لحظة واحدة واما هود فما كان مدة الى هذا الحد فلا جرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود ووافقه هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك اي لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها قال الملأ من قومه ويمكن ان يقال لما اضمر ارسلنا اضمر الفاء لان الداعي الى الالفاظ لفظ ارسلنا وفي الكشاف ان هذا وارد على سبيل الاستيناف قصة هود قال الملأ الذين كفروا من قومه اتى بهذا الوصف زيادة للذم لا غير واما انه لم يكن في اشراف قوم نوح من يؤمن وكان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنراك في ضلال مبين وقوم هود قالوا انا لنراك في سفاهة اي متمكنا فيها تمكن المظروف من الظرف وذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة مدة طويلة فوصفوه بضعف الراي البعد عن الرشد واما هود فما ذكر شيئا الا ان معتقدهم في عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوا بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة قيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه ان الشك والتجويز في اصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح عم العود الى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة وصيغة الفعل دلت على التجدد المستمر ولهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى اخر الايات واما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عم قال اعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلا جرم امسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه امينا ثقة اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقي ان اتهم بالكذب والغش او المراد تقرير الرسالة فانها تدور على الامانة اي انا لكم ناصح فيما ادعو اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل ذينك التخصيصين مع جلالة قدرهما دلالة على ان الحكيم يجب ان لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبني على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله ابلغكم لما مر في قصة نوح ان فائدة الابلاغ هي حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك اخر يختص بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض وجعلكم ملوكا قد استخلفكم فيها بعدهم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف اي اذكروا وقت جعلكم وزادكم في الخلق بسطة في الخلق التقدير قلما يطلق الا على الشيء الذي له مقدار وحجمية فلا بد من حصول الزيادة في اجسامهم زيادة خارقة للعادة والا لم تذكر في معرض الامتنان قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال اخرون تلك الزيادة هو مقدار ما يبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على اهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين فاذكروا الاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والاء الله نعمه واحدها الى ونحو اني واناء كعنب واعناب قال ابن الجوهري واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالاية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر واجيب بان الايات الدالة على وجوب العمل مخصصة او مقيدة والتقدير فاذكروا الاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم بنعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا بمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شيء من النعم لانها جماد لا قدرة له اصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده والهمزة لانكار اختصاص الله وحده بالعبادة وفي المجيء اوجه منها ان يكون لهود مكان معتزل يتحنث فيه اي يتعبد كما كان يفعل رسول الله ص بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا الملك فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك ومنها ان يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا تعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده اي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي وقعت احوالا ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا كما يقول الموحد لا اله الا الله وحده لان الفرض انهم مشركون ثم ان قول هود فيما قبل افلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجل العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فاتنا بما تعدنا فاجابهم هود بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولا بد ان يحمل على معنيين متغايرين لمكان العطف اما الغضب في حقه تعالى فارادة ايقاع التعذيب كما سبق مرارا واما الرجس ضد الطهر كما قال سبحانه في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير اخص اما قوله قد

واتفقوا على ان هودا

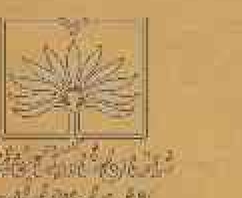
وقال هود وانا لكم

ولجاد

وقع ولا یقع العذاب بعد ففیه وجوه قال بعض من یقول بان ارادة الله تعالیٰ حادثة معناه انه تعالیٰ احدث ارادة فی ذلک الوقت وقیل اراد هود
انه اخبر بنزول العذاب وقیل جعل المتوقع الذی لا شک فیه بمنزلة الواقع کقولک لمن طلب منک حاجة قد کان ذلک ترید انها ستکون البتة
وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء اباه یبکی فقال له یا بنی مالک فقال لسعنی طویر کانه ملتف فی بردی حبرة فضمه الی
صدره وقال یا بنی قد قلت الشعر ثم انکر علیهم قبیح فعالهم فقال اتجادلوننی فی اسماء تناظروننی فی شان الهة اشباه اسماء سمیتموها احد
انتم وآباؤکم ما نزل الله بها من سلطان ای لا حجة علی حقیقتها قط. والحاصل انها اسماء بلا مسمیات لانکم تسمونها الهة ومعنی الالهیة فیها
معدوم محال سموا واحدا بالغرب مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالیٰ عزا اصلا وسموا آخر منها بالذات من الالهیة اثر وقال انما فی هذه السورة
وفی غیرها مما سیجیء انزل لان نزل للتکثیر فیکون للمبالغة وبجری ما بعده مجری التفصیل للجملة والله اعلم ثم انه ذکرهم وعید اجدا فقال فانجیناه و
الذین امنوا معه برحمة بسبب حمة کانوا یستحقونها منا وقطعنا دابر الذین کذبوا بآیاتنا ای استاصلناهم عن آخرهم وقدم مثله فی الانعام
وفائدة نفی الایمان عنهم فی قوله وما کانوا مؤمنین مع اثبات التکذیب بآیات ربهم ان یکون تعریضا بمن آمن منهم کمرثد بن سعد وغیره
ولقد قطعنا دابر الذین کذبوا ولم یکونوا مثل من آمن منهم او معنی وما کانوا مؤمنین فی علم الله تعالیٰ ای لم یکونوا یعنی من المکذبین اولو
بقوا لامنوا قال فی الکشاف وان عادا قد تبسطوا فی البلاد ما بین عمان وحضرموت وکانت لهم اصنام یعبدونها صدا وصمود والهبا فبعث الله
هودا نبیا وکان من اوسطهم واشرفهم وافضلهم حسبا فکذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسک الله عنهم القطر ثلث سنین حتی جهدوا وان الناس
کانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الی الله الفرج من ذلک عند بیته الحرام مسلمهم ومشرکهم واهل مکة اذ ذاک العمالیق اولاد عملیق بن لاوذ بن سام بن نوح
وسیدهم معویة بن بکر فجهزت عاد الی مکة من اماثلهم سبعین رجلا منهم قیل بن عنز ومرثد بن سعد الذی کان یکتم اسلامه فلما نزلوا
علی معویة بن بکر وهو بظاهر مکة خارجا من الحرم انزلهم واکرمهم کانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا یشربون الخمر وتغنیهم الجرادتان
قینتان کانتا لمعویة احد بهما ورده والاخری جرادة ولما رای طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا لاجله اهمه ذلک وقال قد هلک اخوالی
واصهاری وهؤلاء علی ما هم علیه وکان یستحیی ان یکلمهم خیفة ان یظنوا به ثقل مقامهم علیه فذکر ذلک للقینتین فقالتا قل شعرا نغنیهم به لا یدرون
من قاله فقال معویة الا یا قیل ویحک قم فهینم لعل الله یسقینا غماما ویسقی ارض عاد ان عادا قد امسوا ما یبینون الکلاما الهینمة اخفاء الکلام
فی الدعاء وغیره ومعنی یسقینا یجعله ساقیا لنا وقوله ما یبینون الکلام ای لا یکادون یفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا
ان قومکم یتغوثون من البلاء الذی نزل بهم وقد ابطا علیهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومکم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا یسقون
بدعائکم ولکن ان اطعتم نبیکم وتبتم الی ربکم سقیتم واظهر اسلامه فقالوا لمعویة احبس عنا مرثدا لا یقدمن معنا مکة فانه قد اتبع دین هود
ثم ناداه مناد من السماء یا قیل اختر لنفسک ولقومک فقال اخترت السوداء فانها اکثرهن ماء فخرجت علی عاد من واد لهم یقال له المغیث فلما رأوها
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ریح عقیم فاهلکتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مکة فتعبدوا الله فیها حتی ماتوا التاویل
لقد ارسلنا نوح الروح الی قومه بلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها من صفة الروح العبودیة والطاعة دعوة القلب و
النفس وصفاتها الی الله وعبودیته من صفات النفس تکذیب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فکذبوا یعنی النفس وصفاتها نوح الروح فا
فانجیناه والذین معه فی الفلک الشریعة واغرقنا النفس وصفاتها فی بحر الدنیا وشهواتها انهم کانوا قوما عمین عن رؤیة الله والوصول الیه
وزادکم فی الخلق بسطة کما اوقع التفاوت بین الشخص وشخص فیما یعود الی المبانی اوقع التباین بین قوم وقوم فیما یرجع الی المعانی قد وقع علیکم من ربکم رجس وغضب ای
مقالتکم تدل علی حالتکم انه اصابکم سطوات العذاب فمن امارات الاعراض رد العبد الی شهود الاغیار وتفریقه ایاه فی بحار الظنون والاوهام والجدال

ع ۲ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً
و فرستادیم بسوی ثمود برادر ایشان صالح را گفت ای قوم پرستید خدا را نیست شما را خدائی بجز او بدرستیکه آمد شما را نشانی از پروردگار شما این شتر خدا است برای شما نشانی
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَ
پس واگذارید او را که بخورد در زمین خدا و ملاقات مکنید او را به بدی پس فرا گیرد شما را عذاب دردناک و یاد آورید وقتی را که گردانید شما را جانشینان از بعد قوم عاد و
بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
منزل داد شما را در زمین که فرا میگرفتید از دشتان قصرها و میتراشیدید کوهها را از جهة خانه پس یاد کنید نعمتهای خدا را و حرکت مکنید در زمین
مُفْسِدِينَ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا
فسادکنندگان گفتند بزرگان آنان که سرکشی کردند از قوم او مر آنها را که ناتوان بودند مر آنها که ایمان آورده بودند از ایشان آیا دانید که صالح
مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ
فرستاده است از پروردگارش گفتند بدرستیکه ما بانچه فرستاده شده بآن گرویدگانیم گفتند آنان که سرکشی کردند بدرستیکه ما بآنچه گرویده اید بآن کافرانیم
فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
پس پی کردند شتر را و در گذشتند از فرمان پروردگار ایشان و گفتند ای صالح بیاور ما را هرچه وعده دهی ما را اگر هستی از پیغمبران

نزل
او انواع للجنس
کانه قیل ثم



فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة

پس فرا گرفت ایشانرا عذاب پس صبح کردند در خانها و منزلهای خود زانو زدگان پس روی گردانید از ایشان و گفت ای قوم هر آینه رسانیدم بشما پیغام

ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين

پروردگارم را و پند دادم شما را ولیکن دوست نمیدارید پند دهندگانرا و لوط را چون گفت مر قوم خود را آیا میآیید بفعل زشتی که پیشی نگرفت شما را بآن هیچکس از عالمیان

انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من

بدرستیکه شما میآیید مردانرا از غلبه شهوت از غیر زنان بلکه شما گروهی زیاده روانید و نبود پاسخ قوم او بجز اینکه گفتند بیرون کنید ایشانرا

قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين

ده خود که ایشان مردمانیند پاکیزه پس رهانیدیم او را و اهل او را بجز زنش که بود از بازماندگان و بارانیدیم برایشان بارانی پس بنگر که چگونه است عاقبه گناهکاران

القراءة وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص سهل أانكم بهمزتين ابن عامر وحمزه وعلي وخلف وعاصم غير حفص

هشام يدخل بينهما مدة آانكم بالمد وبالياء ابو عمرو و يزيد ايكم بالهمزة والياء ابن كثير و يعقوب غير يزيد الوقوف صالحا الثلاثة ان صالحا مرسل

لاعلم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب عليه السلام غيره من الاعلام العربية غيره من ربكم ط اليم بيوتا ط المكانين في قصة هود بن بسطة مفسرا من ربه

مؤمنون كافرون المرسلين جاثمين ناصحين من العالمين من دون النساء لمكان الاضراب مسرفون من قريتكم ج لاحتمال التعليل استهزاء

لامراته ج لاحتمال الاستيناف والاشبه انها حال المراة من الغابرين مطرا المجرمين التفسير القصة الرابعة قصة صالح مع قومه ثمود قال ابو عمرو بن

العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وانه لا ينصرف تارة بتاويل القبيلة

و ينصرف اخرى بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخو جديس وطسم وقد ورد

القران بالصرف وبمنعه جميعا قال تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود قد جاءتكم بينة اية ظاهرة دالة على صحتي وكانه قيل ما تلك

البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية وانتصابها على الحال والعامل فيها ما في اسم الاشارة او حرف التنبيه من معنى الفعل اي اشير اليها او انبه

عليها اية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص اولئك الاقوام بها مع انها اية لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبروا

بها وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبقت سائر المعجزات الا ان القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى لهم فلهذا

حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطروقة اية من اياته كما يقال بيت

الله وبيت الله وبالحقيقة هي اية تشتمل على ايات خروجها من الجبل اية وكونها لا من ذكر وانثى اية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل اية و

ان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم اية وكذا الكلام في قوتها الماسة الماء وفي غزارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط

و يروى ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله

على القوم فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تاكل في ارض ربها مما انبتت منها ولا تمسوها بسوء من الضرب

والطرد وسائر انواع الاذى اكراما لاية الله فياخذكم عذاب اليم يعني اخذا لاستئصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد

تفسيره كما في قصة هود وبوأكم في الارض انزلكم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اي تبنون من سهولة الارض

قصورا بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا واجرا ودهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا في حال الخياطة

و يجوز ان يكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما اتت في موضع اخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه

مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا الاء الله يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا

انتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهي عن عقر الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر في اوائل سورة البقرة قال الملأ الذين استكبروا

من قومه للذين استضعفوا اي المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله لمن امن منهم بدل من قوله للذين استضعفوا بتكرار الجار

لشدة الاتصال والضمير في منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على ان المستضعفين فرقتان مؤمنون

وكافرون واما ان يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان يستضعفهم المستكبرون ولا يكون

صفة ذم في حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفي الاية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق

والانقياد ينشا من قلتهما اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا على سبيل التهكم والسخرية لا للاستعلام والاسترشاد قالوا انا بما ارسل به مؤمنون

جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب انما الكلام في وجوب الايمان فخبرهم انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا

في جوابهم انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا لاسم

السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا وانما فعله واحد

واحد منهم كقوله واذ قتلتم وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شانه الذي هو المراد بامرهم بها

من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى امرتهم بتركها كان هو السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت
من المرسلين اطلقوا الوعد واردوا ما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم العذاب بما كان لاجل تكذيبهم لكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد
ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض
والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا رجفتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع اخر انهم اهلكوا بالطاغية
وفي اخر انهم اهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب ان الزلزلة
لا تنفك عن الصيحة الهائلة واصبحوا في دارهم اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في اية اخرى فقال في ديارهم لان المراد بالدار لكل
واحد منزله الخاص الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانها من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين
موتى لا حراك بهم قال ابو عبيد الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه
المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتولى عنهم الفاء للتعقيب فالظاهر انه ادبر عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم
متحسر على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وحد الرسالة بخلاف ما مر في قصتي نوح وهود لان المراد هناك اشياء
كان يأمرهم بها قومهما بعد الايمان بالله وههنا وقع في اخر القصة فاراد بها مجموع ما ادى من الرسالة او اراد بذلك اداء حديث الناقة
فقط ونصحت لكم اي اجهدت في النصيحة ولكن لا تحبون الناصحين حكاية لحال ماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى
واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يصغ اليه يا اخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني حتى القيت بنفسك الى التهلكة والفائدة
في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل انما يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول
الله صلى الله عليه وآله وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف
تكلم مع هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب تفسير اخر وهو ان يكون تولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم
حين راى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله و
افسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم
مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب
لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسئلوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية
الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح
عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا
وكانت في غاية العظم حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما اخر
قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكانها كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تاتيهم
وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح
يولد في شهر كم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من ابنائهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام
هل لكم في ان اعقر هذه الناقة فشد عليها فلما ابصرته شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فردوها عليه فلما مرت به تناولها فعقرها
فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهروا كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت
الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم
مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوه ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض
فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتاهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان
العاقل مع مشاهدة المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف ولم يكن توبتهم
مقبولة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما مر بالحجر قال لا تسئلوا الايات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم
الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان نبينا صلى الله عليه وآله مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله
ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن وروي ان عاقر الناقة كان

يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا
وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم وروى ان رسول الله صلعم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن
احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذى اصابهم وقال صلعم يا على اتدرى
من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدرى من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك القصة الخامسة قوله سبحانه
ولوطا اذ قال لقومه تقديره ارسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكروا لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول به لا ظرف
وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم احد السببين أتأتون الفاحشة اتفعلون الخصلة المتمادية
فى القبح ما سبقكم بها قال فى الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اى ما عملت قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء
فيه مثلها فى قولك كتبت بالقلم فى قوله تنبت بالدهن اى ما سبقكم ملتبسا بها من احد من العالمين من الاولى زائدة لتاكيد النفى وافادة الاستغراق
والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استيناف لانه انكر عليهم اولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال وانتم اول من عملها وهو
جواب سؤال مقدر كانه قيل لم لا تاتونها فقال ما سبقكم بها من احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله
ولقد امر على اللئيم يسبنى وههنا سؤال وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق بهذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل
متقدميهم كانوا يستقذرونها ويتنفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات والمراد الاقبال بالكلية على ذلك لعله لم يوجد فى الاعصار
المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال فى ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم
ببعض أئنكم لتأتون الرجال بيان لما اجمل فى قوله أتأتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفى الثانى اكثر ولهذا ازيد فيه ان و
مثله فى النمل تاتون الفاحشة أئنكم لتأتون الرجال فجمع بين ان واللام لموافقة اخر القصة انا منجوك انا منزلون وانتصب شهوة على انها
مفعول له اى لا حاصل لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة او مصدر وقع حالا اى تشتهى شهوة بل انتم قوم مسرفون
اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الموجبة لارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شىء وختم هذه
الاية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الايات التى تقدمت وهى العالمين الناصحين جاثمين المرسلين وفى النمل قال بل انتم قوم تجهلون اما العدول
من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فلتتوافق ما قبلها من الايات و
كلها افعال يبصرون تتقون يعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر فى الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون
فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس فى وجوه المكاسب الا انه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان
يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وح يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة فى الوقاع يشبه وضع
الشىء الذى يشتهيه الحيوان فى الفخ والغرض ابقاء النوع الانسانى الذى هو اشرف الانواع فكل لذة لا يؤدى الى هذا الغرض وجب الحكم
بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون
خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب ان الفاعل يلتذ بذلك
العمل الا انه سعى فى الحاق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك
لنفرة طبعه عن رؤيته واما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها انه تعالى اودع فى الرحم قوة جاذبة للمنى بحيث لا يبقى شىء منه فى مجاريه واوعيته اما اذا واقع الذكر فانه يبقى شىء
من اجزاء المنى فى المجارى فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام فى الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يقتضى حل وطى المملوك مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله أتأتون الذكران
من العالمين لان كلا من الايتين اعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص
احدهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد اولى من شرع لوط والجواب
بان الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد صلعم ان هذا العمل حرام قال وما كان جواب قومه بالواو وكذا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفى النمل بالفاء
فما كان وفى العنكبوت وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان فصحت تعقيب الفعل الفعل الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفى النمل اخرجوا آل لوط
ليكون ملائما للنمل تفسير الهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح فى الاولى وكنى فى الثانية سؤال فى الكشاف
يعنى ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام اخر لا
يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم قولهم انهم اناس يتطهرون
سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا
عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل فى موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل البعد عن الاثم فيه

طهارة

طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والاثام فانجيناه واهله اي انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس اراد المتصلين بسببه وقيل قوله الا امراته يقال امراة الرجل اي زوجته ولا يقال مراة بمعنى زوجة الا ان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين وفي النمل قدرناها من الغابرين اي كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتاخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اي من الذين بقوا من ديارهم وهلكوا او التذكير لتغليب الذكور وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال امطرنا عليهم مطرا اي ارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فانظر يا محمد صلى الله عليه وآله وكل من له اهلية الاعتبار كيف كان عاقبة المجرمين وهذه الامة وان امنت من عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شيم المؤمن لا ينبغي ان ينفك عنه على ان عذاب الاخرة اشد وابقى ولم يومنوه بعد مسائل منها الشافعي ان اللواط يوجب الحد لانه ثبت في شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالاية دلت على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وآله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطي فيختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف كالمرتد والثاني وبه قال مالك واحمد يرجم تغليظا ويروى عن علي عم ايضا والثالث يهدم عليه جدار او يرمى من شاهق ليموت اخذا من عذاب قوم لوط واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنى فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امراة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر انه لواط لانه اتيان في غير المأتى ويجيء في الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنى لانه وطي انثى فاشبه الوطي في القبل فعلى هذا احده حد الزنى بلا خلاف وترجم المراة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امراته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة التاويل هذه ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء بفصيل السر وهو الخفي وناقة الله هي التي تحمل امانة معرفته ويعطي ساكني بلد القالب من القوى والحواس لان الواردات الالهية فذروها ترتع في رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها بمخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فياخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء مستعدين للخلافة وبوأكم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان والجنان تنحتون من جبال اطوار القلب بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فاذكروا الاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثاني يوجب ملوح السر فالترويح بوجوه المبار والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في الارض القلب بالفساد للاستعداد الفطري الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا من اوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القالب ساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا اي النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا في دار قالبهم جاثمين والله العزيز

ع وَاِلٰى مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاَوْفُوا الْكَيْلَ

و فرستادیم بسوی مدین برادر ایشان شعیب را گفت ای قوم بپرستید خدا را نیست شما را خدائی بجز او هر آینه آمد شما را حجتی از پروردگار شما پس تمام کنید پیمانه

وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ اَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ بَعْدَ اِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ

و ترازو را و کم مکنید مردم را چیزهاشان را و فساد مکنید در زمین پس از اصلاح آن این بهتر است از برای شما اگر باشید مومنان و منشینید بهر

صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا اِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

راهی وعده و بیم میدهید و باز میدارید از راه خدا هر که گروید بخدا و میجوئید از آن کجی را و یاد کنید وقتی را که بودید کم پس بسیار گردانید شما را و بنگرید که چگونه بوده عاقبت

الْمُفْسِدِينَ وَاِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي اُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ قَالَ

مفسدان و اگر بوده باشند گروهی از شما که گرویدند بانچه فرستاده شدم بآن و گروهی نگرویدند پس صبر کنید تا داوری کند خدا میان ما و اوست بهترین داوران گفت

ع الْمَلَاُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا اَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ اَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ

بزرگان آنان که گردنکشی کردند از قوم او هر آینه بیرون کنیم تو را ای شعیب و آنهارا که گرویدند با تو از ده ما یا هر آینه برگردید در طریقه ما گفت آیا اگر چه باشیم ناخواهان

قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجَّانَا اللّٰهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا اَنْ نَعُودَ فِيهَا اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ

بتحقیق بربافته ایم بر خدا دروغرا اگر برگردیم در طریقه شما پس از آنکه نجات داد خدا ما را از آن و سزاوار نیست ما را که برگردیم در آن مگر آنکه بخواهد خدا

الاولى

الجزء التاسع

الجزو

رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَاَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِيْنَ وَقَالَ الْمَلَاُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا

پروردگار ما فرا گرفت پروردگار ما همه چیز را از روی دانش بر خدای توکل کردیم پروردگارا بگشای در میان ما و میان قوم ما بحق و تو بهترین گشایندگان و گفتند بزرگان آنان که کافر شدند

مِنْ قَوْمِهٖ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا اِنَّكُمْ اِذًا لَّخَاسِرُوْنَ فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوْا فِيْ دَارِهِمْ جَاثِمِيْنَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا شُعَيْبًا كَاَنْ ع

از قوم او که اگر پیروی کردید شعیب را آنگاه هر آینه زیانکارانید پس فرا گرفت ایشان را عذاب پس صبح کردند در خانهای شان بزانو درآمده آنان که تکذیب کردند شعیب را گویا

لَّمْ يَغْنَوْا فِيْهَا اَلَّذِيْنَ كَذَّبُوْا شُعَيْبًا كَانُوْا هُمُ الْخَاسِرِيْنَ فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَقَالَ يٰقَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّيْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ اٰسٰى عَلٰى قَوْمٍ كَافِرِيْنَ

که نبودند در آنجا آنان که تکذیب کردند شعیب بودند ایشان زیانکاران پس روی گردانید از ایشان و گفت ای قوم بتحقیق رسانیدم بشما پیغامهای پروردگار را و پند دادم شما را پس چگونه اندوه خورم بر گروه کافران

القراءة كما مر الوقوف شعيبا غير اصلا الجملة مؤمنين لعطف المتفقين او لوقوع العارض اعداس الاية عوجا لاتفاق الجملتين مع طول الكلام وكثرة العطف المتفقين المفسدين بيننا لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحاكمين الجزء التاسع ملتنا ط كارهين قيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان اقبح ولكن الكلام معلوم بشرط يعقبه منها الله ربنا علما ط توكلنا للعدول الفاتحين لخاسرون جاثمين ج لان يوصل وقف على كان لم يغنوا حال لمعنى الفعل في الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا عن الذين الاول وقف على شعيب او يستانف بكانوا ولا يخرج من تعسف الخاسرين ونصحت لكم لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كافرين والله اعلم التفسير القصة التاسعة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن موبر بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرايع جميع الانبياء الثاني ادعاء النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اى معجزة دالة على نبوتي فهى الاية دالة بجملتها على ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعى تصديقه في ما ادعاه من النبوة والا كان متنبئا غير ان معجزته لم يذكر في القران كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه ويحكى انه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا كانت عصا الانبياء وايضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلد اولادا عنقها اسود وسائرها ابيض وقد وهبتها منك وكان الامر كما اخبر وكل ذلك قبل ان يستنبأ موسى فقال اهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى ويسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل الاية واعلم ان للانبياء ان يبدؤا في الموعظة بما يكون القوم منهمكين مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف وكان يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل اله الكيل وهو المكيال او سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان او الميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال تغلب ان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجوزة خص ولا ثم عم ليشمل جميع انواع الضيم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع بوجوه الاحتيال وروي انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس لتناوله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة ونبوة والمعنى بعد صلاح اهلها على حذف المضاف او كقوله بل مكر الليل والنهار بعد لا اصلاح فيها بعث اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين شرايعهم ذلكم الذي ذكر من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقة ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من امن بشعيب ويقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطرق او كانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم الذين قعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا اى لصق به وعلى مكان كذا اى على ذلك المكان وفيه اذا حل فحروف الجر يتعاقب في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة كل منها في نفسه سبيل وكانوا اذا راوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير في به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال في الكشاف ويكون تهكما بهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم اى فى تكونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة والزيادة وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء وصاروا اكثر في العدد والعدة والشدة ثم حذرهم سوء

ع

بمعنى خفوق ...

جزاء النجس بمعنى قطع

القلة وكثرة العدد بعد ... حم

عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم اولا ثم رهبهم ثانيا واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الآية وفيه وعيد للكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المحجوجين المستكبرين في ذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه وهب ان قول الكفار ليس بحجة اليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا في ملتكم واجيب بان الكلام مبني على التغليب وان شعيبا اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب اجرى كلامه على وفق ذلك او لانه في اول العمر يخفي مذهبه فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء كقوله وان يكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب في جوابهم اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير اتعيدوننا في ملتكم وحال كراهيتنا ثم صرح بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان فعلنا ذلك وذلك ان اصل الباب في النبوة والرسالة الصدق والتبرؤ والبراءة عن الكذب العود في ملتكم بناء في ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانها اذا المراد بحي قومه فغلبا والمراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا اي ما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل السنة في الآية دلالة على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا صلعم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفني مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء قضية شرطية اي من شاء يعيد وليس فيه بيان انه شاء ام ابى الثاني ان هذا على طريق التبعيد والاحالة كما يقال لا افعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد بما لو اكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان كان الصبر افضل وما كان جائزا صح ان يكون مراد الله تعم كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى قرية كانه قال اذا اخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعم الخامس المشية عند اهل السنة لا يوجب جواز الفعل فانه تعم يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشية ههنا الامر فيكون التقدير الا ان يامر الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة في الشرع المنسوخ لا يبعد ان يامر الله تعم بالعمل بها مرة اخرى السادس قال الجبائي المراد من الملة الشريعة التي لا يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجائز ان يكون بعض احكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا ان يشاء الله تعالى بعض تلك الملة فيتعبدنا بها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالآية على صحة قولهم من وجهين احدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله تعم ويحبه كان فعله جائزا ماذونا فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مرادا لله تعم وثانيهما ان قوله لنخرجنك او لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه قلت للسني ان يلتزم ذلك اما قوله وسع ربنا كل شيء فوجه تعلقه بما تقدم على قول الجبائي هو ان التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان يختلف المصلحة في تلك العبادات فيكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شيء علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك او لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علمه قسم ثالث وهو ان يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا اي لا على غيره وانتصاب علما على التمييز في قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه تعم كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شيء عن مقتضى علمه وهو معنى جف الاقلام وطي الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي ويعلم من عموم كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل وعلم المعدوم انه لو كان كيف يكون وهذه اقسام اربعة يقع كل منها على اربعة اوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا او مستقبلا او معدوما محضا فانه كيف يكون وكذا الكلام في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس ونوع وصنف وشخص من الجواهر ومن الاعراض صار مبلغا يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف دون اول قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي احكم اقض وعن ابن عباس ما ادري معناه حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها تعالى افاتحك اي احاكمك وجوز الزجاج ان يكون معنى الآية اظهر امرنا حتى يتضح ما بيننا وبين قومنا وينكشف فالمراد ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله بقوله وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين وقالت الاشاعرة الايمان فتح باب الخيرات وهو اشرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان العبد لكان خير الفاتحين هو العبد وللمعتزلة ان يقولوا لولا الطاف الله تعم الداعية الى الايمان لم يوجد لئن اتبعتم شعيبا انكم لخاسرون اي في الدين او في الدنيا لانه يمنعكم من اخذ الاموال بطريق البخس والتطفيف فاخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا

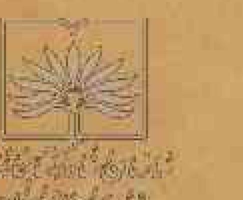


الجزو التاسع

شعيبا كان لم يغنوا فيها اي غنى القوم في دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغاني المنازل اذا كان فيها اهلها وقال الزجاج اي كان لم يعيشوا فيها مستغنين
من الغنى الذي هو ضد الفقر على التفسير شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار كقوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس
ولم يسمر بمكة سامر قال في الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كان لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل
الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا
هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء والتكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه
لرأيهم واستهزاء بهم بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت في العرب قد تكون للتفخيم والتعظيم فيقول اخوك الذي ظلمنا اخوك الذي
هتك اعراضنا وايضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفي الآية فوائد
اخر منها ان ذلك العذاب انما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك تأثير الكواكب والطبيعة والا لحصل في اتباع شعيب كما حصل في حق الكفار
ومنها ان ذلك الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصي ومنها يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون
قوم مع كونهم مجتمعين في بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم ان هذا التولي جاز ان يكون بعده قال الكلبي خرج من بينهم ولما اشتد حزنه على
قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى
على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة
والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك التأويل ولا تبخسوا فيه الخساسة والدناءة
والحرص والظلم من الصفات التي يجب كف النفس عنها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا في الارض الطينة التي جبل
الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون في
الامور وبكثرة العدد نعمة تامة يجب ان تصرف في اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اي الروح والقلب طائفة لم يؤمنوا وهم النفس
وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة في العذاب واذاقة الم الهجران او لتعودن في ملتنا اشار
الى ان كل جنس لا يميلون الا الى اشكالهم والا وحدة باب من ابي نهج اضرابه بعد اذ نجانا الله منها في القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم
باظهار حقيقة ما قدر من خاتمة الخير والطهارة ما قدر من خاتمة السوء فاخذتهم الرجفة فصارت صحوتهم تبعا لمنامهم فانهم كانوا احياء الارواح في دنيا الاشباح كان لم يغنوا فيها لان الباطل
زاهق لا محالة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا
ونفرستاديم در هيچ ده هيچ پيغمبر را مگر گرفتيم اهل آنرا بسختي حال و بدحالي تا که ايشان زاري کنند پس بدل نهاديم
مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
بجاي بدي خوبي را تا که در گذشتند و گفتند هر آينه رسيد پدران ما را سختي و خوشحالي پس گرفتيم ايشان را ناگهان و ايشان درک نميکردند
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا
و اگر اينکه اهل دهها ايمان مي آوردند و پرهيز ميکردند هر آينه کشوديم بر ايشان برکتها از آسمان و زمين وليکن تکذيب کردند پس گرفتيم ايشان را بانچه بودند
يكسبون أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى
کسب ميکردند آيا ايمن شدند اهل دهها از اينکه در رسد عذاب ما در شب و ايشان در خواب باشند يا ايمن شدند اهل دهها از اينکه در رسد عذاب ما در روز
ع وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
و ايشان بازي کنند آيا ايمن شدند از مکر خدا پس ايمن نشود از مکر خدا مگر گروه زيانکاران آيا روشن نکرد مر آنها را که ميراث گرفتند زمين را از پس
اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
اهل آن که اگر ميخواستيم ميرسانيديم ايشان را بگناهان ايشان و مهر مي نهاديم بر دلهاي ايشان پس ايشان نميشنوند اين دهها حکايت کرديم از خبرهاي آن و بتحقيق آوردند ايشان را پيغمبران ايشان بدليلها
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
پس نبودند که ايمان آرند بانچه تکذيب کردند از پيش همچنين مهر نهد خدا بر دلهاي کافران و نيافتيم مر بسياري از ايشان را از عهدي و اگرچه يافتيم بسياري از ايشان را تباه کاران
القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد او امن بسكون الواو ابو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وقرأ ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها اولم يهد بالنون
حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف يضرعون لا يشعرون ه يكسبون ه نائمون ط لمن
قرأ اوامن بفتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لان او للعطف يلعبون ه مكر الله ج للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء
للتعقيب الخاسرون ه بذنوبهم ج للفصل بين الماضي والمستقبل وتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون ه من انبائها ج لعطف المختلفين
بالبينات ج لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل ط الكافرين ه من عهد ج لعطف
المختلفين لفاسقين ه التفسير انه سبحانه لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم

الصحة والضراء

ولبس مقطوعا عليهم وبين العلة التي لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجتمع القوم فتشمل المدينة ايضا وتقدير الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذب
اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة في الاموال والضراء الامراض في الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون اي
يتضرعون فادغم التاء في الضاد والمعنى ليحطوا اردية التعزز والاستكبار ويبتغوا نجاتهم ثم بين ثم تدبيره في اهل القرى لا يجري على نمط واحد فقال
ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء صاحبه الحسنة وهي ما يستحسنه الطبع والعقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة
حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات والشحم توبر ومنه قوله صلعم واعفوا اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كما
هو دأب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر في اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا ابتلاء الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وامن
بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امن ما كانوا عليه ليكون ذلك اعظم في الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع
هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع ابواب السعادات ولهذا قال ولو ان اهل القرى
اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما ارسلنا في قرية امنوا بما يجب به الايمان في باب المبدأ والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض اي لاتيناهم بالخير من كل وجه او اراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسيرها كقولهم فتحت على القارئ اذا يسرت
القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة والاية بينهما اعتراض والتقدير بعد ذلك من اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا او امنوا
ان ياتيهم باسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو واما قوله افامنوا مكر الله فتكرير لقوله افامن اهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز
ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامن واما من قرأ او ساكنة فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احد هذه
العقوبات واما الاضراب كما تقول انا اخرج ثم تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات الاقامة اي لا بل اقيم ومعنى بياتا قد تقدم في
اول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة وتذكر على انه
عذاب المفرد كصرد لان ذلك كاللعب انه ينصبون فيما لا ينفع ومكر الله تقدم في آل عمران بعد الاستدراج او سمي جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت
له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات يعني المذكور في الاية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من
الامنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال اولم يهد من قرأ بالياء فعلى
ان لو نشاء والمعنى اولم يهد الذين يخلفون اولئك المتقدمين فيرثون ارضهم وديارهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي بعقابها
كما اصبناهم من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله ان لو نشاء منصوب المحل بتضمين الهداية معنى التبيين على القراءتين على القراءة الاولى محذوف والتقدير اولم
يكشف لهم الحال والشان المذكوران واما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما قبله قال
في الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم وطبعنا
لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجري مجرى تحصيل الحاصل وللقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين
فان قرف الذنوب غير الطبع لانه قد يذنب ولا او يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وايضا جاز ان يراد لو شئنا لزدنا في طبعهم او لادمناه و
الله سبحانه واعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلعم فقال تلك القرى وهي مبتدأ وخبر وقوله نقص الحال والعامل معنى اسم
الاشارة او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة واما على الاولين فيرجع الفائدة الى الحال و
الخبر الثاني كما ترجع الى الصفة في قولك هو الرجل الكريم والحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها
عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا احوالهم تنبيها
على الاحتراز عن مثل اعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اللام لتاكيد النفي
وان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين
اخرجهم من ظهر ادم اقروا باللسان كرها واضمروا التكذيب قال الزجاج ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات وما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات
وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا على التكذيب
من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الايات كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين
الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف قال الجبائي هو ان يسم الكفار بسمات و
علامات يعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه
فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس
يعني بالعهد قوله الست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله
وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة عملت في ضمير شان مقدر



الجزء التاسع

والتقدير وانّ الشان والحديث علمنا اكثرهم فاسقين خارجين من الطاعة والاية اعتراض ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا
الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن نكثوه بعد كشف الضر التأويل الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء اولى يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل
عليه والعدو يذهل عن الحق ولا يرجع اليه ولو ان اهل القرى يعني صفات النفس امنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من الطاف الحق واتقوا
مشابهات النفس لفتحنا عليهم اسباب العواطف من سماء الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبناهم بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وعلى
وموافقات الطبع بياتا في صورة القهر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون
من اهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن اهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدون

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ
پس برانگیختیم از بعد ایشان موسی را با آیات بسوی فرعون و بزرگان قومش پس ستم کردند بان پس بنگر چگونه بوده است عاقبت تباه کاران
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ
وگفت موسی ای فرعون بدرستی که من پیغمبرم از پروردگار جهانیان سزاوارم بر آنکه نگویم بر خدا مگر حق را بتحقیق که آوردم شما را گواهی
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ
از پروردگار شما پس بفرست با من بنی اسرائیل را گفت که اگر میباشی که آورده معجزه پس بنمای آنرا اگر هستی از راستگویان پس افکند عصای خویش
فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٤
پس ناگاه آن اژدهایی بود هویدا و برآورد دست خود را پس ناگاه آن آفتابی بود مر نگرندگان را گفتند بزرگان از قوم فرعون بدرستی که این هر آینه جادوی داناست
يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ
میخواهد که بیرون کند شما را از زمینتان پس چه میگویید گفتند که تاخیر کن او را و برادرش را و بفرست در شهرها جارچیان تا بیاورند
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ
هر جادوی دانایی را و آمدند جادوان فرعون را گفتند آیا از برای ما مزد است اگر باشیم ما غالبان گفت آری و شما بدرستی از مقربان
قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ
گفتند ای موسی یا آنکه تو بیفکنی و یا ما میباشیم اندازندگان گفت بیفکنید پس چون افکندند جادو کردند نظر مردمان و ترسانیدندشان
وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا
و آوردند جادوی بزرگ را و وحی نمودیم بسوی موسی که بیفکن عصای خود را پس ناگاه آن میبلعد آنچه بافته اند پس ثابت شد حق و باطل شد آنچه
كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَ
بودند که میکردند پس مغلوب شدند و بازگشتند ذلیلان و افتادند ساحران سجده کنان گفتند گرویدیم به پروردگار عالمیان پروردگار موسی و
هَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ
هرون گفت فرعون که گرویدید بان پیش از آنکه فرمان دهم شما را بدرستی که این مکریست که کرده اید در شهر تا بیرون کنید از آن اهلش را پس زود باشد
تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ وَ
که بدانید هر آینه ببرم دستهای شما را و پاهای شما را از خلاف یکدیگر پس بدار کشم شما را همه گفتند که ما بسوی پروردگارمان بازگردیم و
مَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ القراءة حقيق
انتقام نمیکشی از ما مگر بجهة آنکه ایمان آوردیم بآیات پروردگارمان چون در آمد بر ما پروردگارا فرو ریز بر ما صبر را و بمیران ما را تسلیم کنندگان

على بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف مع فتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان الهاء الضم حمزة وعاصم غير المفضل ارجه بكسر الجيم والهاء
من غير اشباع يزيد وقالون وعلي وعباس وخلف والمفضل ارجئه بالهمزة ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان
وهشام غير الحلواني ارجئهو بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجئه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمبالغة
حمزة وعلي وخلف وكذلك في يونس وقرأ قتيبة ونصير والدوري وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف
همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ان لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلي وخلف وابن عامر هشام يدخل بينهما
مدة وقلب الهمزة ياء ابو عمرو ويزيد ابن بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هي تلقف بالتشديد وادغام
التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل امنتم بزيادة همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص
بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص امنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير
غير الهاشمي وابن مجاهد وابي عون عن قنبل فرعون وامنتم بالواو والحال الهاشمي عن قنبل وامنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وابو عون

ارجه بالاشباع نافع غير قالون

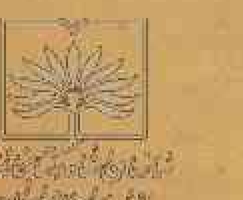
والهرندى عن قبل الوقوف نظلموا بها للفصل بها للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين ج وعفا على بالتشديد اى واجب
على ومن قرأ مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق وصفا لرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق طبنى اسرائيل الصادقين مبين ج للفصل بين الجملتين و
والوصل اجوز للجمع بين الجنسين للناظرين عليم لا لان ما بعده وصف لساحر من ارضكم ج لاحتمال ان بعده من تمام قول الملأ لفرعون و
والجمع للتعظيم اوله ولعظماء حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون اى فاذا تشيرون تامرون ج حاشرين لا لان ما بعده جواب الامر عليم الغالبين
المقربين الملقين القوم المحقق للعطف عظيم عصاك ج لحق المحذوف لان التقدير فالقاها فاذا هى ما يافكون ج وكل يعملون ج صاغرين لمكان
حروف العطف ساجدين ج لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين لا للبدل وهرون لان لكم ج للابتداء مع اتحاد القائل اهلها ج لان
سوف للتهديد مع العطف تعلمون اجمعين منقلبون ج للاية مع القول جاء التحاد للعدول عن المحاباة الى المناجاة المسلمين التفسير القصة الرابعة
من قصص هذه السورة قصة موسى ع وقد ذكر فى هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر فى غيرها لان جهل قوم اعظم وافحش من جهل ساير
الاقوام ولهذا كانت معجزاته متفقد من الانبيا والضمير فى قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى رسل الامم المذكورين وفى قوله باياتنا دلالة
على كثرة معجزاته وان النبى لابد له من اية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبى فظلموا بها اى بتلك الايات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار فى موضع
الاقرار وابدال الكفر بدل الايمان وضع الشئ فى غير موضعه او ظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن بها
فانظر ايها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذا اجمال ثم شرع فى تفصيله وذلك قوله وقال موسى
يا فرعون انى رسول من رب العالمين اى اله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على ان لا
اقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى فاعل اى واجب على ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اى حق على ذلك تقول العرب انى
لمحقوق على ان افعل خيرا واما قراءة العامة حقيق على مسئلة الياء ففيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة و
بحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط اى على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة ابى حقيق بان لا اقول اى انا خليق
بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا الحق
وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب لان الذى يتجه عليه امن الالتباس فيؤول المعنى الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اغراقا
فى الوصف ومبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اى اجب عليه ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به وسادسها ان
يكون على هذه هى التى تقرن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها ويقال جاءنى فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته و
تحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الاية انى حقيق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى الا الله القادر المختار وعلى تصديق
الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اى بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معى بنى اسرائيل اى اطلقهم وخل سبيلهم
حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف ع لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم و
استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان احدهما لفظى وهو ان ههنا شرطين
فاين جوابهما والجواب ان المؤخر فى اللفظ مقدم فى المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت
باية وقوله فأت بها كليهما واحد فى المعنى فكيف يفيد تعليق احدهما بالاخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاحضرها
لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى ع باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك
قوله سبحانه فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا ان امره ظاهر لا شك فى انه ثعبان
ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات والمراد انه بان قول المدعى الكاذب والثعبان فى اللغة الحية الضخم الذكر روى
انه كان اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واخذه البطن يومئذ اربعمائة مرة وكان لم يره الحدث قبل ذلك وهرب
الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه
موسى فعاد عصا والنزع فى اللغة القلع والاخراج اى اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله فى مواضع اخر وادخل يدك فى جيبك تخرج
روى انه اراه فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها فى جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانى غلب شعاعها
الشمس وكان موسى ع ادم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا يكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا من العادة
اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم ان القول بجواز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطرب اقوال العلماء فيه
فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا فى الانسان وساير انواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير
سابقة مادة ومدة وجوزوا فى الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا قاهرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا فى الاعمى الذى بالاندلس ان
يبصر فى ظلمة الليل البقة التى يكون باقصى المشرق وفى سليم البصر ان لا يرى الشمس فى كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات فى بعض

قصة موسى عليه السلام

معجزاته اقوى من م

قوله موسى من

وضا حوا حمل على الناس م



الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز
حدوث الاشيا ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز ان ينقلب العصا
ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم
زاعم ان هذه الامور يختص بزمان دعوة الانبيا قلنا المخصص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل يقع
في تيه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينقضي التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان
المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل يوجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شي واحد والمراد ان حجة موسى كانت قوية ظاهرة من حيث
ان الحجة ابطلت اقوال المختلفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يافكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة في نفسها وصفت باليد البيضا كما يقال
لفلان يد بيضا في الامر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا وغيرها من الامور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة
في الجسمية فكل ما صح على شي صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تاويل ودفع ثم ان السحر كان
غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى عليه السلام لكونه في النهاية من علم السحر اتى بتلك الصفة وانه كان يطلب
بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ولا ينافي هذا ما حكى الله تعالى في
سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملأ منه فقالوه لغيرهم
او قالوه عنه لسائر على طريق التبليغ فان الملوك اذا راوا راياذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فماذا تامرون من كلام فرعون
اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى او لانه من قولهم امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك برايه ولهذا فان الملأ قالوا في
جوابه ارجه واخاه اي اخر امره وامر اخيه ولا تعجل بقضائك في شانهما فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجيت الامر اخرته وعن الكلبي
وقتاده ان المعنى احبسه وضعف بانه خلاف اللغة الا ان يوجه بان الحبس نوع من التاخير في امره وبان فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد
مشاهدته حال العصا وارسل في المدائن المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا اقام به ولهذا اطبق القراء على همز مداين لانه كصحايف و
قيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مداين وقال المبرد اصلها مدينة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بمعيشة ومعيش
في مبيوع وليس المراد مداين الارض كلها ولكن المقصود مداين صعيد مصر وقال ابن عباس وكان روسا السحرة باقصى مداين الصعيد حاشرين
جامعين ياتوك بكل سحار الباء بمعنى مع او للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل سبعين الفا وقيل ثمانين
الفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى
وفي الاية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا له في الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على
اهل زمن عيسى كانت معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا فلا جرم كانت معجزته العظمى
وهي القران من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا بناء الكلام
على سؤال مقدر كان سائلا سئل ما قالوا اذا جاؤه فاجيب قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له
لغنما يقصد الكثرة قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم
لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤسا السحرة فقال لهم ما صنعتم
قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لنا به وفي الاية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب
الاعيان والا لقلبوا الحجر ذهبا بل قلبوا ملك فرعون الى انفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل ان لا يغتر بالكاذبين ومزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا
حسن الادب فخيروا موسى ولا دقدموه في الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو داب المناظرين والمتصارعين
معان في قولهم واما ان نكون نحن فائدة تدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر ومن جهة تعريف الخبر
واقحام الفصل قال الفراء قد جمع بين اما وان في هذه الاية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل هاهنا في موضع امر بالاختيار
اعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذا كانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الاية فان الامر لا يصلح هناك قال موسى للسحرة القوا ما تراغبوا
فيه ازدياد بشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بان الامر الالهي يغلب لن يغلب فان قيل ان القاءهم الحبال والعصي معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر
بالكفر كفر فالجواب من وجوه احدها انه انما امرهم بشرط ان يعلموا كفرهم في فعلهم ان يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القائل اسقني الماء من
الجرة فهذا انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه ودفع النزاع في التقديم والتاخير الثالث
انه اذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليجيب عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل
ومراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا اعينهم
فثبت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم غلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم اتوا بالحبال

بالزيبق وجعلوا الزيبق داخل العصي فلما اثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم اي رهبوهم
والسين زائدة كأنهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتدت رهبة الناس فبعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك ايها الناس احذروا فهذا هو
الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كما زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى
فاوحى الله عز وجل اليه ان الق عصاك وفي رواية الواحدي عن ان المراد بالوحي ههنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت
الشيء بالكسر القفه وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وما في ما يافكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه
وافكهم تسمية للمافوك بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من
حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فلعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام
العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن وقال القاضي معناه قوة الظهور بحيث لا يصح في الواقع ان يصير
لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون اي الذي عملوا او عملهم
فغلبوا هنالك اي حين التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من وضوح حجته روي ان تلك الحبال والعصي كانت
حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انهم
لاجل كمالهم في علم السحر ميزوا السحر عن غيره فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل في علم التوحيد والشريعة و
الحكمة وفي قوله والقى السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعي والقدر وقال الاخفش من سرعة
ما سجدوا صاروا كانه القاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم انهم سجدوا ثم
قالوا آمنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك وانهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله في الحال شكرا على الفوز
بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا بالذنب بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياي يعنون
فلما قالوا رب موسى قال اياي يعنون لاني انا الذي ربيته فلما زادوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم آمنوا باله السماء وكفروا بفرعون
وقيل افردا بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعي الى ايمانهم هو موسى وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما راى ان اعلم
الناس بالسحر اقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالقى في الحال شبهة في البين بعد ما انكر عليهم ايمانهم اما
الانكار فذلك قوله آمنتم له من لم يرد حرف الاستفهام فظاهره انه اخبار توبيخا اي فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرأ بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد
والانكار وفي قوله قبل ان آذن لكم دلالة على مناقضة فرعون في دعائه الالهية لانه لو كان الها لما جاز ان ياذن لهم في ان يؤمنوا بغيره وهذا
من جملة الخذلان الذي يظهر على المبطلين واما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي هذه حيلة
احتلتموها انتم وموسى وتواطأتم عليها لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد بن جرير عن السدي في حديث ابن
عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة ان موسى وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به
حق فقال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد
اجمال وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه ام لا فمن
قال لم يقع لانهم سألوا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قال وقع هو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملأ
انهم قالوا لفرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ولو انه ترك اولئك السحرة لذكروهم ايضا وحين رد اياهم ولانهم قالوا ربنا افرغ
علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على
الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم انهم قالوا
عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون اي نحن لا نبالي بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد
القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون فلا يقدر ان يفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما
تنقم منا قال ابن عباس ما اتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها
الا الله تعالى وهذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم لجأوا الى الدعاء كما هو
دأب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا سجال الثبات على متابعة الدين او على ما توعدنا به فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى اخبروا عن ايمانهم اولا وسألوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن ان يستدل بذلك على ان الايمان
والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالاية على ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك
على منح الالطاف واعلم ان بين القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هناك يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فلسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة واما قوله ههنا وارسل في المدائن

وهنالك وابعث فلان الارسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب فرعون دون غيره وانما قال ههنا امنتم
به وفي طه والشعراء امنتم له بالادام لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل امنتم به واحد وقال ههنا لاصلبنكم
لانه لما افاد الترتيب كان العطف لمطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السورة الثلث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه التاويل فظلموا بها
بان جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين افسدوا والاستعداد بالركون الى الدنيا ولذاتها حقيق على ان لا
اقول لاني قائم بحقايق الجمع فان الخلق واثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي ويعلم منه ان كل شيء اضفته
الى نفسك جعلته حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قيل القها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه الاية قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية
نورانية روحانية لموسى كانت روحانية في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى في بعض الاوقات
خرقا للعادات على يده الجسمانية يريد ان يخرجكم لاشك ان موسى اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض بشريتهم الى النور الروحانية توهموا
ان التاخير وحسن التدبير يغير شيا من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لاسلطان للعلم والفهم ان لنا لاجرا لم يعلموا ان اجرهم في
المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين اجرى الله تعالى على هذا اللسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا يا موسى
اما ان تلقي اكرموا موسى بالتقديم والاستيذان فاكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان بسحر عظيم اي عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان
عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظمة اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هي تلقف ما يافكون فيه ان عصا الذكر اذا القيتها عند الفاء
سحرة صفات النفس يبتلع بفم لا النفي جميع ما سحروا به اعين الناس فوقع الحق باثبات الا الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا
في العيون فغلبوا اي سحرة صفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت علم الشرع ونواهيه والقي السحرة ساجدين اي صارت
صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية رب موسى الروح وهرون القلب اعلم ان صفات النفس اذا نور بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان
ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل الا الله الا عند غرقها في الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفي القصة
دلالة على انه تعالى قد يبرز العدو في صورة الولي مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان اذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن ان الايمان باذن الله
لكن مكر تموه في موافقة موسى الروح في مدينة القالب لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية لاقطعن بسكين التسويل عن الاعمال
الصالحة ثم لاصلبنكم في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله اعلم وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا

في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا ع

در زمين و واگذارد ترا و خدایان ترا گفت که هرآینه میکشیم فرزندان ایشان را و زنده میگذاریم زنهاشان را و ما بر بالای ایشان قهر کنندگانیم گفت موسی مر قوم خود را که یاری جوئید

بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد

بخدا و صبر کنید بدرستیکه زمین مر خدا راست میراث دهد آنرا بهرکه خواهد از بندگانش و عاقبت مر پرهیزکاران راست گفتند رنجانیده شدیم پیش از آنکه بیاوری ما را و پس از آنکه

ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا ال فرعون

آوردی ما را گفت امید است که پروردگار شما هلاک سازد دشمن شما را و جانشین سازد شما را در زمین پس بنگرد که چه میکنید و هرآینه بتحقیق فرا گرفتیم آل فرعون را

بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا ع

بقحطها و کمی از میوهها شاید که ایشان پند گیرند پس چون آید ایشان را نیکی گفتند که از جهت ماست این و اگر رسد ایشان را بدی فال بد زنند

بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها

بموسی و آنکه با او بود آگاه باش که شومی ایشان در نزد خداست ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند و گفتند که هر زمان که بیاوری ما را از نشانی که جادو کنی ما را بآن

فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا

پس نیستیم مر ترا گروندگان پس فرستادیم بر ایشان طوفان را و ملخ را و شپش را و وزغ و خون را آیات روشن نمودار و جدا از یکدیگر پس سرکشی کردند

وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز

و بودند گروهی گناهکار و چون نازل شد بر ایشان بلا گفتند ای موسی بخوان برای ما پروردگارت را بآنچه پیمان بسته در نزد تو که هرگاه بر داری از ما پلید را

لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم

هرآینه بگرویم بتو و هرآینه بفرستیم با تو بنی اسرائیل را پس چون برطرف کردیم از ایشان پلید را تا زمانی که ایشان رسنده بودند بآن ناگاه ایشان میشکستند عهد را پس انتقام کشیدیم از ایشان

فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

پس غرق کردیم ایشان را در دریا بجهت آنکه تکذیب کردند بآیات ما و بودند از آن بیخبران و میراث دادیم گروهی را که بودند ناتوانان

مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون

مشرقهای زمین و مغربهای آنرا که برکت دادیم در آن و تمام شد کلمه پروردگار تو بر بنی اسرائیل بآنچه صبر کردند و هلاک کردیم آنچه میساخت فرعون



وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ❁ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى

و قوم او و آنچه ایشان بسته بودند ❁ و گذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس آمدند بر گروهی که مقیم بودند بر بتهائی که داشتند گفتند ای موسی

اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ❁ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

قرار ده از برای ما خدائی چنانکه مر ایشانراست خدایان گفت که شما گروهی بیخردانید ❁ بدرستیکه اینگروه هلاک خواهد شد آنچه ایشان در آنند و باطل است آنچه بودند که میکردند

قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ❁ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

گفت آیا بغیر خدا برای شما میخواهم ❁ خداوندی و او زیادتی داد شما را بر عالمیان ❁ و چون رهانیدیم شما را از آل فرعون میرسانیدند شما را

سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ❁ القراءة سنقتل

از بدی عذاب میکشتند فرزندان شما را و زنده گذاردند زنان شما را و در این بلائیست از پروردگار شما بزرگ

بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر ونافع يقتلونهم بالتشديد يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وابو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وعلي وخلف الباقون بالضم انجاكم ابن عامر الآخرون انجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف الوقوف الهتك ط لأن ما بعده مستأنف نستحيي نساءهم للابتداء بأن العطف لتخالف القائل قاهرون ج واصبروا ج لما قلنا من عباده ط للمتقين تعملون يذكرون لنا هذه لينا ان لنا ابن الأضافتين على التناقض ومن معه لا يعلمون بها بمؤمنين مجرمين بما عهد عندك ج لان جواب لئن منتظر مع اتحاد القائل بني اسرائيل ج لان جواب لما منتظر مع دخول الفاء فيه ينكثون غافلين باركنا فيها ط للعدول عن الحكاية وكذا بما صبروا ط لعكسه يعرشون يعكفون اصنام لهم ط لاتحاد القائل بلا عطف آلهة ط تجهلون يعملون العالمين سوء العذاب ج لاحتمال كون ما بعده مستأنفا او حالا ابناءكم ط عظيم والله اعلم

التفسير ان فرعون بعد وقوع ما وقع تعرض لموسى ولا اخذه وحبسه لانه كان كلما رأى موسى خافه اشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه فقالوا أتذر موسى اتتركه وقومه ليفسدوا في الأرض اي يغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه فيتوسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله والهتك مفعول معه والمراد انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع الهته فقط ويحتمل ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى يكون منك ان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك والهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بانه لعله كان اتخذ اصناما على صور الكواكب مدبرات العالم السفلي والمخدوم الخلق في هذا العالم والمربي لهم فهو نفسه فقوله انا ربكم الاعلى اي انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون اوهم قومه انما يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فكانه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون اي سنعيد عليهم ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة انه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما حصل ما جرى بين فرعون وملائه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب ان الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من انه لا مدبر للعالم الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما امرهم بشيئين بشرهم باخرين فقال ان الارض يعني ارض مصر او جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية لله يورثها من يشاء من عباده يعني بالتوريث جعل الشيء للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من الكلام المنصف الا ان معلوم ان القبط لا تقوى لهم او المراد ان كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغني الكريم يعينه في الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابناءهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم في قوله سنقتل الى غير ذلك من انواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمزاليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارض مصر ولا ريب ان في عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة الناظر بنور الحق افاد قوة اليقين وازال ما خامرهم من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج اي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم تقديما وانما يجازيهم على ما يقع حديثا فيتعلق الرؤية الان لينه عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون وكيف نصب يعملون لا بينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشوم التكذيب والتمرد فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بسني القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت عليه الحرب كالدابة والنجم وقد يراد بها في غير هذا الموضع الحال والعام قال ابو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورأيت سنينا فيعرب ومنه قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا والسنون من الجوع المصحح النادرة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي واصحاب المواشي ونقص من الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط من ان يعلم ان كل الثمرات لم ينقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فيتنبهوا ويرجعوا الى الانقياد والطاعة فان من الض

منه

صناهم من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا

منه

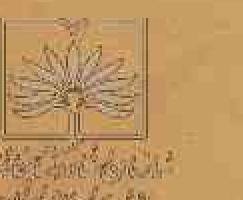


يلين الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما
ادعى الربوبية قال القاضي في الاية دلالة على انه تعالى اراد منهم ان يتذكروا ولا يقيموا على ما هم عليه من الكفر واجيب بانه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار
في الحقيقة ولا اختيار ولا يرعوي عن الكفر والطغيان الا من شاء واراده ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه
فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون
بذلك لم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمة وان تصبهم سيئة اضدادها
ذكرنا يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت
بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله واما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت ايام البلاء فهل
عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله قال الازهري يقال للشوم طائر وطير وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب
طار له سهم كذا اي حصل ووقع ذلك في حظه وكان النبي صلعم يتفأل ولا يتطير لان الفال الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازي
وذلك لان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الاية ان
كل ما يصيبهم من خير او شر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل ذهبين بمشيته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان او
بشؤمه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا مذ اتانا قال في الكشاف ويجوز ان يكون معناه
الا انما سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عند الله الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم انهم لجهلهم اسندوا
حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لنبيهم مهما تأتنا به من اية وفي مهما
قولان فعن البصريين ان اصلها ما الشرطية زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائي
ان مه بمعنى اكفف وما للشرط كانه قيل كف ما تأتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى اي شيء تحضرنا تأتنا به ومن اية بيان لمهما والضمير في به وكذا في بها يعود
اليه شيء ما امكن العود الى المبين الا ان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وانث اخرى حملا على المعنى وسموها اية تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا
لم يردفوه بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فا
فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح انه المطر
واصل الطوفان ما طاف وغلب من مطر وسيل ارسل الله عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت
القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع
عنهم فما امنوا فانبت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع ما لم يعهد بمثله وزعموا ان هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله
عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى
ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد
الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان كبار القردان عن ابي عبيدة وقيل الدبا
وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير
هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وعن سعيد بن
جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم وعيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا
وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم الضفادع بعد فاخذ عليهم
شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها انيتهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم
فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك ما يلي الاسرائيلي ماء
وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله ايات مفصلات نصب على
الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لا تشكل على عاقل انها معجزات او فصل بين بعض وبين بعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايوفون بالعهد ام ينكثون
كما روي ان موسى عم مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها
بالقبطي دون الاسرائيلي معجز اخر فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم
فقال ولما وقع عليهم الرجز اي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان اصابهم
فمات من القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك
وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم اي ادع لنا متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق المقسم به

لا عنها لان البيان كالزيادة فلا يعود

بالفعل فيكون باء الاستعطاف اى اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه اخر وهو ان يكون
قسما مجابا بلنؤمنن فيكون متعلقا بالاقسام اى اقسمنا بعهد الله وعندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل
اى نخليهم وشانهم فيذهبون حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا فى جميع الوقايع بل الى اجل هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه اذا هم
ينكثون جواب لما اى لما كشف عنهم فاجاؤا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم فى اليم وهو البحر الذى لا يدرك
قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمى باليم لان المنتفعين به يمونه اى يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اى كان اغراقهم بسبب التكذيب بانهم
كانوا عنها اى عن الايات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا اى كانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اى معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة
ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد هلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام فى الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض مصر والشام لانها هى التى كانت تحت تصرف فرعون
وقوله التى باركنا فيها اى بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد بجملة الارض لانه خرج من بنى اسرائيل من ملك جملتها كداود
وسليمان وتمت كلمة ربك الحسنى تانيث الاحسن صفة الكلمة قيل يريد بالكلمة قوله فى سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
فى الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الايتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد
الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض لان الوعد بالشئ جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اى بسبب صبرهم
وفيه ان عنوان الظفر وضمين بالنصر والفرج ودمرنا اى اهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع
وقال غيره يعنى العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المغانى والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذى انشا جنات
معروشات وقيل ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى على بنى
اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر روى انه عبر بهم موسى يوم عاشورا بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكر الله
فاتوا على قوم اى فمروا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم
نزلوا الرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا
دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد انه مقرب الى الله او نهاية المعبود التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام
وكان هذا القول لم يصدر من مشايخ بنى اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم
تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الايات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن على رضى الله عنه ان يهوديا قال اختلفتم بعد نبيكم
قبل ان يجف ماؤه فقال على ع اختلفنا عنه لا فيه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم ان هؤلاء عبدة تلك التماثيل متبر اى مكسر مهلك
ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون اى يتبر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى
فيصير الى الزوال والاضمحلال وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وفى تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا
على شئ البتة وان مصيرهم الى النار لا محالة قال اغير الله ابغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التى لو تاخرت كانت صفة كما تقول ابغيكم الها
غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدى يقال بغيت فلانا شيئا وبغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم
معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع كونهم مغمورين فى نعم الله فان
الاله ليس شيئا يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والاية الباقية قد مر تفسيرها فى
البقرة والفائدة فى اعادتها ههنا التعجب والتعجيب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وتمام قيل ههنا يقتلون دون يذبحون ليناسب قوله
سنقتل ابناءهم والله اعلم التاويل وقال الملا من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس اتذر موسى الروح وقومه من القلب
والسر والعقل ليفسدوا فى الارض البشرية ويذرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعنى
اعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم اى الصفات التى عنها يتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال
موسى الروح لقومه لهم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا واعينا جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض يعنى ارض البشرية
يورثها من يشاء من عباده يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها
فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعنى عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء يورثها ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف
بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تاتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا
نتاذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتاذى من دواعى البشرية
عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها فيه اشارة الى ان الواردات الروحانية لا يكفى لافناء النفس وصفاتها ولا بد فى ذلك

اله او اعتقد انه



تجلی صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة للكفر ولا يرى فضل المنعم وكذا السلوك اذا اراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكان ولكن اكثرهم
لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة عقولهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا عليهم الطوفان العلم الكثير والجراد الواردات والقمل و
الالهامات والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات والرياضات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا عن حين فاستكبروا عن
قبولها وكانوا قوما مجرمين فى الازل فلهذا لم يفدهم الوسايط والاسباب فى لما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة فاغرقناهم فى يم الدنيا
وشهواتها وما كانوا يعرشون اى يرفعون بالتجبر والتكبر انفسهم من عرش الطائر اذا ارتفع بجناحيه على من تحته وجاوزنا بصفات القلب
من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على اصنام لهم من المعانى المعقولة والمعارف الروحانية
فاستحسنوها وارادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى لو ادالربانى عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله
وعنايته فعلم ان هؤلاء يعنى صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء المعانى المعقولة وباطل ما كانوا يعملون فى غير طلب الحق و
الوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الحيوان والجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى المعارف والحقايق الالهية

ع وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى
ووعده كرديم موسى را سی شب وافزوديم بران ده شب پس تمام شد وعده پروردگارش چهل شب وگفت موسی مر برادر خود را ای هرون جانشين باش مرا
قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال
در قوم من واصلاح كن وپيروى مكن راه تباه كاران را وچون آمد موسى مر وعده گاه ما را وگفتگو كرد او را پروردگارش گفت پروردگارا بنماى خود را بمن تا بنگرم بتو گفت
لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
هرگز نبينى مرا ولكن بنگر بسوى كوه پس اگر قرار گرفت در جاى خود پس ببينى مرا پس چون تابيد نور پروردگارش بكوه گردانيد او را پاره پاره وافتاد موسى بيهوش
فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى
پس چون بهوش آمد گفت منزهی تو بازگرديدم بسوى تو ومنم نخست گروندگان گفت اى موسى من برگزيدم تو را بر مردم به پيغامهاى خود
وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل
وبگفتار خود پس بگير آنچه را كه دادم بتو وباش از سپاسگزاران ونوشتيم براى او در لوحها از هر چيز پندى وبيان از براى هر
شىء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساوريكم دار الفاسقين ساصرف عن اياتى الذين
چيزى پس بگير آنرا بتوانائى وبفرماى قوم خود را بگيرند بهترين آنرا زود باشد كه بنمايم بشما جايگاه فاسقان را زود باشد برگردانم از آيات خود آنان را كه
يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
تكبر مى‌كنند در زمين بدون حق واگر ديدندى هر نشانى را نگرويدند بآن واگر ديدندى راه حق را نگرفتند او را راه
ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل
اين بجهت آنست كه ايشان دروغ داشتند آيات ما را وبودند از آن بيخبران وآنان كه دروغ داشتند آيات ما را وديدار آخرت باطل شد كردار ايشان آيا
ع يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم
مزد داده نشوند مگر آنچه بودند كه مى‌كردند وفرا گرفتند قوم موسى پس از او از زيور هاشان گوساله كالبدى كه از براى آن صدائى بود نديدند كه او گفتگو نكردى با ايشان
ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا
ونمايد بايشان راهى را فرا گرفتند او را وبودند ستمكاران وچون پشيمان شدند وديدند كه ايشان گمراه شدند گفتند اگر رحم نكند ما را
ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتمونى
پروردگار ما وبيامرزد ما را هر آينه هر آينه باشيم از زيانكاران وچون برگشت موسى بسوى قوم خود خشمناك وغيظ دار گفت بد جانشينى كرديد مرا
من بعدى اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفونى
پس از من آيا شتافتيد در فرمان پروردگار خود وافكند لوحها را وگرفت سر برادرش را مى‌كشيد او را بسوى خود گفت اى برادر بدرستيكه قوم ناتوان گرفتند مرا
وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين قال رب اغفر لى ولاخى وادخلنا فى رحمتك
ونزديك بودند كه بكشند مرا پس شاد كام مكن بمن دشمنان را ومگردان مرا با گروه ستمكاران گفت پروردگارا بيامرز مرا وبرادر مرا وداخل كن ما را در رحمت خود
ع وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا وكذلك
وتوئى مهربانتر از مهربانان بدرستيكه آنان كه فرا گرفتند گوساله را زود باشد كه برسد ايشان را خشمى از پروردگار ايشان وخوارى در زندگانى دنيا واينچنين
نجزى المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
مزد دهيم بر هم بافندگان را وآنان كه كردند بديها پس توبه كردند پس از آن وگرويدند بدرستى پروردگار تو پس از آن هر آينه آمرزنده مهربانست

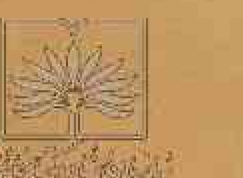
الأعراف

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ الفراءة ادنى انظر
وچون فرونشست از موسى خشم فراگرفت لوحهارا ودر نوشتهای آن راستی بود ورحمت از برای آنانکه ایشان مر پروردگار را خوف دارند بسكون الراء وفتح
الياء ابن الفليح وزمعة والخزاعى عن البزى الباقون بكسر الراء وسكون الياء ذكا بالمد حمزة وعلى وخلف انى اصطفيتك بفتح الياء المتكلم ابن كثير
وابو عمرو برسالتى على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون برسالاتى اياتى الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلى وخلف
الباقون بضم الراء وسكون الشين حليهم بفتح الحاء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد الياء حمزة وعلى الباقون مثله ولكن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا الخطاب و
النداء حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدى اعجلتم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو قال ابن ام بكسر
الميم ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن ام فى طه الوقوف اربعين ليلة ج للعطف مع اختلاف
القائل المفسدين ربه لا لان ما بعده جواب لما اليك ط فسوف ترانى ج صعقا ج المؤمنين الشاكرين لكل شىء ج للعدول مع فاء التعقيب باحسنها
الفاسقين ه بغير الحق ط بها ج لابتداء شرط اخر لبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج لذلك سبيلا ج غافلين اعمالهم ط يعملون خوار سبيلا م
لئلا يصير الجملة صفة السبيل فان الهاء ضمير العجل ظالمين ضلوا لان بعده جواب الخاسرين اسفا لا من بعدى ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد
القائل امر ربكم لان قوله والقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه ط يقتلوننى ز فصلا والوصل اولى لان الفاء
للجواب اى اذا هم هموا بقتلى فلا تشمت بى الظالمين فى رحمتك ز لعطف الاولى ان يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين الدنيا ط
المفترين واٰمنوا لظاهر ان والوجه الوصل لان بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور رحيم الالواح صلے
لاحتمال ما بعده الحال يرهبون التفسير لما اهلك الله سبحانه اعداء بنى اسرائيل سئل موسى ربه ان يؤتيه الكتاب الذى وعده فامره بصوم ثلثين
وهو شهر ذى القعدة فلما اتم الثلثين انكر من نفسه خلوق الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك
فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوق فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك فامره الله ان يزيد عليها عشرة ايام من ذى الحجة لهذا السبب وقيل فائدة
التفصيل انه تعالى امره بصوم ثلثين وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزل عليه التورية فى العشرة وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهانى
من الجائز ان يكون موسى عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله فى طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه
الله تعالى خبر قومه مع السامرى رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات فى عشرة اخرى فتم اربعون ليلة وقيل لا يمتنع ان يكون الوعد الاول لحضوره الميقات وحده
معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد القيد لكنه فى قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر
فصار ثلثين والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشىء قدره مقدر ام لا وانتصب اربعين على الحال
اى تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفنى فى قومى كن خليفتى فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح
من امور بنى اسرائيل ومن دعاك الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفة مع انه شريكه فى النبوة بدليل واشركه فى امرى والشريك اعلى حالا
من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تاكيدا واطمينانا والا فالنبى
لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذى حددنا له كما تقول اتيته لعشر خلون
من شهر كذا وكلمه ربه للناس فى كلام الله مذاهب فقيل عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف و
الاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة
وعلى الثانى فالاشعرية قالوا ان موسى عم سمع تلك الصفة الازلية لانه كما لا يبعد رؤيته عندنا مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع
سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور الماتريدى انه سمع موسى عم اصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف
العلماء ايضا فى ان الله تعالى كلم موسى وحده ظاهر الاية او مع السبعين المختارين وهو قول القاضى لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت
نبوة موسى فلا بد من ظهور هذا المعجز لغيره قال رب ارنى انظر اليك اى ارنى نفسك اجعلنى متمكنا من رؤيتك فانظر اليك و
اراك عن ابن عباس ان موسى عم جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقى السبعون فى اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له فى الالواح كتابا
وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارنى انظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سئل الرؤية ان موسى سئل الرؤية وانه عارف
بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سئلها قال القاضى للمحصلين من العلماء فى هذا المقام اقوال احدها قول
الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح فى معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان
يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم ان يكون موسى ادون حالا من علماء المعتزلة العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وبانهم يدعون
العلم الضرورى بان كل ما كان مرئيا فانه يجب ان يكون مقابلا او فى حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل
وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابى على وابى هاشم ان موسى
سئل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بانه لو كان كذلك

السين من حليهم بفتح الحاء وسكون

موسى وحده والوعد الثانى حضرة

فى كلام الله تعالى



لقول موسى ارهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني وبانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبان تذكر الدليل القاطع في هذا
المقام فرض مضيّق فلم يمكن تاخيره مع انهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان
لهم ان يقولوا لا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثانيها وهو اختيار ابي القاسم الكعبي ان موسى سئل ربه المعرفة الضرورية
بحيث يزول عندها الخواطر والوساوس كما في معرفة اهل الآخرة ورد بانه تعالى اراه من الآيات كالعصا واليد وغيرهما ما لا غاية بعدها فكيف يليق بان
يقول اظهر لي آية تدل على انك موجود ولو فرض انه لا يليق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل ان يقول منعه في الدنيا لحكمة عرفها الله
تعالى ولا يلزم منه المنع في الآخرة ورابعها وهو قول ابي بكر الاصم ان موسى اراد تاكيد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل امر مطلوب
للعقلاء وضعف بانه كان الواجب عليه ح ان يقول اريد يا الهي ان يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي ولقائل ان يقول
هذا تعيين الطريق وفي الآية سؤال وهو انه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر الي ليناسب قوله انظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر
المطلق وانما طلب النظر الذي معه الادراك بدليل ارني ومن حجج الاشاعرة انه تعالى علق رؤيته على امر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز
جائز ورد بانه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه اي في وقت النظر وعقيبه
واستقرار الجبل حال حركته محال ومنها قوله فلما تجلى ربه اي ظهر وبان ومنه جلوت العروس اذا ابرزتها او ظهر للجبل اقتداره وتصدى له امره وارادته
جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق اخوان ومن قرأ بالمد اراد ارضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء
اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة والغرض من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتاييده وقالت
المعتزلة الرؤية امر محال لقوله لن تراني وكلمة لن ان لم تفد التابيد فلا اقل من التاكيد وايضا الاستدراك في قوله ولكن انظر معناه ان النظر الي
محال فلا تطلبه لكن عليك بنظر اخر الى الجبل لتشاهد تدكدك اجزائه وتفرق ابعاضه من عظمة التجلي واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قالت
الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى في الجبل حيوة وعقلا وفهما ورؤية وايضا قوله وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه غشية كالموت دليل
استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روي ان الملائكة مرت عليه غشيته كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روي ان
الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من
الصعقة سبحانك انزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح
هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص من عندك وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الاشاعرة وانا
اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا او بانه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سال الرؤية ومنعه الله اياها اخذ في تعداد وسائر
نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى اني اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل على
جواز الرؤية في نفسها والا لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله
تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض انه تعالى خصه من دون الناس بمجموع امرين الرسالة والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان
الكلام بلا وسط سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المثل لنا شتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا
وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب المراد بالرسالات ههنا اسفار التورية فخذ ما اتيتك من شرف الرسالة
والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بان تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا
يوم عرفة واعطاه الله التورية يوم النحر وذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشر الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت
من زمرد جاء بها جبرئيل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب انها كانت من صخرة صماء لينها الله
تعالى لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه وقيل طولها كان عشرة اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والا وجب السكوت
عنه اذ ليس في الآية ما يدل على ذلك واما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرئيل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم
هذا النقل ايضا كما قلنا من كل شيء مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو اخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل في الموعظة
كل ما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد واراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من اقسام
الاحكام ويجوز ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا في الالواح موعظة من كل شيء وتفصيلا لكل شيء قيل انزلت
التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله
الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها
على ارادة القول اي وكتبنا فقلنا له خذها او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات
او للتورية بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك يأخذوا باحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما في التورية وجب كون
الكل مامورا به فظاهر قوله يأخذوا باحسنها يقتضي ان فيه ما ليس باحسن ولا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بوجوه منها ان تلك التكاليف منها

موضع الالواح وتحقيق

ولا تقتلوا

ماهو حسن ومنها ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فيؤمرون ان ياخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن كلها حسن وقيل الحسن يتناول الواجب
والمندوب والمباح والاحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من
الشتاء ثم ختم الاية بالوعيد والتهديد فقال ساريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في انها
لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتاده بريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما
اصابهم وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود واقرانهم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بان الله تعالى سيرزقهم ارض اعدائهم و
يوئيده ما في سورة الاعراف واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما يعامل الفاسقين المتكبرين فقال ساصرف عن اياتي
الاية فاحتجت الاشاعرة بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله ساصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون
بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف مذكور على وجه العقوبة
على التكبر والاعتساف ولا يكون العقوبة عين المعاقب عليه فوجب تاويل الاية فقال الكعبي وابو مسلم الاصفهاني ان هذا الكلام تمام لما
وعد الله به موسى من النصرة والعصمة اي اصرفهم عن اياتي فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال في حق نبينا صلعم بلغ ما انزل اليك
الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل ساصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في اياتي من العزة والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك
الصرف المستلزم للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الايات ايات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق
الايمان فاذا كفروا فقد صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بما بعد ذلك فيصرفهم الله تعالى عنها وبوجه اخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم
انه اذا شاهد تلك الايات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من يبالغ
في كفره وانتهى الى الحد الذي اذا وصل اليه مات قلبه وهي بالطبع والخذلان فالمراد بالمصروفين هؤلاء عن رسول الله صلعم اذا عظمت امتي الدنيا نزع
عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي قوله بغير الحق اما ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان الكبر
بالحق لله وحده اذ لا كمال فوق كماله فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذي
لا اصل له ومنه يعلم ان للمحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قال الكسائي و
فرق ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان انستم منهم رشدا وسبيل الغي ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية
انما كان لامرين كونهم مكذبين بايات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء او النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب
انهم كذا وكذا ثم بين ان اولئك المتكبرين يجزون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
اي بجد والمعاد حبطت اعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول ابي هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد
ترك الواجب ان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا لانها دلت على انه لا جزاء الا على عمل وترك الواجب ليس بعمل اجاب ابو هاشم باني لا اسمي ذلك
العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزي اي يكفي في المنع عن النهي وفي الحث على المامور به لكن العقاب على ترك الواجب كاف في الزجر عن ذلك الترك
فكان جزاء قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا منهم فاغرق الله القبط فبقيت تلك الحلي في ايدي
بني اسرائيل فلهذا اضيفت اليهم على ان مجرد ملابسة الاستعارة ايضا يصحح الاضافة والحلي جمع حلي كثدي وثدي ومن كسر الحاء فللاتباع فجمع السامري
تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سالوا موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامري عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك
فقال قوم كان قد اخذ تراب حافر فرس جبرئيل فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الهكم
واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب
الرياح فظهر منه صوت يشبه خوار العجل وقال اخرون انه صير ذلك التمثال اجوف وجعل تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال
سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامري وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه او لان المراد باتخاذ العجل
هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد مضيه الى الطور وقال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الاية ولقول موسى في الدعاء رب اغفر
لي ولاخي ولو كان غيرهما اهلا للدعاء لاشركهم في ذلك وقال اخرون بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما او بقي ذهبا كما كان قال بعضهم الى الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار
والجسد اسم للجسم ذي اللحم والدم والخوار انما يكون للبقر لا للصورة واستبعده بعضهم وناقش في ان الجسد مختص بذي الروح ثم قال ان ذلك الصوت
لما اشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرا علي عم كرم الله وجهه جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على
فساد كون ذلك العجل الها بقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله ان يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومنا بهجة بما ركز في
العقول من الادلة وبما انزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا سؤال فمن كان مضلا عن الدين لا يصلح ان يكون الها فالت الاشاعرة لو صح ان الا

وبفتحتين الاستقامة في الدين نزعتم ما علمت رشدا

ليتحقق



يلزم ان يكون هاديا لزم ان يكون كل متكلم هاديا لها والحق ان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا ان كل اله فانه يجب ان يكون متكلما هاديا او الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الاية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل اختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج اريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال حصل في يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وقال في الكشاف ان من شان من اشتد ندمه ان يعض يده فصارت يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها فاصل الكلام سقط فاه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول كما في قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فلا بد ان الاعتقاد ان ذلك العمل خير له وصواب وانه يورثه نفعا وزينة فاذا بان ان ذلك العمل كان باطلا فكانه انحط وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطأ ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كانه يتدارك الحالة التي لاجلها حصل الندم وكانه قد سقط في يده نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي وحكى الواحدي انه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج فمن وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه يذوب بادنى حرارة فهذا مثل من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدي الى صلاحه وقيل ان في بمعنى على اي سقط على ايديهم فان من عادة النادم ان يطاطئ راسه ويضع على يده ذقنه ثم قال تعالى ورأوا انهم قد ضلوا اي تبينوا ضلالهم كانهم ابصروه بعقولهم قال القاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطأ والترتيب الاصلي ولما راوا انهم قد ضلوا وسقط في ايديهم ويمكن ان يقال الواو لا يفيد الترتيب اي بقي الاقدام على ما يعلم كونه صوابا او خطأ فاسد موجب للندم وقد تكامل العلم فظهر انه خطأ ثم انهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر ابونا آدم وحوا ان لم يرحمنا ربنا الاية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو في قول مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان اسفا فانه يدل على ان هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الميقات والاسف الشديد وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدي هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبانا على قومه اسفا من فتنة ربه بئسما خلفتموني خاطب عبدة العجل او وجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف والتقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الانداد او من بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الاية قوله فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشيء في اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين و ذلك انهم قدروا انه لما اتم على راس الثلاثين ليلة فقد مات وروى ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروى انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط ربكم وفي الكشاف يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصيتكم به والقى الالواح التي فيها التورية لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله اخي موسى ليس الخبر كالمعاينة لقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما اخبره الله تعالى به حق وانه مع ذلك متمسك بما في يده وروى ان التورية كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في التفسير الكبير القاء الالواح ثابت بالقرآن فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا وانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء واقول الجراءة تحصل بنفس الالقاء الا بالتكسر الذي لا يتعلق باختياره فكل ما يجعل عذرا عن نفس الالقاء يصح ان يجعل عذرا عن التكسر واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوابته واعلم ان موسى كان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه امرين احدهما القاء الالواح والاخر اخذ راس اخيه جارا اليه فزعم مثبتوا عصمة الانبياء انه جر براس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان موسى فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن ام من كسرها بناء على طرح ياء المتكلم و من فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال او على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى انهما او احدة على ما روى انه كان اخاه لابيه وامه ليكون ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي وكادوا يقتلونني حين منعتهم عن عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء العابدين للعجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد

كما يحذف الفاعل ويبنى الفعل ... ١٢ م

الى واحد منهم ولا ما في بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القدر من الحدة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح في العصمة وغايته ان يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لي لما اقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولاخي ان عسى فرط في شان الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا فالغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وفي وقت نزول الاية كان القتل واقعا واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى موسى به حين الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم في الغضب والذلة قلت ويجوز ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير من التكلف ذهب التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الاية محذوف والتقدير ان الذين اتخذوا اباؤهم العجل يعني الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بضرب الجزية او غضب وذلة كلاهما في الدنيا بالقتل والجلاء كما نال بني قريظة والنضير والتقدير ان الذين اتخذوا العجل سينال اولادهم وكذلك نجزي المفترين اي كل مفتر في دين الله جزاؤه الغضب والذلة قال مالك بن انس ما من مبتدع الا ويجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ظاهر الاية يدل على ان التوبة شرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان فما اصعب شان المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من اتى بجميع المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور مستور عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب وان جلت وعظمت الا ان عفوه وكرمه اعظم واجل ولما بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له الق الالواح وغير ذلك فترك النطق وقطع الاغراء ومن ثم قالوا ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقلبت كما يقال ادخلت الخف في رجلي وانما ادخل الرجل في الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به اخذ الالواح التي القاها مبنيها على زوال غضبه لانه اوكد ما تقدم من امارات الغضب وفي نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتابة وفي مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تنكسر واخذها موسى باعيانها بعد ما القاها او قلنا انها تكسرت اخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما القى الالواح تكسرت فصام اربعين يوما فاعاد الله تعالى الالواح وفيها عين ما في الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام في المفعول لتقدمه فان تاخر الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء وسمعة وجوز بعضهم ان يكون اللام صلة نحو ردف لكم التاويل ثلثين ليلة لئلا يستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية واتممناها بعشر لخصوصية الاربعين في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في بعثة الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع عليه كاسات الشرب اثر فيه سماع الكلام فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب ارني انظر فقيل هيهات انت بعد في بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن تراني ببصر انانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض بنور ربها قد كان ما كان سرا ابوح به فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر فلو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلي الرب لطاش في الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفة عند الفناء بالتجلي لما امكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استسعد بالتجلي فافهم فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلي الربوبية قال موسى بلا هويته سبحانك تنزيها لك من خلقك في اتصال المخلوقات وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك برسالاتي وبكلامي دون رؤيتي وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سالت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة وهي والزيادة الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اي بقوة الصدق والاخلاص وبقوة واعانة منا ساريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب اللقاء الى طلب الاخرة والدنيا ساصرف عن اياتي فبحجاب التكبر يحرم المتكبرين عن رؤية الايات واتخذ قوم موسى ان سامري الهوى من بعد توجه موسى الروح مكالمة الحق لتحقيق تخذ من حلي زينة الدنيا ورعونات البشرية التي استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق بها الى نفسه ولما سقط في ايديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص لدى قالوا لئن لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الاية غضبان مما عبدت صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فات لها من عبودية الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل وان من غير ان يامركم ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغي ان يلتفتوا الى شيء من الدنيا في اثناء الطلب اللهم الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيامرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعني ما لاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب الطبيعي واخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن ام هما من اب وام واحد ابوهما الامر وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان في عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفوني يعني ان اوصاف البشرية

من موسى مع الغضب
بين ما كان
ح

بالغلبات عند غضبك كادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلنى مع القوم الظالمين فيه ان صفات القلب تتغير و
تتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يمرض بتغير صفاته كما ان النفس لا يتغير من
حيث هى عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمية والمطمئنية والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت
الى طبعها رب اغفر لى ولاخى اشارة ان للروح والقلب استعدادا لقبول الجذبة الالهية التى يدخلهما بالسر فى عالم الصفا وكذلك نجزى المفترين الذين يدعون ان الله اعطاهم قوة لا
يضرهم معها الهوى والدنيا وشهواتها **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل**
و برگزید موسی از قومش هفتاد مرد را از برای وعده‌گاه ما پس چون فرو گرفت ایشان را عذاب گفت پروردگارا اگر خواستی هلاک کردی ایشان را از
واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت
و مرا نیز آیا هلاک کردانی ما را بانچه کردند بیخردان از ما نیست آن مگر آزمایش تو گمراه کنی بان آنرا که خواهی و هدایت کنی آنرا که خواهی تویی کارگزار ما پس بخش ما را و رحم کن ما را و تویی
خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى اصيب به من اشاء و
بهترین آمرزندگان و بنویس از برای ما در این دنیا نیکویی و در آخرت نیکویی بدرستی که ما بازگردیدیم بسوی تو گفت عذاب من برسانم بان هر که خواهم و
رحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون
رحمت من فرو گرفت هر چیزی را پس زود باشد که بنویسم آنرا از برای آنان که پرهیز میکنند و میدهند زکوة را و آنان که ایشان بایات ما ایمان میاورند آنان که پیروی میکنند
الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
رسول را پیغمبر امی را آنرا که می‌یابند او را نوشته در نزد ایشان در توریة و انجیل میفرماید ایشان را بمعروف و باز میدارد ایشان را از منکر و حلال میکند
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه و
از برای ایشان پاکیزه‌ها را و حرام میگرداند بر ایشان ناپاکیها را و می‌نهد از ایشان بار ایشان را و زنجیرها که بود بر ایشان پس آنان که گرویدند بان و عزیز داشتند او را
نصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ع
یاری کردند او را و پیروی کردند روشنی را که فرستاده شد با او آن گروه ایشانند رستگاران بگو ای زمره مردمان بدرستی که من پیغمبر خدایم بسوی شما همه
الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن
آنکه مر او راست پادشاهی آسمانها و زمین نیست خدایی بجز او زنده کند و میمیراند پس بگروید بخدا و رسول او پیغمبر امی آنکه ایمان آورد
بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون القراءة عدد
بخدا و کلمات او و پیروی کنید او را شاید که شما هدایت کرده شوید و از قوم موسی گروهیند که راه برند بحق و با او برابری کنند
اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب المفضل الباقون على التوحيد الوقوف ليقاتنا ج للابتداء
بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب اياى ط منا ج لتضاد ان النافية مع اتحاد القائل فتنتك ج لان ما بعده مستانف وتهدى من تشاء ط الغافرين اليك ط
من اشاء ج للفصل بين الجملتين تعظيما لشأنها مع الاتفاق فى اللفظ كل شىء ط للسر واختلاف الجملتين والفاء للاستيناف وصل على الخصوص يؤمنون ج
لاحتمال ما بعده النصب والرفع على المدح والجر على البدل والانجيل ز لان يامرهم يحتمل ان يكون مبتدأ محذوف اى هو يامرهم وان يكون نعتا
اى مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعد مفعول اى يجدونه امرا او يكون التقدير الامى الذى يامرهم فيكون كالبدل عن الصلة
كانت عليهم ط انزل معه لا لان ما بعده خبر فالذين المفلحون والارض ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اى استحق ملك السموات غير مشارك ويميت
لطول الكلام والا فالفاء للجواب اى اذا كنت رسولا فامنوا ايمانه تهتدون يعدلون التفسير الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشىء اذا
اخذ خيره وخياره ومن هنا سمى به فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك ان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل خيرا له من
تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل فمن الافعال ما يتعدى الى المفعول الثانى بحرف واحد ثم يتسع
فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبى واستغفرته ذنبى وجوز
بعضهم فى الاية ان يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اول من غير واسطة ويكون سبعين
بدلا او بيانا قيل من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا
ابناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات
ربه وللمفسرين خلاف فى ان هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية ام غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امره ربه ان ياتيه فى
سبعين من بنى اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة فى هذه
الاية والذاهبون الى الثانى حملوا القصة على ما مر فى البقرة فى تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هناك ان منهم من قال

هدع



هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه
تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم اتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان يكون هذه القصة مغايرة
لتلك القصة والاقرب الانسب عن علي ع ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل
هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فاحياه الله تعالى فقال ما قتلني احد فاخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة
حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو اهلكتهم قبل هذا اهلكتنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل
السفهاء منا قال اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اراد انك لا تفعل ذلك كما تقول
اتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قيل لو كان تسفيههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ناسب ان تقول اتهلكنا بما قاله السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل وغيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات غير ميقات طلب الرؤية ان هي الا فتنتك
الضمير تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هي الا هند قاله الواحدي ولعله يعود الى مقدر ذهني والمعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا
فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك وحين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدي بها من تشاء فيثبت
على الحق قالت الاشاعرة الآية دالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لان ضلوا او
اهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام او الضمير يعود الى الرجفة اي تضل عن الجنة بسبب عدم الصبر على تلك الرجفة او لعدم الايمان
بانها من عندك من تشاء وتهدي الى الجنة بها لا ضلال دما قلنا من تشاء او المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها
عمن تشاء انت ولينا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر الا انت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هي الا فتنتك جرأة عظيمة فاشرك نفسه مع
قومه في طلب المغفرة والرحمة وانت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب واوجب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الآخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم
ان كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه والهيبة وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع
يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثاني هو قوله انا هدنا اليك بالعبودية فلا يبعد وقوع الاجابة
ولان دفع الضرر مقدم على تحصيل النفع قدم المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين قال الله تعالى في جواب موسى عذابي من حاله و
صفته اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد علي اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه
مفسدة وقرأ الحسن من اساء من الاساءة ورحمتي من شأنها انها وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر
المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله
فسأكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات
راجح غالب قالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هناك الم فله اعواض كثيرة
واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فسأكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكليف
الفعلي اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك
اتباع النبي الامي الى آخره وصف محمدا ص في هذه الآية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر
قلت لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا كقوله جاعل الملائكة رسلا وقد يكون نبيا لا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون
احد الوصفين على الاطلاق مغنيا عن الآخر ولو سلم فذكر الآخر تتميم وتصريح لما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال
صلى الله عليه وآله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام اي انه على هيئته يوم ولد لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزات نبينا
ص وبيانه من وجوه الاول انه كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبته ثم اعادها فانه لا بد ان يزيد
فيها او ينقص فهذا المعنى من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه طالع كتب الاولين فاتى بهذا
القرآن العظيم المشتمل على جلائل العلوم من غير تعلم وما طالعه عرف انه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا يفتقر الا الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط مشكلا عليه ثم ان الله تعالى آتاه علوم الاولين والآخرين
وما لم يصل اليه احد من العالمين فالجمع بينهما بين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل الضمير في يجدونه للذين يتبعونه من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا
نعته في التوراة اذ لا يمكن ان يتبعوه في شرايعه قبل بعثته الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل
فمن المحال ان يجدونه في الانجيل قبل انزال الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى و
الزكوة وآمن بالله لا الذي في زمن موسى واتبع نبي آخر الزمان في شرايعه وفي هذا دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والانجيل والا كان ذكر هذا

الكلام من اعظم الفواحش والمنفردات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب افتضاح حال المدعي فلا يرتكبه عاقل فلما اقتصر
على ذلك دل على انه في نفسه كان الامين الخامسة والسادسة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في آل عمران و
مجامع ذلك محصورة في قوله صلى الله عليه وآله التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا ظاهرا وبرهانا باهرا
على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل اي ما يستطاب طبعا لان تناول
ذلك يفيد اللذة وقيل يعني الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة التي حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات
وهو تكرار ويمكن ان يجاب بان المراد وبين لهم المحللات وفائدة العدول ان يعلم ان كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل في كل ما يستطيبه النفس ويستلذه
الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل معنى ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما
من المحرمات وقيل كل ما يستخبثه الطبع فالاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من
الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل لما في شرايعهم من الامور الشاقة كالقصاص
بتة من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا
لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب
الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة وفي الاية دلالة على ان
الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله عليه وآله بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع اكد الايمان
به بقوله والذين آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقروه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب
دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا لم يبق بينه وبين قوله ونصروه فرق كثير واتبعوا النور الذي
انزل معه وهو القرآن اي انزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن او يتعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا
القرآن كما اتبعه النبي مصاحبين له في اتباعه اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدارين اعلم انه سبحانه لما قال فسأكتبها للذين يتقون بين
ان من شرط نزول الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين للرسول النبي ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لهم
العيسوية اتباع عيسى الاصفهاني زعموا ان محمدا صلى الله عليه وآله رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان
يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم
بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله صلى الله عليه وآله رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن
المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم
عن الاصناف الثلثة انما حكم عليهم بهذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه
قال بعض الاكابر ان الاية وان دلت على انه مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع
من العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة
شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون ورد بان مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبان آدم بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان فكون
مبعوثا الى كل الناس وفيه ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية اخرى واحلت لي الغنائم ولم تحل
لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانه عرفت التكليف لا بواسطة
آدم بدليل ولا تقربا ثم انه لما امر رسول الله بان يقول للناس اني رسول الله اليكم اتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانها لا تتم الا بتقرير اصول
اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر او كان له مؤثر موجب
بالذات لا فاعل بالاختيار لم يكن القول ببعثة الرسول ومحل الذي نصب او رفع على المدح او جر بدلا او وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد و
ذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة احدهما اولى من عبادة الاخر وثالثها انه تعالى قادر على الخير والشر والبعث والحشر كما قال
يحيي ويميت وانما لم يوسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا منها مبينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول الثلثة ثبت اصل رابع وهو انه يصح من الله
تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما اذا كان
فردا منزها عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي واما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا له الى الجزاء
والى اللذة والجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه اجرا ممتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي فخص من الصفات المذكورة
ههنا على الامية لانها اجل الاوصاف وادلها على حقيته وذلك انه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب عنها
رسول الله صلى الله عليه وآله غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القرآن الذي اشتمل على علوم الاولين والاخرين فليس

ذلك الا بتأييد سماوي وفيض الهي ثم وصفه بقوله الّذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي صلى الله عليه وآله يجب ان يكون ممن آمن بالله وبكتبه وانما لم يقل
فآمنوا بالله وبي بعد قوله انّي رسول الله بل عدل الى الظاهر ليمكن ان يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم ان
الّذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الّذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة واحترازا
عن العصبية واعلم ان الكمالات اما نظرية واشار اليها بقوله فآمنوا واما عملية واليها الاشارة بقوله واتّبعوه والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة
من افعاله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلا بد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان
ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجي في لعلكم تهتدون قد مر في نظائره لا سيما في اول البقرة
في قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول وانه يجب على الخلق متابعته ذكر ان في قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى امّة يهدون بالحق
اي يهدون الناس بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون وهذه الامة متى حصلت وفي اي زمان كانت اختلف المفسرون في ذلك فقيل
هم اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن
كما اطلق على الواحد في قوله انّ ابرهيم كان امّة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل
في زمن تفرق بني اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز ان يكونوا قاموا على ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا في دينه ويجوز ان يكونوا هلكوا قبل ذلك
وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا
الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم
بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الآن بناء على ان خبر نبينا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع ان
خبر هذه الشريعة طار في كل افق وتغلغل في كل نفق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروي عن النبي ص ان جبرئيل ذهب به ليلة
الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد ص النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا
مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت والله اعلم التأويل واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذي اختاره الله كان مثل موسى وانا اخترتك والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين بسوء الادب
للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي ان قلب موسى ع لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا
بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب ارني انظر اليك فلم عزة الربوبية واظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية
اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة
فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى ع
ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنته واختباره لهم فقال ان
هي الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما
كتبت لمحمد ص فاكتبها يعني حسنة الرؤية والرحمة للذين يتقون بالله من غيره ويؤتون عن نصاب هذا المقام الزكوة الى طلابه والذين هم بانوار شواهد الآيات با
لتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى ان في امته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلثة
ومعنى الامي انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال ص اول ما خلق الله روحي وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فاما اتباعه في مقام الرسالة
فبان تأخذ منه ما آتاك وتنتهي عما نهاك كما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص
في الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة في الظاهر يفتح له ببركة ذلك احوال النبوة في الباطن فيصير
صاحب الاشارة والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية ثم يؤول حاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله
يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال صلى الله عليه وآله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتباعه في مقام امّيته فذلك لأخص
الخواص وذلك انه صلى الله عليه وآله يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحي نزل في مقام التوحيد وهو قاب قوسين
ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى او ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير ههنا بعده
من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة انزل في مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد
خطى من مقام امّيته مكتوبا عندهم بالحقيقة هو مكتوب عنده في مقعد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ما سواه
ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم اي العهد الذي بين الله وبين
حبيبه ان لا يوصل احد الى مقام امّيته الا امته واهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابرهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة واغلالا
يمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبي ص عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته واشار الى هذه المعاني بقوله فالذين آمنوا

من وفق الله الثابتة اشارة الى السفارة

فرزند محمد علي موسى ع السلام

بِهٖ وعزروه وقرروه باعتقاد اختصاص هذا المقام به دون سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذی نزل معه له ملك السموات

القلوب وارض النفوس لا یعد یرفیهما غیره یحیی قلب من یشاء من عباده بنور الوحدة ویمیت نفسه عن صفات البشریة وکلماته هی ما اوحی الیه لیلة المعراج

بلا واسطة ومن قوم موسی امة یهدون بالحق یعنی خواصهم الذین یرشدون الخلق بالکتاب المنزل بالحق علی موسی وبه یعدلون فی الحکم بین العوام

فشتان بین امة غایتهم القصوی هی هدایة الخلق وکان نبیهم محجوبا بحجاب الانانیة عند سؤال الرؤیة فاجیب بلن ترانی وبین امة امیة بلغوا بعد بات

انوار المتابعة الی مقام الوحدة حتی سموا امة امیین وفی الحقهم کنت له سمعا وبصرا ولسانا فبی یسمع وبی یبصر وبی ینطق فلهذا دعا موسی اللهم اجعلنی من امة محمد شوقا الی القاصرین فاتهم

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا

و پراکنده کردیم ایشان را دوازده فرقه گروهان و وحی فرستادیم بسوی موسی چون طلب آب کردند او را قوم او که بزن بعصای خود سنگ را پس روان شد از آن دوازده

عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا

چشمه بدرستی که دانست هر آدمی آب خور خود را و سایبان کردیم برایشان ابر را و فرو فرستادیم برایشان من و سلوی را که بخورید از پاکیزه‌های آنچه روزی کردیم شما را

ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ

و ستم نکردند ما را و لکن بودند که خود را ستم میکردند و چون گفته شد مر ایشان را که منزل گیرید درین ده و بخورید از آن هر جا که خواستید و بگوئید حطه و در روید در را

سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ

سجده کنان که بیامرزیم گناهان شما را در زود است که بیفزائیم نیکوکاران را پس تغییر دادند آنها که ستم کردند گفتار را بغیر از آن که گفته شد مر ایشان را پس فرستادیم برایشان عذاب از آسمان

بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ ع ١١

بجهت ظلم ایشان و سؤال کن ایشان را از آن دهی که بود در نزد دریا چون از حد در گذشتند در ماهی گرفتن در شنبه چون می‌آمدند ایشان را ماهیان ایشان در روز شنبه

شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ

بر آب آینده و آن روزی که شنبه نگرفتند نیامدندی ایشان را چنین بیازمائیم ایشان را بآنچه بودند تباه کاران و چون گفتند گروهی از ایشان که چرا پند دهید گروهی را که خدا

مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ

هلاک کننده ایشان است یا عذاب کننده ایشان را عذابی سخت گفتند از بهر عذر بر گرفتن بسوی پروردگار شما و شاید که ایشان بپرهیزند پس چون فراموش کردند آنچه را پند داده شدند برهانیدیم آنها را که

يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا

نهی کردند از بدی و فرا گرفتیم آنها را که ستم کردند بعذابی بد بجهت بودن ایشان تباه کاران پس چون سرکشیدند از آنچه نهی کرده شدند از آن گفتیم ایشان را

قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ

دور از رحمت خدا و چون اعلام کرد پروردگار تو که موکل گرداند بر ایشان تا روز قیامت آنرا که برنجاند ایشان را از بدی عذاب بدرستی که پروردگار تو زود عقوبت

وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ

و بدرستی که او آمرزنده مهربانست و متفرق کردیم ایشان را در زمین طائفه‌ها بعضی از ایشان نیکوکارانند و بعضی از ایشان غیر از این اند و آزمودیم ایشان را بحسنات و بدیها

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن

شاید که باز گردند پس بجای ایشان از پس ایشان جانشینی که بمیراث بردند کتاب را فرا میگیرند متاع این دنیا را و گویند که زود آمرزیده شود و اگر بیاید

يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ

بیاید ایشان را متاعی مانند آن فرا گیرند آیا گرفته نشد برایشان پیمان کتاب که نگویند بر خدای بجز حق و درس گویند آنچه درانست و خانه آخرت

خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ

بهتر است مر آنها را که بپرهیزند آیا پس درنمی‌یابید و آنان که دست آویزند بکتاب و بر پای دارند نماز را بدرستی که ضائع نکردانیم مزد اصلاح کنندگان را و چون برافراشتیم کوه را بر ایشان

كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ القراءة تغفر

گویا که آن سایبانست و گمان کردند که آن فرود آینده است بایشان بگیرید آنچه را که دادیم شما را بتوانائی و یاد کنید آنچه را که درانست شاید که شما بپرهیزید بالتاء الفوقانیة

مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ویعقوب والمفضل الباقون بالنون وکسر الفاء خطایاکم مجموعا جمع التکسیر ابو عمرو خطیئتکم بالرفع علی

الوحدة ابن عامر خطیئاتکم بالرفع مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ویعقوب والمفضل الباقون مثله ولکن بالنصب الذی یلیق بجمع السلامة ولا

یسبتون من الاسبات ابو زید عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئس مثل ریم ابو جعفر ونافع بیئس علی فیعل بفتح العین الاعشی

والبرجمی الباقون بئیس علی فعیل تاذن بالتاء ابن الاصفهانی عن ورش والشمونی وحمزة فی الوقف تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذکوان بیئس علی فیعل کسیئد ابن عامر

وسهل ویعقوب وحفص الباقون بیاء الغیبة یمسکون من الامساک ابو بکر وحماد والاخرون بالتشدید الوقوف امما ط وان تعقف الجملتان لان

اوحینا عامل اذ استسقیه دون قطعنا فان تفرق الاسباط لم یکن فی زمان الاستسقاء الحجر للحذف مع اتحاد الکلام ای فضرب فانبجست عینا ط والسلوی ط



ما رزقناكم طالمحذوف جمل اي قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وخطيئاتكم ط المحسنين يظلمون فقد احيا نفس الطالب يحبون
الذين جيوة نفس محييها و في معالجة عين قلبه وانف قلبه وسن قلبه معالجة هذه الاعضاء بزيل الادراك فمن بعد الاحيا فهو كفارة له فيما فرط
من احيا نفسه معالجة قلبه لحرفة عين لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتخليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق
البحر كيلا يبصر ما بعده ظرفا لقوله واسئلهم فانه محال لانه يثبتهم لاحتمال تعلق كك بيرى يوم لا يسبتون لا تاتيهم ايتانا كاتيانهم يوم السبت والاخوان
كك صفة مصدر محذوف اي بنلوهم بلاء كك فالوقف على كك جائز ايضا يفسقون قوما لا لا الجملة بعد صفة شديد يتقون يفسقون خاسئين
العذاب رحيم نصف البحر واما الاحتمال كون ما بعده صفة او مستانفا دون ذلك للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفة للام كان عطفا
مع عارض يرجعون سيغفر لنا ياخذوه طمافيه طيتقون تعقلون الصلوة على تقدير خبر اي لا نضيع اجوهم انا لا نضيع اذ هم المصلحون ولا
نضيع اجر المصلحين وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اي انا لا نضيع اجر المصلحين السبع الثالث واتقوا بهم لحق المحذوف تتقون
التفسير انه سبحانه ختم قصة بني اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة المكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من
بعض كيلا يتحاسدوا ويتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط نبت يعتلفه الابل فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز ما عدا العشرة الى التسعة والتسعين مفرد فهلا قيل
اثني عشر سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله بين رماحي مالك ونهشل ولهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج
الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي والجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة و
المميز كما قال الزجاج وقوله امما بدل من اثنتي عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد توم خلاف ما كانت توم الاخرى وباقي الاية الى قوله
بما كانوا يظلمون قد مر تفسيره في البقرة وكذا بيان المتشابهات ثم ذكر النوع الاخر من احوالهم قوله سبحانه واسئلهم عن القرية اي عن
اهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلوم للرسول صلعم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم ما كانوا قد قدموا عليه
عليه من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك ليس كفرهم بمحمد صلعم اول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا
وكذا ليعرف ذلك لغيره انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمهم به من لم يقرا كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا و
الاكثرون على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال اي واسئلهم عن وقت
عدوانهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل في غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية
حاضرة البحر وقت العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان وقوله اذ تاتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت و
هو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع وكل شيء دان من شيء فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اي دنت من المغيب
فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد ان اليهود امروا باليوم
الذي امر تم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقي القصة مذكورة في البقرة وفيها دلالة على
ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احوال الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى
لوجب ان لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خالق ابليس وسائر ابواب الشر والنوع الثالث
قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى ايسوا
الاخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شوم والمنهمك في الفساد لا يكاد
يفلح قالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه او موعظتنا او قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة
او وعظناهم معذرة الى ربكم اي اذا طولبنا باقامة النهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجوا ان يتقوا
بعض الاتقاء فيتركوا الصيد في السبت فلما نسوا يعني اهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراآت شديد من بؤس بأسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المتاخر في قوله فلما عتوا
تكبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن النهي عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد دام التكوين
والايجاد لان هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا
في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة
والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول
انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقع في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح

انهم ثلث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون اما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق واما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة فعن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول ليتني اعرف ما فعل بهؤلاء وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرأ هذه الآية بكى وقال ان هؤلاء الذين سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بان الله مهلكهم او معذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي ولعل الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس هؤلاء ولعلهم كانوا احرص الطائفتين ولعل الامة سألوا عن علة الوعظ سؤال المسترشدين لا سؤال المنكرين والله تعالى اعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكأنه يؤذن النفس بانه يفعله واجرى مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد ثم اختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على انهم نسلوا وقيل الى اصحاب تلك القرية فكأنه مسخ المعتدين والحق الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلعم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو اخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلعم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة وقيل الاستخفاف والاهانة وقيل القتل والقتال كما وقع في زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في يهود خيبر وبني قريظة والنضير واذ قد اخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح فمعناه انهم كانوا قبل خروجه يهودا ثم دانوا بالالهية فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال ظاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم في الارض امما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق او الذين وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وآله وآمنوا به ومنهم دون ذلك اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه فيجوز ان يكون فيهم بعض الصلاح وان كان ادون من صلاح الاولين الا ان قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة الباقية على الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على انه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات بالجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة النعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم خلف ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلف من اولئك الصلحاء خلف قال الجوهري الخلف القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال الاخفش وتقول منهم من خلف سوء من ابيه بالتسكين وخلف صدق من ابيه بالتحريك قال لبيد ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب والخلف الرديء من القول يقال سكت الفا ونطق خلفا اي سكت عن الف كلمة ثم تكلم بخطأ ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وفي الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير وتخسيس واراد بالدنو القرب لانه عاجل او دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في تحريف الاحكام والنعوت ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا وانهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي التورية ومحل ان لا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان للميثاق المذكور في التورية وهو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى او لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق ويجوز ان يكون لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم نقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على الم يؤخذ لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرأوا ما فيه اي انهم ذاكرون لما اخذ عليهم لانهم قد قرأوه ودرسوه والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال من ترك التمسك بالتورية اتبعها حال من تمسك اي اعتصم به فقال والذين يمسكون الآية والتشديد للتكثير وفي افراد اقامة الصلوة مع ان التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلوة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا قال ابو عبيدة اصل النتق قلع الشيء عن موضعه والرمي به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمي بالاولاد رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من اصله وجعلناه فوقهم كانه ظلة وهي كل ما اظلك من سقف او حائط وظنوا انه واقع بهم علموا او تيقنوا انه ساقط عليهم وقيل قوي في نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا وروي انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية فرفع الله الطور عليهم على رأسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا على ارادة القول اي قلنا لهم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه

المسترشدين لا سؤال ع

ذكروا

واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي او من التعريض للثواب والترابحة داما اتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه من الاباء التاويل لقرية الكائنة
حاضرة البحر هي قرية الجسد الحيوانية على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف منها كصفات الروح وصنف كصفات
النفس الامارة بالسوء وكل نهوا عن صيد حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله فلم يهتك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تاتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع فتهيج الدواعي في المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون اي بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج
عن امر الله لانها امارة بالسوء واذ قالت امة منهم صفات القلب او الصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات الشهوانية
او معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانا خلقنا هكذا امرين بالمعروف
ناهين عن المنكر فنقضي ما علينا ليعلم انا ما تغيرنا من اوصافنا الروحانية الملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون فتتصف بالمامورية والاطمينان فانها
قابلة لذلك بعذاب بئيس وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من
يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيمة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذل الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح
والقلوب في ارض الاجساد منهم الصالحون قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول وبلوناهم بالحسنات والسيئات وهي المعاصي لعلهم
يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان وقد وصلت او بلوناهم بالحسنات
ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها
كما كان حال آدم فخلف من بعدهم الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب و
هو ما الهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثت النفوس وجعلوها ذريعة العرض الدنياوية وتحصيل المال
والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة او سيغفر لنا اذا استغفرنا
وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب اذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان لو وكل الى الطبع ونفسه لا يقبل شيئا من الامور الدينية والتابعان على
القبول بامر ظاهر او باطن وفيه ان على رؤس اهل الطلب جبل امر الحق وهو امر التحويل فيحولهم بالقدرة الى ان يأخذوا ما اتيهم الله تعالى بقوة لا بقوتهم
وارادتهم وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ ع

وچون فرا گرفت پروردگار تو از فرزندان آدم از پشت ایشان فرزندان ایشانرا و گواه گرفت ایشانرا بر نفسهای ایشان آیا نیستم من پروردگار شما گفتند آری گواهیم تا که نگویند در روز

الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ

قیامت که ما بودیم ازین بیخبران یا بگویند که جز این نیست که شرک آوردند پدران ما از پیش و بودیم فرزندان از بعد ایشان آیا پس هلاک گردانی ما را بانچه کردند مبطلان

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ

و همچنین بیان میسازیم آیات را و شاید که ایشان باز گردند و بخوان بر ایشان خبر آنکه دادیم او را نشانهای خود پس بیرون آمد از آن پس در پی او افتاد شیطان

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ

پس گردید از جمله گمراهان و اگر میخواستیم هر آینه بالا بردیم او را بان و لیکن او جاوید شد در زمین و متابعت کرد هوای خود را پس مثل او چون مثل سگ است اگر حمله بری بر او

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ

زبان بیرون آرد یا واگذاری او را زبان بیرون آرد این است مثل آن گروه که تکذیب کردند بآیات ما پس بیان کن حکایتها را باشد که ایشان اندیشه کنند بد است مانند آن گروه که

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَلَقَدْ

تکذیب کردند بآیات ما و تنهای خود را بودند که ستم کردند هر کرا که هدایت کند خدا پس او است راه یافته و هر کرا گمراه کند پس آن گروه ایشانند زیانکاران و هر آینه بتحقیق که

ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا

آفریدیم از برای جهنم بسیاری از پریان و آدمیان که مر ایشانراست دلهائی که نفهمند بان و مر ایشانراست چشمها که نمی بینند بان و مر ایشانراست گوشها که نشنوند بان

أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ

آن گروه چون چهارپایانند بلکه ایشان گمراه ترند آن گروه ایشانند غافلان و مر خدا راست نامهای نیکو پس بخوانید او را بان و واگذارید آنهائی را که میل میکنند در نامهای او زود باشد که جزا داده شوند

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي ع

بانچه بودند که میکردند و از آنکه آفریدیم گروهی است که راه مینمایند بحق و بان عدل میکنند و آنان که تکذیب کردند بآیات ما زود باشد که نزدیک گردانیم ایشانرا از جائی که نمیدانند و مهلت میدهم مر ایشانرا بدرستیکه کید من

مَتِينٌ القراءة ذريتهم على التوحيد حمزة وخلف وابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة في الحرفين ابو عمرو يلهث
ذلك بالاظهار حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون والنقاش عن ابي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون
بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرأنا مظهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همزة ابو عمرو ويزيد

الاعشى اذ ذاك نا بعينه هم ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون بالهمز الوقوف انفسهم لان التقدير وقال
الست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم فصلا بين السؤال والجواب بلى لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فيتوقف على شهدنا ويتعلق ان بمحذوف
اى فعلنا ذلك لئلا يقولوا او يصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اى قيل للملائكة اشهدوا فقالوا اشهدنا فيكون منفصلا من جملة
ومتصلا بان يقولوا غافلين للعطف من بعدهم لابتداء الاستفهام وانحاء القائل المبطلون يرجعون الغاوين ه موبقة لان قوله فمثله مثل ولكن الفاء
فيه حرف كمثل الكلب لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير المثل او تتركه يلهث لطم بآياتنا يتفكرون ه يظلمون ه المهتدى ج للعطف لان التفصيل من الجملة
ابلغ فى التنبيه الخاسرون ه والانس والوصل اولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها ج لان العطف صحيح ولكن الوقف لامهال
فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظ لهم فى اول كل جملة لا يسمعون بها ط اضل ط الغافلون ه فادعوه بها ص لعطف المتفقين فى اسمائه يعملون
يعدلون ه لا يعلمون ه وعطف املى على سنستدرجهم احسن من جعله مستانفا فتوقف على املى لهم متين ه التفسير لما شرح قصة موسى على اقصى الوجوه
ذكر ما يجرى مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفى الآية للمفسرين قولان احدهما ما روى مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول
الله صلعم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره
فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلعم ان الله اذا خلق العبد
للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل
النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبى وابن عباس
اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الآية بانه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة
فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فى عقولهم من
دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته وكانه قررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا
بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع فى كلام الله ورسوله وفى كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقال الشاعر امتلاء الحوض وقال قطنى وهذا القول الثانى غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فى نفسه انما الكلام فى صحة القول الاول
والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بنى آدم وعلى هذا
فلم يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهر آدم شيئا ويمكن ان يجاب بانه تعالى علم ان الشخص الفلانى يتولد من آدم ومن فلان فلان آخر فعلى الترتيب الذى
علم دخولهم فى الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فيثبت اخراج الذرية من ظهور بنى آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير
اليهما معا صونا للآية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا
تلك الحالة فى هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وذلك انا اذ كنا فى ابدان اخرى وبقينا فيها سنين
ودهورا امتنع فى مجرى العادة نسيانها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل فى اسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان ومنها ان جميع الخلق من اولاد
آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحيوة والعقل والفهم فكل واحد من اولئك
الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما فى الحجمية والمقدار واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا فى الحيوة والعقل
الجائز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم فى ذلك الوقت وفى الدنيا والاجماع منعقد
على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف على
الذر واجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا ارادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة
فى تمييز السعداء من الاشقياء وفى اخذ الميثاق لطف قيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيمة ومنها انه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون اولئك الذر ناسا احياء فى كون الانسان مخلوقا من الماء والطين
والجواب لم لا يجوز ان يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرة من الماء ثم منها ذرة اخرى وهلم جرا الى آخر نسلها ثم يعدم الكل ثم يعيدها فيحصل الحيوة
للانسان اربع مرات اولها وقت الميثاق وثانيها فى الدنيا وثالثها فى القبر ورابعها فى القيمة ويحصل له الموت ثلث مرات بين كل حيوتين
واحد ولا ينافى هذا حكاية قول الكفرة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم اما قوله ان تقولوا فالتقدير
واشهدهم على انفسهم بكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة
وهو قوله بنى آدم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى فى الكلام خطاب هو قوله الست بربكم
وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون فى المعنى ويقولوا يعنى الكفار انما اشرك آباؤنا لان آباءنا اشركوا فقلدناهم فى ذلك الشرك فكان الذنب لاسلافنا
فعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة
معناه اشهدناهم كراهة ان يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر [illegible] الاعراض عنه

والاقبال

والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء وقال في الكشاف المراد ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بآبائهم لان الآيات السابقة في شأن اليهود وكذلك قوله واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اما قوله وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل نفصلها او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الآية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب هو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها فربما يتذكر بالتذكير واتل عليهم على بني آدم او اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعوراء وذلك ان موسى ع قصد بلده الذي هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى ع وبنو اسرائيل في التيه فقال موسى يا رب باي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى ع ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء هذه قصته ويقال ايضا انه كان نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى ع انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله ابن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت في امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الوقت فرجا ان يكون هو فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي ص وهو الذي قال فيه النبي ص ولقد كان يسلم وذلك انه يوحد الله تعالى في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض واحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب الذي سماه النبي ص بالفاسق وكان يترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار واتى قيصر واستنجده على النبي صلى الله عليه وآله فمات هناك طريدا وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ص عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هو رجل اعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكانت له محبة فقالت اجعل لي منها دعوة قال لك واحدة فما ذا تأمرين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيئا آخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وبها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وابي مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه ادلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انه انسلخ منه وقال ابو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها اي بيناها فلم يقبل وعري منها وتباعد كما هو شأن كل كافر لم يؤمن بالادلة واقام على الكفر والقول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان الشيء مقصودا فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا وايضا ثبت بالاخبار ان الآية نزلت في انسان كان عارفا بدين ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اي ادركه ولحقه وصار قرينا له او اتبعه الشيطان خطواته او كفار الانس وغواتهم اي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى او فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار بها اي بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه قيل لزم الميل الى الارض ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض وسائر امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه انه اعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه اخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى لا جرم اقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائي معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بان نخترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فابى ان يستمر على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره وقال صاحب الكشاف معناه ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله وارذلها في هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين ويجوز ان يكون تفسيرا للمثل كما مر قال الليث هو ان الكلب يخرج اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شيء يلهث فانه يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه

دعا بالاسم الاعظم

يلهث في جميع احواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعة الخبيثة فمعنى الاية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث ايضا لاجل ان ذلك
الفعل القبيح طبيعة اصلية له عن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره
وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو الكلب واخس الكلاب هو واعلم ان التمثيل
اللاهث فان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما تكون لاجل انه يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه فيها
ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته
شبيهة بحالة ذلك الكلب الذي اخرج لسانه ابدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيثة وايضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم
تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال والخسة عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم بالتمثيل جميع
المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم
الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرءوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القران المعجز وما
فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص الذي هو قصص المكذبين او قصص بلعم الذي
هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته ثم ذكر تاكيدا اخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا
بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز المخصوص بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب
بعده وظاهر الاية يقتضي كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم انما يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم
بايات الله واعراضهم عنها حتى صاروا في ذلك بمنزلة الكلب اللاهث اما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل
في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم
المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتدي
وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى
لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم الذم ولا يخفى ان ظاهر الاية موافق لمعتقد الاشاعرة
ان الهداية والضلال بل جميع الاعمال بخلق الله تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلله عن
طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهده الله فقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف
وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه من سوء اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان تؤثر فيه فهو الخاسر ورد بالعلم
والداعي وبان الاصل عدم الاضمار وبان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالاية بعدها وهي قوله
ولقد ذرانا الى اخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل وخلاف مقدره ومعلومه محال وايضا العاقل لا
يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب
لا محالة لا يقال العبد انما سعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا
الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الايات الدالة على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة
والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى اخره ولو كانوا
مخلوقين للنار وغير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار لان منافع الدنيا باسرها لا اعتداد بها في جنب
العذاب الدائم لكن القران مملوء من انه تعالى منعم على جميع الخلائق وايضا مذهبكم يوجب ان لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب
والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة في ان يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم ايضا الاية متروكة
الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد فيها الا اذا قدر ولقد ذرانا هم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون لان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا وجب تاويل الاية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
او يؤل انه جعلهم لاعراقهم في الكفر وشدة شكايمهم كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان عريقا في بعض الامور واجيب
اجمالا بانه لا يسئل عما يفعل وتفصيلا بان النعمة وان قلت فهي في نفسها نعمة وبان الوسائط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة مجوز لا يصار اليه
الا لضرورة في تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعي والنقلية كايات كثيرة على ان الكل من الله فوجب
المصير الى طرف الجبر ولا سيما ان ما قبل هذه الاية وهو قوله من يهد الله فهو المهتدي وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
يدل على ما قلنا وايضا الاية تدل على ان اولئك الكفار كانت لهم قلوب يفهمون بها مصالح الدنيا وكذا اعين مبصرة واذان سامعة فالمراد انهم ما كانوا
يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار بلغوا في عداوة الرسول
صلى الله عليه وسلم وشدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يمكنهم والعلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار الانسان


٧٠هو



بل هو حالة حاصلة في القلب كره الانسان او اراد وح يثبت القول بالجبر وقد روى الشيخ احمد البيهقي في كتاب مناقب الشافعي ان علي بن ابي طالب عليه السلام خطب الناس فقال واعجب ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء ولهه الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اشتد له الرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلب فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وقد ذكر الامام الغزالي في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني اجد من نفسي اني ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري اجبنا وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا انا نقول وهل تجد من نفسك انك ان شئت ان تشاء شيئا شئت وان شئت ان لا تشاء لم تشا ما اظنك تقول ذلك والا لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فالمشيئة بدون الاختيار وفعلك بعد حصول مشيئتك بدون الاختيار فانت مضطر في صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على ان محل الفقه هو القلب واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان يشاركه سائر الحيوانات في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة وفي احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للانسان صار في درجة الانعام بل اضل وادون لان الذي اعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع كان اخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع فقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر ابدا الى اربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن الذكر واقبل على الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا انفتح على قلبه باب الذكر خلص من نيران الآفات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلثة مواضع اخرى في بني اسرائيل وفي طه وفي اواخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها اسماء دالة على معاني الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت في تفسير البسملة ان اسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمه في مخلوقاته اكثر كان علمه باسماء الله الحسنى اكثر ولان نقول ان من تقسيمات اسماء الله ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله انواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان اسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها في حق الله مغايرا لمعناها في حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد يقيد القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثاني مثل يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها ان بعض من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع ومنها ان بعض اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم دوام العالم بدوامه والثاني هو المعني بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا في درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين ان الاسماء الحسنى لا يكون الا لله تعالى لان كل اسم فيه الشرف والجلال لا يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف في انه هل يطلق عليه اسم الشيء ام لا وقد مر تحقيق ذلك في تفسير البسملة وفي الانعام في قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اما قوله فادعوه بها ففيه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون مستحضرا لامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما انه في قوله عند التحريم الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون في اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد في الدين ولحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر قال الواحدي الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى ملحد والالحاد في اسماء الله تعالى يقع على ثلثة اوجه الاول اطلاق اسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من

واكبر من ان نقوله اكبر من هذه الاشياء م

المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمي نفسه بالرحمن والثاني ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع عن البدو قالوا بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه بالهجي بناء على ان النحوه مدح الثالث ان يا بوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء انه ورد الاذن في بعض الاسما لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا في خواص الانبياء لا يجوز ان يقال ان آدم عاص او غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين في اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم اخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الآية في قصة موسى فعن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد في الآية امة محمد صلى الله عليه وآله وروى الربيع ان النبي صلعم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي صلعم قرأ هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من هذا الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم عاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك انهم كلما اقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم ياخذهم اغفل ما يكونون وأملي لهم اطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسئلة القضاء والقدر قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا اخر وحملها المعتزلة على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا او في الآخرة ونحن نقول هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعاية الاصلح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه والقاه في ورطة التكليف وامهله ومكنه من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار قال ولقد ذرأنا لجهنم الآية التاويل واذ اخذ ربك لم يقل ربكم لان في الآية غموضا لا يطلع عليه غيره صلعم وغير من انعم به عليه من خواص متابعيه وانه تعالى لم يكلم احدا وهو بعد في العدم الا بني آدم كلمهم وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون فجرى ما جرى بالجود لا بالوجود فهذا بداياتهم والى هذا ينتهي نهاياتهم بان يكون الله تعالى سمعهم وابصارهم والسنتهم انما اشرك اباؤنا بان رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين ابطلوا استعداد الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها اي وقع في ورطة العلية عن ذوق طلب الحق ومحبته فادركته همزة الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم ان المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب ان لا يامن مكر الله فلا يفتح على نفسه ابواب الشره والنهمة ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا هم مظاهر القهر فادعوه بها بان يتصفوا بصفاته بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات لم يتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بما سوى الله تعالى والذين كذبوا بآياتنا بان لم يوافق اقوالهم افعالهم سنستدرجهم فينحطون عن مراتبهم بالتدريج والله اعلم ○

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ

آیا اندیشه نکردند که نیست در رفیق ایشان از دیوانگی نیست او مگر ترساننده ظاهر آیا نمی‌نگرند در حقیقت آسمانها و زمین و آنچه آفرید

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ

خدا از چیزها و اینکه شاید بود که نزدیک رسیده باشد اجل ایشان پس بچه حدیث بعد از آن ایمان آرند هرکرا گمراه کرد خدا پس نیست راهنمایی مر او را و

يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ

وا گذارد ایشان را در گمراهی ایشان کور دلان سؤال کنند ترا از قیامت که کی است برپا شدن آن بگو که دانش آن نزد پروردگار من است ظاهر نسازد آن را بوقت آن مگر او

ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

سنگین است در آسمانها و زمین در نمی‌رسد شما را مگر ناگهان سؤال کنند گویا که تو آگاهی از آن بگو که جز این نیست علم آن در نزد خداست ولکن بیشتر مردمان

لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

نمیدانند بگو که ندارم من برای خود سود و نه زیان مگر آنچه خواهد خدا و اگر بودمی میدانستم غیب را هرآینه بسیار میکردم از خیر و نمیرسید مرا

السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ع

بدی نیستم من مگر ترساننده و مژده دهنده مر گروهی را که ایمان می‌آرند اوست آنکه آفرید شما را از یک نفس و گردانید از آن جفت او تا آرام گیرد بسوی آن

فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

پس چون مباشرت کرد او را برداشت بار سبک پس گذشت بآن پس چون سنگین شد خواندند خدا پروردگار شان را اگر بدهی ما را فرزند صالح هرآینه میباشیم از سپاس گذاران

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ

پس چون داد ایشان را فرزند صالح قرار دادند مر او را شریکان در آنچه داد ایشان را پس برتر است خدا از آنچه شریک قرار میدهند آیا شریک قرار میدهند آنچه را که نمی‌آفریند چیزی را و ایشان

للنار خلقناهم بعضاً منهم مخلوقون



يُخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم

آفریده شوند و توانا نیستند از برای ایشان یاری را و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانی ایشان را بسوی راستی متابعت نکنند شما را یکسانست بر شما چه بخوانید ایشان را یا شما

صامتون إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل

خاموشان باشید بدرستی که آنهائی را که بخوانید از غیر خدا بنده گانند مانند شما پس بخوانید ایشان را پس باید جواب دهند شما را اگر هستید راستگویان آیا مر ایشان راست پاها

يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا

که راه روند بآنها آیا برای ایشانست دستها که عطا کنند بآنها آیا مر ایشان راست چشمها که ببینند بآنها آیا مر ایشان راست گوشها که بشنوند بآن بگو که بخوانید انبازان خود را پس کید سازید پس

تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون

زمان کنید مرا بدرستی که صاحب من آنخدائیست که فرو فرستاد کتاب را و او دوست دارد نیکوکاران را و آنانکه میخوانید از غیر او توانا نیستند

نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون

یاری شما را و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانید آنها را بسوی راستی نشنوند و بینی که بنگرند بسوی تو و ایشان نبینند

القراءة فبأي بتليين الهمزة حيث كان الأصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ويذرهم بالياء مرفوعاً أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباد والمفضل ويذرهم بالياء مجزوماً عباس وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون مرفوعاً إن أنا الا بالمد أبو نشيط شركاً بكسر الشين وسكون الراء أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد الآخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففاً نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس الآخرون بالضم للاتباع كيدون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد وإسمعيل والحلواني عن هشام في الوصل تنظرون بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل إن وليي الله بياء واحدة مشددة أبو زيد عن المفضل وشجاع وعباس إذا قرأ بالإدغام الكبير وليي بثلث ياءات رويس والبرجمي الباقون بيائين أولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة. الوقوف من جنة ط مبين ه من شيء لا لأن التقدير وفي أن عسى أجلهم ط لا يبتدأ بالاستفهام مع الفاء يؤمنون ه هادي له ط لمن قرأ ويذرهم بالرفع على الاستئناف ومن جزم فلا وقف لأنه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون ه مرسيها ط عند ربي ج لاختلاف الجملتين لا هو ط والأرض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ه ما شاء الله ط من الخير ج لاحتمال أن يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفاً على جواب لو واحتمال أن يفسر بالجنون الذي نسبوا إليه فيكون ابتداء نفي يؤمنون ه إليها ج لأجل الفاء فمرت به ج لذلك الشاكرين ه فيما آتيهما ج لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون ه وهم يخلقون ه والوصل أولى للعطف ينصرون ه لا يتبعوكم ط صامتون ه صادقين ه يمشون بها لأن أم عاطفة مع أنها في معنى ابتداء استفهام للإنكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط تنظرون ه الكتاب ز والوصل أولى لتكون الواو عاطفة الصالحين ه ينصرون ه لا يسمعوا ط لا يبصرون ه. التفسير إنه تعالى لما بالغ في تهديد الملحدين المعرضين عن آياته الغافلين عن التأمل في بيناته عاد إلى الجواب عن شبهاتهم فقال أولم يتفكروا واعلم أن الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هي تقليب الحدقة إلى جهة المرئي كذلك البصيرة وهي المسماة بالعلم واليقين متعينة بالوضوح والإنارة ولها مقدمة هي تقليب حدقة القلب إلى الجوانب طلباً لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكره وفي اللفظ محذوف والتقدير أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهي حالة من الجنون كالجلسة كان جهال أهل مكة ينسبونه إلى الجنون لوجهين أحدهما أنه صلعم كان يغشاه حالة عجيبة عند الوحي شبيهة بالغشي فتتغير في جهته يتغير لونه والثاني أن فعله وهو الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة والدعاء إلى الله تعم كان مخالفاً لفعلهم عن الحسن وقتادة أن النبي صلعم قام ليلاً على الصفا يدعو فخذاً فخذاً من قريش يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون واظب على الصياح فأمرهم الله تعم بالتفكر والتدبر في أمره وذلك أنه صلعم كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القاطعة بألفاظ فصيحة عجز الأولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الأخلاق طيب العشرة مرضي السيرة مواظباً على أعمال حسنة صار بسببها قدوة العقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الإنسان لا يمكن وصفه بالجنون وإنما هو نذير مبين أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر في أمر النبوة مفرعاً على دلائل التوحيد قال أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض أي في مدلولاتهما والملكوت الملك العظيم وفي عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فإنما للعقل إليه سبيل وقد مر في هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والأرض على وجود الصانع ولا سيما في سورة البقرة عند قوله إن في خلق السموات والأرض ثم قال وما خلق الله من شيء أي مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس غير محصورة والغرض التنبيه على أن الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والأرض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لأنها مختصة بحيز معين من الأحياز غير المتناهية وبقدر معين من الأقدار وبوضع معين من الأوضاع وكذا الكلام في لونها وشكلها وطبعها وسائر صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء إلى واجب واحد في ذاته وفي جميع اعتباراته وأن عسى هي مخففة من الثقيلة والأصل أنه عسى على أن الضمير للشأن وفي أن يكون ضمير الشأن أيضاً والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم الموت أو القيامة وإذا كان الأحد منهم



الاحتمال البتة فانما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما قوله فبأي حديث بعده يؤمنون فمتعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ولا دلالة في اطلاق لفظ الحديث على حدوث الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل الله قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام في المعاد فقال يسئلونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها كما يقال للحبشي ابو البيضاء او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق وايان استفهام عن الزمان ويختص بالامور العظام نحو ايان مرسيها وايان يوم الدين ولا يقال ايان نمت وكسر همزته لغة سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه من اي فعلان منه واي فعل من اويت اليه لان البعض يأوي الى الكل وانكر ان يكون اشتقاقه من اين لانه للزمان واين للمكان ولقلة فعال في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسي اصله اي اوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقي ايوان فادغم بعد القلب وقيل اصله اي آن بمعنى اي حين فخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون باي ورد بانه لا يستعمل الا بلام التعريف ولم يسمع بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وارست السفينة ولا اثقل من الساعة على الخلائق قل انما علمها اي علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند ربي قد استأثر به لم يخبر احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى وقت الموت لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها اي للخبر عن وقتها قبل مجيئها احد الا هو والحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت في السموات والارض قال الحسن اي ثقل مجيئها على اهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتشار النجوم وعلى اهل الارض لان في ذلك اليوم فناؤهم وهلاكهم او ثقل هذا اليوم على الخلائق بما فيه من الشدائد والاهوال او ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم اي اشكل واشتبه حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا فجاءة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفس محمد بيده ليقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى يحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسئلونك للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله كأنك حفي عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها ولهذا خص باسم الله في قوله قل انما علمها عند الله لان اعظم اسماء الله مهابة هو الله واما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفي الحفي وجوه فقيل انه البار اللطيف وعن بمعنى الباء اي كأنك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدي والضمير عائد الى قريش التي ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى ان يخبرهم بالساعة والمعنى انك لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم ولو اخبرت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبلغا للقريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسئلونك اي يسئلونك عنها كأنك حفي اي عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام او لانه معلوم وقيل عنها متعلق بحفي وحفي فعيل من حفي فلان بالمسئلة اي استقصى والمعنى كأنك بليغ في السؤال عنها لان من اكثر السؤال علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفى في المسئلة اذا الحف وقيل المراد كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان القيامة حق وانما يقولون ان هي الا حياتنا الدنيا او لا يعلمون السبب الذي لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم امر نبيه باظهار ذل العبودية حتى لا ينسب اليه نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضر فوجب ان لا يحصلا الا بمشية الله تعالى واجابت المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا قدر ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه وظاهر الآية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتري فتربح وبالارض التي تريد ان تجدب فترتحل عنها الى ما قد اخصبت فانزل الله هذه الآية فالمراد بالخير في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والاكساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذاك لكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاء في الطريق ريح ففرت منها الدواب فاخبر بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا

يعرف ابن ناقتي فقال صلى الله عليه وآله ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت
اما قوله وما مسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير
ان انا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شأني ان اعلم الغيب قوله لقوم يؤمنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير
وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالوصفين جميعا الا ان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر
كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظ الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد
معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة
لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير
على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم
قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد
وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء
قال مجاهد كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذلك
قوله فلما آتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعني آدم وحوا له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد زيفها النقاد لوجوه منها انه تعالى
قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا الى اخر الآيات وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام
ولو كان المراد ابليس لكان ايشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان آدم ع كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاقت عليه الاسماء ام كيف لم
يعرف ان اسم ابليس كان حارثا ام كيف لم يتنبه لعداوة ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه اراد بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستلزم
محذورا لان اسماء الاعلام لا يفيد في المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك
ذكر العلماء في تاويله وجوها احدها ان هذا مثل فكانه تعالى يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها
انسانا يساويه في الانسانية ليسكن اي تلك النفس فذكر بعد ما انث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان الذكر
احسن طباقا للمعنى فلما تغشاها اي جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او
على راس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر او على الدابة فمرت به اي استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير ازلاق وقيل فقامت وقعدت به من
غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما اثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها
دعوا اي الزوج والزوجة الله ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه او ولدا
ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركا فعلى حذف
المضاف اي ذوي شرك وهم الشركاء ايضا والمراد احدثا لله اشراكا في الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبائع وتارة الى الكواكب وتارة
الى الاوثان والاصنام وثانيها ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي والمعنى هو الذي خلقكم من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار	العزى وعبد
والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وثالثها سلمنا ان الآية وردت في قصة آدم الا انه لم لا يجوز ان يكون قوله
جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون
بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان آدم ع كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل بوجوه
كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت في حق فلان كذا او
احسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة انه بريء من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلني بالشر والاساءة انه بريء عن ذلك فغرضه
من قوله انه يقابلني بالشر النفي والتبعيد او نقول لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا له على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركاء وكذا فيما
آتاهما اي اتى اولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين او نوعين ذكرا وانثى وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا
ان الضمير في جعلا وفي آتاهما لآدم وحوا الا انهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به في مصالح
الدنيا فاريد بالشرك هذا فلهذا قال تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين او نقول انهما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما	العبد ويطلق مجازا
انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم ومنه قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد ذما	عليه عبد المنعم
معاتبين بذلك والله تعالى اعلم ثم اقام الحجة على ان الاوثان لا تصلح للالهية فقال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر
اللفظ اولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واحتج الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال
فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون

وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم نزغ من الشيطان و
إلمامٌ بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف اى تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من
المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد في نفسه كونه قادرا وفي المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات الاجسام فيغتر بظواهر
الامور اما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما اقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه
تلك الحالة في الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها فيفتر غضبه كما قال صلعم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب وايضا انه كما اسا
في العمل فقد تجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه منه اذا امضى الغضب كان شريكا للسباع الموذية واذا اختار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء
مستاهلا للثواب الجزيل وانه ربما انقلب لضعيف قويا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد
من قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات اما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت والضمير المرفوع في يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال او الى الشياطين
الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم اى يكونون مددا لهم في الغي ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا قال الواحدي عامة ما جاء في التنزيل مما يحمد
ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وامددناهم بفاكهة اتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجيء على مددت قال ويمدهم في
طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الغي الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم اما قوله ثم لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشيء
قال ابن عباس اي لا يمسك الغاوي عن الضلال والمغوي عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على العاقل اذا اقبل
على غيه ان يمسك عنه سريعا الا ان يتمادى فيه ويتهالك ولهذا قيل الرجوع الى الحق اولى من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال
وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ وذلك انهم كانوا يطلبون ايات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ
يَنْبُوعًا ثم انه ربما كان ياتيهم بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها اي اجتبى بمعنى جبى لنفسه اي جمع وجبى اليه فاجتباه اي اخذه والمعنى هلا
افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر او المراد هلا اخذتها او فترحتها على
الهك ومعبودك ان كنت صادقا في ان الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك عند هذا امر رسوله ان يذكر في الجواب انما اتبع ما يوحى الي من ربي
ولست بمفتعل الايات او لست بمقترح لها ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران على
وفق دعواه معجزة باهرة قاصرة كافية في تصحيح النبوة فكان [illegible] لزيادة من التعنت فقال هذا يعني القران بصائر اطلاقا لاسم المسبب وذلك
ان فيها حججا بينة تفيد للقلوب بصيرة وكشفا وهدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر لاصحاب
عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجمع لقوم يؤمنون ولما عظم شان القران بتلك الاوصاف
علم المكلفين ادبا حسنا في بابه فقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه
ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القران في صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن واهل الظاهر وعن ابي هريرة كانوا يتكلمون في
الصلوة فنزلت وقال قتادة كان الرجل ياتي وهم في الصلوة فيسئلهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلوة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة
في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روي عن ابن عباس ان الرسول
الله صلعم قرا في الصلوة المكتوبة وقرا اصحابه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار
وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بان اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القران في الخطبة نفسها او على الخطبة بناء على انها
قرانا لاشتمالها عليه واجيب بان كلمة اذا لا يفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول
الدار مرة اخرى وبدليل ان الشافعي اوجب على الماموم ان يقرا الفاتحة ورد بان الماموم انما يقرا الفاتحة في حال سكتة الامام كما قال
ابو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة فيهما شئت يعني سكتة بين التكبير الى ان يقرا واخرى بين القراءة الى ان يركع واعترض بان سكوت
الامام واجب ام لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز ان لا يسكت وح يلزم ان يحصل قراءة الماموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك
الاستماع وايضا فهذا السكوت ليس له حد محدود والماموين مختلفون ببطوء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن الماموم من اتمام قراءة الفاتحة في مقدار
سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وايضا الامام في هذا السكوت يصير كالتابع للماموم وذلك غير جائز قال الواحدي الانصات هو
ترك الجهر عند العرب وان كان يقرا في نفسه اذا لم يسمع احدا واورد عليه ان غاية توجيهه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان
حصول الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل والانصات ان الاستماع على تقدير الانصات اي المفسر
ممكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القران بخبر الواحد وذلك
ههنا قوله صلى الله عليه وآله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب ذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعي انه لا يجوز للماموم قراءة الفاتحة

فيكون الخبر جاريا على من هو له [illegible] تمّ

مع قراءته ممنوع فان الاستماع [illegible] تمّ

في الصلوة

في الصلوة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة في الصلوات السرية لان الاية لا دلالة لها على هذه الحالة وفي الاية
تفسير آخر وهو ان الخطاب في الاية مع الكفار وذلك ان كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبي اذا
قرأ عليهم القرآن عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا على مراتبه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات
ومما يؤكد هذا التفسير قوله في آخر الاية لعلكم ترحمون والترجي انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة في
قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه ثم امر نبيه
وامته بتبعيته بالذكر العام قرآنا كان او غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القرآن كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك وفي
الاية قيود الاول تخصيص اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء والثاني ذكر الرب
في النفس ليكون ادخل في الاخلاص وابعد عن الرياء وقيل ذكره في النفس هو ان يكون عارفا بمعاني الاسماء التي يذكرها بلسانه وقال بعض المتكلمين الذكر
النفساني هو الكلام النفسي التي يثبته الاشاعرة الثالث والرابع قوله تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف للعقاب اما خوف تم
وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا واما خوف الخاتمة فلخوف
السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو
ان يذكر ربه على وجه يسمع نفسه انما اخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتأثر من الذكر القلبي فيوجب قوة في النفس ولا يزال يتزايد في ذلك
الى ان يجري الذكر على لسانه بل يسري في جميع اعضائه وجوارحه واركانه سريانا معتدلا خاليا عن التكلف بريا من التعسف السادس قوله بالغدو
والآصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما يقال دنا الصباح اي وقته وقيل انه جمع غدوة واما الآصال فانها جمع الاصيل وهو
الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدئ في الشرع من اول الليل فسمي آخر النهار اصيلا لكونه
ملاصقا لما هو الاصل في اليوم الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندها ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت الى اليقظة
التي هي كالحيوة والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية والآصال الامر بالضد وهذان النوعان
من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب ان يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والخضوع ويمكن
ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر القلبي يجب ان
يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبرياءه بحسب الطاقة البشرية ليتنور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية
فيضاهي سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى العندية الشرف والقرب من عنايته والطافه لا يستكبرون
عن عبادته فيعرضون عنها كذلك ويسبحونه يبرئونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون يخصونه بغاية الخضوع
والاستكانة وهذا يعود الى اعمال الجوارح وفي هذا الترتيب دليل على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال
الجوارح والمقصود من الاية ان الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد والحسد
يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولى بان يداوم على
ذكر معبوده ويجذب بما امكن الى العالم العقلي ومقره الاصلي ويتصفى مرآة قلبه عن صدإ الهواجس ويتنقش بالحقائق القدسية والمعارف
الحقيقية والله ولي التوفيق التأويل وأمر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين وأعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله
من الشيطان نزغ في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم ارباب القلوب فان التقوى من شأن القلب
كما قال التقوى ههنا واشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطاني يراه القلب بنور التقوى ويعرف فيدركه انه يفسده
ويكدر صفاه فيجتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تأتهم اي لم تأت القلوب باية من الله لتمنع النفوس عن
تمكنها بهاتي لولا أي النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصية قلبيتك لتزكية النفوس قال انما اتبع الهام الحق فلا اقدر على تزكية النفوس
الا بقوة الالهام الرباني فاستمعوا باذانكم الظاهرة وانصتوا بالسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاسماع بالسمع الحقيقي وذلك قوله كنت له
سمعا وبصرا فبي يسمع فمن سمع القرآن من باريه فقد سمع من قاريه وهذا سر الرحمن علم القرآن فهو المستعد لخطاب واذكر ربك في نفسك
بان تبدل اخلاقها باخلاق الله تضرعا في البداية وهو من باب التكلف وخيفة في الوسط ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفناء
فان انشاء سر الربوبية كفر في غدو الازل وآصال الابد فان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني اذكركم
ومن هنا قال يوسف بن الحسين الرازي ما قال احد الله الا الله ولا تكن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند
ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا اخلاقهم في اخلاقه ويسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون
في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبدأ واليه المنتهى الله حسبي

سورة الانفال مدنية الا سبع آيات من قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون حروفها ٥٢٩٤ كلماتها ١٢٣١ آياتها خمس وسبعون



بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خداوند بخشنده مهربان

يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم
سوال كنند ترا از حال غنيمتها بگو كه غنيمتها از براى خدا و پيغمبر است پس پرهيزيد خدا را و باصلاح آريد كار ميان خود را و فرمان بريد خدا و رسول وى را اگر باشيد
مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون
گروندگان جز اين نيست كه مؤمنان آنهايند كه چون ياد كرده شود خدا بترسد دلهاى ايشان و چون خوانده شود بر ايشان آيات او بيفزايند در ايمان و بر پروردگار ايشان توكل كنند
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة
آنان كه بر پا دارند نماز را و از آنچه روزى كرديم ايشان را مى‌دهند آن گروه ايشانند مؤمنان براستى مر ايشان راست پايها در نزد پروردگار ايشان و آمرزش
ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق
و روزى فراوان چنانچه بيرون آورد ترا پروردگارت از خانه ات بحق و بدرستى كه طائفه از مؤمنان هر آينه ناخوش دارند خصومت كنند ترا در حق
بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
پس از آنكه ظاهر شد گويا كه رانده شوند بسوى مرگ و ايشان مى‌نگرند و چون وعده داد شما را خدا يكى از دو طائفه را كه آن از براى شماست و دوست داشتيد
ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل
كه صاحبان سلاح نباشند بوده باشد از براى شما مى‌خواهد خدا كه ثابت كند حق را بسخنان خود و ببرد دنباله كافران را تا پايدار سازد حق را و برطرف كند
الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله
باطل و هرچند ناخوش داشته باشند گناهكاران چون فرياد خواستيد پروردگار را پس مستجاب گردانيد براى شما كه من يارى كننده شما هستم بهزار از فرشتگان از پى هم آيندگان و نگردانيد آن را خدا
الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم
مگر مژدگانى و تا آرام گيرد بدان دلهاى شما و نيست يارى مگر از نزد خدا بدرستى كه خدا غالب و درست كردار

القراءات مردفين بفتح الدال ابو جعفر وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون بالكسر. الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم ص مؤمنين يتوكلون لاحتمال جعل الذين مبتدأ والاصل ان يكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بخصائص الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ه لما يجيء في التفسير بالحق لطول الكلام لكارهون لا ينظرون ه الكافرين لا المجرمون ج لاحتمال كون ان متعلقا بمحذوف وهو اذكر وبقوله ويحق مردفين قلوبكم لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله ط حكيم ه التفسير روى عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم وقالت الشيوخ لا تستاثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردءا لكم فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم احدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة على العسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم قالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما انتم باحق به منا نحن احدقنا برسول الله لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن اخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الاية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية وعن سعد بن ابي وقاص لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض اي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه الان قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الانفال وهي الاموال الماخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم وصلوة التطوع نافلة لانها زيادة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سال والضمير في يسئلونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على انهم سالوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سالوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الاية دلت على انها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسالوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء اي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن ابي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث

يشاء وعن مجاهد ان الانفال الخمس الذى جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سئلوا عن الخمس فنزلت الاية ثم امر بالشروع فى الجواب
فقال قل الانفال لله والرسول اى حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر فى
قسمتها مفوضا الى راى احد قال مجاهد وعكرمة والسدى انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الاية وضعف بان جعل اربعة اخماسها ملكا
للغانمين لا ينافى كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة
فقال فاتقوا الله اى عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اى التى هى بينكم
من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال واقعة فى البين قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة فى الصدور
ثم ختم الاية بقوله ان كنتم مؤمنين اى كاملى الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين
فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من اليم عقابه وقد تطمئن القلب بعد ذلك
اذا تذكر كمال رافته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم لمعصية فيقال له اتق الله فيفزع
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان يكون على احد ثلثة انحاء الاول بقوة الدليل بكثرته فان كل دليل فهو مركب
لا محالة من مقدمات ولا شك ان النفوس مختلفة فى الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات
اكثر وادوم كان علمه بالنتيجة اكمل واتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه اتم ممن لا يجد على المطلوب سوى دليل واحد ولذا يورد
العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل وفى كل شئ له اية تدل على انه واحد الثانى بتعدد التصديق وتجدده فان المعلوم
ان من صدق انسانا فى شيئين كان تصديقه ازيد من تصديق من صدق فى شئ واحد فمعنى الاية انهم كلما سمعوا اية متجددة اتوا
باقرار جديد الثالث ان يكون الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبغى عند ظاهر الاية لانه ذكر الامور الخمسة ثم قال اولئك
هم المؤمنون فدل ذلك على ان كل الخصال داخلة فى مسمى الايمان ويؤيده ما رواه ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلثة
فبسبب التفاوت فى العمل يظهر التفاوت فى الايمان وان لم يكن التفاوت فى الاقرار والاعتقاد متصورا اما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد
الحصر اى لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد للتكاليف
والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهى الخشية والتسليم والتوكل شرع فى وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها راسها
وسنامها وهما الصلوة والصدقة ثم عظمهم بقوله اولئك هم المؤمنون حقا وفى اولئك وفى توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من
المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اى ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبركم بذلك اخبارا حقا وقيل
انه منوط بما بعده اى حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا فى انه هل يجوز
لان التصديق والاقرار كلاهما محققوا والثانى مذهب اصحاب الشافعى واجابوا عن الاية بانه لا نزاع فى ان الموصوف بالصفات المذكورة
مؤمن حقا انما النزاع فى ان القائل انا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات جزما ام لا واما حديث الشك فمبنى على ان الايمان عبارة عن الاركان
الثلثة ولا ريب ان كون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك فى احد اجزاء الماهية يوجب الشك فى حصول تلك الماهية فاذن
النزاع لفظى على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب لعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله
وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وانه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن ان رجلا سئله اموم انت قال الايمان ايمانان
فان كنت تسئلنى عن الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسئلنى عن قوله
انما المؤمنون فوالله لا ادرى امنهم انا ام لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا
ويحكى عن ابى حنيفة انه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك فقال اتباعا لابرهيم فى قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى فقال هلا اقتديت
به فى قوله اولم تؤمن قال بلى قيل وكان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن قلبى وفيه ما فيه ثم اخبر عن مال حالهم فقال لهم درجات عند ربهم
اى سعادات روحانية متفاوتة فى الصعود والارتفاع ولكن استغراق كل واحد فى سعادته الخاصة به يمنعه عن التألم من حال من فوقه كما قال
سبحانه ونزعنا ما فى صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكريم اسم جامع
لكل ما يحمد ويستحسن فى بابه نقله الواحدى عن اهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود فى كل ما يحتاج اليه والقران كريم لانه يوجد فيه بيان
كل شئ وقال انى القى الى كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال
بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق فى معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما اخرجك يقتضى تشبيه شئ بهذا الاخراج وذكروا فيه
وجوها الاول ان المشبه مبتدأ محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى ان حالهم فى كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم
فى كراهة خروجك للحرب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما راى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا

قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة فى الصدور قيل لها ذات الصدور

تنبيها على ان كمال الايمان

وترغيبا لهم في القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو اعطيت هؤلاء ما سميته بقي خلق كثير بغير شيء فنزلت الانفال
لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفي انفس بعضهم شيء من الكراهة الثاني ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر الفعل
المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي ثبت الحكم واستقر بان الانفال له وان كرهوا ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك الى القتال وان كرهوا تخصيص
هذا المشبه به بالذكر من بين سائر احكام الله ان القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به كونه اقوى في وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل
التقدير هو انهم الحكم بكونهم مؤمنين حقا كما ان حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائي الكاف متعلق بما بعده وهو
قوله يجادلونك والتقدير كما اخرجك ربك من بيتك على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته
صلى الله عليه وآله بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق اي اخراجا ملتبسا
بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهة بعضهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز
ان يكون الجملة بدلا او خبرا بعد خبر روي ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وآله لن تفلحوا بعدها ابدا
وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت
من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم
النفير على ما قيل في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله
لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بخروجنا وان محمدا لم يصب العير
فمضى بهم الى بدر ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وآله اصحابه وقال ما تقولون
ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رد
عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب
النبي صلى الله عليه وآله ابو بكر وعمر فاحسنا الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك احد من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول
الله صلى الله عليه وآله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا
وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وآله يتخوف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على
عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل
الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وآله وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله
قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وارجع الى التفسير قوله في الحق اي في تلقي النفير بعد ما تبين اي بعد
اعلام النبي صلى الله عليه وآله بانهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون
الى الموت المتيقن لمشاهدة اسبابه من قلة العدد والعدد وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تتمنون ان يكون لكم
العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة
في محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة واسر الكفرة وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اي يستأصلهم والدابر الاخر يعني
انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق
بمحذوف اي لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متاخرا ليفيد معنى الاختصاص اي ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق
وابطال الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل في ذاته وما ثبت للشيء لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا
المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بتقوية رؤساء الباطل فان قيل اليس في الكلام تكرار قلنا لا
اذ المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثاني اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل ان الاول جزئي
اي انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثاني كلي يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التي تحصل في ضمنها اعلاء كلمة الله
ووضع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وتكوينه ولا يمكن ان يقال

المراد

المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقيل هذه الواقعة وبعد ها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالاية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان الكلام في الحق ينصرف الى المعهود السابق اى في هذه القضية فلم قلتم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون اى الكافرون او المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفى موضع اخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر ان رسول الله نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعوا اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك بالدعا ربك فانه سينجز لك ما وعدك وروى انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله يده بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة بقول الواقع فى بلية اغثنى اى فرج عنى فاستجاب لكم انى اى بانى ممدكم بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها من ردفته اياه اذا اتبعته متعد يا الى مفعولين او من ردفته اذا اتبعته اى جئت بعده متعد يا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم او مجعولين بعضهم تابعا لبعض او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او للملائكة اخرى ومعنى الثانى تابعين بعضهم للبعض او للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرئيل فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على بن ابى طالب فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابى جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروى ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد فى اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابى داود المازنى تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف فى اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة فى تفسير سورة ال عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الاية وقد مر هنالك وقد بقى علينا ان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون فى قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم واخر به فى ال عمران ازدواجا بين الخطابين ثم ان قصة بدر على قصة احد فقيل فى الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعل فى ال عمران صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم التاويل كثرة السؤال توجب الملال ولما سئلوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال واصلحوا ما بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية واطيعوا الله ورسوله بالتسليم والايثار زادتهم ايمانا بحسب تزايد الانوار كما اخرجك ربك فيه انه اخرج المؤمن الحقيقى عن اوصاف البشرية الى مقام العبدية بجذبات العناية كما اخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلى صفات الجمال والجلال وان فريقا هم القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلى فان البقاء محبوب عند كل ذى وجود يجادلونك اى الروح والقلب فى مجى الحق بعد ما تبين بجذبة كانهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت واذ يعدكم الله ايها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهى النفوس واما غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اى اردتم ان لا تجاهد وا اعداء النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحليتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير قسمان سير السالكين على اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى جنات الروحانية وسير المجذوبين على اجنحة عنقاء الجذبات الى ورا قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرئيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين او ادنى فكان مكانه المشاهدة فمن العناية ان لا يكل الله السائر الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اى بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعنى استغاثة الروح والقلب من النفس عند الله استيلاء صفاتها بالف من الملائكة هم الصفات الملكية والروحانية الابشرية لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلى صفة القهارية ان الله عزيز لا يوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم فى كل ما يفعل بمن يفعل والله اعلم

ع اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم

جون فرا گرفت شمارا پینگی ایمنی از قبل او و میفرستد برشما از آسمان آب را تا پاک کند شمارا بان و ببرد از شما پلیدی شیطان را و تا به بندد بر دلهای شما

ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا

و پایدار کند بان قدمهارا چون وحی میفرستاد پروردگار تو بسوی فرشتگان که من با شمایم پس ثابت دارید انهارا که گرویدند زود باشد که بیفگنم در دلهای آنان که کافر شدند

الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله

ترس را پس بزنید بالای گردنها و بزنید از ایشان هر دست و پائی را این بجهت آنست که ایشان خصومت کردند خدارا و رسول او را و هر که نزاع کند خدارا و رسول او را

وقيل فقاتلت

وحكى ههنا ازدواجا بين الغاشيين صح

فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَاَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ

پس بدرستی که خدا سخت عقوبت است این است پس بچشید آنرا و بدرستی مر کافرانرا است عذاب آتش ای زمره انسانی که گرویده اید چون دیدید انبار آنکه

كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْاَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ اِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ اَوْ مُتَحَيِّزًا اِلٰى فِئَةٍ فَقَدْ

کافر شدند پاینده پس مگردانید بایشان پشتها را و هر که بگرداند در آن روز پشت خود را مگر گردیده از بهر کارزار یا جای گزیده بسوی طائفه پس بدرستی

بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَمَاْوٰيهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ

بازگشته بخشمی از خدا و منزلش دوزخ است و بد جایگاهیست پس کارزار نکردید ایشانرا ولکن کارزار کرد خدا و نیفکندی وقتی که افکندی

وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا اِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذٰلِكُمْ وَاَنَّ اللّٰهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ اِنْ

ولکن خدا افکند و تا بیازماید مومنانرا از او آزمایش نیکو بدرستی که خدا شنونده داناست این است و خدا ضعیف کننده کید کافرانست اگر

تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَاِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَاِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَاَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

طلب گشایش کنید پس بتحقیق آمد شما را گشایش و اگر باز ایستید پس آن بهتر است شما را و اگر باز گردید باز گردیم و هرگز بی‌نیاز نکند از شما طائفه شما چیزی اگرچه زیاد باشد و بدرستی که خدا با گروه مومنانست

القراءة يغشاكم النعاس ابن كثير وابو عمرو ويغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من التفعيل وينزل من الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو الاخرون بالتشديد بدءا الا ما له حمزه وعلى وخلف ويحيى موهن من الافعال كيد بالنصب ابن عامر وحمزه وعلى وخلف عاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر الوقوف الاقدام لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين امنوا ط كل بنان ورسوله الاول العقاب النار الادبار جهنم ط المصير قتلهم ج لعطف المتفقتين مع لاحتمال ان يكون الواو مقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال ان يكون عاطفة على ولكن الله رمى او على محذوف اي للتسبيه وليبلى حسنا ط عليم ط الكافرين الفتح للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير لكم ج لذلك نعد ج كثرت ط لمن قرا وان بالكسر المؤمنين التفسير قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكروا امنة مفعول لاجله ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس وكذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا لمعنى نعستم كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شرط انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنكم او يغشيكم النعاس فتنعسون امنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا امنه وجوز ان ينتصب الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على ان المراد انه انامكم في الوقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشيكم على طريقة التمثيل وقد والتخييل من فوائد هذا النعاس في سورة ال عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوائد احدها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاولى عام وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الاية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ اصحاب رسول الله الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد واشار اليها بقوله ويثبت به اي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم اي قواها ثبتت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما وقع فيها من اليقين روي ان المطر نزل على الكافرين ايضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله ويثبت به الاقدام يدل بمفهومه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم او منصوب بيثبت او باذكر اني معكم الخطاب للملائكة والمراد اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة لقوله فثبتوا الذين امنوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انه مفسر لقوله سالقي فاضربوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب على قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما يقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال فالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين و

وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال عن معارفهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح
لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حز الرأس من الجسد وقيل اراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك
لان بها صلاح احوال الانسان التي يريد ان يقيم بها من ابن بالمكان اى اقام به والمراد في الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم
من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤا لان ما فوق العنق هو الرأس وهو اشرف الاعضاء والبنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس
تنبيها على كل الاعضاء او بوجه اخر الضرب اما واقع على مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع
البنان عبارة عن افناء الالات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة
ما يثبتونهم به اى قولوا لهم قول سالقي او يكون واردا على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سالقي فالضاربون
على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان
الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء يسير وقد رز في جنب ما اعد الله لهم ولامثالهم في الاجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب اى له والكاف في ذلك للرسول او لكل من له اهلية الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره
ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر او العذاب ذلكم او النصب اى الزموه فذوقوه او هو كقولك زيدا فاضربه قال في الكشاف وان للكافرين عطف
على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع
ضمير الخطاب تنكيت ويجوز ان يكون مبتداء محذوف الخبر اى وان للكافرين عذاب النار حق او بالعكس اى والحكم والشان ان للكافرين
وفي ذكر الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شيء قليل بالنسبة الى عذاب الاخرة قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا قال الازهري اصل الزحف هو ان يزحف الصبي على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين يتمشى كل فئة مشيا رويدا
الى الفئة الاخرى بتدانى للضراب فانتصابه على الحال من الفريقين اى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا
والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم
قليل فلا تفروا فضلا عن حالة المداناة والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اى اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا
ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم او هو تقدمة نهي عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر
الفا في قوله ومن يولهم يومئذ دبره امارة عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه
منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا الى فئة متحازا الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا
انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من اعم العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام نفي ظاهرا هو انه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقدم
او لا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال التحرف او التحيز ويجوز ان يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن
يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لانه من حاز يحوز فعل به ما فعل بايام ولو كان متفعلا لقيل متحوزا عن ابن عمر خرجت
سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله صلعم نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم
والعكر الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من غير هاتين الصورتين من اكبر الكبائر واحتج القاضي بالاية على القطع بوعيد الفساق من اهل
الصلوة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلعم
كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصر ولانه كان اول جهاد فناسب التشديد ولهذا منع من اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام في
جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال اكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وكان
القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بسلبهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه
هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلعم هذه قريش قد
جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبرئيل عم فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى
الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت
اذ رميت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول صلعم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها فوق حد تاثير القوى
قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلعم تلك الحصاة فانهزمنا
وعن سعيد بن المسيب عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي صلعم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فامرهم رسول الله صلعم فخلوا سبيله
فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار ورأى رسول الله صلعم ترقوة ابي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط ابي
من فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اعجزك انما هو خدش فقال والذي
نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين فمات ابي الى النار قبل ان يقدم فانزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن

او عن مقتلهم

او النصب والتقدير عليكم ذلكم

البشرية

الله رمى وقيل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن ابي الحقيق وهو على فراشه والصحيح
هو الاول كيلا يدخل في اثناء القصة كلام اجنبي نعم لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقايع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل ما فعله الا لذلك قال القاضي ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى البلاء ههنا النعمة والا لا
لكان يحتمل المحنة اي الذي فعله ثم يوم بدر كان كالسبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم
وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض اي الغرض لكم وان الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله
وان للكافرين عذاب النار قال ابن عباس ينبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني قد اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم
قال السدي والكلبي والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا والتجاوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين
واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة
قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل انه خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اي عن
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع للمؤمنين اي ان
تكفوا عن المنازعة في امر القتال او عن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا الى المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم الاية بقوله وان الله
مع المؤمنين وتقديره على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك التاويل اذ يغشيكم النعاس امنة منه فيه تغليب الحال الى ضده
بامر التكوين كما قال للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان وينزل عليكم من سماء الروح
ماء الالهام الرباني ليطهركم به من درن الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط على قلوبكم
بالصدق والاخلاص والجد والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب اني معكم فثبتوا فيه ان التثبيت من الله لا من غيره
وكان القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا
فلا تنهزموا فيقعوا عن صراط الطلب الا متحرفا لا قلبا يتحرف ليهيئوا اسباب القتال مع النفس او راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها
اولا وولاية الشيخ والى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم نفي القتل عن
الصحابة بالكلية واحاله الى نفسه فقال ولكن لم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدرة
وكان يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيي الموتى وليبلي المؤمنين منه فيجتهدوا في متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام
ان تستفتحوا اي تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح التجلي فانه تعالى متجل في ذاته ازلا
وابدا وانما التغير في احوال الخلق فهم عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح ابوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو
خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكلكم الى انفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم لا يقوم شيء من الدنيا
والاخرة وما فيهما مقام شيء مما اعد لاهل الله وخاصته يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون
ای زمره کسانی که ایمان آورده اید اطاعت کنید خدا و رسول او را و برمگردید از او و شما میشنوید
ع۲ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم
و مباشید چون کسانی که گفتند شنیدیم و ایشان نشنیده اند بدرستی که بدترین جنبندگان در نزد خدا کران و گنگانند انانکه در نمی کنند و اگر میدانست خدا در ایشان
خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا
خوبی هر آینه میشنوانید ایشان را و اگر میشنوانید هر آینه برگشتند و روگردانند ای زمره انانکه گرویده اید پاسخ دهید مر خدا و مر پیغمبر را وقتی که خواند شما را بانچه زنده کند شما را و بدانید که
ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله
بدرستی که خدا حایل است در میان مرد و دل او و انکه بسوی او باز گردید و بپرهیزید از بلائی را که نمی رسد ان خاصه کسانی که ستم کردند از شما تنها و بدانید که خدا
شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره
سخت عقوبت است و یاد کنید خدا را چون بودید شما کم ناتوانان در زمین میترسیدید که در ربایند شما را مردمان پس جای داد شما را و قوت داد شما را بیاری خود
ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون
و روزی کرد شما را از پاکیزها تا بود که شما سپاس گذارید ای زمره انانکه گرویده اید خیانت مکنید خدا و رسول را و خیانت مکنید امانتهای خویش را و شما میدانید
ع۳ واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا ان
و بدانید که جز این نیست که مالهای شما و فرزندان شما از مایش است و بدرستی که خدا در نزد او است مزدی بزرگ ای زمره انانکه گرویده اید اگر
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك
بپرهیزید خدا را بگرداند از برای شما جدائی و بپوشاند از شما گناهان شما را و بیامرزد شما را و خدا صاحب زیادتی بزرگ است و چون مکر کنند بتو

الذين

البزي وابن فليح الوقوف م

الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ القراءات ولا تولوا
آنان كه كافر شدند تا ثابت گردانند ترا يا بكشند ترا يا بيرون كنند ترا و مكر ميكنند ايشان و مكر كند خدا و خدا بهترين مكر كنندگانست بالادغام فتمعوا
للآية والعطف لا يسمعون لا يعقلون لاسمعهم ط معرضون لما يحييكم ج لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف تحشرون خاصة ج لما مر العقاب تشكرون تعلمون
فتنة لا للعطف عظيم ويغفر لكم ط العظيم او يخرجوك ط ويمكر الله ط الماكرين التفسير انه سبحانه بعد ذكر نحو من قصة بدر والغنائم ادب المؤمنين احسن
تاديب فامرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه و
عن قبول قوله وعن معونته في الجهاد ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون
لم يبين انهم ماذا يسمعون لانه يعلم من مساق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد وانتم تسمعوا الامر المذكور او
وانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان
الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم اكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب اي
ان شر من يدب على الارض او ان شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا انه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو
شبح وجسد والثاني مذكور في معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجعلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله
اي في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل هم بنو عبد
الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا
باحد وكانوا اصحاب اللواء وروي انهم سألوا النبي ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا
وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد
والتعنت وانه لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله تعالى على اربعة اقسام جملة
الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا
فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخران الباقيان علم بالمقدر ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير
الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الآية انها على صورة قياس شرطي
فاذا حذف الحد الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيكون التولي
منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول
الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهيم والزام القبول والمراد بالاسماع
الثاني صورة الاسماع فحسب وايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالآية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر
انهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف لو علم الله فيهم خيرا اي انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا
المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا سماع م
وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين ادبا اخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة و
الامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابي هريرة ان النبي صلعم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وقد يتمسك الفقهاء بهذا الخبر
على ان ظاهر الامر للوجوب والا فلم توجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص برسول الله صلعم وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله
للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الآية لا يمكن ان يحمل على نفس الحيوة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان
لان الايمان حيوة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت اي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القرآن لان فيه العلم الذي هو
الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لانه وهن احد العدوين سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة الدائمة لقوله
بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة
كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلاف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدي عن
ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من اسعده الله والشقي من اضله الله والقلوب بيد الله
يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصود والدواعي والعقائد حسب ما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الآية بقوله
وانه اليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين خلقوا اما مثابين واما معاقبين اما للجنة واما للنار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله

بينه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وانه تعالى امر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم يكن الاجابة ممكنة فكيف
يامر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القران حجة للكفار على الرسول لا له عليهم فاذن لا يمكن حمل الاية على ما قاله اهل الجبر فتاويلها
ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه اي وان الشان او الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة
قبل نزول سلطان الموت او انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه وتسمية الشيء باسم محله فكانه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا
على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل او المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف و
الجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان
ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل و
المعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تامنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن
ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وانه قريب من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان
يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت
لا تطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة
ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية او لاشتمال ذلك على نوع من الصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن للبيان
كانه قيل احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم لان الفتنة نهيت عن ذلك لا للاختصاص على طريق الاستعارة
وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول اي اتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط
عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها
وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روي ان الزبير كان يسامر النبي ص يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله ص
كيف حبك لعلي ع فقال يا رسول الله ص بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الاية بقوله
واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به
اي وقت انكم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم اعداء
لكم فاويكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
اي نقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء لا لاجل ان تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة في الانفال
ثم منعهم من الخيانة في الامانة يروى ان رسول الله ص حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله ص الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه
ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فشد نفسه على سارية من
سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال ص يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون من النبي ص شيئا فيفشونه
ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن
جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فعلم النبي ص خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا
حذركم فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة بخروج النبي ص اليها حكاه الاصم قال القاضي والاقرب
انها في الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطيته وخيانة الرسول لانه القيم بقسمتها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال و
يحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الاية ايجاب اداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص
واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب
وخان المشتار السبب لان الكرب حبل قصير يوصل بالرشا ويكون على العراقي سمي كربا لانه يكرب من الدلو اي يقرب منه والمشتار العسل
اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الاية على الوجه العام لا
تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله او تعلمون
انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الى الخيانة هو



الاموال والاولاد ولعل ما فرط من ابی لبابة كان بسبب ذلك فنبه الله سبحانه على انه يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب
فقال إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ اى انها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم والعذاب او هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده
فى ذلك الباب وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فعليكم ان تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتنوطوا هممكم بما يفضى الى السعادات الروحانية
الباقية ويمكن ان يتمسك بالاية فى بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله وهو افضل من الاشتغال بالنكاح
لادائه الى الفتنة ثم رغب فى التقوى التى يوجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد عن النهالك فى شانهم فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ
فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغاير يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح
الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وساير الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار
على اهل الاديان كلهم وفى احوال الاخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ يستر عليكم فى الدنيا
صغاير كم ان فرطت منكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ فى دار الجزاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فاذا وعد بشئ وفى به احسن الايفاء ومن عظيم فضله انه يتفضل بذاته
من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه
من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمله على ذلك رقة طبع او عصبية او لا فلا فضل فى الحقيقة الا لله سبحانه
فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم وفيما اتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم فان ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين
ان قريشا اجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت
مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا باس عليكم به فقال ابو البخترى من بنى عبد الدار
رايى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس
الراى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال بئس الراى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه
ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق
هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راى ابى جهل مجمعين على قتله فاخبر جبرئيل رسول الله وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن الله له فى الهجرة فامر
عليا فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا
عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك وليسجنوك لانه لا يقدر على الحركة
وهو اشارة الى راى البخترى وقوله او يقتلوك اشارة الى راى ابى جهل وقوله او يخرجوك من مكة اشارة الى راى هشام وانكر القاضى حديث
ابليس فى القصة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك التغيير ان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس
على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاغواء والتلبيس هذا ما حكى عن القاضى ويتوجه عليه ان هذا الاعتراض وارد على خالق ابليس نفسه
على خلق سائر اسباب الشرور والاثام وقد اجبنا عن امثال ذلك مرارا فقد عرفت تفسير المكر فى سورة ال عمران والحاصل انهم احتالوا فى ابطال امر
محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فيكف قبل لا خير فى مكرهم فكيف قال وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ واجيب بان المراد انه اقوى الماكرين او المراد لو قدر
فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره اكثر او المراد انه فى نفسه خير لا انه ازيد بل انه شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب القبول البكم
عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لا بد ان يكون ابكم فلذلك خصا بالذكر الذين لا يعقلون انهم لماذا خلقوا فلا جرم تحول حالهم من ان
يكونوا خير البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله انه تعالى يطلب المحبة من العبد الاجابة كما يطلب العبد المحتاج منه الاجابة فالاستجابة لله
اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهد واجابة الخفى للفناء فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم
بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا ايها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيبن النفوس الظلمة فقط بل تصيب ظلمتها
الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجتذبها من حظائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس واعلموا ان الله شديد العقاب
يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ ايها الارواح والقلوب قليل لم يتشابعكم لكمال الصفات
والاخلاق الروحانية مُسْتَضْعَفُونَ من غلبات صفات النفس لاعواز التربية بالبان اداب الطريقة ولانعدام جريان احكام الشريعة
عليهم الى اوان البلوغ تَخَافُونَ ان تخافون ان تسلبكم النفوس وصفاتها والشيطان واعوانه فآواكم الى حظائر القدس وَأَيَّدَكُمْ بالواردات
الربانية ورزقكم من المواهب الظاهرة من لوث الحدوث يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يعنى الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستسعدة
بسعادات العرفان لَا تَخُونُوا اللَّهَ فيما آتيكم من المواهب فتجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا وَلَا تخونوا الى الرسول بترك السنة والقيام
بالبدعة وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ التى هى محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى

ذکرہ ام

نفعل الله فهو اعانة للكفار على المكر وان كان ...

بالاولى فتنة بحيث كرامته بها للتمييز الموافق والصديق من الزنديق يا ايها الذين آمنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا يفيض عليكم من سجال جماله وجلاله القديم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجود كم الفاني ويغفر لكم بستر كم بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك ايها الروح في اسفل سافلين الطبيعة او يقتلوك بانعدام آثارك او يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين يصلح حال اهل الصلاح البتة

وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا قَالُوْا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَآ اِنْ هٰذَآ اِلَّآ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ وَاِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ
وچون خوانده شود بر ایشان آیات ما گویند که شنیدیم ما اگر بخواهیم هر آینه بگوئیم مانند این نیست این مگر افسانهای پیشینیان وچون گفتند خداوندا

اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
اگر بوده باشد این آن حق از نزد تو پس بباران بر ما سنگ از آسمان یا بیار بر ما عذابی دردناک ونباشد خدا که عذاب کند ایشان را

وَاَنْتَ فِيْهِمْ وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَ وَمَا لَهُمْ اَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ وَهُمْ يَصُدُّوْنَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وحال آنکه تو در میان ایشانی ونباشد خدا عذاب کننده ایشان و ایشان استغفار کنند وچیست ایشان را که عذاب نکند خدا ایشان را و ایشان باز میدارند از مسجد الحرام

وَمَا كَانُوْٓا اَوْلِيَآءَهٗ اِنْ اَوْلِيَآؤُهٗٓ اِلَّا الْمُتَّقُوْنَ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ اِلَّا مُكَآءً وَّتَصْدِيَةً
ونباشند دوستان او نیست دوستان او مگر پرهیزکاران ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند ونباشد نماز ایشان در نزد خانه مگر شکوه زدن و دست بر هم زدن

فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ فَسَيُنْفِقُوْنَهَا
پس بچشید عذاب را بانچه بودید که کافر میشدید بدرستیکه آنانکه کافر شدند بدهند مالهای خود را که باز دارند از راه خدا پس خرج کنند آنرا

ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُوْنَ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِلٰى جَهَنَّمَ يُحْشَرُوْنَ لِيَمِيْزَ اللّٰهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ
پس بوده باشد بر ایشان پشیمانی پس مغلوب شوند وآنانکه کافر شدند بسوی جهنم گرد آورده شوند تا جدا کند خدا پلید را از پاک و

يَجْعَلَ الْخَبِيْثَ بَعْضَهٗ عَلٰى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهٗ جَمِيْعًا فَيَجْعَلَهٗ فِيْ جَهَنَّمَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ قُلْ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا ع ١٩
قرار دهد پلید را بعض او را بر بعضی پس بر روی هم نهد او را همه پس بیفکند او را در جهنم آن گروه ایشانند زیانکاران بگو مر آنانرا که کافر شدند

اِنْ يَّنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَاِنْ يَّعُوْدُوْا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْاَوَّلِيْنَ وَقَاتِلُوْهُمْ حَتّٰى لَا تَكُوْنَ
اگر دست کشند بخشیده شود آنچه را که کرده اند واگر باز گردند پس بتحقیق گذشت طریقه پیشینیان وکارزار کنید با ایشان تا نباشد

فِتْنَةٌ وَّيَكُوْنَ الدِّيْنُ كُلُّهٗ لِلّٰهِ فَاِنِ انْتَهَوْا فَاِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰىكُمْ نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ
فتنه و باشد دین همه آن از برای خدا پس اگر باز ایستادند پس بدرستیکه خدا بانچه میکنند بیناست واگر برگردند پس بدانید که خدا کارساز شماست خوب کارسازی و خوب

النَّصِيْرُ القراءة بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب الوقوف مثل هذا لا لان الابتداء بان هذا الا اساطير الاولين قبيح الاولين لا اليم وانت فيهم ط يستغفرون وما كانوا اولياءه ط لا يعلمون وتصدية ط تكفرون عن سبيل الله ط يغلبون ط لان ما بعده مبتدا يحشرون لا لتعلق اللام في جهنم ط الخاسرون سلف ج لابتداء الشرط مع العطف الاولين كله لله بصير مولىكم ط النصير الجزء العاشر التفسير لما حكى مكرهم في ذات محمد صلى الله عليه واله حكى مكرهم في دينه روى ان النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرا عليهم ويقول هذا مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن امثاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة ويروى عن النضر وعن ابي جهل على ما في الصحيحين ان احدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الآية وهذا اسلوب من العناد بليغ جدا لان قوله هو الحق بالفصل وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب اي ان كان القرآن هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بنوع آخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفي كونه حقا فلذلك علق بحقيته العذاب كما لو علق بامر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم بعذاب الاستيصال والنبي بين اظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشان النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم اي لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا ان المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك قتل اهل فلان وانما قتله واحد منهم او اثنان وقيل وصفوا بصفة اولادهم والمعنى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفي علم الله انه يكون لهم اولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفي علم الله ان فيهم من يؤول امره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن آمن يوم الفتح وقبله وبعده وفي الآية دلالة على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم امانان نبي الله

والاستغفار اما النبي فقد مضى واما الاستغفار فهو باق الى يوم القيمة ثم بين انه معذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال وما لهم الا يعذبهم الله واى
شئ لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة ثم قيل لحقهم هذا العذاب الموعود به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل
قوله وهم يصدون اى كيف يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس هذا العذاب عذاب الآخرة والذى نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت
والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا
عن مشرك ولكن اكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب
سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق
تفعلة من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل فيكون فى الاصل معتل اللام او من صد يصد مضاعفا اى صاح فقلبت الدال الاخيرة
ياء كالتقضى فى التقضض وانكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهرى وابو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سئلت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن
المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل بعض اصابع اليمين وبعض اصابع الشمال فى الفم ثم يصفر به وقيل تصويت تشبه صوت
المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة فهم مشبكون بين اصابعهم فيها يصفرون ويصفقون فالمكاء والتصدية
على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيه ان من كان المكاء والتصدية صلوته فلا صلوة له كقول العرب
ما لفلان عيب الا السخاء اى من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف والصلوة عند
المسجد الحرام يستهزؤن به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلوة لهم كقولك زرت الامير فجعل جفائى صلتى اى اقام الجفاء
مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر او عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون بسبب
كفركم وافعالكم التى لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار فى الطاعات البدنية اتبعها شرح احوالهم فى الطاعات المالية
فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الآية قال مقاتل والكلبى نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا ابو جهل بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وابو البخترى بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابى بن خلف وزمعة بن
اسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن
ابزى نزلت فى ابى سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وانفق عليهم
اربعين اوقية اثنان واربعون مثقالا كذا فى الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيبت قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة و
رجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل وسفيان بن امية فى رجال من قريش اصيب منهم اباؤهم وابناؤهم
واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت
له فى تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذى افلت على حربه لعلنا ان ندرك
منه ثارا لمن اصيب منا فانزل الله تعالى الآية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم فى الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله
وان لم يكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها اى سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقهم ما
وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وينقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قوله كتب الله لاغلبن
انا ورسلى ومعنى ثم فى الجملتين اما التراخى فى الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخى فى
الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اى الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون
لان منهم من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية والغرض
فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اى الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشئ يركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض
اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اى ليميز المال الخبيث الذى انفقه المشركون فى عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المال الطيب الذى انفقه المهاجرون والانصار فى نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض
فيلقيه فى جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم على هذا فاللام فى قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة قال
فى الكشاف ولا يبعد عندى ان يتعلق بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم فى عباداتهم البدنية والمالية اردفه
ارشادهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل للذين كفروا اى قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
الرسول وقتاله بالدخول فى السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى ولو كان المراد خاطبهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا
يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان يعودوا الى القتال فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او سنة الذين حزبوا

على انبيائهم من الامم فاهلكوا او غلبوا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابى حنيفة بالاية على ان الكفار ليسوا
مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد
اذا اسلم لم يلزم قضاء العبادات المتروكة فى حال الردة وقبلها وفسر ان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا فى ان الزنديق تقبل توبته ام لا
والصحيح انها مقبولة لشمول الاية جميع الكفار لقوله (ص) نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف
ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيره فى سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله فى قوله ويكون الدين
كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما تعملون بصير فيثيبهم على توبتهم
واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد فى سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم احسن الجزاء وان تولوا ولم
ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم ناصركم ومتولى اموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير لا تغفلوا بالاية ونصرة التاويل
قالوا قد سمعنا وما سمعوا فى الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم
عقيب دعويهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر ليعلم ان من هذا حاله كيف يكون مثل القرآن مقاله ولو
كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا ببره وبانواره واسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة
تنافى العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم يعنى اكثر المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولى قد لا يعرف انه ولى ان الذين
كفروا ينفقون كذلك داب كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطرى فى غير طلب الله وانما تصرفها فى استيفاء اللذات والشهوات
فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولا جلها والذين كفروا من الارواح القلوب التابعة للنفوس
الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التى لا تركن الى الدنيا ولا ينخدع بانخداع النفوس
فتركم جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فتلقى الجميع فى جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب اى استروا
النور الروحانى بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم تلك الظلمات بنور الفرقان والرشاد وقاتلوا كفار النفوس
حتى لا يكون انفسها نعز عن الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى اعلم
ع واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان
و بدانید که بدرستی که هر چه غنیمت گرفتید از چیزی پس بدرستی که مر خدا راست پنج یک آن و از برای پیغمبر و از برای صاحبان خویشی و یتیمان و درویشان و راه گذریان اگر
كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا
بوده باشید که گرویده اید بخدا و آنچه فرستادیم بر بنده خود در روز جدائی روزی که بهم رسیدند دو طائفه و خدا بر هر چیزی تواناست وقتی که شما بکناره نزدیکتر بودید
وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا
و ایشان بکناره دورتر بودند و کاروان زیرتر از شما و اگر وعده کردید هر آینه اختلاف کردید در وعده ولیکن تا بگزارد خدا فرمانی را که بود کرده شده
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا
تا گمراه شود آنکه گمراه شود از گواه و زنده ماند آنکه زنده شود از حجت و بدرستی که خدا هر آینه شنونده داناست چون نمود ایشان را خدا بتو در خواب تو کم
ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم
و اگر مینمود ایشان را بسیار هر آینه بد دل شدید و خلاف کردید در کار و لیکن خدا سلامت داد بدرستی که او داناست بآنچه در سینه هاست و چون بنمود ایشان را
ع اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم ليقضى الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا ايها الذين
چون بیکدیگر رسیدید در نظر شما کم و کم نمود شما را در نظرهای ایشان تا بگذارد خدا کاری را که بوده کرده شده و بسوی خدا برگردد کارها ای زمره اهل ایمان که
آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
گرویده اید چون دیدید گروهی را پس ثابت باشید و یاد کنید خدا را بسیار شاید که رستگار شوید و فرمان برید خدا و پیغمبر او را و خصومت مکنید
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء
پس بد دل شوید و برود صولت شما و صبر کنید بدرستی که خدا با صبر کنندگانست و نباشید چون کسانی که بیرون رفتند از منزلهاشان بنخوت و نمودن
الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب
بمردم و باز دارند از راه خدا و خدا بآنچه میکنند احاطه کرده و چون آراست از برای ایشان شیطان کردارهاشان را و گفت که غالب نیست
لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى ارى ما لا
شما را امروز از مردمان و من یاورم از برای شما پس چون برابر شدند دو گروه برگشت بر پاشنه خود و گفت من بیزارم از شما که من میبینم آنچه را
ع ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء ومن
که نمی بینید بدرستی که من میترسم خدا را و خدا سخت عقوبت است چون گفتند منافقان و آنان که در دلهاشان [illegible]

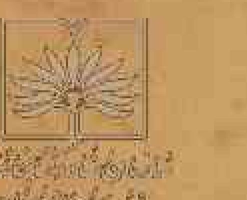
يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم القراءة بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيّ بيائين ابو جعفر و
متوكل كرد بر خدا پس بدرستيكه خدا غالب داور است نافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام
البزي وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذ يزين وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وابي عمر وهشام اني ارى
اني اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو تراءت الفئتان بالامالة نصير الوقوف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل
عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا وهذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير اسفل منكم ط في الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حيّ عن
بينة ط عليم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور مفعولا ط الامور تفلحون للابتداء والعطف واصبروا الصابرين ج لا ذكر عن سبيل الله ط محيط جار
لكم ط اخاف الله ط العقاب دينهم ط حكيم التفسير لما امر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان
اوفى واشفى فقال واعلموا انما غنمتم الذي ظفرتم به من اموال الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط و
الخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهور آكد واثبت للايجاب كأنه
قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر احتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان
اقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام
للنصف من شوال على عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الاية تقتضي اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة تلك الخمس على اقوال اشهرها
ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد
واما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله يصرف الان الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر
والمساجد وارزاق القضاة والائمة الاهم فالاهم وواحد لذوي القربى يعني اقارب رسول الله من اولاد هاشم والمطلب ابني عبد مناف
دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني
نوفل انهما قالا لرسول الله ص هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال ص انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
اصابعه فيستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان للذكر مثل حظ الانثيين وثلثة اخماس الخمس الباقيات لليتامى والمساكين وابن السبيل
هذا عند الامامين ابي حنيفة والشافعي الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله ص ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون
لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فان لله خمسه وللرسول فان لرسول الله خمسه كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم اخر لله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم الذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل
ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه ص كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيأخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وهم
اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع ابا هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى
فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيئا وروي
عن زيد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روي عن علي ع انه قيل له ان الله
تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله ص انه لولي الامر من بعده وعند مالك ابن انس الامر في الخمس
مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم
فذلك فعلى هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة
تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وحاصل الاية ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا
علما يتضمن العمل والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر لانه
فرق فيه بين اهل الحق واهل الباطل والجمعان فريقا هما والذي نزل عليه يومئذ الايات والملائكة والنصر والتائيد والله على كل
شيء قدير فيقدر لك نصر القليل على الكثير اذ اسم بدل من يوم الفرقان والعدوة بالكسر والضم شط الوادي اي جانبه وحافته وقال ابو
عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو
يقلب ياء كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة والركب
يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدأ اي مكانا اسفل من مكانكم
والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال قدرته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان
العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا فهي خبار رخوة تسوخ فيها الاقدام

ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وحدتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب
بعيالهم واثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه ولو تواعدتم انتم واهل
مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم في الميعاد فبطئكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين
فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضي الله اي ليظهر امرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه
دبر ذلك وقوله ليهلك بدل ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من
الايات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اي لا شك في كفره وعناده كما لم يبق شك المسلمين في
حقية دين الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك لام دليل على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب
اذ يريكهم الاشاعرة وان الله لسميع الدعاء لكم عليم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكر او بدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم تدابيركم في منامك
اي في رؤياك قليلا اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك اي في عينك في اليقظة
لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو اراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخور ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله
سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام واذ يريكموهم بصركم اياهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة
في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي واما في تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في ذلك ان
يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله امرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور فيه
ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين اداب اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم
فئة فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واللقاء اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي
الرخصة في التحرف والتحيز فلعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من
النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز ان يفتر عن ذكر ربه في اي شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق
منفقا امواله لله والاخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعو على
العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر ما يامر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك
بسائر الطاعات ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر التقدير ان في قوله وتذهب ريحكم على
قراءتين والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيته على وفقها المشبه بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة
ونفذ امره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع والاختلاف والى نحو ما
وقع لهم باحد بخلافهم رسول الله احتج نفاة القياس بالاية لان القول به يفضي غالبا الى التنازع المنهي عنه وكذا القائلون بان النص لا
يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت
عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور تعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤوس
المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه
فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية وصفهم باوصاف ثلثة اولها البطر وهو الطغيان في النعم ويقال ايضا شدة المرح و
التحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذاك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على
الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذاك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية فساد الطوية او هو اظهار
الجميل مع قبح النية وفساد الطوية او هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون
عن سبيل الله اي يمنعون عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم او يكون الكل احوالا
بطرين على تاويل بطرين مرائين صادين او بطرين يراءون ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس
ليصح كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم
ذكر السبب فقال ان ابا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرئاء فذكر بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما واما الصد فانما حصل في
زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات
التي اخترعها الامامان والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة
معناه اذكر اذ زين مع الاستكبار واذ زين اذ هو معطوف على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان زين
بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول

الله ثم وسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تراءت الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر فى صورة انسان وذلك ان المشركين حين ارادوا المسير الى بدر ذكروا الذى بينهم
وبين بنى كنانة من الحرب فلم يامنوا ان ياتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من اشرافهم
فى جند من الشيطان معه راية وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اى لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب الا ياكم لانتصب
كما يقال لا ضارب زيدا وانى جار لكم اى مجيركم من بنى كنانة ومن كل عدو يعرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه انواع الضرر كما
يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اى التقى الجمعان بحيث رات كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه والنكوص الاحجام عن الشئ اى
رجع وقال انى برئ منكم قيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا
ترون الملائكة ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفى الحديث ما راى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة
الا ما راى يوم بدر واما قوله انى اخاف الله فقد قيل انه لما راى جبرئيل خافه وقيل لما راى الملائكة ينزلون من السماء خاف انه لا تنظر ان الوقت
التى انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله انى ارى ما لا ترون وكذب لعين فى قوله انى اخاف الله وقوله والله شديد العقاب
يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفا اذ يقول او لا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على انه كلام مبتدأ
منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين فى قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يراد قوم من قريش اسلموا وما قوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلعم قال اولئك نخرج مع قومنا فان
كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة اقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين ببدر يوم غر هؤلاء دينهم قال ابن
عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلثة عشر الى زهاء الف وما ذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل انفسهم رجاء
ان يجعلوا احياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله يكل امره اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوى
الكثير حكيم يوصل العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه التأويل واعلموا يا اهل الجهاد الاكبر انما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدات
واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقونها خمسها فى الله مخلصا وللرسول متابعا ولذى
القربى يعنى الاخوان فى الله مواصلا واليتامى يعنى اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين
تمسكوا بايدى الارادة باذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم
وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم فى متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما انزلنا على عبدنا فى سر فاوحى الى عبده ما اوحى
يوم الفرقان الذى فيه الرحمن علم القران يوم التقى الجمعان جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلعم مع الله وقت لا
يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والله على كل شئ قدير فيقدر على ان يوصلكم فى متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود
والبقاء بالمعبود اذ انتم ايها الصادقون فى الطلب بالعدوة الدنيا انانية وهم بالعدوة القصوى اى الارواح باقصى عالم الملكوت بارزة
والركب اسفل منكم يعنى الهياكل والقوالب فى اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم فى الميعاد
لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضى امرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبته التى استعد لها
فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيى من حى عن بينة له فالاشقياء يبقون فى سجين الطبيعة ونار القطيعة واما السعداء
فارواحهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعى الى ربك ونفوسهم مع الملئكة المقربين كما قال فادخلى فى عبادى
وابدانهم فى جنات النعيم كما قال وادخلى جنتى وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والاصال عليم بمن يستحق الاذلال
او يتاهل الاجلال اذ يريكهم الله فى منامك قليلا مع كثرتهم فى الصورة ليدل على قلتهم فى المعنى لفشلتم على عادة طبع الانسان ولكن الله
سلم عن الخوف بالبشرى ويقللكم فى اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملئكة اذا لقيتم فئة
هى النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم وصفاتهم وتركوا الدنيا ودار البلاء ودار العادة ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف فى الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم فى نفى الرياء والعجب اذ هو
طريق اهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى تفاديت النفوس لها نكص على
عقبيه وهو باطله وصار مخالفا للنفس كما قال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون لانه يرى منظر الروحانية تجلى الانوار الربانية من
القلوب لو وقع على الشيطان من ذلك تلالؤ لاحترق ولهذا قال انى اخاف الله وفيه اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه ارحم الراحمين
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك

اى من نزولهم

وفتنة النفوس و صفاتها واهل الله لهم فئة الارواح و القلوب

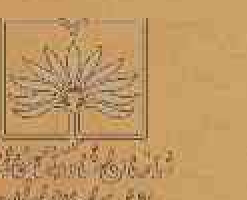


بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيكُمْ وَاَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ كَدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِاٰيَاتِ اللّٰهِ فَاَخَذَ
بانچیزیست که پیش فرستاده دستهاشان و انکه خدا ستم کننده نیست مر بندگانرا چون طریقه ال فرعون و انهائی که از پیش ایشان بودند کافر شدند بایات پس گرفت
هُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ اِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً اَنْعَمَهَا عَلٰى قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا
انها را خدا بگناهان ایشان بدرستی که خدا توانای سخت عقوبت است این با کجهت است که خدا نمی‌باشد تغییر دهنده نعمتی که عطا کرد بر گروهی تا تغییر دهند
مَا بِاَنْفُسِهِمْ وَاَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِ رَبِّهِمْ فَاَهْلَكْنَاهُمْ
نیکوئی خود و انکه خدا شنونده داناست چون خوی ال فرعون و انان که پیش از ایشان بودند که تکذیب کردند بایات پروردگار ایشان پس هلاک کردیم ایشانرا
بِذُنُوبِهِمْ وَاَغْرَقْنَا اٰلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ اِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
بگناهان ایشان و غرق کردیم ال فرعون را و هر یک بودند ستمکاران بدرستی که بدترین جنبندگان در نزد خدا انانند که کافر شدند پس ایشان نگروند
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فَاِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ
انان که پیمان گرفتید از ایشان پس میشکنند پیمان خود را در هر مرتبه و ایشان پرهیز نمیکنند پس اگر یابی ایشان را در کارزار پس پریشان ساز ایشانرا انکه در عقب ایشانند
ع لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ وَاِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ اِلَيْهِمْ عَلٰى سَوَاءٍ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
شاید که پند گیرند و اگر بترسی از گروهی خیانت را پس بینداز بسوی ایشان بر یکسان بدرستی که خدا دوست ندارد خیانتکارانرا و نپندارند انها که
كَفَرُوا سَبَقُوا اِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ وَاَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّٰهِ وَعَدُوَّكُمْ
کافر شدند که پیشی گرفتند بدرستی که ایشان خسته نکنند و مهیا سازید مر ایشانرا هر قدر که توانید از توانائی و از بستنهای اسبان تا بترسانید بان دشمن خدا را و دشمن خود را
وَاٰخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللّٰهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ يُوَفَّ اِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَاِنْ جَنَحُوا
و دیگران از جز ایشان نمیدانید شما ایشانرا خدا میداند ایشانرا و هرچه خرج کنید از چیزی در راه خدا تمام باز داده شود بسوی شما و شما ستم کرده نشوید و اگر میل کنند
لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَاِنْ يُرِيدُوا اَنْ يَخْدَعُوكَ فَاِنَّ حَسْبَكَ اللّٰهُ هُوَ الَّذِي
صلح را پس میل کن بان و توکل کن بر خدا که اوست شنونده دانا و اگر بخواهند که فریب دهند ترا پس بدرستی که کفایت تو خداست اوست انکه
اَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ اَنْفَقْتَ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا مَا اَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ
قوت داد ترا بیاری خود و بمومنان و دوستی انداخت در دلهای ایشان که اگر خرج میکردی انچه را که در زمین است همه را دوستی نیفکندی در دلهای ایشان ولیکن خدا
ع اَلَّفَ بَيْنَهُمْ اِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّٰهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
دوستی انداخت در میان ایشان بدرستی که او است غالب ای زمره پیغمبر بس است ترا خدا و انکه پیروی کرد ترا از مومنان ای پیغمبر راغب گردان مومنانرا
عَلَى الْقِتَالِ اِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَاِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا اَلْفًا مِنَ الَّذِينَ
بر کارزار اگر بوده باشند از شما بیست نفر صبر کنندگان غالب آیند بر دویست نفر و اگر بوده باشند از شما صد نفر غالب آیند هزار نفر از انها که
كَفَرُوا بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ اَلْاٰنَ خَفَّفَ اللّٰهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ اَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَاِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ
کافر شدند بانکه ایشان گروهی اند بی فهم در این وقت سبک کرد خدا از شما و دانست که در شما ناتوانی است پس اگر بوده باشند از شما صد نفر صبر کننده
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَاِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ اَلْفٌ يَغْلِبُوا اَلْفَيْنِ بِاِذْنِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَعَ الصَّابِرِينَ القراءة شوع
غالب آیند بر دویست نفر و اگر باشند از شما هزار نفر غالب آیند بر دو هزار بفرمان خدا و خدا با صبر کنندگانست بتاء الثانیث

شامی الباقون بالتذكير ولا يحسبن بتاء ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل الآخرون بتاء الخطاب انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين ابو بكر وحماد ترهبون بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول جملة ضعفا بالمد جمعا يزيد وقرأ حمزة وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف الوقوف كفروا ه لان فاعل يتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفى هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون ان يتوفاهم الله بلا واسطة وادبارهم لحق الاضمار اى يقولون ذوقوا الحريق للعهد ه لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم ط بذنوبهم ط العقاب بانفسهم لا للعطف ان على ان عليم لا لكاف من قبلهم ط باٰيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون ج لان الواو يصلح للاستيناف والحال ظالمين لا يؤمنون ه لاحتمال الوصف واحتمال النصب او الرفع على الضم لا يتقون ه يذكرون على سواء ط الخائنين لا سبقوا ط لمن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون من دونهم ج لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستيناف لا تعلمونهم ج لذلك يعلمهم ط لا تظلمون على الله ط العليم حسبك الله بين قلوبهم الاول ط بينهم ط حكيم من المؤمنين على القتال ط مائتين ج لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا ه مائتين ج باذن الله ط الصابرين ه التفسير لما شرح احوال هؤلاء الكفار نوعه ثم شرح احوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا ... في الخاصية اذ

واذ نصب على الظرف قال في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به والمعنى لو رايت او عاينت او شاهدت وقت قبض الملائكة ارواح الكفار
لرايت امرا فظيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع
من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم
بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلاجرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج ومعنى عذاب الحريق مقدمة عذاب النار او نفسها في الاخرة
تبشرهم بذلك عن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله ذلك بما قدمت ايديكم الاية قد مر تفسيرها
في ال عمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه انه لم يهمل بدرا من الكفار عاجلا واجلا ذكر ان هذه سنته
في فرق الكفرة كلهم فقال كداب ال فرعون يريد ان عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة ال فرعون فيجزي هؤلاء بالقتل و
السبي كما جوزي اولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون
لكثرة الاستعمال ومعنى الاية ان ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمة على قوم حتى يغيروا ما بهم
من الاحوال والاخلاق والغرض ان ال فرعون ومشركي مكة قد فتح عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال
الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلاجرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع
للاقوال عليم بالاحوال يجزي كل فريق بما يستاهله ثم ذكر مرة اخرى قوله كداب ال فرعون وفي التكرير بعد التاكيد فوائد استنبطها
العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت
قالت وبشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت انسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله احدا من فعله وهو ضرب
الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في
الاول كداب ال فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كداب ال فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول
كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بردايات ربهم ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا لكفار قريش اي
كفروا بايات الله كداب ال فرعون وكذبوا بايات ربهم كداب ال فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل الالهية فكان لازمه
الاخذ والثاني اشارة الى انهم انكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الاية بقوله وكل كانوا ظالمين اي وكل واحد
من غرقى القبط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمي انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمي غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم
ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الاية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم واشار الى هذا
بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف
اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف الذين معهم يليق المعاهدة ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لفائدة الاستمرار
وان من شانهم نقض العهد في كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة
الغدر وما فيه من العار والنار ثم امر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم
وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب اي ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال
عطاء معناه اكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير في لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه احد
بعدهم اتعاظا بحالهم واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق
مستو قصد اي اخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك
وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في الكشاف الجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على
طريق قصد سوي وحاصلين على استواء في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل ان يكون حالا من
المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقيق شان العهد اذ ذاك وعن انكشاف حاله في النبذ
قال اهل العلم ان اثار نقض العهد اذا ظهرت فاما ان يظهر ظهورا محتملا او ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام كما هو مذكور في
الاية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى
الله عليه واله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا
قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من
التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما فقال لا تحسبن من قرا بتاء الخطاب فمفعوله الاول الذين
كفروا والثاني سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له لان المكسورة على طريقة الاستئناف

او عذاب النار ٤



كان سائلا سئل ما لهم لا يحسبوا سابقين فاجيب بما اجيب المفتوحة تعليل صريح والجار محذوف اى لانهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم اعجزت فلانا وعجزته جعلته او وجدته عاجزا والمراد لا يحسبنهم انهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا واجلا ومن قرا بالياء التحتانية فذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعولاه سبقوا على ان الاصل ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم او ولا يحسبن انفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف اى ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي صلعم في قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة امرهم الله ان لا يعودوا لمثله وان يتاهبوا لقتال الاعداء فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلعم قرا هذه الاية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمي قالها ثلث مرات وعنه عن سبعين قوسا في سبيل الله والاصح انها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله صلعم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله بخمس فما فوقها ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر انه بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب ان ربط الخيل من اقوى الات الجهاد روى عن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ولقد علمت على توقي الردى ان الحصون الخيل لا مدر القرى وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها اولى بالربط لتفيد النسل وقيل هي الفحول لانها اقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لاجله امر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به اى بما استطعتم عدو الله وعدوكم لان الكفار اذا علموا تاهب المسلمين للقتال لم يجترءوا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة واخرين من دونهم يريد بالاولين اهل مكة وبالاخرين اليهود على قول ولكنه لا يلائم قوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا واجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون في انفسهم خوفا وارعابا فربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم اهل فارس وروى ابن جريج عن سليمان ابن موسى انهم كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالاخرين اعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم اخر ثم رغبهم في الانفاق في باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اى ثوابه وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا وخص المصالح ان مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم الاية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم يؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب او بتاويل الخصلة او الفعلة عن ابن عباس ومجاهد ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله او بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى ان يقال انها ثابتة فليس يحتم ان يقاتل المشركون ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام ودونه فاذا راى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد يظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد او لقلة المال وبعد العدو وقد يكون مع القوة للطمع في اسلامهم او قبولهم الجزية او اذا خالطوا المسلمين او بان يعينوه على قتال غيرهم واما مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف وراى الامام الصلاح في المهادنة فقد قال الشافعي هادن اربعة اشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر وذلك كان في اقوى ما كان رسول الله صلعم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلعم حين صالح اهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين لا انهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استانف العقد ثم قال وتوكل على الله اى فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شان قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما امكن ثم ذكر حكما من احكام المهادنة فقال وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك محسبك وكافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان اصل الايمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الاية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على امور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على امارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم اكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذي ايدك بنصره اى من غير واسطة اسباب معتادة وبالمؤمنين اى بوساطة الانصار ثم بين انه كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك اشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلعم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن في الامور المستحقرة لم تكد يا تلف اهواؤهم وينتظم شملهم ثم ائتلف قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب ومحول الاحوال

الترمذي العقل

والمؤلف

والتحقيق في الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة امرا سريع التغير كالمال او الجاه او اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فيها حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور طريان تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبي ص مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب للتفرق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين اخرى فلما جاءهم النبي ص ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم و صاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله ولله انه عزيز حكيم اي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان او على حسب المصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي لولا الطاف الله تعالى ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وادبه الى ابيه لاجل انه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته واجيب بانه عدول عن الظاهر والاية صريحة في ان العقايد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لمتابعة نبيك انك قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك منصوب لانه بمنزلة زيد في قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم ان يقولوا حسبك و اخيك بل المستعمل ان يقولوا حسبك وحسب اخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك ومن اتبعك ومعنى الاية كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا وجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اسلم مع النبي ص ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فصاروا اربعين فانزل الله تعالى الاية ثم بين سبحانه ان كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكروا في اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنى كانه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المامور وكانه يامره ان يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم بعون الله وتاييده واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلوب يتربصن بدليل قوله الآن خفف الله عنكم والنسخ بالامر اليق منه بالخبر وبدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فمعنى الاية اذن ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب للواحد ان يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر المشبه مرتين لان السرايا التي كانت يبعثها رسول الله ص كان لا ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة واما في الكرة الثانية فانما كررت التشبيه للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيؤول من العشرات والمئات الى الالوف والله اعلم بمراده ثم بين السبب في الغلبة فقال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة والنهمة عندهم في هذه الحيوة العاجلة وايضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتاييد ووجه اخر وهو ان اهل العلم والمعرفة يكون لهم في اعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في انفسهم اقوياء اشداء لما تجلى عليهم من انوار المعرفة والبصيرة يعرف ذلك اصحاب العلوم وارباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله ص بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب واراد قتالهم فمنعهم جهينة وبعث رسول الله ص عبد الله بن انيس الى خالد بن سفيان جامعا فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لي فقال انك اذا رايته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغني انه جمع لي فاخرج اليه واقتله فلما خرجت نحوه فلما دنوت منه وجدت القشعريرة فقال لي من الرجل قلت له من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف واسرعت الى رسول الله ص وذكرت اني قتلته فاعطاني عصا وقال امسكها فانها اية بيني وبينك يوم القيمة وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس ايما رجل فر من ثلثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لحكم الاية المتقدمة وانكر ذلك ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الاية ورد على الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا واذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء لقوله وعلم ان فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله

لان مثل هذا الكلام قد يقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الايتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل
قول ابى مسلم وهو انما يتحقق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله وَعَلِمَ اَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ظهر معلومه
فلا يبقى لهشام حجة فى مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة
فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك والظاهر ان المراد الضعف الانسانى المذكور فى قوله وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفًا التاويل بِغَيْرِ يُوَلُّونَ
فى وجوههم واَدْبَارَهُم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له الم من جهة الخلف ويقبل على الاخرة ولا نور له يبصر به ما امامه
فيحصل له تالم من قدام اَمْرِيكَ مُغَيِّرًا مبدءا لاحسن تقديمهم واستعدادهم واعطاهم بضده حَتّٰى يُغَيِّرُوا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد
الفطرى اَلَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ يا روح فى الازل لان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فتشرد يا روح بهم من خلفهم اى بالغ فى
تبديل صفات النفس فى تزكيتها بحيث يوثر نور تبديلها فى الصفات التى ورائها فانبذ اليهم على سواء اظهر عداوتك معهم وجاهدهم
انهم لا يعجزون اى النفوس الكافرة تحت تصرفه فلا تقنطوا من رحمته فى صلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة
الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الشيطان
وعدوكم النفس والهوى واخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا يعلمونهم انهم عدوكم من الاخيار والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم
انهم عدو لكم كقوله اِنَّ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ وَاَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة
يُوَفَّ اِلَيْكُمْ فوائد من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت
ما فى ارض وجودك من السعى والجد والاجتهاد كما بين الروح النورانى والنفس الظلمانى من التضاد ولكن الله الف بين الروح
وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانسانى طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم مَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَكُونَ
لَهُ اَسْرٰى حَتّٰى يُثْخِنَ فِى الْاَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّٰهُ يُرِيدُ الْاٰخِرَةَ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللّٰهِ
مر او را اسیران تا کہ بسیار کشد در زمین میخواہید شما خواستہ دنیا را وخدا میخواہد آخرت را وخدا غالب دانا است اگر نبود کتابی از خدا
سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا اَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ
کہ پیش رفتہ ہر اینہ رسیدی شما را در آنچہ فرا گرفتید عذابی بزرگ پس بخورید از آنچہ غنیمت بردید حلال و پاک و بپرہیزید خدا را بدرستیکہ خدا آمرزندہ مہربان است ای پیغمبر
قُلْ لِمَنْ فِى اَيْدِيكُمْ مِنَ الْاَسْرٰى اِنْ يَعْلَمِ اللّٰهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا اُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ع
بگو مر کسیرا کہ در دستہای شما است از اسیران اگر داند خدا در دلہای شما خوبی بدہد شما را خوبی از آنچہ گرفتہ شد از شما و بیامرزد شما را وخدا آمرزندہ مہربان است
وَاِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ فَاَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَهَاجَرُوا
واگر بخواہند خیانت کردن تو را پس بدرستیکہ خیانت کردند خدا را از پیش پس دست داد شما را وخدا دانای محکم کار است بدرستیکہ آنان کہ ایمان آوردند وسفر کردند
وَجَاهَدُوا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ وَالَّذِينَ اٰوَوْا وَنَصَرُوا اُولٰئِكَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ
وکوشش کردند بمالہای خود ونفسہای خود در راہ خدا وآنان کہ جای دادند ویاری کردند آن گروہ بعضی از ایشان دوستان بعضی اند وآنان
اٰمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتّٰى يُهَاجِرُوا وَاِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ اِلَّا عَلٰى
کہ گرویدند وسفر نکردند نباشد شما را از ولایت ایشان از چیزی تا ہجرت کنند واگر طلب یاری کنند شما را در دین پس بر شما است یاری کردن مگر بر
قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ اِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ
گروہی کہ در میان شما و در میان ایشان پیمانی است وخدا بآنچہ میکنید بینا است وآنان کہ کافر شدند بعضی از ایشان دوستان بعضی اند اگر نکنید آنرا میباشد
فِتْنَةٌ فِى الْاَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ وَالَّذِينَ اٰوَوْا حزب
فتنہ در زمین وتباہ کاری بزرگ وآنان کہ گرویدند وسفر کردند وکوشش کردند در راہ خدا وآنان کہ جای دادند
وَنَصَرُوا اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَاُولٰئِكَ
ویاری کردند آن گروہ ایشانند مؤمنان براستی مر ایشان راست آمرزش وروزی بزرگ وآنان کہ گرویدند در بعد وسفر کردند وجہاد کردند با شما پس آن گروہ
مِنْكُمْ وَاُولُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ القراءة ان تكون
از شمایند وصاحبان قرابت بعضی از ایشان سزاوارترند ببعضی در کتاب خدا بدرستیکہ خدا بہر چیزی دانا است بالتاء الفوقانية
ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد اسارى يزيد والمفضل الاخرون اسرى من الاسارى يزيد وابو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى
من ولايتهم بكسر الواو حمزة الباقون بفتحها الوقوف فى الارض لتقدير الاستفهام اى تريدون الاخرة ط حكيم عظيم واتقوا الله رحيم و
يغفر لكم ط رحيم منهم ط حكيم اولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق بصير اولياء بعض ط كبير حقا ط كريم منكم ط فى كتاب الله عليم التفسير هذا حكم آخر
من احكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة والمعنى حتى يذل الكفر

واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روى ان رسول الله صلعم اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب
فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان من نسيبه فلنضرب اعناقهم
فقال النبي صلعم ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن
محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وروى انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلعم فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذ الفداء ولقد
عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي تصريح في النهي وقد حصل
الاسر بدليل قل لمن في ايديكم من الاسرى الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر في قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان
قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما
ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الا
تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم في قوله
تريدون عرض الدنيا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر والله يريد الاخرة اي ثوابها او ما هو سبب الجنة
وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وقرئ بجر الاخرة على التقابل والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه ويقهرونهم ويلجؤنهم
الى القتل او الفداء بعد الاسر لكنه حكيم لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد افشاء القتل في الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى
وكذا الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احد يخطي في الاجتهاد لانهم نظروا
في ان استبقاءهم انما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولادهم مسلمين وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم
اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي سلطانهم انزل الله بعد
ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الايتين مختلفا
وليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الغنائم
وكان تقريب الوقت من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا الا بعد تاكيد الحجة
والتقديم انتهى وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين انما يعاقب على ترك
الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاقب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن
بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب لا يوجب
عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا
وروى انهم امسكوا عن الغنائم ودعي اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبيب ومعنى الاية قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله فيما يستقبل فلا تقدموا على شيء لم تؤمروا به ان الله غفور لما فرط
منكم من ترك الاولى رحيم فلذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلومه ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة
عن الكفر وعن جميع المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يؤتكم في الدنيا خيرا مما اخذ منكم من المنافع العاجلة
ويغفر لكم في الاخرة او المراد بالخير ايضا الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسارى من فقد اتاه الله في الدنيا خيرا
للدلالة الاية على ذلك اما الاول ذلك الخير ان كان دنيا فلا شك ان كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا
مع الكفر وان كان دينيا فتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روي عن بعضهم كالعباس روي ان رسول الله صلعم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا
فتوضا لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وانا ارجو المغفرة
وقال ابن عباس نزلت الاية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسيرا يوم بدر ومعه عشرون اوقية من
من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم يبلغه التوبة حتى اسر فقال العباس كنت مسلما

ای عرض الاخرة

اسر العباس

الا انهم استكرهوني فقال ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله ان يترك لي الذهب على فقال اما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفني الرسول فداء ابن اخي عقيل بن ابي طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام لما اطلقهم من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن اي المؤمنين منهم يوم بدر قتلا واسرا فذاقوا وبال امرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة اخرى ان اعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد الهجرة فذكر في خاتمة هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم مع ذكر انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ان الذين آمنوا ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضياعهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك العزيمة والسفرة وفي الغزوات والمحاربات واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم اقدموا على قتال اهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم ازالوا اطماعهم عن الحياة وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه السابقة اثر عظيم في تقوية الدين لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدى بهم ويقوى دواعيهم بما يرون منهم والمحن تخف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين آووا ونصروا اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض اطبق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازي هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور مهما امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث دون ان يطلق الارث كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وقال سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم فان المراد ان المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر وانهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه واما قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فوجه قراءة حمزة بان تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف ان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بان لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعض الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم كما قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدأون بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه ان المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صار هذه الجهة موجبة لاحتمال بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من ادل الدلائل ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها لمحض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال الا تفعلوه اي ما امرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة اصلا تكن فتنة اي تحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيم شأن المؤمنين والثناء عليهم قوله والذين آمنوا وهاجروا الآية فوصفهم بانهم هم المؤمنون حقا وان لهم مغفرة ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن اللذات الجسمانية

وتركوا

فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لاطريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال والذين امنوا من بعد نقل الواحدي عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الاية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين تشريفا للاخرين وتعظيما لشان السابقين هم ولولا كون القسم الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اى ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض اى احق بهم واجدر في كتاب الله اى في حكمه وقسمته او في اللوح او في القران وهو اية المواريث وهذه الاية ناسخة للتوارث بالهجرة والنصرة اما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تع في هذه الاية ان الولاية بالارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم اعني انه لزوهم من يجعل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام وهم ذووا قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة او كل قريب يخرج عن اصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل جد وجدة ساقطين واولاد البنات وبنات الاخوة واولاد الاخوات وبنو الاخوة للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف في انه اذا لم يوجد ذو فرض وعصبة فهل يورث ذووا الارحام او يوضع المال في بيت المال فقدمهم ابو حنيفة على بيت المال للاية وعكس الشافعي قال ان الاية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاولوية مقيدة باحكام اية الميراث فلا يبقى حجة في توريث ذوي الارحام والله اعلم انه سبحانه قال في اول الايات وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وفي براءة تقديم في سبيل الله لان هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما اخذتم اى من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله لمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله ثم الحذف من الاية الثانية باموالهم وانفسهم اكتفاء بما في الايتين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شيء عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب نظيره ان الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني اعلم ما لا تعلمون التاويل ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس ما سورة وقوى موجهة الى تدبير امور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق حتى يثخن في ارض البشرية قتل القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلعم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا وراغبا فيها والله يريد الاخرة منكم اى ليس الانسان من سجيته وطبعه ان يميل الى الاخرة انما هو بتوفيق الله وعنايته الازلية ولولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون مجذوبا نحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما اخذتم من وراء النفس المأسورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم النور فكلوا مما غنمتم من فوائد الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بانوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يفنيكم عنكم ويبقيكم به يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من النفوس المأسورة التي اسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذكر عليها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا من الاطمينان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من اللذات الفانية واسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي والذوق السرمدي وان يريدوا خيانتك يعني الميل الى ما جبلت النفوس عليه من الطموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل بالتجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من امر جهادها وتزكيتها ان الذين امنوا وهاجروا ذكروا الله مجتمعين في القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى الله والذين امنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن اوطانهم واعوانهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم تمسكوا باذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الا على قوم اي الا على بعض احوالكم مما صالحكم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها واسرتموها وامنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في اوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى ان المتاخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذووا رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء وهذا فائدة لمن كالمطر لا يدري اوله خير

سورة التوبة مدنية الا ايتين في اخرها وهي مائة وتسع وعشرون اية وحروفها ١٠٠٨٧ وكلمها ٢٤٩٧

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ

بیزاریست از خدا و رسول او بسوی آنها که عهد بستید از مشرکان پس بگردید در زمین در چهار ماه و بدانید که شما عاجز کننده

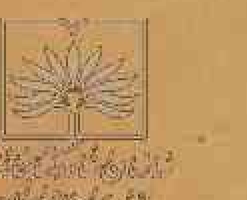
مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ

نیستید خدا را و اینکه خدا رسوا کننده کافران است و اعلامی از خدا و رسول او بسوی مردمان در روز حج بزرگ که هر آینه خدا بیزار است از مشرکان و

ع

السابقين هم

بلغ الاولى وجاهدوا من اياته في سبيل الله ايضا لقا ...



وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا
و پیغمبرش پس اگر توبه کنید پس آن بهتر است شما را و اگر برگشتید پس بدانید که شما عاجز کننده نیستید خدا را و مژده ده آنها را که کافر شدند بعذاب دردناک مگر آنها
الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ
آنها که عهد بستید شما از مشرکان پس نشکستند شما را چیزی و هم پشتی نکردند بر شما احدی را پس تمام کنید با ایشان عهد شان را تا مدت ایشان بدرستیکه
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ
خدا دوست دارد پرهیزکاران را پس چون تمام درآمد ماههای حرام پس بکشید مشرکان را هر جا که یافتید ایشان را و بگیرید و محاصره کنید ایشان را و بنشینید برای ایشان در هر راه
فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
پس اگر توبه کردند و برپای داشتند نماز را و دادند زکوة را پس رها کنید راه ایشان را بدرستیکه خدا آمرزنده مهربان است و اگر یکی از مشرکان پناه ازتو خواهد
ع فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
پس پناه ده او را تا بشنود کلام خدا را پس برسان او را بجای امن او این بآن است که ایشان گروهی اند که نمیدانند چگونه میباشد برای مشرکان عهدی در نزد خدا و نزد
رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ
پیغمبرش مگر آنها که عهد نمودید در نزد مسجد الحرام پس هرچه ایستادگی نمودند برای شما پس بایستید از برای آنها بدرستیکه خدا دوست دارد پرهیزکاران را چگونه
وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا
و اگر غالب آیند بر شما نگاه ندارند در شما خویشی و نه زنهاری خوشنود میکنند شما را بزبان خود و قبول نمیکند دلهاشان و بیشتر ایشان تبه کارانند خریدند
بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ
بآیات خدا بهای کمی را پس باز داشتند از راه خدا بدرستیکه ایشان بد بود آنچه میکردند که نگاه ندارند در حق مومنی خویشی و نه زنهاری و آنگروه
هُمُ الْمُعْتَدُونَ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
ایشانند از حد گذشتگان پس اگر توبه کردند و برپای داشتند نماز را و دادند زکوة را پس برادران شمایند در دین و واضح کنیم آیات را برای گروهی
يَعْلَمُونَ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ
که میدانند و اگر بشکستند سوگندهاشان را پس از میثاقشان و طعنه زدند در دین شما پس کارزار کنید طائفه کافران را که ایشان را ایمانی نیست
لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ
شاید که ایشان باز مانند آگاه باش که کارزار نمیکنید گروهی را که شکستند سوگندهای خود را و قصد کردند بر آوردن پیغمبر را و ایشان ابتدا کردند بشما در اول مرتبه آیا میترسید از ایشان
فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ
پس خدا سزاوارتر است که بترسید او را اگر باشید گروندگان کارزار کنید ایشان را تا عذاب کند ایشان را خدا بدست شما و زیان کند شان و یاری کند شما را بر ایشان و شفا دهد
صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا
سینه‌های گروه مومنان را و ببرد خشم دلهای ایشان را و توبه پذیرد خدا بر آنکه خواهد و خدا دانای محکم کار است آیا پنداشتید که واگذاشته شوید و هنوز
يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
ندانسته خدا آنها را که جهاد کردند از شما و نگرفتند از سوای خدا و نه پیغمبر او و نه مومنان دوستی و خدا مطلع است بآنچه میکنید

القراءة ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع ائمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف ابن ذكوان هشام يدخل بينهما مدة الباقون ائمة بهمزة ثم ياء لا ايمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين يعملون بياء الغيبة عباس مخير الوقوف من المشركين ط معجزي الله للعطف الكافرين من المشركين لا للعطف ورسوله ط حين لكم لا لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله ط اليم لا للاستثناء مدتهم المتقين مرصد سبيلهم ط رحيم مامنه لا يعلمون المسجد الحرام ج لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم المتقين ولا ذمة ط قلوبهم فاسقون ج لان ما بعده يصلح وصفا ثانيا يعلمون ولا ذمة ط المعتدون في الدين ط يعلمون ائمة الكفر لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون اول مرة ط اتخشونهم ج لان ما بعده مبتدا مع الفاء مؤمنين مؤمنين لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم وليجة ط تعملون التفسير قد عد في الكشاف من اسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق اي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى حسبنا ان لا تدع وللعلماء خلاف في سبب سقاط التسمية من اولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك فقال كان النبي صلعم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكان براءة من اخر القرآن نزولا وتوفي رسول الله صلعم ولم يبين موضعها

وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكانه اراد بالمشابهة ما روى عن ابي بن كعب في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود
فوضعت احديهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور ان لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي
لجوزنا مثله في ساير السور وفي ايات السورة الواحدة وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القران على ما يقوله الامامية و
وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما مائتان وست ايات فهما بمنزلة احدى الطوال
وكلتاهما وردت في القتال والمغازي فلمكان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة تنبيها
على قول من يرى انهما واحدة فعملوا عملا يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لما احتاطوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين
في ضبط الدين وحفظ القران عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة اية من كل سورة والا لجاز ان كتبها
ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سالت علي بن ابي طالب ع عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف
ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى واكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا فقيل له اليس ان النبي ص كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال في اخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى
ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار
بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء
الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون
براءة مبتدا لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد اذن الله في
معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله ص وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم وكانه قيل للمسلمين اعلموا ان
الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روي انهم كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا
الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين ساروا والاشهر هي الحرم لقوله
فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب و
منه قيل للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من
الهجرة وكان رسول الله ص قد ولى عتاب بن اسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف معالم الحج المسلمون والمشركون
ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد امر فيها ابابكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل
له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله ص فلما لحقه قال
امير او مامور قال مامور وروي ان ابابكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل ع قال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول
الله ص فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشرة
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي
عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن الرماح وضرب بالسيوف
استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل علي ع كرم الله وجهه وعلى تقدمه واجاب اهل السنة بانه امر ابابكر على الموسم وبعث عليا خلفه
لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي على خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فذلك لان
المتعارف بين العرب انه اذا اعقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوي قرابته كاخ او عم
فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهد فازيلت علتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما خص ابابكر بتولية
امر الموسم خص عليا بهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب ولنرجع الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم
سيحوا او يكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهري
ان براءة نزلت في شوال والمراد بها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من
ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي
القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال
المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطه الى اربعة ومن كانت مدته اقل رفعته اليها والمقصود
من هذا التاجيل ان يتفكروا لانفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام او قبول الاسلام

او قبول الجزية او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى اشار بقوله واعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن
لمصلحة ولطف ليتوب من تاب فيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الالات والادوات فانكم لا تفوتون
الله وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع
الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال واذان وارتفاعه كا
رتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالذين
الاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطا
بمعنى الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة ثم انه تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي يحضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد
والناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف ويشتهر وكان النبي صلعم يريد ان يحج في السنة الاتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف
غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلعم الحج عرفة وهو قول عمر وسعيد
ابن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي عم وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلعم انه
قال خطب رسول الله صلعم عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه قول الشعبي والسدي
والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك لان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي عم ان رجلا اخذ
بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه
كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد ايضا هذا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا و
التقدير بان الله بريء من المشركين وقوله ورسوله بالرفع مبتدأ محذوف الخبر اي ورسوله بريء كذلك او هو معطوف على المنوي في بريء
اي بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار او على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة
من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة
هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم
اعرضتم عن التوبة او بقيتم على التولي والاعراض عن الايمان والوفاء فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه
واعلموا انكم غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وبشر يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد
ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لو فات وزال لخلصوا عن العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيمة اما قوله الا الذين فقد قال
الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال
في الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم
ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الا الذين عاهدتم ومعنى لم ينقصوكم شيئا اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا
اليهم ادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الاية بقوله ان الله يحب المتقين
يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين القبيلتين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلعم
من قوله الانصار كرشي وعيبتي اراد انهم بطانتي وموضع سري وامانتي وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلعم
فانشد لاهم اني ناشد محمدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا حلف
ابينا وابيك الاتلدا فقال صلعم لا نصرت ان لم انصركم ومعنى ناشد محمدا اذكره الحلف والعهد لانه كان بين عبد المطلب وبين
خزاعة حلف قديم والاتلد الاقدم ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم اي التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا
وانسلاخ الشهر تكامله جزءا فجزءا الى ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما
ظرف فاقتلوا المشركين يعني الناقضين حيث وجدتموهم من حل او حرم وفي اي وقت كان وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم امنعوهم
من التصرف في البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل ممر ومجتاز
ترقبوهم هنالك وانتصابه على الظرف كما مر في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ان حصلوا
شروطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام او عن التصرف في مهماتهم ان الله غفور
رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر قال الشافعي انه تعالى اباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر و

اقام

واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد احد هذه الامور ولم يوجد هذا المجموع فوجب ان يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل
ولعل ابا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعي الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان
كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان اسيرا نادى بحيث يسمع النبي صلعم اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد ثلثا فقال صلعم عرف الحق لاهله فارسلوه
قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي ولا ريب
ان كمال السعادة منوط بهما المعنى جعلنا الله من اهلهما لما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى
قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات كفى في ازاحة عللهم فيتجه ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل و
الحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام او بالجزية او بالقتل فازال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ الآية
قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك وهو الجمع بين المفسر والمفسر فحذف المفسر والغرض في الكلام
على الابهام ثم التفسير من حيث ان من مظان وقوع الفعل بعده وايضا ذكر الفاعل ههنا اهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك
فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار ومعنى استجرت فلانا اي طلبت منه ان يكون جارا لي اي محاميا وحافظا من ان يظلمني ظالم ومنه
يقال اجاره الله من العذاب اي انقذه والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر الاربعة بغير عهد ولا ميثاق ولا بينة فاستامنك ليسمع ما تدعوا
اليه من التوحيد والقرآن فامنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل ثم ابلغه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه ان المقصود
من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من اعلى المقامات فان الكافر الذي هو مهدر الدم لما اظهر من نفسه
كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مامنه اما زمان مهلة النظر فليس في الآية ما يدل على ذلك
ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا
عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وابلغ المامن وقيل ان تبقى المدة اربعة اشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعي والمذكور في الآية
كونه طالبا لسماع القرآن الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلائل وجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال
في آخر الآية ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه قيل اراد جميع القرآن لان تمام
الدلائل والبينات فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن
بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم جميع الدلائل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم او بلدة او ناحية وهو عقد المهادنة ويختص
بالامام وقد مر في تفسير قوله تعالى وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وقد يكون خاصا يتعلق بافراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين
ايضا وهذا مقصود الآية وانه ثابت غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى علي عم فقال ان اراد الرجل منا
ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدي هو منسوخ بقوله فاقتلوا
المشركين وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روي انه صلعم قال يسعى بذمتهم ادناهم وعن ام هاني قالت اجرت رجلين
من احمائي فقال صلعم امنا من امنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ يفيد
الغرض صريحا كقوله اجرتك او لا تخف او كناية كقوله انت على ما تحب او كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روي عن عمر
انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب اما اذا
دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا راى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم
الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب
من اهل ومال واما الذي معه فيهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالارجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد بقي في الآية مسئلة اصولية
هي ان المعتزلة استدلوا بالآية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه
الحروف في الوجود على التعاقب واجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي خلقها الله تعالى اولا عندكم ونعلم ان هذا المسموع
ليس كلامه بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها دالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها كلام الله كما ان الجبائي قال ان كلام
الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين راوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف
والاصوات قديمة ليلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ المرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد
او ليكون او للجار وهو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء
عهد وهم اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتوانوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام
الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ الآية في ما وجهان احدهما ان يكون زمانية وهي المدة

على الحقيقة اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثانى شرطية اى ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين
فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف حذف الفعل لكونه معلوما اى كيف
يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اى يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور فى نفسه كمالا
فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا فيكم ولا ينتظروا بكم الا ولا ذمة قال فى الصحاح الال
العهد والقرابة وجعل الال فى الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجؤار والانين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وسميت به القرابة
لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفى الصحاح ايضا ان الال بالكسر من اسماء الله عز وجل وفى الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل
جبرئيل جبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندى على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة
من ذلك الالة الحربة واذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك وكان
بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به اى يجتنب فيه الذم قال فى الكشاف يرضونكم كلام مبتدأ فى وصف حالهم
من مخالفة الظاهر والباطن مقرر للاستبعاد الثبات منهم على العهد وتأبى قلوبهم مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام
الجميل ثم قال سبحانه واكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب فلهذا حكم بالفسق على الاكثر والظاهر
انما اراد ان اكثرهم فاسق خبيثهم لا يتحرجون عن الكذب ونقض العهد الذى هو مذموم فى جميع الاديان والنحل اشتروا استبدلوا بآيات الله
بالقرآن او بالاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله فصرفوا عنه غيرهم وعدلوهم انفسهم قال مجاهد اراد الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر
المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ولو اراد المشركين كان تكرارا واولئك هم المعتدون المتجاوزون حدود الله
فى دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فان كان هذا فى اليهود وما ذكره قبل فى الكفار فلا تكرار
وان كان كلاهما فى الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثانى قوله فاخوانكم اى فهم اخوانكم فى الدين فلم يكن من التكرار فى شئ
قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة ونفصل الآيات نبينها لقوم يعلمون لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة
تفيد البعث على التامل فى احكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها وان نكثوا يعنى هؤلاء التائبين ايمانهم من بعد عهدهم اى من
بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين او المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيط من بعد ابرام وطعنوا فى دينكم ثلبوه و
عابوه فقاتلوا ائمة الكفر هى جمع امام واصلها اءممة كمثال وامثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وادغمت الميم فى الميم وهو من وضع الظاهر موضع
المضمر دلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق فى الكفر مقتدى فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص
سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم اكد غرض القتال بقوله لعلهم ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم
ورحمة عليهم لا امر نفسانى وداع شهوانى ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا ايمان لهم تنبيها على العلة الفاعلية للقتال
اثبت لهم الايمان اولا فى الظاهر حيث قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم فى الحقيقة لان ايمانهم ليست بما يعد ايمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا
تمسك ابو حنيفة فى ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعى يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن
منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان لهم بالكسر اى لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا
طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة
ثم شرع فى ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال الا تقاتلون قال اهل المعانى اذا قلت الا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك فى فعل
يقدر وجوده واذا قلت الست تفعل فانما تقول ذلك فى فعل تحقق وجوده والفرق ان لا ينفى بها المستقبل فاذا دخلت عليها الالف صار
تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس يستعمل فى نفى الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدى والكلبى نزلت فى
كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجر او من المدينة يريد اليهود
هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا ابا سفيان عليه يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم احد بقتله بان يدخلوه مكة ثم يخرجوه قبل
ان يتم حجة استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل لانه لم يوجد وهم بدؤكم اول مرة بالقتال يعنى يوم بدر لانهم حين سلم العير
قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه او المراد انهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة او المراد ان الرسول جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم
به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادى اظلم والحاصل ان من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء
بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان يوبخ من فرط فيها ثم زاد فى التوبيخ فقال فيه تقرير للخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت
للرجل اتخشى خصمك لانه يستنكف ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه قائلا فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين
يعنى ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته اتم وعقابه اشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفى الفناء نوع

تعليل لانّ الاستفهام في النّهي كانّه قيل لا تخشوهم لانّ الله احقّ بالخشية والجزء بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانّه قيل ان صحّ انّكم مؤمنون فلا تخشوا الّا الله ثمّ زاد في تاكيد الامر بالقتال فقال قاتِلُوهُمْ ورتّب عليه خمس نتائج الاولى قوله يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ اى بالقتل والاسر والاغتنام الاموال وهذا لا ينافي وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ لانّ المراد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انّ ما يدخل في الوجود من الافعال كلّها من الله يظهرها على ايدي العباد واعترض الجبائي بانّه لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب الله انبياءه على لسان الكفرة واجيب بانّ الامر كذلك عندنا الّا انّا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انّكم لا تقولون يا مسبّل اسباب الزنى واللواط ويا دافع الموانع عنها الثانية وَيُخْزِهِمْ قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذلّ والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين في ايدي المؤمنين وهو قريب من الاول وهو هو وقيل هو عذاب الاخرة الثالثة وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ اورد عليه انّ النصر يستتبع اخزاء الخصم فاىّ حاجة الى افراده بالذكر والجواب انّ المغايرة كافية في افراد كلّ من المتلازمين بالذكر على انّه من المحتمل ان يحصل لهم الخزي من جهة المؤمنين الّا انّ المؤمنين يحصل لهم امر لسبب آخر فلمّا وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ هم خزاعة وعن ابن عبّاس بطون من اليمن وسبأ قدموا مكّة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله (ص) يشكون اليه فقال ابشروا فانّ الفرج قريب الخامسة وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ قيل شفاء الصدر واذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب انّ القلب اخصّ من الصدر كقوله يا دار ميّة بالعلياء فالسند وشفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب انّ الانتظار شاقّ وان كان مع التثبّت بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلّها وكان ذلك دليلا على صدق النبي (ص) واعجازه ثمّ قال وَيَتُوبُ اللّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وهو ابتداء كلام للاخبار بانّ بعض اهل مكّة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ امّا انّ التوبة كيف تقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فانّ القتال قد يصير سببا للتوبة بعضهم عن الكفر وامّا من جهة المؤمنين فلعلّ القتال كان شاقّا على بعضهم فاذا اقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وايضا انّ حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد توالي النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن جميع الذنوب وقد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهي عن الحرام وايضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتح عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربّما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو احد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي يعني حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس للاشتغال بالدنيا وَاللّهُ عَلِيمٌ بكلّ ما يجري في ملكه وملكوته حَكِيمٌ مصيب في افعاله واقواله واحكامه وتدبيره عن ابن عبّاس انّ قوله ألا تقاتلون الاية ترغيب في فتح مكّة لانّ النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده المحقّق لانّ هذه السورة نزلت بعد فتح مكّة بسنة ثمّ بيّن انّه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال وانّما المقصود ان يؤتى به انقيادا لامر الله ولكي يظهر المخلص من المنافق فقال أَمْ حَسِبْتُمْ الاية وقد مرّ وجه اعرابه في آل عمران عند قوله أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا وقوله وَلَمْ يَتَّخِذُوا معطوف على جاهدوا وداخل في حيّز الصلة والوليجة البطانة يعني الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجتي يستوي الواحد والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميّز المجاهد من المخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتّخذوا حبيبا من الذين يضادّون رسول الله والمؤمنين ثمّ ختم الاية بقوله وَاللّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ ليعلموا انّه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فجدّوا في استقامة السيرة ويجتهدوا في نقاء السريرة التأويل بَراءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ من النفوس المشركة التي اتّخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فهادنها الروح والقلب اوان الطفولية لاستكمال القالب تربيته فسيحوا في ارض البشرية اربعة اشهر هي مدّة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية وَأَذانٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ الى الصفات الناسوتية يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يوم الوصول الى كعبة الجمال والحجّ الاصغر الوصول الى كعبة القلب ثمّ زيارة كعبة الوصال حرام على مشركي الصفات الناسوتية فَإِنْ تُبْتُمْ عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ من قيامكم بالناسوت وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ وكنتم الى غير الله فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ عن التصرّف فيكم امّا لاهل السعادة فبالجذبات الازلية وامّا لاهل الشقاوة فبأليم عذاب القطيعة إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ ايّها القلوب والارواح من مشركي النفوس على التوافق في العبودية ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً من وظايف الشريعة وَلَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً من الشيطان والدنيا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ بالمداراة والرفق الى اوان طلوع قمر العناية ونجم الجذبة والهداية فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ استكملت مدّة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فَاقْتُلُوا النفوس المشركة بسيف النهي عن الشهوات حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ في الطاعة بان تكلّفوها اياها وفي المعصية بان تزجروها عنها وَخُذُوهُمْ بارباب الطريقة وَاحْصُرُوهُمْ احبسوهم في حصار الحقيقة وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ راقبوهم في الاحوال كلّها فَإِنْ تابُوا رجعوا الى الطلب الحقّ وَأَقامُوا الصَّلاةَ ادّوا حقّ العبودية وَآتَوُا الزَّكاةَ تزكّت عن الاخلاق الذميمة فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة ويصلوا الى الحقيقة فانّ النهاية هي الرجوع الى البداية وان احد من مشركي صفات النفس استجارك يا قلب ترك ما هو المخصوص من الصفات الذميمة

المنافقين من المجاهدين



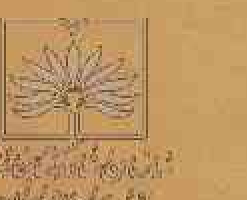
فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالالهام ثم ابلغه مامنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس يجذب
النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون للمشركي
النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال
فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم بشرط حفظ متسع رباط
الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة في عالمي الامر والخلق يرضونكم بالاعمال
الظاهرة وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بدلالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع
الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فارعوا حقوقهم
فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون ان السير الى الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا مذهب السلوك ائمة الكفر
النفوس وهموا باخراج الرسول يعني الواردات الغيبية بانسداد روزنة القلب وهم بدؤكم اول مرة في اوان الطفولية اتخشونهم في فوات حظوظها فالله
احق ان تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى
الحق قبل التمادي في الباطل من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها ام حسبتم ايتها النفوس
الامارة ان تتركوا بلا رياضة ولم يتخذوا اولياء من الشيطان والدنيا والاخرة ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم

ع ۹ بِالْكُفْرِ أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
بکفر آنگروه باطل است کردارهای ایشان و در آتش ایشان جاویدانند جز این نیست که آباد کند مسجدهای خدا را آنکه گروید بخدا و بروز واپسین
وَأَقَامَ الصَّلٰوةَ وَآتَى الزَّكٰوةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللّٰهَ فَعَسٰى أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ
و بر پا داشت نماز را و داد زکوة را و نترسید بجز خدا پس امید است که آنگروه بوده باشند از راه یافتگان آیا قرار دادید آب دادن حاجیان
وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي
و آباد کردن مسجد الحرام را چون آنکه گروید بخدا و روز واپسین و کوشش کرد در راه خدا یکسان نیستند در نزد خدا و خدا هدایت نکند
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً
گروه ستمکاران را آنانکه گرویدند و سفر کردند و کوشش کردند در راه خدا بمالهای خود و تنهای خود بلند ترست پایه ایشان
عِنْدَ اللّٰهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ
در نزد خدا و آنگروه ایشانند بمراد رسندگان مژده دهد ایشان را پروردگار ایشان برحمت خود و خوشنودی و بوستانها از برای ایشان نعمتهای پاینده جاویدان
فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى
در آن همیشه بدرستیکه خدا در نزد او مزدی بزرگ است ای آنکسانی که گرویده اید فرا مگیرید پدران خود و برادران خود را دوستان اگر خواستند کفر را بر
الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَ
ایمان و هر که دوست گیرد ایشان را از شما پس آنگروه ایشانند ستمکاران بگو که اگر هست پدران شما و فرزندان شما و برادران شما و جفتهای شما و
عَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ
طائفه شما و مالهای که کسب کرده اید آنرا و سوداگری که میترسید از ناروائی آن و جاهای که اختیار کرده اید دوست تر بسوی شما از خدا و رسول او
ع ۱۰ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّٰى يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ فِي مَوَاطِنَ
و کوشش در راه او پس منتظر باشید تا بیاید فرمان خدا و خدا هدایت نکند گروه تبه کاران را هر آینه یاری کرد خدا شما را در جاهای
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ
بسیار و در روز حنین چون بعجب آورد شما را بسیاری شما پس بی نیاز نساخت شما را چیزی و تنگ شد بر شما زمین با وجود وسعتش پس برگردیدید پشت کنندگان
ثُمَّ أَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ
پس فرستاد خدا وقار خود را بر پیغمبر خود و بر مؤمنان و فرو فرستاد لشکرها که ندیدید آنرا و عذاب کرد خدا آنها را که کافر شدند و این است
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا ربع
مزد کافران پس قبول کند خدا از پس از این بر آنکه خواهد و خدا آمرزنده مهربانست ای زمره آنانکه گرویده اید جز این نیست که مشرکان پلیدند پس
يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
نزدیک نشوند مسجد الحرام را پس از این سال و اگر بترسید از فقر پس زود بی نیاز گرداند شما را خدا از فضل خود اگر خواهد بدرستیکه خدا دانای محکم کار است

القراءة

القراءة مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع بشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع ابو بكر وحماد وجبلة وضاقت
ونحوها بامالة حمزة رحبت ثم مظاهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف بالكفر ط اعمالهم ج لعطف المختلفين
خالدون ٥ المهتدين ٥ في سبيل الله ط عند الله ط والظالمين ٥ لئلا يشتبه بالوصف انفسهم لا لان ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون ٥ مقيم لا
لان ما بعده حال ابدا ط عظيم على الايمان ط الظالمون ٥ بامره ط الفاسقين ٥ كثيرة لعطف الظرف على الظرف حنين لا لان اذ ظرف نصركم مدبرين ٥ للاية والعطف
كفروا ط الكافرين ٥ من يشاء ط رحيم ٥ نصف الجزء وهذا ان شاء ط حكيم ٥ التفسير انه سبحانه بدأ بالسورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك
بتعداد فضايحهم وقبايحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما اسر العباس
يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي عم له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا
فقال له علي عليه السلام الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليهم ما كان للمشركين
ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها
وهذا اكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك واما ان يراد المسجد الحرام وجمع
لان قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد او لان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد يضع الواحد مكان الجمع كقولهم
فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما لزومه واما كثرة اتيانه للصلوة و
الاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك واما رمته وتعهده وتنويره وليس للمشرك هذا ايضا لانه لا يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون
للكافر منة على اهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روي انه
صلى الله عليه وآله انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانه كانه اراد
ان يكون ذلك بمحضر منه وهون المسجد وقوله شاهدين على انفسهم حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة متعبدات الله مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة اقوال اصحها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقرآن ولهذا
قال السدي هي ان النصراني اذا قيل له ما انت قال نصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن وقيل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك
لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد
جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام
الجائع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد ولهذا قال وفي النار هم فيها خالدون ولافادة هذا التركيب الحصر احتجت
الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استيهال عمارة المسجد فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لان المرء ما لم
يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقي من الله والى الله ولهذا ورد في الحديث
المصلي يناجي ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة ترك ذكره ص وقيل دل
عليه بقوله واقام الصلوة وآتى الزكوة لانهما معلومتان من اتباعه ص ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة
لا ريب ان فيها عمارة المسجد والحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكوة ولان
ايتاء الزكوة واجب وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه
لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم انه لو اتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يختار في جميع الاحوال رضوان
الله على غيره فان ذلك لو ضره في العاجل فسينفعه في الآجل وفي ادخال كلمة انما في صدر الآية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات
المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روي عن النبي ص انه قال يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه ص الحديث في المجلس يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال
صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زائره ومن عمارة المسجد تعظيمها والتدريس فيها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن انس عن النبي ص من اسرج في مسجد سراجا لم تزل
الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع
باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باولئك
المشركين ومنعهم وفيه ان المؤمن يجب ان لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الائمة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان
الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال اجعلتم سقاية الحاج ومعناه هو ان عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم من الفضيلة الا ان هذه الاعمال
في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين الفريقين الا انهم اختلفوا فقيل كان فرعونه
لقوله كمن آمن وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا

يقول انا عابد الوثن



المسجد الحرام وتسقي الحاج وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله اولئك أعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول ايضا درجة وقصته ما روي عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلعم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال الآخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الآية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي عم ما ادري ما تقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي عم للعباس بعد ان كان اسلم الا تهاجر الا تلحق بالنبي صلعم فقال الست في افضل من الهجرة الست اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال النبي صلعم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف اي اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل ان يسئل ما بال احد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم واي ظلم اشنع من وضع اخس الموجودات وهو الاصنام مقام اشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر القهر فافهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين آمنوا الآية ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله أعظم درجة يوجب ان يكون للمفضول ايضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة واجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله ذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم او المراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر او المراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولا شك انهما من اعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله عند الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون وكذا في قوله واولئك هم الفائزون لدلالته على اختصاص الفوز بهم ثم فسر الفوز بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات التنكير فيها يفيد انها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم فيها نعيم اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلاثة الفاظ مؤكدات اولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها ابدا وقال اهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا اعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد يكون حسية وقد يكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى اعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخره اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان الذي رباكم في الدنيا بالنعم التي لا اعد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز ان يكون الرحمة اشارة الى رضاء العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم و الآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية ثم اكد المعاني المذكورة بقوله ان الله عنده اجر عظيم وفي تصدير الجملة الاسمية بان وفي لفظ عند وتقديمه وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما امر رسول الله صلعم بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون انشدك الله ان تدعنا الى غير شيء فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الى الآيتين و ذكروا في وجه النظم ان هذه الآية جواب عن شبهة اخرى قالوا هاهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات و مواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة ثم ان النهي كان يحتمل ان يكون نهي تنزيه لا تحريم فلازالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي صلعم لا يطعم احد طعم الايمان حتى يحب ويبغض في الله حتى يحب في الله اقرب الناس وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل اهله الادنون وهم الذين يعاشرونه ومن قرأ على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا يكاد العرب يجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقران حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو

غزوات الرسول تسع عشر

الكاسبين للشيء ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور في الاية في غاية الحسن لان اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة ثم القرينة
ثم البعيدة ثم ان يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفي اخر المراتب الرغبة في الاوطان الطيبة
للسكنى فبين تعالى انه يجب تحمل هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية اولى عندكم من
طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا انتظروا بما تحبون حتى يأتي الله بأمره عن الحسن هو عقوبة عاجلة او اجلة
وقيل يعني القتال وعن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روي ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين اراد ان يبين ان كل من اعرض عن
الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعي مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة قال الواحدي النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها
وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولا هاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول ص وهي على ما في الصحاح تسع عشرة منها
غزوة بدر وقريظة والنضير واحد وغزوة خندق وذات الرقاع وغزوة بني المصطلق وغزوة انمار وغزوة ذي القرد وخيبر والحديبية
والفتح ويوم حنين اي وفي يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان
يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين ع قال على ص ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اي ونصركم يوم حنين
لان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا
كثيرا في جميعها ويجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان و
ما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف
قال المفسرون لما فتح رسول الله ص مكة وقد بقيت ايام شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد
عسكر رسول الله ص حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر الفا عشرة الاف من الذين حضروا مكة والفان من الطلقاء
الاسارى الذين اعتقهم رسول الله ص وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وثقيف اربعة
الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله ص وهي المراد من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر
وقيل رسول الله ص وهو بعيد لانه كان في الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع
الحاجة اي لم يعطكم الكثرة شيئا يدفع حاجتكم ولم يفدكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور
في موضع الحال اي متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض
موضعا يصلح لفراركم اليه وكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اي انهزمتم منهزمين قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا
واكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله ص ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والذي
لا اله الا هو ما ولى رسول الله ص دبره قط لقد رأيته وابو سفيان اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالي وكانت بغلة شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا
فنادى يا اصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق واخذ رسول الله ص بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت
الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم احد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم انزل الله
سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله ص حين وقع الهرب وانزل
جنودا لم تروها يعني الملائكة ستة عشر الفا او ثمانية الاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم
حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا وركبوا اكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر
الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا اي بالقتل والاسر واخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بان انزال السكينة
وهي طمأنينة السكون والثبات وبقوله وعذب على ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الله بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان
الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع
ان يكون غيره مشروعا معه واجاب الشافعية بانه تعالى قال في هذه الاية وذلك اي الاخذ والاسر جزاء الكافرين مع ان العذاب العاجل
جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الاجل باق اما قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك اي يسلم ناس منهم روي ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل و
الغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون يعني العساكر ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساؤكم واما اموالكم قالوا ما

نعدل بالاحسان شيئا فقام رسول الله صلعم فقال ان هولاء جاؤا مسلمين وانا خيرتهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان
بيده شئ وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا ثم انه سبحانه اجاب عن شبهة اخرى لهم وذلك ان عليا عليه السلم حين
قرأ عليهم براءة ونبذ اليهم عهدهم قال اناس يا اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس قال في الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذوو نجس وقال الليث انه صفة يستوى فيه الواحد وغيره رجل نجس
وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة في الوصف واختلف في تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادى من ائمة الزيدية واما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة ابدانهم و
احتج القاضى على ذلك بما روى انه صلعم شرب من اوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدل النجاسة بسبب الاسلام واولوا الاية بان معناها انهم
لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث او انهم بمنزلة الشئ النجس في وجوب الاجتناب والاحتراز او ان كفرهم الذى هو صفة
بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشئ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين
واختلفوا في هذا النهى فعن ابى حنيفة واصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه في الجاهلية والدليل عليه قول على عليه السلم
في النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعى المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد
الحرام في المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على
المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين ان يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعم وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب منع
المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما
كان لهم في قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله
اى من تفضله بوجه اخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم
عن الفئ وعن مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك اعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع
فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يفتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء اليه وليعلم ان حصول ذلك لا يكون
في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا ختم الاية بقوله ان الله عليم اى باحوالكم حكيم لا
يعطى ولا يمنع الا عن حكمة وصواب التأويل ما كان لمشركى النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهى القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد
وتتبع الهوى حبطت اعمالهم التى صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من امن بالله واليوم الاخر صدق بان المقصود والمعبود هو
الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وادام المناجات مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الدنية ولم يخف فوات الحظوظ
الدنيوية وانما يخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال
الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدى القوم الظالمين
الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين امنوا اى القلوب المؤمنة وهاجروا اى الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا
في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس الوجود بتجلى صفات
اللطف وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم اى من وصل الى مقام العندية فالله العظيم اجره لا تتخذوا اباءكم الانسانية فيما اشارة
الى ان من اثر محبة الخلق فقد ابطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى ويوم حنين اى حين حنت نفوسكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم انكم
تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود ثم اعرضتم عن الطلب اذ احتجبتم بحجب العجب بين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله
سكينته وهى واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى القلوب المؤمنة وانزل جنودا من المواهب الربانية ومن
المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اى علاج النفوس المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة
وذلك جزاء الكافرين اى علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعى انما المشركون النفوس لعابدة للدنيا والشيطان
والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب عن اتباع النفوس وامرها بقتالها
ومنعها عن طوافها لئلا تتنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس واوصافها الدنية وان خفتم عيلة حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف
يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحقى فضله حكيم فيما دبر من
قتال النفوس قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين
اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح

ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا
هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين
امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم
يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا
ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات
والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة
كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا
يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

القراءة عزير ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمزة عاصم غير الخزاز الاخرون
يضاهون بحذف الهمزة ان يطفوا وليواطوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد و
الخزاز انما النسي بالتشديد ورش من طريق النجاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة
غير العجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي واوقيه ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد الوقوف صاغرون
المسيح ابن الله ط بافواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا
واستينافا واحدا ج لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو ط يشركون الكافرون كله لا لتعلق لو بما قبله المشركون عن سبيل الله ط في سبيل الله
لتعلق الفاء اليم اي في يوم وظهورهم ط تكنزون حرم ط تقاتلونكم كافة ط المتقين فيحلوا ما حرم الله ط اعمالهم ط الكافرين التفسير انه لما ذكر شبهات المشركين
واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب المقصود تميزهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب
في اهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب
فدل على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله
واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم ان يكون
اكثر المتكلمين كذلك فالاشعري من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضي انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه و
القاضي اثبت لله ادراك المطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاد ابو اسحق انكره والقاضي اثبت للصفات سبعة احوال معللة بتلك
الصفات وغيره انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والاخرون انكروه
وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا في ان خلاف
المعلوم هل هو مقدور لله واما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من ان تحصى ههنا واجيب بان المجسم خالف في الذات لانه يقول ان
الاله جسم والبرهان على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف في المسائل المذكورة فراجع الى الصفة وظهر الفرق نعم ان كفر الحلولية

ثم بين الموصوفين بها ج

الطاعة وصرف النفس عن الاموال الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة ارادوا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة بسبب ان ينفخ فيه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويأبى الله الا ان يتم نوره اي لم يرد الله الا ذلك لان الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال وان ارادوا ظلمنا ابيناه استدح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى وبكثرة الدلائل والمعجزات ودين الحق وهو اشتماله على امور يظهر لكل احد كونه موصوفا بالصواب مطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والاخرة ثم بين غاية امره وتمام حكمه فقال ليظهره على الدين كله اي يجعل الرسول او دين الحق غالبا على اهل الاديان كلهم او على كل دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي ع لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى الخراج قلت قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فاريت مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهر الاسلام على غيره في جزيرة العرب وهذا التخصيص وجهه ضعيف لعطن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة وللقائل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان لم يكونوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام احكامه قوله هو الذي ارسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ابقائه الى حيث شاء واراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة التي لا يوازنها نعمة وهي نعمة الهدى في الاسلام وقوله ولو كره الكافرون وفي الاية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا الدلالة تنبيها على ان اليهود والنصارى ايضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركي قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق اراد ان يصفهم بالطمع والحرص فقال يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الاية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي ره ولعمري ان من تامل في احوال اهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الايات كانها ما انزلت الا في شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الجنة ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة على ان هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن المحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم وعبر عن اخذهم اموال الناس بالاكل تسمية للشيء باسم ما هو اعظم مقاصده وايضا من اكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما لو اخذه ولهذا فان من اخذ اموال الناس فاذا طولب بردها قال اكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا ياخذون الرشى في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرائع وفي اخفاء بعث محمد وتاويل الدلائل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يوعدون عند عوامهم الحمقى انه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا لا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان اولئك الفقهاء اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا اما قوله ويصدون عن سبيل الله فمعناه يبالغون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بدينه ثم قال سبحانه والذين يكنزون الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم كنزت الشيء اجمع وقيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص اتبعه بما اراد ان يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن اموالهم وقيل المقصود مانعوا الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في اخذ مال غيره بالباطل والحديث عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت له ما انزلك هذه البلاد فقال كنت بالشام فاختلفت انا ومعوية في هذه الاية فقال معوية نزلت في اهل الكتاب قلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الي عثمن ان اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كانهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا قلت اني والله لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رايت اباذر يقول بشر الكافرين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رايت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال لنا عسى يصح ب ترتيب واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم يؤد زكوته عن عمر بن الخطاب مال ادي زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل مال اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم يؤد زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض قال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس

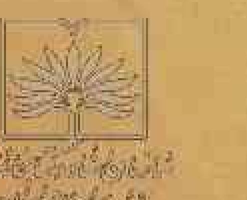
قوله ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ يريد الذين لا يؤدون زكوة اموالهم قال القاضي ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات واروش الجنايات وقال الاقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء اديت زكوته او لم تؤد حجة الاولين قوله تعالى ﴿لها ما كسبت﴾ ﴿ولا يسألكم اموالكم﴾ وقوله ع كل امرء احق بكسبه نعم المال الصالح ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم تزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله ص جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان عبد الرحمن بن عوف وكان بعدهم من اكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث والاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان با المريض يتصدق بالكل بل الصحيح في حال الصحة حجة الاقلين عموم الاية وما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله ص تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله ص كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان وعن علي ع كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز اديت منه الزكوة او لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه ما زاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما وجب عليه ثم يعاقبه وقال اهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لان تزايد المال لا حد له يقف عنده فيجر الى تضييع العمر في تحصيله اخرى وحفظه ولانه كلما ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه لا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ﴿ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى﴾ ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا ادى منه حقوقه هذا ومن حمل الاية على وعيد مانعي الزكوة في النقود قاس الزكوة في المواشي عليه وقد ورد ايضا في الحديث ما من صاحب ابل او بقر او غنم وهو مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور عليهما ولمن اوجب الزكوة في الحلي المباح الاستدلال بالاية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يوجب الزكوة فيه خصص عموم الاية بما روي انه ع قال لا زكوة في الحلي المباح ودم الحجة ابو عيسى الترمذي وتنقيد بان يحمل على اللآلي لقوله تعالى ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ ولقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على اللآلي لم يبق لتقييد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ﴿ولا ينفقونها﴾ فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز او الاموال ولان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ وقيل الحمل على اللفظ اي لا ينفقون الفضة وحذف الذهب لانه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر احدهما عن الآخر كقوله ﴿واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها﴾ ﴿ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا﴾ واما لان التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك ثم قال ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾ تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح او من الغم كان حقيقة ﴿يوم يحمى عليها﴾ معناه ان النار تحمى عليها اي يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله ﴿نار حامية﴾ ولو قيل يوم يحمى اي الكنوز كقولك حميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور وبعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ ذكر العلماء في تخصيص هذه الاعضاء بالكي وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح في القلب يظهر اثره في الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعوضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تألمها لكونها مجوفة لما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكوون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع الكي على كل الاعضاء لانها اما في غاية اللطافة ومثاله الجبهة واما في غاية الصلابة ومثاله الظهر واما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها ان الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما طلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول ابي بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا راى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه وولى عليه ظهره وانا اقول يحتمل ان يراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف حين خلف ما اعقبه الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف المال في مرضات الله وانفقه في معصيته وسخطه وهذا بالتأويل اليق ثم الذي جعل كيا هو كل المال او القدر الزكوي الظاهر انه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا في كل المال فناسب ان يعذب بكل الاجزاء ثم قال ﴿هذا ما كنزتم﴾ والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم ﴿لانفسكم﴾ وفيه توبيخ واشعار بانهم عوضوا بنقيض ما قصدوا واكد ذلك بقوله ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ ما مصدرية او موصولة والمعنى ذوقوا وبال كونكم كانزين او وبال المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبائح اعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال ﴿ان عدة الشهور﴾ الآية ووجه الاتيان وذلك انه تعالى الحاكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك



لكفرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن
اثني عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله
بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان
عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدال تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد
واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله صفة اثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله
وعلى هذا لا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب
يكون مصدرا بمعنى المفعول اي فيما اثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في
كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها اربعة حرم ثلاثة سرد اي مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد
فرد وهو رجب ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا
يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه واخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا
عن عطا تالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت
الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم
اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب والعقاب كالامكنة و
كانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وفيه فائدة اخرى هي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك
على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر
مطلوب في نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد او الاعتقاد ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه
السالفة فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع اقرب الى اتحاد الاداء ولطائف الكلمة وقيل الضمير في قوله فيهن عائد
الى اثني عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الافساد عمره والمراد المنع من الشيء على ما يجيء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى
الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلاثة الى العشرة ضمير
الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الواحدة قال حسان لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة
دما ويقال لثلاث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل وقاتلوا المشركين وظاهر الاية يدل على اباحة القتال
في جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا تزاحموا فكف بعضهم بعضا و
على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك
قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان فعن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوهم بترك القتال
كما انهم يستحلون قتال جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من
المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين حث لهم على النفوس على الجهاد بضمان النصرة و
المعونة ثم فسر الظلم المنهي عنه في الاية المتقدمة واكد النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نسأه اذا اخره كالنذير والنكير قال قطرب اصله
الزيادة من قولهم نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بانه يقال لها ذلك لتاخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى
مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤل المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان
العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وايضا
اطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكم او
انما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤل الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة
وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او الحقيقة وقد مر مرارا قوله يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي
اي يحلون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمونه اي التاخير عاما اخر وهو الذي
يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلاثة اشهر متوالية من
غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او في المحرم حرب او غارة اخروا تحريمه الى شهر اخر قال الواحدي واكثر العلماء على
ان هذا التاخير كان من المحرم الى صفر ويروى انه حدث في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني
مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول
ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا ترك القتال ووجوب تخصيص ذلك بتلك

التوبة

قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله اي من القتال وترك الاختصاص قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه لان كل واحد
منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو ان ياتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم
ما احلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل ان يكون عدة
الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطاة وللاية تفسير آخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر
حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية اعني اثني عشر شهرا قمرية هي ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما
عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة
وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة
تقريبا وبسبب هذا النقصان ينتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف اخرى وكذا في الربيع
والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل اسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب
اقدموا على الكبيس بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي
فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في
السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشرة ثم في السادسة عشرة ثم في الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهزيجوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصنعة
من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزائد هو الكبيس وسمي بالنسيء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا
التفسير يطابق ما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر
الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الامر فكانت
حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة التي سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها
ثلثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا اي لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على
هذا التفسير ويلزمهم ايضا ما لزمهم في التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله
يحلونه عاما اي يحلون النسيء من عام الكبيس ويحرمونه عاما اي في غير سنة الكبيس ومعنى قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله ما روي انه
كان يقوم في الموسم منهم خطيب يقول انا النسيء لكم في هذه السنة شهرا وكذا اخل في كل سنتين او ثلث بايام حجكم وقتا لا تدرك فنسمي
المحرم ونجعله كبيسا ثم انه منافسها التوبة الى الشهر الحرام فنكود حرم عليهم فاضطرابه على وفق مصلحتهم واحل الاخر وباقي الاية قد مر
تفسير مثله مرادا والله تعالى اعلم التأويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر اي لا يعملون للآخرة ولا يحرمون
ما حرم الله من حب الدنيا فانها راس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الملهمة با
الواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد اي حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت اليهود النفس عزير
القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب آثار انوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كما ان اليهود لما سمعت التورية والعلوم
التي هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب في صفة
الربوبية والخلافة مقرونا بصفة ابداع الحق وتشريف اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهئون قول الذين كفروا من قبل هم
النفوس الكافرة اتخذوا احبارهم اي قلوبهم ورهبانهم اي ارواحهم اربابا والمسيح ابن مريم وهو الخفي وذلك ان الخفي هو
اول مظهر للفيض الالهي الذي منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى ان يرى الكل من الحق
فان رؤية ذلك من شان القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما راى يريدون اي النفوس ان يطفئوا نور الله الذي رش على الارواح في
بدء الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذي ارسل رسوله وهو الفيض النوراني المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق ليظهره
في طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون اي يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون
الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمي ترك
الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها في نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم اشتغلوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم
حيث لا يتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذي اصابكم من الم الحرمان
وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الآن الم كي نار الحرص لانكم لم تذوقوا في الدنيا حيث كنتم في منام الغفلة منها اربعة حرم فيه
اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب ان يجعل اوقات عمره اثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح
الدنيا وثلثا للطاعات التي ينتفع بها في الآخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع في خاطره غير المولى ومن استغنى عن المعاش فحرام
عليه صرف لحظة في غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان في سلوكه



اعوجاج ثم ذکر من شان النفوس المشرکة انها ان اقبلت علی طاعة اخرها عن وقتها وهو النسیء الموجب لازدیاد کفرها لانها قد خالفت
الشرع من حیث ترکها الطاعة باختیارها ومن حیث ذلک ان اعتقدت انها التاخیر مما لا باس به یٰاَیُّهَا الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا مَا لَکُمْ
ع۱۲
اِذَا قِیْلَ لَکُمُ انْفِرُوْا فِیْ سَبِیْلِ اللّٰهِ اثَّاقَلْتُمْ اِلَی الْاَرْضِ اَرَضِیْتُمْ بِالْحَیٰوةِ الدُّنْیَا مِنَ الْاٰخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَیٰوةِ الدُّنْیَا
که چون گویند شمارا که بیرون روید در راه خدا درنگ کنید در زمین آیا خوشنود شدید بزندگانی دنیا از آخرت پس نیست بهرهٔ زندگانی دنیا
فِی الْاٰخِرَةِ اِلَّا قَلِیْلٌ اِلَّا تَنْفِرُوْا یُعَذِّبْکُمْ عَذَابًا اَلِیْمًا وَّیَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَیْرَکُمْ وَلَا تَضُرُّوْهُ شَیْـًٔا وَاللّٰهُ عَلٰی کُلِّ
در جنب آخرت مگر کمی اگر که بیرون نروید عذاب کند شمارا عذابی دردناک و بدل آورد از شما گروهی غیر از شمارا و ضرر نرسانید اورا چیزی و خدا بر هر
شَیْءٍ قَدِیْرٌ اِلَّا تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ اِذْ اَخْرَجَهُ الَّذِیْنَ کَفَرُوْا ثَانِیَ اثْنَیْنِ اِذْ هُمَا فِی الْغَارِ اِذْ یَقُوْلُ لِصَاحِبِهٖ لَا
چیز تواناست اگر یاری نکنید اورا پس تحقیق که یاری کند اورا خدا وقتی که بیرون کردند اورا کافران که دومی از دو بود وقتی در غار بودند چون گفت یار خود را که
تَحْزَنْ اِنَّ اللّٰهَ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللّٰهُ سَکِیْنَتَهٗ عَلَیْهِ وَاَیَّدَهٗ بِجُنُوْدٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ کَلِمَةَ الَّذِیْنَ کَفَرُوا السُّفْلٰی وَکَلِمَةُ
اندوه مخور که خدا با ماست پس فرو فرستاد خدا اطمینان خود را براو و یاری کرد او را بلشکری که ندیدید شما آنرا و گردانید سخن آنانرا که کافر شدند پست و سخن
اللّٰهِ هِیَ الْعُلْیَا وَاللّٰهُ عَزِیْزٌ حَکِیْمٌ اِنْفِرُوْا خِفَافًا وَّثِقَالًا وَّجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِکُمْ وَاَنْفُسِکُمْ فِیْ سَبِیْلِ اللّٰهِ ذٰلِکُمْ خَیْرٌ
خدا آن بلند پایه است و خدا غالب داناست بیرون روید سبک و بیارکان یا سوارگان و کوشش کنید با لهاتان و نفسهاتان در راه خدا این بهتر است
لَّکُمْ اِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ لَوْ کَانَ عَرَضًا قَرِیْبًا وَّسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوْکَ وَلٰکِنْ بَعُدَتْ عَلَیْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَیَحْلِفُوْنَ
مرشمارا اگر میبیا دانایان اگر بودی کالای نزدیک و سفری آسان هرآینه پیروی کردند ترا و لیکن دشوار است برایشان سفر دور و زود باشد که سوگند خورند
بِاللّٰهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَکُمْ یُهْلِکُوْنَ اَنْفُسَهُمْ وَاللّٰهُ یَعْلَمُ اِنَّهُمْ لَکٰذِبُوْنَ عَفَا اللّٰهُ عَنْکَ لِمَ اَذِنْتَ
بخدا که اگر بتوانیم هرآینه بیرون شویم با شما هلاک نمایند نفسهای خود را و خدا میداند که ایشان هرآینه دروغ گویانند درگذشت خدا از تو چرا اذن دادی
ع۱۳
لَهُمْ حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَکَ الَّذِیْنَ صَدَقُوْا وَتَعْلَمَ الْکٰذِبِیْنَ لَا یَسْتَاْذِنُکَ الَّذِیْنَ یُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْیَوْمِ
ایشانرا تا ظاهر شود مر ترا آنان که راست گفتند و بدانی دروغ گویان را دستوری نمیخواهند از تو آنان که میگروند بخدا و روز
الْاٰخِرِ اَنْ یُّجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاللّٰهُ عَلِیْمٌ بِالْمُتَّقِیْنَ اِنَّمَا یَسْتَاْذِنُکَ الَّذِیْنَ لَا یُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَ
واپسین که کوشش کنند بمالهای خود و نفسهای خود و خدا داناست بپرهیزکاران جز این نیست که دستوری خواهند آنانکه نگروند بخدا و
الْیَوْمِ الْاٰخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوْبُهُمْ فَهُمْ فِیْ رَیْبِهِمْ یَتَرَدَّدُوْنَ وَلَوْ اَرَادُوا الْخُرُوْجَ لَاَعَدُّوْا لَهٗ عُدَّةً وَّلٰکِنْ
روز واپسین و در شک است دلهای ایشان پس ایشان در شک خود متردد وند واگر اراده بیرون رفتن داشتند هرآینه مهیا کردندی برای آن اسبابی
کَرِهَ اللّٰهُ انْۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِیْلَ اقْعُدُوْا مَعَ الْقٰعِدِیْنَ لَوْ خَرَجُوْا فِیْکُمْ مَّا زَادُوْکُمْ اِلَّا خَبَالًا وَّلَاَوْضَعُوْا
ولیکن ناخوش داشت خدا برانگیختن ایشانرا پس درنگ کرد و گفته شد که بنشینید با نشستگان اگر بیرون روند با شما نیفزایند شمارا بجز تباهی و هرآینه بشتابند
خِلٰلَکُمْ یَبْغُوْنَکُمُ الْفِتْنَةَ وَفِیْکُمْ سَمّٰعُوْنَ لَهُمْ وَاللّٰهُ عَلِیْمٌ بِالظّٰلِمِیْنَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوْا
میان شما جستندی شمارا فتنه و در شما جاسوسان ایشان و خدا داناست بستمکاران تحقیق که جستند فتنه را از پیش و برگردانیدند
لَکَ الْاُمُوْرَ حَتّٰی جَآءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ اَمْرُ اللّٰهِ وَهُمْ کٰرِهُوْنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ یَّقُوْلُ ائْذَنْ لِّیْ وَلَا تَفْتِنِّیْ اَلَا فِی الْفِتْنَةِ
برتو کارها تا که آمد حق و هویدا شد فرمان خدا و ایشان کراهت داشتند و از ایشان کسی است که میگوید دستوری ده مرا و مفتون مساز مرا آگاه باشید در فتنه
سَقَطُوْا وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیْطَةٌ بِالْکٰفِرِیْنَ القراءة وکلمة اللّٰه بالنصب یعقوب لیاقون من الاخرة قلیل شباقنه معنا العطف
افتادند و بدرستی که جهنم هرآینه محیط است بکافران انزل علی نصره مع عوض المظروف السفلی الالمن قرء وکلمة بالنصب لعلیا حکیم ۵ فی
سبیل اللّٰه تعلمون ۵ الشقة معکم لاحتمال ما بعد الاستیناف والحال لکاذبون ۵ عنک لحق الاستفهام مع اتصال الکلام معنی الکاذبین ۵ و
انفسهم بالمتقین ۵ یترددون ۵ القاعدین ۵ الفتنة لاحتمال ما بعد الاستیناف والحال لهم بالظالمین ۵ کارهون ۵ ولا تفتنی سقطوا بالکافرین ۵
التفسیر لما شرح معایب هؤلاء الکفار عاد الی الترغیب فی ما لهم عن ابن عباس انها نزلت فی غزوة تبوک سنة عشر وذلک انه لما رجع عن
الطائف اقام بالمدینة ایاما فامر بجهاد الروم فاستثقل الناس لکون الزمان زمان شدة و القحط ولبعد المسافة ولزیادة احتیاج الی
الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسکر الروم ولوجود اسباب الرفاهیة بالمدینة لکون الوقت وقت ادراک الثمار وحصول الغلات روی
ان رسول اللّٰه ما خرج فی غزوة تبوک لیستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الی مکان لامر هاج علیه واسم ذلک القوم الذین یخرجون
النفیر واصل اثاقلتم تثاقلتم کما قلنا فی فادارأتم ومعناه تباطأتم وانما عدی بالی لتضمین معنی المیل والاخلاد کقوله اخلد الی الارض اصال الی
الدنیا وشهواتها وقیل المراد علم الی الاقامة بدارکم والبقاء فیها ومعنی الاستفهام فی ما لکم الانکار وقری اثاقلتم علی الاستفهام للانکار ایضا
فیکون جواب اذا فعلا اخر مدلولا علیه باثاقلتم کقولهم ملتم وذلک ان جواب اذا عامل فی اذا والاستفهام لا یعمل فیما قبله ویجوز علی هذا ان یکون اذا مجرد
الظرفیة والعامل فیه ما فی ما لکم من معنی الفعل کانه قیل ما تصنعون اذا قیل لکم ومن فی الاخرة للبدل کقوله لجعلنا منکم ملئکة فی الارض

[Right margin, written vertically: …ولا تغنی عنه … الاخرة …]

فلغون

يتخلفون كانه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع فضايحهم التى تحمل العاقل على مقاتلتهم ولولم يكن فيه
الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الاخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة اى فى جنبها وفى مقابلتها الا قليل ويجوز
ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهى الزايل الى غير المتناهى الباقى والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة
اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة لكن الاية لما اعطى للاكثر حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما دعاهم فى الجهاد
بعوض الثواب عليهم دعاهم فيه بعوض العقاب فقال الا تنفروا ورتب عليه ثلث خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب
الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلعم فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذى كان ينزل عليهم و
قيل هو عذاب الاخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما
غيركم يعنى قوما اخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابى روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل ان يراد بهم الملائكة
وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الاية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيئا فان الخير
الضمير لله ومعناه انه غنى عنهم فى نصرة دينه بل فى كل شئ وقال الاخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه ووعد الله كائن لا محالة
فى قوله والله على كل شئ قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله باى وجه اراده وقادر على ايقاع العذاب بكل من تخلف امره كائنا
من كان عن الحسن وعكرمة ان الاية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفره رسول الله
فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائى فى الاية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضى فيها دلالة على
وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول او لا كقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم ولا ينص على ان القايل هو الرسول ومن قال ان الضمير فى
قوله الا تنصروه عائد الى الرسول فجوابه ان خصوص اخر الاية لا يمنع من عموم اولها ثم دعاهم فى الجهاد بطريق اخر فقال الا تنصروه فقد
نصره الله وهذا كالتقرير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقوله حال ما لم تكن معه الا
رجل واحد ولا اقل من الواحد فعلم انه لما اوجب النصرة وقتئذ فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اى الجاوه الى ان خرج
ظرف لنصره وثانى اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للاخر وواحد منهما وقوله
اذ هما فى الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم فى الجبل والمراد به ههنا نقب فى اعلى ثور وهو جبل فى
يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا فى سورة الانفال ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلعم فنزل واذ يمكر بك الذين
كفروا فامر الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل ابو بكر يلتمس
ما فى الغار فقال له الرسول ما لك فقال له الرسول ما لك فقال بابى انت وامى الغيران ماوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان
لابى بكر فخرق عمامته وسد الجحرة وبقى جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذى الرسول صلعم فلما طلب المشركون الاثر وقربوا
بكى ابو بكر خوفا على رسول الله صلعم فقال صلعم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم
فقال صلعم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله
فقال صلعم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال
رسول الله صلعم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد اخذ الله ابصارهم عنه استدل اهل السنة بالاية على
افضلية ابى بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه فى مثل تلك الحالة وانه كان ثانى
رسول الله صلعم فى الغار وفى العلم لقوله ما صب فى صدرى شئ الا وصببته فى صدر ابى بكر وفى الدعوة الى الله لانه صلعم عرض الايمان اولا
على ابى بكر فامن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلعم
فى الغزوات وفى اداء الجماعات وفى المجالس والمحافل وقد قام فى مرضه مقامه فى الامامة ولما توفى دفن بجنب رسول الله وكان ثانى
اثنين من اول امره الى اخره ولو قدرنا انه توفى رسول الله صلعم فى ذلك السفر لزم ان لا يقوم بامره ولا يكون وصيه الا ابو بكر وان لا يبلغ
ما حدث فى ذلك الطريق من الوحى والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهى عن الحزن مطلقا والنهى يقتضى الدوام والتكرار فهو لا يحزن
قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غير ابى بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن انكر صحبة ابى بكر فانه يكون كافرا لانه
خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه اجابت الشيعة بان كونه ثانى اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا للكل ثلثة فى قوله ما يكون من
نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام فى حق كل كافر ومؤمن وكون الصاحبية موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك وكما احتمل ان يقال انه عم استخلصه لنفسه فى هذا السفر لاجل الشفقة
احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه ويوقفهم على اسراره لو تركه ثم انه حزن لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب
وخطاء سلمنا دلالة الاية على فضل ابى بكر الا ان اضطجاع على عم على فراشه اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجاب اهل



السنة بان كون الله ثالثا لكل اثنين امر مشترك وكونه ثاني اثنين تشريف زائد خص الله ابا بكر به على ان المعتبر هنالك العلم
والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فان احدهما من الآخر في الصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما تقتضي الاهانة والاذلال
وهو قوله اكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب ان الشيعة اذا
حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبرئيل واستنكروا ان يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروه مدفوع بما روي
ان ابا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن ابي بكر واسماء بنت ابي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما
في الغار وذلك ثلاثة ايام وقيل بضعة عشر يوما وروي ان جبرئيل عليه السلام اتاه وهو جائع فقال لهذه اسماء قد اتتك بحيسة ففرح بذلك
رسول الله صلعم واخبر به ابا بكر ولو كان ابو بكر قاصد الصياح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابنه وابنته نحن نعرف
مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى ولا تخف انك انت الاعلى وقول الملائكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا
لا ننكر ان اضطجاع علي ع على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا ان صحبة ابي بكر اعظم لان الحاضر اعلى حالا من الغائب ولان عليا
ما تحمل المحنة الا ليلة وابو بكر مكث في الغار اياما وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل و
الحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف ابي بكر فانه قد دعا جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب
الكفار على ابي بكر اشد من غضبهم على علي ع ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ايلام فوالله المضطجع هو ثم زعم اهل السنة ان الضمير في
قوله فانزل الله سكينته عليه عائد الى ابي بكر لا الى الرسول لانه اقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه ابي بكر ولان
الخوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان امنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره
بقوله لا تحزن ولناسب ان يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله وايده على عطف فانزل
فوجب اتحاد الضميرين في حكم العود واجيب بان قوله وايده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره في واقعة
الغار وايده في واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة والظاهر ان الحزن لا يبعد ان يكون شاملا للنبي ع ايضا من حيث البشرية
كقوله وزلزلوا او يكون في الكلام تقديم وتاخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول او يكون فانزل معطوفا على نصره
والمراد بالسكينة ما ألقي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انه منصور لا محالة كقوله في قصة حنين ثم انزل الله سكينته
على رسوله وقوله وجعل يعني يوم بدر وسائر الوقائع كلمة الذين كفروا وهي دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة
الله وهي دعوته الى الاسلام او كلمة التوحيد لا اله الا الله هي العليا وفي توسيط كلمة الفصل اعني هي تاكيد فضل كلمة الله في
العلو وانها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا احب قراءة نصب الكلمة لانه لا اجود حينئذ ان يقال وكلمته هي العليا
الا ترى انك تقول اعتق ابوك غلامه ولا تقول اعتق ابوك غلام ابيك قلت وفي الرفع ايضا الاستيناف وما في الجملة الاسمية
من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب لا يفعل الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف
عقبه بالامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون اي خفافا في النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا
لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا و
مراضا والصحيح التعميم وان المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التي يخف عليكم الجهاد معها او على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر
يقتضي تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روي عن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلعم اعلي ان انفر قال ما انت الا
خفيف او ثقيل فرجع الى اهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه ونزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد ان ابا ايوب شهد بدرا
مع الرسول صلعم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وعن صفوان بن عمرو
كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك
فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت
احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع
وعن انس قال قرأ ابو طلحة هذه الآية فقال ما اسمع الله عذر احدا فخرج مجاهدا الى الشام حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الاسود
الى رسول الله صلعم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسأله ان يأذن فنزلت فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس حتى نسخها
الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك
بالاتفاق ولا شك انه صلعم خلف من النساء والرجال اقواما فدل ذلك على ان هذا الوجوب ليس على الاعيان لكنه من فروض الكفايات
فمن امره الرسول صلعم بان يخرج لزمه ذلك ومن امره ان يبقى لزمه ان يبقى ولقائل ان يقول لا نزاع في الضعفاء والمرضى ثم قال وجاهدوا باموالكم
وانفسكم وفيه ايجاب للجهاد بهما ان امكن او بالنفس ان لم تكن مال زائد على اسباب الجهاد او بالمال بان يستعين من يغزو عنه
ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعني انه خير في نفسه وانه خير من القعود ولما فيه من الراحة

والدعة

ذا الدعة والنعيم العاجل وانما قال لو كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج اي لو كان المدعو محذوف دل عليه ما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر والمراد بالقريب سهولة ماخذه وسفرا قاصدا اي وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد اي ذو قصد لان كل احد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده ونحوي الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لاتبعوك طمعا في الفوز بتلك المنافع ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم اخبر انه سيجيئهم اذا رجعوا من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريقة اقامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر في الوجهين اي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي القسم ولو جميعا قيل في الآية دلالة على ان قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبي بناء عليه فان قيل لم لا يجوز ان يراد انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا زاد ولا راحلة له يعذر في ترك الخروج فمن لا قدرة له اولى وايضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا اريد به المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن واجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا بوقت واحد فان الانسان الجالس في مكان لا يكون قادرا في هذا الزمان على ان يفعل فعلا في مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله في المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ولقائل ان يقول انهم ان كانوا غير قادرين على القتال الا انهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال في الكشاف يهلكون بدل من سيحلفون او حال اي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وحال من ضمير خرجنا اي لخرجنا معكم وان القينا انفسنا في التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم كما تقول حلف بالله ليفعلن او لا فعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء اول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح ان لو قيل لخرجنا معكم نهلك انفسنا والله تعالى اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كنى عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيئان فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون امثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وقال الله الا عرفت حقي وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل ان يكون قوله لم اذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه ع اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب او منع والا كان مصيبا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله ولا ريب انه لا يكون مجردا للتشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان تركه ذلك كبيرة فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد فيكون الخطاء واقعا في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد واخطا فله اجر واحد وفي الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم قال ابو مسلم يحتمل ان يريد بقوله اذنت لهم الاذن في الخروج لا في القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين واذا كان هذا محتملا فلا يتعين الآية لرخصة الاذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لان سياق الآية يدل على ان الكلام في القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوا لان الاستيذان من علامات النفاق فقال لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا اي في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلعم في الجهاد وكانوا بحيث لو امرهم بالقعود شق عليهم ذلك الا ترى ان علي بن ابي طالب ع لما امره الرسول بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له الرسول انت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كما اضمر الجار والتقدير ان لا تجاهدوا والآن سياق الآية يدل على ذم من يستاذن في القعود وعلى هذا يمكن ان نوى معناه كراهة ان

يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين رمز الى انهم من جملة المتقين وان لهم ثوابهم ثم بين الذين من شانهم الاستيذان فقال
انما يستاذنك الآية وفيه ان الشاك في امر الدين وفي اصوله الا في بعض مسائله غير مومن بالله تعالى وفيه ان محل الريب واليقين هو
القلب وان الايمان ليس بمجرد الاقرار باللسان والا لم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان الشاك متردد
بين النفي والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقديره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما اولا والجازم ان كان غير مطابق فهو
الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة او نظر فهو العلم والا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عنده فالراجح
هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شان صاحبه كما ان الثبات
والاستقرار ديدن المستبصر قال المفسرون وان المستاذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم
فقال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد
فتركهم العدة دليل على انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن
كره الله انبعاثهم اي انطلاقهم فثبطهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو ارادوا
الخروج يعطي معنى نفي الخروج وكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما يقول ما احسن الى زيد ولكن
اساء الي ومثل هذا يسمى في علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تاكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم
مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة
لقوله عقيب ذلك لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام
الصواب بطريق الوحي وكذا على قول ابي مسلم ومما يوهم انه ما اذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه السورة فان رجعك الله الى
طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقوله في سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله
قل لن تتبعونا واما عندنا فانما خطا الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه اذن لهم قبل تمام التفحص وكمال
التدبر ولانه لو لم ياذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان لا يقع الحاجة الى
اظهار نفاقهم بوجوه اخر دالة على هتك استارهم وكشف سرائرهم قالت معتزلة البصرة في الآية دلالة على انه تعالى موصوف بصفة الكراهة
كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله انه اراد عدم ذلك الشيء وزيف بان العدم لا يصلح ان يكون متعلق
الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة صفة تقتضي ترجيح احد طرفي
الممكن على الآخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة
تحصيلا للحاصل وايضا عدم الشيء المخصوص ليس عدما محضا اما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل ان يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم
كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة او قول بعضهم لبعض لما ارادوا الاجماع على التخلف
او هو قول الرسول كانه غضب عليهم حين استاذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا
قد اذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم اذنت لهم اي لم ذكرت هذه اللفظة التي امكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله
مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم الجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال
المفسرون لما خرج رسول الله صلعم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره على ذي جدة اسفل من ثنية الوداع
ولم يكن باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلعم تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى
يعزي نبيه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على
ان التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال في اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبي الا شرا
وقال يمان الا مكرا وقال الضحاك الا غدرا وقيل الا خبثا وقيل هو الاضطراب في الراي وذلك بتزيين امر لقوم وتقبيحه لآخرين
حتى يختلفوا ويتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الآية على انه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر فهو دليل على انه تعالى
لا يريد الا الخير والصلاح وللقائل ان يقول اثبات حكم كلي بحكم جزئي غير معقول واعلم انه سبحانه عد من مفاسد خروجهم ثلثة
الاول قوله ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال في الكشاف زيدت الف في الكتابة لان الفتحة كانت تكتب الفا
قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قبل نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه
او لا اذبحنه في النمل ولا اتوها في الاحزاب لا رابع لها في القران وفي الايضاع قولان لاهل اللغة فقال الاكثر هو متعد يقال
وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون في الآية حذف والتقدير ولا وضعوا ركائبهم وقال الاخفش
وابو عبيد انه جاء لازما يقال وضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روي ان النبي صلعم افاض من عرفة وعليه السكينة

واوضع

واوضع في ذا اي جرى اي اسرع قال الواحدي والاية تشهد للاخفش وابي عبيد وعلى القولين المراد في الاية السعي بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة في الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشي ومعنى خلالكم اى فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين يبغونكم الفتنة اى يبغون لكم قال الاصمعي يقال ابغني كذا وابغ لي اى اطلبه لاجلي ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش في المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول يحصل اختلاف الاراء ومن الثاني المشي بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد اى عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على اكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام او لمن جبل على الجبن والفشل او لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة او هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف سخيف واهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وعزمهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين كيد اهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل اى من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي ص وقيل المراد ما فعله عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف عن النبي مع اصحابه ومعنى الفتنة في تشتت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور حرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان دائرا حول المكايد حتى جاء الحق الذي هو القرآن وظهر امر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم في نحرهم واتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك في الماضي فكذا يكون الحال في المستقبل لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره على سبيل السخرية او على سبيل الجد بان كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتني اى لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني فاعرض عنه النبي ص وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال رسول الله ص لبني سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبي ص واي داء ادوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن معرور الا في الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكاليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الاية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما في الدنيا فلاحاطة اسبابها بهم من البغي عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار واما في الاخرة فلمآل حالهم اى الدرك الاسفل من النار التأويل ايها الارواح والقلوب المؤمنة ما اصابكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الرباني اخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير اليه اثاقلتم الى ارض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الرباني فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا اى النفوس الامارة الكافرة من ارض القبول ثاني اثنين ثاني النفس الملهمة اذ هما في غار العدم وكلمة الله هي العليا بجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعي واصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا مجردين من علائق الاهل والاولاد والاموال وثقالا متلبسين بها او خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا ببذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعني ابناء النفوس لو استطعنا لخرجنا معكم يا اهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهم في ريبهم يترددون بين اوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لاعدوا له عدة وهي متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم في سجن البشرية ما زادوكم الا خبالا فيه اشارة الى ان قعود اهل الطبيعة في حبس البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك لانهم لو خرجوا عن نية صادقة وعزيمة صالحة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة لاقوالهم وافعالهم واحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح في شهواتها في حال الطفولية وهو العقل القابل لاوامر الشرع وظهر امر الله وهو التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لي في القعود

عن الارتقاء فی مدارج المعارف والمشارع ولا تفتنی بأن روح بتکلیفی ما لیس من شأنی وذلک ان الهوی مرکب المحبة تستعمله الروح
فی تصاعده الی ذروة الکمال والوصال ألا فی الفتنة سقطوا ای ان فتنة الهبوط هی الفتنة بالحقیقة وان جهنم البعد والقطیعة
من لوازم کفار النفس إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ
وصفاتها اعاذنا الله عنها — اگر برسد ترا — نیکوئی رنجه کند ایشانرا — و اگر رسد ترا مصیبتی — گویند بدرستیکه فرا گرفتیم کار خویش از پیش و برگردند و ایشان شادان باشند
قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ
بگو نرسد بما — مگر آنچه نوشت — خدا ما را — او خداوند ماست و بر خدای — پس باید اعتماد کنند گرویدگان — بگو چشم میدارید ما را — مگر یکی از دو نیکو
وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا
و ما چشم میداریم شما را که برساند شما را — خدا عذابی از نزد خود یا بدستهای ما — پس چشم دارید که ما با شما چشم دارندگانیم — بگو نفقه کنید بطوع
أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا
یا بکره — پذیرفته نشود از شما بدرستیکه شما هستید گروه بیفرمانان — و منع نکرد ایشانرا که پذیرفته شود از ایشان نفقات ایشان مگر آنکه ایشان کافر شدند بخدا — و برسول او و نمی آیند
يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
بنماز — مگر ایشان کاهلان باشند — و نفقه نمیکنند مگر ایشان کارهان باشند — پس باید که بشگفت نیارد ترا اموال ایشان و نه فرزندان ایشان بدرستیکه میخواهد خدا
لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
تا عذاب کند ایشانرا بآن — در زندگانی دنیا — و بهلاک برآید جانهای ایشان — و ایشان کافرانند — و سوگند میخورند بخدا که ایشان از شمااند و نیستند ایشان از شما ولکن ایشان
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ
گروهی اند میترسند — اگر یابند پناهی — یا غارها — یا سوراخی هر آینه روی بگردانند بدان و ایشان شتابندگان — و از ایشان کسی است که عیب میکند ترا در دادن صدقات
فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا
پس اگر بدهند ایشانرا از آن راضی شوند — و اگر نه دهند ایشانرا از آن ناگاه ایشان بخشم آیند — و اگر ایشان راضی شدندی بآنچه داد ایشانرا خدا و رسول او و گویند بس است ما را

حزب

ع

اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ القراءات هل تربصون باظهار اللام وتشدید التاء البزی وابن
خدا زود بدهد ما را خدا — از فضل خود — و رسول او بدرستیکه ما بسوی خدا رغبت کنندگانیم
فلیح وقراءة حمزة وعلی وهشام مدغما خفیفا لا یجتمع ساکنان
الباقون باظهار اللام وتخفیف التاء لن تقبل بالیاء التحتانیة حمزة وعلی وخلف الباقون بالفوقانیة مدخلا بضم المیم وسکون الدال
سهل ویعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة یلمزک بضم المیم سهل ویعقوب الآخرون بکسرها سوی عباس فانه مخیر الوقوف
تتولهم لابتداء شرط آخر مع واو العطف فرحون لئلا یلزم الابتداء لفظا مع الاتحاد معنی هو مولینا لابتداء اخبار من الله او الحکایة
عنهم المؤمنون الحسنیین للاستیناف بعد تمام الاستفهام بایدینا ط لو وصل لصح لان الفاء جواب نتربص متربصون منکم فاسقین
کارهون ولا اولادهم کافرون لمنکم یفرقون یجمحون الصدقات ج للشرط مع الفاء یسخطون ورسوله لا لان قوله راغبون لا لان کل
یتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف ای لکان خیرا لهم التفسیر هذا نوع آخر من خبث ضمائر المنافقین عن ابن عباس الحسنة فی یوم
بدر والمصیبة فی یوم احد والاولی حمله علی العموم اذ معلوم من حال المنافقین انهم کانوا فی کل حسنة وعند کل مصیبة بالوصف الذی
ذکر الله تعالی ومعنی اخذنا امرنا ای امرنا الذی نحن موسومون به من التیقظ والتحرز وحسن الرأی والتدبیر من قبل ای من قبل ما
وقع ویتولوا ای عن مقام التحدث بذلک الی اهالیهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبیه صلی الله علیه وسلم بان یقولوا فی
جوابهم لن یصیبنا الا ما کتب الله لنا قیل ای فی اللوح المحفوظ من خیر او شر او خوف او رجاء او شدة او رخاء وفائدته انه اذا علم
الانسان ان الذی وقع امتنع ان لا یقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زال عنه منازعة النفس وهانت علیه المصائب
وقیل ای فی عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دین الله علی کل الادیان فیکون المقصود ان احوال المسلمین وان کانت مختلفة
فی الغم والسرور فی الدولة والمحنة الا ان العاقبة یکون لهم وان الظفر یقع من جانبهم فلا معنی لفرح المنافقین فی الحال وقال الزجاج
معناه لن یصیبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة علیکم او الشهادة وعلی هذا القول یقع ما فی الآیة الثانیة کالمکرر هو مولینا
لا یتولی امورنا الا هو یفعل بنا ما یرید من اسباب التهانی والتعازی لا اعتراض لاحد علیه وعلی الله فلیتوکل المؤمنون فیه تنبیه
علی ان المؤمن یجب ان لا یعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم یتعلقون بالوسائط والاسباب ثم امرهم بجواب ثان فقال هل تربصون
بنا الا احدی الحسنیین التربص التمسک بما ینتظر به مجیء حینه ومنه تربص بالطعام اذا تمسک به الی حین زیادة سعره والحسنی تأنیث
الاحسن وهی صفة الحالة او الخصلة او العاقبة یعنی النصرة او الشهادة وفی الاولی احراز الغنیمة والظفر بالاعداء وفی الثانیة
ابقاء الذکر والفوز بنعیم الآخرة ونحن نتربص بکم ان یصیبکم الله بعذاب من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود [illegible] عذاب الله [illegible]

الذین

الذين اوباً يدينا يعني القتل بان يظهر نفاقكم وبامر بقتلكم كالكافر الحربي فتربصوا امر للتهديد بحذف انك انت العزيز الكريم ثم ذكر انه ان تو لشيء من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به في الاخرة والغرض ان اسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم في الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي صلعم ائذن لي في القعود وهذا مالي اعينك به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا والحكم عاما وانفقوا لفظه امر ومعناه خبر كقوله فيما يجيء استغفر لهم او لا تستغفر لهم ومعناه انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير عزة اسيئي بنا او احسني لا ملومة كانه يقول امتحني لطف محلك عندي وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تجدين مني تفاوتا في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب احدهما مقام الاخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب طوعا او كرها على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين من جهتهما وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم او ملزمين من جهتهم وذلك ان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا راوا فيه مصلحة ومعنى لن يتقبل منكم ان الرسول لا يقبله منكم او انه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم ان يقبل منهم الاية علل منع القبول باموره ثلثة اولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وفيه انه يصلي للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكفر وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم في حكم الكارهين وان انفقوا مختارين يعدون الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله صلعم ادوا زكوة اموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر بالله سبب مستقل في منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الاخرين والجواب انها امارات ويجوز توارد الامارات المتعددة على شيء واحد وبوجه اخر اطلق كفرهم اولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة وبعبارة اخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من انواع كفرهم هذين تفظيعا لشأن تارك الصلوة والزكوة قال في الكشاف وقرأت في بعض الاخبار ان رسول الله صلعم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الاية وهو ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو ان يصرف ذلك الى تاثيره في تخفيف العقاب ولقائل ان يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له في التخفيف ايضا اثر وقيل في الاية دلالة على ان الصلوة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من تقبل الانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الاخرة اراد ان يبين ان ما يظنونه من منافع الدنيا فهو ايضا في الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول صلعم او لكل احد فلا تعجبك الاية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط اي ان يكن منهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلوة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجيء في الاية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور بالشيء مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وانه من البعيد في حكم الله ان يزيل ذلك الشيء عنه ويحصله لغيره كقوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك الشيء او انقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد ازالته في قدرة الله ولهذا قال صلعم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الاية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك في حبها فان المسكن الاصلي هو الاخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعرابه كما مر في قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدي وقتادة في الاية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة كانهم نظروا الى ان المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده واورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الاخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتاخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب في الدنيا ايضا وبوجه اخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة فاي فائدة في ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب في الدنيا والاخرة وذلك انه كلما كان حب الشيء اشد كان خوفه عن فواته اكثر وحزنه على فواته اعظم وصاحب المال ابدا اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضي الى طغيانه وقساوة قلبه الى ان ينسى حب الله وذكر الاخرة ثم انه ان بقي عليه ذلك الى اخر عمره فعند الموت عظم اسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى جحيم وعذاب

لحتر

المحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من تصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا
وكذا الكلام في الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا ان المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا
بالله واليوم الآخر علم انه خلق للآخرة لا للدنيا فيفتر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات
العاجلة وايضا ان النبي صلعم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة اخروية
وكانوا في اشق تكليف وكانوا مبغضين للنبي صلعم مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى الحذر وكانوا خائفين من
افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض اولادهم واموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم اولاد اتقياء مخلصون كحنظلة بن ابي عامر غسيل
الملائكة وكعبد بن عبد الله شهيد بدر وكان عبد الله بكان وهم خلق كثير كانوا يعيبون طريقة ابائهم في النفاق ويقدحون فيهم وفي الاديان
اذا صاهكذا تأذى الاب بسببه ولاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان التقدير يريد الله ان يزيد في اموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق
انفسهم اي تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر واورد الجبائي عليه ان المريض اذا قال للطبيب
اريد ان تدخل علي في حالة مرضي لم يلزم منه كونه مريدا للمرض نفسه والجواب ان امثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب
ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيعته في الاية ليس المراد زهوق
الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف
المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع
عن النظر للعاقبة ومن قبائح افعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم ثم قال وما هم منكم
اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ مفرا يحصنون فيه
امنين على انفسهم منكم لفروا اليه لفارقوكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب المغارات جمع مغارة وهو
الموضع الذي يغار الانسان فيه اي يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما والمدخل
من الادخال ومعناه المسلك الذي يندس بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفقا كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على احد
هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى عنه اذا انصرف وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد
وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال
بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة اشياء والاقرب حملها على المعاني المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف في الجبال والمدخل
السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى اعلم ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الاية قال الزجاج لمزت الرجل لمزه والمزه بكسر الميم
وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب في الحضور والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها الاول في
اخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم
الثاني ان يقال هب انك تأخذ الزكوات الا ان ما تأخذه كثير فوجب ان تقنع باقل من ذلك الثالث هب انك تأخذ هذا الكثير الا
انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم ارادوه عن ابي
سعيد الخدري بينا يقسم رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين قال له ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك من
يعدل اذا لم اعدل فنزلت وعن الكلبي هو ابو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال
رسول الله صلعم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلعم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون
وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول
الله صلعم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدته ان يعلم
ان الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الاية ورتبه على اربع مراتب الاولى
الرضا بما اتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكلما كان حكما له وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض
عليه الثانية ان يظهر اثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحسب الثالثة
انه نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله في غنيمة اخرى الرابعة الرغبة الى الله بانه المقصد الحقيقي
والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى ان عيسى عليه الصلوة والسلم مر بقوم يذكرون الله فقال لهم ما الذي يحملكم عليه
قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم اخرين يذكرون فقال لهم ما الذي حملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر
على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسالهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية
وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال انتم المحققون التاويل ان نصبك يا روح حسنه من عوالم الحق بحري النفس

التأويل

وصفاتها بما تظفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع اخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خافا الفناء في السير الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا لا علينا فان الفترات والوقفات للتربية لا للرد وانظر وقل هل تربصون بنا ايها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما او بايدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا او رياء وكرها اي نفاقا لن يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولة لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن ابلغ من عمله وباقي الآيات اشارات الى ان من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ المخلص بالعكس

وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ

خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ۝ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ

بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ

أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ

ع نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ

قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ

القراء اذن خير

وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ كلاهما بالرفع

و در حدیث شدید ... و آخرت و آن گروه ایشانند زیانکاران والتنوين الاعمشي

وبالرفع الم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء التانيث في الثاني الوقوف وابن السبيل اي فرض الله فريضة من الله حكيم هو اذن ط امنوا منكم ط اليم ليرضوكم ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف مؤمنين خالدا فيها ط العظيم بما في قلوبهم ط استهزءوا ج لاحتمال ان للتعليل تحذرون ونلعب ط تستهزءون بعد ايمانكم ط مجرمين من بعض كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهي صفة لكلهم ايديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ج فيها حسبهم ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في تمام الجزاء ولعنهم الله لذلك مقيم بناء على تعلق الكاف واولادا خاضوا ط والآخرة ج الخاسرون التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول في قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذ وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الراس وداء في البطن ولنتكلم في تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثاني الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاج

لا يبعد تخليهم بخرجهم انما الكلام في انهما متساويا الدلالة او احدهما اسوء حالا فعن ابي يوسف ومحمد والجبائي انهما واحد حتى
لو اوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائي انه تعالى ذكرهما باسمين ليؤكد امرهم في الصدقات
والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعي الفقير اسوء حالا لانه تعالى ابتدأ الصدقات لهؤلاء
الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذي وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار
الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشر والدواهي وروى انه صلعم كان يتعوذ
من الفقر وقد سال المسكنة في قوله اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فكانه سال التوسط الحال ولهذا مات وفي
رسول الله صلعم ترك اشياء معلومة مع انه تعالى اجاب دعائه ظاهرا فاماته مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على ان المسكين
قد لا يكون كذلك وقال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذي لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه
الطواف الذي يسال الناس والغالب انه يحصل له منهم شيء وقريب منه قول من قال سمي مسكينا لانه دائم السكون الى الناس ولما كان
المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم في قوله سبحانه وفي اموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان
الفقير ضد الغني ولم يقل احد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل النزاع هو ضد التمسكن وقال ابو حنيفة المسكين اسوء حالا لقوله تعالى او
مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة اعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن ابي عمرو بن
العلاء ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا
لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع
في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله اعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن
عمر وابن الزبير والشافعي يعطي هؤلاء اجور امثالهم لانها اجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من
الثمانية والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلعم ابى ان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقات
وقال اما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في ان
الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة او لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على ان العامل ياخذ نصيبه وان كان غنيا
لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن انه لا ياخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول
الله صلعم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصين اعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء
لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم يكن ما اعطاهم من الصدقات ويروى ان ابا بكر الصديق اعطى
عدي بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه ايام الردة والذي استقر عليه راي الائمة ان المؤلفة ثلثة اقسام ضعيف النية في
الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتالف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكوة حيث يكون ذلك اهون للامام من
بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما راى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه
باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتالفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبي صلعم يعطيهم من خمس الخمس والان لا
يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس في الاية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغي ان
يقال ان حكم الاية منسوخ الصنف الخامس قوله وفي الرقاب قال الزجاج تقديره وفي فك الرقاب وللائمة في تفسيره اقوال فعن ابن عباس
انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعي قال اذا عجزوا واعترف السيد بان لا يكون لهم شيء او لا يفي ما في ايديهم بنجومهم صرف اليهم والى سيدهم
باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد انه يشتري به عبيد فيعتقون وعن ابي حنيفة واصحابه وهو قول سعيد بن
جبير انه لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل
وذلك ينافي كونه تاما فيه وقال الزهري سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشتري به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم
اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى في لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا
وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكوة ففي الرقاب
يوضع نصيبهم في تخليص رقابهم عن الرق او الاسر ولا يدفع اليهم وفي الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف المال
الى عدة ما يحتاج اليه في الغزو وفي ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال في الكشاف انما عدل للايذان بانهم ارسخ
في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان في للوعاء فنبه به على انهم احقاء بان يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير في في قوله وفي سبيل
الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين الصنف السادس الغارمون قال الزجاج اهل الغرم لزمهم وما يستحق و
سمي العشق غراما لكونه امرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمي الدين غرما لانه شاق لازم والغارمون المدينون والدين

ان حصل بسبب معصية لم يدخل في الآية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الآية سواء حصل
بسبب نفقات ضرورية او لاصلاح ذات البين وان كان متمولا او للضمان ان اعسر هو والاصيل وكل داخل في الآية روى الاصم في
تفسيره انه صلعم لما قضى بالغرة في جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمل بن مالك اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان
حمل على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شيء وان قدر على بعض اعطى الباقي الصنف السابع قوله في سبيل الله
يعني الغزاة قال الشافعي يجوز له ان ياخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابي عبيد وقال ابو
حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الآية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم
اجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها في سبيل الله الصنف الثامن ابن
السبيل وهو مسافر لا لاجل معصية يعطى ما يبلغ المقصد او موضع ماله ان كان له في الطريق مال قال الشافعي ويدخل في المسافر
الشاخص من وطنه او من بلد كان مقيما به منشئا للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف
الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكوة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في موضع اخر خذ من اموالهم صدقة ولقوله صلعم ليس
فيما دون خمسة اوسق صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة فمنهم من قال يدخل والفائدة ان نعلم ان مصارف جميع الصدقات
ليست الا هؤلاء الاصناف والاكثر على اختصاص الآية بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا
الزكوة تدل على الحصر في الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه اخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى
ولان الصدقات ينصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الحكم الثاني في الآية دلالة
على ان الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذي نصبه الامام لاخذ الزكوات
ويتاكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكوة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل
اخر كقوله وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليه ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق
بنفسه افضل الحكم الثالث مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة
وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابي العالية والنخعي لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل
جزء من اجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذي لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار
لو كلفناه ان يقسمه على اربعة وعشرين ليقع لكل ثلثة منها الى ثلثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به في مهم
معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وقال الشافعي لا بد من صرفها
الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تعالى ذكر هذه القسمة في نص الكتاب
ثم اكدها بقوله فريضة من الله وهو في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء في قوة قوله فرض الله الصدقات
لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الآية وعن النبي صلعم ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها
بنفسه ثم ختم الآية بقوله والله عليم اي بمقادير الانصباء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب والاصلح وكل هذه المؤكدات
دليل على وجوب الاحتياط في صرف الزكوة ومن ههنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلثة لانه تعالى ذكر اكثر الاصناف
بلفظ الجمع واقل الجمع ثلثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم للثالث اقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل في افراد الصنف
جائز للمالك لان احاد كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون
فيسهل التسوية بينهم الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان في زماننا فبقي ان يصرف الزكوة الى الاصناف الستة
الباقية كما لو فقد بعض الاصناف في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجد فيه جميعها والاحوط رعاية
التسوية بينهم على ما يقوله الشافعي اما اذا لم يفعل ذلك فانه مجزية عند ساير الائمة اما الحكمة في ايجاب الزكوة فهو ان المال
محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق في
حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التاهب للآخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس
ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم اي عن دنس الاستغراق في حب المال وايضا ان كثرة الاموال يوجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك
اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فيصير المسئلة دورية لا مقطع لها ولا اخر فاثبت الشرع لها مقطعا
واخرا وهو صرف طائفة من المال في طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذي لا اخر له ويفضي في الاغلب
الى الطغيان وقساوة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في التعظيم لامر الله وعملية وكمالها في الشفقة

ت

على خلق الله فاوجب الله الزكوة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محبا الى الخلق وامدوا له بالدعا
والهمة وايضا المال سمي مالا لكثرة ميله الى كل احد فهو غاد ورائح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا انفقه لوجه الله بقي
بقاء لا يمكن زواله وفي انفاق المال تشبه بالمجردات والمفارقات وليس الغنى الا عن الشيء لا به لان الاستغناء عن الشيء صفة
الحق والاستغناء بالشيء صفة المخلوقين العاجزين ففي الامر بالزكوة نقل للانسان من درجة ادنى الى درجة اعلى وايضا
للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلوة لله فكيف
يليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وايضا اذا فضل له المال عن قدر الحاجة وحضر انسان اخر محتاج فههنا حصل سببان
كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو انه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما في حق الفقير فلاحتياجه
الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب
المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين
المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا
انه القاها في ايديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملأ بطنه وكم من غافل ياتيه الدنيا عفوا صفوا وليس بمستبعد
ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من ما في الخزانة الى المحتاجين من عبيدي وايضا ان الاغنياء لو لم يلتزموا اصلاح
مهمات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها او على اللحاق باعداء المسلمين
وقال عم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تع يقول للغني اعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين
فاخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فصرت من الصابرين ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت
فصرت من الصابرين ولكني اوجبت على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرني فتكون من الشاكرين وايضا اراد الله سبحانه
ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل الخلاص له في الدنيا من الذم والعار
وفي الاخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا اخر من فضائح المنافقين وهو انهم كانوا يقولون للرسول ما تقدم على وجه الطعن والذم
هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي ص ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيما
نخاف ان يبلغه ما تقولون فانما محمد اذن سامعة فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد
اذن سامعة فنزلت الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نافل بن الحرث وكان رجلا
احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي قال فيه النبي ص من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نافل بن الحرث وكان
ينم حديث النبي ص الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم ناتيه فنحلف له فيصدقنا
وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فارادوا ان يقعوا في النبي ص وعندهم
غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال
والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم اتى النبي ص فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة
وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الايتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي
يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي الة السماع كان جملته اذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين وايذاؤهم
النبي ص يقولون له هو اذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وانه ليس بذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع
الاغترار بكل ما يسمع ويجوز ان يراد بالايذاء انواع اخر سوى هذا القول اي يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر انواع الاذية
ويقولون في وجه الاعتذار عن ذلك هو اذن يقبل كلما يسمع فنحن ناتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه اجاب
عن قولهم فقال قل اذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز ان الاضافة هو الملابسة كانه قيل
نعم هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف
الخاص على العام اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه اذن خير بانه يؤمن بالله اي يقر به ويعترف
بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من اهل الغرة
والبله وهو رحمة للذين امنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري امرهم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله
هو الذي يتولى السرائر ولهذا ختم الاية بقوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم واما من قرا اذن خير بالرفع فيهما فعلى ان اذن
خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير والمعنى هو اذن موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن
جهالاتكم فيتحفظ بذلك دماؤكم واموالكم وقيل التقدير قل اذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن

قد

ثم ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدى وهو ان
قوله اذن وان كان رفعا فى الظاهر لكنه نصب فى الحقيقة على الحال وتأويله قل هو اذن ناصح لكم ثم ذكر ان من قبائح المنافقين اقدامهم
على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه اى كان من الواجب ان يرضوا الله تعالى با
لاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستسرون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر او المراد والله احق ان يرضوه
ورسوله كذلك او وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضى الله ورضى رسوله شئ واحد كما يقال احسان زيد واجماله نعشنى ومعنى ان كنتم
مؤمنين اى بزعمكم ثم وبخهم بقوله الم يعلموا وذلك انه يقال ذلك لمن بولغ فى تعليم مدة ثم لم يظهر عليه اثر العلم والرشد وكان
النبى صلعم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه فى الطاعة والضمير فى قوله انه للشان وفائدته مزيد التعظيم والتهويل
والمحادة المخالفة لان كلا منهما فى حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما فى شق آخر وقال ابو مسلم هى من الحديد حديد السلاح
ثم ذكر الجزاء وقوله فان له بالفتح اى فحق ان له نار جهنم وقيل ان مكرر للتاكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على
انه وجواب من محذوف وهو هلك قال الزجاج يجوز كسر ان على الاستيناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبى فى تفسيره
انه قرا بالكسر قال السدى يعضر المنافقين والله لوددت انى قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شئ يفضحنا فانزل الله تعالى
يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشى علينا سرنا فنزلت والضمير فى عليهم وفى
تنبئهم للمؤمنين وفى قلوبهم للمنافقين لان السورة اذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم وكانها تخبر عما فى بواطنهم وتذيع
عليهم اسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحى لانه غير قائل به واجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة وكفرهم كان كفر
عنادا وكانوا شاكين فى صحة نبوته والشاك فى امر خائف من وقوعه او هذا الخبر فى معنى الامر اى ليحذر المنافقون عن ابى
مسلم انهم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله استهزؤا وهو امر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون
يظهر ما تحذرونه من نفاقكم او محصل انزال السورة لان الشئ اذا حصل بعد عدم فكان فاعله اخرجه من العدم الى الوجود قوله
ولئن سألتهم الاية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال فى غزوة تبوك ما رايت مثل هؤلاء القراء ارغب بطونا اى اوسع ولا
اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعنى رسوله واصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وانت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله
فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلعم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انا كنا نلعب ونتحدث بحديث
نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رايت عبد الله بن ابى يشتد قدام رسول الله صلعم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب و
النبى صلعم يقول ابالله ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلعم يسير فى غزوة
تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات
فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب
قال الواحدى اصل الخوض الدخول فى مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى اطلق على كل دخول فيه تلويث واذى اى كنا نخوض فى الباطل
كما يخوض الركب لقطع الطريق ثم امر نبيه بان يقول فى جوابهم ابالله اى بتكاليفه او باسمائه او بقدرته حيث استبعدتم غلبة
النبى صلعم واصحابه على فتح قصور الشام وآياته يعنى القرآن ورسوله كنتم تستهزؤن لم يعبأ باعتذارهم فجعلوا كانهم معترفون بوقوع
الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بان ولى الاستفهام الذى يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل اتستهزؤن بالله
ثم قال لا تعتذروا ونقل الواحدى عن ائمة اللغة ان معنى الاعتذار محو اثر الذنب وقطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت
المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعذر اى تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض
واللعب لان الشئ الذى يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم اى صرحا بعد ايمانكم اى بعد الايمان الذى
اظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى فى الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرايعه ان
نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلثة استهزأ اثنان وضحك الثالث فعدا كان ذنب الضاحك اخف لانه لم يوافق القوم
فى الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى انه من خاض فى عمل باطل فعليه ان يجتهد فى التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى
له ببركة ذلك التقليل ان يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة فى اللغة الجماعة لانها الذى يمكنها ان يطيف بالشئ ثم يجوز ان
يسمى الواحد بالطائفة قال نعم وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين واقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال
الطائفة الواحد فما فوقه ووجه بان من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد ان يسمى طائفا بهذا السبب
والتاء للمبالغة وقال ابن الانبارى العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعنى نعيم بن مسعود على
كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين اى مصرين مستمرين على الجرم ويجوز ان يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى

الجزء العاشر

احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز ان يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان يعف على البناء للمفعول
والتذكير فلانه مستند الى الظرف كما تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتانيث ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم
طائفة ثم ذكر جملة احوال المنافقين وان اناثهم فى ذلك كذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى فى
صفة النفاق واريد به نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل
ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يأمرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا او شرعا واعظم ذلك الاخلاص فى الايمان
ويقبضون ايديهم عن كل واجب كصدقة او زكوة او انفاق فى سبيل الله وهذا اولى ليتوجه الذم بتركه وقبض الايدى كناية
عن الشح والبخل كبسطها فى الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا امره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقى لا يتوجه عليه الذم فنسيهم
جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان
من نسى شيئا لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون فى الفسق
وان على المسلم ان يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مآل حال اهل النفاق والكفر فقال وعد الله الاية ومعنى خالدين فيها مقدرين
الخلود فيها قاله فى الكشاف ويحتمل ان يراد مستاهلين للخلود هى حسبهم كافيهم فى الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله
ليكونوا لعذابهم مقرونا بالاهانة والطرد ولهم عذاب مقيم نوع اخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار او عذاب عاجل لا ينفكون
عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم فى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض
الايدى عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم
فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثانى نصب ثم وصف اولئك الكفار بانهم كانوا اشد قوة اى جسامة من هؤلاء المنافقين
واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان اى قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اى
اثبت فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين مرة ثم
ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا واجيب بانه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا
وحرمانهم عن سعادة الاخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون
ذلك نهاية فى المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمة انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وانت تفعل
مثل فعله واما قوله وخضتم كالذى خاضوا فمعطوف على ما قبله مستندا اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعنى كالذى
كالخوض الذى خاضوه او كالفوج الذى خاضوا وقيل اصله كالذين فحذف النون ثم بين ان اولئك الكفار لم يحصل لهم الا
حبوط الاعمال فى الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف واما فى الاخرة فلانهم هلكوا وبادوا
وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم فى هذه الاعمال والفضائح مع ضعفهم
وقلة عددهم وعددهم اولى بخسار الدارين وخسار الامرين التاويل انما الصدقات وهى صدقات مواهب الله كما قال عم ما من
يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين
الذين لهم بقية اوصاف الوجود الفوا سفينة القلب فى بحر الطلب فدخرقها لخضر المحبة وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا و
العاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين ارباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين يتالف قلوبهم بذكر الله
وفى الرقاب الذين يريدون ان يتخلصوا عن رق الموجودات بالحرية عن العبودية موجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين الذين
استقرضوا من مراتب المكونات اوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات
للخلاص عن حبس الوجود وفى سبيل الله المجاهد والجهاد الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل
المسافرين عن اوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرين الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله اوجبها على ذمة
كرمه كما قال الا من طلبنى وجدنى والله عليم بطالبيه حكيم فى مغاوتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون
هو اذن دأوا محامده بنظر المذمة والعيب قل اذن خير لكم اى سامعة خيركم لان المقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يومن بالله عيانا
ويؤمن للمؤمنين لان فوائدها انه يعود اليهم كما يعود الى نفسه ورحمة للذين امنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله
باقوالهم وافعالهم واحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغنى عن القدر ان نعف عن طائفة لاظهار اللفضل والرافة نعذب طائفة
اظهار اللقهر والعزة ولكن اظهار اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين بعضهم من بعض لان
ارواحهم كانت فى صف واحد فى الازل فعاملاتهم من نتائج خصوصيات ارواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصى
لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم هى حسبهم لانها نصيبهم فى الازل كانوا اشد قوة بالاستعداد

ويأمرون بالمنكر … عن المعروف وهو كل حسن عقلا او شرعا …

التأويل

الفقراء

الفطرة وضيعوها فى الاستمتاع العاجل فخسروا راس المال ولم يربحوا الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم
الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم يا ايها النبى
ع
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله فان
يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا
نصير ومنهم من عاهد الله لئن اتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتيهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه و
بما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم

ولياء
التعقيب

القراءة والمؤتفكات وبابه بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وورش ويزيد والحلوانى عن قالون والاعشى وحمزة فى الوقف الوقوف
والمؤتفكات ط بالبينات لابتداء النفى مع فاء التعقيب يظلمون ٥ من بعض لما مر ورسوله ط سيرحمهم الله ط حكيم ٥ عدن ط اكبر ط العظيم ٥ واغلظ
عليهم ط جهنم ط المصير ٥ ما لم ينالوا ج من فضله ج خيرا لهم ج والاخرة ج ولا نصير ٥ من الصالحين ٥ معرضون ٥ يكذبون ٥ علام الغيوب ٥ لا لاحتمال
النصب والرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير فى نجويهم فيسخرون منهم ط سخر الله منهم لاتمام الجزاء مع اختلاف النظم اليم ٥ التفسير لما
شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزايل بين ان اولئك الكفار من هم فذكر ست طوائف
سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهى الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام
للتقرير فاولهم قوم نوح وقد اهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد واهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود واخذوا بالصيحة ورابعهم
قوم ابرهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شر هلكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم اصحاب مدين
قوم شعيب اخذتهم الرجفة وسادسهم اصحاب المؤتفكات قوم لوط امطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل مدائنهم عاليها
سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن ان يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب احوالهم
من الخير الى الشر قال انتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله
ليظلمهم قالت المعتزلة اى ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وتقدم الكلام فى امثال ذلك ثم بين ان شأن المؤمنين
فى الدنيا والاخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون الاية قال بعض العلماء انما قال ههنا اولياء بعض وهناك من بعض لان
نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم وبمقتضى الطبع والعادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة



في الاستدلال والتوفيق والهداية واقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم في امر من الامور بالجملة كالذات او حكم من
الاحكام الشرعية او سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل ان يكون تكليفا او بطريق النفاق لان سبب انعقاد غرض من
الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم في ذلك بلفظ منهم لمكان الاحتمال المذكور واما اشتراك المؤمنين في
السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضى الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة
فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان
بالنسبة الى غيرهم ثم قال ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهاتان لهم في انفسهم وهما بازاء قوله في صفة المنافقين ولا يأتون
الصلوة الا وهم كسالى لا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله اى في كل
ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما اعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال اولئك سيرحمهم الله والسين يفيد المبالغة في انجاز الوعد با
الرحمة كما يؤكد الوعيد بها اذا قلت سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الاية بقوله ان الله عزيز
حكيم وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو
الذي يدبر عباده على ما وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما اجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الاية وقد كثر
كلام اصحاب الاثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين وابا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سألنا
رسول الله فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون
لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك اجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم ترها عين
ولم يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اى وسطها قال الازهري بطنان الاودية المواضع التي يستنقع
فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء
والشهداء وائمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح من تحت العرش
فيدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمران في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة الاف باب على كل باب
خمسة الاف حرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على ان عدنا علم ويؤيده قوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب ان اصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن للمكان
الذي يخلق فيه الجوهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم على بعضها ورضوان من الله شيء يسير من رضاه
اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان السعادات
الروحانية اعلى حالا واشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات
الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود والرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز
وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قال ادخل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ثم عاد مرة اخرى الى شرح احوال المنافقين فقال يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك اى جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا يجوز محاربته في ظاهر الشرع وضعف
بان النسق يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرف الله حالهم فصاروا اكابر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حالهم
بالوحي الا انه مأمور بان يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد بذل الجهود في حصول
المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين واغلظ عليهم في الجهادين جميعا عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه بان يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد
المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق منافق او لا ان الغالب
ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله صلعم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلعم الى تبوك وكانوا اذا خلا
بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلعم واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم يا اهل
النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وعن
قتادة عن رجلين اقتتلا رجلا من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الاوس انصروا
اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى
بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلعم فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الاية واما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو الفتك برسول

بان المنافق لا يجوز محاربته في ظاهر الشرع فاجيب عنه لان ذلك
بان قال ذلك لان حده ان يكون منه

الله صلعم عند مرجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة عشر رجلا منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان
عمار بن ياسر اخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بردعا مر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد
مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلعم وما نقموا وما عابوا
الا ان اغناهم كقول القائل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلعم المدينة في ضنك من العيش
لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا الغنائم وجمعوا الاموال وروي انه قتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثني عشر الفا
فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال فان يتوبوا يك يعني ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس
ممن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم عذابا اليما في الدنيا بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم
عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر واما عذاب الآخرة فمعلوم وما لهم في الارض يحتمل ارض الدنيا وارض القيامة ثم
بين ان هؤلاء كما نافقوا الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال ومنهم من عاهد الله روي عن ابي
امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله صلعم ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير
من كثير لا تطيقه ثم قال مرة اخرى فقال اما ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسيل معي الجبال فضة وذهبا
لسالت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلعم اللهم ارزق ثعلبة
مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة
ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة فسال عنه رسول الله صلعم فاخبر بخبره
فقال يا ويح ثعلبة ثلثا وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة فبعث رسول الله صلعم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم
وكتب لهما كيف ياخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب
رسول الله صلعم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا واخبرا السلمي فنظر
الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما راوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان ناخذ هذا منك قال بلى خذوه فان
نفسي بها طيبة فاخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال اروني كتابكما ثم قال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى اري رايي فانطلقا حتى
اتيا النبي صلعم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلعم من اقارب ثعلبة فخرج اليه وقال
يا ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلعم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعني ان اقبل منك
صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال رسول الله صلعم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله
وقبض رسول الله صلعم ولم يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض رسول الله صلعم ولم يقبل منه شيئا ثم اتى ابا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي
من رسول الله صلعم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وانا اقبلها فقبض ابو بكر وابى ان يقبلها ثم جاء
بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله صلعم واقول وما ذاك الا
بشوم اللجاج والا فاخرا قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان يكون باللسان وبالقلب قال المحققون انه لا بد من التلفظ بها لما روي
انه صلعم قال ان الله عفا عن امتي ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
ظاهر مشعر بالقول اللساني والمراد بالفضل ابتاء السؤال بطريق التجارة او الاستغنام ونحوها واصل لنصدقن لنتصدقن فادغمت التاء
في الصاد والمتصدق المعطي لا السائل كقوله تعم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس
انه اراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا
وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض ازدياد الاحجام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة
معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظ البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة
الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد ربه ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون
ما يلزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل في الآية على ذلك مع ان سبب النزول يأباه فان مثل الزكوة لا تلزم بسبب الالتزام وانما
تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الآية دلالة
على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا
عن الحسن وقتادة ان اعقب مسند الى ضمير البخل اي اورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التأويل
ان جعل عائدا الى التولي او الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا في

حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو امر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود ولان هذا الترك قد يوجد في حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو اوجب حصول الكفر في القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا او محرما فبسبب اختلاف الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل او التولي او الاعراض هو بعينه اخلاف ما عدوا الله به فيصير تقدير الاية ان التولي اوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو الله ومن معنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا في الماضي فالله تعالى يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير في اعقبهم لله ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله وللمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي لكنه امر شرعي ولا يبعد جعل شيء عدمي امارة عليه وايضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم انه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من اين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز ان يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف ويراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع ان الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشية الله وتقديره تعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق لا محالة تمسكا بهذه الاية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عطاء بن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه ان يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكره الله فيمن عاهد الله واذا ائتمن على دين الله خان في السر وكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء ارسل الى الحسن رجلا فقال ان اولاد يعقوب حدثوه في قولهم فاكله الذئب فكذبوا ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن في مذهبه قال اهل التفسير قوله الى يوم يلقونه دل على ان ذلك المعاهد يموت وكان كما اخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي هذا اللقاء لا شك انه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القران ليس بمعنى الرؤية وضعف بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد في القران كذلك كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ثم وبخهم على التجاهل وعدم العلم بعلم الله واحاطته بضمايرهم وتناجيهم فقال الم يعلموا الاية والسر ما ينطوي عليه الصدور والنجوى ما يكون بين اثنين واكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخليص كما في الانجاء كان المتناجيين تخلصا عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الاية كيف تجترئون على النفاق الذي الاصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم مع انه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على اي وجه يفرض عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على ان يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي ثمانية الاف جئتك بنصفها فاجعلها في سبيل الله وامسكت نصفها لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وقيل صولحت احديهما على ثمانين الفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال اجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى نخيله فاخذت صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالي واقرضت الاخر ربي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة واما ابو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر والله غني عن صاعه فانزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين اي المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شيء قليل يعيش به المقل قال الليث وقال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغة غيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في العمل والثاني في القوة سخر الله منهم خبر لا دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة او المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد انه تعالى تكلفهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليها وانما توجه الذم على المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطي الكثير كعبد الرحمن وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك مما استاثر الله به ورسوله وايضا لمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما لم يقدر الا عليه فقد بذل كل ما في وسعه فعلمه غالبا انه ان قدر على الاكثر من ذلك لم يكن منه منع وسعي الانسان في ان يضم نفسه الى اهل الخير والدين خير له من ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولو لم تكن فيه الا الثقة بالله والدخول في زمرة من يؤثرون على

انفسهم

النوبة الثانية

انفسهم ولو كان بهم خصاصة لكفى به منقبة وفضلاً التاويل بعضهم اولياء بعض لان التعارف فى عالم الارواح يوجب الائتلاف
فى عالم الاشباح يامرون بالمعروف الحقيقى اى بطلبه والمطلوب هو الله لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر وهو ما
يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلوة الحقيقية ويؤتون الزكوة يعنى ما فضل عن كفافهم الضرورى ويطيعون الله ورسوله
بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا ايها النبى
يعنى القلب الذى لربا من مقام الانبياء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين
تدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى يتمرن نفوسهم والاثمارهم
جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى يوجب الانكار والاعتراض عن الشيخ وهموا بما لم ينالوا اى ثبتوا لانفسهم مرتبة الشيوخ
قبل اوانها وما نقموا الا ان الشيخ رباهم بنيان فضل الله عن حكمة الولاية فلم يحملوا لضيق حوصلة الهمة ومرتبة الطريقة اعظم من مرتبة
الشريعة فلهذا يكون عذاباً اليماً فى الدنيا والاخرة كما قال الجنيد لو اقبل صديق الى الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر
مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطرى لئن آتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما اعطانا
فيما اعطى لاجله الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء النفاق وان الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به انفسهم وهو غيب عن الخلق
ويعلم ما يستكن فى قلوبهم وهو غيب من نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة
سخرية الله بهم اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوْا
فى الازل
بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلٰفَ رَسُوْلِ اللّٰهِ وَكَرِهُوْا اَنْ يُّجَاهِدُوْا
بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَقَالُوْا لَا تَنْفِرُوْا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ فَلْيَضْحَكُوْا قَلِيْلًا
وَّلْيَبْكُوْا كَثِيْرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ فَاِنْ رَّجَعَكَ اللّٰهُ اِلٰى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَاْذَنُوْكَ لِلْخُرُوْجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوْا
مَعِىَ اَبَدًا وَّلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِىَ عَدُوًّا اِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخٰلِفِيْنَ وَلَا تُصَلِّ عَلٰٓى اَحَدٍ مِّنْهُمْ
مَّاتَ اَبَدًا وَّلَا تَقُمْ عَلٰى قَبْرِهٖ اِنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَمَاتُوْا وَهُمْ فٰسِقُوْنَ وَلَا تُعْجِبْكَ اَمْوَالُهُمْ وَاَوْلَادُهُمْ اِنَّمَا
يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰفِرُوْنَ وَاِذَآ اُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ اَنْ اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَجَاهِدُوْا
مَعَ رَسُوْلِهِ اسْتَاْذَنَكَ اُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوْا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقٰعِدِيْنَ رَضُوْا بِاَنْ يَّكُوْنُوْا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ لٰكِنِ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ جٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاُولٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرٰتُ
وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ القراءة
معى ابدا
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص الوقوف اولا تستغفر لهم فلن يغفر الله
لهم ورسوله الفاسقين فى الحر الان المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم
لا يكون نارها اشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون كثيرا لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مصدر محذوف اى يجزون جزاء
يكسبون معى عدوا الخالفين على قبره فاسقون واولادهم كافرون القاعدين لا يفقهون وانفسهم الخيرات لابتداء وعد
الفلاح على العظيم بدليل تكرار اولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون خالدين فيها العظيم المقسير عن ابن عباس ان عند نزول الاية
الاولى فى المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الاية ومن المعترضين من قال
انهم طلبوا من الرسول ان يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على ان المنهى اقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل

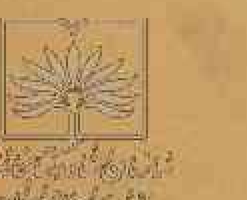
التفسير

قد يدل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر في شرعنا ان الاستغفار للمنافق يجري مجرى اغرائه على مزيد النفاق
ولانه يلزم ان يكون النبي ص غير مجاب الدعوة وان اكثر في الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال
فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روي انه لما نزلت الاية قال ص لازيدن على السبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم فلن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لازيدن على ذلك واجيب
بانه انما ذكر ذلك اظهارا للرحمة والرافة بامته ودعا لهم الى ترحم بعضهم لبعض لا انه فهم منه ذلك وقد قال تعالى فلن يغفر الله لهم وارد فه بقوله
ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله فليس المقصود لهذا العدد تحديدا بل المنع وانما هو كقول القائل لئن سالتني حاجة لو سالتني سبعين مرة لم
اقضها ولهذا بين العلة لذلك انه لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهي كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين وذكر
بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو ان السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم ونجوم السيارة والاعضاء
وايام الاسبوع فضرب السبعة في عشرة لان الحسنة بعشر امثالها وقيل خص بالذكر لانه ص كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكانه قال
ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا وقد مر في تفسير قوله قل انفقوا طوعا او كرها ان هذا امر في معنى الخبر
كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا اخر من قبائح
افعالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم احتالوا ان يتخلفوا وكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون واجيب بانهم استاذنوا رسول
الله ص فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك واريد بخلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان او المجاهدون لما لم يوافقوهم في
الغزو فكانهم خلفوهم او اطلق عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين عن الخروج في الاية الاتية فان رجعك الله الى
قوله ولن تقاتلوا معي عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قاله مقاتل او بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس ومعنى خلاف
رسول الله ص حين سار واقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له اي بعد والاجل خلافه او على الحال مثل
فارسلها العراك اي مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف اي بعد رسول الله ص وذلك ان جهة الامام التي يقصدها
الانسان تخالفها جهة الخلف وكرهوا ان يجاهدوا كيف لا يكرهونه وليس فيهم باعث الايمان وداعي الاخلاص ومعهم صارف
الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين اموالهم وارواحهم في الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالاقامة
يدل على كراهة الذهاب الا انه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد انه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستيناسهم بالاهل و
الولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهدار قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ان بعد هذه الدار
دارا اخرى وبعد هذه الحياة حياة اخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكانه صاحب الكشاف مسرة
احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب وفي هذا
استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا وهو خبر الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فيضحكون قليلا
اي ضحكا قليلا او زمانا قليلا ويبكون كثيرا روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقى لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم
عرف نبيه وجه الصلاح في سائر الغزوات فقال فان رجعك الله الى طائفة منهم اي ان ردك الى المدينة والرجع متعد مثل الرد
والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد
بالطائفة المخلفين من المنافقين فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا غايتهم اسقاطهم
عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم والطرد وصلاحا لامر الجهاد لما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو
خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ويعني باول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل اول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فضلت المرات مرة
مرة كانت هذه اولها نظيره هو افضل رجل يعني ان عد الرجال رجلا رجلا كان هو افضلهم وانما لم يقل اولى مرة لان اكثر اللغتين
هو اكثر النساء ولا يكاد يقال هي كبرى امراة فاقعدوا مع الخالفين كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في
قومه وعن الاصمعي انه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا ان الخالفين الذين
امروا بالقعود كانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس انه سمع عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن ابي دعي رسول الله ص للصلوة عليه فقام
اليه فلما وقف عليه يريد الصلوة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله ص اعلى عدو الله عبد الله القائل يوم كذا وكذا اعدد
ايامه ورسول الله ص يتبسم حتى اذا اكثرت عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه
قال فعجبت من جراتي على رسول الله ص والله ورسوله اعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية
فما صلى رسول الله ص بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله ص فيما صنع بعبد الله بن ابي فقال وما

يغني

يغنى عنه شيئا وصلوتى من الله والله ان كنت لارجوان يسلم به الف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من
الرسول قميصه الذى مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لان ذلك وقت يتوب فيه الكافر فرغب ان يصلى عليه
وذكر من اسباب دفع القميص ان العباس عم رسول الله صلعم اخذ اسيرا ببدر ولم يجد له قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها
ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لى فى رسول الله صلعم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلعم صنيعه
ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعم واما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرمه لمكان ابنه
ومنها اظهار الرافة والرحمة كما مر قوله مات صفة لاحد وابدا ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تابيد النفى ونفى التابيد والظاهر الاول
لان القرائن تدل على منعه من ان يصلى على احد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله صلعم كان اذا
دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبى معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره وانهم كفروا تعليل للنهى ويرد عليه
ان الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم واجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال فى الكشاف
وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم
بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا فى دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح فى جميع الاديان
اما قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم فقد سبق مثله فى هذه السورة بتفاوت الفاظ فوجب علينا ان نذكر سبب التفاوت
ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى اعلم بمراده انما ذكر النهى ههنا بالواو وهناك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موهم
على حالة الفسق خلاف ما هنالك وانما قال ههنا واولادهم بدون لا لان المراد هنالك الترقى من الادون الى الاعلى وان اعجاب
اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم كقولك لا تعجبنى امر التائب ولا امر المتوب وههنا اراد المعية فقط اما اكتفاء بما
سبق هناك واما لان هؤلاء اقوام اخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هناك لما علق الثانى بالاول تعلق
الجزاء بالشرط اكد معنى النهى بتكرار لا وانما قال ههنا ان يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو
العذاب واما فى الاية المتقدمة فالمفعول محذوف وقدره وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل فى احكام الله محال وانه لما ورد حرف
التعليل فمعناه ان وانما حذف الحيوة ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك وقيل تنبيها على ان الحيوة الدنيا لا يستحق ان يسمى حيوة لخستها
واما فائدة التكرير فهى المبالغة فى التحذير من الاموال والاولاد لانها جاذبة للقلوب فتحتاج الى صارف قوى ويحتمل ان يكون
الاولى فى قوم والثانية فى اخرين وقيل الثانية فى اليهود والاولى فى المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال واذا انزلت
سورة اى بتمامها ويجوز ان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا
ان هى المفسرة لان انزال السورة فى معنى القول وقال الواحدى تقديره بان امنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد
الا بعد الايمان اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا قال ابن العباس والحسن وقال الاصم الرؤساء والكبراء المنظور
اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم الزم اذ لا عذر لهم فى القعود مع القاعدين اصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء
اللواتى يتخلفن فى البيت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع
على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب فى الكفر الى حد كانه مات عن الايمان وقالت
الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع فى اللغة الختم وهو التاثير فى الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التى جبل
عليها الانسان فهم لا يفقهون اسرار حكمة الله فى الجهاد وفى الذهاب لطلب السعادة وما فى التخلف من الشقاء وفى قوله لكن
الرسول نكتة هى انه ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال واولئك لهم الخيرات وهى شاملة لمنافع الدارين وقيل هى الحور
لقوله فيهن خيرات حسان وقوله واولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من [illegible] ثم فصل ما اجمل فقال اعد الله الاية وقيل
الخيرات الفلاح فى الدنيا وهذه فى الاخرة والفوز العظيم عبارة عن تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية التاويل انما يؤثر استغفار الرسول
فى حقهم لقصور فى القابل لا لتقصير فى الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح
بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعى العبودية نالوا خيرات الربوبية
هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
الفوز العظيم اذ لا حجاب اعظم من حجاب النفس و آمدند تقصیر کنندگان از اهل بادیه تا دستوری دهند ایشان را و نشستند آنانکه دروغ داشتند
اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ
خدا و رسول او زود برسد بآنانکه کافر شدند از ایشان عذابی دردناک نیست بر ضعیفان و نه بر آنانکه ناخوش باشند و نه بر آنانکه

التاويل



لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
نیابند ایشان آنچه نفقه کنند تنگی چون نیک خواهند خدا و رسول او را نیست بر نیکوکاران از راه بیم و خدا
غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم
آمرزگار مهربانست و نه بر آنانکه چون آیند بتو تا برنشانی ایشان را گفتی نمی یابم آنچه برنشانم شمارا
عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل
بر آن برگردند و چشمهای ایشان مملو بود از اشک اندوه که نیابند آنچه نفقه کنند جز این نیست که راه
على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع
بر آنها بود که دستوری بتو میخواهند از تو و ایشان توانگرانند خوشنودند باینکه باشند با زنان و کودکان و مهر نهاد
الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا
خدا بر دلهای ایشان پس ایشان نمیدانند عذر خواهند از شما چون بازگردید بسوی ایشان بگو
تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم
عذر مخواهید برات نداریم شمارا بدرستیکه خبر داد ما را خدا از اخبار شما و زود باشد که ببیند خدا عمل شما
ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
و رسول او پس باز گردانند بسوی دانای نهان و آشکار پس بیاگاهاند شمارا بآنچه کرده باشید
سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم
زود سوگند خورند بخدای شما چون برسید بسوی ایشان تا برگردید از ایشان پس برگردید از ایشان بدرستیکه ایشان
رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم
پلیدند و جایگاه ایشان دوزخ است جزاء بآنچه ایشان می اندوختند سوگند خورند شمارا تا راضی شوید از ایشان
فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا
پس اگر راضی شوید از ایشان پس بدرستیکه خدا راضی نشود از گروه تباه کاران اهل بادیه سخت ترند بکفر
ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم
و نفاق و سزاوارترند که ندانند حدهای آنچه فرستاد خدا بر رسول خود و خدا دانای محکم کارست
ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة
و از اهل بادیه هست کسیکه فرا میگیرد آنچه انفاق میکند تاوان و چشم میدارد بشما حادثها بر ایشانست حادثه بد
السوء والله سميع عليم ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق
و خدا شنوای داناست و از اهل بادیه هست کسیکه ایمان آورده است بخدا و روز جزا و فرا میگیرد آنچه نفقه میکند
قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته
نزدیکی نزد خدای را و درودهای رسول بدان که آن نزدیکیست ایشان را زود در آورد ایشان را خدا در رحمت خود
إن الله غفور رحيم القراءة المعذرون من الاعذار يعقوب وقتيبة والباقون بالتشديد
بدرستیکه خدا آمرزگار مهربانست دائرة السوء بضم السين وكذلك في الفتح ابو عمرو وابن كثير الاخرون
بفتحها قربة بضم الراء نافع غير قالون الاخرون باسكانها وكلاهما بمعنى الوقوف ورسوله ط اليم ه
الله ورسوله ط من سبيل ط رحيم ه لا للعطف ما ينفقون ط اغنياء ج لاحتمال ان يكون رضوا مستأنفا
او وصفا مع الخوالف لا لان لو او انما للعطف والحال لا يعلمون ه الجزء الحادى عشر وثلث القران اليم
من اخباركم ط تعملون ه لتعرضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى
في تمام الوعيد جهنم ج لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مفعولا مطلقا لمحذوف اى يجزون جزاء
يكسبون ه لترضوا عنهم ج ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ه على رسوله ط حكيم ه الدوائر

دائرة



دائرة السوء عليهم ط الرسول ط لهم ط فى رحمته ط رحيم ٥ التفسير لما شرح احوال منافقى المدينة
شرع فى احوال المنافقين من اهل البدو فقال وجاء المعذرون من قرء بالتخفيف فهو من اعذر اذا اجتهد
فى العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من انذر فقد اعذر فكانه تعالى فصل بين اصحاب العذر وبين الكاذبين
فالمعذرون هم الذين اتوا بالعذر وهم اسد وغطفان قالوا ان لنا اتباعا وعيالا وان بنا جهدا فائذن
لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طى على اهالينا ومواشينا
فقال صلى الله عليه واله سيغنينى الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرا بالتشديد ففيه وجهان الاول
ان يكون من التعذير وهو التقصير فى الامر والتوانى فيه وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
الثانى وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانبارى انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون ادغمت
التاء فى الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اى
جاء بعذر صحيح فاذا اخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا اخذنا بقراءة التشديد و
فسرناها بالمعتذرين احتمل الامران ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين
بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدى باسناده
عن ابى عمرو انه قال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف
اخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراءة على الله وهم الذين ارادهم الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله
فى ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم فى الدنيا بالقتل وفى
العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف
الجهاد ساقط عن اصحاب الاعذار الحقيقية فقال ليس على الضعفاء وهم الذين فى ابدانهم ضعف فى اصل
الخلقة او لهرم ولا على المرضى ويدخل فيه اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض
يمنعه من التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون فى الغزو وعلى انفسهم حرج قيل هم
مزينة وجهينة ومن عدده وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا امكنه الاعانة بمقدار القدرة كحفظ
متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك منه طاعة مقبولة اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم
انه شرط فى جواز القعود النصح لله ورسوله ليحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقدموا
على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ما له مدخل فى طاعة الله ورسوله وموافقة السر العلن
كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه ثم قال ما على المحسنين اى المعذرين الناصحين من سبيل العقاب
والمؤاخذة قال بعض اهل الظاهر كداود الاصفهانى وغيره ان المحسن هو الاتى بالاحسان ورأس
الاحسان وسنامه هو قول لا اله الا الله فهذا يدل على ان المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته
نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفى عليكم كذا وكذا وبعد
ذلك لا سبيل لاحد على احد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك لان باب
النفى لا نهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا لو ورد فى القران الف تكليف او اقل او اكثر كان ذلك
تنصيصا على ان التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وامر ونهى وبهذا الطريق
يصير الشريعة مضبوطة ويكون القران وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس
لان هذا النص دل على ان الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة ايضا فضايع وان كان

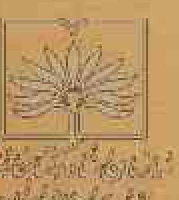
يعيد شغل الذمة صار مخصصا لعموم النص وانه لا يجوز لان النص اقوى من القياس ولما ذكر
ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين قسما رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا
على الزاد فقال وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ اى على المركوب قلت قال فى الكشاف
هو حال من الكاف فى اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك قائلا لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وجوزان يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل ان يكون بدلا من اتوك قال
مجاهدهم ابناء مقرن ومعقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعرى واصحابه اتوا
رسول الله صلى الله عليه وآله يستحملونه ووافق منه غضبا فقال مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فتولوا
وهم مدبرون يبكون فدعاهم واعطاهم ذودا عن الذمى فقال ابو موسى الست حلفت يا رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال اما انى ان شاء الله لا احلف بيمين فارى غيرها خيرا منها وكفرت الاتيت الذي هو خير منهما
عن يمينى وقيل هم البكاؤن ستة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
ابن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل اتوا رسول الله صلى الله
عليه وآله فقالوا يا نبى الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة و
البغال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقوله تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
كقولك تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها فائضة
ومن للبيان والجار والمجرور فى محل النصب على التمييز حزنا الا يجدوا اى على ان لا يجدوا انما
السبيل اى سبيل الخطاب والعتاب فى امر الغزو والجهاد عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ فى التخلف وَهُمْ
أَغْنِيَاءُ ثم قال على سبيل الاستيناف رَضُوا كانه قيل فما لهم استاذنوا وهم قادرون على الاستعداد
فقيل رَضُوا بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ومن جملة اسباب الاستيذان أن طبع الله
تعالى عَلَى قُلُوبِهِمْ قال اهل العلم لما قال فى الاية الاولى وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ قال هناك
وطبع ليكون المجهول منفيا على المجهول بخلافه فى هذه الاية ثم ان العلم فوق الفقه وكان انسب بالمقام
الذى جرى فيه ذكر الله اما قوله قل لا تعتذروا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصير عذره مقبولا فاذا علم ان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ علة لانتفاء التصديق
وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ يعنى رؤية وقوع اى سيقع انكم هل تبقون على الحالة التى تظاهرونها ام لا وفى قوله ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ تخويف شديد وفيه انه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوة من
النفاق والكذب وانما لم يقل فى هذه الاية والمؤمنون كما فى الاية التى تجئ لان هذه فى المنافقين
ولا يطلع على ما فى باطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه ...د بنوته كما قال قد نبأنا الله من اخبارهم
والاية الاخرى فى المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم اية المنافقين بقوله ثُمَّ تُرَدُّونَ
لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف اية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد والله اعلم ثم ذكر ان
منافقى الاعراب سيؤكدون اعتذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقى المدينة فقال
سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ اى لاجلكم اذا انقلبتم اى رجعتم اليهم ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر انهم حلفوا على انهم ما
قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم ارادوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء
طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح وكذا قال ابن عباس اراد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال

ابنو

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاجتناب
عنهم فقال انهم رجس فكأنهم نجس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعتاب والتوبيخ وفي امثالهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة
المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهرها الذي عليه الشعر اي انما يعاد الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته يضرب لمن فيه مراجعة
ومستعتب واذا لم يكن المعاتبة نافعة فيهم فتركهما هو الصواب ومأواهم جهنم منقلبهم الى النار عتابا وتوبيخا ثم بين انهم طلبوا اعراض
الصفح بقوله يحلفون لترضوا عنهم ثم نهاهم عن الرضى بقوله فان ترضوا عنهم الآية وذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة
لارادة الله واي فائدة في رضى المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب واراد بهم جمعا معينين كانوا
يوالون منافقي المدينة قال اهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب ثابتا وجمعه عرب كالمجوسي والمجوس واليهودي واليهود فالاعرابي
اذا قيل له يا اعرابي فرح واذا قيل للعربي يا اعرابي غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عرب ومن نزل البادية فهو اعرابي
ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال لا يؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا اعرابي مهاجرا قيل
انما سمي العرب عربا لان اولاد اسمعيل عليه السلام نشأوا بالعرب وهي من تهامة فنسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم
فهو منهم وقيل لان السنتهم معربة عما في ضمائرهم لما في لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء انه قال حكمة الروم في
ادمغتهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند في اوهامهم وحكمة يونان في افئدتهم وذلك لكثرة ما لهم
من المباحث العقلية وحكمة العرب في السنتهم وذلك لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بانهم اشد
كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال اهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمر الوحش
الى البيطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من اصبح وامسى مشرقا عليه انوار
النبوة ومشرفا باستماع مواعظه وآدابه كيف يكون مساويا للمنشأ كما شاء من غير سياسة سائس ولا تأديب مؤدب ان شئت فقل
الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال ان الجفاء والقسوة في الفدادين اي الاكارين لانهم يفدون اي يصيحون وقوله واجدر
اي اولى واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله اي مقادير تكاليفه واحكامه وما ينتهي اليه الادلة العقلية والسمعية والله عليم
بما في قلوب اهل البدو والحضر واصحاب الوبر والمدر حكيم في كل ما قدر من الشرائع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم اي يعتقد ان الذي ينفقه في
سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت ان اصل الغرم اللزوم كأنه اعتقد انه لزمه لامر من خارج كتقية او رياء الناس مما يبعث من
النفس والمغرم اما مصدر او موضع ويتربص بكم الدوائر نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكأنها لا تستعمل الا في المكروه تشبيها
بالدائرة التي تحيط بما في ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام وذمهم بان دعا عليهم بقوله عليهم دائرة
السوء وانها جملة معترضة كقوله غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه الدائرة للملابسة كقوله رجل صدق قال في
الكشاف وهو ذم للدائرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد انهم لا يرون في محمد ودينه الا
ما يسوءهم والله سميع لاقوالهم عليم بنياتهم قيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال ومن
الاعراب الآية والمعنى انهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لحصول صلوات
الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى ثم انه تعالى شهد لهم ولامثالهم
بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستيناف مؤكدا بحرفي التنبيه والتحقيق الا انها قربة لهم ثم فسر القربة بقوله سيدخلهم
والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه اخذ اسمه بجادا وهو كساء مخطط فشقته بنصفين فارتدى
باحدهما واتزر بالثاني وبعثته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فائدة والله اعلم التأويل الناس ثلاثة المقصرون المعذرون المعترفون
بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون في الطلب لكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم في
القعود عن طلب الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن في الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة
لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم تكونوا بالغيها بجناحي البشرية والروحانية قلت لا اجد ما احملكم
عليه رضا وكلا واستهزاء لنا واستراحتهم كما قيل لموسى لن تراني زيادة لشوقه وهم اغنياء لهم الاستعداد الكامل فلم
يستعملوها في طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الاعراب اشد كفرا ان في عالم الانسانية هو النفس وحضرته هو
قلبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما ان الايمان للقلب لذاته بالفطرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس مؤمنة
بسراية القلب لكن النفس يكون اشد كفرا من القلب الكافر كما ان القلب يكون اشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما انزل الله على
رسوله يعني الواردات النازلة على الروح فان القلب حضرة الروح كما ان المدينة حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن النفوس من يعتقد ما

يصرف من اوقاته في طلب الكمال ضايع وخسارة ينتظر بالقلب اشتغالا وفرة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها و
قهرها بما يخالف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليهم بمن ينبغي ان يسمع في حقه والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها
که روان است از زیر آنها و آماده ساخت از برای ایشان بوستانها راضی شد خدا از ایشان و راضی شدند از او و آنانکه پیروی کردند ایشان را به نیکوترین و به پنهان
الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا
نهرها جاوید باشند در آن همیشه اینست فیروزی بزرگ و از آنکه پیرامن شمااند از اهل بادیه منافقانند و از اهل شهر سخت ایستادند
على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا
بر نفاق نمی‌دانی تو ایشان را ما میدانیم ایشان را زود عذاب کنیم ایشان را دو مرتبه پس باز گردانیده شوند بسوی عذاب بزرگ و دیگران معترف شدند
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من
بگناهان خویش کردند عمل نیک و دیگر بد شاید خدا اینکه رحمت کند بر ایشان بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست و بگیر از
اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم
مالهای ایشان صدقه تا پاک گردانی ایشان را و زکیه کنی ایشان را بآن و درود بر ایشان بدرستیکه درود تو آرامست مر ایشان را و خدا شنوای داناست
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا
آیا ندانستند که خدا اوست توبه پذیرنده از بندگان خود و فراگیرد صدقات را و آنکه خدا اوست توبه پذیر مهربان و بگو کار کنید
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
پس زود بیند خدا عمل شما را و رسول او و مؤمنان و زود باز گردانیده شوید بسوی دانای پنهان و آشکار پس آگاه کند شما را بآنچه بودید که میکردید
وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
و دیگران تاخیر کرده شدگانند مر فرمان خدا را یا عذاب کند ایشان را و یا رحمت کند بر ایشان و خدا دانای حکیم است و آنانکه فرا گرفتند مسجد را از جهت زیان رسانیدن
وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد
و کافر شدن و جدائی افکندن میان گروندگان و ساختن برای آنکه محاربه کرد با خدا و رسول او از پیش و سوگند خورند که نخواستیم مگر نیکوئی و خدا حاضر است
انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان
بدرستیکه ایشان هر آینه دروغ گویانند باز مایست در آن هرگز هر آینه مسجدی که بنیاد نهاده شده بر پرهیزکاری از اول روز سزاوارتر است که بایستی در آن در آنند مردانی که دوست میدارند
يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه
که پاکی جویند و خدا دوست میدارد پاکیزه کاران را آیا آنکه بنیاد نهاد بنیان را بر پرهیزگاری از خدا و خوشنودی بهتر است یا آنکه بنا نهاد بنیان را
على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة
بر کنار رود پس فرو افتاد با او در آتش دوزخ و خدا راه نمینماید گروه ستمکاران را همیشه بنا نهادن ایشان آنکه بنا کردند شک
في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله حكيم القراءة من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون بحذفها وبالنصب
در دلهای ایشان مگر که پاره پاره شود دلهای ایشان و خدا دانای حکم کار است على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الاخرون بالجر ان صلوتك على
التوحيد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو ساكنة
بعد الجيم ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وعاصم سوى ابي بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو
ابو جعفر ونافع وابن عامر اسس بنيانه مجهولا في الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى
وحماد الباقون بالضم هار بالامالة ابو عمرو وحمزة وفي رواية ابن سعدان والي عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه
والنجاري عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى ان قراها يعقوب الباقون الا ان تقطع فعلا
ماضيا ومضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل وروح ليس تقطع مضارعا
مجهولا من التقطيع الوقوف باحسان لان قوله رضي الله عنهم خبر والسابقون ابدا العظيم منافقون لمن قدر ومن اهل المدينة
قوم مردوا ومن وصل وقف على اهل المدينة تقديره مردوا على النفاق ومن قال ومن اهل المدينة قوم احتمل ان يجعل
لا يعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم ط نحن نعلمهم ط عظيم ج لاحتمال التقدير ومنهم آخرون وان يكون معطوفا على
منافقون او على قوم المقدر سيئا ط عليهم ط رحيم وصل عليهم ط لهم ط عليم الرحيم والمؤمنون ج تعملون ج يتوب عليهم ط حكيم
من قبل ط الحسنى ط لكاذبون ابدا ط ان تقوم فيه ط ان يتطهروا ط المطهرين في نار جهنم ط الظالمين قلوبهم ط حكيم التفسير

لما ذكر الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل اعلى واجل وهي منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبي هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين الذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران والظاهر ان الاية عامة في كل من سبق في الهجرة والنصرة قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر اسبق في الهجرة وهو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضي عنهم ولا شك ان الرضاء معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء كلمة من في قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم امنوا وفي عدد المسلمين في مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروى عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلعم وما كان بينهم فقال ان الله تعالى قد غفر لهم واوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرا قوله تعالى والسابقون الاولون الى اخر الاية اوجب جميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة لا السيئة او باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا ويحفظوا لسانهم عن الاغتياب والطعن في حقهم قال العلماء معنى رضاء الله عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح احوال المنافقين فقال وممن حولكم هو خبر ومن الاعراب بيان او حال ومنافقون مبتداء ومن اهل المدينة عطف على الخبر او خبر لمبتداء اخر بناء على ان التقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا والتركيب يدل على الملاسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام امرد وارض مرداء لا نبات فيها وتمرد اذا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقي كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا او تمرنوا وبقوا عليه حذاقا معودين الى حيث لا تعلمهم انت بنفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب في الدنيا بالفضيحة والعذاب بالقبر روى السدي عن انس بن مالك انه صلعم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتادة بالزبانية وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبور وقال الحسن باخذ الزكوة من اموالهم وبعذاب القبر وقيل احد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والاخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو الدرك الاسفل من النار وقال الكلبي وممن حولكم جهينة ومزينة واشجع واسلم وغفار ومن اهل المدينة عبد الله بن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال واخرون وهو معطوف على منافقون او مبتداء اعترفوا صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستانفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر وللمفسرين خلاف في انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس في رواية الوالبي نزلت في قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول الله صلعم واصحابه في الجهاد روي انهم كانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك اوثقوا انفسهم على سواري المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول الله صلعم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله صلعم فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسئل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم صدقة الاية والاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال وفي الاستقبال خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اي خلطوا كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا ابلغ من قولك خلطت لانك جعلت في الاول كلا منهما مخلوطا ومخلوطا به كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما اي شاة بدرهم وذلك ان الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال اهل السنة فيه دليل على نفي القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفي قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على



التوبة التي اخبر عنهم مقدمتها وهي الاعتراف عنهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدته ان يكون
المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معناه ان يتوب ان يقبل التوبة وذلك
عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه خذ من
اموالهم صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الاية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر
عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكوة ووجه النظم انهم لما اظهروا التوبة
الذنب امروا باخراج الزكوة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهر في الوجوب وايضا التطهير والتزكية يناسب
الواجب لا التطوع وفي قوله من اموالهم دلالة على ان القدر الماخوذ بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة
وفي اضافة المال اليهم دليل على ان المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد
الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله تطهرهم وتزكيهم بها التاء فيهما للخطاب اي تطهرهم ايها الاخذ وتزكيهم
بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع المعطوفين قال العلماء المعطوفان
متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير او هي بمعنى الانماء كانه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة او
المراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الزكوة طهرة للاثام فلا تنفرد الا حيث يمكن
حصول الاثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي تجب الزكوة في مالهما لانه لا يلزم من
انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم من هنا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ
الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال اخرون بظاهر اللفظ لما روي عن عبد
الله بن ابي اوفى قال كان ابي من اصحاب الشجرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان فاتاه ابي بصدقته
فقال اللهم صل على ال ابي اوفى واكثر الائمة على انه لا يصلى الصلوة لغير النبي على غير الاتباع واطلق بعضهم كالغزالي
امام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام ايضا في معنى الصلوة واما الشيعة فانهم يذكرون الصلوة والسلام في حق ال الرسول ايضا
كعلي واولاده عليهم السلام وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني امية وبني نوفل وغيرهم قالوا لانها كانت جائزة في
حق من يؤدي الزكوة فكيف يمنع ذكرها ولا يحسن في اهل بيت الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق واما
السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في ال الرسول ان صلوتك سكن لهم والسكن ما يسكن اليه المرء
وتطمئن به نفسه وذلك ان دعاءه يستجاب البتة فليستظهرون بها وكيف لا ويفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم
لهم احتج مانعو الزكوة بها في زمان ابي بكر بان الوجوب مشروط بحصول السكن ولا سكن ورد عليهم بما تر الايات روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا
لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الم يعلموا يعني غير التائبين وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم وتقبل
صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو ان يعلم ان الالهية
هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة
وجب على كرمه قبول توبته وقيل فيه ان قبول التوبة ليس الى الرسول في قوله عن عباده دون منه اشارة الى البعد الذي يحصل
للعبد عن الله بسبب العصيان او الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة اخذ الصدقات الى الله بعد ان امر
الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي احدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند
الله اعظم من احد وقد جاء هذا المعنى في الحديث ثم امر نبيه بان يقول للتائبين او لغير التائبين ترغيبا لهم في التوبة اعملوا فيه نوع
تهديد وتخويف فسيرى الله عملكم وقد مر تفسير مثله عن قريب والحاصل انه كانه قيل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا حكما وهو
ان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الاخرة حكما وهو الجزاء وبوجه اخر كانه قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من
الظاهريين فاعمل للفوز بثناء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية شهدا
ولا شك ان رؤية الله تعم شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين فلا يشمل افعال القلوب
الا باراءة الله واطلاعه عز شانه واعلم انه تعالى قسم المخلفين الى ثلثة اقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني
التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله واخرون واعرابه كاعراب قوله واخرون
اعترفوا ومعنى مرجون لامر الله موخرون وارجائه اذا اخرته ومنه قوله ارجه واخاه كامر وبه سميت المرجئة لانهم لا يجزمون بعفو اي موخرون
عن ذنب التائب ولكن يوخرونها الى مشية الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل

عن الايمان وقال ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا
امرهم الى الله واخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلثة الذين خلفوا كما سيجيء وقال الحسن هم قوم من المنافقين
حذرهم الله بهذه الاية ان لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم للتشكيك فيه راجع الى العباد اي ليكن امرهم على الخوف والرجاء وكان
يقول الناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا ويقول آخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل امرهم بين التعذيب
والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة واجيب بانه لا يجوز ان يكون المنفصلة مانعة الجمع فقط
ولما ذكر اصناف المنافقين وبين طرايقهم المختلفة قال والذين اتخذوا كانه قال ومنهم الذين اتخذوا وفي الكشاف ان محله الرفع
على الابتداء وخبره محذوف اي وممن وصفنا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثني عشر
رجلا بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وروي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله ص ان ياتيهم فاتاهم فصلى
فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث لهم على هذا العمل كان امورا
اربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي ص وبالاسلام وذلك انهم ارادوا تقوية اهل النفاق والثالث التفريق
بين المؤمنين لانهم ارادوا ان لا يحضروا مسجد قباء فيقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى اختلاف
الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بحارب اي من قبل بناء مسجد الضرار
وقال في الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار
مع العداوة قال الاكثرون انه الاعداد والمراد بمن حارب ابو عامر الراهب والد ابي حنظلة الذي غسلته الملائكة وسماه رسول الله
الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله ص عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول
الله ص يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا
الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر واتي بجنود ومخرج محمدا و
اصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم اخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا
اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى (الخصلة) وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق
ذلك غزوة تبوك فاتوا رسول الله وقالوا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان
تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال ص اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سالوه
اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه ابدا الاية فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر
بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرئيل لا تقم فيه ولا ريب ان النهي عن القيام
فيه يستلزم النهي عن الصلوة فيه ثم بين علة النهي فقال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اي من اول ايام وجوده احق ان
تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جايزا لكان هذا اولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا
على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول يوم كان اولى
بالصلوة فيه فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وما ذاك الا علي ع كرم الله وجهه لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا
في هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله ص بالمدينة عن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله ص عن المسجد الذي اسس على
التقوى فاخذ الحصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله ص وصلى
فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال في الكشاف وهذا اولى لان الموازنة
بين مسجدي قباء اوقع وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان تجالسه لم
يكن ذلك مقصورا على واحد ايضا كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله او بمال غير طيب فهو
لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا اخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من
الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار و
الكفر والتفريق ولان طهارة الباطن اشد تاثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك انهم كانوا
لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وروي انها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على
باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم

بيان

فقال عم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال عم مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا
رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي عم رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان يتطهروا
بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا باجمعهم ومحبة التطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضاء عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب
بالمحبوب ثم بين انه لا نسبة بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير افمن اسس بنيانه وهو مصدر
كالغفران واريد به المبني والمعنى ان من اسس بناء دينه على قاعدة توبة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على ضد ذلك
والشفا هو الشفير اي الشفة والجرف هو ما اذا سال السيل وانحفر الوادي بقي على طرف المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة
فساعة فذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط جرف والهار الهائر وهو ايضا المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط
قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع عن خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال في الكشاف انه صفة
قصرت عن فاعل كخلف عن خالف والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور على فعل ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا
ادل على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في قعر
جهنم يروى انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج منه ثم ذكر ان بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبة في كونه سببا للريبة في قلوبهم وجوه منها ان هدمه صار سببا لازدياد شكهم في نبوته ومنها انهم
ظنوا انه لاجل الحسد فارتفع امانهم عنه وصاروا مرتابين في انه هل يتركهم على ما هم فيه او يامر بقتلهم ونهب اموالهم فلا يزول
تلك الريبة الا ان تقطع قلوبهم اجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فيضمحل اثرها عنها والمقصود ان
هذا الشك يبقى في قلوبهم ابدا ويموتون على النفاق قال في الكشاف يجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية والسابقون الاولون

التأويل

عند الخروج من العدم وهم اهل الصف الاول من الجنود المجندة او السابقون في جواب الست بربكم الاولون في استماع هذا
الخطاب والسابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم في الازل الاولون باداء حق المحبة في سر يحبونه
او السابقون عند تخمير طينة آدم في مماسة ذواتهم يد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة في كمال الاربعين صباحا
والسابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق
مخصوص بالنبي صلعم وبامته كما قال نحن الآخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم في طلب الحق والذين
اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم في متابعتهم بقدر الامكان رضي الله عنهم باعطاء الاستعداد لذات الكاملة ورضوا عنه بايفاء حقوقها
وممن حولكم من الاعراب صفات النفس منافقون ومن اهل مدينة القلب صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية
للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية
بل تميل الى الشهوة اذا خليت وطباعها ولهذا قال عم ان اخوف ما اخاف على امتي النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية في
طلب الغذاء فانها باقية على طلبها ما دام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من
الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل ان تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور
الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة بانوار صفات نفثها القلب
عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم يتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة
بانوار بعض النفاق كما قال عم اربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد
اخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعني ان هذه
الافعال لا يعرفها ارباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها اصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة
ومرة بآداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو انقطاع عن الكونين والفناء في الله او بجذبات القهر الى
اسفل الجحيم البعد والبقاء في عالم الطبيعة وآخرون يعني القلب وصفاته اعترفوا بذنوبهم بثبوت صفات النفس والتلوث بها
خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه وآخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى في بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الى
طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة
فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وتأخذ الصدقات فيه ان المعطي يجب ان لا ينظر الا الى الله ولا يمن على [illegible] اصلا ويستر دون

بادنى

التوبة

باقدام اعمالکم الی الله الذی یعلم ما غاب منکم من نتایج اعمالکم وما بحیته عنه من التقدیر الازلی وما تشاهدون بالعیون والقلوب
فی عالمی الملک والملکوت واخرون مرجون اخرت توبتهم لیترددوا بین الخوف والرجاء فیطیروا بجناحی القبض والبسط الی ان یصلوا
الی سرادقات الهیبة والانس والله علیم بتربیة عباده حکیم فیما یفعل من القبول والرد والذین اتخذوا فی عالم الطبیعة مزبلة
النفس مسجدا ضرارا لارباب الحقیقة وکفرا باحوالهم لمن حارب الله هم اهل الاباحة من مدعی الفقر لا تقم یا رسول الروح اسس علی
التقوی هو مسجد القلب جبل علی العبودیة والطاعة من اول یوم من المیثاق رجال یحبون ان یتطهروا هم الاوصاف الحمیدة والملکات
الزکیات عن دنس الطبیعة ولوث الحدوث ثم میز بین اهل السعادة والشقاوة فقال افمن اسس بنیانه ای جبل علی الخیر وما فیه
رضی الله لا یزال بنیانهم الذی بنوا ریبة لانهم جبلوا علی الشقاء الا ان تقطع قلوبهم عبروا عن طباعهم وذلک محال ولا یزال
ریبة من مزبلة النفس وسخ وظلمة الی قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم عبروا عن طباعهم وذلک محال ولا یزال ریبة من مزبلة النفس
وسخ وظلمة الی قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اِنَّ اللّٰهَ اشْتَرٰی مِنَ الْمُؤْمِنِیْنَ اَنْفُسَهُمْ وَاَمْوَالَهُمْ بِاَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ یُقَاتِلُوْنَ
بسکین الریاضة فتزول عنها تلک الملکات بدرستیکه خدا خرید از گروندگان نفسهای ایشانرا و مالهای ایشانرا بانکه مر ایشانراست بهشت کارزار میکنند
فِیْ سَبِیْلِ اللّٰهِ فَیَقْتُلُوْنَ وَیُقْتَلُوْنَ وَعْدًا عَلَیْهِ حَقًّا فِی التَّوْرٰىةِ وَالْاِنْجِیْلِ وَالْقُرْاٰنِ وَمَنْ اَوْفٰی بِعَهْدِهٖ مِنَ اللّٰهِ
در راه خدا پس میکشند و کشته میشوند وعده درستی بر آن حق است در توریة و انجیل و قرآن و کیست که وفا کننده تر بعهد خویش از خدا
فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَیْعِکُمُ الَّذِیْ بَایَعْتُمْ بِهٖ وَذٰلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیْمُ اَلتَّائِبُوْنَ الْعَابِدُوْنَ الْحَامِدُوْنَ السَّائِحُوْنَ
پس شاد شوید به بیع کردن خودتان که بیع کردید بان و اینست آن رستگاری بزرگ توبه کنندگان عبادت کنندگان حمد کنندگان روزه داران
الرَّاکِعُوْنَ السَّاجِدُوْنَ الْاٰمِرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّاهُوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَالْحَافِظُوْنَ لِحُدُوْدِ اللّٰهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِیْنَ مَا کَانَ
رکوع کنندگان سجده کنندگان امر کنندگان بر نیکوئی و نهی کنندگان از بدی و حفظ کنندگان مر حدود خدا را و مژده ده گروندگان را نبود
لِلنَّبِیِّ وَالَّذِیْنَ اٰمَنُوْا اَنْ یَّسْتَغْفِرُوْا لِلْمُشْرِکِیْنَ وَلَوْ کَانُوْا اُولِیْ قُرْبٰی مِنْ بَعْدِ مَا تَبَیَّنَ لَهُمْ اَنَّهُمْ اَصْحٰبُ الْجَحِیْمِ وَمَا کَانَ
مر پیغمبر را و آنانکه گرویدند آنکه آمرزش خواهند مر مشرکان را و اگر چه باشند خداوند خویشی از پس آنچه روشن گردید مر ایشانرا بدرستیکه ایشان یاران جحیمند و نبود
اسْتِغْفَارُ اِبْرٰهِیْمَ لِاَبِیْهِ اِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَّعَدَهَا اِیَّاهُ فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهٗ اَنَّهٗ عَدُوٌّ لِّلّٰهِ تَبَرَّاَ مِنْهُ اِنَّ اِبْرٰهِیْمَ لَاَوَّاهٌ حَلِیْمٌ
آمرزش خواستن ابرهیم مر پدرش را مگر از سر وعده که وعده داده بود او را پس چون روشن شد او را بدرستیکه دشمن خداست بیزار شد از او بدرستیکه ابرهیم آه کننده بردبار
وَمَا کَانَ اللّٰهُ لِیُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ اِذْ هَدٰىهُمْ حَتّٰی یُبَیِّنَ لَهُمْ مَّا یَتَّقُوْنَ اِنَّ اللّٰهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیْمٌ اِنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْکُ السَّمٰوٰتِ
و نبود خدا که گمراه کند قومی را پس آنکه راه نمود ایشانرا تا روشن کند ایشانرا آنچه پرهیزند بدرستیکه خدا بهر چیزی داناست بدرستیکه خدا مر او راست پادشاهی آسمانها
وَالْاَرْضِ یُحْیٖ وَیُمِیْتُ وَمَا لَکُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِیٍّ وَّلَا نَصِیْرٍ لَقَدْ تَّابَ اللّٰهُ عَلَی النَّبِیِّ وَالْمُهٰجِرِیْنَ وَالْاَنْصَارِ
و زمین زنده میکند و میمیراند و نیست مر شما را از جز خدا هیچ دوستی و نه یاوری بتحقیق که رجوع کرد خدا بر پیغمبر و هجرت کنندگان و یاوران
الَّذِیْنَ اتَّبَعُوْهُ فِیْ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا کَادَ یَزِیْغُ قُلُوْبُ فَرِیْقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَیْهِمْ اِنَّهٗ بِهِمْ رَءُوْفٌ رَّحِیْمٌ وَّ
آنانکه پیروی کردند او را در هنگام دشواری از پس آنکه نزدیک بود میل کند دلهای گروهی از ایشان پس رجوع کرد بر ایشان بدرستیکه او بایشان مهربانست و
عَلَی الثَّلٰثَةِ الَّذِیْنَ خُلِّفُوْا حَتّٰی اِذَا ضَاقَتْ عَلَیْهِمُ الْاَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَیْهِمُ الْاَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ
بر آن سه کس که بجای گذاشته شدند تا چون تنگ شد برایشان زمین با آنچه فراخی بود تا چون تنگ شد برایشان زمین با آنچه فراخی بود و تنگ شد
عَلَیْهِمْ اَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوْا اَنْ لَّا مَلْجَاَ مِنَ اللّٰهِ اِلَّا اِلَیْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَیْهِمْ لِیَتُوْبُوْا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیْمُ یٰاَیُّهَا الَّذِیْنَ
برایشان نفسهای ایشان و گمان کردند آنکه نیست پناهی از خدا مگر بسوی او پس رجوع کرد برایشان تا باز آیند بدرستیکه خدا اوست توبه پذیر مهربان ای آنانکه
اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَکُوْنُوْا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ القراءة فیقتلون مبنیا للمفعول ویقتلون مبنیا للفاعل حمزة وعلی وخلف
گرویدید بپرهیزید از خدا و باشید با راستگویان الاخرون علی العکس یقتلون بالتشدید ابو عون عن قنبل ابن هام وکذلک ما
بعدہ هشام بزیغ بیاء الغیبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التانیث خلفوا بالتخفیف وفتح اللام روی الجرد وعن
عباس الباقون بالتشدید مجهولا الوقوف الجنة ط ویقتلون فقف والقران ط بایعتم به ط العظیم ه لحدود الله ط المؤمنین ه الجحیم ه ایاه ط
منه ج حلیم ه مایتقون ط علیم ه والارض ط ویمیت ط نصیر ه تاب علیهم ط رحیم ه ط للعطف علی النبی خلفوا ط الا
الیه ط لیتوبوا ط الرحیم ه الصادقین ه التفسیر لما شرح فضایح المنافقین وقبایحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوک وذکر
اقسامهم وفرع علی کل قسم ما کان لایقابه عاد الی بیان فضیلة الجهاد والترغیب فیه قال محمد بن کعب القرظی لما بایعت الانصار
رسول الله صلی الله علیه وسلم لیلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسک ولربک ما شئت فقال اشترط
لربی ان تعبدوه ولا تشرکوا به شیئا واشترط لنفسی ان تمنعونی مما تمنعون منه انفسکم واموالکم قالوا فاذا فعلنا ذلک

التفسیر

فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فاغلى ثمنهم
وقال جعفر الصادق ع والله ما لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لان
المشتري انما يشتري ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها والمراد بانفسهم النفوس
المجاهدة وباموالهم التي ينفقونها في اسباب الجهاد وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي ان قيم الطفل
له ان يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الآية البايع والمشتري هو الله وفيه تنبيه على ان العبد كالطفل الذي
لا يهتدي الى مصالح نفسه وانه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الى انواع الخيرات واصناف السعادات ويوجه اخر الانسان
بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذي هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضروريات المعاش كالالات والوسائط
لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبايع هو جوهر الروح القدسي والمشتري هو الله واحد العوضين الجسد
البالي والمال الفاني والعوض الاخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زائل ولهذا قال فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وفي قوله يقاتلون معنى الامر كقوله وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وهو كالتفسير لتلك
المبايعة فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ اي انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه ان
طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد
بمجاهد السيف لظاهر قوله يقاتلون والمحققون ان كل انواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد اكمل
اثرا من القتال ولهذا قال ع لعلي ع لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا
يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان جوهر شريف فمتى امكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان اولى
من افناء ذاته الا ترى ان جلد الميتة لما كان منتفعا به بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم
به قوله وعدا عليه قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة كانه قيل وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا وهو نعت للمصدر
وعد الجنة
مؤكد وما الذي حصل في التوراة والانجيل والقرآن قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد وقيل
الامر بالقتال وَمَنْ أَوْفَىٰ استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله لانه الغني عن كل الحاجات القادر على كل
المقدورات وفي الآية انواع من التوكيدات فاولها قوله إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ واذا كان المشتري هو الاله الواجب لذاته المتصف
بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها انه عبر عن ايصال الثواب بالمبيع الشرعي حتى يكون حقا مؤكدا
ومنها انه قال بان لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وَعْدًا وانه لا يخلف الميعاد ومنها
قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تاكيد التحقيق ومنها قوله فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وانه يجري
مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ وفيه تنبيه
على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فَاسْتَبْشِرُوا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ ثم وصف
الفوز بالعظيم واعلم ان هذه الخاتمة تقع على ثلثة اوجه احدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة مواضع في براءة موضعين وفي
النساء والمائدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو والاخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع اخرى
براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد ما في براءة احدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الآية وكل ما في
المؤمن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بواو العطف واما
بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين شيئين منها والثلثة للدلالة على المبالغة وقد
جمع في هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية التوكيد والمبالغة او لانه ذكر الكتب الثلثة فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد او
كذلك في المؤمن وقع الثلثة في مقابلة ثلثة ادعية فاغفر لهم وادخلهم قال ابو القاسم البلخي لا بد من حصول الاعواض
على الآلام للاطفال والبهائم قياسا على ما اثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان حكم سائر
المؤمنين كذلك فقال التَّائِبُونَ قال الزجاج انه مبتدأ محذوف الخبر اي التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا
كقوله وَكُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنَىٰ وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتدأ خبره العابدون وما بعده
اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال اما تفسير هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون
هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا عن النفاق وما الاخرون الى التعميم ليشمل المعاصي ايضا اذ لا دليل على التخصيص والعابدون
قال ابن عباس الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لا
شك انها عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم والحامدون

هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم ومن ثم كان الحمد ذكر من كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا لقوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والسائحون قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة امتي الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل اصل السياحة الاستمرار او على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي من الاكل والشرب والوقاع وقال اهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب المعاني والحكم وتجلت له انوار المعارف والحقائق فيحصل له سياحة في عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قال عكرمة عن وهب بن منبه لا ريب ان للسياحة اثرا عظيما في تكميل النفس لانه يلقى انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء والاموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب في معرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار الراكعون الساجدون يعني المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود وقيل اولى مراتب التواضع القيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا آخر وهو انه لم ادخل الواو في قوله والناهون والحافظون دون سائر الاوصاف واجيب بان النسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب او المراد ان الموصوفين بالصفات الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر او النهي عن المنكر اصعب اقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران الغضب فدخل عليه الواو تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الآية وما في الكهف في قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواو واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا اكثر ذكرها في القرآن والاخبار فالثامنة تجري مجرى استيناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله والحافظون لحدود الله فكاجمال بعد تفصيل وذلك ان التكاليف اما ان يتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذور ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات وانها اما لجلب المنافع او لدفع المضار والمنافع اما ان يكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس وهي المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب احكام الوقاع فمنها ما يفيد حله كباب النكاح والرضاع وما يتبعهما من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن احكام الملموسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل سماعه وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب في بعض الاوقات ومنعه في بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد المنافع المقصودة بالتبعية هي الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الاموات والالتقاط واخذ الفيء والغنائم والزكوات وكالبيع بيع العين بالعين وهو السلم او بالعكس كما اذا اشترى شيئا في الذمة او بيع الدين بالدين وهو بيع الكالي بالكالي المنهي عنه الا عند تقاص الدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التي تمنع المالك التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والتفليس واما دفع المضار والمضرة اما في النفس وهو كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما في النسب وهو باب احكام الزنى والقذف واللعان واما في العقل كباب تحريم الخمر واما في المال الذي هو ضربه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب آخر وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب هم الامراء والقضاة وليس قول الغير معتبرا الا بحجة وهي

بيع الغريب بالعين



الشهادة والايمان فيحصل من ذلك كتاب ادب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا تمام ما امكن من ضبط معاقد تكاليف
الله تعالى واحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التى لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله و
الحافظون لحدود الله يشمل ذلك اجمع بل رعاية هذه اهم من رعاية احوال الظواهر ثم ختم الاية بتكرير البشارة وفيه من كمال
العناية ما فيه ولما بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين والكفرة الاحياء اراد ان يبين وجوب
البراءة من امواتهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبى ومعناه النهى اى ما صح له وما استقام وما ينبغى له ذلك ثم علل
المنع بقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار
مجرى اخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط لمرتبة النبى حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بان يكونوا من
الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو كانوا اولى قربى روى الواحدى باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال
لما حضر ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلعم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابى امية فقال اى عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابى امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شئ
كلمهم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبى صلعم لاستغفرن لك ما لم انه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما
يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوى قراباتنا قد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت
ما كان للنبى الاية وقيل عن ابن عباس لما افتتح صلعم مكة سئل اى ابويه احدث به عهدا اى اخرهما موتا فقيل امك امنة فزار صلعم
قبرها ثم قام باكيا فقال انى استاذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستاذنته فى الاستغفار لها فلم ياذن لى فيه ونزل
على ما كان للنبى الاية فقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا اصح لان هذه السورة من اخر القران نزولا
وكانت وفاة ابى طالب بمكة فى اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه صلعم لعله بقى مستغفرا الى حين نزول الاية ثم اعتذر
عن استغفار ابرهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك ان اباه كان وعد ابرهيم ان يؤمن فكان يستغفر له
بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابرهيم انه عدو لله اما باصراره على الكفر او بموته على ذلك او بطريق الوحى تبرأ منه وترك
الاستغفار ويجوز ان يكون الواعد ابرهيم عم ويوافقه قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة وذلك فى قوله
لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد من استغفار ابرهيم لابيه دعاءه له الى الاسلام الموجب
للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى ان يرزقه الايمان وقيل المقصود النهى عن صلوة الجنازة فكان قوله ولا تصل على
احد منهم فى حق المنافقين خاصة وهذه فى حق الكافرين عامة ثم ختم الاية بقوله ان ابرهيم لاواه حليم قال اهل
اللغة اواه فعال ماخوذ من حروف اوه كلمة يقولها المتوجع وذلك ان الروح القلبى يختنق عند الحزن فى داخل القلب
ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض ما به عن النبى صلعم انه قال الاواه الخاشع المتضرع
والحلم ضد السفه وصفه لعظم بشدة الرافة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابرهيم مع هذه العادة تبرا من ابيه
حين انقطع رجاؤه منه فانتم بهذا المعنى اولى ثم ان المسلمين خافوا ان يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين
فانزل الله وما كان الله ليضل قوما اى عن طريق الجنة ويحكم عليهم بالضلال او يخذلهم او يوقع الضلالة فى قلوبهم حتى
يكون منهم الامر الذى يستحق به العقاب بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل
ان الله لا يسمى قوما ضلالا بعد اذ سماهم مهتدين ما لم يقدموا على شئ مبين حظره واما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما
لم يؤاخذ بشرب الخمر والربوا قبل تحريمهما وفى الاية تشديد عظيم حيث جعل المهدى للاسلام اذا اقدم على بعض المحظورات داخلا
فى حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت والمراد ان من كان عالما قادرا
هكذا لم يحتج الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على انه يقبح من الله الابتداء بالعقاب
واجيب بان له ذلك بحكم المالكية غاية ما فى الباب انه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفى قوله ان الله له ملك السموات
والارض فائدة اخرى هى انه لما امر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته لمن اراد استظهار المسلمين كيلا
يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كانه قال وجب عليكم ان تنقطعوا الى حكمى وتكلوا الى لانى الهكم وانتم عبيدى
ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبى الاية ولنبين تفسير الاية بتبيين على اسؤلة مع جواباتها فالسؤال الاول
ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبى معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان
اللائق بحالهم ان يثنى عليهم والجواب انه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من
باب الكباير واما من باب الصغاير واما من باب ترك الاولى والافضل كما اشير الى ذلك فى حق النبى صلعم بقوله عفا الله عنك

الى اذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب لا اقل من الوساوس و
الهواجس فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر بل في مدة عمرهم و
صارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شان المهاجرين والانصار لا لانه
صدر عنه ذنب السؤال الثاني ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد يستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر
الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير
واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الى ان اقتسم
التمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من
حرارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة
التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى في غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى
كاد تزيغ وكيف اعرابه الجواب فيه استعمالان كاد زيد يخرج وكاد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد خارجا اي قارب الخروج ومعنى الثاني وكاد يخرج
كان الشان يكون كذا يعني قارب الشان هذا الخبر وشبهه سيبويه بقولهم خلق الله مثله اي ليس الشان ذاك ولكن ضده
والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا انفسهم وصبروا
وثبتوا وندموا وقيل ما كان لاحد منهم نية بالعزيمة ومع ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة في اول الاية
فلم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب بعد عود الضمير في عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبي ص والمهاجرين والانصار جميعا
فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هي ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك انه بدا بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر التوبة ليدل على ان العفو عفو متاكد كما يقول السلطان عند كمال الرضا عفوت عنك ثم عفوت عنك
والى هذا الاشارة بقوله ص ان الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس في تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد
عنهم رضى ثم اكد هذه المعاني بقوله انه بهم رءوف رحيم فيشبه ان يراد بالرأفة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة
او الاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس الثلاثة الذين خلفوا من هم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر سموا مخلفين
كما سموا مرجئين اي مؤخرين عن ابي لبابة واصحابه حيث يتب عليهم بعد اولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومنهم من قرأ
من قرأ بالتخفيف اي خلفوا الغازين وقيل المخلف من خلوف الفم اي فسدوا وقرأ جعفر الصادق ع خالفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض مع سعتها وهو مثل للحيرة في الامر وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور وظنوا اي علموا
وتيقنوا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره كقوله ص اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك
انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم قرآنا وان سلم انهم قطعوا بذلك الا انهم جوزوا ان يكون المدة قصيرة وجواب
اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره عن كعب بن مالك قال لما قفل رسول الله
سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه
والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد
من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع
وهو جبل بالمدينة ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وتتابعت البشارة
فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله ص فاذا هو جالس في المجلس حوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله وهرول الي حتى صافحني
وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله ص وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك امك ثم تلا علينا الاية سئل ابو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فائدة قوله تاب عليهم ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا
الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم او تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل
اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بان الله تواب ولو عاد في اليوم مائة مرة او تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط
بالمؤمنين او تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها لان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة على من تاب عليهم
المقصود بيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وايضا قالوا في الاية دلالة على ان قبول التوبة
غير واجب عقلا لان توبة هؤلاء قد حصلت في اول الامر ثم انه ص لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن ان يجاب بان
شرائط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من اول الامر فلهذا تاخر القبول دليله قوله تعالى حتى اذا

فان

ضاقت الآية ثمّ حثّ سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام في زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايّها الّذين آمنوا الآية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعنى ان يكونوا على طريقهم وسيرتهم لانّ ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشيء مشروط بوجود ذلك الشيء فلا بدّ من وجود الصادقين ثمّ انّه ثبت بالتواتر من دين محمّد (ص) انّ التكاليف المذكورة في القرآن متوجّهة على المكلّفين الى يوم القيامة فلا يكون هذا الامر مختصّا بالكون مع الرسول واصحابه في الغزوات بل اعمّ من ذلك ثمّ انّ الصادق لا يجوز ان يكون منحصرا في الامام المعصوم الّذي يمتنع خلوّ زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لانّ كون كلّ واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحلّ والعقد في كلّ حين والمراد انّهم اذا اجمعوا على شيء كانوا صادقين فيه محقّين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال اكثر المفسّرين الصادقون هم الّذين صدقوا في دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة فيه قولا وعملا وقيل اي كونوا مع الثلاثة المذكورين في الصلاح والثبات وعن ابن عبّاس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي وافقوا المهاجرين والانصار في الصدق وقيل الخطاب للّذين شهدوا انفسهم على السوء وفي الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روي انّ اعرابيا جاء الى رسول الله (ص) وقال انّي اريد ان اومن بك الّا انّي احبّ الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انّك تحرّم هذه الاشياء كلّها ولا طاقة لي بتركها فان قنعت منّي بترك واحد آمنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثمّ اسلم فلمّا خرج من عند رسول الله (ص) عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت فان سألني رسول الله (ص) عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحدّ عليّ فتركها ثمّ عرض عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله (ص) وقال ما احسن ما فعلت لمّا منعتني عن الكذب انسدّ ابواب المعاصي عليّ وتاب عن الكلّ ومن فضائل الصدق انّ الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب انّ الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب انّ ابليس مع تمرّده وكفره استنكف منه حتّى استثنى في قوله لاغوينّهم اجمعين الّا عبادك منهم المخلصين ثمّ المقتضي لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند المعتزلة والله اعلم

التأويل

التأويل انّ الله اشترى في التقدير الازليّ ولهذا بشّرهم الآن بابتلاء النفس والمال في الجهاد الاصغر وفي الجهاد الاكبر وانّه كما اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بانّ لهم الجنّة اشترى من اوليائه الصدّيقين قلوبهم وارواحهم بانّ لهم التائبون عمّا سوى الله العابدون المتوجّهون اليه على قدم العبوديّة الحامدون له على ما وفّقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون اليه بقطع محالّ عقبة المنكر والتبرّي والتولّي الراكعون اي الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجوده الساجدون الساقطون على عتبة الوحدة بلاهم الآمرون بالمعروف الحقيقيّ الناهون عمّا سواه والحافظون لحدود الله لئلّا يتجاوزوا عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبيّ فيه انّ الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وانّ الهداية من مواهب الربوبيّة لا من مراتب العبوديّة انّ ابراهيم لاوّاه الاوّاه هو المتبرّي من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشريّة يتوكّاه بمولاه فيهما ووده له وانّ الحقّ ضاق عليه نطاق الخلق فيتأوّه عند تنفّس القلب المضطرّ من الخلق الى الحقّ حليم عمّا اصابه من الخلق الحقّ فلا رجوع له من الحقّ الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال لجبرئيل حين سأله ألك حاجة امّا اليك فلا وما كان الله ليضلّ قوما ليردّهم بالمكر الى الانسيّة والبعد بعد اذ هداهم الى الوحدانيّة والفردانيّة بالتوحيد والتفريد حتّى يبيّن لهم ما يتّقون من آفات البشريّة وعاهاتها الدنيا فهي رأس كلّ خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور او نقول انّ الله نعم بعد اذ هداهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردّهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سمّاه المشايخ الاثبات الثاني حتّى يبيّن لهم ما يتّقون من الاعمال والاقوال رعاية لتلك الاحوال انّ الله له ملك السموات القلوب وارض النفوس يحيي بنور ربوبيّته من يشاء ويميت عن صفات بشريّته من يشاء وما لكم من دون الله من وليّ فلا يشغلنكم طلب الملك عن المالك فانّ طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك ولا المالك وطلب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبيّ التوبة فضل من الله ورحمة فقدّم ذكر النبيّ (ص) على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبيّ تحقيقا لقوله وما ارسلناك الّا رحمة للعالمين الّذين اتّبعوه في ساعة عسرة الدنيا وترك شهواتها او نقول لقد تاب الله اي فاض انوار عرفانه على نبيّ الروح ومهاجري صفاته الّذين هاجروا معه من مكّة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الّذين اتّبعوه في ساعة رجوعه الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الّذين اتّبعوه في ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانّهم من عالم السفل وعلى الثلاثة الّذين خلّفوا من النفس والهوى والطبع وما اتّبعوا الروح عند رجوعه الى عالم ابتدائه حتّى اذا ضاقت عليهم

ارض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم انفسهم بحنا الى تلك السعادات وتحققوا بنور اليقين ان لو يعوقوا في السفل لاملجا لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق ابدا مع الصادقين الذين صدقوا ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا يوم الميثاق والله اعلم

بنود راهم مدینه و آنکه پیرامون ایشان اند از اعراب که خلاف کنند از رسول خدا و نباید که رغبت کنند

بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ

بنفسهای ایشان از نفس او این بسبب آنست که ایشان نرسد بایشان تشنگی و نه رنجی و نه گرسنگی در راه خدا و بجای نرسند داریم که بخشم آورد

الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة

کافران را و نیابند از هیچ دشمنی مرادی مگر که نوشته شود ایشان را کار نیکو بدرستیکه خدا ضایع نمیکند مزد نیکو کاران را و نفقه نکنند نفقه کردن

صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون

نه کوچک و نه بزرگ و نبرند وادی مگر که نوشته شود برای ایشان تا پاداش دهد ایشان را خدا به نیکوترین آنچه بودند که میکردند و نبود مر گروندگان را

لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم

تا بیرون روند همه پس چرا بیرون نرفتند از هر گروهی از ایشان گروهی تا فقیه شوند در دین و تا بیم کنند قوم خویش را چون باز گردند بسوی ایشان تا شاید ایشان

يحذرون يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان

بپرهیزند ای آنانکه گرویده اید کارزار کنید با آنانکه نزدیک شما اند از کافران و باید که یابند در شما درشتی و بدانید که

الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم

خدا با پرهیزکاران است و چون فرستاده شود سوره پس بعضی از ایشان کسی است که گوید کدام یک شما را بیفزود این سوره ایمان را اما آنانکه گرویدند پس افزود ایشان را

ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا

ایمان و ایشان خرم میباشند و اما آنانکه در دلهای ایشان شک و نفاق است پس افزود ایشان را پلیدی با پلیدی ایشان و بمیرند ایشان و حال کافر باشند آیا نمی بینند

يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم

که ایشان مبتلا میشوند در هر سالی یک دفعه یا دو دفعه پس توبه نمیکنند و ایشان پند نمیگیرند و چون فرستاده شود سوره مینگرند بعضی از ایشان

الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من

بسوی بعضی آیا می بیند شما را از هیچ یکی پس برگردند برگرداند خدا دلهای ایشان را بآنکه گروهی هستند درنمی یابند بتحقیق که آمد شما را رسولی از

انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا

نفسهای شما دشوار است بر او آنچه برنج افتید حریص است بایمان شما بمؤمنان مهربان رحم کننده است پس اگر برگردند پس بگو بس است مرا خدا نیست خدایی مگر

هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم القراءة موطيا ونحوه بالياء يزيد والشموني وفي الوقف غلظة بفتح

او بر او توکل کردم و او است پروردگار عرش بزرگ

العين المفضل الباقون بكسرها ولا يرون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين لا للعطف يعملون كافة ط يحذرون ه غلظة ط المتقين ايمانا ج يستبشرون ه كافرون ه يذكرون ه الى بعض ط لحق الحذف اي يقولون هل يراكم ثم انصرفوا لا يفقهون عزيز على تاويل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى يشتد عليه ما اثمتم ولا وقف في الاية الى قوله رحيم حسبي الله والاصح الوصل على جعل الجملة حالا اي يكفي الله عزه شاركي في الالوهية الا هو العظيم التفسير لما امر بموافقة النبي واصحابه في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة اي لا يستقيم ولا يجوز لهم والاعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار وكان المراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى ولا يرغبوا ولان يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اي بخلت بها عليه ولا اتركها له والمراد انه لا يصح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله بسبب صلاح انفسهم وبقائها بل عليهم ان يصحبوه على الباساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه اعز نفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الانفس ان لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا النهي مع التهييج توبيخ عظيم ولا يخفى ان الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع وان اصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل والنقل فبقي ما وراء هاتين الصورتين داخلا تحت عموم الاية ثم ذكر ترغيبا يجري مجرى علة المنع من التخلف فقال ذلك بانهم اي الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب انهم مثابون على انواع المتاعب واصناف الشدائد بل على جميع

الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب الظماء شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي
تظهر ضمور البطن والموطئ مصدر كالمورد ومكانه على التقديرين والضمير في يغيظ عائد الى الوطء الصريح او المقدر ثم الوطء
يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع
والاهلاك قال ابن الاعرابي غاظه وغيظه واغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم
ويلحق بهم ضررا من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار تصرفا يغيظهم ويزداد شيئا الا
كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة
عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد شوم المعصية وبهذه الآية استشهد
اصحاب ابي حنيفة ان المدد الوارد بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم وقال
الشافعي لا يشاركون الغانمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تغلط خطر قال
قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان المسلمون في
قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء
وكذلك غيره من الائمة والولاة اذا عينوا طائفة لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي الى
تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما ارفع عليها مثل
ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شايع في استعمال العرب يقولون
لا تصل في وادي غيرك وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال واكام يكون منفذا للسيل
الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع او ذلك العمل الصالح المعهود في الآية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت
في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة العمل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب و
المندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عد اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظماء والنصب والمخمصة وباقيها
من اعمالهم وهي الوطء والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقي قسمين فضم شطرا منه الى ما ليس من اعمالهم تنبيها على
انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله
لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي لغرض اخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان
هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك او اكتفاء بما تقدم او لان الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم
بمراده ثم قال وما كان المؤمنون وفيه قولان احدهما انه من بقية احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين
كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الآية قال ابن عباس
والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين احدهما الملازمة خدمة الرسول والاخرى
للنفر الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا فلولا نفر اي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين فذهب
الاكثر الى ان الضمير في ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل
وضبطوا ما حدث من الشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة ليتفقه
المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند ذلك وبهذا الطريق يتم امر
الدين بهاتين الطائفتين والا ضاع احد الشقين والاحتمال الاخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتفقههم
هو انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار
فيتنبهون لدقايق صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر
والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد امر يتعلق
بالسفر وكذلك التفقه اما في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما
كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا ريب انه متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان امكنه
في الحضر فلا شك ان للسفر بركة اخرى يعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين
ويتجشموا المتاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلايلها التفصيلية
والظاهر ان المراد في الآية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول الفقه ومقدمات
كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي او الشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى ان الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار

والارشاد

والارشاد لا ما يتبع اليه علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمفاخر اعاذنا الله تعالى بفضله من فتح البشر
وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بان خبر الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى
ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلثة يكون اثنين او واحدا ثم انه اوجب العمل باخبارهم بقوله ولينذروا و
اجيب بان ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه اداء الشهادة وان لم يلزم القبول وورد بان قوله
لعلهم يحذرون ايجاب العمل باخبارهم ثم ارشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
اى يقربون منكم مبتدئا من الاقرب منتقلا الى الابعد والقتال واجب مع كافة الكفرة باية القتال لكن هذه الاية تخص
لان الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا يكون هذه منسوخة باية القتال على ما
نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر وللاقرب ترجيح ظاهر كما في
الدعوة وكما في سائر المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتداء بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين وايضا
المؤنة في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة
المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذرارى للفتنة وقد حارب رسول الله صلعم قومه ثم غزاهم عرب الحجاز
ثم غزا الشام ويروى ان اعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال له كل مما يليك فثبت
بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم يضطر الى العدول لضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة اى شدة
نظير قوله واغلظ عليهم ومن قرا بفتح الغين فهو المصدر ايضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجراءة والصبر على القتال و
لشدة العداوة والعنف في القتل والاسر كل ذلك فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف اما فيما
يتصل بالبيع والشرى والمجالسة فلا ولكن بتقوى الله سبحانه على ذكره منه في موارده ومصادره ولهذا ختم الاية بقوله
واعلموا ان الله مع المتقين فان قتل قتل لله وان ترك على الجبر ترك لله وان كسر عدوه وال الامر الى اخذ الغنيمة ذاعيا
فيخذوا نا لله ثم حكى بقية فضائح اعمال المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اى يقول بعض المنافقين
فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اى يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة
الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به او يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والقول ايكم مرفوع
بالابتداء وخبره زادته هذه ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد
مر معناه في اول سورة الانفال والثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الاخرة واما بالعز والنصر في الدنيا
والمراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين
لهم عقائد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس على الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام
كفر الى كفر او لان حصول حسد وغل ونفاق عقيب امثالها ازدياد ملكة ذميمة عقيب اخرى وثانيهما بقاؤهم على
تلك العقايد والاعمال الى ان ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الى ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة
اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم
الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدليل
ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله و
الاخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبتها في الاخرة ونفرتها عن الدنيا واما النفس الحريصة المنهمكة على لذات
الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الاخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب
الجهاد ازدادت نفرتها عنها وانكاره عليها وكل يقدر ثم عجب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او
مرتين قال ابن عباس اى يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن وانه عند ذلك
يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدى ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا
وقعوا في السنة الناس بالطعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل
كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبرئيل فيوبخهم بذلك فيعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا اخر من مخازيهم فقال
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اى سورة مشتملة على ذكرهم واعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والاذن
بالوحي قائلين هل يريكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان
نظر التغامز دال على ما في الباطن من الانكار الشديد وارادوا ان كان من ورائكم احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من

الجزء الحادی عشر

هذا الابتداء وسماع الباطل ثم انصرفوا اى من مكان الوحى الى مكانهم او عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى صرف
الله قلوبهم قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله قلوبهم وقال الزجاج اضلهم الله قالت الاشاعرة
هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح
او اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التى يختص بها من آمن بها او المراد صرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنا
قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق انه قال لا تقولوا انصرفنا
من الصلوة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصوده التفال باللفظ الوارد فى الخبر دون
الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف
شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب فى تحملها فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم اى من جنس البشر لا الملك لان
الجنس الى الجنس اميل وعبارة الفخ انس والخطاب للعرب والمقصود ترغيبهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من
الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من ابناء جلدتهم او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل
الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهامهم فكانه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين فى خدمة اسلافه فلم
تتكاسلون فى خدمته مع انه الانسب لرفع الشرف الى بابه او المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من
عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال
من هذه حاله وصفته يكون من اعظم نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة
الى النبى والوصى واهل البيت ع ثم وصفه بما يستتبع المجانسة والمناسبة من النتايج وذلك قوله عزيز عليه ما عنتم العزة
الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية اى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقائكم
المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحرص يمتنع ان يتعلق بذواتهم
فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الآفات وايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار و
قال الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمؤمنين اى منكم ومن
غيركم رؤف رحيم قال ابن عباس لم يجمع لنبى اسمين من اسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من
العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرف ان الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتاديب
منهما احسان واجمال وان كان صعبا مؤلما فاقبلوا امره ونهيه من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله
فان لم يقبلوها بل اعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع امورك الى الله الذى بالحق ارسلك فهو كافيك و
هو رب العرش العظيم فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه محيط بالعرش وبما يحويه العرش والله اعلم التاويل ما كان
لاهل مدينة القالب وهو النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول
الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء من ماء الشهوات ولا نصب
من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله ولا يطؤن موطئا من مقامات الفناء يغيظ الكفار
النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحرمانا وغير ذلك من اسباب الفناء الا
كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله ولا ينفقون نفقة صغيرة هى بذل الصفات ولا كبيرة هى بذل الذات
فى صفات الله وفى ذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والآخرة والنفس والهوى والقلب والروح احسن ما كانوا يعملون
لان علمهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم وما كان المؤمنون لينفروا فى السير
الى الله وبالله وفى الله فهلا نفر من كل قوم وقبيلة فرقة طائفة هم خواصهم واهل الاستعداد الكاملون ليتعلموا السلوك
ويخبروا بذلك قومهم لعلهم يحذرون من غير الله قاتلوا الذين يلونكم من كفار النفس والهوى وصفاتها وليجدوا فيكم غلظة عزيمة
صادقة فى ترك شهواتها وما تواهم كافرون اى لموت قلبهم لتراكم ظلمة النفاق كل حين ثم اخبر عن موت القلب بقوله
اولا يرون انهم مفتنون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى قلب حى هل يريكم
من احد فى مقام الانكار والنفاق اى هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقرآن فان ه ن رسول الله ما نبوء رسالته ثم انصرفوا على
هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة ولئن لهم فقه القلب لان ذلك من امارات حياة القلب من انفسكم تسكين للعوام لئلا ينفروا وعندى
اشارة للخواص الى ان البشر لهم استعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعونى يحببكم الله ومن
قرأ من انفسكم اى اشرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله تع اول ما خلق الله تعالى روحى ولا اختصاصا بالخلاص عن تعلق الكونين

وبلوغ

التوبة

وبلوغه الى قاب قوسين او ادنى وتجليه بجليته فاوحى الى عبده ما اوحى ولعلو همته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤيته سر
لقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤف رحيم فمن رافته امره بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فادخلوا
فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهى ان رافته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت
بالمؤمنين فقط وكانت رحمته تعم ورافته للناس عامة ان الله بالناس لرؤف رحيم ونكتة اخرى
هى ان رحمته عامة للعالمين لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واما رحمته
المضمومة الى الرافة فخاصة بالمؤمنين وكان الرافة اشارة الى ظهور اثر
الدعوة فى حقهم فالمؤمنون اثر الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم
اثر الدعوة فقط حسبى الله لان المقصود من التبليغ قد
حصل لك وهو وصولك الى الله اعرضوا عن
دعوتك وابوا والله المستعان
تم الربع الثانى من التفسير المسمى غرائب القرآن
ورغائب الفرقان والحمد لله
على نواله والصلوة
على نبيه المصطفى
محمد و
آله



سورة يونس مكية الا ثلث آيات قوله تعالى فان كنت في شك الى آخرهن حرفها ستة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون كلمها الف وثمانمائة واثنتان وثلثون آياتها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خداوند بخشاینده مهربان

ع الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم
این آیتهای کتاب با حکمت است آیا باشد مردمانرا عجبی که وحی فرستادیم بر مردی از ایشان که بترسان مردمانرا و مژده ده آنانرا که گرویدند که مر ایشانراست
قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
سابقه خوبی نزد پروردگارشان گفتند کافران بدرستیکه این هر آینه سحریست بزرگ بدرستیکه پروردگار شما خدائیست که آفرید آسمانها و زمین را در شش
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه
روز پس مستولی شد بر عرش تدبیر میکند کار را نیست هیچ شفیعی مگر پس از دستوری او آنست خدا پروردگار شما پس بپرستید او را آیا پس پند نمیگیرید بسوی او
مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا
بازگشت شما همه وعده داده شد از خدا حق بدرستیکه او نخست آفرید خلق را پس باز میگرداند او را تا جزا دهد آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته بعدالت و آنانکه کافر شدند
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا
مر ایشانراست شربی از آب جوشان و عذاب دردناک بسبب آنچه ایشان بودند که کافر شدند او آنست که گردانید آفتاب را روشنائی و ماه را روشنی و مقدر داشت مر آنرا منزلها تا بدانید
عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما
شمار سالها و حساب را نیافرید خدا آنرا مگر بحق تفصیل میدهد آیتها را برای جمعی که بدانند بدرستیکه در اختلاف شب و روز و آنچه
خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا
آفرید خدا در آسمانها و زمین هر آینه آیتهاست برای جمعی که بپرهیزند بدرستیکه آنانکه امید ندارند ملاقات ما را و راضی شدند بزندگانی دنیا و آرمیدند
بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
بان و آنانکه ایشان از آیتهای ما بیخبرانند آنها جایگاه ایشان آتش است بسبب آنچه بودند که کسب میکردند بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
راه نماید ایشانرا پروردگارشان بایمان ایشان میرود از زیر ایشان نهرها در بهشتهای با نعمت خواندن ایشان در آن سبحانک اللهم است و درود ایشان در آن
سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
سلام است و آخر خواندن ایشان اینکه حمد مر خدا راست پروردگار عالمین

القراءة الر بالامالة وكذلك ما بعده ابو عمرو وخلف وحمزه وعلي والخزاز عن هبيرة والبخاري عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلي وخلف الاخرون لسحر حقا انه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل يفصل بالياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والعجلي الباقون بالنون واطمأنوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الوقوف الر و في الحكيم ط عند ربهم ط مبين ه يدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ه جميعا ط حقا ط الامن قرأ انه بالفتح بالقسط ط يكفرون ه والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ نفصل بالنون ومن قرأ بالياء امكن ان يجعل نفصل حالا الآيات يتقون ه غافلون





لان اولئك خبران بايمانهم ط للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم سلام ط لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على دعويهم الاول العالمين التفسير اتفقوا على ان قوله الر ليس باية وعلى ان طه اية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الآى التى بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله ارى وقيل لا رب غيرى وقيل الر وحم ون اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات وفى التبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتمالها عليها او وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل او يحكم بان محمدا صادق لان القران اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اى حكم فيه بجميع المامورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القران او اللوح المحفوظ او التورية والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة فى الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القران واعلم انه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدى وذلك ان حروف القران من جنس الحروف التى يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله حكى انكار كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال اكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمه ان اوحينا وفائدة اللام فى قوله للناس مع تقديمه هى انهم جعلوه لهم اعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحى والنبوة فقد روى انهم كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الثانى فلان الفقر واليتم لا يوجب فى النبوة قدحا لان الله غنى عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر فى الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك قبل بعثه اليد الطولى وكان يدعى محمد الامين وان فى قوله ان انذر الناس هى المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت فى ضمير شان مقدر معناه انه اى ان الشان قولنا انذر الناس وقوله وبشر الذين امنوا انهم اى بان لهم والانذار اخبار مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل ان يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر فى العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال الرسل امر ما اخلى الله تعالى المكلفين عنه شيئا من الازمنة وبه يتم المالكية والامر والنهى والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغى والتبشير ترغيب فى فعل ما ينبغى والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة وفضل ومنزلة رفيعة اى سبق لهم عند الله خير قال احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانبارى كناية عن العمل الذى لا يقع فيه تاخير ولا ابطاء والسبب فى اطلاق القدم على السابقة ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة وللتنبيه على انها من السوابق العظيمة اى القدم التى يصدق فيه ويحق ان يسمى قدما واما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هى الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم اما قوله قال الكافرون فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قرا الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن قرا السحر فهو اشارة الى القران وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اى انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهى الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها باثبات المعاد وذلك فى اثنين متوالتين وقد مر فى الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وانما فقد العاطف لانها كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الله الخ والامر الشان اراد به احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضى ويقدره بمقتضى الحكم ويفعل ما يفعله المصيب فى افعاله الناظر فى ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل فى الوجود ما لا ينبغى قال الزجاج ان الذين خوطبوا بهذه الاية الكفار كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه فى شئ الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسئلوه ما لا يعلمون انه صواب وصلاح ففى قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله فى التصرف فى جانب المبدأ وفى قوله ما من شفيع اشارة الى استقلاله فى طرف المعاد ويمكن ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن الوجوه واقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع فى تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن الى عباده مريد للخير والراحة بهم كامل العناية باحوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثانى من الشفع الذى يخالف الوتر اى خلق السموات والارض وحده ولا حى معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل فى الوجود احد الا من بعد ان قال له كن حتى كان وحصل ثم اشار الى الحى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذى ليس اهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام

باثبات المبدء وبين غايتها

من خلق السموات والارض فيها وعليها فاعبدوه وحده أفلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اى رجوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تاكيد ان كما مر ثم قال انه يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو استيناف فيه معنى التعليل كانه قال ان الذى قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعنى انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا ثم على انشاء اجزائكم لم لا يحيوتكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرا انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل اى لانه او على انه منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله اى وعد الله وعد بدء الخلق ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الاية اضمار والتقدير انه يبدء الخلق ليامرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزى وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا يكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله بالقسط اى بالعدل متعلق بيجزى اى يجزيهم بقسطه ويوفيهم اجرهم او يجزيهم بقسطهم بما لم يظلموا انفسهم حين آمنوا وعملوا صالحا وهذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرض وقوعهم في طريق القهر والحميم الماء الذى اسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في الاية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز طى ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثانى طريقة من يقول لا يجب على الله شئ اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم عقولا وقدرا فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا في الماموزات وبالعكس في المنهيات ثم ذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هى دار الاخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزى الاية فان قيل لم لا يكفى في الترغيب والردع ما اودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد لئن سلم فلم لا يجوز ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لانه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله لانهم يخصصون اكثر عمومات القران ثم نزعموا انه لا كذب سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والالام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد على الاعمال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض واخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل وقد ترى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالافات والبليات وافسقهم واجهلهم في اتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسئ والمظلوم والظالم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن آمن به واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما قيل كم عالم عالم اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلا بد من دار اخرى يظهر فيها التفاوت ومنها انه كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبده بشئ فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات فلولم يكن لهم زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن ولا يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فان قيل لم لا يكفى في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد فانه يقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له في الدنيا ولا في الاخرة ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم وازالة الالم امر عدمى وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا فان لذات الدنيا مشوبة بالالام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا اخرى فان قيل اليس انه يعذب اهل النار لا لمصلحة وفائدة لهم قلنا الفرق ان ذلك الالم استحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقبه خيرات عظيمة والا فينافى كونه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لولم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوزنج في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تالمه وتاذيه في اغلب الاحوال لانه يتفكر في الاحوال الماضية فيتاسف ويتامل في الاحوال الاتية فيخاف فلولم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سبب شقاوته وخسة رتبته ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالافات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرافة والحكمة فهناك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل

وازالة الالم

الغموم والهموم والافات والمخافات ومما يقوى هذا الكلام ان الانسان دائما فى الترقى من حين كونه جنينا فى بطن امه الا ان يخلص من ذلك
السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق فى المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشى والعدو الى
ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق او عالما مشرفا على حقايق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف
وابهى من اللذات العاجلة المشوبة بالالام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا امنا بالمعاد وتاهبنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد
نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غايته ذلك فوات بعض اللذات الزايلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان
احوال الانسان من صباه الى هرمه يضاهى حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض فى الربيع الثانى يعود الى تلك الحيوة
فلم لا يعقل مثل ذلك فى الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكاينة من الاجزاء العنصرية المتفرقة
فى مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان يجتمع مرة اخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر
فى تغيرات العالم ادى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده مهملا يكذبون عليه بحيث
فلا بد من ان يكون له امر ونهى ووعد ووعيد من غير يجوز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا فى دار الجزاء واما الفريق الاخر
الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون المعاد امر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان فى المرة
الاولى جائزا فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان اله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تميز اجزاء بدن
زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء وعلى ان القرآن
كلام الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء
فوجب علينا القطع بالمعاد الجسمانى اما شبهة المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الاخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها
عبث وان كانت خيرا منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود او لا ثم تركه وفعل الارذل فذلك سفه وان قيل انه ما كان
قادرا ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير
فى وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات [illegible]سانية الممكنة للنوع الانسانى من قبيل العلم والعمل والاخرى للرحمة والجزاء ومن ذلك انهم
قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستديرة لا ضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا فى كتبنا الحكمية من ان كل جسم
مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلمنا انها ازلية نجز كانها غير ازلية لان الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الهيئة
تقتضى المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم ان الحركة ازلية فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضيا
لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذى الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط
وقوعها على تاليف مخصوص لان اجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت
اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال واجيب بان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد انما هو النفس
سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا او جسما مخصوصا لطيفا باقيا فى جميع احوال البدن من الصبى الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذى
يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان اخر لزم ان يعاد تلك الاجزاء فى بدن
كل واحد من الشخصين وذلك محال واجيب بعين ما مر وهو ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزء من انسان اخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول
من امر المعاد والله تعالى اعلم بحقايق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هو الذى جعل الشمس ضياء وهو اجوف واوى بهمزة
اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ثم قرء بهمزتين بينهما الف فهو على القلب لانه قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف
فانقلبت همزة كما فى كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض او مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير
مضاف اى جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان يحمل على المبالغة فجعل نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء
اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد
من الشمس وبذلك يقع اختلاف احواله من الهلالية الى البدرية كما بينا فى تفسير قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة وقدره منازل قال
فى الكشاف اى قدر مسيره منازل وقدره ذا منازل والمنزل القمر المسافة التى يقطعها فى يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية
وعشرون واساميها مشهورة الشرطين البطين الثريا آه وهى كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فنزل القمر
كل ليلة نازلا بقرب احدها وذلك انهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج منزلان
وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التى وقعت فيه والتسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعها العائدة على المكلفين فقال لتعلموا عدد السنين
والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احديهما على
الاخرى فى تفسير قوله تعالى ان عدة الشهور الاية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى ساير منافعها وخواصهما بقوله ما خلق الله ذلك

المهيئة د بالحالة المنتقل عنها والاولية تنافى المسبوقية

الا متلبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس ينفصل السنة الى
الاربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلايق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة النور و
نقصانه يختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التأمل والتدبر ولهذا قال يفصل الايات لقوم يعلمون
لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار
وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الاية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والارض كقوله وما خلق
من شيء وقد مر في اواخر الاعراف وانما خص كونها ايات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من
تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر
ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدأ والمعاد ثم شرع في شرح احوال من
لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله تعالى وهم
من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف فقالوا انه بمعنى الطمع اي لا يطمعون في حسن لقائه كما يأمله السعداء او لا يتوقعونه
اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا مع ذلك بالحيوة
الدنيا الحسية الخسيسة واطمأنوا بها سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم
عن اياتنا غافلون فلا يعتبرون بالايات ولا ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدأ والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين
الاجتهاد اولئك مأويهم النار فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة في حصول العذاب
الجسماني وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المألوفات والقطيعة من السعادة الباقيات فيكون مثاله مثال من
اخرج من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مونس بل يكون فيها انواع الموذيات واصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك
الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له واما حال الذي يؤمن به فذلك قوله ان الذين امنوا استكملوا من جهة القوة النظرية
وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية او صدقوا بقولهم ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب
من عند الله واشتغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار واذانهم باستماع
كلام الله والسنتهم بذكر الله وساير اعضائهم بطاعة الله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم قال اكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم
على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اي بسبب ايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له انا عملك
فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الاية
ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدي الى حصول المثوبات
ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوايد الزوايد
الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم ويجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو
وجعل قوله تجري خبرا مستأنفا منقطعا عما قبله والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش
ولكن حالهما بالضد من النقوش الجسمانية يكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد اللوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها
على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهي للعلوم والحقايق كفهم المبتدي فالانسان اذا امن بالله فقد اشرق روحه
بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الاخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال تتزايد اشراقات هذه المعارف
والملكات فيرتقي في معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي
قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنه يعد الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق
ومعنى تجري من تحتهم الانهار انهم يكونون في البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجري من بين ايديهم دعويهم
فيها قال بعض المفسرين اي دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو القانت بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله واعتزلكم وما تدعون
من دون الله وانما يكون هذا عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة فانهم جابذكر الله وقيل الادعاء بين التخاصم
والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا والاخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال اصله من الدعاء لان الخصم يدعو
خصمه الى من يحكم بينهما وقيل اي طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة و
ان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل ان تمنيهم كقولهم لهم ما يدعون اي ما يتمنونه ويقول العرب ادع علي ما شئت
اي تمن وكان تمنيهم في الجنة ليس الا التسبيح والتقديس لقد كانوا في الدنيا يدعون في الحروب من يسكنون اليه ويستنصرونه فهو

فان تراحم النقوش الجسمانية

سورة يونس

يا الغلان فاخبر الله تع عنهم ان انسهم في الجنة بذكر الله سكونهم بتحميده وتحيتهم فيها سلام اي بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله والملائكة
اياهم اضافة للمصدر الى المفعول او الفاعل وآخر دعويهم ان الحمد لله هي ان المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان قال اهل النظر من
المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله وقوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك اتوهم ثم الحمد لله
رب العالمين قال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اي ننزهك
عن الخلف في الوعد وقيل الهم الله بني آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان
لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تع قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال
اللهم فاذا عجز عن ذلك المضمار واحترق في اوايل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع المحتاجين ويدفع المخاوف
والمكاره عنهم بكل ما امكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا اثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام
بقولهم الحمد لله رب العالمين على هدايته وداموا في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون
تموتون وكما تموتون تبعثون التاويل وفيه اشارتان احدهما من الحق للخلق الى حبيبه محمد كانه قال بالائي عليك في الازل وانت في
العدم وبلطفي عليك في الوجود وبرحمتي ورافتي لك من الازل الى الابد والثانية من الحق لنبيه عليه السلام يقول يا انسان معي حين خلقتك وحدك
ولم يكن ثالث بلبيك الذي اجبتني به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت يا سين اي يا سيد فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك
وبرجوعك منك الي حين قلت لنفسك بجذبة ارجعي الى ربك تلك اي هذه الايات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذي وعدتك في
الازل وانشاتك لامتك الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب فهو ناسخ الشرايع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما راى فيه من رجولية
قبول الوحي دون غيره ويحتمل ان يكون معنى للناس عهد الله قدم صدق محمد لانه اول من خرج من العدم الى الوجود وهو العناية الازلية
سبقت رحمتي غضبي لساحر مبين صدقوا في انهم مسحورون الا انه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ان ربكم الله الذي خلق
السموات سموات ارواحكم وارض نفوسكم من ستة انواع هي الروح والقلب والعقل والنفس الحيوانية والنفس النباتي والصورة المعدنية ثم
استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا مقبولين بجذبات العناية التي
صورتها خطاب ارجعي الى ربك وحقيقتها انجذاب القلب الى الله ونتيجتها عزوف النفس عن الدنيا واستواء الذهب والمدر عندها ورجوع
المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال وهي من نتايج تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط اي لكل بحسب كماله
ونقصانه جعل شمس الروح ضياء ينير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة ارض النفس انكسف ولهذا اسمي قلبا لتقلب
احواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان في
اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق
وتبدل الاحوال لايات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها
كالرهابين والبراهمة ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في
ع
بعض الفلاسفة والله اعلم — و اگر تعجيل كند خدا از براى مردمان شر را تعجيل ايشان بخير هر آينه رانده شدى بسوى ايشان اجل ايشان پس ميگذاريم آنانرا كه اميد ندارند لقاى ما
طغيانهم يعمهون وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر
در زياده روى ايشان كه حيران ميگردند — و چون مس كند انسانرا ضررى بخواند ما را خوابيده بر پهلو يا نشسته يا ايستاده پس چون دفع كرديم از او ضرر ويرا ميگذرد گويا كه نخوانده ما را بسوى
مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما
ضررى كه رسيده بود او را همچنين آراسته شد از براى مسرفان آنچه بودند كه ميكردند — و بتحقيق هلاك كرديم اهل زمانها را از پيش شما چون ستم كردند — و آمد ايشانرا رسولان ايشان با معجزات و نه
كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم
بودند كه ايمان آورند همچنين جزا ميدهيم گروه گناهكاران را — پس گردانيديم شما را جانشينان در زمين از بعد ايشان تا ببينيم چگونه ميكنيد — و چون خوانده شود بر ايشان
آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان
آيتهاى ما روشنها — ميگويند آنانكه اميد ندارند ملاقات ما را بيار قرآنى غير اين يا بدل كن آنرا — بگو نسزد مرا كه بدل كنم آنرا از پيش خودم پيروى نميكنم مگر
اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به فقد
آنچه وحى كرده ميشود بمن بدرستيكه من ميترسم اگر نافرمانى كنم پروردگار خود را از عذاب روز بزرگ — بگو اگر خواستى خدا نخواندمى آنرا بر شما و نه اعلام كردى شما را بآن پس
لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
درنگ كردم در ميان شما عمرى پيش از آن آيا پس نمى‌يابيد بعقل — پس كيست ستمكارتر از آنكه بربست بر خدا دروغ را يا تكذيب كرد آيتهاى او را بدرستيكه رستگار نميشوند گناهكاران — و ميپرستند
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
از غير خدا — آنچه ضرر نميرساند ايشانرا و نفع نميدهد ايشانرا و ميگويند اينها شفيعان مايند نزد خدا — بگو آيا خبر ميدهيد خدا را بآنچه نميداند در آسمانها

وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ

و نه در زمین منزه است او و برتر است از آنچه شریک میدانند و نبودند مردمان مگر امت واحد پس اختلاف کردند و اگر نبودی کلمه که پیشی یافته از پروردگار تو هر آینه

بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ

میان ایشان در آنچه در آن اختلاف میکردند و میگویند چرا فرو فرستاده نشد بر او آیتی از پروردگارش پس بگو جز این نیست که غیب مر خدا راست پس منتظر باشید بدرستیکه من با شما از منتظرانم

القراءة لقضى اليهم مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم او بدله بضم اللام وسكون

القاف روى خلف عن الكسائي والاخبار عنه وعن غيره الاشمام لي ان يفتح الياء وكذلك لي اخاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو نفسي

ان بفتح الياء وابو عمرو وابو جعفر ونافع لا ادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى ابو ربيعة عن البزي وحمزة وعلي وابو عمرو وخلف

وورش من طريق النجاري والخراز عن هبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق ابي حمدون بالامالة فعلا ماضيا

منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء الوقوف اجلهم

لان ما بعده مستقبل الى فنحن نذر يعمهون او قائما مستطر يعملون ظلموا لا ط لان الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين يعملون بينات

لان ما بعده جواب اذا او بدله ط نفسي ج ط لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الي ط ج كمثل ما قلنا عظيم ط به ط والوصل

اولى للفاء او لشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون باياته ط المجرمون عند الله ط في الارض ط يشركون فاختلفوا ط يختلفون من ربه ج

للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء او التعليل المنتظرين التفسير انه سبحانه ابتدأ في هذه السورة بذكر الشبهات

القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالدلائل الدالة على صحة المبدأ والمعاد

فكانه قيل ما جاء الا بدليل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان

محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الآية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدأ والمعاد

ذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتاخر عن هذه الحيوة الدنيا والا نافى التكليف قال القفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة اكد ذلك بان

من غاية غفلتهم ان الرسول متى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج

من اصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الآية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب

فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لاميتوا واهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله للناس

الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا باسرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل

معناه طلب العجلة الا ان الاستعجال اشهر واظهر فمعنى الآية لو اراد الله عجل الشر للناس كما ارادوا عجلة الخير لهم وقيل هما مثلان فكل معجل

يلزمه الاستعجال الا انه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب في الآية

شرا لانه اذى والم في حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا المعنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كانه قيل

ولكن لا يعجل فنذرهم الزاما للحجة او لمصالح اخرى ثم بين انهم كاذبون في استعجال الشر ولو اصابهم ما طلبوه اظهروا العجز والطيش فقال واذا

مس الانسان الضر اي هذا الجنس دعانا لجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال لان الظرف

والحال متآخيان فيصح عطف احدهما على الآخر وتاويل احدهما بالاخرى دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه

والمراد انه يدعو الله في جميع حواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على

القعود او قائما غير قادر على القيام او قائما لا يطيق المشي والمضطر اليه ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها او يراد ان من المضرورين

من هو اسوء حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال

بعض المفسرين الانسان هاهنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شبه تحكم

لورود مثل قوله تعالى هل اتى على الانسان الا ان يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على

اللأواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين نظرهم في جميع الاحوال على المقدر الموجل للامور بحسب ارادته

ومشيته فلا جرم اذا اصابهم السراء شكروا واذا اصابهم الضراء صبروا فامنوا ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الآية تقديم

وتاخير والتقدير واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه

اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان اعجب فمعنى مر مضى على طريقته التي كان عليها قبل مس الضر ومر عن موقف الدعاء و

التضرع لا يرجع اليه معنى كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخففت وحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون

من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى او النفس او الشيطان تفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمى الكافر مسرفا لانه

انفق ما له من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة في الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التي هي احقر من لا شيء

ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري
مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال ولقد اهلكنا القرون وقد مضى تفسير القرن في اول الانعام ولما ظرف لاهلكنا والواو
في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالدلائل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون
عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي فان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر والسبب في هلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله
باصرارهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله ص ثم خاطب
الذين بعث اليهم رسول الله ص بقوله ثم جعلناكم خلائف اي استخلفناكم في الارض بعد تلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا او شرا استعير
النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك ويعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما في الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا
لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا اي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا
من الرسول احد امرين اما الاتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض الايات ووضع
اخرى مكانها فامره الله تعالى ان يقول في جوابهم ما يكون لي اي ما ينبغي وما يحل ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي فنفى عن نفسه احد القسمين
الذي هو اسهل واقل ليلزم منه نفي الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ان اتبع اي ما اتبع الا ما يوحى الي ان نسخت اية تبعت
النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعهما ايضا الى الوحي ونقل
عن ابن عباس ان قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وضعف
بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية
فقد روى مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة وهم المستهزءون في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان
حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب او ارادوا ان هذا القرآن مشتمل على ذم آلهتهم فطلبوا قرآنا آخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القرآن من
عند الله سبحانه وانه غير مستند في ايراده فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرأ بلام الابتداء
فمعناه ما تلوته انا عليكم ولاخبركم الله به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فرآني اهلا به دون غيري وقرئ ولا ادراتكم به بالهمزة
ووجهه ان يكون الهمزة مقلوبة من الالف ويكون من الدرء الدفع ومعنى درأته جعلته داريا اي لا جعلكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال
وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا اي بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون من قبله افلا تعقلون فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل
هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والاخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء
لا شك فيه انه من قبيل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا للقرآن وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
الاية وفيه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول ص الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم
من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه
اشعار بانها جماد والمعبود لا بد ان يكون اكمل من العابد اذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا يليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قد ذكرنا وجه ذلك في اوائل سورة البقرة في قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ثم انكر عليهم معتقدهم بقوله قل اتنبئون الله
بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور
يقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله في السموات ولا في الارض تأكيد آخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو
منتف معدوم قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما ان يكون من تمام ما امر النبي ص ان يقول لهم او ابتداء كلام من الله تعالى تنزيها
لنفسه عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركون هم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب او البشر كلهم كانوا على
على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة في قوله كان الناس امة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك و
عبادة الاصنام من دون الله في اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ولولا كلمة سبقت من ربك من انباء امر الثواب
والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر ومن تأخير الحكم بينهم الى يوم القيمة او من قوله سبقت رحمتي غضبي لقضي بينهم عاجلا وليتميز المحق
من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من اغاليطهم فقال ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر تفسيره في الانعام في قوله لولا نزل عليه اية
من ربه كأنهم لم يعتدوا بالقرآن اية فاقترحوا غيره تعنتا فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظروا نزول ما اقترحتموه هذا امر فيه تهديد
ووعيد لله ورسوله علم واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها

ع

ای من قبل نزول هذا القرآن

رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

بادی سخت وبیامد ایشان را موج از هر جا ودانستند که ایشان احاطه کرده شد بایشان خواندند خدا را خالص کردانندگان برای او دین را که اگر نجات دهی ما را از این هر اینه باشیم از شکرگزاران

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ

چون نجات داد ایشان را انگاه ایشان ستم میکنند در زمین بغیر حق ای مردمان جز این نیست ستم شما بر خودهای شما درمایه تعیش دنیا پس بسوی ماست بازگشت شما پس آگاه کردانیم شما را

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ

بانچه بودید که میکردید جز این نیست مثل زندگانی دنیا همچو آبی که فرو فرستادیم آن را از آسمان پس آمیخت بآن رستنی زمین از انچه میخورند مردمان وچهارپایان

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا

تا چون گرفت زمین پیرایش را وزینت یافت وگمان بردند اهلش که ایشان قدرت دارندگانند بر آنها آمد آن را امر ما شبی یا روزی پس کردانیدیم او را کرویده

كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ

کویا که نبوده در زمان پیش همچنین تفصیل میدهیم ایتها را از برای قومی که اندیشه میکنند وخدا میخواند بسوی سرای سلامت وراه مینماید کسی را که بخواهد بسوی راه راست

مُسْتَقِيمٍ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَ

راست ازبرای انها که نیکی کردند نیکی وزیادتی ونپوشد رویهاشان را کردی ونه خواری آنها اهل بهشتند در آن جاودانانند و

الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ

آنها که کسب کردند بدیها را جزای بدی بمثل آنست ودر پوشد ایشان را خواری نیست ایشان را از خدا هیچ نگهدارنده کویا پوشانیده شد رویهاشان پاره از شب

مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا

تیره آن گروه اهل آتشند ایشان در آن جاودانانند وروزیکه محشور سازیم ایشان را همه پس میگوییم برای انها که شرک آوردند بجای خود باشید شما وانبازان شما پس جدائی

بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ هُنَالِكَ

میان ایشان وگفت انبازان ایشان انچه بودید که ما را میپرستیدید پس کافیست خدا گواه میان ما وشما که بودیم از پرستیدن شما هر اینه بیخبران آنجا

تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ القراءة يمكرون بياء الغيبة سهل

بیازماید هر نفسی انچه پیش فرستاده وباز کردانیده شوند بسوی خدا که مولای ایشانست بحق وگم شد از ایشان انچه بهتان میکردند وروح الباقون بالتاء الفوقانية

ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلي وسهل ويعقوب الآخرون بفتحها تتلوا بتائين من التلاوة حمزة وعلي وخلف وروح وروي عن عاصم نبلو بالنون ثم الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بتاء التانيث كل بالرفع الوقوف اياتنا ط مكرا ط تمكرون ه البحر ط في الفلك ج ط للعدول مع ان جواب اذا منتظر احيط بهم ط لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو متلبس به وان جعل دعوا جوابا عن سؤال سائل فما صنعوا كان للوقف وجه الدين ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء في معنى القول الشاكرين بغير الحق ط على انفسكم ط الا لمن جعله متعلقا بينبئكم تعملون ه والانعام ط عليها ج لان ما بعده جواب اذا بالامس ط يتفكرون ه السلام ق مستقيم ه وزيادة ط ولا ذلة ط الجنة ج ط خالدون ه بمثلها لا لان قوله وترهقهم معطوف على محذوف اي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم ج ط لان الكاف لا تتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كانما مظلما ط اصحاب النار ج ط خالدون ه شركاؤهم ج ط للعدل مع فاء التعقيب تعبدون ه لغافلين ه يفترون ه نصف الجزء التفسير لما بين في الاية المتقدمة انهم يطلبون الايات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا روي انه سبحانه سلط القحط على اهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار النافعة ثم انهم اضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من القاء شبهة او تخليط في المناظرة وفي تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على ان كثيرا من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وعلى ان الانسان لغاية ضعفه الفطري لا يطيق في الراحة كانه لا يطيق ادنى الالم الذي يمسه قال في الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم وهذا ايضا من جملة الضعف انه نسي ما عهد من الضر الشديد اذا الثانية للمفاجاة وقع مقام الفاء في جواب الشرط كما مر في قوله اذا هم يقنطون وفائدته ان يعلم انهم فاجاوا وقوع المكر منهم في وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يلبثوا قدر ما ينفضوا من رؤسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه قل الله اسرع مكرا يقدر على ايصال الجزاء مكرهم اليهم قبل ان يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم ليتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بيانه قوله ان رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد مر تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم ان مضمون هذه الاية قريب من مضمون قوله واذا مس الانسان الضر الا ان هذه زائدة عليها بدقيقة هي انهم بعد الاعراض عن الدعاء يطلبون الغوائل يقابلون الرحمة بالمكر

والحذ بغير ولا يرضون راسا براس ثم ضرب لاجل ما وصفهم به مثالا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ ومن قرأه
ينشركم فكقوله فانتشروا فى الارض قال بعض العلماء المسير فى البحر هو الله سبحانه وتع واما فى البر فالمراد من التيسير التمكين والاقدار والحق
ان جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تع غاية ذلك ان اثار اقداره واحداثه فى البحر اظهر كما مر فى تفسير قوله والفلك التى
تجرى فى البحر قال القفال هو الله الهادى لكم الى السير فى البحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لاجل انه هيأ لكم اسباب ذلك السير حتى لانتهاء الغاية
والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة فى الشرط ثلثة اولها الكون فى الفلك وثانيها جرى الفلك بهم بالريح الطيبة
والضمير فى جرين للفلك على انها جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة فى الجزاء ثلثة ايضا اولها جاءتها اى الفلك والريح الطيبة تلقتها
ريح عاصف ذات عصوف كلابن لذات اللبن ولان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها وجاءتهم الموج من كل مكان
اى من جميع جوانب احيان الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها وظنوا انهم احيط بهم اى غلب على ظنونهم الهلاك واصله ان العدو
اذا احاط بقوم او بلد فقد سدوا من البوار فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا فى الهلاك وقرئ فى الفلكى الاية قال فى الكشاف وانما التفت فى
قوله وجرين بهم الى اخره من الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليتعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح قال الامام فخر
الدين الرازى الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة فى هذه الاية دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك فى قوله اياك نعبد دليل الرضا
والتقريب قلت هذا وجه حسن اما قوله دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من الهتهم شيئا واقروا لله بالربوبية
والوحدانية وقال الحسن ليس هذا اخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطرارى
وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر والالم لم يدعوا الا الله وعن ابى عبيدة ان المراد من ذلك الدعاء
قولهم اهيا شراهيا تفسيره يا حى يا قيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق ع ما الدليل على اثبات الصانع فقال اخبرنى عن حرفتك فقال
التجارة فى البحر قال صف لى كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال
جعفر الصادق ع هل وجدت فى قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذى تضرعت اليه فى ذلك الوقت لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ الشدة
كما مر فى الانعام يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ البغى قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترقى الى الفساد واصله الطلب فلهذا
اكد المعنى بقوله بغير الحق قال فى الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا عن استيلاء المسلمين على ارض الكفرة بهدم دورهم واحراق زروعهم كما
فعل رسول الله ع ببنى قريظة قلت ويحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قرأ متاع بالنصب فما
قبله جملة تامة اى انما بغيكم وبال على انفسكم وهو مصدر مؤكد كانه قيل يتمتعون متاع الحيوة الدنيا ومن قرأ بالرفع فاما على ان التقدير
هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام او على انه خبر وقوله على انفسكم صلة اى انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم بغى بعضكم على
بعض منقطعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها والبغى من منكرات المعاصى قال ص اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة
وروى اثنان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال تع انما بغيكم
على انفسكم اى لا يتهيأ لكم بغى بعضكم على بعض الا اياما قلائل وهى مدة حيوتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الى الله وعدنا من المجازاة
مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وهو فى هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل فى معرض التهديد ساخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا
لمن يبغى فى الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا اى صفتها العجيبة الشان كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ
به اى اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض فيحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الى حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان نباته الى
حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان فى اول بروزه ومبدأ حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل المطر عليه اهتز ورق فى
حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا قال الجوهرى الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وَٱزَّيَّنَتْ
اصله تزينت فادغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام فى نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التى تاخذ الثياب الفاخرة
من كل لون فتلبسها ثم تتزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوهما وَظَنَّ أَهْلُهَا اى غلب على ظنونهم او تيقنوا أَنَّهُمْ
قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ متمكنون من تحصيل ريعها أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا باهلاكها واستيصالها وضربها ببعض العاهات لَيْلًا أَوْ نَهَارًا اى حين غفلتهم
بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم فى طلب معايشهم فَجَعَلْنَٰهَا اى زرعها حَصِيدًا شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستيصاله كَأَن لَّمْ تَغْنَ
اى كان الشان لم يلبث زرعها بِٱلْأَمْسِ اى فى زمان قريب يقال غنى بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا اقام به والامس مثل فى الوقت القريب هذا
والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال فى الكشاف شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد
نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان عاقبة هذه الحيوة التى
ينفقها المرء فى باب الدنيا كعاقبة هذا النبات التى حين عظم الرجاء به وقع الياس منه لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا اطمأن بها
عظمت رغبته فيها وانتظم امره ببعض الانتظام اتاه الموت وتلخيصه انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل

عاقبة

الحكاية

عاقبته محمد ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض لمزينة اذا زال حسنها فانه يعود رونقها مرة اخرى فكذا النشور كذلك نفصل
الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين موجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الآفاق و
الانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله والله يدعوا الى دار السلام ومثله ما روي عن النبي
انه قال سيد بنى دارا ووضع مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه
السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد ص وعنه ص ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان ينا ديان بحيث يسمع
كل الخلائق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام هو الجنة واختلفوا في سبب التسمية
فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف كما اطلق اسم السلام عليه تع لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص
والحدوث من الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات وكفى بدار اضافها الله الى نفسه فضلا وشرفا و
بهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات في المخافاة وقيل لفشوا السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال فيهدى من يشاء الى صراط
مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشية الله تع وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدى من يشاء
اجابة تلك الدعوة ويعنون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة الى قسمين
وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولابد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس احسنوا اي ذكروا كلمة لا اله
الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد
المثوبة الحسنى وقال ابن الانبارى العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها واما الزيادة
فحملها اهل السنة على رؤية الله لان اللام في الحسنى للمعهود بين المسلمين من المنافع التي اعدها الله تع لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها
فما هي الا الرؤية وقال المعتزلة الزيادة يجب ان يكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تع بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد
بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين
وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اما اذا كان غير مقدر كما لو قال اعطيتك الحنطة
وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس المزيد عليه والمذكورة في الآية لفظة الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شيء مغاير لكل
ما في الجنة وعن علي ع الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم هذا شان
المنافع الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فافاد ذلك بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا
اثر هوان وكسوف بال ثم اشار الى كون تلك المنافع الخالصة امنة من الانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول
علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله والذين اي جزاء والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان تجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة الفضل لانه دل بترك الزيادة
على السيئة على عدله فناسب ان يكون قد دل هناك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم ذلة فان حين ما تواناقصين خالين
عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سبب اذلالهم وهوانهم على نفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان
العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رة كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السرج ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من عذابه وسخطه
او ما لهم من جهة الله من عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى
في الآخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا
من الليل من قرأ بسكون الطاء فمعناه البعض والطائفة ومظلما صفة ومن قرأ بفتحها على انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل
فيه ما معنى الفعل في من الليل او اغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قاله
في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر
بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة
ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات
المذكورة مخصصة ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بتبلوا اي في يوم كذا
تبلو كل نفس وحاصل الكلام انه نحشر العابد والمعبود ليسئلوا فتبرأ المعبود من العابد بخلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا

فيها

عند الله

سورة يونس

عند الله وفيه اشارة الى ان الممكن لا انتساب له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف مكانكم اى
الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وعند ابي علي هو اسم من اسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب وانتم لتاكيد
الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل
عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل اي زيولنا مثل بيطر وعلى الاول سيد قيل هي من زلت الشيء
ازيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظيره زيلنا قوله ونادى اصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن وقال شركاؤهم
في صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم متشاركون في الخطاب في قوله
مكانكم ومنها انهم اثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين كيف
ينطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم او يفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه قيل يخلق فيهم
الكلام تهديدا في حق العابدين فهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده
وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل ما قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا
وارادتنا فكفى بالله شهيدا الاية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف لدهشته و
تحيره فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم وقيل
المراد بهم الشياطين حيث امروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في القيمة فلا اشكال وهنالك اي في ذلك المقام او في ذلك الموقف وفي ذلك
الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر
او نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرأ تتلوا بتائين فمعناه تتبع ما اسلفت لان
عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله مولاهم الحق الصادق ربوبيته
وضل عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او ما كانوا يختلقون من شفاعة الالهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعرفون الحق
حين لا ينفعهم ذلك التاويل واذا اذقنا الناس ذوق توبة وانابة وذوق كشف وشهود من بعد ضراء وهي الفسوق والاخلاق الذميمة و
الاوصاف اذا لهم مكر في اياتنا باظهارها الى غير اهلها بشرب النفس في طلب الجاه والقبول قل الله اسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات
الى دركات البعد من حيث لا يشعرون وهو الذي يسيركم في البر البشرية والبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك
جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال جاءهم موج البلاء بالمحن
من اماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فيه اشارة الى ان ارباب الطلب وصلوا بجذبات الحق الى
شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال ستقبلهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغي وهو الطلب في ارض ما سوى الحق كماء
انزلناه من سماء القلب الى ارض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس والانعام من الصفات الحميدة
الانسانية والذميمة البهيمية اتيها حكمنا الازلي ليلا وعند استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا عند بقاء ضوء الفيض الروحاني لكنه
بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقايد الباطلة كما لبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعوا الى دار السلام وهي مقام
الفناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب في مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الاثنينية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات
العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى هي شواهد الحق
والنظر اليه والزيادة الجنة وما فيها من النعيم وهي ما زاد على النظر من افناء قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع
الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق

بگو كيست كه روزى ميدهد شما را از آسمان و زمين يا كيست كه مالك شنوائى

والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله

و ديدها كه بيرون مى آورد زنده را از مرده و بيرون مى آورد مرده را از زنده كه تدبير ميكند كارها را پس زود باشد كه گويند خدا است پس بگو آيا پس نمى پرهيزيد پس اين خدا

ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون

پروردگار شما است كه حق است پس چيست بعد از حق مگر گمراهى پس كجا بر گردانيده ميشويد همچنين لازم شد كلمه پروردگار تو بر آنانكه فسق ورزيدند بدرستيكه ايشان نمى گروند

قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من

بگو آيا از شريكان شما كسيست كه ميافريند خلق را پس باز ميگرداند او را بگو خدا ابتدا ميافريند خلق را پس باز ميگرداند او پس كجا بر گردانيده ميشويد بگو آيا از انبازان شما است

يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع

كه هدايت ميكند بسوى حق بگو خدا راه مينمايد مر حق را آيا پس كسيكه راه مينمايد بسوى حق سزاوارتر است بپيروى كردن يا كسيكه هدايت نمى يابد مگر آنكه هدايت كرده شود پس چيست شما را چگونه حكم ميكنيد و پيروى نمى كند

فقط ومذا الخطاء

وضاع عنهم

نصف حزب ع٤

أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله

بیشترشان مگر گمانی را بدرستیکه گمان کفایت نمیکند از حق چیزی را بدرستیکه خدا داناست بآنچه میکنند ونباشد این قرآن که بدروغ بسته شود از غیر خدا

ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة

ولیکن تصدیق آنچه پیش اوست وتفصیل دادن کتاب است نیست شکی در آن از پروردگار جهانیان یا میگویند بربست بدروغ آنرا بگو پس بیاورید سوره

مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك

مانندش وبخوانید هرکه را توانید از غیر خدا اگر هستید راستگویان بلکه تکذیب کردند آنچه احاطه نکردند بدانستنش وهنوز نیامده ایشان را تأویلش همچنین

كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم

تکذیب کردند آنانکه پیش از ایشان بودند پس بنگر چگونه بود انجام ستمکاران واز ایشان کسیست که میگرود بان واز ایشان کسیست که نمیگرود بان وپروردگار تو داناتر

بالمفسدين فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون القراءة كلمات ربك

بتباهکاران پس اگر تکذیب کنند ترا پس بگو مراست کردارم وشما راست کردار شما بیزارانید از آنچه میکنم ومن بیزارم از آنچه شما میکنید وكذلك في آخر السورة

على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال ابو جعفر ونافع غير ورش وعباس ابو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وحبلة ورويس يهدي بكسرتين والتشديد يحيى يهدي بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس الوقوف يدبر الامر ط الله تتقون ج ربكم الحق ج لان الاستفهام مع الفاء الا الضلال ج تصرفون لا يؤمنون ثم يعيده ط الاول ط تؤفكون الى الحق ط للحق ط ان يهدى ج ط لما مر فما لكم ص ط تحكمون ظنا ط شيئا ط يفعلون العالمين افتريه ط صادقين تأويله ط الظالمين لا يؤمن به ط بالمفسدين عملكم ج لان انتم مبتداء والعامل واحد تعملون التفسير لما بين فضايح عبدة الاوثان اكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق والحواس والموت والحيوة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسئول ليكون ابلغ في الزام الحجة واوقع في النفوس فالحجة الاولى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية الحيوانية في الارض بعد رعاية شرائط تربيتها وانمائها وحفظها من العاهات أمن يملك السمع والابصار خص الحاستين بالذكر لما في خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان علي يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولما في تحصينهما من الآفات في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء مزيد قدرة ورافة ومن يخرج الحي من الميت الحيوان الماشي والطائر من النطفة والبيضة وقد مر سائر الاقوال في سورة الانعام ومن يدبر الامر عمم بعد ما خصص لان اقسام تدبيره تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب والشهادة امور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انها شفعاؤهم وانها يقربونهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله فقل أفلا تتقون الله الذي اعترفتم بانه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف اشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع او ضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق ما زائدة وما نافية او استفهامية او مجموع ماذا كلمة واحدة معناها اي شيء بعد الحق الا الضلال والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته فبطل دعوى الالهية لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى ما انقسم اليه فلا يكون واجبا هف محال ولهذا ختم بقوله فأنى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر وفيه ان من يقعون في الضلال اذ لا واسطة بين الامرين فمن يخطئ احدهما وقع في الآخر كذلك كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمت ربك وتفسير الكلمة انهم لا يؤمنون على انه بدل اي حق عليهم انتفاء الايمان وقد علم الله منهم ذلك في الازل او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله فأنى تصرفون ان الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بانهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمت ربك وتعلق خبره بانهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيهم بل بخلق الكفر فيهم وكتب ذلك في اللوح المحفوظ واشهد عليه ملائكته وانزله على انبيائه واشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا الحجة الثانية قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده وانما قال ثم يعيده مع ان الخصم لا يعترف به لانه قدم في هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها اذا تأمل وانصف فبنى الامر على ذلك ولانه امر بين لا ينبو عنه الا مكابر ولهذا امر نبيه ان يجيب عنهم في قوله قل الله الآية تنبيها على ان هذا المعنى بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكانه قبل كلم عنهم ان لم يدعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق دونه فأنى تؤفكون كقوله فأنى تصرفون وقد مر في المائدة الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق اولا ثم بالهداية ثانيا عادة مطردة في القرآن فحكى عن الخليل الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى

وام محمد انه سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه ان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح وادراكها العلوم والمعارف فيه بارشاد الحق سبحانه اذا الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال الملك والنبي وجني فضلا عن الاصنام التي هي في ادنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وفي سائر القراآت اصلها يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الهاء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها الا ان يهدى واجيب بوجوه منها ان المراد بها في الاية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل النقلية وبما يمكنهم منه من الدلائل العقلية واما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا هديهم الله ومنها انهم لما اتخذوها الهة وصفهم الله تع بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك بالفرض والتقدير يعني انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا ان يهدى ومنها ان البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحيوة والعقل فيصح من الله تع ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المراة الى زوجها اي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال فما لكم كيف تحكمون ثم بين ما بنوا عليه مذهبهم فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من اسلافهم او في قولهم للاصنام انها الهة او شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه لا يغني من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من الغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم اوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد الاباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون وتمسك نفاة القياس بالاية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن واجيب بان التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الاية من العمومات فلم يجب تبناعها بزعمكم وما افضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلايل التوحيد شرع في اثبات النبوة فقال وما كان هذا القران ان يفترى اي افتراء من دون الله وكلمة ان بمعنى اللام اي ما ينبغي له وما استقام ان يكون مفترى والحاصل ان وصفه ليس وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تع ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة لانه معجزة دونها فهي عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق ايضا معجز لان اقاصيصه موافقة لما في كتب الاولين مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت في تلك الكتب على وفق دعواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القران معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب اي يبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع كقوله كتاب الله عليكم قال في الكشاف قوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كاينا من رب العالمين وجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لا شك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار ام يقولون افتريه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتراه قال بعض العلماء هذه الاية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدي واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يمكن الاتيان بمثل القران صح الوجود في الجملة لم يتحد العرب لكنهم تحدوا به فدل على ان القران محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب بان القران يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القران ولما ياتهم تاويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدي عليهم واستيقان عجزهم عنه بغيا وحسدا وعنادا وانما حملهم على ذلك التكذيب اولا واخرا وجوه منها انهم وجدوا في القران اقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عليهم ان الغرض منها بيان قدرة الله تع على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلفون ان الدنيا لبث بما يتبع فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوايل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقران فاجاب الله تع عنه بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله واخر متشابهات الاية ومنها انهم راوا القران يظهر شيئا فشيئا فاتهموا النبي وقالوا لولا انزل عليه القران

جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القرآن مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا قد الفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك انهم وجدوا فيه تكاليف كثيرة
من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غني عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل
النظر في معجزات انبياءهم قال اهل التحقيق في الاية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر
النصوص قد يتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التاويل وقيل معنى بالغيوب من الاية ان القرآن كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب من جملتها احوال الآخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب
به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما ياتهم تاويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يمتحنوا اخباره بالغيوب هل يطابق الواقع ام لا ثم ختم
الاية بقوله فانظروا كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الآخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الآخرة
فبقوا في خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوايف الامم فقال ومنهم من يؤمن
به اي بالقرآن او بالرسول اي يصدقه في نفسه ويعلم انه حق لكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد
به قسمتهم في الاستيصال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فيكون الاية كالعذر في تبقيتهم وعدم استيصالهم وربك
اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب مراتبهم في التكذيب يعلم طوياتهم هل يتوبون او يصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بافعاله
وبنتايج اعماله من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لي عملي اي جزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عملكم
قال مقاتل والكلبي هي منسوخة باية القتال والتحقيق ان اية القتال لا يدفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ والله اعلم التاويل
قل من يرزقكم اي من ينزل من سماء النفس مطر الهوى ويخرج من ارض النفس نبات الافعال والاعمال ومن ينزل من سماء القلب مطر
انوار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية او ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من ارض
القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدرة مطر تجلي الصفات والفيض الرباني ويخرج من ارض الروح المحبة والاخلاق
الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله امن يملك السمع و
الابصار فيكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويخرج الحي من الميت النفس من القالب ومن القلب من الروح ومن القلب بالعكس
ومن يدبر امر الانسان بالتربية من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه
المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة افلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى
القلم في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب تفصيل الجملة التي هي مكتوبة عنده في
ام الكتاب هو علمه القايم بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين افسدوا استعدادهم الفطري والله اعلم ومنهم من يستمعون اليك
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم
آیا پس تو میشنوانی کران را اگر چه باشند که نیابند بعقل ... و از ایشان کسیست که نگاه میکند بسوی تو آیا پس تو راه مینمائی کوران را اگر چه باشند که نمی بینند بدرستیکه خدا ظلم نمیکند
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر
مردمان را چیزی و لیکن مردمان بخودهاشان ظلم میکنند و روزیکه حشر کند ایشان را گویا که درنگ نکرده اند مگر ساعتی از روز میشناسند میان یکدیگر بدرستیکه زیان کردند
الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد
آنکه تکذیب کردند ملاقات جزای خدا را و نبودند هدایت یافتگان و یا بنمائیم تو را بعض آنچه وعده میدهیم ایشان را یا بمیرانیم تو را پس بسوی ماست بازگشت ایشان پس خدا گواه است
على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد
بر آنچه میکنند و از برای هر امتی رسولیست پس چون آمد رسول ایشان حکم کرده شود میان ایشان بعدالت و ایشان ستم کرده نشوند و میگویند کی میباشد این وعده
ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة
اگر هستید راستگویان بگو مالک نیستم از برای خود ضرری را و نه نفعی را مگر آنچه خواست خدا از برای هر امتی اجلیست چون آمد اجل ایشان پس باز پس نمانند ساعتی
ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان
و نه پیشی توانند گرفت بگو خبر دهید اگر بیاید شما را عذاب او بشب یا هنگام روز چه چیز از آن شتاب خواهند گناهکاران آیا پس چون بوقوع پیوست ایمان آوردید بآن الحال
وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك احق هو قل اي
و بدرستیکه بودید بآن شتاب میکنید پس گفته شود مر آنانرا که ستم کردند بچشید عذاب جاوید را آیا جزا داده میشوید مگر بآنچه بودید کسب میکردید و خبر میپرسند از تو آیا حق است آن بگو آری
وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي
بحق پروردگارم که آن حق است و نیستید شما عاجز کنندگان و اگر بودی از برای هر نفسی که ستم کرده آنچه در زمین است هر اینه فدا دادی آنرا و پوشیده داشتند پشیمانی را چون دیدند عذاب را و حکم کرده شد
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي و

الاستفتاح ... التاويل

ع

ع

سورة يونس

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ
و بسوی او بازبرگردید ای مردمان بتحقیق آمد شما را پندی از پروردگار شما و شفائی مر آنچه در سینه‌هاست و هدایت و رحمتی مر ایمان آورندگان را بگو
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ
بکرم خدا و برحمتش پس بآن پس باید شاد شوند آن بهتر است از آنچه جمع میکنند بگو خبر دهید که آنچه فرو فرستاد خدا برای شما از روزی پس گردانیدید بعضی از آن حرام و حلال بگو آیا خدا
أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
رخصت داد شما را یا بر خدا دروغ می‌بندید و چیست گمان آنانکه می‌بندند بر خدا دروغ را روز قیامت بدرستیکه خدا هر آینه صاحب بخششست بر مردمان ولکن بیشتر ایشان
لَا يَشْكُرُونَ القراءة أفأنت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلي وخلف
شکر نمیکنند يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نرينك او نتوفينك بالنون الخفيفة رويس الان بوزن علان بحذف الهمزة التي
بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وزمعة وحمزة في الوقف بين بين بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع فليفرحوا
بياء الغيبة تجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ رويس كليهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما الوقوف
اليك ط لا يعقلون اليك ط لا يبصرون يظلمون بينهم ط مستقدمين يفعلون رسول ج ط لا يظلمون صادقين ما شاء الله ط اجل ط
ولا يستقدمون المجرمون امنتم به ط تستعجلون الخلد ج ط للاستفهام مع ان القائل واحد تكسبون احق هو ط بمعجزين لافتدت به ط
العذاب ج ط للعطف على اسروا دون راوا يظلمون والارض ط لا يعلمون ترجعون للمؤمنين فليفرحوا ط يجمعون وحلالا ط تفترون
القيمة ط لا يشكرون نصف السبع التفسير ان الانسان اذا قوي بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى
طلب مقابحه في كلامه معرضة عن جهات محاسنه فيصير كان الصمم في الاذن مانعا في حصول ادراك الصوت والعمى في العين امر
منافي حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان أولئك
الكفار بلغت حالتهم في النفرة والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون
وينظرون اليك يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يبصرون ولا يصدقون قال اهل المعاني المستمع الى القرآن كالمستمع
الى النبي صلعم بخلاف النظر فكان في المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثروا كثرتهم ثم قال اتطمع ان
تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم او تقدر على هداية العمي ولا سيما اذا قرن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على
ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله أفأنت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلعم فان
الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الطبيب والحذاقة ثم اكد عدم قابليتهم
في الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيمة بقوله ان الله لا يظلم الآية فسرها المعتزلة بان المراد من نفي الظلم انه ما الجاء
احدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار انفسهم اقدموا عليها واجاب الاشاعرة عنه بانه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف في ملك
نفسه بلا اعتراض عليه فيما فعل ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق انه نفى الظلم عنه لان وقوع فريق
القهر ضروري وانسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم في الطريق في فرقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم يحشرهم اي واذكر يوم نحشرهم كأن
لم يلبثوا في محل النصب على الحال اي مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون اما حال اخرى وبيان لقوله كأن لم يلبثوا لان التعارف
لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم في الدنيا وقيل في القبور استقلوا
المدة الطويلة اما لانهم ضيعوا اعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم واستقصروها للدهش والحيرة او لطول وقوفهم في الحشر او لشدة
ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحقروها واما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطاء والكفر وقيل
يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسأل حميم حميما ان هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت
اضللتني يوم كذا او انهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع المعرفة وانما حذف جميعا في هذه الآية اكتفاء بما في الآية السابقة ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا ولان الآية سيقت هناك لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صرح بذلك والله
اعلم قد خسر استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز في الكشاف ان يكون على ارادة القول
اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم اكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين اي في رعاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكثير الشريف
الباقي وقنعوا بالقليل الخسيس الفاني كمن رأى زجاجة خسيسة فيظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله فاذا عرضها على الناقد بان خاب
سعيه وفات امله ثم سلى رسوله صلعم فقال واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جواب نتوفينك والمعنى واما نرينك في
اعدائك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان تدركه فنحن نريكه في الآخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده
فاراه في هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم بالاستعلاء على ديارهم واموالهم والذي سيريه في الآخرة اكثر وادوم

فطريقه

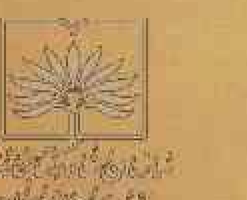
قوله ثم

يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة في قوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولا يخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد بانطاق
جوارحهم يوم القيمة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما اهمل امة من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال ولكل امة رسول
وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبي المتقدم ووقوع موجبات التخليط في شرعه فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذبه قوم وصدقه اخرون
قضي بينهم بالقسط اي حكم وفصل بالعدل فانجي الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الاية نظيرة قوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يقال المراد ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول ينسبون اليه ويدعون به فكانه تعالى يقول انا شهيد
على اعمالهم ومع ذلك فاني احضر في موقف القيمة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم او
عليهم قضي بينهم والمراد منه المبالغة في اظهار العدل والنصفة فيكون الاية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ثم ذكر شبهة
اخرى من شبهات الكفرة وذلك انه تعالى كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا يقولون متى هذا الوعد
استبعادا لنزوله وقدحا في نبوته وهذا مما يؤكد القول الاول في الاية المتقدمة لانه لا يجوز ان يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم في دار
الاخرة لحصول اليقين المعرف لهم وايضا قوله ان كنتم صادقين لفظ الجمع موافق لقوله ولكل امة رسول ثم امره ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة
وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا من مرض وفقر ولا نفعا من صحة وغنى الا ما شاء الله قال العلماء انه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء
الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب ثم بين ان احدا لا يموت الا بالقضاء وان لعذاب كل طائفة امدا محدودا لا يتجاوزه
فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل الاية وقد مر تفسير الاية في اوائل الاعراف الا انه ادخل الفاء ههنا في الجزاء لانه بنى الشرط على
الاستثناء والبيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفائين ثم زيف رايهم في استعجال
العذاب مرة اخرى فقال قل ارايتم اي اخبروني ان اتيكم عذابه بياتا اي في حين الغفلة والراحة او نهارا اي حين الاشتغال بطلب المعاش في اول الاعراف
ماذا يستعجل اي شيء يستعجل منه اي من العذاب المجرمون وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه للدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام
لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وان ابطا مجيئه فضلا عن ان يستعجل ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله مر المذاق موجب
للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال والمراد التعجب كانه قيل اي شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله تعالى وجواب
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال اذ تعرفوا الخطا فيه وماذا الجملة مفعول ارايتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك
ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم ويجوز ان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط والمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب
الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل المضمر قبل الان والحاصل ان الذي تطلبونه ضرر
محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما ان تؤمنوا وايمان الباس غير مقبول و
اما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب اخر اشد وادوم ويقال على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلتم الهنا انت الغني عن الكل
فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد اجيبوا هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله
الحكيم او ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وتفسير الكسب مذكور في البقرة في قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ثم حكى عنهم انهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة اخرى عن تحقيق العذاب فقال ويستنبئونك احق هو وهو استخبار على جهة الاستهزاء
والانكار اي احق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة
ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد احق ما جئتنا به من القران والشرع
وقيل اي ما تعدنا من البعث في القيمة فامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل اي وربي ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة
هذا القسم في جوابهم ان يكون قد جرى الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد
اخرجه عن حد الهزل وادخله في باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم لدا ثم اكد مضمون المقسم عليه بقوله وما انتم بمعجزين
فائتين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدافع نفسه عما اراده الله وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله ولو ان لكل نفس الاية وقد مر مثله
في ال عمران والمائدة وقوله ظلمت صفة لنفس اما قوله واسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب اي اظهروا الندامة
لضعفهم وليس هناك تجلد والمشهور انه الاخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا او قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب ما سلبهم قواهم
فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء واخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التروي في اول ما يرون العذاب
اما عند حالة التنازع فلا يبقى هذا التماسك او اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم
اتوا بذلك في غير وقته وقضي بينهم بالقسط وقيل اي بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال
العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم

وان اشتراك كلهم في العذاب ثم ذكر في تبيين ان له جميع ما قرر بحكم المالكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل في وجه النظم
انه لما ذكر حديث الافتداء بين انه ليس للظالم شيء يفتدي به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما اقسم على حقية ما جاء به النبي وكان
دليلا اقناعيا اراد ان يصححها بالبرهان النير فذكر ان كل ما في هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوي وسفلي
بسيط ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى اوليائه والعذاب الى اعدائه ولكونه منزها عن النقايص
والافات يكون بريئا عن الخلف في الوعد والايعاد وفي تصدير الكلام بكلمة الا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين في الاسباب
الظاهرة القائلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون ان كلها عواري وودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع
واعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بامور احدها اظهار المعجزة على يده مطابقا لدعواه وقد قرره الله سبحانه في هذه السورة
على احسن الوجوه حيث قال وما كان هذا القران ان يفترى الى تمام الاية والثاني ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما
هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبي الحق فاشار سبحانه الى
هذا الطريق بقوله قل يا ايها الناس الاية فوصف القران بصفات اربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى
المريض عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور لحصول العقايد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد
الصحة بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه وذلك لانه
اذا زالت الملكات الردية التي طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت
الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بان تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض انوارها على
ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح
الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضيء بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير
ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق الردية بتحصيل اضدادها وهي
الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للناقصين
وهي النبوة ولما ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر انها هي التي يجب ان يفرح بحصولها دون السعادات
الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله وبرحمته قال في الكشاف اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتقرير و
التاكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة الاخر عليه والفاء داخلة
لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح وجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وان يراد قد جاءتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل اعتراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن
ثابت فبذلك فلتفرحوا يا اصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبي وهو الاصل والقياس لانه دل على الامر بالفرح واشد
تخصيصا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغائب واحد الا انه خفف امر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال
فاضطر الى همزة الوصل ومن قرأ يجمعون بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا انه غلب الخطاب كما يغلب التذكير وكانه اراد
المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على النوازع النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام
والمعنى العدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير ان تكون صفات ثبوتية الا ان التضرر بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع
وهي اقوى اللذات الى الم القولنج وساير الالام القوية وايضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الالام كل جزء من
اجزاء البدن وايضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال الم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله
ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في مقدماتها ولواحقها لكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد
لا يعادل الحزن الواقع عند موته ولهذا قال المعري ان حزنا في ساعة الموت اضعاف سرور في ساعة الميلاد فتبين بهذه الوجوه ان الفرح انما
الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانية الزائلات اما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه وعن
ابي بن كعب ان رسول الله تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روي عن ابي سعيد الخدري فضل الله القران
ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال قل ارايتم الاية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها
فان كان هذا الحكم منكم على سبيل التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الاراء وافتراق الاهواء وان كان
لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفي الاية ايضا اشارة الى فساد
طريقتهم في شرايعهم واحكامهم من تحريم السوايب والبحاير وقولهم هذه انعام وحرث حجر وغير ذلك فيما انزل الجملة في محل الرفع بالابتداء و
الله اذن لكم وقل مكرر للتاكيد والرابط محذوف وخبر مجموع المبتدأ والخبر متعلق بارايتم والمعنى اخبروني الذي انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه

منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم في تحريمه وتحليله ام على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في انزل بمعنى الاستفهام منصوبا بانزل وانه مع
معموله مفعول ارايتم معناه اخبرونيه وعلى هذا يكون قل الله كلاما مستانفا ومعنى انزل خلق وانشاء كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج وذلك ان كل ما في الارض من زرع او ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال في الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة في الله للانكار وام
منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال وما ظن الذين يفترون اي شيء ظنهم في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو في صورة الاستعلام
ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث ابهم امره وكفى به زاجرا للمفتي في الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت ان الله لذو فضل
على الناس اذ انعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبي وتعليم الشرائع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم بجحد نبيه ومخالفة انبائه بل افانت
تسمع الصم صم آذان القلوب افانت تهدي العمي عمي ابصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور الى المحشر وحشر الخواص
خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى الهوية الربانية كما
قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون
تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء واما نرينك بعض الذي نعدهم لشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن او نتوفينك فنبلغك
اقصى المراتب مقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا بالاختيار ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل امة
رسول في الظاهر من الانبياء وفي الباطن من الهام الحق لكل امة اجل في استكمال السعادة والشقاوة بياتا اي في الازل او نهارا اي يظهر
الان ما قدر لكم في الازل قل اي وربي انه لحق اي اقسم بربك الذي يربيك ان وقوع الامور الاخروية حق لانك عبرت على الجنة والنار ليلة
المعراج ظلمت باقي الاستعدادات الا ان لله ما في سموات الارواح وارض القلوب والنفوس الا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاء
في الازل حق هو يحيي قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب اخرين بالجهل ويحيي بالنور ويميت بالظلمة او يحيي بصفة الجمال يا ايها الناس
يا اهل النسيان قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو دواء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابته بلى لما في الصدور وهو
القلب فانه داء صدق السر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال امداد الفيض الى ان يبلغ غاية
الكمال ليفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب وبرحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعون اهل
الدنيا في بنيانهم ما انزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما
على انفسكم وحلالا على غيركم اي حدثت انفسكم بان تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شاننا وانما هو من شان
الانبياء وخواص الاولياء قل الله اذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام
على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري وما تكون في
شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
و نمی‌باشی تو در هیچ کاری و نمی‌خوانی از آن هیچ خواندنی و نمی‌کنید هیچ کاری مگر آنکه باشیم بر شما گواهان هنگامی که شروع میکنید در آن و پنهان نماند از پروردگار تو بوزن
ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
ذره در زمین و نه در آسمان و نه کوچکتر از آن و نه بزرگتر مگر در کتاب روشن آگاه باشید که دوستان خدا نباشد ترسی بر ایشان و نه ایشان
يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم
اندوهناک میشوند آنانکه گرویدند و بودند که پرهیزکاری میکردند مر ایشان راست بشارت در زندگانی دنیا و در آخرت نیست تبدیلی مر سخنان خدا را این آن کامیابی بزرگ
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون
و باید اندوهگین نکند ترا گفتار ایشان بدرستیکه عزت مر خدا راست همگی او است شنوای دانا آگاه باشید بدرستیکه مر خدا راست هر که در آسمانها و در زمین است و پیروی نمیکنند آنانکه میخوانند
من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
از غیر خدا شریکان را پیروی نمیکنند مگر گمان را و نیستند ایشان مگر آنکه دروغ میگویند او است آنکه گردانید برای شما شب را تا آرام گیرید در آن و روز را بینش
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم
بدرستیکه در آن هر آینه آیتهاست برای گروهی که میشنوند گفتند گرفت خدا فرزندی منزه است او بی‌نیاز مر او راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است نیست نزد شما
من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم
هیچ حجتی به این آیا میگوئید بر خدا آنچه نمیدانید بگو بدرستیکه آنانکه می‌بندند بر خدا دروغ را رستگار نمیشوند بهره‌ای است در دنیا پس
الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون القراءة شان بغيرهم حيث كان ابو عمرو وغير شجاع والاعشى
بسوی ماست بازگشت ایشان پس بچشانیم ایشان را عذاب سخت بسبب آنچه بودند که کافر میشدند يزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان
على الياقوت بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الاخرون بالنصب الوقوف تفيضون فيه ط مبين

يحزنون ج لان الذين يصلح صفة للاولياء ويصلح نصبا او رفعا على المدح فيوقف على يتقون ط او مبتدأ خبره لهم البشرى فلا توقف على
يتقون وفي الاخرة ط لكلمات الله ط العظيم ط لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى الاولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم
لئلا توهم ان قوله ان العزة مقول للكفار جميعا ط العليم الارض ط شركاء ط يخرصون مبصرا ط يسمعون سبحانه ط الغني ط وما في
الارض ط بهذا ط لا يعلمون لا يفلحون ط يكفرون التفسير لما بين فساد طريقة الكفار في عقائدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل
احد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شأن اي امر من الامور واصله الهمز بمعنى
القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده قال ابن عباس اي في شأن من اعمال البر وقال الحسن في شأن الدنيا وحوائجها وما في
يكون وما تتلو ما نافية والضمير في منه ما لله عز وجل اي نازل من عنده واما للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شؤون رسول الله ص
بل هو معظم شأنه ولهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال او ما للقرآن والاضمار قبل الذكر تفخيما له لانه قيل وما تتلو
من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء والجمع للتعظيم او لان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا
افضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص لا يلزم منه امتناع تقدم
العلم المطلق على الشيء كما لو اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم ازداد في التعميم فقال وما يعزب
عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب اي بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى مثقال ذرة قد مر في قوله ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود انه لا يغيب عن علمه شيء اصلا وان كان في غاية الحقارة وانما قال ههنا في الارض ولا في السماء بخلاف
ما في سورة سبأ وهو المعهود في القرآن لان الكلام سيق لشهادته على شؤون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكر ما في الارض هذا بعد تسليم
ان الواو يفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر من قرأ بالنصب على نفي الجنس او بالرفع على الابتداء ليكون كلاما
برأسه فلا اشكال واما من جعل منصوبة معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف او جعل مرفوعة معطوفا على
محل مثقال لانه فاعل يعزب ورد عليه الاشكال وهو انه يصير تقدير الاية لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب فيلزم منه ان
يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجده الله تعالى ابتداء
من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا
القسم الثاني متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن رتبة واجب الوجود فالمراد من الاية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شيء في الارض ولا
في السماء الا هو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم انه تعالى غير عالم بالجزئيات ويقول
ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان الا بمعنى الواو على ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر
ثم وقع الابتداء بكلام اخر فقال الا في كتاب اي وهو ايضا في كتاب مبين والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي
المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني الذين ظلموا ثم انه لما بين احاطته بجميع الاشياء
وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق فقال الا ان اولياء الله الاية والتركيب يدل على القرب
فكانهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله قال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق
عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح والمبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة الواردة
في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في صفتهم الذين امنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال
القوة العملية وههنا مقام اخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال اما في موقف العلم فبان
تقدس ذاته عن ان يكون مقصورا على ما عرفه ويكون كما وصفه واما في مقام العمل فان يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله
فيكون ابدا في الخوف والدهشة واما نفي الخوف والحزن عنهم فتقدم تفسيره في اوائل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير ان رسول الله ص سئل من
اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني ان مشاهدتهم يذكر الاخرة لما فيهم من اثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر رضي الله عنه سمعت
النبي ص يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم
لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية يحكى ان ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد
يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه فجاءت السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على
رأس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده وظهر
الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ انما تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الواردة الغيبي



فلما غابت تلك الوارد فانا اضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل لبشرهم في الدنيا ما
بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه كقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر رض قلت لرسول الله صلعم ان الرجل يعمل العمل لله
ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن والدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل احد
اذا انصف ولم يحسده ولا كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي اي
قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة وعنه الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزء من النبوة و
سبب تخصيص هذا العدد ان النبي صلعم استنبئ بعد اربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلث وستون سنة وكان ياتيه الوحي لا بطريق المنام ستة
اشهر ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة واربعين واما ان الرؤيا الصادقة يوجب البشارة
فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما هنالك ومن عطاء البشرى في الدنيا هي البشارة عند الموت
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها الى احوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف
لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام
يقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع ان يكون قديما
ومحل المنع ظاهر فان نفي شيء عن شيء لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا
يحزنك وبقولهم انه كما ازال الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله ازال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي تكذيبهم لك
وتهديدهم بالحذم والاموال وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شانك من المطاعن والقوادح ثم استانف
قوله ان العزة لله كانه قيل ما لي لا احزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر لمن يجربه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرئ ان بالفتح لا
على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك هذا كفر بل لان التقدير لان العزة
على صريح التعليل وكان رسول الله صلعم واثقا بوعد الله تعالى في جميع الاحوال وان كان قد يقع في بعض الحروب والوقايع انكسار وهزيمة فان
الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم ليسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة
الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض فخصص ذوي العقول اما للتغليب واما لان الاية سيقت لبيان
فساد عقايد اهل الشرك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما دونهم
ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام اولى بان لا يكون ندا له ثم اكد هذا المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي ليس يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف احد
المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون وشركاء على
هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى الضمار ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من
دون الله شركاء اي له وشركاؤهم ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقد مر مثله في سورة الانعام
ثم ذكر طرفا من اثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اسناد الابصار
باعتبار صاحبه اي جعله مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم وهذا ان طرف من منافع الليل والنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
سماع تامل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا اخر من اباطيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ
الولد برهن على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه
يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وايضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثال الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض
فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون
هو ايضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له
ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الابن في الطبيعة بخلاف المالك
ثم زيف دعواهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها ان يتعلق بقوله
ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان
اقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون
ثم اوعدهم على افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الاية ثم بين ان ذلك المفترى ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والماٰرب الخسيسة

سورة يونس
التأويل

من يا سنة ظاهرة وغرض اى بل فذلك متاع قليل فى الدنيا ثم لابد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد فى العذاب الاليم اعاذنا
الله منه التأويل وما تكون فى شان من النبوة وما تتلو من شان النبوة من قران وما تعملون يا امة محمد من عمل من الاعمال الاممة
النبوة من قبول القران ورده من مثقال ذرة بما ظهر من حركة فى ارض البشرية بعمل من اعمال الخير والشر ولا فى السماء اى فى سماء القلوب
بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا اكبر من النية وهو العمل الا ان اولياء الله الذين هم اعداء
النفوس لا خوف عليهم من تمنى النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى فى الحيوة
الدنيا بالوقايع والمبشرات وفى الاخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الازلية حيث قال للولى كن لنا
وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركى النفوس فى تزيين شهوات الدنيا ولذاتها فى نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء فى
الدنيا وفى الاخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الاخرة بل بما يعينه على الاخرة كما جاء فى الحديث الربانى وان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى
فان افقرته يفسده ذلك الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض اى القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن اى يظنون انهم
يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذى جعل لكم ليل البشرية لتسكنوا فيه من تعب المجاهدات وتزول عنكم الملالة
والكلالة ونهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقى فى المقامات لقوم يسمعون حقايق القران بسمع القلوب
الواعية ثم اخبر عن الشبهات التى تقع فى اثناء السلوك قالوا اى مشركو النفوس عند تجلى الروح بالخلافة فى صفة الربوبية معترفا بتجلى صفة
ابداع الحق ومبدعية الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى يثبت الابوة والنبوة بين الله وبين العبد اذ
النبوة اخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف فى الابتداء هو مبدأ ضلالة اليهود والنصارى له ما فى السموات الروحانية من الكشوف والاحوال
وما فى الارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والآفات ان الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون
ع لا يظفرون بكشف الحقايق ثم نذيقهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاحسوا بالالم والله اعلم واتل عليهم نبأ نوح اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن
بر قومش را اى قوم من اگر بنده که عظیم آمده باشد بر شما قیامم و پند دادنم با آیتهای خدا پس بر خداست توکلم من پس گرد آورید کار خود را و انبازان خود را پس نباید که باشد
امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجرى الا على الله وامرت ان اكون من
کار شما بر شما پوشیده پس گذارش دهید بسوی من و مهلت مدهید مرا پس اگر اعراض کردید پس نخواستم از شما هیچ مزدی نیست مزد من مگر بر خدا و فرموده شدم که باشم از
المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة
مسلمانان پس تکذیب کردندش پس رهانیدیم او را و هر که بود با او در کشتی و گردانیدیم ایشان را جانشینان و غرق کردیم آنها را که تکذیب کردند آیتهای ما را پس بنگر چگونه بود انجام کار
المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على
بیم داده شدگان پس بر انگیختیم از بعد او رسولان بسوی قومشان پس آمدند ایشان را با بینها پس نبودند که بگروند بآنچه تکذیب کردند آن را از پیش همچنین مهر مینهیم بر
قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
دلهای تعدی کنندگان پس بر انگیختیم از بعد ایشان موسی و هرون را بسوی فرعون و جماعتش با آیتهای ما پس سرکشی کردند و بودند گروهی گناهکاران
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
پس چون آمد ایشان را حق از نزد ما گفتند بدرستیکه این هر آینه سحریست آشکار گفت موسی آیا میگوئید مر حق را چون آمد شما را آیا سحر است این و رستگار نمیشوند جادوگران
قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتونى
گفتند آیا آمدی ما را که بگردانی ما را از آنچه یافتیم بر آن پدران خود را و باشد شما را بزرگی در زمین و نیستیم ما شما را گروندگان و گفت فرعون بیاورید نزد من
بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
هر ساحر دانا را پس چون آمدند ساحران گفت مر ایشان را موسی بیفکنید آنچه شما افکنندگانید پس چون انداختند گفت موسی آنچه آوردید بدان سحر است بدرستیکه خدا باطل سازد
ع ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف
بدرستیکه خدا اصلاح نیاورد کار فساد کنندگان را و ثابت میگرداند خدا حق را بکلمات خود اگر چه ناخوش دارند گناهکاران پس ایمان نیاورده بموسی مگر فرزندانی از قومش بر ترسی
من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله
از فرعون و گروه ایشان از آنکه عذاب کند ایشان را و بدرستیکه فرعون هر آینه غالب است در زمین و بدرستیکه او هر آینه از اسراف کنندگان است و گفت موسی ای قوم من اگر هستید که ایمان آورده اید بخدا
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من
پس بر او توکل کنید اگر هستید منقادان پس گفتند بر خدا است توکل ما پروردگارا مگردان ما را فتنه مر گروه ستمکاران و نجات ده ما را برحمت خود از
القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوأا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر
گروه کافران و وحی کردیم بسوی موسی و برادرش که جای سازید برای قوم خودتان بمصر خانها و بگردانید خانهای خود را قبله و برپا دارید نماز را و مژده ده

المؤمنين وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا

گرویدگان را وگفت موسی ای پروردگار ما بدرستیکه تو داده فرعون وجماعتش را مایه آرایش ومالها در زندگانی دنیا ای پروردگار ما تا گمراه گردانند از راه تو ای پروردگار ما

اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان

محو کن بر مالهای ایشان وسخت گیر بر دلهای ایشان پس ایمان نیارند تا ببینند آن عذاب دردناک را گفت بتحقیق که اجابت کرده شد دعای شما پس ثابت باشید واز پی مروید

سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال

راه آنانرا که نمیدانند وگذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس از پی رسید ایشانرا فرعون ولشکرش از روی ستم وتعدی تا چون دریافتش غرق گفت

امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

ایمان آوردم که نیست الهی مگر آنکه گرویدند باو فرزندان یعقوب ومن از منقادانم الحال وبتحقیق که نافرمانی کردی پیش وبودی از فساد کنندگان

فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون القراءة وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان

پس امروز رها میکنیم ترا بموضع بلند از زمین ببدنت تا باشی برای آنکه بعد از تو آید آیتی وبدرستیکه بسیاری از مردمان از آیتهای ما هر آینه غافلانند

تجري بفتح الياء حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بتاء التانيث الرجز بالمد يزيد وابو عمرو وان تبوا ابالياء الخراز وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الاخرون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفي كلتا القراءتين خففت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلواني عن هشام تتبعان بتشديدهما في الحالين امنت انه بكسر الهمزة على الاستيناف بدلا من امنت حمزة وعلي وخلف الاخرون بالفتح ينجيك من الانجاء سهل ويعقوب قتيبة الاخرون بالتشديد الوقوف نباء نوح م لئلا يوهم ان اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون من اجر على الله لا لان التقدير وقد امرت من المسلمين بآياتنا ج للعاقبة ولان امر النظر للعبرة يقتضي التثبت للشاهد المنذرين من قبل ط المعتدين مجرمين مبين لما جاءكم لا لانباء على ان التقدير اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر يستحق الابتداء وسيجيء له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون في الارض ط بمؤمنين عليم ملقون ما جئتم به ط لمن قرأ السحر مستفهما السحر ط المفسدين المجرمون ان يفتنهم ط في الارض ج لاتصال الكلام المسرفين مسلمين توكلنا ج ط للعدول مع اتحاد القائل الظالمين لا للعطف الكافرين ج واقيموا الصلوة ط لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وان اريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين الدنيا لا للتعلق قوله ليضلوا بقوله اتيت ربنا تكرار للاول لاجل التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم لا يعلمون وعدوا ط الغرق لا لان قال جواب المسلمين المفسدين اية ط لغافلون التفسير لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان في ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد التي سنذكرها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها انه اراد به المكث اي شق عليكم مكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما ولا شك انه من الفطر بقية ويدعي الخلق ولا سيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة اذا كان تلك الطريقة مقتضاة النفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على ارجلهم في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله فعلى الله توكلت اي ان شدة بغضكم لي تحملكم على الاقدام على ايذائي وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك هجيري قديما وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت انكرت علي شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد ولا يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله الفراء وقال ابو الهيثم اجمع امره اي جعله جمعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والفصيح اجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه اي مع شركائكم ومن قرأها بالرفع عطفا على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تاكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما منهم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام وحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه عليه السلام قال في اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على انه واثق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كيدكم كانه قال احصلوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين اليه انفسكم شركاءكم الذين تزعمون ان حالهم

يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا آخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اى مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اى التبس
وقال الليث يقال هو فى غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اى ليكن امركم الذى اجتمعتم ظاهرا منكشفا اى تجاهروننى بالاهلاك ويحتمل ان يراد
بهذا الامر العيش والحال اى اهلكونى لئلا يكون عيشكم بسبب غصة حالكم عليكم غما اى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد
قيدا آخر فقال ثم اقضوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى اى ادوا الى قطعه واحكموا بصحته وامضائه وعن القفال ان فيه تضمينا والمعنى
ثم افضوا الى بما استقر عليه رأيكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اى عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير امهال ومعلوم
ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ فى التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس
فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحى وتذكيرى فما سألتكم من اجر فما كان عندكم ما ينفركم عنى وتتهمونى لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجرى ليس
اجرى الا على الله اى ما نصحتكم الا لوجهه ولا يبتغى الا هو وفى الاية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله
على الله توكلت ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الاية وامرت ان اكون من المسلمين اى سواء قبلتم دين الاسلام
او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام او مامور بالاستسلام لكل ما القى من قبل هذه الدعوة فكذبوه بقوا على تكذيبهم
الى آخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه فى الفلك قد ذكرنا فى الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا من بعده من بعد نوح
رسلا كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الاية
قد مر تفسيرها فى اواسط الاعراف الا انه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله فكذبوا بآياتنا وكذلك فى الاعراف راعى المناسبة لان
ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء ثم بعثنا من بعدهم بعد الرسل والامم بآياتنا يعنى الآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوى آثام ولذلك اجترؤا على رد الآيات اما قوله أسحر هذا فليس بمقول القول لانهم ما تقولون لانهم قطعوا فى قولهم ان هذا لسحر مبين بانه
سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف
القالة الذى مطاعن الناس فكانه قال اتعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال أسحر هذا او يقال مفعول يقولون محذوف وهو
قولهم ان هذا لسحر مبين ويقال جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا منكرين لما جاءهم اجئتما بالسحر
تطلبان به الفلاح ولا يفلح الا ان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا أجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات
افتعال من اللفت وهو الصرف والحلى ويكون لكما الكبرياء فى الارض اى الملك والعز فى ارض مصر قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب
من امر الدنيا وايضا فالنبى اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امور امته اليه فصار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر
والحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين التمسك بالتقليد وهو عبادة آبائهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد فى بقاء
الرياسة ويجوز ان يقصدوا ذمهما بانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب فقالوا وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة
وقد مرت تلك القصة فى الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله
قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذى سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به
السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع فى
وهمه انه يسئل عن الرجل الذى ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فما استفهامية مبتدأ وجئتم به خبره كانه قيل اى شىء جئتم به ثم قال على وجه
التوبيخ آلسحر اى أهو سحر او السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يؤيده بجميل العاقبة ويحق الله
الحق يثبته بكلماته بمواعيده او بما سبق من قضائه او باوامره فما آمن لموسى اى فى اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظة الذرية
يعبر به عن القوم على وجه التحقير ولا ريب ان المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قومه كانه
دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء عليهم
وقيل ان الذرية اقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وامهاتهم من بنى اسرائيل وقيل الذرية قوم من آل فرعون وآسية امرأته وخازنه
وامرأة خازنه وماشطته فالضمير فى قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين ولما نقل ان الذين آمنوا به كانوا
من بنى اسرائيل والضمير فى ملائهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب يأتمرون له او المراد آل فرعون بحذف المضاف او للذرية
يعنى اشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم على انفسهم يدل على ذلك قوله ان يفتنهم اى يعذبهم فرعون
ثم اكد اسباب الخوف بقوله ان فرعون لعال لغالب فى الارض ارض مصر وانه لمن المسرفين فى القتل والتعذيب او لمن المجاوزين الحد لانه من خس
العبيد فادعى الربوبية العليا وقال موسى تثبيتا للقوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا اخصوه بتفويض اموركم اليه
ان كنتم مسلمين قال العلماء المؤخر فى مثل هذه الصورة مقدم فى المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك

نوة فان ضربك بيدنا ضربه فكانه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليفه بكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بانه
واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه وحده فقالوا لموسى على الله توكلنا
ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم او صرفهم عن دينهم والمراد لا تفتن بنا فرعون
وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا لسنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اي لا تجعلنا مفتونين بان
تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة انفسهم فقالوا ونجنا الاية
وفي ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا تبوأ بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب
الى انها المساجد كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة
وهي جهة بيت المقدس او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس قال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنها بامر الله تعالى في ايام
نبينا بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اي صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة
اما السبب في اتخاذ هذه البيوت فان يصلوا في بيوتهم خفية خيفة عن الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة او المقصود جمعيته
واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم
الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون
بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلوة واجب على الجمهور ثم خص موسى ع بالتبشير في قوله وبشر المؤمنين
لان الغرض الاصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذي هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة
والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وبشر المؤمنين لنبينا على طريقة الالتفات
والاعتراض ومضمون البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون ساير الامم فانهم امروا باتخاذ موضع يرجعون
اليه البتة للعبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى ع لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة وراى القوام مصرين على الجحود والانكار اخذ يدعو
عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب الدعاء عليه فلهذا قال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا
فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم
من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله ليضلوا لام التعليل كان موسى ع قال يا
رب انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا ففيه دلالة على انه تعالى سبب لضلالهم واراد منهم ذلك واللام هي اسبابه ثم شرع في
الدعاء عليهم بالطمس على اموالهم والطمس المحو والتغيير كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها وبالشد على قلوبهم وقعها
الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر الغائب دعا عليهم بثلاثة امور بالضلال وبالطمس وبالشد كانه لما علم
بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال او علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره فابلاء التثبيت على
ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه استمر على غيك سلمنا ان قوله ليضلوا ليس
دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا ولم لا يجوز ان يكون لا مقدرة اي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا ويكون حرف الاستفهام مقدرا
في ليضلوا على سبيل التعجب اما قوله تعالى فلا يؤمنوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما ان يكون
جوابا للقول واشدد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد قال قد اجيبت دعوتكما اضاف الدعوة اليهما لان موسى كان
يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان الا انه خص موسى بالذكر في الاية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى ان دعائكما مستجاب
وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار وزيادة في الزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه
الف سنة الا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم الى الله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ان الاستعجال
لا يفيد اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قد مرت تلك القصة في اوائل سورة البقرة
في قوله واذ فرقنا بكم البحر الاية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم يقال تبعه حتى اتبعه والبغي الافراط في الظلم والعدو مجاوزة الحد وفي الاية
سؤال وهو ان فرعون تاب ثلث مرات احدها قوله امنت وثانيها انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم
يقبل توبته والجواب من وجوه الاول انه ايمان الياس وانه لا يقبل الثاني ان الالجاء ينافي التكليف الثالث انها لم تكن مقرونة بوجود الصانع ومثل
هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روي ان بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل
اراد الايمان بذلك العجل الذي امنوا بعبادته في ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر لما عرف من اكثر اليهود يميلون الى

بالاعلاضح منا كاتب النفو القيد الياضرو القرار الى التي اتا ان دالنا التوحيد كان مثبتا على عصر التقليد والقيد ولكان من الاعم بنا انك يريع

سورة يونس

التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكانه ما آمن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول الثاني والسادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار
بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما انه لو قيل الف مرة لا اله الا الله لم يصح ايماننا الا اذا اقرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع
يروى ان جبرئيل اتى فرعون بفتيا ما قول الامير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمه فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون
فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته ان يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبرئيل اليه
خطه فعرفه اما قوله الآن فالمشهور من الاخبار انه قول جبرئيل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين
الجمك الغرق وادركك وقوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين يروى ان جبرئيل اخذ يملأ فاه بالطين حين قال
امنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا الخبر غير صحيح لانه ان قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز على جبرئيل ان يمنعه من التوبة
بل يجب ان يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك
المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضاء بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون
فقولا له قولا لينا ثم يأمر جبرئيل بمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبرئيل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا
بامر ربك لا يسبقونه بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبرئيل فائدة اللهم الا ان يقال انه دس حال البحر
في فيه وقت لا ينفعه ايمانه غضبا لله على الكافر قوله فاليوم ننجيك ببدنك فيه اقوال منها ان معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما
وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد ان تغرق وقوله ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن قال كعب رماه
الماء الى الساحل كانه ثور واو المراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا او فيه نوع تهكم كانه قيل ننجيك
لكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك ونخلصك من السجن ولكن بعد ان تموت وقيل ننجيك ببدنك اي نلقيك
بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك اي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع
من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى قوله لتكون لمن خلفك آية فقيل ان قوما
اعتقدوا الهيته وزعموا ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى امره بان اخرجه من الماء بصورته حتى شاهدوه وزالت الشبهة عن قلوبهم
وكان مطرحه على ممر من بني اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى اراد ان يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة بعد ما سمعوا
منه قوله انا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للعابرين عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس في نهاية الجلالة ثم آل امره الى ما آل فلا
يجترءوا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك بالساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله للامم الآتية ثم زجر هذه الامة عن
ترك النظر في الدلائل وحثهم على التأمل والاعتبار فقال وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون التأويل واتل عليهم نبأ نوح الروح
اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي في الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائي الى الله ببراهينه
الواضحة فما سألتكم من اجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظي الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء
الله في ارضه وباقي التأويل كما مر في الاعراف وهكذا في قصة موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازي
ويحق الله الحق اي الذكر بكلماته وهي لا اله الا الله ولو كره اهل الهوى والنفوس الامارة فما آمن لموسى القلب الا صفاته او بعض صفات
فرعون النفس بتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس في الهوى والدنيا وشهواتها ان يعيدهم
الى حالها الطبيعة التي جبلت عليها واوحينا الى موسى القلب وهرون السر ان هيئا لصفاتكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل في
عالم النفس السفلي واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق واقيموا الصلاة ادوموا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات
الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة امرهم ان ينقطعوا او يقطعوا بتلك الملاذ عن السير في طلبك ربنا اطمس على اموالهم بمحقها و
تحقيرها في نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم عليه في طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم
فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالآخرة وطلب الحق حتى يذيقهم الم الفطام عن الدنيا وشهواتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول
الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببني اسرائيل هم القلب والسر وصفاتها البحر بحر الروحانية الملكوتية فاتبعهم فرعون النفس وصفاتها
بعد الفطام عن شوائب عالم الملك بقهر او قسر حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته في لجج بحر
الوصال وبلغت امواج امواجه الى ساحل البشرية ادرك فرعون النفس الغرق فتمسك بعروة ملك الغريق وقال آمنت وهي من ما دانت جبلة فرعون
النفس من عالم الروح انه لم يتمسك بحبل التوحيد لمعرفته بيد الصدق والاستدلال لم يقل آمنت بالله الذي لا اله الا هو وانما تمسك بيد
الاضطرار بالتقليد فقال لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ننجيك ببدنك اي نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا
على كمال قدرتنا وعلى عنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعله من اهل النجاة والدرجات بعد ان كان من اهل الهلاك والدركات
والله حسبنا ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان

نكتة

التأويل

ع ۱۰

ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب

پروردگار تو حکم میکند میان ایشان روز قیامت در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند پس اگر باشی در شک از آنچه فرستادیم بر تو پس بپرس از آنها که میخوانند کتاب را

من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين

پیش از تو بتحقیق آمد ترا حق از پروردگارت پس مباش از شک کنندگان و مباش البته از آنها که تکذیب کردند آیتهای خدا را پس خواهی بود از زیانکاران

ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية امنت

بدرستیکه آنانکه لازم شد بر ایشان کلمه پروردگار تو ایمان نمی آورند واگر آید بایشان هر آیتی تا اینکه ببینند عذاب دردناک را پس چرا نبود قریه که ایمان آورد

فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك

پس نفع کردی او را ایمان او مگر گروه یونس چون گرویدند رفع کردیم از ایشان عذاب رسوائی را در زندگانی دنیا و برخوردار کردیم ایشانرا تا وقتی واگر خواسته بود پروردگار تو

لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله

ایمان آوردی آنکه در زمین است همه ایشان تمام آیا پس تو اکراه میکنی مردمانرا تا باشند گروندگان و نیست هیچ نفسی را که بگرود مگر بدستوری خدا

ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا

و میگرداند ناپاکی را بر آنها که نمی فهمند بگو بنگرید که چیست در آسمانها و زمین و چه کفایت میکند آیتها و بیم کنندگان از گروهی که

يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا

نمیگروند پس آیا انتظار میبرند مگر مانند روزهای آنانکه گذشتند از پیش ایشان بگو پس منتظر باشید بدرستیکه من با شما از منتظرانم پس میرهانیم رسولان خود را

والذين امنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون

و آنها که گرویدند همچنین ثابت بود بر ما که خلاص دهیم گروندگان را بگو ای مردمان اگر باشید در شک از دین من پس نمیپرستم آنها را که میپرستید

من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا

از غیر خدا ولیکن میپرستم خدائی را که میمیراند شما را و فرموده شدم که باشم از گروندگان و اینکه راست گردان روی خود را برای دین حق گراینده و

تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك

مباش البته از شرک آورندگان و مخوان از غیر خدا آنچه نفع نمیکند ترا و ضرر نمیرساند ترا پس اگر کردی پس بدرستیکه تو آنگاه خواهی بود از ستمکاران واگر مس کند ترا

الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم

خدا بضرری پس نیست دفع کننده مر آنرا مگر او واگر خواهد بتو خیری پس نیست منع کننده مر فضل او را میرساند آنرا بهر که خواهد از بندگان خود و اوست آمرزنده مهربان

قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم

بگو ای مردمان بتحقیق آمد شما را حق از پروردگار شما پس کسیکه راه یافت پس جز این نیست که راه یابد برای نفس خود و هر که گمراه شد پس جز این نیست که گمراه شود بر نفس خود و نیستم بر شما

بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين القراءة نوانا مثل انشانا ويجعل بالنون يحيى وحماد الاعشى

کارگذار و پیروی کن آنچه وحی کرده میشود بتو و صبر کن تا اینکه حکم کند خدا و اوست بهترین حکم کنندگان بالياء التحتانية ثم ننجي من الانجاء نصر وروح ويزيد

ننجي المؤمنين من الانجاء ايضا علي وسهل ويعقوب حفص لمفضل الاخرون بالتشديد يدهما الوقوف الطيبات ج للابتداء بالنفي مع الفاء العلم ط يختلفون من قبلك ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين لا للعطف الخاسرين لا يؤمنون لا للتعلق لو بما قبلها الاليم يونس ط حين جميعا ط مؤمنين باذن الله ط اي هو يجعل لا يعقلون في الارض ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون من قبلهم ط من المنتظرين كذلك ج لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء الرسل او يكون الوقف على امنوا والتقدير ننجي المؤمنين لانجاء كذلك حقا علينا اعتراض المؤمنين لا يتوفيكم لاحتمال ان يراد وقد امرت المؤمنين لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نون التاكيد المؤذن بالاستيناف المشركين ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين لا هو ج للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم من ربكم ج لنفسه ج عليها ج للعطف مع النفي بوكيل ط يحكم الله ج لاحتمال العطف والاستيناف الحاكمين التفسير لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده اراد ان يذكر ما وقع عليه الختم في واقعة بني اسرائيل فقال ولقد بوانا اي اسكناهم مسكن صدق واسكان صدق فيكون المبوأ اسم مكان او مصدرا والعرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ذلك الظن يوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببني اسرائيل اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى ثم فمبوء الصدق الشام ومصر وما بينهما فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق مع ذلك فقد اورثهم الله جميعا كانت تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا و كانوا على طريقة واحدة حتى قرأوا التورية فقابلوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف والوحدة بالمذاهب المتعددة

واما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع انزلناهم منزل الصدق
ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم
سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا في نعته وصفته وامن به قوم وبقي على الكفر اخرون وبالجملة فالله تعالى يقضي بين
المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم او في شان رسوله
حقق حقيقته وحقيقة ما انزل عليه بقوله فان كنت في شك والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر في العقد وشككته بالرمح
اي خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكائك البيوت المصطفة والشاك يضم الى ما يتوهم شيئا اخر خلافه والخطاب فيه للرسول
في الظاهر والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعد ذلك قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ولانه لو كان
شاكا في شانه لكان غيره بالشك اولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك
مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكونان
محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وحصول
الطمانينة وفيه استمالة الامة والحث لهم على السؤال عما كانوا منه في شك وفيه ان اهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة
مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى الرسول لا بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك لا وصف الرسول
ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل ان نافية اي فما كنت في شك يعني
لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتاتى منه الشك ثم المسؤول عنه قال المحققون هم مؤمنوا
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لانهم
اذا بلغوا حد التواتر وقرؤا اية من التورية والانجيل يدل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض لان تلك الاية لما بقيت مع توفر دواعيهم
على تحريفها كانت من اقوى الدلائل والظاهر ان المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله مما انزلنا اليك وقيل
السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيقته فقال لقد جاءك الحق من ربك
ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما متوقفون في صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه قائلا فلا تكونن من الممترين
ولا تكونن الاية والمراد فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما
زجر كل فريق عما زجر بين ان لله عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله
ان الذين حقت الاية وقد مر مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع الباس سوء بهم على الكفر مكتوب
عند الله وثبت عليهم قوله في الازل عما يجري عليهم لكنها كناية معلوم ومراد وقالت الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقد مر تمام معلوم لا كنايته
هذه الابحاث مرارا كثيرة واما الاخرون فذلك قوله فلولا كانت اي فهلا حصلت قرية واحدة امنت تابت عن الكفر واخلصت الايمان
قبل معاينة العذاب فنفعها ايمانها لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون اوان الياس والاضطرار الا قوم يونس هو استثناء منقطع اي
ولكن قوم يونس لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من
القرى الهالكة الا قوم يونس يروى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبياء
فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب
الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى تغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى
بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم ان ردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم
فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا
بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء اجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وضده كلاهما بمشية الله وتقديره فقال ولو
شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل ايمان اهل الارض
بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واول المعتزلة المشية بمشية الالجاء والقسر واجيب بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه
النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الاية وكذا المشية
على الايمان الالجاء ومشية القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال افانت تكره



فاولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام فى المكره من هو وما هو الا الله الواحد وحده فحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على الايمان ومعناه انه قادر على خلق [خلق] الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ اى الكفر والفسق عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه خصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يَعْقِلُونَ يعنى المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق فى الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه اولى واجابت المعتزلة بان المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله امر بالنظر والاستدلال بالسماوية والارضية [الآيات] حتى لا يتوهم ان الحق هو الجبر المحض فقال قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اى شئ فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر ان التفكر والتدبر فى هذه الدلائل لا ينفع فى حق من حكم الله عليه فى الازل بالشقاء فقال وَمَا تُغْنِي يحتمل ان يكون ما نافية اى لا تفيد هذه الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ وهى جمع نذير صفة او مصدر فى حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان يكون استفهامية للانكار بمعنى اى شئ يغنى عنهم ثم قال فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ والمراد ان الانبياء المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على انواع العذاب اى بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول ثم فقال سبحانه قُلْ فَانْتَظِرُوا وفيه تهديد ووعيد بانه سينزل بهؤلاء مثل ما نزل باولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول واتباعه كما حكى تلك الحال الماضية بقوله ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا الآية قالت المعتزلة حَقًّا عَلَيْنَا المراد به الوجوب [و] الاستحقاق لانه يقبح تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيئا ثم امر رسوله باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ والمعنى يا اهل مكة إِنْ كُنْتُمْ لا تعرفون دينى فاعلموا انى برئ عن [اديانكم] الباطلة وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا ولان الموت اشد الاحوال مهابة فى القلوب فكان اقوى فى الزجر والردع اولانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكانه قال اعبد الله الذى وعدنى باهلاككم وانجائى وفى الآية اشارة الى انهم لن يوافقهم فى دينهم كيلا يشكوا فى امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه مامور بالايمان والمعرفة فقال وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ اى بان اكون مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثم عطف عليه قوله وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ ولا تدع نظرا الى المعنى كانه قيل لكن مؤمنا ثم اقم ولا تدع او المراد وامرت بكذا واوحى الى ان اقم قال فى الكشاف قد سوغ سيبويه ان يوصل ان بالامر والنهى وشبه ذلك بقولهم انت الذى تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه فى معنى المصدر والامر والنهى دالان على المصدر لانه غيرهما من الافعال ومعنى أَقِمْ وَجْهَكَ استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا وحَنِيفًا حال من الدين او من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل والمراد توجيه الكلية الى طلب الدين كمن يريد ان ينظر الى شئ نظرا تاما فانه يقيم وجهه فى مقابلته لا يصرفه عنه ثم اكد الامر بالنهى عن ضده فقال وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ان دعوته وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ اى فان دعوت من دون الله ما لا ينفع ولا يضر وكنى عنه بالفعل حصارا واذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سئل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع للشئ فى غير موضعه ثم صرح بانه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غيره فقال وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ الآية وقد مر تفسير مثلها فى اول سورة الانعام قال اهل الحكمة وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ من القلب واصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالاخر جاز كل واحد منهما واقول فى تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير يصيبك عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره فى الهداية والضلال فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ الآية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له فى الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك وان حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة فى دفعه كما مر فى سورة الانعام قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ الآية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة وازاح العلة فظهر وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الآية منسوخة بآية القتال ولا يخفى ضعفه ثم امر باتباع الوحى التنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم فى الصبر شعر ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى واصبر حتى يحكم الله فى امرى ساصبر حتى يعلم الصبر اننى صبرت على شئ امر من الصبر التأويل وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ يعنى متولدات الروح العلوى من القلب والسر دون النفس لانها من النبات لا من البنين مُبَوَّأَ صِدْقٍ منزلا عليا فى العالم النورانى وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من الفيض الربانى الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب فى كل ما فاض من صفة الرحمانية على الروح يفيض على القلب والسر [اى الروح] فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبى ومن قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا وبوجه آخر مبوأ صدق بين الاصبعين من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى ادركهم علم الله الازلى بالسعادة والشقاوة فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا فاذا انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن انه مما يخادع به الاطفال

المشركين

تمت سورة يونس

فقد

فلا يدري هل هو من كرامة الاجتباء او من خاتمة الابتلاء فكان النبي من خصوصية انما انا بشر مثلكم يرتع في هذه الرياض باختصاص
يوحي الي يسقي بكاسات المناولات من تلك الحياض فيشار عند سكره انها من شهود التلوين او من كشوف التمكين فادركته العناية الازلية فاكرم
بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان هذا النهي في التكوين فما كان ممتريا ولهذا قال والله لا اشك لا اسئل الامثل الايام الذين
خلوا من ابتر كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا واظهر ما قدر لكم ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث
الالتفات الى ما سوا واقم الصلوة طرفي النهار
سورة هود مكية غير اية اقم فمدنية قوله الصلوة طرفي النهار حروفها سبعة الاف واربع مائة وستة وخمسة كلامها الف وسبع مائة وخمس عشرة واياتها مائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا
کتابیست که محکم کرده شده است آیتهایش پس تفصیل داده شد از نزد درست کردار آگاه که پرستید مگر خدا را بدرستی که من مر شما را از او بیم کننده و مژده دهنده ام و آنکه آمرزش خواهید
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم
از پروردگارتان پس بازگشت کنید بسوی او برخوردار گرداند شما را برخورداری نیکو تا مدتی نام برده شده و میدهد هر صاحب فضلی را فضلش و اگر روگردانید پس بدرستیکه من میترسم بر شما
عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون
از عذاب روز بزرگ بسوی خداست بازگشت شما و او بر همه چیز تواناست آگاه باشید که ایشان می پیچند سینه هاشان را تا پنهان شوند از او آگاه باشید هنگامی که بسر
ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في
جامه هاشان را میداند آنچه را پنهان میکنند و آنچه را آشکار میکنند بدرستیکه او داناست بذات سینه ها و نیست هیچ جنبنده در زمین مگر آنکه بر خداست روزیش و میداند آرامگاهش را و سپردگاهش را همه در
كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن
کتابیست روشن و اوست آنکه آفرید آسمانها و زمین را در شش روز و بود عرش او بر آب تا بیازماید شما را که کدام از شما نیکوترید در کردار و اگر
قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة
بگوئی بدرستیکه شما برانگیخته شدگانید از پس مرگ هر آینه گویند آنانکه کافر شدند نیست این مگر جادوئی آشکار و هر آینه اگر باز پس اندازیم از ایشان عذاب را تا مدتی
معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولئن اذقنا الانسان
شمرده شده هر آینه میگویند چه باز داشت آنرا آگاه باشید روزیکه بیاید بایشان نیست گردانیده شده از ایشان و فرود آمد بایشان آنچه بودند بآن استهزا میکردند و هر آینه اگر بچشانیم انسان را
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور
از خود رحمتی پس برداریم آنرا از او بدرستیکه او هر آینه نومید ناسپاس است و اگر بچشانیم او را نعمتی پس از سختی که رسیده او را هر آینه میگوید هر آینه که رفت بدیها از من بدرستیکه او هر آینه شادمان نازنده است
الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك
مگر آنانکه صبر کردند و کردند کارهای شایسته آنها ایشان راست آمرزش و مزدی بزرگ پس شاید تو ترک کننده باشی برخی از آنچه وحی کرده شده بسوی تو و تنگ شونده باشد بآن سینه ات
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر
که میگویند چرا فرستاده نشد بر او گنجی یا نیامد با او فرشته جز این نیست که تو بیم کننده و خدا بر همه چیز وکیلست یا میگویند بدروغ بر بسته آنرا بگو پس بیاورید ده
سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فالم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم
سوره مثل او بر بافته شده و بخوانید هر که را توانید از غیر خدا اگر هستید راستگویان پس اگر اجابت نکردند مر شما را پس بدانید که جز این نیست که فرو فرستاده شد بعلم
الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
خدا و آنکه نیست خدائی مگر او پس آیا شما منقاد باشید کسیکه هست که بخواهد زندگانی دنیا و زینتش را تمام میدهیم بایشان کردارهاشان را در آن و ایشان در آن کم کرده نشوند
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه
آنها آنانند که نیست مر ایشان را در آخرت مگر آتش و نابود شد آنچه کردند در آن و ناچیز است آنچه بودند میکردند آیا پس کسیکه هست بر حجتی از پروردگارش
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا
و بگواهی از او بدر از آن و از پیش کتاب موسی پیشوا و رحمتی آنگروه میگروند بآن و هر که کافر شود بآن از گروههای دشمن پس آتش وعده گاه اوست
تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على
پس مباش در شکی از آن بدرستیکه او حق است از پروردگارت و لیکن اکثر مردمان نمیگروند و کیست ستمکارتر از آنکه بر بافت بر خدا دروغی آنها عرض کرده میشوند بر
ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها
پروردگارشان و گویند گواهان اینگروه آنانند که دروغ بستند بر پروردگارشان آگاه باشید لعنت خداست بر ستمکاران آنانکه باز میدارند از راه خدا و میخواهند آنرا

عشر
ع
ويعلم مستقرها
و میداند قرارگاهش را
ع
نعماء

عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ

کج و ایشان بآخرت ایشان کافران ایشان نباشند عاجز کنندگان در زمین و نباشد مر ایشان را از جز خدا هیچ دوستان مضاعف کرده شود بر ایشان عذاب

مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ

نیستند که بتوانند شنیدن و نیستند که ببینند ایشان آنانند که زیان کردند بنفسهای خود و گم شد از ایشان آنچه دروغ می بستند ناچار بدرستیکه ایشان

فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

در آخرت ایشان زیانکاران بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته و آرمیدند بسوی پروردگار ایشان آن گروه اهل بهشتند ایشان در آن جاوید مانند

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ القراءة وان تولوا باظهار النون وتشديد

مانند آن دو گروه چون کور و کر و بینا و شنوا آیا برابر باشند بمثل آیا پس پند نمیگیرید التاء البزی وابن فليح فانى اخاف بفتح الياء

ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير عنى انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف الركوفى خبيره لا ابناء على انه يتعلق بما قبله

الا الله ط وبشير لا للعطف فضله ج كبير مرجعكم ج لاحتمال الحال والاستيناف قدير صدرهم ط ثيابهم لا ابناء على ان عاملهما قوله يعلم

يعلنون الصدور الجزء الثاني عشر مستودعها ط مبين علا ط مبين ما يحبسه ط ليستهزئون منه ج لحذف جواب لئن اى ليئاسين

وقيل جوابها انه والاول اوجه كفور عنى ط فخور لا للاستثناء الصالحات ط كبير ملك ط نذير وكيل ط لان ام استفهام تفريع افتريه ط صادقين

الا هو ط للاستفهام مع الفاء مسلمون ينجسون الا النار ز بناء على ان ليس بمنزلة حرف النفي والوصل وجه لان ليس فعل ماض وهو مع ما

عطف عليه المجموع جزاء يعملون ورحمة ط يؤمنون به موعده ج لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون كذبا ط على ربهم الثاني ج لان

ما بعده يحتمل ان يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين لا عوجا ط من اولياء م لئلا يوهم ان ما بعده صفة اولياء العذاب ط

يبصرون يفترون الاخسرون الى ربهم لا لان ما بعده خبر ان الجنة ج خالدون والسميع ط مثلا ط تذكرون التفسير الر ان كان اسما للسورة

فما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد وكان معناه انا الله ارى فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف اى هذا الكتاب والاشارة اما

الى هذا البعض واما الى مجموع القران ومعنى احكمت نظمت نظما رصينا من غير نقص ونقض وجعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما او منعت من الفساد

والبطلان من قولهم حكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماع اى لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ ساير الكتب وذلك لاشتماله على

العلوم النظرية والعملية والظاهرية والباطنية وعلى اصول جميع الشرايع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل وتغيير ثم فصلت كما يفصل القلائد

بالفرائد لانه من التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعاني فصل تفرد به وجعلت فصولا سورة سورة واية

اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها تكاليف العباد وبين ما يحتاجون اليه في اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخي

في الحال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل واحكمت صفة كتاب من لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اى من

عنده احكامها وتفصيلها وفي قوله حكيم خبير لف ونشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور احتج الجبائي بقوله احكمت

ثم فصلت على كون القران محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر من القديم واجيب

بانه لا نزاع في حدوث الاصوات والحروف وانما النزاع في الكلام النفسي قوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اى لاجل ذلك ويكون ان

مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبي قل لهم لا تعبدوا وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتداء منقطعا عما قبله

محكيا عن لسان النبي يعني متى على اختصاص الله بالعبادة كانه قال ترك عبادة الله مثل فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل حالا من

نذير وبشير اى انني لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه بذلك ويجوز ان يكون منه صلة النذير اى انذركم منه ومن

عذابه ويكون صلة البشير محذوفا اى ابشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اى اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم

ثم بين الشيء الذي به يطلب ذلك فهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان اخرا في الحصول

كان اولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا اى توبوا ثم قال توبوا اى اخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل

استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من انف الذنوب قيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله

الاعانة في ازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي الانسان في الطاعة والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم رتب على الامتثال

امرين الاول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حيوة طيبة سؤال كيف الجمع بين هذا وبين قوله ولولا ان يكون

الناس امة واحدة وقول النبي الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء واجيب بان المراد ان لا يهلكهم بعذاب الاستيصال

او برزقهم كيف كان والجواب الثاني ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا في نفسه مسرورا

في ذاته هنيا عليه ما فاته من اللذات العاجلة قانعا بما يصيبه من الخيرات والثاني قوله يؤت اى في الاخرة كل ذى فضل فضله اى جزاء

فضل ذلك الشخص ومقتضاه يعني الجزاء المرتب على عمله بحسب تزايد الطاعات في تضعيف العمل الحسن فضل الشريعة يجوز ان يعود الضمير في فضله

الى الله تعالى وفيه تنبيه على ان الدرجات في الجنة متفاضلة بحسب تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر فقال وان تولوا اي تتولوا فحذف احدى التائين
والمعنى ان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة الموصوف بالعظم والثقل
ايضا ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله الى الله مرجعكم اي لا حكم في ذلك اليوم الا لله ولا رجوع الا الى جزائه
وهو مع ذلك كامل القدرة نافذ الحكم فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله وعند من التهديد بهذا ما فيه لكن الاية تتضمن البشارة من وجه
اخر وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحم عليه لا يقيم لعذابه
وزنا اللهم لا تخيب رجاءنا فانك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولي عن الاوامر المذكورة باطنا كالتولي عنها ظاهرا فقال الا انهم يثنون يقال ثنى
صدره عن الشيء اذا ازور عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال المفسرون وههنا اضمار اي يثنون صدورهم يريدون ليستخفوا منه اي
من الله ثم كرر كلمة الا تنبيها على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم اي يريدون الاستخفاء في وقت الاستغشاء بالثياب
قال الكلبي ثني صدورهم كناية عن نفاقهم لما روي ان طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا و
استغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار
كان اذا مر به رسول الله صلعم ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله صلعم وما يتلو من القران وليقول في نفسه
ما يشتهي من الطعن ثم استانف قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون تنبيها على انه لا فائدة لهم في استخفائهم لانه تعالى عالم بالسرائر كما انه عالم با
الظواهر ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهماتها فضلا وامتنانا وكرما واحسانا
فقال وما من دابة الاية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الاماكن من صلب او رحم او بيضة وقال الفراء مستقرها
حيث تاوي اليه ليلا او نهارا ومستودعها موضعها الذي يموت فيه وقد مر تمام الاقوال في سورة الانعام واستدل الاشاعرة بالاية على
ان الحرام رزق لانها تدل على ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا او بحسب الاستحقاق عند المعتزلة ثم انا
نرى انسانا لا ياكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله تعالى رزقا ثم ختم الاية بقوله كل في كتاب مبين اي كل واحد من الدواب رزقها ومستقرها
ومستودعها ثابت في علم الله او في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يروى ان موسى عم عند نزول
الوحي عليه تعلق قلبه باهله فامره الله تعالى ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري
مجرى الغذاء لها فسمع الدودة يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ثم ذكر دلائل قدرته الاخرى بقوله وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال الاحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء
يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك السماء على الارض وليس ذلك على سبيل
كون احدهما ملتصقا بالاخر وعلى هذا فيكون الا انه عرشه على الماء وقال في الكشاف المراد انه ما كان تحت العرش سوى الماء وفيه دليل على
ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى ان الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما الا لزم ان يكون خلقهما قبل ان يعتبر
بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليه تعالى وقال ابو مسلم العرش البناء اي بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء
تحركه شبه سيلان الماء اي وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الاية بيان كمال قدرته في امساك الجرم العظيم على الصغير اما قوله ليبلوكم فالمعتزلة
قالوا اللام للتعليل وذلك انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم معاملة المختبر المبتلي لاحوالهم كيف يعملون فيجازي
كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان احكامه غير معللة بالمصالح ومعناه انه فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله
الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر والاستماع في قولك انظر
ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن كلاما قال في الكشاف الذين هم احسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر من وراءهم من الفساق
والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز ان يقال ان احسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث اتبع
ذلك قوله ولئن قلت الاية والاشارة في قوله ان هذا الا سحر الى البعث اي هو باطل كبطلان السحر او الى القران لانه الناطق بالبعث
فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث قال القفال معناه ان هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن
لذات الدنيا واجترارهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرا ساحر فالاشارة الى النبي صلعم ثم بين انه متى اخر عنهم العذاب الذي
توعدهم الرسول به اخذوا في الاستهزاء وقالوا ما الذي يحبسه عنا فقال ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة والامة اشتقاقها من الام وهو القصد
واريد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هي في الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان
صلوة العصر اي في ذلك الحين فالمراد الى حين تنقضي امة معدودة من الناس قال في الكشاف اي جماعة من الاوقات والعذاب عذاب
الاخرة وقيل عذاب يوم بدر عن ابن عباس قتل جبرئيل المستهزئين ومعنى ما يحبسه شيء يمنعه من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء
والتكذيب فاجابهم الله بقوله الا يوم ياتيهم وهو متعلق بخبر ليس اي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم واستدل به من جوز تقديم

فانشقت فخرجت منها
صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت
ح

خبر ليس على ليس لانه اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها اولى والالزم للتابع مزية على المتبوع ثم قال وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به
يستهزؤن اراد يستعجلون ولكنه وحاق بلفظ الماضي لانه جعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان في حالتي السراء والضراء فقال ولئن
اذقنا الانسان الاية واختلف المفسرون فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء في قوله الا الذين صبروا ولان هذا النوع مجبول
على الضعف والنقص والعجلة وقلة الثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد لتقدم ذكر الكافر ولان وصف اليأس والكفران
والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك انه يعتقد ان السبب في حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا زالت
استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع في اليأس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره واذا انتقل من مكروه
الى محبوب من محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها لانه ذهل عن السعادات الاخروية الروحانية فيظن انه قد فاز بغاية الاماني ونهاية
المقاصد اما المؤمن فحاله على العكس لذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذوق اقل ما يوجد به
الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا عليه وفيه ان جميع نعم الدنيا في قلة الاعتداد وسرعة الزوال يشبه حلم النائمين
وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة وامن وجدة ونزعها سلبها واليؤس والكفور صيغتا للمبالغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه
والضراء مضرة كذلك ثنا الواحد لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حوراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التي ساءته ثم
سلى نبيه بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بالملائكة يشهدون
لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا في ذلك البعض فعن ابن عباس ان المشركين قالوا له ائتنا
بكتاب ليس فيه شتم الهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك وقال الحسن طلبوا منه ان يترك قوله ان الساعة آتية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على
الرسول ان يترك بعض ما اوحى الله اليه لانه يقدح في المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فاولوا الاية بان امثال هذه التهديدات لعلها
سبب عدم التقصير في اداء الوحي فلهذا احوط بها او لعله كان ثمة بين محذورين احدهما ترك اداء شيء من الوحي وثانيهما انهم كانوا يتلقون الوحي
بالطعن والاستهزاء فنبه بالاية على ان تحمل الضرر الثاني اهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب يقول لغيره
اذا اراد ان يزجره لعلك تفعل كذا اي لا تفعل وانما قال وضائق ولم يقل وضيق ليدل على انه ضيق حادث لانه كان افسح الناس
صدرا ومعنى ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم
بين ان حاله مقصور على النذارة لا يتخطاها الى انزال المقترحات والذي ارسله هو القادر على ذلك حفيظ عليه وعلى كل شيء ومن كمال قدرته
انزال القران المعجز ليهماء المصاقع واشار الى ذلك بقوله ام يقولون الاية وقد مر مثله في سورة يونس عن ابن عباس السور العشر من اول
القران الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن ان يشار اليها قبل نزولها فالاولى ان يقال ان التحدي
وقع بمطلق السور التي تظهر فيها قوة تركيب الكلام وتاليفه تحداهم اولا بمجموع القران في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القران لا ياتون بمثله ثم بعشر سور في هذه الاية وذلك ان العشرة اول عقد من العقود ثم بسورة في يونس وفي البقرة وهذا
كما يقول الرجل لصاحبه اكتب كتابا مثل كتابي فاذا عجز قال اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا ظهر عجزه عنه قال في اخر الامر قد قصرت منك على سطر
واحد مثله ثم اذا اراد ذلك بالغة فانه قد جوزت لك ان تستعين بكل من تريد فاذا ظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه
عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال فان لم يستجيبوا الى معارضة القران والى الايمان لكم اي لك وللمؤمنين لان رسول الله ص والمؤمنين
كانوا يتحدونهم او الجمع لتعظيم رسول الله ص فاعلموا انما انزل بعلم الله اي متلبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الفائقة
والغائبة ومعنى الامر راجع الى الثبات اي اثبتوا على ما انتم عليه من العلم واليقين بشان القران ودوموا على التوحيد الذي استفدتم من
القران ويدلكم على ذلك عجز الهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الاية بقوله فهل انتم مسلمون وفيه نوع من التهديد كانه قيل للمسلمين اذا
تبين لكم صدق قول محمد ص وازددتم بصيرة وطمانينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص والطاعة وتقرير هو وهو ان يكون الضمير في لم يستجيبوا
لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله فاعلموا وفي انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا
انه منزل من عند الله وان توحيده واجب ثم رغبهم في اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من كانت همته
مقصورة على زينة الحيوة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا وعنادا فقال من كان يريد الاية عن انس انهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون
كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان تبين لهم فيها وقال الاصم هم منكروا البعث وقال اخرون هي عامة في الكافر والمسلم المرائي
وقال القاضي المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا و
هو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن ابي هريرة ان رسول الله ص قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقران
فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت فيه اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب
المال فيقول الله الم اوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل

دلالم

وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم للعذاب كان على جهة الاستهزاء وانما قاله

مكية وبعض السور

ثم يؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول فاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جرى قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله
ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة روى ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معوية فبكى معوية حتى
ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الايتان ثم بين ان بين طالب الدنيا وحدها و
بين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال أفمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة
عند الله ولا يقاربونهم نظيره اذا اتاك العلماء والجهال فاذن الجهال للدخول قبل العلماء فيقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريد ان العلماء
ينبغي ان يدخلوا اولا ثم الجهال ويمكن ان يقال التقدير امن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر للعلم به مثله امن زين له
سوء عمله فراه حسنا امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما واعلم ان اول هذه الاية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه الله
بانه على بينة من هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث ما معنى يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو الرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها اقوال
اصحها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق والذي هو على البينة مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله سلام واضرابه ومعنى
يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد الى البينة بتاويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القران ومنه اى من الله او من القران المقدم ذكره
في قوله ام يقولون افتريه ومن قبله كتاب موسى اى ويتلو ذلك البرهان من قبل القران كتاب موسى وهو التورية حال كونها اماما
او اعوانا ماكانا بامور مما في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم فالحاصل ان المعارف اليقينية المكتسبة اما ان يكون طريق
اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل واحد منهما بالاخر
كان المطلوب احق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور
الثلثة جميعا البينة وهي الدلائل العقلية اليقينية والشاهد وهو القران المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرايع المتقدمة
عليه الصالح لاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك وارتياب وقيل امن كان محمد
والبينة القران ويتلوه يقرءه شاهد هو جبرئيل نزل بامر الله وقرء القران على محمد او شاهد من محمد هو لسانه او شاهد هو بعض محمد يعني
على ابن ابي طالب عم او يتلوه اى يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي هو صورته ومخايله فان من نظر اليه بعقله تفرس من انه ليس بمجنون ولا
وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القران ويتلوه يعقب القران شاهد من الله هو محمد عم او الانجيل
لانه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله وذلك الشاهد كون القران واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه
لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله اولئك
يؤمنون به اى بالقران ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن تحازب معهم كاليهود والنصارى والمجوس فالنار موعده
فلا تك في مرية في شك منه من القران او من الموعد ولما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحيوة
الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد وذلك قوله افمن كان على بينة اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم انها شفعاء من اشفعهم فقال
ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يجعل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف وارادانهم
يعرضون فيفضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال والمراد عرضهم على من
يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمؤمنين او اراد انهم يحبسون في المواقف ويعرض اعمالهم على الرب قال مجاهد الاشهاد الملائكة الحفظة
وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اى الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولنسئلن المرسلين والاشهاد اما جمع شاهد كصاحب
واصحاب وجمع شهيد كشريف واشراف قال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القران ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الاية قد مر تفسير مثلها في الاعراف
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض لم يكن يمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى
القريب والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم ويمنعونهم من عقابه جمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع
الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تعالى لو شاء عقابهم
في الدنيا لعاقبهم ولكنه اراد انظارهم وتاخيرهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب من قبل الكفر والصد اى الضلال والاضلال ما كانوا
يستطيعون السمع يريد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلوب وعمى البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك بتخليق الله تعالى حيث صيرهم عاجزين
ممتنعين عن الوقوف على دلائل الحق ويوافقه ما روى عن ابن عباس رض قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان في الدنيا وذلك قوله ما كانوا
يستطيعون الاية وفي الاخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول
القائل هذا الكلام مما لا استطيع ان اسمعه وهذا الشخص لا استطيع ان ابصره والمراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذين سموه اولياء ليسوا
في الحقيقة باولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا

بوعيد واعلم انه سبحانه وصف الكفار في هذه الآيات بصفات كثيرة الاولى ومن اظلم ممن افترى الثانية اولئك يعرضون اي في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزي والفضيحة في قوله ويقول الاشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم في القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالآخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار اولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من اولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشرة ما كانوا يستطيعون الآية الثالثة عشرة اولئك الذين خسروا انفسهم وتقدم في الانعام الرابعة عشرة وضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشرة لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اي قطع معناه لا قطع قاطع انهم في الآخرة هم الخاسرون وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب المعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسار الدارين قال الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللغة قوله في وعد المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وفيه اشارة الى ان الاعمال لا بد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمئنانهم وتصديقهم كل ما وعد الله به من الثواب ضده وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهات بان شبههما تارة بالاعمى والبصير والاخرى بالاصم والسميع ما تشبيه حدو الواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصر والسمع لا شك ان الفريق الكافر هو الذي وصفه بالصفات الست عشرة واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكورون في قوله ان الذين آمنوا ثم انكر تساويهما في الاحكام والمراتب بقوله هل يستويان مثلا اي تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على ان علاج هذا العمى وهذا الصمم ممكن بتبديل الاخلاق وتغير الاحوال بتيسير الله تعالى وتوفيقه الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعني ما انزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب مبين من لدن حكيم خبير كقوله وعلمناه من لدنا وراس العلم اللدني ان تقول لامتك يا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم مما ضاع من عمركم في غير طلب الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقي في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذي فضل فضله اي يؤت كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع الحسن مراتب السير الى الله وايتاء الفضل في درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الا انهم يستغشون ثياب الجسمية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من حرمان النور المرشوش ومن نقض الحرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون من تتبع الصدور انه عليم بذات الصدور اي بما في الصدور من القلوب الظلمانية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاؤه ان يكون ملائما لمزاجه فعلى ذمة كرم الله انه كما خلق اجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافقا لمزاج كل منها ثم يهديها الى مأواها وفقا لها ويعلم مستقرها في العدم كيف قدرها مستعد للصور المخصصة بها ومستودعها الذي يؤول اليه عند ظهور ما فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم بما فيه محل الابتلاء ومحك السعداء والاشقياء ولئن قلت للاشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية تكون بعد الموت عن الحيوة الطبيعية ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي كلام مموه لا اصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى الحين ظهور سر واحسن استعدادهم الفطري بتعلق الشهوات الفانية فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ذوق العذاب

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت

ع ٣

جٰدلتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصٰدقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي

جدال را پس بیاور بما آنچه وعده میدهی ما را اگر هستی از راستگویان گفت جز این نیست که آورد آنرا خدا اگر خواهد و نیستید شما عاجز کنندگان و سود نمیدهد شما را پند دادن من

ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افترٰىه قل ان افتريته فعلي

اگر خواهم که پند دهم شما را اگر خواسته باشد خدا که گمراه گرداند شما را اوست پروردگار شما و بسوی او باز گردانیده شوید بلکه میگویند بربافت آنرا بگو اگر بربافته باشم آنرا پس بر منست

اجرامي وانا بريء مما تجرمون واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون

گناه من و من بیزارم از آنچه گناه میکنید و وحی کرده شد بسوی نوح که ایمان نخواهد آورد از قوم تو هرگز مگر آنکه ایمان آورد پس اندوهگین مباش بآنچه بودند که میکردند

واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من

و بساز کشتی را بنگاهداشت ما و وحی ما و در خواست مکن مرا در باره آنانکه ستم کردند بدرستیکه ایشان غرق شدگانند و میساخت کشتی را و هرگاه که گذشتندی بر او جماعتی از

قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه

قومش استهزا کردندی باو گفت اگر استهزا میکنید بما پس ما استهزا میکنیم بشما چنانکه استهزا میکنید پس زود باشد که بدانید کسی را که بیاید باو عذابی که رسوا کند او را و فرود آید براو

عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول و

عذابی دائم تا وقتیکه آمد فرمان ما و بر جوشید آن تنور گفتیم بردار در کشتی از هر زوجی دو تا و کسان خود را مگر آنکه پیشی گرفته براو گفته را و

من امن وما امن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجرٖيها ومرسٰيها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج

کسی را که ایمان آورد و ایمان نیاورد با او مگر اندکی و گفت سوار شوید در آن بنام خدا رفتن آن و ایستادنش بدرستیکه پروردگار من آمرزنده مهربانست و آن میبرد ایشانرا در موجی

كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يٰبني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سٰاوي الى جبل يعصمني

مانند کوهها و آواز داد نوح پسرش را و بود در کرانه ای پسرک من سوار شو با ما و مباش با کافران گفت زود جای گیرم بسوی کوهی که نگاه دارد مرا

من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يٰارض ابلعي ماءك

از آب گفت نیست نگاه دارنده امروز از فرمان خدا مگر آنکه رحم کند و حایل شد میان آن دو موج پس شد از غرق شدگان و گفته شد ای زمین فرو بر آب خود را

ويٰسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال

و ای آسمان باز ایست و کم کرده شد آب و گذارده شد کار و قرار گرفت بر کوه جودی و گفته شد دوری مر گروه ستمکاران را و بر خواند نوح پروردگار خود را پس گفت

رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يٰنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا

ای پروردگار من بدرستیکه پسرم از کسان منست و بدرستیکه وعده تو راست است و تو حکم کننده ترین حکم کنندگانی گفت ای نوح بدرستیکه او نیست از کسان تو بدرستیکه او صاحب کرداری ناشایسته است پس

تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم

مخواه از من آنچه نیست مر ترا بآن دانش بدرستیکه من پند میدهم ترا که باشی از نادانان گفت ای پروردگار من بدرستیکه من پناه میبرم بتو که بخواهم از تو آنچه نیست مرا بآن دانش

والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل يٰنوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم

و اگر نیامرزی مرا و رحم نکنی مرا باشم از زیانکاران گفته شد ای نوح فرود آی بسلامی از ما و برکتها بر تو و بر گروهها از آنانکه با تواند و گروههائی که برخوردار گردانیم ایشانرا

ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان

پس برسد ایشانرا از ما عذابی دردناک این از خبرهای نهانست وحی میکنیم آنرا بسوی تو نبودی که بدانی آنرا تو و نه قوم تو پیش از این پس صبر کن بدرستیکه

العاقبة للمتقين القراءة اني لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والاخرون بفتحها بادي بالهمزة ابو عمرو ونصير الرأى بالياء ابو عمرو

انجام نیک مر پرهیزکاران راست

غير شجاع ويزيد الاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف فعميت مجهولا مشددا حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون

بضدهما انلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس اجري لا ما بالفتح ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص ولكني اريكم بالفتح حيث كان

ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونصحي ان ابو جعفر ونافع وابو عمرو باعيننا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص والمفضل

مجريها بفتح الميم بالامالة حمزة وعلي وخلف وحفص مجريها بالضم وبالامالة ابو عمرو والباقون بالضم مفخما يا بني بفتح الياء عاصم اركب

معنا مظهرا عاصم وحمزة علم انه عمل غير بالنصب علي وسهل ويعقوب الاخرون عمل غير بالرفع فيهما تسئلن بالنون المشددة المكسورة لادغام

النون المخففة في نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون باثبات الياء في الوصل ابو جعفر ونافع غير قالون بفتح

النون المشددة ابن كثير تسئلني بغير نون التاكيد اثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغيرها في الحالين اني اعظك اني اعوذ

بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو الوقوف مبين لا الا الله ط اليم الرأي ج كاذبين فعميت عليكم ط كارهون ما لا ط

امنوا ط تجهلون طردتهم ط تذكرون خيرا ط انفسهم ج الظالمين الصادقين بمعجزين ان يغويكم ترجعون ط افتريته ط مجرمون يفعلون

للاية والعطف ظلموا ج لاحتمال التعليل مغرقون سخروا منه ط تسخرون ط يعلمون لا لان ما بعده مفعوله مقيم التنور لا لان ما بعد

التفسير

جواب اذا ومن امن قليل ط ومرسيها ط رحيم ٥ الكافرين ٥ من الماء ط رحم ج لاتفاق الجملتين مع اختلاف العامل المغرقين ٥ الظالمين ٥ الحاكمين ٥
من اهلك ج علم ط الجاهلين ٥ علم ط الخاسرين ٥ معك ط اليم ط اليم ج ط لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف هذا ط وعلى قوله فاصبر ١
حسن للابتداء بان المتقين ٥ التفسير لما اورد على الكفار انواع الدلائل اكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من اسلوب
الى اسلوب في الموعظة فبدأ بقصة نوح ومعنى اني لكم اي متلبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم فلما اتصل به الجار فتح ومن كسر فعلى
ارادة القول وان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف
اليوم باليم مجاز لوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب والجر بالجوار ثم حكى انه طعن اشراف قومه في نبوته من ثلث جهات
الاولى انه بشر مثلهم الثانية انه لم يتبعه الا الاراذل يعنون اصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة وغيرها قالوا لو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس او
الاشراف منهم والاراذل جمع ارذل وقيل جمع الارذل جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحالاته ومعنى بادي الرأي اول الرأي وهو
نصب على الظرف اي اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي من غير روية او معناه ظاهر الرأي من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها و
بروزها للناظر وهذا تفسير من قرأ بغير همز وعلى هذا فالمراد انهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه او اتبعوك وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يتعلق بادي الرأي بقوله اراذلنا اي كونهم كذلك امر ظاهر لكل من يراهم عيانا ويتأكد هذا التاويل
بما نقل عن مجاهد انه قرأ الا الذين هم اراذلنا اي العين وانما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم ان المزية عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا
ان ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وان الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الآخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي
متابعة النبي الشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في كيفية رعاية المصالح ولا في قوة الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب
لنوح ولمن امن به بتبعيته او خطاب للاراذل كانهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما اجاب به نوح قومه وهو ان حصول المساوات
في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك قوله ارأيتم ان كنت على بينة برهان من ربي وآتاني بايتاء تلك البينة
رحمة وعلى هذا البينة هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس فعميت خفيت واخفيت البينة او كل من
البينة والرحمة اي صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة توصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار نتيجتها كما ان دليل القوم
ان كان بصيرا اهتدوا وان كان اعمى بقوا خابطين متحيرين ثم قال انلزمكموها اي انكرهكم على قبول البينة وانتم لها كارهون والمراد
انا لا نقدر على ايصال حقيقة البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم انه ذكر
انه لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب غنيا او فقيرا وما انا بطارد الذين آمنوا عن ابن جريج انهم قالوا ان
احببت يا نوح ان نتبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله انهم ملاقوا ربهم فيعاقب من طردهم
او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان الصحيح او النفاق بزعمكم او المراد انهم معتقدون لقاء ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون
لقاء ربكم او انهم خير منكم قوما تسفهون حيث تسمون المؤمنين اراذل ثم اكد عدم طردهم بقوله ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني
من عقابه ان طردتهم لان العقل والشرع توافقا على انه لا بد من تعظيم المؤمن البر المتقي ومن اهانة الكافر الفاجر فكيف يليق بنبي الله ان
يقلب هذه القضية سؤال ان كان طرد المؤمن لطلب رضاء الكافر معصية فكيف فعل ذلك رسول الله صلعم حتى نهي عنه بقوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الجواب انه لم يكن ذلك طردا مطلقا وانما عين لاجلهم اوقاتا مخصوصة ولاشراف قريش اوقاتا اخرى فعوتب على ذلك القدر
احتجت المعتزلة بالاية على عدم الشفاعة للفاسق اذ لو كانت جائزة لكانت في حق نوح اولى فلم يقل من الذي يخلصني من عذابه واجيب
بانه مخصوص بآيات العفو ثم ذكر انه كما لا يسألهم مالا فانه لا يدعي ان عنده خزائن الله حتى يجحدوا ان له فضلا عليهم من هذه الجهة ولا اعلم
الغيب حتى يصل به الى ما اريده لنفسي ولاتباعي واطلع على الضمائر ولا اقول اني ملك تعظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع وعدم
الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقد مر في الانعام سائر ما يتعلق بالآية ومعنى تزدري تعيب وتحتقر والازدراء افتعال من زرى عليه اذا
عابه في قوله تعالى الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق اني اذا اي ان قلت شيئا من
ذلك كنت من الظالمين لنفسي وان قلت ان الله لن يؤتيهم خيرا مع انه لا وقوف لي على باطنهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال قائلين يا
نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعاني اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر لم يرد انه اعطى عطية
اقل فاكثر بل تريد ان الوصف مقارن للموصوف وفي الاية دلالة على ان الجدال في تقرير دلائل التوحيد من دأب اكابر الانبياء ثم استعجلوا العذاب
الذي كان يتوعدهم به فاجاب نبي الله بان ذلك ليس الي وانما هو بمشية الله وارادته ولا يعجزه عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم نصحي كقول القائل
لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان اكلت الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار فاكل الخبز ولهذا قال الفقهاء المؤخر في اللفظ مقدم في
المعنى فكانه قيل ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالاية ظاهر واجاب المعتزلة بانه لا يلزم من
فرض امر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك ليبين لهم انه تعالى بنى امر التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فائدة ولتضمن الجبر ولزم افحام النبي

ومن الجائز

ومن المجاز ان يراد بالاغواء التعذيب من غوى الفصيل اذا بشم فهلك ويراد به الخيبة كقوله فسوف يلقون غيا اي خيبة من خير الآخرة ويراد به منع
الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مرارا ثم اشار الى المبدأ والمعاد بقوله هو ربكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه عليهم قولهم انما ادعاه
انه اوحي اليه مفترى فقال ام يقولون افتراه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلي اجرامي اي عقاب جرمي وهو الافتراء وانا
بريء مما تجرمون اي من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الي ههنا اضمار كانه قيل لكن ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وانا بريء منه واكثر
المفسرين على ان هذه الآية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة محمد وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن
يؤمن اقناط له من ايمانهم الذي كان يتوقعه منهم بدليل قوله الا من قد آمن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له اي لا تحزن بما فعلوه
من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام منهم قال اكثر المعتزلة انه لا يجوز ان ينزل الله عذاب الاستيصال على قوم يعلم ان فيهم
من يؤمن او في اولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا علل الاهلاك
بمجموع الامرين فدل ذلك على انهما لو لم يحصلا لم يجز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خير معلوم بواجب الوقوع نعم كلما يقع
يجب ان يكون على الوجه الاصلح ومذهب الاشاعرة في هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل في ملكه ما شاء ثم عرفه وجه اهلاكهم والهمه وجه خلاصه
من امن فقال واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون روحه عن الهلاك في الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب
وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر اباحة كمن امر ان يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها والانصاف ان الامر ظاهر الوجوب وان قطعنا النظر عن
فائدته وغايته وقوله باعيننا ووحينا في موضع الحال اي متلبسا بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين احدهما انه
لا يمنعه اعداؤه عن ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة
والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة والثاني ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب وبحثها عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى
الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر وقيل المراد عين الملك الذي كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا
اي في شأنهم وعلل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اي انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة
وقيل لا تخاطبني في تعجيل عقابهم فانهم يغرقون في الوقت المعين لذلك فلا فائدة في الاستعجال فلكل امر اجل وقيل المراد بالذين ظلموا
امرأته واعلة وكنعان ابنه ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يحتمل ان يكون
هذا جوابا لما وقوله قال ان تسخروا استيناف على تقدير سؤال سائل كانه قيل ماذا قال نوح ع ويحتمل ان يكون سخروا بدلا من مر
وصفة لملأ وقال جوابا قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا
العمل الشاق وقيل انهم ما رأوا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون وقيل انها كانت كبيرة وكان يصنعها في مفازة بعيدة عن الماء
فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينذرهم الغرق وليس منه عين ولا اثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون
منه فاجابهم بقوله ان تسخروا منا في الحال فانا نسخر منكم في المستقبل اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة او ان حكمتم علينا بالجهل
فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن
الجهل بحقيقة الامر والبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الاغمار وسمي جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا وهو عذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم في الآخرة لازم لزوم الدين الحال للغريم ومن موصولة او استفهامية
وقد مر في الانعام روي ان نوحا اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلث مائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين
وكانت من خشب الساج جعل لها ثلثة بطون الاسفل للوحوش والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والاعلى للناس ولما يحتاجون
اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وقال الحسن كان طولها الف ومائتي ذراع وعرضها ستمائة قوله حتى اذا جاء امرنا هي غاية لقوله ويصنع الفلك
اي كان يصنعها الى ان جاء وقت الامر بالاهلاك وفار التنور اي نبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هي التي يخبز فيه
فقيل هو مما استوى فيه العربي والعجمي وقيل معرب لانه لا يعرف في كلام العرب نون قبل راء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لآدم
وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قاله مجاهد والشعبي عن علي انه في مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام بموضع
يقال له عين وردة قاله مقاتل وقيل بالهند روي ان امرأته كانت تخبز فاخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في تلك الحال بوضع الاشياء
في السفينة وكان الله تعالى جعل هذه الحالة علامة لوقعة الطوفان وروي عن علي ايضا ان المراد بالتنور وجه الارض كقوله وفجرنا الارض عيونا
وعنه ايضا كرم الله وجهه ان معنى فار التنور طلع الصبح وقيل معناه اشتد الامر كما يقال حمي الوطيس والمراد اذا رأيت الامر يشتد والماء يكثر
فاركب في السفينة وذلك قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والزوجان شيئان يكون احدهما ذكرا والآخر انثى فمن قرأ بالاضافة
فمعناه احمل من كل صنفين بهذا الوصف اثنين ومن قرأ بالتنوين فالمراد احمل من كل شيء زوجين واثنين للتأكيد لا يبعد ان يكون النبات
داخلا فيه لاحتياج الناس اليه واهلك معطوف على مفعول احمل وكذا ومن آمن وقوله الا من سبق عليه القول قال الضحاك اراد ابنه وامرأته

قدر الله لهما الكفر اذ علم منهما ذلك ثم قال «وما آمن معه الا قليل» اى نفر قليل عن مقاتل انهم ثمانون وبهم سموا قرية ثمانين بناحية الموصل لانهم
لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم
رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبي كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وقيل فى بعض الروايات ان ابليس
دخل معهم السفينة وفيه بعد لانه جسم نارى فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح واهله «وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها» الاية فيه ابحاث الاول
ان الركوب متعد بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اى علوتها فما الفائدة فى زيادة لفظة فى قال الواحدى فائدته ان يعلم انه امرهم بان يكونوا
فى جوف الفلك لا على ظهره الثانى قوله بسم الله اما ان يتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو اى مسمين الله او قائلين باسم الله مجريها ومرسيها مصدران حذف
منهما الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج او يراد مكانا الاجراء والارساء او زمانهما وانتصابهما بما فى بسم الله من معنى الفعل او
بالقول المقدر وعلى التقديرين يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرسيها كلاما واحدا واما ان يكون باسم الله مجريها ومرسيها كلاما اخر
من مبتدأ وخبر اى باسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان
ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان اجراءها
وارساءها بذكر اسم الله او بامره وقدرته وجوز فى الكشاف ان يكون هذه الجملة فى موضع الحال من ضمير الفلك ولا يكون جملة مستأنفة
ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كانه قال اركبوا فيها مقدرين ان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى يقال رسا الشىء يرسو اذا ثبت وارساه غيره
يروى انها سارت لاول يوم من رجب لعشر مضين منه فسارت ستة اشهر ثم «استوت على الجودى» يوم العاشر من المحرم ويروى انها مرت بالبيت
طافت به سبعا فاعتقها الله من الغرق البحث الثالث قوله «ان ربى لغفور رحيم» كيف ناسب مقام الاهلاك واظهار العزة والجواب كان
القوم اعتقدوا انهم نجوا ببركة ايمانهم وعلمهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على ان الانسان فى كل حال من احواله لا ينفك عن ظلمات الخطاء والزلل فيحتاج
الى مغفرة الله ورحمته وفى الاية اشارة الى ان العاقل اذا ركب فى سفينة الفكر ينبغى ان يكون متبريا من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب
ويربط قلبه وعلو همته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل الايمان وتخلص
عن امواج الشبه والظنون والاوهام قال فى الكشاف «وهى تجرى بهم» متصل بمحذوف كانه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهى تجرى وهم
فيها «فى موج كالجبال» فى التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كانها فى داخل تلك الامواج واختلف
المفسرون فى قوله «ونادى نوح ابنه» فالاكثرون على انه ابن له فى الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز عن غير ضرورة ولا استبعاد
فى كون ولد النبى كافرا كعكسه واعترض على هذا القول بانه كيف ناداه مع كفره وقد قال «رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا» واجيب بانه
كان منافقا فظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر الا انه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله «ولا تكن مع الكافرين» ولعل شفقة
الابوة حملته على ذلك النداء وعن محمد بن على الباقر والحسن البصرى انه كان ابن امرأته ويؤيده ما روى ان عليا قرأ «ونادى نوح ابنها»
ويؤكد هذا الظن قوله «ان ابنى من اهلى» دون ان يقول انه منى وقيل انه ولد على فراشه لغير رشده واليه الاشارة بقوله تعالى «فخانتاهما» ورد
هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله «الخبيثات للخبيثين» وفسر ابن عباس تلك الخيانة بان امرأة
نوح كانت تقول زوجى مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه قوله «وكان فى معزل» هو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده اى كان
فى مكان عزل فيه نفسه عن ابيه عن السفينة وعمن فيها او كان فى معزل عن دين ابيه وقيل فى معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح انه يريد مفارقة
الكفرة ولكن قوله «ولا تكن مع الكافرين» لا يساعد هذا القول قوله «يا بنى» بكسر الياء لاجل الاكتفاء به عن ياء الاضافة وبفتحها الاكتفاء
به عن الالف المبدلة من الياء ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بان
«قال سآوى الى جبل» فاجاب نوح بانه «لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم» واعترض عليه بان معنى من رحم من رحمه الله وهو معصوم فكيف
يصح استثناؤه من العاصم واجيب بان من فاعل فى المعنى لا مفعول والمراد نوح لانه سبب الرحمة والنجاة كما اضيف الاحياء الى عيسى عليه السلام او الرحيم
الذى مر ذكره فى قوله «ان ربى لغفور رحيم» وهو عاصم لا معصوم وهو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا من رحم
او العاصم بمعنى ذى العصمة كلابن وتامر والعصمة المعصوم او المضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى
السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم «وحال بينهما الموج» اى بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يخاطبه نوح
فصار من جملة الغرقى قوله سبحانه «وقيل يا ارض» الاية بما اختص به من البلاغة حتى صارت متداولة بين علماء المعانى فتكلموا فيها وفى وجوه
محاسنها فلا علينا ان نورد ههنا بعض ما استفدنا منهم فنقول النظر فيها من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعانى ومن جهتى الفصاحة
المعنوية واللفظية اما من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيها انه عز سلطانه
اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء
فغاض وان نقضى امر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضى وان نسوى السفينة على الجودى وهو جبل بقرب الموصل فاستوت

وابقينا الظلمة غرقى فبنى الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمامور الذى لا يتاتى منه لكمال هيبته العصيان وعلى تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ
فى تكون المقصود تصويرا للاقتدار وان السماء والارض مع عظم جرمهما تابعتان لارادته ايجادا واعداما وتغييرا وتصريفا كانهما عقلاء مميزون
قد احاطا علما بوجب الامتثال والاذعان لخالقهما فاستعمل قيل بدل اريد مجازا اطلاقا للمسبب على السبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادته
وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله يا ارض ابلعي ويا سماء والخطاب ايضا على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والارض
كالمامورين المنقادين وايضا استعار لغور الماء فى الارض لبلع الذى هو اعمال القوة الجاذبة فى المطعوم للشبه بين الغور والبلع وهو
الذهاب الى مقر خفى وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفى جعل الماء مكان الغذاء ايضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء
لتقوى الارض بالماء فى الانبات للزروع والاشجار تقوى الاكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال
فى الغذاء دون الماء ثم امر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب فى الامر دون ان يقول ليبلع ترشيحا لاستعارة النداء فان
كونه مخاطبا من صفات الحى كما ان كونه منادى من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض
باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون ان يقول ليبلع ماءها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع
الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب فى الامر لمثل ما تقدم فى ابلعي من ترشيح استعارة
النداء ثم قال وغيض الماء غاض الماء قل ونضب وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا فلم يصرح بالفاعل
سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا يتاتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره فى صدر الاية ليستدل من ذكر الفعل
وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه يعنى عن الظلم المطلق وعن علة قيام الطوفان واما
النظر فيها من جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كل كلمة منها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا للنداء لانها اكثر استعمالا
ولدلالتها على تبعيد المنادى الذى يستدعيه مقام العزة والهيبة ولهذا لم يقل يا ارضي بالاضافة تهاونا بالمنادى ولم يقل يا ايتها الارض
للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شانه التنبيه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختير
ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ولمجى حظ التجانس بينه وبين اقلعي اوفر وقيل ماءك بلفظ المفرد لما فى الجمع من الاستكثار المتابى عنه مقام
العزة والاقتدار وكذا فى افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا يلزم تعميم الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل فيه
واقتصر عليه فحذف من اقلعي حذرا من التطويل وانما لم يقل ابلعي ماءك فبلعت لان عدم تخلف المامور به عن امر المطاع معلوم واختير
غيض على غيض المشددة للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والامر دون ان يقال ماء الطوفان وامر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف
العهدى ولم يقل سويت لتناسب اول القصة وهى تجرى لهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت اخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل بعدا
للقوم دون ان يقال ليبعد القوم من بعد بالكسر يبعد بالفتح اذا هلك للتاكيد مع الاختصار ودلالة لام الملك على ان البعد حق لهم و
قول القائل بعدا له من المصادر التى لا يستعمل اظهار فعلها ثم اطلق الظلم ليتناول ظلم انفسهم وظلمهم غيرهم واما ترتيب الجمل فقدم النداء
على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما فى نداء الحى وقدم نداء الارض لابتداء الطوفان منها بدليل قوله وفار التنور ثم بين نتيجة
البلع والاقلاع بقوله وغيض الماء ثم ذكر مقصود القصة وهو قوله وقضي الامر اى انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء المؤمنين ثم بين حال
استقرار السفينة بقوله واستوت على الجودي وكان جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة الماء ثم ختمت
القصة بالتعريض قيل كيف يليق بحكمة الله تعالى تغريق الاطفال بسبب اجرام الكفار واجيب على اصول الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل وعلى
اصول المعتزلة بانه يعوض الاطفال والحيوانات كما فى ذبحها واستعمالها فى الاعمال الشاقة وقد روى جمع من المفسرين انه سبحانه اعقم
ارحام النساء قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ اربعين وهذا مع تكلفه لا يتمشى فى الجواب عن اهلاك سائر الحيوانات والظاهر ان
القائل فى قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الاية ويحتمل ان يكون القائل نوحا واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهائل
بسبب اجتماع قوم الظلمة انه يقول مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر اليق واما النظر فى الاية من جهة الفصاحة
المعنوية فهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتادية لها بابلغ وجه واتمه واما من جهة الفصاحة اللفظية فهى ههنا كالعسل فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة
عذبة على العذبات سلسة على الاسلات ولعل ما تركنا من لطايف هذه الاية بل كل اية اكثر مما ذكرنا والله تعالى اعلم بمراده من كلامه ونادى
نوح ربه اى اراد ان يدعوه فقال رب ان ابني من اهلي بعض اهلي سواء كان من صلبه او ربيبا له وان وعدك اى كل ما تعده الحق الثابت الذى
لا شك فى انجازه وقد وعدتنى ان تنجي اهلي وانت احكم الحاكمين اعلمهم او اعدلهم لانه لا فضل للحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون
الحاكم بمعنى ذى الحكمة كدارع قال يا نوح انه ليس من اهلك اى من اهل دينك او من اهلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بان العبرة
بقرابة الدين والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال انه عمل غير صالح من قرأ على لفظ الفعل فمعناه انه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك والتكذيب
ومن قرأ على لفظ الاسم فللمبالغة كما يقال فلان كرم وجود اذا غلب عليه الكرم والجود وفى قوله غير صالح دون ان يقول فاسد تعريض

بل تصريح بانه انما نجا من نجا بالصلاح ويحتمل على هذه القراءة ان يعود الضمير في انه الى سؤال نوح اي ان نداءك هذا المتضمن لسؤال انجاء ابنك
عمل غير صالح وقيل المراد ان هذا الابن ولد زنا وقد عرفت سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال ووبخه عليه بقوله فلا تسئلن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال المحققون الظاهر ان ابنه كان منافقا فلذلك اشتبه امره على نوح وحمله شفقة الابوة وكان على عزم
الى ركوب السفينة فلما حال بينهما الموج لجأ الى الله في خلاصه من الغرق فعوتب على ذلك لانه لما وعده الله انجاء اهله واستثنى منهم من سبق
عليه القول كان عليه ان يتوكل على الله حق توكله ويعلم ان كل من كان من اهله مؤمنا فانه يخلص من الغرق لا محالة ولما لم يعلم لم يصبر لكن تبين
توجه اليه العتاب على ترك الاولى فلذلك تاب ورجع الى الله قائلا رب اني اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل من الزمان ما ليس لي به علم
نادبا باداب وان لم تغفر لي ما فرط مني من الخطأ في باب الاجتهاد ومن قلة الصبر على ما يجب عليه الصبر وهذا التضرع
مثل تضرع ابيه ونبينا ادم في قوله ربنا ظلمنا الاية فلذلك عفي عنه وقيل يا نوح اهبط اي من السفينة بعد استوائها على الجبل وانزل من
الجبل الى الفضاء وقيل بسلام منا بسلامة من التهديد والوعيد بل من جميع الافات والمخافات لانه لما خرج من السفينة كان خائفا من
عدم الماكول والملبوس وسائر جهات الحاجات لانه لم يبق في الارض شيء يمكن ان ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل اي مسلما عليك
مكرما والبركات الخيرات النامية الثابتة وفرعها في هذا المقام بانه وعده بان جميع اهل الارض من الاشخاص الانسانية يكون نسله
اما لانه لم يكن في السفينة الا من هو من ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من اهله وبقي النسل والتوالد في ذريته دليله قوله سبحانه
وجعلنا ذريته هم الباقين فنوح ادم الاصغر وقيل لما وعده السلامة من الافات وعده ان موجبات السلامة والراحة تكون في التزايد
والثبات لا عليك وحده بل وعلى امم ممن معك ان كان من للبيان فالمراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات وهم اصل
الامم التي انشعبت منه وان كان لابتداء الغاية فالمعنى على امم ناشئة ممن معك الى اخر الدهر هذا شان الامة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة
المتوالدة فقال وامم وهو رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم في الاخرة منا عذاب اليم نحو ان
بلد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم الممتعة بقوم هود وصالح ولوط و
شعيب وتلك اشارة الى قصة نوح وهو مبتدأ والجمل بعدها اخبار وقوله ولا قومك للمبالغة كقول القائل لا تعرف هذه المسئلة لا
انت ولا قومك ولا اهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فجملها اشهر من ان يخفى ومعنى من قبل هذا اي من قبل هذا الايحاء او العلم
الذي كسبته بالوحي ومن قبل هذا الوقت وكان هذه القصة اعيدت في هذه السورة تثبيتا للنبي على انذار قومه ولذلك ختمت بقوله
فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين التاويل ما نريك الا بشرا مثلنا اي مخلوقا محتاجا مثلنا وفيه ان النفس بنظرها السفلي يرى الروح
العلوي سفليا فلهذا تنظر الى النبوة ولا ترى نبوته الحميدة بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم اراذلنا بادي الراي والارذل
من اتباع الروح البدن وجوارح الظاهرة فان الغالب على الخلق ان البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالافعال الشرعية و
لكن النفس الامارة يكون على كفرها ولا تخلي البدن ان يشتغل بالاعمال الشرعية الدينية الا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لاكثر
الخلق وما انا بطارد الذين امنوا من طبع النفس ان يتاذى من استعمال البدن وجوارحه في التكاليف الشرعية فيقول للروح ان تزداد
او من بك وتخلق باخلاقك فامنع البدن وجوارحه في التكاليف من ينصرني من الله من يمنعني من قهره ان منعت البدن من الطاعة واقتصر على
مجرد ايمان النفس وتخلقها باخلاق الروح كما هو معتقد اهل الفلسفة والاباحة يقولون ان اصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن
والتحلي بالاخلاق الحميدة افلا تذكرون ان جمعية الباطن ونور من نتائج من استعمال الشرع والظلمة في الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من
ظلمات الطبع الى نور من الشرع في الظاهر فالنور في الشرع والظلمة في الطبع وانما ظلمات الطبع لا تنمحي الا بنور الشرع لن يؤتيهم الله خيرا اي سعد
تحصيل الدرجات العلوية وانهم مخلوقون من السفليات الله اعلم بما في نفس كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال واني بريء مما تجرمون
من التكذيب وفيه ان ذنوب النفس لا يتاثر في صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبريا من ذنوب النفس متاسفا على معاملات
النفس وتتبع هواها واوحي الى نوح الروح انه لن يؤمن من قومك وهم القلب وصفاته والسر والنفس وصفاتها والبدن وجوارحه الا من قد
امن من خواص العباد وهم القلب وصفاتها والسر وصفات النفس والبدن وجوارحه فاما النفس فانها لا تؤمن ابدا اللهم الا نفوس الانبياء
وخواص الاولياء فانها تسلم احيانا دون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لان اعمال الشر لنفوس السعداء كالجسد للاكسير يقلب ذهبا
مقبولا عند طرح الروح عليها فكذلك يقلب اعمال الشر خيرا عند طرح التوبة عليها اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس
على نفوس الاشقياء لان اعمالها حجة الله على شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون في النار على وجوههم واصنع الفلك تغذيا نوح الروح
سفينة الشريعة بنظرنا لا بنظرك فان نظرك يتبع الحواس يبصر ظاهرها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان نظلم من شيم
النفوس انهم مغرقون في بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر عليهم ملا تهم النفس وهواها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان الظلم
وصفاتها انهم مغرقون من استعمال اركان الشريعة انهم يعملوا احمايتها حتى اذا جاء امرنا وهو حد البلوغ واركبوا في سفينة الشريعة وفار

التأويل

وفي الظلمة والنور في الشرع

هود

ماء الشهوة من تنور القالب قلنا احمل السفينة الشريعة من كل صفة زوجين كالشهوة وزوجها العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل وزوجها السخاء الغضب وزوجه الحلم وكذا الحقد مع السلامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع والتانى مع العجلة واهلك وهم صفات الروح والنفس ومن آمن وهم القلب والسر فى قوله تم وقال اركبوا فيها باسم الله اشارة الى ان من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الآباء والمعلمين لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب ابليس بالطبع فى سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بامر الله وذكره مجريها من الله ومرسيها الى الله كقوله وان الى ربك المنتهى فى موج من الفتن كالجبال ونادى نوح الروح ابنه كنعان النفس المتولد بينه وبين القالب وكان فى معزل من معرفة الله وطلبه سآوى الى جبل العقل يعصمنى من الماء الفتن لا عاصم اليوم اى اذا نبع ماء الشهوات من ارض البشرية ونزل ماء عملات الدنيا وزينتها من سماء القضاء فلا يتخلص منه الا من رحمه الله بالاعتصام بسفينة الشريعة ابلعى ماء شهواتك اقلعى عن انزال مطر الآفات وغيض ماء الفتن ببركة الشرع وقضى الامر ما كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء والتربية واستوت سفينة الشريعة على الجودى وهو مقام التمكين بعد مقامات التلوين وان وعدك الحق وهو نوح الروح عند هباطه الى العالم السفلى ما بعد من الرجوع الى العالم العلوى انه ليس من اهلك وكان للروح بعد بنين ثلثة من المؤمنين وهم القلب والسر والعقل وواحد كافر وهو النفس فنفى عن النفس اهلية الدين والملة لانها خلقت للمادية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد بالخلاص من طوفان الفتن وامم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية ثم يمسهم فى الآخرة عذاب البعد عن المالوفات فاصبر على تربية الروح والنفس ان العاقبة للمتقين من طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى

ع وَاِلىٰ عَادٍ اَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لَا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِنْ
و فرستادیم بقوم عاد برادر ایشان هود را گفت ای قوم من بپرستید خدا را نیست مر شما را هیچ خدائی جز او نیستید شما مگر افترا کنندگان ای قوم من نمیطلبم از شما بر آن مزدی نیست
اَجْرِيَ اِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي اَفَلَا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا اِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ
مزد من مگر بر آنکه بیافرید مرا آیا پس نمییابید بعقل و ای قوم من آمرزش خواهید از خدایتان پس رجوع کنید بسوی او تا فرستد از آسمان بر شما باران پی در پی و بیفزاید شما را
قُوَّةً اِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
قوتی با قوت شما و اعراض مکنید در حالتیکه اصرار کنندگانید گفتند ای هود نیاوردی برای ما حجتی روشن و نیستیم ما واگذارندگان خدایان خود را از گفتار تو و نیستیم مر تو را گروندگان
اِنْ نَقُولُ اِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ اِنِّي اُشْهِدُ اللّٰهَ وَاشْهَدُوا اَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي
نمیگوئیم مگر آنکه رسانیده است بتو بعض خدایان ما بدی گفت بدرستیکه من گواه میگیرم خدا را و گواه باشید که من بیزارم از آنچه شرک میآورید از جز او پس مکر کنید بمن
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ اِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ اِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا اِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
همه پس مهلت مدهید مرا بدرستیکه من توکل کردم بر خدا که پروردگار من و شما است نیست هیچ جنبنده مگر که او گیرنده است موی پیشانی او را بدرستیکه پروردگار من بر راه راست است
فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ مَا اُرْسِلْتُ بِهِ اِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا اِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
پس اگر اعراض کنید پس بتحقیق رسانیدم شما را آنچه فرستاده شدم بسوی شما و جانشین گرداند پروردگار من گروهی را غیر شما و ضرر نمیرسانید او را چیزی بدرستیکه خدای من بر همه چیز نگهبان است
وَلَمَّا جَاءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
و چون آمد فرمان ما رهانیدیم هود را و آنانکه گرویدند با او برحمتی از ما و رهانیدیم ایشان را از عذاب درشت و قوم عاد انکار کردند آیتهای پروردگارشان را
وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا اَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَاُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اَلَا اِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ اَلَا بُعْدًا
و نافرمانی کردند پیغمبران او را و پیروی کردند امر هر سرکش حق ناپذیر را و پی آورده شدند در این دنیا لعنت و در روز قیامت آگاه باشید بدرستیکه عاد کافر شدند پروردگارشان را
ع لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ وَاِلَىٰ ثَمُودَ اَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ اَنْشَاَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ
مر عاد را که قوم هود و بسوی ثمود برادرشان صالح گفت ای قوم بپرستید خدا را نیست شما را هیچ خدائی جز او او آفرید شما را از زمین و عمر داد شما را
فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا اِلَيْهِ اِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا اَتَنْهَانَا اَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
در آن پس آمرزش خواهید از او پس بازگشت کنید بسوی او بدرستیکه خدای من نزدیک است و اجابت کننده گفتند ای صالح بدرستیکه بودی در ما امید داشته شده پیش از این آیا نهی میکنی ما را از آنکه بپرستیم
آبَاؤُنَا وَاِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا اِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَا قَوْمِ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ
پدران ما و بدرستیکه ما هر آینه در شکیم از آنچه میخوانی ما را بآن شکی بگمان گفت ای قوم خبر دهید اگر باشم بر حجتی از پروردگارم و داده باشد مرا از خود رحمتی پس کیست
يَنْصُرُنِي مِنَ اللّٰهِ اِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَيَا قَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي اَرْضِ اللّٰهِ
که یاری کند مرا از خدا اگر نافرمانی کنم او را پس نمیافزائید مرا جز زیانکاری و ای قوم این ناقه خدا است مر شما را معجزه پس بگذارید او را بخورد در زمین خدا
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَاْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلٰثَةَ اَيَّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
و مس مکنید او را ببدی پس خواهد گرفت شما را عذابی نزدیک پس پی کردند آنرا پس گفت بهره گیرید در خانهاتان سه روز این وعده ایست بغیر دروغ
فَلَمَّا جَاءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَاَخَذَ
پس چون آمد فرمان ما نجات دادیم صالح را و آنانکه گرویدند با او برحمتی از ما و از رسوائی آن روز بدرستیکه پروردگار تو او است توانای غالب و گرفت

بعض الحزاب الثاني

الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود القراءة

لازالهٔ ستمگر اند فرا بد مهلک پس گشتند در خانهاشان بر جای ماندگان گویا که هرگز نبودند در ان آگاه باشید با بیکه ثمود کافر شدند بر پروردگار خود آگاه باشید ملاک باد ثمود را قطربی

بفتح الياء ابو جعفر ونافع والبزي غير الخزاعي في اشهد بالفتح ابو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزي وابن فليح ويتخلف بالجزم الخزاز

عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلى والشموني والبرجمي وعباس الاخرون بالجر الا

ان ثمود غير منصرف والوقف بغير الالف حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود بالتنوين في الوصل على

الوقوف هودا ط غيره ط مفترون اجرا ط فطرني ط تعقلون مجرمين بمؤمنين بسوء ط تشركون لا لا تنظرون وربكم ط بناصيتها ط مستقيم

به اليكم ط للاستيناف الا لمن قرأ ويستخلف بالجزم غيركم ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال شيئا ط حفيظ مناج لحق المحذوف اي

وقد نجيناهم غليظ ط عنيد يوم القيمة ط ربهم ط هود صالحا م لما مر في الاعراف غيره ط اليه ط مجيب مريب بتخسير قريب ايام ط مكذوب

يومئذ ط العزيز جاثمين لا لكاف التشبيه فيها ربهم ط لثمود التفسير قد مر في الاعراف تفسير قوله والى عاد الاية ومعنى قوله ان انتم الا

مفترون انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام يحسن عبادتها مع انها لا حس لها ولا شعور ثم قال مثل قول نوح يا قوم لا اسئلكم

عليه اجرا لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع افلا تعقلون ان نصح من لا يطلب الاجر الا من الله لا يكون من التهمة في شيء قيل انما قال

في قصة نوح مالا ودونا جر الذكر الخزائن بعده فلفظ المال بها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه اراد الاستيناف او البدل دون العطف و

يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر مثله في اول السورة وقال الاصم لان القوم المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم لكم من امركم ثم اعزموا

على ان لا تعودوا الى مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا حراصا على جمع الاموال من وجوه التجارة

والزراعة مفتخرين بها او نوامن البطش والقوة فقدم اليهم في باب الدعوة الى الدين والترغيب فيه ما كانت همتهم معقودة به يحصل في ضمن

الغرض الكلي والمقصود الاصلي وهو الفوز بالسعادات الاخروية وكانه انما خص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جميع

النعم والثاني اصل في الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة في المال وقيل في النكاح وروي انه حبس عنهم القطر لشوم التكذيب ثلث

سنين واعقم ارحام نسائهم فوعدهم انهم ان امنوا احيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد والمدرار الكثير الدر كما مر في اول الانعام عن الحسن انه

انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار حتى انه ربما استغفر في يوم

واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سئلته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسئله الرجل فقال الم تسمع

قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين

على الاجرام والاثام مجدوا هودا وقالوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه ولم يشتهر منه معجزة

ولكن العلماء قالوا اظهار الدعوة مع اولئك الاقوام من غير مبالاة وتوانيه من الافات وقوله عن قولك حال من الضمير كانه قيل وما نترك

الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لا يصدق مثلنا مثلك بل انهم زعموا ان بعض الهتهم اعتراه بسوء اي غشاه واصابه

الخبل والجنون لانه كان يسب الهتهم وذلك قولهم ان نقول قولهم ان نقول الا اعتراك والاغواء ما نقول شيئا الا هذا القول فمن ثم تكلم

بكلام المجانين والمراد ان الاصنام كافاته على سوء فعله بسوء الجزاء فاظهر نبي الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبرأ منهم ومن شركهم

فاشهد الله وذلك شهادة صحيح واشهدهم ايضا وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد علي اني لا احبك

تهكما به ثم قدر قوله فكيدوني الاية في اخر سورة الاعراف قوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا

اذا اسروا الاسير فارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لدلالته على انه لا مالك

الا هو وقوله ان ربي على صراط مستقيم دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه معنى ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفى عليه شيء ولا يفوته

هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القائل ان اكرمتني الان فقد اكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فانا غير معاتب ولا مقصر لاني

قد صببت حق الرسالة وفي قوله ويستخلف اشارة الى عذاب الاستيصال وانه يخلق بعدهم من هو اطوع منهم وانه لا يتضرر من هلكهم شيئا

ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم عليها او يحفظني عن شركم وكيدكم او يحفظني من الهلاك والذين امنوا معه قيل كانوا

اربعة الاف برحمة منا اي بفضل وامتنان او بسبب ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم من عذاب غليظ اطلق التنجية ولا ثم قيدها

على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ سموم يدخل في افواههم ويخرج من ادبارهم فيقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالثانية

النجاة من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا واشار الى قبورهم واثارهم بقوله وتلك عاد فانظروا واعتبروا

ثم استأنف وصف حوالهم مجملة فقال جحدوا بايات ربهم فلم يلتفتوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الواجب

بالذات وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لا نفرق بين احد من رسله

واتبعوا امر كل جبار عنيد اطاعوا رؤساءهم وكبراءهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكرير الا والنداء

فكان يكثر الاستغفار

على كفرهم والا لطالما سعى بالسعد بعد هلاكهم ولا دعاء

على تقطيع شانهم وانهم كانوا مستأهلين للدعاء عليهم بالهلاك ويحتمل ان يراد البعد من رحمة الله في الاخرة وقوله قوم هود عطف بيان لعاد اما للتأكيد مزيد التقرير واما لان عادا عادان القديمة التي هي قوم هود والاخرى هي ارم قوله في قصة ثمود هو انشأكم تقديم الضمير للحصر اي لم ينشئكم الا هو ومعنى الانشاء من الارض ان الكل مخلوق من صلب آدم وهو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل ان من بمعنى في واستعمركم من العمارة اي جعلكم عمار الارض وامركم بالعمارة فمنها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من الظلم فسأل نبي لهم من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وقيل من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقيل من العمرى ومعناه اعمركم الله فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم او جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانه اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لوارثه ومعنى كونه تعالى قريبا قد مر في قوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب وذلك في البقرة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا عن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح و كمال العقل واصابة الراي وقيل كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فقطعنا املنا من الانصار والاحباب واهل الموافقة في الدين فكيف ظهرت العداوة والبغضاء ثم اضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الآباء ثم صرحوا بالتوقف والريب في امره ومريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازي واعلم ان قوله وانّنا لفي شك بنون الوقاية ههنا على الاصل واما في سورة ابرهيم فانما قال وانا بغير نون الوقاية لقوله بعده تدعوننا على الجمع فكان اجتماع النونات مستكرها فاجابهم هو بقوله ان كنت على بينة الاية وبناء امره على الفرض والتقدير لان خطاب المخالف على الوجه الاقرب الى القبول كانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته في اوامره فما تزيدونني غير تخسير اي على هذا التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تحملونني عليه الا ان انسبكم الى الخسران واقول انكم خاسرون والمعنى الاول اقرب لانه كالدلالة على ان متابعتهم لا تزيده الا الخسران في الدين ويا قوم هذه ناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف ومعنى عذاب قريب عاجل لا يتأخر الا ثلاثة ايام وغير مكذوب من باب الاتساع اي غير مكذوب فيه فحذف الحرف واجري الضمير مجرى المفعول به او من باب المجاز كان الوعد اذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود وصف به قوله فلما جاء امرنا بالفاء وفي قصة هود بالواو لمكان التعقيب ههنا بدليل قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله اليس الصبح بقريب واما في قصة هود فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في شعيب سوف تعلمون من يأتيه بحرف التسويف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعنى في ساير المواضع كما في سورة يوسف قال ولما جهزهم بالواو اولا لان التعقيب لم يكن مرادا ثم قال فلما جهزهم لمكان التعقيب والله اعلم ومن خزي يومئذ معطوف على محذوف والتقدير نجينا صالحا ومن معه من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم او يتعلق بمعطوف محذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ والمعنيان كما قلنا هناك والقراءات في يومئذ لان الظرف المضاف الى اذ يجوز بناؤه على الفتح والتنوين في اذ عوض من المضاف اليه اعني الجملة والتقدير يوم اذ كان كذا وكسر الذال للساكنين ان ربك هو القوي العزيز القادر الغالب فمن قدرته نجى المؤمن من الكافر ومن عزته وقهره اهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل واما لاحداثها في سحاب مع برق شديد محرق وانما يصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد في الهواء يوجب تاذي صماخ الانسان وقد يتمزق غشاء الدماغ بذلك والاعراض النفسانية ايضا اذا قويت اوجبت الموت وتمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله الا ان ثمود الى الآخره شبيه بما مر في قصة هود والتأويل كما مر في سورة الاعراف والله اعلم

ع وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ

ويقيني آمدند فرستادگان ما ابراهيم را بمژده فرزند گفتند سلام را گفت سلام پس درنگ نكرد كه آورد گوساله بريان

فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ

پس چون ديد دستهاشان نميرسد بآن ناخوش گرفت ايشان را و در دل گرفت از ايشان ترسي گفتند مترس بدرستيكه ما فرستاده شده ايم بسوي قوم لوط و زن او

قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا

ايستاده بود پس خنديد پس مژده داديم اورا باسحق و از پس اسحق يعقوب گفت اي واي آيا فرزند آورم و من پيرزنم و اين شوهر منست پير مرد

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ

بدرستيكه اين چيزيست عجب گفتند آيا تعجب ميكني از امر خدا رحمت خدا و بركتهاي او بر شما اهل خانه بدرستيكه او ستوده بزرگوار است پس چون رفت

عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا

از ابراهيم ترس و آمد اورا مژده سخن ميكرد با ما درباره شفاعت قوم لوط بدرستيكه ابراهيم بردبار ناله كننده بازگشت كننده است اي ابراهيم روي بگردان از اين شفاعت

إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ

بدرستيكه آمد فرمان پروردگار تو و بدرستيكه ايشان آينده است بايشان عذابي كه رد كرده نشود و چون آمدند رسولان ما لوط را محزون شد بديشان و تنگ شد بايشان دل او و گفت

هٰذا يَومٌ عَصيبٌ ۝ وَجاءَهُ قَومُهُ يُهرَعونَ إِلَيهِ وَمِن قَبلُ كانوا يَعمَلونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَومِ هٰؤُلاءِ بَناتي هُنَّ أَطهَرُ

این روزیست سخت ۝ و آمدند او را قوم وی که بشتاب رانده میشدند بسوی او و از پیش بودند که میکردند بدیها را گفت ای قوم اینگروه دختران من اند آنها پاکیزه ترند

لَكُم فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلا تُخزونِ في ضَيفي أَلَيسَ مِنكُم رَجُلٌ رَشيدٌ ۝ قالوا لَقَد عَلِمتَ ما لَنا في بَناتِكَ مِن حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعلَمُ

برای شما پس بترسید از خدا و رسوا مکنید مرا در مهمانان من آیا نیست از شما مردی راه یافته ۝ گفتند بدرستیکه دانسته که نیست مارا در دختران تو هیچ حقی و بدرستیکه تو میدانی

ما نُريدُ ۝ قالَ لَو أَنَّ لي بِكُم قُوَّةً أَو آوي إِلىٰ رُكنٍ شَديدٍ ۝ قالوا يا لوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلوا إِلَيكَ فَأَسرِ بِأَهلِكَ

آنچه را میخواهیم ۝ گفت کاش مرا بود بشما توانائی یا جای میگرفتم بجانب رکنی سخت ۝ گفتند ای لوط بدرستیکه ما رسولان پروردگار توایم که نخواهند رسید هرگز بتو پس شب ببر اهل

بِقِطعٍ مِنَ اللَّيلِ وَلا يَلتَفِت مِنكُم أَحَدٌ إِلَّا امرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصيبُها ما أَصابَهُم إِنَّ مَوعِدَهُمُ الصُّبحُ أَلَيسَ الصُّبحُ بِقَريبٍ

خود را در پاره از شب و باید که ملتفت نشود از شما احدی جز زنت بدرستیکه رسنده اوست آنچه رسیده است ایشانرا بدرستیکه وعده گاه ایشان صبح است آیا نیست صبح نزدیک

فَلَمّا جاءَ أَمرُنا جَعَلنا عالِيَها سافِلَها وَأَمطَرنا عَلَيها حِجارَةً مِن سِجّيلٍ مَنضودٍ ۝ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ

پس چون آمد فرمان ما گردانیدیم بالای آنرا زیر آنرا و بارانیدیم بر آن سنگهائی از سنگ گل بر هم نهاده شده ۝ نشان کرده نزد پروردگار تو و نیست آن از

الظّالِمينَ بِبَعيدٍ ۝ القراءة سلم بكسر السين بلا الف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص الآخرون بالرفع سيء بهم وبابه

ستمکاران دور ۝ كضر بيجهولا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي ورويس الآخرون سيء مثل قيل تخزوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب

وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو فاسر وبابه بهمزة الوصل ابو جعفر

ونافع وابن كثير وعباس من طريق الموصلي وحمزة في الوقف فان شاء لين الهمزة الا امرأتك بالرفع ابن كثير وابو عمرو الباقون بالنصب الوقوف

سلاما ط حنيذ ج خيفة ط قوم لوط ط باسحق ط لمن قرأ يعقوب بالرفع يعقوب شيخا ط عجيب ط اهل البيت ط مجيد قوم لوط ط منيب عن هذا ج

لاحتمال التعليل امر ربك ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود عصيب ج للعطف ولاختلاف النظم السيئات ط ضيفي ط رشيد من حق ج

لتعلم ما نريد شديد الا امرأتك ط اصابهم ط الصبح ط بقريب منضود لا لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ط ببعيد التفسير الرسل ههنا

الملائكة واجمعوا على ان الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك

كانوا التسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكر الله تعالى في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابرهيم وفي الذاريات

هل اتيك حديث ضيف ابرهيم والظاهر ان البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك سلاما ومعنى سلام هو

سلام او امركم سلام او سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء

ان سلام ابرهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وانما صح وقوع سلام مبتدا مع كونه نكرة لتخصصها بالاضافة الى

المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرأ سلم فمعناه السلم ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال ابو علي

الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا مكث ابرهيم خمس عشرة ليلة لا ياتيه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فرأى اضيافا لم ير مثلهم فما لبث ان

جاء او فما لبث في ان جاء بل عجل او فما لبث مجيئه بعجل هو ولد البقرة حنيذ مشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه

محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما كقوله بعجل سمين يقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما رأى

ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم اي انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما كان يعرف انهم ملئكة وكان من عادة

العرب انه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد عن الناس فلما امتنعوا

من الاكل خاف ان يريدوا به شرا وقيل انه كان يعرف انهم ملئكة الله لقولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملئكة بل ذكروا

سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو انه كان لا يعرف

انهم ملائكة اقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك اكلهم على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصارا لدلالة الارسال

على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوه على صورة الاضياف لتكونوا على صفة يحبها لانه كان مشعوفا بالضيافة وبم عرف الملئكة خوفه قيل بالتغير في

وجهه او بتعريف الله وعلموا ان علمه بانهم ملئكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته وهي سارة بنت هاران بن ناحور وابنة عم ابرهيم

قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء لا بد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة

وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابرهيم قال لهم الا تأكلون قالوا انا لا نأكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله

وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا

ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابرهيم منهم معجزة دالة على انهم من الملئكة

فدعوا ربهم باحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون و

قيل تعجبت من خوف ابرهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتأخير اي فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد و

وعكرمة ضحكت اى حاضت منه ضحكت الارنب اذا حاضت يعنى استعدادها للعلوق الولد من قرا يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف اى يعقوب مولود او موجود من بعد اسحق ومن قرا بالنصب فعلى العبارة المتروكة كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب فقول من المحتمل ان يكون يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اى وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل الوراء ولد الولد ووجهان يراد بيعقوب اولاده كما يقال هاشم ويراد اولاده يا ويلتى كلمة تلهف قد مر ذكرها أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا نصب على الحال والعامل فيه ما فى هذا من معنى الاشارة ان هذا لشيء عجيب يعنى ان تولد ولد من هرمين لشيء عجيب عادة قالوا اى الملائكة تعجبين من امر الله منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمت الله وبركاته عليكم يا اهل البيت خليل الرحمن ص والمقصود ان رحمته عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخوارق العادات فى اهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم ثم اكدوا ازالة التعجب بقولهم انه حميد محمود فى افعاله مجيد ذو الكرم الكامل فلا يليق به منع الطالب عن مأموله فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخوف الذى حصل حين نكروا ضيافته وجاءته البشرى البشارة بحصول الولد يجادلنا فى قوم لوط فى معناهم وفى شأنهم وهو جواب لما على حكاية الحال او لان لما ترد المضارع الى الماضى عكس ان ويحتمل ان يكون جواب لما محذوفا عليه دليل يجادلنا اى اجترأ على خطابنا او قال كذا ثم ابتداء فقال يجادلنا او قيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اى يجادل رسلنا لا بمعنى مخالفة امر الله فان ذلك لا يكون معصية بل سعيا فى تأخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوبتهم يروى انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال الاصوليون ان ابرهيم كان يقول ان امر الله ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة يدعون الفور اما للقرائن او لان مطلق الامر يستدعى ذلك فهذه هى المجادلة او لعل ابرهيم كان يدعى ان الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون بالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب القدح فى واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله ان ابرهيم لحليم غير عجول فى الامور اواه كثير التأوه من الذنوب منيب راجع الى الله فى كل ما يسنح له وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع العذاب عنهم ولما عرف الملائكة ان العذاب قد حق عليهم قالوا يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك باهلاكهم وانهم آتيهم لاحق بهم عذاب غير مردود فلا راد لقضائه فلا ينفع فيهم جدال ولا دعاء ولما جاءت رسلنا المذكورون لوطا سيئ بهم اصله سوئ لانه من ساءه يسوءه نقيض سره يسره نقلت الكسرة الى الفاء وابدلت العين ياء ومن قرأ سيئ بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة واصله ان البعير يذرع بيديه فى سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة وربما قالوا ضقت بالامر ذرعا وقال هذا يوم عصيب اى شديد من العصب الشد كانه ربما اشتد داهيته من الامور عن ابن عباس انطلقوا من عند ابرهيم الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بنى آدم فى غاية الحسن لم يعرف لوط انهم ملائكة الله فساءه مجيئهم واغتم لذلك لانه خاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه ما كان يجد ما ينفق عليهم وقيل السبب ان قومه منعوه عن ادخال الضيف داره وقيل عرف انهم ملائكة جاءوا لاهلاك قومه فرق قلبه على قومه والصحيح هو الاول يروى انه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهرى الاهراع الاسراع واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى او غضب او فزع وقيل انما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى اهرعهم خوفهم او حرصهم ثم بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش فمرنوا عليها فلذلك جاءوا مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم فى ذلك العمل قبل ذلك فاراد ان يقى اضيافه ببناته فقال هؤلاء بناتى عن قتادة بناته من صلبه وعن مجاهد وسعيد بن جبير اراد نساء امته لان النبى كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات المحصنات على الفجار لا يليق بذوى المروات ولان اللواتى من صلبه لا يكفى للجمع العظيم ولما روى انه لم يكن له الا ابنتان واقل الجمع ثلثة والقائلون بالقول الاول قالوا انما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان او مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما فى اول الاسلام زوج رسول الله صلعم ابنتيه من عتبة بن ابى لهب وابى العاص بن الربيع بن عبد العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن اكثر من ثنتين ويجوز ان يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا منهم ان يستحيوا منه ويرقوا له واطهر بمعنى الطاهر اذ لا طهارة فى نكاح الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزى او لا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء فى ضيفى فى حق اضيافى فان خزى الضيف والجار يورث للمضيف العار والشنار والضيف يستوى فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا اليس منكم رجل رشيد صالح او مصلح مرشد يمنع او يمتنع عن مثل هذا العمل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكانه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا وانك

الاول قالوا انما دعى القوم ٣

لتعلم ما نريد ويجوز ان يراد انهن لسن لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع ايضا وانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا
نؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لو ان لي بكم قوة وجوابه محذوف اي لفعلت بكم وصنعت بالغت في دفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ
لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي ما اتقوى به عليكم فسمى موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة او اوي
انضم الى ركن شديد حام منيع شبه الركن من الجبل في شدته وقوله او اوي عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه او بمعاونة غيره
قال ذلك من شدة القلق والحيرة في الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد رقت عليه وجدت ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان
ياوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعد ذلك الا في ثروة من قومه ويحتمل ان يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به فيامن من شرهم ويحتمل انه لما شاهد
سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى ان اوي الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روي
انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وهذه جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا
كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولم يقدروا على ضرره فامر الملائكة ان يفتح الباب فدخلوا فاستاذن جبرئيل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط
سحرة ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من سرى او زائدة ان كانت للقطع والاسراء
بقطع من الليل عن ابن عباس اي في اخر الليل بسحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفين ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر
الى ما وراءه الا امراتك اكثر القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح فاجاب
جار الله بان الرفع بدل من احد على القياس والنصب مستثنى من قوله فاسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسري بها و
الاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسري بها لان الالتفات بعد الاسراء فيكون مسري بها غير مسري بها ويمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في اللفظ
الا انه في المعنى مقيد بعدم الالتفات اذ المراد اسر باهلك اسراء لا التفات فيه الا امراتك فانك لا تسري بها اسراء مع الالتفات فاستثن على هذا ان شئت
من لا يلتفت ولا تناقض وبعضهم كابن الحاجب جعل الا امراتك في كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن ان يقال وان شئت مستثنى
انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من اسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم ان تكون مأمورة بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم الا
زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امراتك تلتفت فيصيبها ما اصابهم واذا
كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبة للمعصية قال في الكشاف وروي انه امرها ان تخلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كلها وروي انها لما سمعت هدة العذاب بل صوتها التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها و
قيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا يصح الاستثناء ان من غير شائبة التناقض كانه امر
لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المراة فانها هالكة من الهالكين ثم امرهم ان يقطعوا العلائق واخبر ان امراته تبقى متعلقة القلب بها يروى انه قال لهم
متى موعد هلاكهم فقيل له ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اي جبرئيل
وسلنا عاليها سافلها روي ان جبرئيل ادخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح حتى سمع اهل السماء صح
الديوك لم يتبدد لهم طعام ولم يتكسر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك كل كانه مركب من حجر وطين
وهو في غاية الصلابة وقيل سجيل اي مثل السجل وهي الدلو العظيمة او مثلها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل
اي مما كتب الله ان يعذب بها وكتب عليه اسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل من سجين اي من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم
سماء الدنيا ومعنى منضود موضوع بعضها فوق بعض في النزول يأتي على سبيل المتابعة والتلاصق ونضدت السماء نضدا معدا لاهلاك الظلمة وفي السما
معاد لها فحيا مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد مسومة معلمة للعذاب او ببياض وحمرة من الحسن السيد بحليها امثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها
سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به وقال ابو صالح رايت منها عند ام هانئ حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع
ومعنى عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها الا هو او مقرر في علمه اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين
اي من كل ظالم ببعيد وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبرئيل عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بصدد سقوط الحجر
عليه ساعة فساعة وقيل اي تلك القرى وليست ببعيدة من ظالمي اهل مكة يمرون بها في مسافرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت في السماء الا انها اذا هوت
منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب والله تعالى اعلم بمراده والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله ع
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اريكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

هود

وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۝ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ
إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ
النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ۝ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وَكَذَلِكَ
أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝ القراءة انى بالفتح ارىكم بالامالة ابو جعفر و نافع وابو عمرو والبزى وكذلك

ع

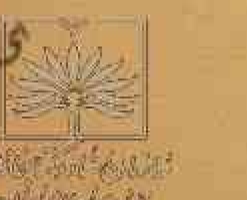
روى عن اهل مكة انى اخاف شقاقى ان بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وصلواتك كما مر فى سورة التوبة فى قوله ان صلوتك سكن توفيقى
بالفتح ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر ونافع ارهطى بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف و
يعقوب وعاصم غير الاعشى لو توقف شعيبا ط غيره ط محيط ط مفسدين ه مؤمنين ج للابتداء بالنفى مع الواو وبحفيظ ما نشاء ط الرشيد حسنا عنه ط ما استطعت ط
الا بالله ط انيب نصف الجزء صالح ط ببعيد ط ثم ودود ضعيفا ج لان لو للابتداء مع الواو ولرجمناك ز لحق النفى وكون الواو للحال اوجه بعزيز من اسقط للفصل

التفسير

بين الاستخبار والاخبار والخادم المقصود وجه للوصل ظهريا ط محيط عامل ط تعلمون لا كاذب للفصل بين الخبر والطلب رقيب جاثمين لا فيها ط ثمود مبين لا لتعلق
الجار فرعون ج للنفى مع الواو للعطف والحال برشيد لنار ط المورود القيمة ط المرفود وحصيد امر ربك تتبيب ظالمة ط شديد التفسير نقص المكيال يشمل معنيين
بان ينقص الايفاء من القدر الواجب ويزيد فى الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم فى كلا الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهى بقوله انى اريكم بخير اى بثروة وسعة
تغنيكم عن التطفيف او بنعمة من الله حقها ان تشكر لتزداد لا ان تكفر فتزال وانى اخاف عليكم عن ابن عباس انه فسر الخوف بالعلم وقال اخرون انه الظن الغالب لانه
كان يجوز ان يرجعوا ويتوبوا والعذاب المحيط المهلك المستاصل كانه احاط بهم بحيث لا ينفلت منهم احد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاسناد مجازى
باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستيصال فى الدنيا وقيل عذاب الاخرة والاظهر العموم قوله اوفوا المكيال الى قوله اشياءهم قد
مر تفسير مثله فى الاعراف وقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين مضى تفسيره فى اوائل البقرة بقى فى الاية سؤال وهو انه سبحانه نهى اولا عن النقص ثم
امر بالايفاء فهل فيه فائدة سوى التاكيد والتقرير والجواب بعد تسليم ان النهى عن الشئ امر بضده هو ان النهى عن النقص فى المبايعة وان كان يفيد تصريحه
تعييرا وتوبيخا لكنه يوهم النهى عن اصل المبايعة فلدفع هذا الخيال امر بايفاء الكيل فقيل بل حاصل المبايعة مع التصريح بالنعت المستحسن فى العقول لزيادة
الترغيب فيه ايضا فائدة اخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ليعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروة لا تنقف عند حد وانما الواجب
شئ من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين كما ان غسل الوجه لا يحصل باليقين الا عند غسل شئ من الراس بَقِيَّتُ اللَّهِ قيل ثواب الله وقيل طاعته
ورضاه كقوله والباقيات الصالحات خير وقيل اى ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا لان شيئا من الاعمال
لا ينفع مع الكفر وان كنتم مصدقين لى فيما انصح لكم ولا ريب ان الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس واقبالهم عليه فينفتح له ابواب المكاسب والخيانة تجر
الفقر لنفرة الناس عنه وعن معاملته وصحبته قالت المعتزلة فى اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يسمى رزق الله وقرئ تقية الله بالتاء الفوقانية
اى تقواه الصارفة عن المعاصى والقبائح وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح وقد اعذر قوله اصلوتك قيل اى دينك
وايمانك لان الصلوة عماد الدين فعبر عن الشئ باسم معظم اركانه وقيل المراد الاتباع لانه اصل الصلوة ومنه المصلى للذى يتلو السابق والمعنى دينك
اى اتباعك يامرك بذلك والاظهر ان المراد بها الاعمال المخصوصة روى ان شعيبا عم كان كثير الصلوة فكان قومه اذا راوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلوتك تامرك السخرية والهزء فكان الصلوة التى يداوم عليها ليلا ونهارا هى من باب الجنون والوساوس ومعنى تامرك بتكليف ان نترك على حذف

ن نترك تامرك م

المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله ان نفعل معطوف على ما فى ما يعبد اى تامرك صلوتك بترك ما يعبد اباؤنا وبترك ان نفعل فى اموالنا ما نشاء
روى انه كان ينهاهم عن قطع اطراف الدراهم كما كان يامرهم بترك التطفيف ولا قناع بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد قيل
انه مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة والغواية فعكسوا تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا بينهم بالحلم والرشد فكانهم قالوا له انك المعروف بهذه
السيرة فكيف تنهانا عن دين الفتاه وسيرة تعودناها ثم اشار عم الى ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس ولا تطفيف
وجواب الشرط محذوف اكتفى عنه بما ذكر فى قصتى نوح وصالح والمعنى ارايتم ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربى وقد اتانى بعد هذه السعادات الروحانية
السعادات الدنيوية من الخيرات والمنافع الجليلة هل يسعنى مع هذه الكرامات ان اخون فى وحيه ولا امركم بترك الشرك وبفعل الطاعة والانبياء لا يبعثون
الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه فالمعنى لا اجعل فعلى مخالفا لقولى فلا استبد
الى شهواتكم التى نهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة والنصيحة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ما استطعت ما للمدة ظرف اى مدة



اى مدة استطاعتى لاصلاحكم وابدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه او المضاف محذوف اى الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا
للاصلاح فقد يعمل المصدر المعرف كقوله ضعيف النكاية اعداءه اى الا ان اصلح ما استطعت صلاحه من فاسدكم ثم بين ان كل ما ياتى ويذر فوقوعه
بتسهيل الله وتاييده فقال وما توفيقى الا بالله والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عليه توكلت اخصه بتفويض الامور اليه لانه مبدأ المبادى
واليه انيب لانه المعاد الحقيقى وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم بقوله لا يجرمنكم شقاقى لا يكسبنكم خلافى ان يصيبكم مثل
ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم لانه مونث ولا ببعيدين حملا على
معناه ولكنه على تقدير مضاف اى وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدهم او المراد وما هم بشئ بعيد او بزمان او مكان بعيد
وجوزوا ان يستوى فى بعيد وقريب قليل وكثير بين المذكر والمونث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما ان ربى رحيم
ودود يجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على ان سبق الكفر والمعصية
لا ينبغى ان يمنعهم عن الايمان والطاعة ولما بالغ خطيب الانبياء فى التقرير والبيان قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اما لقلة الاعتبار او قالوه تهكما
واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادرى ما تقول كانهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه وقيل لانه كان الثغ وانا
لنريك فينا ضعيفا عن الحس يهيننا اى لا عز لك فيما بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى
لان العمى سبب الضعف او لانه لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظة فينا يأباه لان الاعمى فيهم وفى غيرهم
واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما او شاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى ثم
ذكروا انهم انما لم يوقعوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة والرجم شر القتل وهو الرمى بالحجارة
او المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا المذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم
ولكن لانهم من اهل ديننا وفى الكلام واقع فى فاعل العز لا فى الفعل وهو العز ولذلك قال فى جوابهم ارهطى اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت
علينا لم يصح هذا الجواب انما لم يقل اعز عليكم منى ايذانا بان التهاون بنبى الله كالتهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه اى
امر الله او ما جئت به وراءكم ظهريا منسوبا الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اى جعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف الله
نعم بما يتضمن الوعيد في حقهم فقال ان ربى بما تعملون محيط ثم زاد فى الوعيد والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله فى الانعام
قال فى الكشاف لا استيناف بمعنى سوف تعلمون وصل خفى تقديرى وانه افخم من الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه
ثم بالغ فى التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق انى معكم رقيب راقب كالضريب بمعنى الضارب او مراقب كالعشير والنديم او
مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقى القصة على قياس قصة صالح واخذ الصيحة واخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لمكان الفاصلة
الا انه الحقا فى قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازداد التانيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله كما بعدت ثمود لما روى الكلبى عن
ابن عباس قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب اخذتهم من فوقهم قوله سبحانه
بآياتنا وسلطان مبين قال فى التفسير الكبير الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات المفيدة للظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد
القطع وان لم يتاكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذى يعضده الحس وقال فى الكشاف يجوز ان يراد ان الآيات فيها سلطان مبين
لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اى شانه وطريقه او امره اياهم
بالكفر والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اى ليس فى امره رشد انما هو غى وضلال وفيه تعريض بان الرشد والحق فى امر موسى ثم ان قومه عدلوا
عن اتباع الى اتباع من ليس فى امره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة لهم فى الضلال كذلك يقدمهم اى يتقدمهم يوم القيمة الى النار وهم على اثره
ويجوز ان يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد العاقبة ثم فسره بانه يقدم قومه اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته وقد مر
قدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش ومثله اقدم ومنه مقدم العين وانما قال فاوردهم بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع والورود المورود
الموضع الذى يرد والمورود الذى يرد وشبه فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم نعى عليهم بقوله وبئس الورد الذى يردونه النار لان الورد
انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده وتذكير بئس لتذكير الورد وان كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت جاز نظرا
الى الدار في تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم واتبعوا في هذه حذف صفته في هذه الآية اكتفاء بما في قصة عاد بئس الرفد المرفود اى بئس العطاء المعطى
ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفدت اى اعينت وامدت باللعنة فى الآخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان
لعنة من الله والملائكة والاعنين فى الدنيا ولعنة فى الآخرة ذلك الذى ذكرنا او ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر ثم استأنف
فقال منها قائم وحصيد اى ومنها حصيد والمراد بعضها باق كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافى الاثر كالزرع المحصود وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم فى الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا بحقوق الله
فما اغنت فما قدرت ان ترد عنهم آلهتهم التى يدعون يعبدون وهى حكاية حال ماضية بأمر الله حين جاء وما زادوهم يعنى الاصنام غير تتبيب تخسير

او قوم هود من الريح العقيم

هود

خسر وتتبيب غيره وقع في الخسران كانوا يعتقدون في الاصنام انها معين في الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وستشفعهم عند الله في الاخرة
فلم ينفعهم في الدنيا حين جاءهم عذاب الله سهو ورثهم ذلك الاعتقاد عذاب النار في الاخرة فهم في خسران الدارين ثم بين ان عذابه غير مقصور
على اولئك الاقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال وكذلك اى ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك فالاخذ مبتدأ وكذلك خبره وقوله وهي ظالمة حال
من القرى باعتبار اهلها ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهو تحذير من خاتمة عاقبة كل ظلم على الغير او على النفس فعلى العاقل ان يبادر
الى التوبة ولا يغتر بالامهال التاويل ولا تنقصوا المكيال مكيال المحبة وميزان الطلب فمكيال المحبة عداوة ماسوى الله وميزان الطلب التسليم لحكم الشريعة
والطريقة اني اريكم بخير هو حسن الاستعداد الفطري ولكني اخاف عذاب هو خسار الاستعداد في طلب غير الحق بالقسط في تعظيم امر الله والشفقة على خلق
الله ولا تبخسوا الناس اشياءهم حقوق النصيحة وحسن الخشية في الله ولله ولا تعثوا في الارض وجودكم مفسدين بقية الله بقاؤكم به بعد فناءكم خير لكم مما فاتكم
بابقاء المكيال والميزان رزقا حسنا نورا تاما طعن بان اصلاح الامور والاستعداد ان ساعده التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد لان
الكفر كله ملة واحدة وما امر فرعون برشيد لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ القرى قرى الاجساد منها قائم قابل لتدارك ما فات ومنها ما هو محصود
بفوات الاستعداد والله اعلم بالصواب ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا
لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد
اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون
خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا
تنصرون واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا
كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل
عليه وما ربك بغافل عما تعملون القراءات وما نؤخره بالياء يعقوب المفضل الباقون بالنون يوم يات باثبات الياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو
جعفر ونافع وابو عمرو وعلي في الوصل الاخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد التاء البزي وابن فليح سعدوا بضم السين حمزة وعلي وخلف وحفص قيل انه
على حذف الهمزة من اسعد لان سعد لازم ولكنه قد جاء المسعود الاخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحماد والباقون بالتشديد
لما مشددا ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك في الطارق الباقون بالتخفيف زلفا بضمتين يزيد الاخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهاني
عن ورش وحمزة في الوقف يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وكذلك في اخر النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون
على الغيبة الوقوف الاخرة ط مشهود ه معدود ه باذنه ج وسعيد ه شهيق لا شاء ربك ط لان التقدير يعطون عطاء مجذوذ ه هؤلاء ط من قبل ط منقوص ه فاختلف فيه ط
بينهم ط مريب ه اعمالهم ط خبير ه ولا تطغوا ط بصير ه النار لا لان ما بعده من تمام جزاء ولا تركنوا ينصرون ه من الليل ط السيئات ط للذاكرين ه المحسنين ه منهم ج لان التقدير
وقد اتبع مجرمين ه مصلحون ه مختلفين لا رحم ربك ط خلقهم ط اجمعين ه فؤادك ج اذ التقدير وقد جاءك للمؤمنين ه مكانتكم ط عاملون ه للعطف وانتظروا ج اى فانا
منتظرون ه وتوكل عليه ط يعملون ه التفسير ان في ذلك الذي قصصنا عليك من احوال الامم لاية لعبرة لمن خاف اى لمن هو اهل لان يخاف عذاب الاخرة
كقوله هدى للمتقين لان انتفاعه يعود اليهم قال القفال في تقرير هذا الاعتبار انه اذا علم ان هؤلاء عذبوا على ذنوبهم في الدنيا وهي دار العمل
فلان يعذبوا عليها في الاخرة التي هي دار الجزاء اولى واعترض عليه في التفسير الكبير بان ظاهر الاية يقتضي ان العلم بان القيمة حق كالشرط في حصول الاعتبار
بظهور عذاب الاستيصال في الدنيا والقفال جعل الامر على العكس قال والاصوب عندي ان هذا تعريض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل
مختار وان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبياء مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان كذلك فلا يكون حصو
لها دليلا على صدق الانبياء اما الذي يؤمن بالقيمة ويخاف عذابها فيقطع بان هذه الوقايع ليست بسبب الكواكب واتصالاتها فيستفيد منها مزيد
الخشية والاعتبار اقول وهذا نظر عميق والاظهر ما ذكرت اولا ومثله في القران كثير ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ان في ذلك لقوم يذكرون ثم لما كان
لعذاب الاخرة دلالة على يوم القيمة اشار اليه بقوله ذلك يوم مجموع اى يجمع لما فيه من الحساب والثواب والعقاب الناس وثم اسم المفعول على صلة الاجل
افادة الثبات وان حشر الاولين والاخرين صفة له لازمة نظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل
وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه الخلائق فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف والاول ان هذا يدل على حضور الناس والوصف بمجموع
فيه مع اطلاع البعض منهم على احوال الباقين من المحاسبة والمساءلة لئين بحيث لا يعرف كل واحد الا واقعة نفسه الجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما

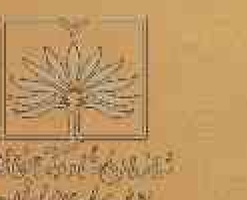
فسر ذلك اليوم بانه مشهود فيه لا انه مشهود في نفسه لان سائر الايام كذلك في كونها مشهودة فيه دون غيره وكما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه
دونها وما نؤخره الا لاجل معدود اى لانتهاء اجل معدودة اى لانقضاء مدة معلومة عين الله وقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احديهما ان وقت القيمة متعين لا يتقدم ولا
يتاخر والثانية ان ذلك الاجل متناه وكل متناه فانه يفنى لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يأت بحذف الياء والاكتفاء عنها
بالكسرة كثير في لغة هذيل وفاعل يأتي قيل الله كقوله او يأتي ربك اى امره وحكمه دليله قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشيء المهيب
الهائل المستعظم فحذف ذكره بتعينه ليكون اقرب في التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب
يوم بلا تكلم او باذكر مضمرا او بالانتهاء المقدر اى ينتهي الاجل يوم يأتي وتاء التأنيث محذوفة من لا تكلم والآيات الدالة على التكلم في ذلك اليوم مع الآيات
الدالة على نفي التكلم كقوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفي العذر الصحيح
المقبول واثبات العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب او الافراد العامة التي دلت عليها نفس فقال فمنهم شقي وسعيد اى
ومنهم سعيد ولا خلاف ان الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما الجنة والنار في الآخرة وانما النزاع في ان العمل سبب للشقاء
مثلا كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو مذهب اهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار
لاساءته وعند السني جريان القلم عليه في الازل بانه من اهل النار وانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسئلة قد مر مرارا قيل قد بقي ههنا قسم آخر
ليسوا من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله في صفة
اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار
الروح فيه ولهذا ترتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على كرب شديد وغم عظيم
والحاصل انهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة آخره وقال الحسن ان لهب جهنم يرفعهم بقوته حتى اذا وصلوا الى اعلى دركات جهنم
وطمعوا في ان يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد ويردونهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم
مرة اخرى هو الشهيق وقال ابو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند
اشتداد الكربة والحزن وربما يتبعهما الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد
والشهيق الصوت الضعيف عن ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال اهل التحقيق قوة ميلهم الى الدنيا ولذاتها زفير وضعفهم عن الاستسعاد
بكمالات الروحانيات شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث والمعقول اما القرآن فقوله سبحانه
خالدين فيها ما دامت السموات والارض اى مدة بقائهما الا ما شاء ربك وفيه استدلالان الاول ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض
المتناهية بالاتفاق الثاني استثناء المشيئة ويؤكد هذا النص قوله لابثين فيها احقابا واما الحديث فما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على
جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا واما المعقول فهو ان العقاب ضرر خال عن النفع لا في حق الله تعالى ولا في حق
المكلف فيكون قبيحا وايضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم والجمهور من الامة على ان عذاب الكافر دائم واجابوا عن الآية بان المراد
سموات الآخرة وارضها المشار اليهما بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الآخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والارض واذا علق حصول
العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا القرآن نزل على استعمالات العرب وانهم يعبرون عن الدوام والتأبيد بقولهم ما دامت السموات و
الارض ونظيره قولهم ما اختلف الليل والنهار وما اقام ثبير وما لاح كوكب ويمكن ايضا ان يقال حاصل الآية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض
دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات والارض دائمتان لزم دوام عقابهم وهو المطلوب بان قلنا لكنهما لم تدوما فانه لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج
شيئا وبعبارة اخرى دلت الآية على انه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنهما لم توجدا لم يلزم منه ان لا يوجد عقابهم او لا يوجد الا بعد الانتهاء الا على حصول العقاب لهم
دهرا طويلا او مدة مديدة واما انه هل يكون له آخر ام لا فذلك انما يستفاد من دليل آخر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الاستدلال
بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الانباري والفراء ان هذا الاستثناء لا ينافي عدم المشيئة كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وقد يكون عزمك
على ضربه البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك ورد بالفرق فان معنى الآية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشيئة قد حصلت جزما ولقائل ان يقول
الماضي ههنا في معنى الاستقبال مثل ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل الا بمعنى سوى اى سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم
كانه ذكر في خلودهما ما ليس عند العرب اطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له وقال الاصم وغيره المراد ان مكثهم في الدنيا وفي البرزخ او في الموقف وقيل
الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق كانهم يصيرون آخر الامر الى الخمود والجمود وقيل فائدة الاستثناء ان يعلم اخراج اهل التوحيد من النار والمراد الا
من شاء ربك هذا التأويل مما يليق بقاعدة الاشاعرة واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد فكانه تعالى يقول اظهرت القهر والقدرة والرحمة لاني
فعال لما اريد وليس لاحد على حكمي البتة واما المعتزلة فكانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثاني لا يساعد لحصول الاجماع على ان احدا من
اهل الجنة لا يدخل النار فالصواب ان يقال انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار ينقلون الى الزمهرير
والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله واهل الجنة ينقلون الى العرش والى ما هو اعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قالوا انه ختم آية الوعيد

بقوله

بقوله إن ربك فعال لما يريد دائرة الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ رعاية للمطابقة كانه قال انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل
الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمل فانه الحق واما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير
فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول يحتمل ان يكون لا لف بسبب عدم الاحساس بالعذاب او يكون سبب الالتذاذ بالمالوف فيكون خلو اشارة الى
هذا المعنى واما الجواب عن المعقول فهو ان السير في الله ومبداء من عالم التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعد عنه ايضا يجب ان يكون غير متناه او نقول
لا نهاية لنوره فلا غاية لظلمة الغافل عنه والمنكر له او نقول اوضح الاشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص ذاهلا عنه كان مسلوب الاستعداد بالكلية فلا
يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم الطبيعة والعبارات في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد يدركه من وفق له دخلوا لاجله ولما فرغ من
اقاصيص عبدة الاصنام وبيان احوال الاشقياء والسعداء سلى رسول الله صلعم بشرح احوال الكفرة من قومه في ضمن نهي له عن الامتراء في سوء مغبتهم قائلا
فلا تك حذف النون لكثرة الاستعمال في مرية في شك مما يعبد ما مصدرية او موصولة اي من عبادة هؤلاء او من الذي يعبده هؤلاء المشركون والمراد النهي عن
الشك في سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهي مستانفا فقال ما يعبدون الا كما يعبد كالذي يعبده اباؤهم او كعبادة ابائهم والحاصل انهم شبهوا بابائهم في
لزوم الجهل والتقليد وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية او من ازالة العذر واحزاء العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب ونصيبهم
من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم وفي الكشاف غير منقوص حال من النصيب ليعلم انه تام كامل اذ يجوز ان يوفى بعض الشيء كقولك وفيته شطر حقه
قلت هي معنا لطيف لان قول القائل وفيته شطر حقه التوفية تعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال فالصواب ان يقال انه حال مؤكدة
او صفة تقوم مقام المصدر اي توفية غير منقوصة ولا تعثوا في الارض افسادا ثم اورد نظيرا لانكارهم نبوة محمد صلعم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
امن به قوم وكفر به قوم اخرون كما اختلف في القران والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من ربك هي ان رحمتي سبقت غضبي وهي
انذار الجزاء الى الاخرة لا الدنيا او هي ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال لقضي بينهم بين قوم موسى او بين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب
الانجاء والاهلاك ثم ذم من جملة التسلية انهم وانهم يعني قوم موسى او قومك لفي شك منه من كتابهم او من امر المعاد او القضاء والجزاء ثم جمع الاولين والاخرين
في حكم توفية الجزاء ثوابا او عقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي ان كلهم يعني ان جميع المختلفين فيه ومن قرأ بالتخفيف فعلى اعمال
المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن لم يك ومن قرأ لما مخففا فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان وبين لام جواب
القسم المقدر كما فصلوا بالالف بين النونات في قولهم اضربنان ويمكن ان يكون ما نكرة اي لخلق او جمع والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح
وايمان وجحود ومن قرأ لما مشددا فاصله لمن ما فقلبت النون ميما فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى وابقاء الساكنة لاتصال اللام بها ويجوز ان يكون مخففا وجاز بحذف الاولى
اصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسليمان بن ارقم فحذف تنوين لما ممدودا ومعناه ملمومين اي مجموعين في قراءة ابي وان كل لما ليوفينهم على ان نافية ولما بمعنى
الا كما في الطارق ولا يخفى ما في الاية من مؤكدات توفية الجزاء وان شيئا من الحقوق لا يضيع عنده منها لفظة ان ومنها لام خبر ان ومنها كل ومنها ما المزيدة ومنها القسم
ومنها لام القسم ومنها نون التاكيد ومنها لفظ التوفية ومنها ذكر ربك فان من يربيك يقدر على توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الاية بقوله انه بما تعملون
خبير فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل احد وبقدر جزاء عمله وقادرا على ايصال ذلك اليه ثم ان كثر مع حقوق صدق
وقد اخبر عن التوفية مع المؤكدات المذكورة فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم امر نبيه ليقتدي به امته بكلمة جامعة للعقائد والاعمال قائلا فاستقم كما امرت
عن جعفر الصادق عم معناه افتقر الى الله بصحة العزم يعني او ثق به والتوكل عليه ومن تاب معك عطف على الضمير في فاستقم وصح للفصل او هو ابتداء
اي ومن تاب معك فليستقم او مفعول معه ثم كما امر بالاستقامة على جادة الحق نهي عن الانحراف عنها فقال ولا تطغوا والطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس
يريد تواضعوا للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حدود القران بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذه الاية اصل عظيم في الشريعة
فيكون التثليث في الوضوء واجبا كما ورد في القران وكذا القول في الحدود والكفارات ونصاب الزكوة واعداد الركعات وغيرها من جميع المامورات والمنهيات
ويجب الاحتياط في المسائل الاجتهادية وفي القياسات وكذا في الاخلاق والملكات فان في كل حالة طرفا افراط وتفريط فيهما مذمومان والمحمود هو الوسط
وهو الصراط المستقيم المامور بالاستقامة والثبات عليه لا ريب ان معرفته صعبة وتقيد معرفته بالعمل به والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت
على رسول الله اية في القران اشد ولا اشق من هذه حتى ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال صلعم شيبتني هود واخواتها هذه الاية منها ثم لما كان الركون الى
السوء مدخل عظيم في تغيير العقائد وتبديل الاخلاق نهي عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال ولا تركنوا اي لا تميلوا بالمحبة والهوى الى الذين
ظلموا اتفق المحققون ان الركون المنهي عنه هو الرضاء بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب
فاما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون واقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم
بالكلية اليس الله بكاف عبده وفي قوله فتمسكم النار اشارة الى ان الظلمة اهل النار بل هم في النار او كالنار اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار
ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من تتمة الجزاء وقال في الكشاف او الحال من اولياء من انصار اي لا يقدر على
منعكم من عذاب الله الا هو ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو ايضا وفيه افراط كلي فانه ثم يستبعد لنصره من الظلم قال اهل التحقيق الركون الميل اليسير
وقوله الى الذين ظلموا اي الذين حدث منهم الظلم فلم يقل ولا تميلوا الى الظالمين ليدل على ان قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم

يوجب هذا العقاب اذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم في نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه
وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف
على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم من انواع الاستقامة اقامة الصلوة تنبيها على شرفها فقال واقم الصلوة قيل تمسك
بعض الخوارج بهذه الاية على ان الواجب من الصلوة ليس الا الفجر والعشاء لانهما طرفا النهار وهما الموصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا
غاية ما في الباب ان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وهو كثير في كلامهم ولئن سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر بان اقامة
الصلوة في طرفي النهار كفارة لترك سائر الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالاية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفي النهار منصوب على
الظرف لاضافتهما الى الوقت فيكتسب المضاف حكم المضاف اليه كقولك اتيته نصف النهار والطرفان هما الغدوة وهي الفجر والعشية وفيها الظهر والعصر لان
ما بعد الزوال عشي وزلفا جمع زلفة كظلم وظلمة اي ساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وقرئ زلفا بسكون اللام نحو بسرة وبسر
وزلفا بضمتين نحو بسر في بسر وقيل زلفى اي قربة فيكون معطوفا على الصلوة اي اتم الصلوة واتم زلفى اي صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض
الليل وبالجملة فصلوة الزلف المغرب والعشاء وقيل ان طرفي النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهب ابي حنيفة ان التنوير بالفجر افضل وتاخير
العصر افضل لان الامة اجمعت على ان نفس الطرفين هما وقت الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة فكل وقت كان اقرب الى الطرفين كان اولى باقامة الصلوة
فيه حملا للمجاز على ما هو اقرب الى الحقيقة مهما امكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره وللقائل ان يقول هذا لا يتمشى في صلوة الفجر لان الطرف الاول
للنهار في الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير يبعد الصلوة منه لا يقربه ولا ادري كيف ذهب عليه هذا المعنى مع افراط عصبيته للشافعي واستدل ايضا لابي
حنيفة على مذهبه في وجوب الوتر ان اقل الجمع ثلثة فيجب اقامة الصلوة على النبي في ثلث زلف من الليل اي ثلث ساعات ذهب منها ساعتان للمغرب والعشاء
فتعين ان يكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب علينا لقوله فاتبعوه وللمانع ان يمنع ان اقل الجمع ثلثة اشياء ثم ان كل ساعة لاجل صلوة ثم ان كل ما يجب
على النبي يجب على الامة لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله اعم من ان يكون على تلك الجهة ام لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون نزلت في ابي
اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها واصاب
منها كل ما يصيب الرجل من امرأته سوى الجماع ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم
اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي انه قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات
يذهبن السيئات قال ابن عباس الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد
الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يحتج بالاية على ان المعصية لا تضر مع الايمان الذي هو راس الاعمال الحسنة ذلك
المذكور من قوله فاستقم الى ههنا ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين وارشاد للمسترشدين ثم امر بالصبر على التكاليف المذكورة امرا ونهيا ونص على ان
الاتيان بها احسان وان جزاءه يحصل لا محالة فقال واصبر الاية ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب في حلول عذاب الاستيصال بهم امران الاول
انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اي فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ذوو خير ورشد وفضل وذلك ان الرجل يستبقي مما
يخرجه اجوده وافضله فصار البقية مثلا في الجودة يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وجوز في الكشاف ان يكون
من البقوى كالتقية من التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه الا قليلا استثناء متصل لان في تحضيضهم على النهي
عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اناس ناهون الا قليلا ومن في ممن انجينا للبيان اي هم الذين انجيناهم قال في الكشاف لان النجاة انما
هي للناهين وحدهم وللقائل ان يقول اذا كان النهي عن المنكر فرض كفاية لم يلزم ان ينحصر النجاة في الناهين فيحتمل ان يكون من للتبعيض ويجوز على ما في الكشاف
ان يكون الاستثناء منقطعا معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد ولو جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى
فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما يقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم يريد
استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن اقول لم لا يجوز ان يكون المراد من استثناء الصلحاء منهم انه لا حاجة لهم الى التحضيض كانك قلت اخص
قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون الى ذلك لانهم مواظبون عليها على ان في جعل الاستثناء منقطعا شبه تناقض لان اول الكلام
يدل على انه لم يكن فيهم ناه وآخره يدل على ان القليل منهم قد نهوا فتامل في هذا المقام فانه من مزلة الاقدام السبب الثاني في نزول العذاب قوله
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي تبعوا ما عرفوا فيه من التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة واسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين
فهذه الجملة معطوفة على مدلول الجملة التحضيضية اي ما كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون في الكلام اضمار والواو للحال كانه
قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمترف الذي ابطرته النعمة وصبي مترف منعم البدن وقوله وكانوا مجرمين اما معطوف على
اتبع اي وكانوا مجرمين بذلك او على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر ثم بين
انه ما ينبغي له سبحانه ان يهلك القرى بظلم قال اهل السنة اي بظلم كائن اي بسبب مجرد الشرك والحال انهم مصلحون في المعاملة والعشرة فيما بينهم و
ذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير ان عذاب الا

الاستيصال انما نزل بقوم لوط وشعيب كما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد في الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى استحال في
الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون في العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان الكل بمشيته واراده
فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة محمد يزيد المعتزلة يحملون هذه المشية على مشية الالجاء والقسر وقد مر مرارا ولا يزالون مختلفين في الاديان
والاخلاق والافعال فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استنتاج العلوم كلها والمعارف ولم يثبت
لهذا العالم الجسماني مبدا اصلا وهم الدهرية ومنهم من اثبت له مبدا موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا المقام تحقيق ليس ههنا
موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من اثبتها وهم المسلمون والمجوس واليهود والنصارى وفي كل واحد من هذه الطوائف اختلافات
لا يكاد يدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاختلاف في الاية على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف في الاديان
وما يتعلق بها لانه يتبوع عن ذلك ما قبل الكلام وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك قالت المعتزلة الا
ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة جميع الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة ايضا في حق الكافر وهذه
الرحمة امر مختص بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال ولذلك خلقهم فاختلف العلماء في المشار
اليه بذلك فالمعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان منه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق لحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل لسوء
اختياره او ولما ذكر من الرحمة خلقهم ثم الاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث انه خلق الجنة وخلق لها اهلها وخلق النار وخلق
لها اهلها والدلائل الدالة على ان الكل بايجاده وتخليقه وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار بقوله وتمت كلمة ربك اي علمه وارادته او قوله للملئكة
لاملان جهنم الاية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكور في السورة فقال وكلا اي كل نبا نقص عليك وقوله من انباء
الرسل بيان لكل وما نثبت بدل من كلا والمراد وكل نوع من الاقتصاص على انه مصدر اي على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت
فواده زيادة اليقين والطمانينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم او المعنى تثبيت قلبه على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومه اسوة بسائر الانبياء
وجاءك في هذه السورة او في هذه الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدا والوسط والمعاد وموعظة وهي الدلائل المقنعة الموقعة
للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص انفع والثاني للعوام انجع وذكرى للمؤمنين وهي الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة في الاخرة المحصلة لما
هنالك من السعادة فان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لابد لها من قابل وفاعل
وقابلها القلب لانه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت
الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بل بيانها وهي قوله فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب
في غاية الحسن ثم امر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا وقد مر تفسير مثله في هذه
السورة وفي الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر فانا منتظرون
بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة باية مشتملة على جميع المطالب من امر المبدا والوسط والمعاد وقد سبق تقريره في اخر البقرة في تفسير امن الرسول
فلا حاجة الى الاعادة التاويل ما دامت السموات والارض اي ما دامت سموات الارواح والقلوب وارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء و
ذلك ان اهل الشقاء ضربان شقي واشقى فالشقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فيخلص من النار اخرا والاشقى وهو الكافر يبقى فيها مخلدا ومن اهل الجنة سعيد
يبقى خالدا فيها واسعدهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهناك مقام الوحدة التي لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ ولنوفينهم
نصيبهم الذي قدر لهم في الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضي بينهم بالهلاك عاجلا لفي شك منه اشارة الى الضلال
وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا اي كل واحد من الضالين والمضلين فاستقم امر التكوين لذلك قال كما امرت اي في الازل وفي قوله
ومن تاب معك اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج فيحتاج الى الرجوع من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب امر
التكوين كالنبي ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الاعمال الصالحة في الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة في قضاء الحوائج النفسانية
الضرورية وذلك ان تعلق الروح النوري العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا ان يتداركه
انوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدة الربانية فيندفع عنه ظلمة الجسد السفلي مثاله الحبة في الارض
فانه من خسران الحبة الا ان يتداركه الماء وسائر الاسباب فيربيها الى ان يصير الواحدة الحبة الى سبعمائة وما ذلك الذي كونا من التدارك عظة
للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا الله في جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكانهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق
ضعيفا ليس يقدر على صرف جميع الاوقات في محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون من التخصيص حقيقته السؤال لجاب بانه لم يكن كل لانه
فاعل مختار فعال لما يريد خلق خلقا للاقرار وخلق خلقا للانكار ولا اعتراض لاحد عليه يؤيده قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
طالبة للحق متوجهة اليه ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله الا من رحم ربك ولذلك اي للطلب
الله خلقهم بجنس الاستعداد لان رحمته سبقت غضبه لكن وقع التوفيق في طريق الظهور في الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك جرى القلم بالضرورة وما ينبغي به



فوارك التثبيت منه والتشكيك منه بيده مفاتيح ابواب اللطف والقهر وقل للذين لا يؤمنون لطلب الحق ووجدنا اعملوا في طلب المقاصد من باب
القهر انا عاملون في طلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتايج اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض اي ما غاب عنكم مما اودع
من لطفه في سموات القلوب ومن قهره في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقا ومظاهر اللطف والقهر فاعبده ايها الطالب للحق فانك
مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل في الازل عما تعملون الى الابد والله حسبي
سورة يوسف مكية وقيل فيما بين مكة الى المدينة وقت الهجرة وهي مائة واحد عشر آية وتسعة عشر كلمة والف وسبع مائة وست وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

ع ١ الر تلك آيات الكتاب المبين ۝ انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ۝ نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت
من قبله لمن الغافلين ۝ اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ۝ قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ۝ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها
ع ٢ على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ۝ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ۝ اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين ۝ اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ۝ قال قائل منهم لا
تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ۝ قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ۝
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ۝ قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون ۝ قالوا لئن اكله
نصف الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ۝ فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ۝
وجاؤا اباهم عشاء يبكون ۝ قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ۝
وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ۝ وجاءت سيارة فارسلوا واردهم
فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ۝ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ۝ القراءة
يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرا ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر في الحالين احد عشر بسكون العين يزيد
وابن عباس والخراز لي ساجدين بفتح الياء الاعشى البرجمي يا بني بفتح الياء كان حفص والمفضل الباقون بكسرها رؤياك بالامالة على غير قتيبة وليث وقرا
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرا يزيد وابو عمرو غير شجاع وورش من طريق الاصبهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همزة آيات للسائلين على التوحيد ابن
كثير الآخرون آيات على الجمع يخل لكم بالادغام شجاع من طريق ابي غالب ابو شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد
لا تامنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلواني عن قالون الآخرون بالاشمام الذيب وما بعده بغير همز ابو عمرو غير شجاع واوقية ويزيد والاعشى وورش
وخلف وعلي وحمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما وبالجزم عاصم وحمزة وعلي وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما وبالجزم ابن عامر وابو
عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي وابي ربيعة عن قنبل فانهما نرتعي بالكسر مع الياء بعده نرتع ونلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني
يعقوب غير رويس ليحزنني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا نافع ليحزنني بفتح الياء ايضا ولكن من باب الافعال بل سولت وبابه مدغما حمزة
وعلي وهشام يا بشرى بالامالة غير مضاف حمزة وعلي وخلف وحماد والخراز عن هبيرة يا بشراي بغير امالة ولا اضافة عاصم غير حماد والخراز الباقون يا
بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم الوقوف الوقف المبين كوفي لا تصلون غيركم لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم في الر القرآن والوصل
اصح لان الواو للحال الغافلين ساجدين كيدا ط مبين واسحق ط حكيم للسائلين عصبة ط مبين ج والعربية توجب الوقف فان قيل ان الابتداء
لا يحسن صالحين فاعلين لناصحون لحافظون غافلون لخاسرون في غيابت الجب لاحتمال ان يكون جواب المحذوف والواو زائدة واوحينا للاستيناف
تقديره فعلوا وامضوا عليه وان يكون الواو مقحمة والجواب واوحينا لا يشعرون يبكون ط فاكله الذئب لابتداء النفي مع واو العطف صادقين كذب ط امرا ط
جميل ط تصفون دلوه ط غلام ط بضاعة ط يعملون معدودة ج لاحتمال الواو والحال الزاهدين التفسير قال في الكشاف تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب
المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند
الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سالت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي
ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف قول مدار هذه التفاسير على ان ابان
الشيء وابان هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على
كله وعلى بعضه وقوله قرآنا عربيا يسمى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائي بانزال القرآن وبكونه عربيا وآيات على انه محدث لان
هذه من اوصاف المحدثات واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه
ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على انه اراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا توحيده وامر دينه واجيب بان الآية لا تدل الا انه انزل
هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على انه اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة القصص اشتقاقه من قص

التفسير

لا بمعنى مسلم
ابان هم

يوسف

اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية ثم ان كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون احسن مثله لاضافته الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة اوحينا اليه عليه ويكون هذا القران بايحائنا اياه اليك على هذا فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتصة في كتب الاولين وفي كتب التواريخ لم يبلغ شيء منه الى حد الاعجاز وان اريد بالقصص المقصوص كما يراد بالنبا المنبا والخبر المخبر فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب ولان هذه الحكاية اي القصة ولا سيما فيما يرجع الى صلاح حال المكلف في الدارين ووجه حسنها اشتمالها على الغرائب والعجائب والنكت والعبر وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد وروي ان اصحاب رسول الله صلعم ملوا ملة فقالوا يا رسول الله صلعم لو حدثتنا فانزل الله عز وجل نزل احسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك يؤمرون بالقران وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة وعن الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص فاذا اقتص وقته فقد قص المقصوص ومنصوب باضمار اذكر ويوسف ليس عربيا على الاصح اذ لا سبب بعد التعريف الا العجمة فهو اسم عبراني ومن ظن انه من اسف يوسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فيوجد فيه وزن الفعل المبهم فقد اخطأ لان القراءة المشهورة تاباه ولن يكون الاسم عربيا تارة واعجميا اخرى وفي هذا الخلاف وفي يونس ايضا عن النبي صلعم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال النحويون التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتانيث لانها قد تقلب هاء في الوقف ويجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسرة فيه لمناسبة الياء التي هي بدل منها والفتحة اما فتحة الياء فيمن يفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا ابتا اني رايت هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب له لا تقصص رؤياك ولان ذلك لو كان في اليقظة لكانت اية عظيمة ولم تخف على احد من قرأ احد عشر بسكون العين فلكراهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلعم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله صلعم فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال النبي صلعم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف و الشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها واقول ان اكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند اهل الهيئة فان صح الخبر فهي من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل وانما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير سؤال كانه قيل له كيف رايتها فقال رايتهم لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لان السجود من شان العقلاء كقوله للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم احياء ناطقة فلا حاجة الى التعذر عبر ابوه رؤياه بان اخوته سيسجدون له وهم احد عشر وكذا ابواه وهما الشمس والقمر وقيل هما ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة التي حول القمر وهي الهالة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان الرؤيا الرديئة تظهر اثرها عن قريب كيلا يبقى المؤمن في الغم والحزن والرؤيا الجيدة يبطئ اثرها ليكون بهجة المؤمن ادوم قوله فيكيدوا منصوب باضمار ان جوابا للنهي واللام في لك لتاكيد الصلة مثل نصحتك ونصحت لك قال في الكشاف ضمن الكيد معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون ابلغ في التخويف وقيل متعلق بالمصدر الذي بعده ثم انه وصل بهذه النصيحة شيئا من تعبير رؤياه فقال وكذلك اي مثل اجتبائك لهذه الرؤيا الشريفة يجتبيك ربك لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته وخص المحل للاجتباء بالنبوة قال في الكشاف ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك اقول ولعل ادخاله في حكم التشبيه ليس بضائر وفي تاويل الاحاديث للناس فيما يرونه في منامهم سمي التعبير تاويلا لانه يؤول امره الى ما راه في المنام او يؤول امر ما راه في المنام الى ذلك والاحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة لانها التي يتحدث بها الناس ومنها انه تبيين معاني كتب الله وسنن الانبياء لان المفسر والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها ان الحديث بمعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه واما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة ولان اتمام النعمة عليه شبه اتمامها على ابرهيم واسحق ومن المعلوم ان لا امتياز بينهما وبين قرابتهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه ويكون وجه التشبيه انجاؤه من السجن والجب كانجائهما من النار والذبح والمراد بال يعقوب نسله قيل يعقوب علم ان يوسف واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب واعترض بما فرط منهم في حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقيل اتمام اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعم الاخرة و

بن الكريم صح

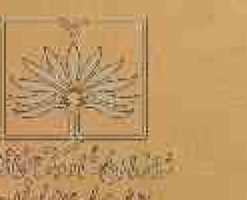
قال نعم صح

لان التمام المطلق في حق البشر ليس الا بالنبوة صح

انه جعلهم ملوكا وانبياء وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك لان الجد في حكم الاب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر مشرق قيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على جزمه بها فكيف خاف بها على يوسف حتى قال اخاف ان ياكله الذئب والجواب لعل جزمه بذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف ان ياكله الذئب كيلا يتهاونوا في حفظه فان للوسايط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها لقد كان في يوسف اي في قصته وحديثه ايات للسائلين لمن سال عن تلك القصة وعرفها او ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انه يجب ان يصبر على بغي قومه الى ان يظهر امره كما فعل يوسف يروى ان اسامي اخوته يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة وهؤلاء من ليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا اذ ظرف لكان او منصوب باضمار اذكر ليوسف اللام لام الابتداء لتحقيق مضمون الجملة واخوه اي لابيه وامه عنوا بنيامين احب اذا كان افعل التفضيل مستعملا بمن لم يتصرف فيه ونحن عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب بكفايتهم اي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة نكفي مهماته ونقوم بمصالحه ان ابانا لفي ضلال مبين اراد والضلال الاخطاء وهو البعد عن طريق اصلاح المعاش وحسن المعاشرة مع الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب ليس لله فيه تكليف لعل يعقوب تفرس في يوسف ما اوجب اختصاصه بمزيد البر من جملة اقوالهم انهم قالوا لما تشاوروا في امره اقتلوا يوسف قيل الامر بالقتل شمعون او دان ورضي به الباقون فجعلوا جميعا امرين والظاهر انه قال ذلك بعضهم بدلالة الترديد بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم او اطرحوه فكان بعضهم اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح ومهما صدر امر من بعض القوم صح اسناده اليهم كقوله واذ قتلتم نفسا وانتصب ارضا على الظرف كالظروف المبهمة اي ارضا مجهولة بعيدة عن العمارة يخل لكم وجه ابيكم يخلص محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه لتصوير الاقبال عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه الذات والمراد يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا مجزوم لانه معطوف على جواب الامر من بعده من بعد قتله او اطراحه او من بعد يوسف اذ القتل او غربة قوما صالحين تائبين الى الله او الى ابيهم بعد ان تمهدوا عذره بما جنيتم عليه او المراد صلاح دنياهم وانتظام امورهم وتفرغهم لها بعد يوسف بفراغ البال قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من اولاد الانبياء والقوه في غيابة الجب سمي البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شيء سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب منها عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قرا على الجمع فلان للجب اقطارا او نواحي يلتقطه بعض السيارة اي الرفقة السابلة قال ابن عباس اي المارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ونحوه يستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين ان لم يكن بد من فعل هذا الامر بد فهذا هو الراي ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر امارات ذلك على صحائف اعماله واقواله فلذلك قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ما وجد منا في بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق فارسله معنا غدا يرتع ويلعب من قرا بالجزم فمن الرتعة كالامنة وهي الخصب والسعة ومن قرا بالكسر فعلى حذف الياء من يرتعي مستعار من ارتعاء الابل والماشية واللعب ترك ما ينفع الى ما لا ينفع فمن قرا بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قرا بالنون فلانه كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي لعبا لانه في صورته او اللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر كقوله صلى الله عليه وسلم لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قال اني ليحزنني لام الابتداء للتاكيد او لتخصيص المضارع بالحال واخاف ان ياكله الذئب اصله الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كانت ارضهم مذأبة فلذلك قال اخاف وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء في امثالهم البلاء موكل بالمنطق قوله انا اذا جواب القسم ساد مسد جواب الشرط حلفوا له ان كان ما خافه حالهم انهم رجال كفاة وحماة فهم اذن لخاسرون عاجزون او مستحقون للدعاء عليهم بالخسار او المراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من الذئب فلم يجيبوا عن الاول لانه هو الذي كان يغيظهم فلم يعبؤوا بذلك الكلام فخصوا الجواب بالثاني وههنا اضمار والتقدير فاذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا على ان يجعلوه في غيابة الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ثم انه كان جواب لما محذوف وفي الاية اضمار اخر كما تقدم في الوقوف قال السدي ان يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا حتى يؤنسوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وروي انه عليه السلام لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وحكي ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه

يوسف لتنبئنهم

اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه في صغر السن
كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان في ذلك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المنسي المغير للهيئات والاشكال يروى انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم وبقي له يوسف كان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به
القيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يراد وهم لا يشعرون انا انبأناه بالوحي وازلنا الوحشة عن قلبه فيتعلق
الجملة بقوله واوحينا وروى ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما
ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية عن مقاتل انما جاؤا عشاء لئلا يظهر امارة الخجل والكذب على وجوههم فلما سمع صوتهم يعقوب
فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو وفي الرمي وقيل نتصل
وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لشدة محبتك ليوسف وفيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق
والثقة فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاؤا على قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور لا يتقدم عليه
بدم كذب اي كذب به او دم هو الكذب بعينه مبالغة يروى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وروى ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين
القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص
يوسف ثلث آيات اية ليعقوب على كذبهم واية حين القاه البشير على وجهه فارتد بصيرا واية على براءة يوسف حين قد من دبر ولما تبين يعقوب بالايات
المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال على سبيل الاضراب بل سولت قال ابن عباس بل زينت لكم انفسكم امرا في شانه وهو تفعيل من السول الامنية قال
الازهري واصله مهموز غير ان العرب استثقلوا فيه الهمزة وقال في الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير دليل التعظيم
فصبر جميل لا بد من تقدير مبتدأ او خبر اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي الحديث انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق لقوله انما اشكو بثي و
حزني الى الله وقيل اي لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت يحكى انه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا
فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب تشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي ثم الحق بين ان الصبر على ما وصفوه من هلاك
يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال والله المستعان على ما تصفون فالفريقتان كقوله اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الاية ان الصبر ان كان
لاجل الرضا بقضاء الله تعالى او لاستغراقه في شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بان هذا
الصبر كان فيه اعانة الظالمين واهمال التخليص المظلوم من المحن والشدائد والترقية فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتفحص ولو
بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه ولعله ان بالغ في البحث قدروا على قتله
او علم ان الله تعالى يصون يوسف وسيعظم امره بالاخرة فلم يرد هتك ستر اولاده والقائهم في السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني سهمي فكان
الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من
مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة
وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء ومعنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي
القوم فادلى دلوه ارسلها في البئر قال الواحدي فاذا نزعها واخرجها قيل دلاها فلما ادلاها تعلق بها يوسف فظهر يوسف للوارد قال يا بشرى هذا غلام كانه ينادي البشرى
ويقول تعالي فهذا اوانك فمتى قال الوارد بهذا الكلام قال جمع من المفسرين حين رأى يوسف متعلقا بالحبل وقال آخرون لما دنا من اصحابه صاح بذلك
يبشرهم به قال السدي كان للوارد صاحب يقال له بشرى فناداه يا بشرى كما يقال يا زيد والاكثرون على انها بمعنى البشارة فقال ابو علي يحتمل ان يكون منادى
مضموما مثل يا رجل وان يكون منصوبا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا في جنس البشرى ومن قرأ بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في واسروه
اما عائد الى الوارد واصحابه اي اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط او في الشرى ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم كتموه من الرفقة
او قالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس انهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول اولى بدليل قوله بضاعة وهي نصب على الحال اي اخفوه متاع التجارة
واصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله تعالى اعلم والله عليم بما يعملون فيه وعيد اما للوارد واصحابه حيث استبضعوا ما ليس لهم
او لاخوة يوسف وذلك ظاهر وفيه ان كيد الاعداء لا يدفع شيئا مما علم الله من حال المرء والضمير في قوله وشروه اما ان يعود الى الوارد واصحابه اي باعوه
بثمن قليل لان الملتقط للشيء متهاون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده قال اهل اللغة زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه
رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة والمعنى باعوه او الى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فعلة رغبتهم في يوسف ظاهرة
والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك انهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلثة ايام
يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب وراوا اثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا هذا عبد ابق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم



الجزء الثاني عشر

انه ولد ليعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخرة بثمن بخس اي منقوص ناقص عن القيمة او ناقص
العيار وقال ابن عباس البخس هنا الحرام لان ثمن الحر حرام دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي
الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين اخذ كل واحد من الاخوة درهمين الا يهودا فانه لم ياخذ شيئا ويروى
ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق والظاهر ان الضمير في فيه عائد الى يوسف ويحتمل ان يعود الى الثمن البخس اي اخذ وانه ثمنه ما ليس يرغب
فيه قال النحويون قوله فيه ليس متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلة وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو
متعلق به فلا يقال مثلا وكانوا زيدا من الضاربين فهو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فيه والله تعالى اعلم التأويل تلك آيات الكتاب ذلك الكتاب
المحبو الى المحب لله هداية الى طريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها اتم قصص القرآن مناسبة ومشابهة باحوال الانسان اذ قال يوسف القلب
لابيه يعقوب الروح اني رأيت احد عشر كوكبا هن الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة اي المدركة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة
ولكل من هذه اضاءة اي ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس
رأيتهم لي ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى وكذلك يجتبيك ربك على سائر
المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تأويل الاحاديث العلم اللدني المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يتجلى لك ويستوي لان القلب
عرش حقيقي للرب وعلى آل يعقوب اي متولدات الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم السر واسحق الخفي وبهما يستحق القلب القبول
فيض التجلي وهناك لله الطاف خفية لا يسع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل آيات للسائلين عن طريق الوصول الى الله ليوسف واخوه بنيامين
الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب احب الى ابينا منا لان القلب محل عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسي للعرش اقتلوا
يوسف القلب بسكين الهوى وبسم الميل الى الدنيا او اطرحوه في ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم يقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها
وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للتنعم الحيواني والنفساني قال قائل منهم هو يهودا القوة المفكرة لا تقتلوا يوسف القلب والقوه في غيابت الجب
القالب وسفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية يرتع في ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وآفاتها لئن اكله الذئب
الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع اجزاء الانسان في هلاك القلب وربحها في سلامة القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من
خصوصية تعلق الروح بالقالب ان يتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعد وان
كانت للنفس شقي وجاؤا اباهم عشاء اي في النصف الآخر من مدة العمر يستبقون نتشاغل باللهو في ايام الشباب وتركنا يوسف القلب مهملا معطلا عن
الاستكمال فاكله ذئب الشيطان وجاؤا على قميصه اي قالب القلب بدم كذب هو آثار الملكات الردية زعموا انها قد سرت الى القلب وزالت نور
الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدر والله المستعان على ما تصفون من رين القلب وموته
وجاءت سيارة هي هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم وارد من واردات الحق فادلى دلوه جذبة من جذبات الرحمن قال يا بشرى فيه اشارة
الى ان الجذبة بشارة في تعلقها بالقلب كما ان للقلب بشارة في خلاصه من جب الطبيعة كما قال تعالى يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة البشارتين
وبما يعملون من شراه بثمن بخس هو الحظوظ الفانية في ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع
الدنيوية العاجلة والله اعلم وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد
همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه
من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد
من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى
قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ
وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب
السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه
هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين القراآت هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء
ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازي عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلواني عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء البخاري عن هشام الباقون هيت
بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف في احسن بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن

زهد وانقيل

ع ١٣

ان كيدكن

ع ١٤

كثير من قبل ومن دبر بالاختلاس عباس قد شغفها مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم
الآخرون بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده في الحالين بالالف ابو عمرو ربي السجن بفتح السين على انه مصدر يعقوب الباقون بالكسر الوقوف وكذلك
في الارض بناء على ان الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا او هي عطف على محذوف قبله اي ليتمكن ولنعلمه والاظهر انها تتعلق بمحذوف بعده اي لنعلمه
من تاويل الاحاديث كان ذلك التمكين الاحاديث ط لا يعلمون ه وعلما ط المحسنين ه هيت لك ط الظالمون ه همت به ج فقد قيل بناء على ان قوله وهم جواب لولا
وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو لحقق ما هم به كذا قال السجاوندي واقول لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد وهم
بها ج برهان ربه ط والفحشاء ط المخلصين ه لدى الباب ط اليم ه عن نفسي لم يذكر الائمة عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد على راودتني او
على جملة هي راودتني من اهلها ج على تقدير وقال ان كان من الكاذبين ه الصادقين ه من كيدكن ط عظيم ه عن هذا سكتة للعدول عن مخاطب الى مخاطب لذنبك ج
لاحتمال التعليل الخاطئين ه عن نفسه ج لان قد تحسين للابتداء مع اتحاد القائل حبا ط مبين ه عليهن ج متكأ ط كريم ه فيه ط فاستعصم ط لاحتمال القسم الصاغرين ه
اليه للشرط مع الواو الجاهلين ه كيدهن ط العليم ه حين ه

التفسير قد ثبت في الاخبار ان الذي اشتراه اما من الاخوة او من الوارد بن ذهب الى مصر وباعه فاشتراه
العزيز واسمه قطفير او اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل او من الوارد بن ذهب به الى مصر
من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف وروي ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام
في منزله ثلاث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم آتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلاث وثلاثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في
ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاءكم
آباؤكم وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعنى اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا وفي هذه العبارة دلالة على انه عظم شان يوسف كما يقال
سلام على المجلس العالي وقال في الكشاف المراد تعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا وتقول للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل
الرجل به من انسان رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام في لامراته يتعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا بكفاية
بعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له ولد او كان حصورا وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامراته اكرمي مثواه
فتفرس في يوسف ما تفرس والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه
فعرفه ثم قال وكذلك اي كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكنا له في ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهي و
لنعلمه قد مر في الوقوف بيان متعلقه وفي اوائل السورة معنى تاويل الاحاديث المراد من الآية حكاية اعلاء شان يوسف في الكمالات الحقيقية واصولها القدرة
واشار اليها بقوله مكنا والعلم واشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب ان ابتداء ذلك كان حين القي في الجب كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان يترقى في ذلك
الى ان بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق والله غالب على امره اي على امر نفسه لا منازع له ولا مدافع او على امر يوسف
لم يكله الى غيره ولم ينفع كيد اخوته فيه ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال
ولما بلغ اشده قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلاثون واربعون الى ثنتين وستين آتيناه حكما وعلما فالحكم الحكمة العملية والعلم
الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف اصحاب الافكار و
الانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلاء والمحن ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبي حاكم على الخلق والعلم علم الدين و
قيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها وحينئذ تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس و
التحقيق في هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الالات الجسدانية وفي اوان الصغر يكون الرطوبات مستولية عليها
فيضعف تلك الالات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الالات صالحة لان
يستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقائق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الالات البدنية وقوله آتيناه حكما
وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال في الكشاف وكذلك نجزي المحسنين فيه تنبيه على انه كان محسنا
في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله ورحمته
ولكن للوسائط والمعدات مدخل عظيم في كل ما يتصل الى الانسان من الفيوض والاثار فالانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة وهلم جرا
عن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله ثم ان يوسف كان في غاية الحسن والجمال فلما شب طمعت فيه امراة العزيز وذلك قوله
وراودته والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه حتى يزله عن الشيء الذي يريد ان يخرجه
من يده وقد يختص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطء والجماع وانما قال التي هو في بيتها ولم
يقل زليخا قصدا الى زيادة التقرير مع استهجان اسم المراة وغلقت الابواب لا ريب ان التشديد يدل على التكثير لان غلق متعد كفتح فقيل
هو فيه المفسرون رووا ان الابواب كانت سبعة وقالت هيت لك هذه اللغة في جميع القراآت اسم فعل بمعنى هلم الا عند من قرا هيت لك بضا

مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء بمعنى تهيأ قال النحويون هيت جاء بالحركات الثلثة
فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك فهو صوت قائم مقام المصدر كاف له اى لك اقول هذا
واذا لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر قائم مقام الفعل ويكون اسم فعل ومعناه اما خبر اى تهيأت واما امر اى اقبل وقد روى الواحدى باسناده
عن ابى زيد قالت هيت لك بالعبرانية هيتالج اى تعال عربه القرآن وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانبارى
هذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم فى القسطاس ولغة العرب والفرس فى السجيل ولغة العرب والترك فى الغساق ولغة
العرب والحبشة فى ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف ع بثلثة اجوبة الاول قال معاذ الله وهو من المصادر التى لا يجوز
اظهار فعلها اى اعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى ان حق الله تعالى الثانى انه والضمير للشان ربى اى سيدى ومالكى يعنى بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف يمنع عن هذا العمل
كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع او المراد التربية اى الذى رباني احسن مثواى حين قال اكرمى مثواه وفى هذا اشارة الى ان حق الخلق
ايضا يمنع عن ذلك العمل وقيل اراد بقوله ربى الله تعالى لانه مسبب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيئ او اراد الذين
يزنون لانهم ظلموا انفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلى فان صون النفس عن الضرر واجب وفى هذه اللذة قليلة يتبعها الخزى فى الدنيا وعذاب فى
الاخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها فما احسن نسق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا اشك ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن
العلماء اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهريين ان تلك الهمة بلغت حد المخالطة فقال ابو جعفر الباقر ع باسناده عن على بن ابى طالب ع انها
طمعت فيه وانه طمع فيها حتى هم ان يحل التكة وعن ابن عباس انه حل الهميان اى السربال وجلس منها مجلس الجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعد بين
شعبها الاربع وروى ان يوسف حين قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ
نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقال اخرون ان الهمة ما كانت لاملاة النفس لم يخرج شىء منهما من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية
العقل والحكمة متجاذبين اما الاولون فقد فسروا برهان ربه بان المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت فى زاوية من زوايا البيت فسترته بالاثواب
فقال يوسف لم فعلت قالت استحيى من الهى هذا ان يرانى على المعصية فقال يوسف تستحيين من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا استحيى من الهى القائم على كل نفس بما
كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا على اصابعه قائلا اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب فى زمرة الانبياء والى هذا ذهب
عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب فى صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل صيح
يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبرئيل ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى زمرة الانبياء ديوان
وقيل رأى تمثال العزيز واما الاخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب الواحد غير بعيد وكذا
ترادف الزواجر فهو ع كان ممتنعا عن ذلك العمل بحسب النظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس
القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو ان ادنى الزناة واشطرهم ادنى
لقى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى عنده عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبى الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهى عن امضاء العزيمة قالوا
والهم يتعلق بالمعانى فامتنع تعلقه بنفس المرأة فالمعنى قد هم بمخالطتها ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له انه ان كان قميصه لا يتعلق بالاعيان وانما
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بان يدفعها امكن ان يتمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولى هاربا عنها
وفى قوله وهم بها فائدة اخرى هى ان ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته فى النساء وعوز قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل
وكيف يظن بيوسف معصية والله قد ادعى البراءة بقوله هى راودتنى عن نفسى وبقوله رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والمرأة اعترفت بذلك حين
قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الان حصحص الحق وزوج المرأة صدقه فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وشهد له شاهد من
اهلها كما يجئ وشهد له الله تعالى فقال كذلك اى مثل ذلك التثبيت بمشيئة الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا
والسوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا والاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد فى
التأكيد فوصفه بالمخلصين اى هو من جملة من اتصف فى طاعاته بصفة الاخلاص او من جملة من اخلصه الله تعالى بناء على قراءتى فتح اللام وكسرها
ويحتمل ان يكون من للابتداء لا للتبعيض اى هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابرهيم ع فكل هذه الدلائل تدل على عصمة يوسف ع وانه برئ من الذنب
ولو كان قد وجدت منه زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما فى ادم وذى النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله اعلم
بحقائق الامور قوله واستبقا الباب اى تسابقا اليه على حذف الجار وايصال الفعل مثل واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا
وانما وحد الباب لانه اراد البرانى لا جميع الابواب التى غلقتها روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته من خلفه فانقد اى انشق طولا والفيا سيدها لدى الباب صادفا بعلها وهو قطفير وانما قيل سيدها لان

يوسف

بوانها خوفا ان
١٢

لان ملك يوسف لم يكن ملكا في الحقيقة روي انهما الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة ثم انه كان للسائل ان يسئل فما قالت المراة
اذ ذاك فقيل قالت ما جزاء هي استفهامية او نافية معناه اي شيء جزاؤه او ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم بالضرب وبما فسر العذاب الاليم بالضرب بالسياط
جمعت بين غرضين تنزيه ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها طوعا ثم انها لحبها يوسف ولحق فانوق المحبة
فذكر السجن اولا ثم العذاب لان المحب لا يريد الم المحبوب ما امكن وايضا لم يصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا بل قصدت العموم ليندرج يوسف ضمنه وفي قولها
الا ان يسجن اشعار بان ذلك السجن غير دائم بخلاف قول فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين ففيه اشعار بالتابيد قال يوسف هي راودتني عن نفسي وانما
صرح بذلك لانها عرضته للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه ولولا ذلك لكتم عليها قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال جمع من المفسرين الشاهد
ابن عم المراة وكان رجلا حكيما اتفق في ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا انا لا ندري ايكما قدام صاحبه
فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلف فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص وراوا الشق من خلفه قال
ابن عمها انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ان الشاهد ابن خال لها وكان صبيا في المهد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تكلم اربعة وهم صغار
ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلف وضعف بان القميص لا يوصف بالشهادة
لا يوصف بالشهادة ولا بكونه من الاهل واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المراة
وهي قد غضبت عليه ففر فعدت خلفه كي تدركه وتضربه ضربا وجيعا واجيب بانه هناك امارات اخرى منها ان يوسف كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط
على مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة الحال كزينة المراة فوق المعتاد وما شوهد من احوال يوسف في مدة اقامته بمنزلهم واعترض على القول الثاني بان
شهادة الصبي خارق للعادة فيكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص ولا لكونه من اهلها فائدة وايضا لفظ الشاهد لا يقع في العرف الا على من تقدم
معرفته بالواقعة والجواب ان تعيين الطريق في الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب من اقامة الحجة عليها والزم لها والشاهد هيهنا
بها وجه حسن انه ادى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها قال في الكشاف التنكير في قبل ودبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن
جهة يقال لها دبر اما الضمير في قوله فلما راى وفي قوله قال انه من كيدكن فقيل انه للشاهد الذي هو ابن عمها كما ذكرنا اي ان قولك وهو ما جزاء من اراد باهلك سوءا
وان هذا الامر وهو الذي اقتضى هذه الريبة من عملكن ان كيدكن عظيم قال بعض العلماء انا اخاف النساء اكثر مما اخاف الشيطان لان الله تعالى
يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم واقول لا شك ان القران كلام الله الا ان هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به
ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ما يريد الله تعالى امضاؤه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن
يغلبنهم ويسلبن عقولهم اذا اعرضن انفسهن عليهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان ثم قال الشاهد يوسف اي يا يوسف فحذف حرف النداء اعرض
عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري يا امراة لذنبك الاستغفار اما من الزوج او من الله تعالى لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الاصنام
شفعاء لهذا قال يوسف لصاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا
اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقيل الضمير في راى وفي قال لزوج المراة وانه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار وقاله ابو بكر الاصم
وقال نسوة هي اسم مفرد لجمع المفرد امراة وتانيثه غير حقيقي ولذلك حسن حذف التاء من فعله وقد يضم نونه قال الكلبي هن اربع في مدينة مصر
امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وزاد مقاتل امراة الحاجب الفتى الغلام الشاب الفتاة الجارية قد شغفها اي خرق حبه
شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب وحبا نصب على التمييز وحقيقته شغفه اصاب شغافه كما يقال كبده اذا اصاب كبده
وكذا قياس سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اي احرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وقال ابن الانباري هذا من الشعف وهو رؤس
الجبال اي ارتفع محبته الى اعلى المواضع من قلبها في ضلال مبين الخطاء عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما سمي الغيبة
عن الاغتياب بالمكر لاشتراكهما في الاخفاء وقيل النسوة ضمن كتمان سرها فافشينه فسمي مكرا ارسلت اليهن تدعوهن وقيل اردن بذلك ان يتوسلوا
الى رؤية يوسف فلهذا سمي مكرا وقيل كن اربعين واعتدت وهيات لهن متكأ موضع اتكاء واصله متكا لانه من وكاء ابدلت الواو تاء ثم ادغمت و
المراد هيات لهن نمارق يتكين عليها كعادة المترفهات تكانها قصدت بذلك تهويل يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن
السكاكين توهمهن انهن يثبن عليه وقيل المتكأ مجلس الطعام لانهن كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على هيئة المتنعمات ولذلك نهي ان ياكل الرجل
متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا لتعالج بها ما ياكلن به وقيل اراد بالمتكأ الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ وقال مجاهد
هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع متكئ على المقطوع بالة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصود هو الاترج فلما رأينه اكبرنه
اعظمنه وهبن ذلك الجمال وكان احسن خلق الله الا ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان املح قيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه وروي انه كان يرى تلالؤ
وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبرئيل من هذا فقال يوسف
فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهري اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اي دخلت في الكبر بالحيض وقع
حيضهن حبا بان المراة اذا فزعت سقطت ولدها فحاضت وقيل فالمراد حضن دهشة وقيل اكبرنه لما راين عليه من نور النبوة وسيما الرسالة واثار

الخضوع والاخبات والاخلاق الفاضلة الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن وقطعن ايديهن اي
جرحنها بانه لم يعرفن الفاكهة من اليد او بانه لم يفرقوا بين الجانب الحاد من السكين وبين مقابله فوقع الطرف الحاد في ايديهن وكفهن وحصل الاعتماد على
ذلك الطرف فجرح الكف وهذا القول شديد الملائمة لقولهن حاش لله اي تنزها عما يشينه من خصلة ذميمة ان هذا الا ملك كريم في الستر والعفة و
الطهارة واما قول زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه فانما ينطبق على هذا التاويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة يوجب حصول الياس من الوصال
وحصول الغرض المجازي وذلك يستتبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كما ان
قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء تعجب من قدرته على خلق عفيف مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء واللام في لله
للبيان من برائة وهي حرف الخلق وضع موضع التنزيه والبراءة وقال ابو البقاء الجمهور على انه هيهنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر وحذف
الالف من اخره فللتخفيف ولكثرة دوره على الالسنة تقديره حاشا يوسف اي بعد عن المعصية لخشية الله وصاحبه في حاشية اي ناحية ما هذا بشرا
اعمال ما عمل ليس لغة حجازية ان هذا اي ما هذا الشخص الا ملك كريم استدل بعضهم بالاية على افضلية الملك كما مر في اول سورة البقرة فالواو
انما قلن ذلك لما ركز في العقول ان لا احسن من صورة الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من صورة الشيطان واعترض عليه بانه لا مشابهة بين صورة الانسان و
صورة الملك واجيب بعد التسليم بتغيير المدعى وهو ان المراد المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب وزيف بان قول النسا لا يصلح
للحجة وفي الاية دلالة على ان الحسن باللوم احق لانه تحملهن بنظرة واحدة ما لم يحملها في مدة طويلة انظار كثيرة فلذلك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه سئل
ههنا ان يوسف كان حاضرا فلم اشارت بعبارة البعيد واجاب ابن الانباري بانها اشارت اليه بعد انصرافه من المجلس وهذا شيء يتعلق بالنقل
واما علماء البيان فانهم بنوا الامر على ان يوسف حاضر واجابوا بانها لم تقل فهذا رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به واستبعاد المحلة او
هو اشارة الى المعنى بقولهن في المدينة عشقت عبدها الكنعاني كانها قالت هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه
يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولما ظهرت عذرها عند النسوة صرحت بحقيقة الحال فقالت و
لقد راودته عن نفسه فاستعصم قال السدي اي بعد حل السراويل والذين يثبتون عصمة الانبياء قالوا ان استعصم بناء مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحرز الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وفيه شهادة من المرأة على ان يوسف ما صدر عنه امر يخالف الشرع
والعقل اصلا ولئن لم يفعل ما امره قال في الكشاف معناه الذي امر به فحذف الجار كما في امرتك الخير وما مصدرية والضمير ليوسف اي امري
اياه اي موجب امري ومقتضاه وليكونن من الصاغرين هي نون التاكيد الخفيفة ولهذا يكتب بالالف الصغار الذل والهوان ومعلوم ان
لان الوقف عليها بالالف
التوعد بالصغار له تاثير عظيم في حق من كان رفيع النفس جليلا مثل يوسف ثم انه اجتمع على يوسف في هذه الحالة انواع من المحن والفتن منها ان زليخا كانت
في غاية الحسن ومنها انها كانت ذات مال وثروة وكانت قد عزمت ان تبذل الكل ليوسف على تقدير ان يساعدها ومنها ان النسوة اجتمعن عليه من جهات
مخوفات ومنها انها كانت في قدرة ومكنة وكان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله واذيته لا نطاق عصمة البشرية يضيق عن بعض هذه الاسباب فضلا
عن كلها وعن ازيد منها ولهذا التجا يوسف الى الله تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه لان السجن وان كان مشقة فهو زائلة والذي يدعونه
اليه ان كان لذة عاجلة مستعقبة لخزي الدنيا وعذاب الاخرة والا تصرف عني كيدهن بترجيح داعية الخير وعزوف النفس ومزيد الالطاف والعصمة
اصب اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو الى روحها واكن من الجاهلين الذين لا يعملون بما يعلمون او لا يكون في علمهم فائدة او من
السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح لما كان في قوله والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه فاستجاب له ربه ثم ان المرأة اخذت في الاحتيال
وقالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس ويقول لهم في المجالس اني راودته عن نفسي وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تاذن لي
فاخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله
تعالى ثم بدا اي ظهر لهم للعزيز ومن يليه وله وحده والجمع على عادتهم في تعظيم الاشراف من بعد ما راوا الآيات الدالة على براءة يوسف من شهادة
الصبي واعتراف المرأة وشهادة النسوة له بالبشرية والملكية والعفة وفاعل بدا مضمر اي ظهر لهم راي او سجنه وانما حذف لدلالة ما يفسره عليه
وهو ليسجننه والقسم محذوف حتى حين الى زمان ممتد عن ابن عباس الى زمان انقطاع القالة وما شاع في المدينة وعن الحسن خمس سنين وعن
التأويل
غيره سبع سنين وعن مقاتل انه حبس اثنتي عشرة سنة التاويل لما اخرجوا يوسف القلب من جب الطبيعة ذهبوا به الى مصر الشريعة فاشتراه عزيز
مصرها وهو الدليل المربي على جادة الطريقة ليوصله الى عالم الحقيقة فقال لامرأته وهي الدنيا اكرمي مثواه اخدميه بقدر الحاجة الضرورية
عسى ان ينفعنا حتى يكون صاحب الشريعة فيتصرف في الدنيا باكسير النبوة فيصير الدنيا باكسير النبوة الشريعة حقيقة والدنيا اخرة او نتخذه ولدا من سبه
بلبان لبن ثدي الشريعة والطريقة الى ان يوم الفطام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا ليوسف اي ان تمكين يوسف القلب في ارض البشرية انما هو
لتعلم العلم اللدني لان الثمرة انما تظهر على الشجرة اذا كان اصل الشجرة راسخا في الارض والله غالب على امره القلب في توجهه الى محبة الله وطلبه او على امر الغالب
بجذبات العناية واقامته على الصراط المستقيم فتكون تصرفاته بالله ولله وفي الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم خلقوا مستعدين لهذا الكمال
وكذلك نجزي المحسنين اي كما افضنا على القلب ما هو مستحقه من الحكمة والعلم كذلك نجزي الاعضاء الرئيسة والجوارح اذا احسنوا الاعمال والاخلاق

على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ الى مقام الحقيقة وراودته فيه اشارة الى ان يوسف القلب ان استغرق في بحر صفات الالوهية
لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو في بيتها اي في الجسد للدنيا وغلقت الابواب اركان الشريعة وقالت هيت لك اقبل الى واعرض عن
الحق قال اي القلب القائل عن نفسه لسان قال بمقام تبتل معاذ الله مما سواه احسن مثواي في عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون على الدنيا
ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية لولا ان رأى برهان ربه وهو نور خصلة القناعة التي هي من نتايج نظر العناية لنصرف عنه السوء
الحرص على الدنيا والفحشاء بصرف حب الدنيا فيه انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازي ووصلوا الى الوجود الحقيقي واستبقا
باب الموت الاختياري وقدت قميص بشريته من دبر يد شهوتها انما قبل خروجه من لباس والفيا سيدها هو صاحب ولاية تربية يوسف القلب زوج
زليخا الدنيا لانه متصرف في الدنيا كما ينبغي ويمنع الرجل في المرأة وشهد شاهد من اهلها هو حاكم العقل العزيز دون العقل المجرد الذي هو ليس
الدنيا واهلها في شيء فبين حاكم العقل ان تصرف زليخا الدنيا لا اتصال لها بيوسف القلب لا بواسطة قميص البشرية ان كيدكن عظيم وهو قطع
طريق الوصول الى الله العظيم على القلب السليم يوسف اعرض عن هذا فان ذكر الدنيا يورث محبتها وحب الدنيا كل خطيئة وقال نسوة هي الصفات
البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية في مدينة الجسد تراود فتيها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شيء وادهنا اخدمي من خدمني و
اعتدت لهن متكأ الطعمة مناسبة لكل منها وآتت كل واحدة منهن سكينا الذكر وقالت اخرج عليهن اشارة الى غلبات احوال القلب على الصفات
البشرية وقطعن ايديهن بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم اي ظهر لمربي القلب بلسان الشريعة وهو شيخ الطريقة ومن يراعي صلاح حال القلب
بعد ما رأوا آثار عناية الله وعصمة القلب من الالتفات الى ما سواه ليسجننه في سجن الشرع الى حين قطع تعلقه عن الجسد بالموت نظيره واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين واذا كان النبي مع نهاية كماله مأمورا بان يكون مسجونا في هذا السجن فكيف لمن دونه والله اعلم ودخل معه السجن فتيان قال
احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين قال
لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم
كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس و
لكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي
ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث
احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها
الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال
تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم
لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال
ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش
لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم القراءة اني اراني اعصر في الحرفين
ابو جعفر ونافع وابو عمرو وافق ابن كثير في اراني كليهما الباقون بسكون ياء المتكلم في الكل نبئنا بغير همزة ادرقيه والاعشى وحمزة في الوقف بتقاربهما لصاحبي الحلواني
عن قالون نبئنا كما مثل انشأنا ربي اني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو آبائي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر اني ارى بالفتح ابو جعفر ونافع
وابو عمرو رؤياي بالامالة على غير قتيبة ابو عمرو بالامالة اللطيفة والقول في ترك الهمزة مثل ما تقدم للرؤيا بامالة على وابو عمرو بالامالة اللطيفة لعلي
ارجع بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وابو عمرو دأبا بفتح الهمزة حفص الآخرون بالسكون يعصرون بتاء الخطاب
حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ما بال النسوة بضم النون الشموني والبرجمي نفسي ان ربي بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف
فتيان ط خمرا ج فصلا بين القصتين مع اتفاق الجملتين الطير منه ط للعدول عن قول احدهما الى قولهما المضمر نبئنا بتاويله ج لاحتمال التعليل المحسنين
ان يأتيكما ط ربي كافرون و يعقوب ط من شيء ط لا يشكرون القهار ط من سلطان ط الا لله ط الا اياه ط لا يعلمون خمرا ج فصلا بين الجوابين مع اتفاق الجملتين
رأسه ط لان قوله قضي جواب قولهما كذبنا وما رأينا رؤيا تستفتيان ط لاستيناف حكاية اخرى عند ربك سنين ط يابسات ط تعبرون احلام للنفي مع
العطف بعالمين فارسلون يابسات ط لتعلق لعلي يعلمون دأبا للشرط مع الفاء تاكلون تحصنون تعصرون ائتوني به ايديهن ط عليم عن نفسه ط من سوء ط
الحق لانقطاع النظم واتصال المعنى لاتحاد القائل الصادقين الخائنين الجزء الثالث عشر نفسي للحذف اي عن السوء ربي ط رحيم التفسير تقدير الكلام

ع

ع

ع

ع ربع

عشر الثالث

ع

تخبوه ودخل معه اى مصاحباله فى الدخول السجن فتيان غلامان للملك الاكبر خبازه وشرابيه نقلا عن ائمة التفسير واستدلا لا برؤياهما المناسبة لحرفتهما رفع الى الملك انهما ارادا سمه فى الطعام والشراب فامر بادخالهما السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما انى ارانى اى فى المنام فقوطما نبئنا بتاويله هو حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا تسمية للشئ باسم مايؤل اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب الضمير فى قوله نبئنا بتاويله يعود الى ما قصا عليه وقد يوضع علامة الضمير موضع اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نريك من المحسنين عبارة الرؤيا وكان اهل السجن يقصون عليه رؤياهم فيؤولها لهم او نريك من العلماء عرفا ذلك بالقرائن او من المحسنين فى طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت لك يد فى تاويل الرؤيا وعن قتادة وكان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا توجروا فقالوا ما احسن وجهك وما احسن خلقك من انت يا فتى فقال انا يوسف صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك فكن فى اى بيوت السجن شئت وعن الشعبى ومجاهد انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى انى ارانى فى بستان فاذا باصل كرم عليه ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى ارانى فوق راسى ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام الى آخره هذا ليس بجواب لهما ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها ان احد التعبيرين لما كان هو الصلب كان فى سماعه كراهة ونفرة اراد ان يقدم قبل ذلك ما يوثق بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة او اراد ان يبين علو مرتبته فى العلم وانه ليس المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين ولهذا قال السدى اراد لا ياتيكما طعام ترزقانه فى النوم الا نبأتكما بتاويله فى اليقظة اى بيان ماهيته وكيفيته وقيل انه يخبر عن الغيب كقول عيسى وانبئكم بما تاكلون اى اخبركما قبل ان ياتيكما انه اى طعام هو واى لون هو وكم هو وكيف يكون عاقبته اهو ضار ام نافع وان فيه سما ام لا فقد روى ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فارسله اليه ثم قال ذلكما اى هذا التاويل والاخبار بالمغيبات من قبل الوحى والالهام لا من التكهن والتنجيم الذى يكثر فيهما وقوع الخطاء ثم تبرأ من الشرك وملته مشيرا الى انه رسول من عند الله ومنبها على ان الاشتغال بمصالح الدنيا حتى ان الرجل الذى سيصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال انى تركت اى رفضت بل ما كنت قط وبجوز ان يكون قبل ذلك غير مظهر للتوحيد خوفا منهم لانه كان تحت ايديهم وانما كرر لفظة هم تنبيها على انهم مخصوصون فى ذلك الزمان بانكار المعاد وتعريضا بان اهل السجن بعد معاينة الآيات الشاهدة على براءته لا يصدق الاخصم بنكر الجزاء اشد انكار ولمراده باتباع ملة ابائه الاتباع فى الاصول التى لا يتبدل بتبدل الشرائع ومعنى الشكر فى قوله من شئ الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس لا يشكرون نعمة الله الايمان او نعمة اعطاء القدرة والاختيار الايمان فلا ينظرون فى الدلائل وهذا يناسب اصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا يا صاحبى السجن اراد يا صاحبى فى السجن كقوله يا سارق الليلة خصهما بهذا النداء لانهما دخلا السجن معا واراد ياكنى السجن كقوله اصحاب النار فسبب التعيين انهما استفتياه من بين الساكنين ثم انكر عليهم عبادة الاصنام فقال ارباب متفرقون فى العدد فى الجهة وفيما يتبعها من اختلاف الاعراض والابعاض خير ام فرض جليل ام الله الواحد القهار لان وحدة المعبود تستدعى توجه المطلب وتفريد المقصد وكونه قهارا غالبا غير مغلوب من وجه يوجب صرف كل ما يرجى منه من ثواب وصلاح انما تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح للمعبودية الا هو ولا يصح حقيقة الالهية فى غيره فلذلك قال ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها اى سميتم لا الهة تلك الاسماء انتم وآباؤكم والخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر كانهم لا يعبدون الا اسماء فارغة عن المسميات ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان اى حجة ثم لما نفى معبودية الغير بين ان لا حكم فى امر الدين والعبادة الا الله فى الحكم فقال ان الحكم الا لله ثم ذكر ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت بالبراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مبدأ المبادى والمعاد الحقيقى فيتخذون غيره معبودا ويجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال فعالا وتاثيرا ثم شرع فى اجابة مقترحهما وهو تأويل رؤياهما فقال اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه سيده خمرا يروى انه قال له ما رايت من الكرم وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للخباز ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتصلب فتاكل الطير من راسك قوله قضى الامر قال فى الكشاف ما وحد الامر وهما امران مختلفان استفتيا فيهما لان الامر المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا لاجله فكانهما استفتياه فى الامر الذى نزل بهما عاقبته نجاة ام هلاك استدلالا برؤياهما فقال ان ذلك الذى ذكرته من امر التاويل كائن لا محالة صدقتما او كذبتما وقيل عكسا رؤياهما فلما علم الخباز ان تاويل رؤياه شر انكر كونه صاحب تلك الرؤيا فقال يوسف ان الذى حكمت به لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا قالت الحكماء ينبغى ان لا يتصرف فى الرؤيا ولا يغير عن وجهها فان الفال على ما جرى وقال يوسف للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك اى اذكرنى عند الملك انى مظلوم من جهة اخوتى اخرجونى وباعونى ثم انى مظلوم من جهة النسوة اللاتى حبسننى الضمير فى ظن ان كان للرجل الناجى فلا اشكال لانهما كانا مؤمنين بنبوة يوسف كانا حسنى الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد فى حقهما الا غلبة الظن وان عاد الى يوسف فيرد عليه انه كان قاطعا بحاله فالمعنى للظن واجيب بانه انما ذكر ذلك التعبير بناء على الاصول المقررة فى ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية لا حرج انه قضى بذلك على سبيل البت والقطع لقوله ذلكما مما علمنى ربى فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اما الضمير فى قوله فانساه الشيطان فمن الناس من قال انه يعود الى الرجل الناجى اى انساه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الى الرب الملابسة لاجل انه مفعول او المضاف

محذوف تقديره فانساه ذكر اخبار ربه واسناد الانساء الى الشيطان مجاز لان الانساء عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له على ذلك والا لازال معرفة الله من قلوب بني ادم وانما فعله القاء الوسوسة واخطار الهواجس التي هي من اسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب هو الله تعالى اي الشيطان انسى يوسف ان يذكر الله تعالى وعلى القولين عوقب باللبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلث الى العشرة لانه القطعة من العدد والبضع القطع ومثله العضب والاكثرون على ان المراد به هاهنا سبع سنين وعن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب خروجه فلما تضرع الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين وعن النبي صلعم رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك انه لما قال اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء انساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائز فقد روي ان النبي صلعم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى عم من انصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق الا ان يوسف عم عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها انه لم يقتد بالخليل جده حين وضع في المنجنيق فلقيه جبرئيل في الهواء وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا ومع انه اتبع ملة ابائه ومنها انه قال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرني عند ربك كالمناقض لهذا الكلام ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله انه زعم انه الرب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم ومنها انه لم يقرن بكلامه ان شاء الله ولما دنا فرج يوسف اراه الله في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف على القوي منذر بنوع من انواع الشر الا انه لم يعرف تفصيله والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة ولا سيما اذا كان رائيا جيد القدرة والتمكين فبهذا الطريق امر الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ثم انه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فاعجز الله اولئك الملأ عن جواب المسئلة وعماه عليهم حتى قالوا انها اضغاث احلام ونفوا عن انفسهم كونهم عالمين بتاويلها واعلم ان الله سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ الا ان المانع لها عن ذلك في اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس وفي وقت النوم يقل تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة فاذا وقعت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت في الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التاويل وان نزلت اثارا مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال فهناك يفتقر الى المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقائق الروحانية ومنها ما يكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها للتشويش الواقع في تركيبها وتاليفها فهي المسماة بالاضغاث وبالجملة فالاضغاث ما يكون مبدؤها تشويش القوة المتخيلة لفساد وقع في القوى البدنية او لورود امر غريب عليها من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها عسر على المعبر تاويلها ولنشتغل بتفسير الالفاظ اما الملك فريان بن الوليد ملك مصر وقوله اني ارى حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة يجمع على سمان كما يقال رجال كرام ونسوة كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالاولى ان يوقع الوصف صفة للمميز كما في الاية دون العدد لانه ليس بمقصود بالذات فلهذا قيل سمان بالجر ليكون وصفا للبقرات ويحصل التمييز لسبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن ولو نصب جعل تمييز السبع بجنس البقرات ولاتم يعلم من الوصف ان المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف هو الهزال الذي ليس بعده هزال والنعت اعجف وعجفاء وهما لا يجمعان على فعال لكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله سبع عجاف تقديره بقرات سبع عجاف فحذف للعلم به كما في قوله واخر يابسات التقدير وسبعا اخر ولهذا انتصاب الجنس الى هذا العدد وانما لم يقل سبع عجاف على الاضافة لان البيان لا يقع بالوصف وحده وقولهم ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز ان يكون قوله واخر مجرورا عطفا على خضر لاشكال لان لفظ الاخر يأباه ويبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملأ الاعيان من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للبيان كما قلنا في وكانوا فيه من الزاهدين او لان عمل العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها وان تأخر معموله او لان قوله للرؤيا خبر كان كقوله هو لهذا الامر اي متمكن منه مستقل به وتعبرون خبر اخر او حال والنص تعبرون مضمن معنى تنتدبون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد يشدد واشتقاقه من العبر بالكسر فالسكون وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى يبلغ اخر عرضه وعبرت الرؤيا اذا تاملت ناحيتها فانتقلت من احد الطرفين الى الاخر والاضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من انواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والضغث الجمع لكن الواحد قد يوصف به كما يقال رمح اقصاد وبرمة اعشار فالمراد هي حلم اضغاث احلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة واحدة ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلام اخر والالف واللام في الاحلام اما للعهد كأنهم ارادوا المنامات الباطلة او للجنس وارادوا انهم غير متبحرين في علم تاويل الرؤيا ولما اعضل على الملأ تاويل رؤيا الملك تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه المصلوب وتذكر قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه وادكر واصله اذتكر فقلبت التاء دالا لتقارب مخرجيهما وادغمت بعد امة اي بعد حين كانها حصلت من اجتماع ايام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بوزن عمه معناه انا انبئكم بتاويله اخبركم بمن عنده علمه فارسلون اليه لاسئله والخطاب للملك والجمع للتعظيم او له وللملأ حوله والمعنى ارسلني باستعباده وعن ابن عباس لم يكن

البحر في المدينة وههنا اضمار والمراد فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه تعرف احواله من قبل وفيه انه يجب على المتعلم تقديم ما يفيد المدح لمعلمه وانما اعاد عبارة الملك بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلي ارجع فيه نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه يعيش الى ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة وكذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيخلصوك او يعلموا فتواك فيكون فيه نوع شك لانه راى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل رعاية لفواصل الاي والا كان مقتضى النسق لعلي ارجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون قال يوسف في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين فهو خبر في معنى الامر يفيد المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله واقول يمكن ان يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع يلزم نزول الامطار عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت ودابا بتسكين الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا استمر عليه وانتصابه على الحال اي تزرعون ذوي داب وعلى المصدر والحال فعله اي تدابون دابا دابا ثم امرهم بان يتركوه في السنابل الا القدر الذي ياكلونه في الحال لئلا يقع فيه السوس ثم ياتي من بعد ذلك وفيه ذلك دليل على ان تزرعون لخبر لا امر سبع سنين شداد على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الاسناد المجازي لان الاكلين اهل تلك السنين لا السنون الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبأون والاحصان جعل الشيء في الحصين كما الاحراز جعل الشيء في الحرز اخبر انه ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بالسنين المجدبة ثم بشرهم بالبركة في العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحي عن قتادة زاده الله علم سنة وقيل عرف استدلالا لانه ليس بعد انتهاء الجدب الا الخصب والجواب انه لا يلزم من انتهاء الجدب الخصب والخير الكثير فقد يكون توسط الحال وايضا في قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشرابي الى الملك وعرض عليه التعبير استحسنه وقال ائتوني به فجعل الله سبحانه علمه سببا لخلاصه من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه الرسول وهو الشرابي فقال اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ما شانهن وما حالهن ان ربي اي الله العالم بخفيات الامور او العزيز الذي رباه بكيدهن عليم وعلى الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه واراد الوعيد اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في مواقعة سيدته او تفضيح صونه عند العزيز حتى يرضى بسجنه ومن لطائف الاية انه اراد فسئل الملك ان يسئل ما باطنهن الا انه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يهيجه على البحث والتفتيش ومنها انه لم يذكر سيدته بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك لاعتراضهن ايضا فوصفهن بتقطيع الايدي فقط لا بالترغيب في الخيانة عن النبي صلعم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب لما ابتغيت العذر انه كان لحليما ذا اناة قال العلماء ان الذي عمله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج في الحال فربما بقي في قلب الملك من تلك التهمة اثر ولعل الحساد يتسلقون بذلك الى تقبيح امره عنده ففي هذا التاني والتثبت تلاف لما صدر منه في قوله للشرابي اذكرني عند ربك قال الملك بعد احضار النسوة ما خطبكن ما شانكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن والى زليخا قيل الخطاب لزليخا والجمع للتعظيم وقيل خاطبهن جميعا لانه كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امراة العزيز قلن حاش لله تعجبا من عفته وقد مر قالت امراة العزيز حين عرفت انه لا بد من الاعتراف الان حصحص الحق وضح وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ذلك ليعلم الى تمام الايتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية قول يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان اخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة بقوله ذلك لاجل التعظيم والمراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت في اظهار البراءة وعن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر انه قال ذلك في السجن عند عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اي وانا غائب عنه او من المفعول اي وهو غائب عني او على الظرف اي بمكان الغيب وهو الاستتار وراء الابواب المغلقة قيل هذه الخيانة لو وقعت وصحت في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان وزيره فقد خان الملك من بعض الوجوه او اراد ليعلم الله لان المعصية خيانة او المراد ليعلم الملك اني لم اخن العزيز او ليعلم العزيز اني لم اخنه وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامراته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه فكانه خان حكم الله وفيه تاكيد لامانته وانه لو كان خائنا لم يهد الله كيده ولا يخفى ان هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من المراة دليل على نزاهة يوسف عم من كل سوء قال اهل التحقيق انما راعى حرمة سيدته في قوله ما بال النسوة اللاتي دون ان يقول ما بال زليخا ارادت ان يكافيه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازالت الغطاء واعترفت بان الذنب كله منها فنظيره ما يحكى ان امراة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصداقها في دعواها فقالت المراة لما

اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني بريئة مما رميته به من كل حق لي عليه ولما كان قول يوسف ع ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق في دفعة
الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك قوله وما ابرئ نفسي ان النفس اي هذا الجنس لامارة بالسوء مبالغة في القبايح راغبة في المعاصي
وفيه ان تلك الجناية مما كان من حظ النفس وشرهها ولكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفه الا ما رحم ربي بالعصمة كالملائكة او المراد انها امارة
بالسوء في كل وقت واوان الا وقت رحمة ربي او الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة القول الثاني انه حكاية قول المرأة لان
يوسف ع ما كان حاضرا في ذلك المجلس المعنى وان كنت احلت عليه الذنب عند حضوره ولكني ما احلته عليه في غيبته حين كان في السجن وان الله لا يهدي
فيه تعريض بانها لما اقدمت على المكر فلا جرم طهره الله ستره وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين قلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او حين اودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت
ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شيء واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى العالم السفلي والى
الشهوة والغضب سميت امارة وفي هذا في اغلب احوالها لانها الى العالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة
فلهذا قيل انها من حيث هي امارة بالسوء واذا كانت تنجذب مرة الى العالم العلوي ومرة الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي
الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبعة في البدن مجبلة على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وتمسكت الاشاعرة بقوله الا ما رحم ظاهر لانه
دل على ان صرف النفس عن السوء بخلق الله وتكوينه وحملته المعتزلة على منح الالطاف والله اعلم بالحقايق التأويل لما ادخل يوسف القلب سجن
الشريعة دخل معه غلامان للملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يعمل عملا في السفل الدنيوي الا من شرب النفس فهي صاحب شرابه والبدن
يهيئ من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحاني كما ان الجسم لا يبقى الا بغذاء جسماني وانما حبسا في سجن الشريعة لانهما
متهمان بجعل سم الهوى والمعصية في شراب ملك الروح وطعامه وفي رؤياهما دلالة على انهما من الدنيا واهل الدنيا نيام فاذا ماتوا انتبهوا انا نريك من
المحسنين الذين يعبدون الله عيانا وشهودا اني تركت ملة قوم فيه اشارة الى ان القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة اما
احدكما فيسقي ربه اي سيده باقداح المعاملات والمجاهدات شراب المكشوفات والمشاهدات وهي باقية في خدمة ملك الروح ابدا واما الآخر وهو
البدن فيصلب بنخل الموت فتأكل طير اعوان ملك الموت من راسه الخيالات الفاسدة قضي في الازل هذا الامر اذكرني عند ربك يعني ان القلب
المسجون في بدء امره يلهم النفس بان تذكره المعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح لتقوى بها الروح وينتبه عن نوم الغفلة الناشئة من الحواس
الخمس ويسعى في استخلاص القلب عن اثر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوساوسه ومحادثات
النفس انساه اي القلب او الشيطان انسى القلب ذكر الله حين استغاث النفس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه في الحال فلبث في
السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محبوس وهي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر اني
ارى سبع بقرات سمان هي الصفات المذكورة ياكلهن سبع عجاف هن اضدادها وهي القناعة والسخاوة والعفة والغبطة والشفقة والحلم
والتواضع يا ايها الملأ يعني الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتوني في رؤياي في غيب الملكوت وما نحن بتأويل الاحلام اي ليس التصرف في
الملكوت وشواهدها من شأننا فارسلون فيه ان النفس اذا ارادت ان تعلم شيئا مما يجري في الملكوت ترجع بقوة المتفكرة الى القلب فتستخبر عنه
فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان القلب الغيبي ايها الصديق لانه مصدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما
يوري الخلق ما كذب الفؤاد ما رأى حدثني قلبي عن ربي فالصديق الكشاف لعلي ارجع الى الناس اي الى الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى
تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة في اوان الطفولية فذروه في سنبله اي ما حصلتم من هذه الصفات فذروه في اماكنه
ولا تستعملوه الا قليلا مما تعيشون به الى اوان البلوغ وظهور نور العقل في مصباح السر في زجاجة القلب كانه كوكب دري ثم اذا ايد نور القلب
العقل بانوار تكاليف الشرع وشرف بالهام الحق في اظهار فجور النفس وتقواها فتزكيها عن هذه الصفات وتحليها بالصفات الروحانية السبع فكان
السبع العجاف كلن السبع السمان وانما سمي ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثافتها الا قليلا مما تحصنون
به الانسان حيوة قالبه ثم يأتي من بعد ذلك عام اي بعد غلبات الصفات البشرية تظهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية
فيه يبرأ العبد من معاملاته وينجوا من حبس وجوده وحجب انانيته ولما اخبر القلب بنور الله ما رآه الروح في عالم الملكوت وتأويله استحق قرب الروح
وصحبته فاستدعى حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه وقال سله ما بال النسوة اي الاوصاف الانسانية لما رأين جمال القلب المتنور بنور
الله قطعن ايديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها وآثرن السعادة الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي القلب المنظور بنظر
العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا ونعيمها وان الله لا يهدي كيد الخائنين
الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه وللفضل من ربه وما ابرئ نفسي ان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها
ربها بقلبها وتغيرها فاذا تنفس صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة واذا طلعت شمس العناية وصارت ملهمة فالهمها فجورها
وتقواها واذا بلغت الشمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية

يوسف

لا العضو الذي
حضروب

افتضحت وانه
لما كان من شأنه
الشيب جرمه

الربع



مرضيته ان ربي غفور رحيم لنفس تابت ورجعت اليه رحيم لمن احسن طاعته وعبادته والله حسبنا ونعم الوكيل وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا
ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي
الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله
على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه
لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون القراءة حيث نشاء بالنون ابن كثير الاخرون بياء الغيبة اني اوفي بفتح ياء المتكلم نافع
غير اسمعيل لفتيانه خير حافظا حمزة وعلي وخلف غير ابي بكر وحماد الباقون لفتيته خير حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون
يؤتوني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الوقوف لنفسي ج امين ط الارض ج لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى عليم في الارض ط لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال حيث نشاء ط المحسنين يتقون منكرون من ابيكم ج لحق الاستفهام مع اتحاد القائل
المنزلين ولا تقربون لفاعلون يرجعون تحافظون من قبل ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار حافظا ص الراحمين اليهم ط لتمام جواب لما ما نبغي ط لان ما بعده جملة مستانفة
موضحة للاستفهام مع اتحاد قبلها ما ابتدانا الاحتمال العطف والاستيناف على ونحن نمير كيل بعير ط يسير بكم ط ما قال الله قيل يكتب بين الفعل والاسم لان القائل يعقوب
والمقول والمفسر
لان الله سبحانه والاحسن ان يفرق بينهما بقوة النغمة فقط لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول وكيل متفرقة ط من شيء ط لله ط توكلت ج المتوكلون ابوهم ط
لان جواب لما محذوف اي سلموا باذن الله قضاها ط لا يعلمون التفسير الاظهر ان هذا الملك هو الريان لا العزيز لان قوله استخلصه لنفسي يدل على انه قبل
ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الارض دلالة ايضا على ما قلنا والاستخلاص طلب خلوص الشيء من
شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة روي ان جبرئيل دخل على يوسف في السجن وقال قل اللهم اجعل لي من عندك فرجا
ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه واظهر هذا السبب في تخليصه فجاءه الرسول وقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله وكتب
على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه فلما كلمه احتمل ان يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك
وهذا اولى لان مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم يروى ان الملك قال له ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات
فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم
من حاله ما علم من نزاهة ساحته وعدم مسارعته في الخروج من السجن وقد تصفه الشرائع من جده في الطاعة والاحسان الى سكان السجن ما وصف فعظم
اعتقاده فيه فعند ذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم اما القدرة فظاهرة واما العلم فلان كونه متمكنا
من افعال الخير يتوقف على العلم بافعال الخير وباضدادها وكونه امينا متفرع على كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة قال
المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وغيرها بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ارى ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا او
تبني الخزائن والاهراء وتجمع الطعام فيها فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد من قبلك فقال الملك ومن لي
بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض اللام للعهد اي خزائن ارض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء اني
حفيظ اي حفيظ للامانات واموال الخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه اياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة و
الشفقة قال الواحدي هذا الطلب خطيئة منه فكانت عقوبته ان اخر عنه المقصود عن ابن عباس ان النبي صلعم قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره الله تعالى عنه سنة وقال غيره ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه لان النبي يجب عليه رعاية
الاصلح لامته بقدر الامكان وقد علم بالوحي انه سيحصل القحط والضنك فاراد السعي في ايصال النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي او العالم انه
لا سبيل الى دفع الظلم والشر عن الناس الا بالاستعانة من كافر او فاسق فله ان يستظهر به على ان مجاهدا قد زعم ان الملك كان قد اسلم وقيل كان الملك
يصدر عن رايه فكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لاجل التمدح ولكن للتوصل الى الغرض المذكور
ارض
وكذلك اي مثل ذلك التقريب للانجاء من السجن مكنا ليوسف في الارض مصر وهي اربعون فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء وللتنبيه على الفرائين

والمراد استقلاله بالتقلب في التصرف فيها بحيث لا ينازعه احد نصيب برحمتنا من نشاء فيه ان الكل من الله بتيسيره وقالت المعتزلة تلك النعمة لما لم
يتم الا بامور فعلها الله صارت كانها من قبل الله تعالى وعلقوا ايضا المشيئة بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة نافقوا في هذا القيد ولا نضيع
اجر المحسنين لان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في صفته نعم ولاجر الآخرة خير من اجر الدنيا او خير في نفسه وفي قوله للذين
آمنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المتقين من المحسنين وفيه دلالة على نزاهة يوسف من كل سوء قال سفيان بن عيينة
المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق يروى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي
فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واسلم على يديه الملك وكثير من الناس
وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال الملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال
فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
لم يعرفوه لان طول العهد ينسي ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم حين فارقوه صبيا يباع بدراهم معدودة ثم رأوه ملكا مهيبا جالسا على
السرير في زي الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة ما وقفوا الا حيث يقف طالب الحوائج واما عرفهم لان اثر تغير الهيئات عليهم كان اقل لانه
فارقهم وهم رجال ولم يتغيروا انهم عما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا
له ولما جهزهم بجهازهم هو ما يحتاج اليه في كل باب ومنه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز السفر قال وسمعت
اهل البصرة يقولون الجهاز بالكسر وقال الازهري القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم قال العلماء لا بد من كلام يجر
هذا الكلام فروي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد وجئنا نمتار
فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا
واحد فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا
قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد قال فدعوا بعضكم عندي رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت
القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا شيخا كبيرا واخا آخر بقي معه ولا بد لهما
من حملين آخرين فاستدعى الملك بقاءه عند ابيه على زيادة محبته اياه وكونه فائقا في الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا اباهم
قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا لم يبق عنده واحد فقال لهم لم اختصه بهذا المعنى لاجل نقص في جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال
ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو ازيد عليكم في الكمال والجمال فائتوني به لاشاهده والاول قول
المفسرين والاخوان محتملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب والترهيب فالاول قوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين المضيفين وكان
قد احسن ضيافتهم وزاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثاني فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مجزوم على النهي او انه داخل في
حكم الجزاء كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون كل ما في وسعنا
في هذا الباب او لقادرون على ذلك وقال لفتيانه اجعلوا ولفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة في اخ ففعلة للقلة ووجهه ان هذا العمل
من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه انه قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال عدد كثير فناسبه الجمع الكثير من
الغلمان الكيالين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على انه امر بوضع
بضاعتهم في رحالهم على وجه لا يعرفون بدليل قوله لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك يدعوهم
الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل امر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اما السبب الذي لاجله امر يوسف
بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يرجعهم الى الرجوع او اراد به التوسعة
على ابيه لان الزمان كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لؤم او اراد ان يرجعوا فيعرفوا سبب الرد او لانهم اولاد الانبياء فاحترز
ان لا يكون ذلك على سبيل السهو او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يثقل على ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون متعلق بـ
لعلهم يردونها قالوا يا ابانا منع منا الكيل ارادوا قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم لان انذار المنع بمنزلة المنع ويؤيده قراءة من قرأ نكتل
بالنون اي نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد بانه منع اذا طلبوا الطعام لابيهم وللاخ المتخلف فلعله منع من ذلك ويقوي
هذا الاحتمال قراءة الغيبة اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا قال هل آمنكم عليه ضمنوا كونهم حافظين له فقال يعقوب انكم ذكرتم مثل هذا

المحسنين وقوله

الترهيب

الكلام

الكلام في يوسف فهل يكون امانى الان الا كامانى فيما قبل يعني كما لم يحصل الامان ونقضتم فكذا الان والظاهر ان ههنا اضمارا والتقدير فتوكل على الله
فيه ودفعه اليهم وقال فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين او حافظا نصب على التمييز واحتمل الثاني الحال نحو لله دره فارسا وهو ارحم الراحمين ارجو ان لا
يجمع على مصيبتين وقيل انه تذكر يوسف فقال والله خير حافظا اى ليوسف لانه كان يعلم انه حي ولما فتحوا متاعهم هو عام في كل ما يستمتع به ويجوز ان
يراد به ههنا الطعام او الاوعية اما قوله ما نبغي فالبغي بمعنى الطلب وما نافية او استفهامية والمعنى ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد منك
بضاعة اخرى او اى شئ نطلب وراء هذا ثم استظهروا بالبضاعة المردودة الينا ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فلا يصيبه شئ مما نخافه
ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائد على اوساق ابا عرنا فاى شئ نبغي وراء هذه المباغي ويجوز ان يكون البغي بمعنى الكذب والتزيد في القول على
ان ما نافية اى ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما
اكرمنا تلك الكرامة قال في الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا بيانا انا
لصادقون ثم قوله ونمير معطوفا على ما نبغي ويكون كلاما مبتدأ اى وينبغي ان نمير كما يقول سعيت في حاجة فلان ويجب ويبتغي ان اسعى ويجوز ان يراد ما نبغي
وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به اليك من ارسال اخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين في رأيهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر بها في نمير اهلنا الى اخره بقي
ما ذا اى طعام ذلك كيل يسير اى ذلك المكيل لاجلنا قليل نريد ان نضاف اليه ما نكال لاجل اخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير اى ذلك القدر
سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقامنا بسببه واختاره الزجاج وجوز في الكشاف ان يكون هذا من كلام يعقوب يعني ان حمل بعير شئ يسير لا
يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا تعطوني ما اوثق به من عند الله وهو الحلف لتأتنني به الا ان يحاط بكم استثناء من اعم العام
في المفعول له فقد يقع مثل هذا الاستثناء في الاثبات اذا استقام المعنى نحو قرأت الا يوم كذا وان شئت قلت له بالنفي اى لا تمتنعون من الاتيان به لعلة
من العلل الا لعلة واحدة هي ان يحاط بكم اى تهلكوا جميعا قاله مجاهد او تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قاله قتادة على ما نقول من طلب الموثق واعطائه
وكيل مطلع رقيب قال جمهور المفسرين انما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم من اصابة العين وههنا مقامان الاول ان الاصابة بالعين حق لما جاء
كثير من الاخبار والاثار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اى جامعة لشر
لمة اذا جمعه والمراد ملمة والتغيير للمزاوجة وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار
فرأيته معافى فقال ان جبرئيل عليه السلام اتاني فرقاني وقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فافقت
وروى انه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ام سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين قال افلا تسترقون له من العين حق ولو كان شئ
يسبق القدر لسبقت العين القدر وقالت عائشة كان يأمر العاين ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين المقام الثاني في الكشف عن حقيقته قال
الجاحظ يمتد من العين اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فتؤثر وتسرى فيه كتاثير اللسع والسم واعترض الجبائي وغيره بانه لو كان كذلك لاثر في غير
المستحسن كتاثيره في المستحسن واجيب بان المستحسن ان كان صديقا فيحصل للعاين عند ذلك الاستحسان خوف شديد من حصول زواله وعلى التقديرين
يسخن الروح وينحصر في داخل القلب فيحصل في الروح الباصرة كيفية مسخنة مؤثرة فلهذا السبب امر النبي صلى الله عليه وسلم العاين بالوضوء ومن اصابته العين
بالاغتسال منه وقال ابو هاشم وابو القاسم البلخي لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشئ واعجب به كانت المصلحة له في تكليفه ان يغير الله
ذلك الشخص حتى لا يبقى قلب المكلف معلقا به وقال الحكماء ليس من شرط المؤثر ان يكون تاثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة بل قد يكون التاثير
نفسانيا محضا او وهميا كما للماشي على الجذع او تصوريا كما في الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة يتصرف في غير ابدانها
بحسبها فمنها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين اما الجبائي وغيره ممن انكر العين فقد قالوا ان اولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس
بكمالهم وجمالهم وهيئتهم فلم يأمن يعقوب ان يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بان ملك مصر ولده الا ان الله تعالى لم يأذن له
باظهاره وكان غرضه ان يصل بنيامين اليه في غيبتهم قاله ابرهيم النخعي واعلم ان العبد يجب عليه ان يسعى باقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد
السعي البليغ يجب ان يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله وقدره وان الحذر لا يغني عن القدر فلهذا قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شئ
فقوله الاول مبني على رعاية الاسباب والوسائط وقوله الثاني اى اخو الاية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامر بالكلية الى مسبب الاسباب وقد صدقه الله
تعالى في ذلك بقوله ما كان يغني عنهم من الله من شئ قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء قضاه الله تعالى وقال الزجاج وابن الانباري لو سبق في
علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال اخرون ما كان يغني عنهم رأى يعقوب شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم
من اضافة السرقة واخذ الاخ وتضاعف المصيبة على الاب الا حاجة استثناء منقطع اى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي اظهار الشفقة
والنصيحة والخوف من اصابة العين او من حسد اهل مصر او من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله وانه لذو علم يعني علمه بان الحذر لا يغني او لتعليمنا اياه
واشاره واشار الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب او لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة في العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا
يعلمون ان الله تعالى كيف ارشد اولياءه والى العلوم التي ينفعهم في الدنيا والآخرة التأويل لما تبين للملك الروح قدر يوسف القلب امانته وصدقه وحسن
استعداده وسعيه في خلاصه من سجن صفات البشرية ليكون خالصا له في كشف حقائق الاشياء ولم يعلم انه خلق لاصلاح جميع رعاياه ومملكته روحانيه وجسمانيه

وعدة العين

يوسف

كاقال النبي صم ان في جسد بني ادم مضغة ان صلحت صلح بها سائر الجسد وان فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب القلب لاختصاص اخر
بالله دون سائر المخلوقات قال سبحانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المومن اجعلني على خزائن ارض الجسد فان الله تعالى في كل عضو من
الاعضاء خزائن من اللطف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزائن من القهر ان استعمله لضده اني حفيظ للخزائن عليم باستعمالها
فيما ينفعها دون ما يضرها نصيب برحمتنا فيه ان اصابه اللطف من تلك الخزائن دون القهر موكولة الى مشية الله تعالى وجاء اخوة يوسف و
هم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم في الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم بشر ان يوسف القلب
لما احتاج اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها الذميمة النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا
يحضر مع القلب الا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه يوفي بارز الكيل ما لم يوف لها الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعتهم
كل عمل من الاعمال البدنية التي يجيء بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها
لان النفس يتأدب ويتزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان تربية القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صم نية المومن
خير من عمله وكالعزائم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والاخلاص ثم قال كمال تربية القلب بالتحلية وتجلي صفات الحق وصفاته وانه لعلهم يرجعون
من صفة الامارية الى المامورية والاطمئنان ويستحق بجذبة ارجعي الى ربك وردت لبنا فوائد ما ترجع الى يوسف القلب ثمرة اهلنا الاعضاء والجوارح
تحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة له ونحفظ اخانا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور
السر عند القلب كيل بعير من الفوائد الربانية ذلك كيل يسير لمن يسره الله لنا نمتنع به مع الفوائد الربانية الا ان يحاط بكم الا ان يغالب عليكم
الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد لا تتقربوا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فللاسباب مدخل في التقريب الا ان الكل موكول الى
مسبب الاسباب ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل
قالوا
اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
ع
فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما
استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح
الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا
وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم القراءة لي انا اخوك بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع نرفع درجات من نشاء بالاضافة
وبياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استيأسوا وبابه بالالف
ثم الياء ابو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف ان شاء لين الهمزة الباقون بياء ثم همزة على الاصل لي ابي بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو و
قنبل ابن كثير في ابي الوقوف يعملون لسارقون تفقدون زعيم سارقين كاذبين فهو جزاؤه الظالمين من وعاء اخيه ليوسف شاء الله ط لان ما
بعده مستأنف نشاء ط عليم من قبل ج مكانا ج تصفون مكانه ج التثلثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين عنده لتعلق اذا بما قبلها الظالمون
التفسير
نجيا يوسف ج للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب يحكم الله لي ج لاحتمال ما بعده الابتداء او الحال الحاكمين سرق ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل
حافظين اقبلنا فيها ط لاختلاف الجملتين والابتداء بان لصادقون امرا ط جميل ط جميعا ط الحكيم التفسير روي انهم لما اتوه باخيهم بنيامين انزلهم واكرمهم
ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا
فاجلسه معه على مائدته ثم امر ان ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له فاتركوه معي فآواه اليه اي نزله في المنزل الذي كان يأوي اليه
فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح ولما رأى تأسفه لاخ هلك قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك قال وهب اراد اني اقوم لك مقام اخيك في الايناس وعدم التوحش
وقال ابن عباس وسائر المفسرين اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا
تبتئس افتعال من البؤس الشدة والضرر اراد نهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من دواعي الحسد والاعمال المنكرة التي اقدموا عليها يروى
ان بنيامين قال ليوسف انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك ولا سبيل الا
بان انسبك الى ما لا يحسن قال انا راض بما رضيت قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك انك قد سرقته فذلك قوله سبحانه ولما

جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه والسقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقى بها الملك والدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب او فضة مموهة بالذهب مرصعا بالجواهر قوله ثم اذن مؤذن نادى مناد ومعناه راجع الى الايذان والاعلام الا ان التشديد يفيد التكثير والتصويت بالنداء ايتها العير اراد اصحاب العير كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير كانها جمع عير واصلها فعل بالضم كسقف فعل به ما فعل ببيض ثم كثر في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو انه كيف جاز لنبي الله ان يرضى بنسبة قومه الى السرقة وهم برآء واجاب العلماء بانهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لانهم لما فقدوا السقاية غلب على ظنونهم انهم اخذوها او المؤذن ذكره على سبيل الاستفهام او المراد انهم سرقوا يوسف من ابيهم او المراد ان فيكم سارقا وهو الاخ الذي رضي بتلبيس البهتان فلا ذنب لان الخصم رضي بان يتهم في حقه بذلك ثم ان اخوة يوسف قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك قيل صواع اسم للصاع والسقاية ولمن جاء به اي بالصواع حمل بعير من طعام جعلا لمن حصله وانا به زعيم كفيل هو من قول المؤذن وفيه ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم ايضا اذا كان معلوما فكان حمل بعير كان عندهم شيئا معلوما كوسق مثلا الا ان هذه كفالة مال لرد السرقة وهو كفالة ما لم يجب لانه لا يحل للسارق ان ياخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم قالوا تالله التاء بدل من الواو وفيه تعجب ولا تستعمل في سائر الاسماء وجعلت فيما هو احق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على امرين احدهما انهم علموا ان اخوة يوسف ما جاؤا لاجل الفساد في الارض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى روي انهم دخلوا وافواه دوابهم مشدودة خوفا من ان يتناول زرعا او طعاما لاحد في الطرق والاسواق وكانوا مواظبين على انواع الطاعات ورد المظالم حتى حكي انهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وثانيهما انهم ما وصفوا قط بالسرقة قالوا اي اصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير للصواع والمضاف محذوف اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل ان يعود الى السارق وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء حتى قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاؤه الرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما يقال حق السارق القطع جزاؤه للتقرير وما ذكر من استحقاقه ويجوز ان يكون مبتدأ وما في الكلام جملة شرطية مرفوعة المحل بالخبرية على ان الاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فيكون الضمير الثاني عائدا الى المبتدأ والاول الى من ولكنه وضع المظهر مقام المضمر للتاكيد والمبالغة وجوز في الكشاف ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤل عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه اما قوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل ان يكون من بقية كلام اصحاب يوسف اعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه لنفي التهمة والوعاء كل ما اذا وضع فيه شيء احاط به قال قتادة كان لا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا اخوه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نترك حتى تنظر في رحله فنظر ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه فاخذوا ابرقته وحكوا برقبته ثم قال سبحانه كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه والكيد مبدأه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث لا يشعر في امر مكروه لا سبيل له الى دفعه وقد سبق فيما تقدم ان امثال هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وما هذا الكيد قيل هو ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير ايضا والمعنى كفعلنا بيوسف من الاحسان اليه ابتداء فعلنا به ابتداء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك لان حكم الملك في السارق ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس اخيه بناء على دين الملك حكمه ومقتضاه الا ان يشاء الله وهو ان الله كاد له فاجرى على السنة اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توصل بذلك الى اخذ اخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى بعض الاغراض الدينية والدنيوية ثم مدحه على الهداية الى هذه الحيلة كما مدح ابرهيم على ما حكى عنه من الدلائل التوحيدية والبراهين من الجهة الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه ثم ان اطلق على الله تعالى انه ذو علم كان هذا العام مخصوصا لانه لا عليم فوقه وان قيل انه عالم بلا علم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص باقيا على عمومه وان قلنا ان الكل بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى والمبطل لهذا التفسير لان قوله ذو علم مشعر بكون علمه زائدا على حقيقته ووصفه نعم عين ذاته وفي هذا البحث طول في غير هذا الموضع كما يروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه فقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنيامين بنو راحيل هم الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل عنوا به يوسف اختلف في تلك السرقة فعن سعيد بن جبير ان جده ابا امه كان يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعله يترك عبادتها وقيل سرق عناقا من ابيه ودجاجة ودفعها الى مسكين وقيل كانت لابرهيم منطقة يتوارثها الاكبر من ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف لما ان شب فاراد يعقوب ان ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت انه قد سرقها وكان في شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عندها وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا فاسرها يوسف قال الزجاج وغيره الضمير يعود الى الكلمة والجملة كانه قيل فاسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال انتم شر مكانا والمعنى انه قال هذه الجملة على سبيل الخفية

اخوة يوسف وان يكون من كلام اصحاب يع

وطعن الفارسي في هذا الوجه فقال اي هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق ان القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائد الى الاجابة
اي اسرّ يوسف اجابتهم في ذلك الوقت الى وقت آخر وقيل يعود الى المقالة والسرقة اي لم يبيّن يوسف تلك السرقة كيف وقعت وانه ليس فيها ما يوجب
الذم والعار وعن ابن عباس انه قال عوقب يوسف ثلاث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق
اخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شرّ مكانا شرّ منزلة في السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم على التحقيق وقلتم اكله الذئب والله اعلم بما تصفون
المراد انه يعلم اني لست بسارق في التحقيق ولا اخي والله اعلم بان الذي وصفتموه هل يوجب تمام لا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول
غضب يهودا وكان اذا غضب وصاح لم يسمع صوته حامل الا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال لبعض
اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسّه فمسّه فذهب غضبه وهمّ ان يصيح فركض يوسف رجله على الارض
واخذ بملابسه وجذبه فسقط فعند ذلك قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر وهو احب اليه منا فخذ احدنا مكانه
استعبادا او رهنا حتى نبعث لفدائه اليك فلعل العفو والفداء كان جائزا ايضا عندهم انا نراك من المحسنين الينا لو فعلت ذلك او من
المحسنين الينا بانواع الكرامة وردّ البضاعة الى رحالنا او ارادوا الاحسان الى اهل مصر حيث اعتقهم بعدما اشترى رقابهم بالطعام قال يوسف
معاذ الله من ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا اي اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع
في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين فلو اخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حيث
لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذوي
نجوى والمراد انهم التناجي في انفسهم لاستجماعهم وانفرادهم لذلك فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جور ورجال عدل او صفة لموصوف محذوف اي
فوجا نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وفيه كان تناجيهم في تدبير امرهم على اي وجه يذهبون وماذا يقولون لابيهم
في شأن اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والرأي وهو يهودا
وما فرطتم اما ان يكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم توفوا بعهد ابيكم واما ان يكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره
الظرف المتقدم اي ومن قبل تفريطكم اي وقع من قبل تقصيركم في حقه او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل	كانه الم تعلموا ان
واما ان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في شأن يوسف من الجناية ومحل الموصول الرفع او النصب على الوجهين فلن
ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب
من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال لغيره من الاخوة ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وقاله بناء على ما شاهد من استخراج
الصواع من وعائه او اراد انه سرق في قول الملك واصحابه كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي في زعمك واعتقادك والمراد ان ابنك ظهر
عليه ما يشبه السرقة واطلاق اسم احد الشبيهين على الآخر جائز والقوم ما كانوا انبياء فلا يبعد منهم الكذب وعن ابن عباس انه قرأ سرّق مشددا
مبنيا للمفعول اي نسب الى السرقة وعلى هذا فلا اشكال ومما يدل على انهم بنوا الامر على الظاهر قوله وما شهدنا الا بما علمنا اي الا بقدر ما تيقناه
من رؤية الصواع في وعائه وما كنا للغيب اي للامر الخفي حافظين فان الغيب لا يعلمه الا الله وعن عكرمة ان الغيب الليل معناه لعل الصواع دسّ في رحله
بالليل من حيث لا نشعر وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق قاله مجاهد والحسن وقتادة او ما علمنا انا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو ان السارق
يسترق اخذ اخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا واسأل القرية التي كنا فيها الاكثرون على انها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها
التفتيش اي ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة واسأل اصحاب العير التي اقبلنا فيها وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعاء
وقال ابن الانباري ان يعقوب كان من اكابر الانبياء فلا يبعد ان يحمل سؤال القرية على الحقيقة بان ينطق الله الجمادات لاجله معجزة فالمراد سل القرية والعير
والجدران والحيطان فانها تجيبك بصحة ما ذكرنا وقيل ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس للشك
فيه مجال ثم زادوا في تاكيد نفي التهمة قائلين وانا لصادقون وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه ولكن الانسان
اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده انا صادق فتأمل فيما ذكرته لتزول عنك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الى ابيهم فقالوا
له ما قال لهم اخوهم فعند ذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقد مر تفسيره في اول السورة ولكن المفسرين زادوا اشياء اخر فقيل
المراد انه تخيل اليكم انه سرق وما سرق وقيل المراد سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين والمصير الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر والحتم
عليّ في ارساله معكم ولم تعلموا ان قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل راد فتواهم وتعليمهم والا فما ادري الملك ان السارق يؤخذ
بسرقته واعترض على هذا الرجل القول بانه كيف يجوز على يعقوب السعي في اخفاء حكم الله تعالى واجيب بان ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان
المسروق منه مسلما وكان الملك كافرا ثم ظن يعقوب كان فرارا ولما طال بلاؤه ومحنته على حسن الظن والرجاء انه سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب ولعله
علم بالوحي ان يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن ابرح الارض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله ان يأتيني بهم جميعا اي بالثلاثة
الغائبين جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعله من الابتلاء والابداء التأويل لما دخل الاوصاف البشرية ومعهم السر على يوسف الغلبة

اوي القلب السر اليه لانه اخوه الحقيقي بالمناسبة الروحانية فلا تبتئس اذ وصلت بي بما كانوا يعملون معك في سفار تبعني لان السر مهما كان رفيقا
من قلب مقارنا للاوصاف كان محروما عن كمالات هو مستعد لها فلما جهزهم بجهازهم القلب للاوصاف بما يلايم احوالها جعل السقاية وهي مشربة
كان منها شرب في رحل اخيه لانهما اصبعا لبان واحد انكم لسارقون سرقتم في الاول يوسف القلب وشريتموه بثمن بخس من متاع الدنيا و
شهواتها وسرقتم في الاخر مشربة ليست من مشاربكم وفيها ان من ادعى الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد اخذ بالسرقة واسترد منه
ولمن جاء به حمل بعير من علف الدواب ومراتع الحيوانات لانه ليس مستحقا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم انا من المقبولين المقبلين على يوسف القلب
لا من اهل الافساد في ارض الدنيا كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذ اخذنا يوسف القلب والقيناه في غيابت
الجب البشرية بل سعينا في ان ينال مملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها وبخ اذ لاءه جزاؤه من وجد في رحله اي لكل شارب مشرب ولكل
شرب فدية ففدية الشارب بمشرب الاخرة الدنيا وشهواتها وفدية الشارب من شرب المحبة بذل الوجود كذلك نجزي الظالمين الذين
وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا حريف الملك في شربه كذلك كدنا ليوسف اي كما كاد الاوصاف البشرية في الابتداء
يوسف القلب في جب البشرية كدنا بهم عند قسمة الاقوات من خزائن الملك فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات ياكلون كما تاكل الانعام وقسمة
بنيامين السر من مشربة الملك وفوق كل ذي علم عليم اي بناه علم الصعود عليم يجد به من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق الى مصعد لا يصعد
اليه الا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله الى الله وهذا صواع لا شعر او عبارة الانسانية ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فيه اشارة الى ان
السر والقلب مع انهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية والروحانية فانهما قابلان للاسترقاق من الشهوات الدنيا وبدوا للنفسانية والمرادات للاوصاف
البشرية عزة القلب عرفت اختصاص البشرية ارادت ان تفدي نفسها وسيلة الى يعقوب الروح فقالت فخذ احدنا مكانه قال معاذ الله ان
ان نقبل بالصحبة والمخالطة الا من وجدنا متاعنا عنده من الصدق والمحبة والاخلاص عنده اي لا يكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما يكون بعلة
المحبة فلما استيأسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الذميمة للمناجاة قال كبيرهم وهو العقل ألم تعلموا ان اباكم وهو الروح قد اخذ عليكم موثقا
من الله يوم الميثاق لا تعبدوا الا الله فلن ابرح ارض فناء القلب وهي الصدر والحاصل ان صفة العقل المتخلصة عن الاوصاف البشرية خرجت عن
اوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح متسلمة لاحكام الحق ارجعوا الى ابيكم الروح على اقدام العبودية وتبديل الاخلاق ان ابنك
سرق لانه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها يكال الحب على وفده وما كنا للغيب حافظين عنده وبخ لنا من الغيب الى الشهادة حافظين لانه رجل الشقا
في رحله غيبنا واسأل اهل الملكوت مصر وارواح الانبياء والاولياء قال بل سولت لكم انفسكم ان للنفس تزيينات وللاوصاف البشرية خيالات فاذا ذهبا
يعقوب الروح لكن علي ان يصبر على امضاء احكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله ان يأتيني بهم فيه ان من متولدات الروح من القلب والاوصاف وغيرها وان
تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد للاستكمال فان الله يجد بالا يبعثهم جميعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر انه هو العليم بافرادهم
بما في التفرق والجمع من الفوائد وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف
حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون قالوا ءانك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا وأتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا
على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت
وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين القراءة مزجاة بالامالة حمزة وعلي وخلف حزني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن
عامر وابو عمرو قالوا انك على الخبر ابو جعفر على حذف حرف الاستفهام ابن كثير ويزيد ائنك بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام يدخل بينهما مدة
اينك بهمزة ثم ياء نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير يزيد اينك بهمزة ممدودة ثم ياء ابو عمرو ويزيد وقالون من يتقي بالياء في الحالين ابن مجاهد
ابو عون عن قنبل الباقون بغير ياء اني اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ربي انه بالفتح ابو جعفر وابو عمرو اذا بالفتح ايضا عندهم
اخوتي ربي بفتح الياء ايضا يزيد والنجاري عن ورش وقالون غير الحلواني والله اعلم الوقوف كظيم لا تعلمون ولا تيأسوا من روح الله الكافرون تصدق

يوسف

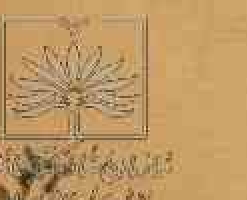
التفسير

علينا المتصدقين جاهلون لانت يوسف اخي لتنجيل الشكر مع اختلاف الجملتين على نشاط لاحتمال انه ابتداء اخبار من الله وان كان من قول يوسف
جاز الوقف ايضا لاتحاد القائل مع الابتداء بان المحسنين لخاطئين الوصل لاختلاف الجملتين نفيا واثباتا وخبرا ودعاء لكن لاحتمال الاستيناف
والحال والوضع الراحمين يأت بصيرا ج لطول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين اجمعين تفندون القديم بصيرا ج لاحتمال ان يكون ما بعده جواب
لما وقوله القاه حالا باضمار قد ما لا تعلمون خاطئين ربي الرحيم آمنين سجدا ج من قبل لتمام الجملة لفظا دون المعنى حقا لتمام بيان الجملة الاولى
وابتداء جملة عظمى اخوتي لما يشاء الحكيم الاحاديث لنحو حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والآخرة ج لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء
الصالحين التفسير لما سمع يعقوب ما سمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا وتولى عنهم اي اعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وفارقهم وقال يا اسفى على يوسف
الاسف اشد الحزن والالف فيه بدل من ياء الاضافة ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر في المائدة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف لا يخفى حسنه
وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تأسف على يوسف دون اخيه والاخ الذي قام بمصر والرزء الاحدث اشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر
العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزء يوسف كان اصل تلك الرزايا فكان الاسف عليه اسفا على الكل ولانه كان عالما بحيوة الاخوين دون
حيوة يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي كان سببه الحزن قال الحكماء اذا كثر الاستعبار اوجب كدورة في سواد العين ماثلة كأنه
سببه الحزن الى البياض فتكون منها العمى لانسداد الطبقات ولا سيما القرنية وانصباب الفضول اليها قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى
كشفه الله تعالى بقميص يوسف وقال آخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا والمراد بالابيضاض غلبة البكاء كان العين ابيضت من بياض
ذلك الماء روي انه لم يجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول
الله صلعم انه سأل جبرئيل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله
ساعة قط ونقل ان جبرئيل عم دخل على يوسف حين ما كان في السجن فقال ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يوسف يده على راسه وقال ليت امي لم
تلدني فلم اكن حزنا على ابي قال اكثر اهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال بعضهم الحزن بالضم فالسكون البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح وقد روي
يونس عن ابي عمرو قال اذا كان في موضع النصب فتحوا كقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الجر او الرفع ضموا كقوله من الحزن
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ واجيب بان المنهي من الجزع هو
الصياح والنياحة وضرب الخد وشق الثوب لا البكاء ونفثة المصدور فلقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون ومما يدل على ان يعقوب عم امسك لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي قوله وهو كظيم فعيل
بمعنى مفعول اي مملوء من الغيظ على اولاده من غير اظهار ما يسوءهم او مملوء من الحزن مع سد طريق نفثة المصدور من كظم السقاء اذا شده على ملائه
او بمعنى الفاعل اي الممسك لحزنه غير مظهر اياه والحاصل انه غرق ثلثة اعضاء شريفة منه في بحر المحنة فاللسان كان مشغولا بذكر يا اسفا و
العين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوا من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العقاب يروى ان
ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبضني قبل ان ارى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك واشجو لشجوك وعن النبي صلعم لم تعط امة من
الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا وضعف هذه
الرواية فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال ان لا يعرف امة من الامم ان الكل من الله وان الرجوع لا محالة اليه واقول هذا نوع من المكابرة
فان منكري المبدأ والمعاد اكثر من حصى الوادي على ان المراد من الاعطاء الارشاد الى هذا الذكر وخصوصا عند المصيبة وقد اخبر الصادق
ان هذا مما خصت هذه الامة به والله اعلم قالوا الاظهر انهم ليسوا اولاده الذين تولى عنهم وانما هم جماعة كانوا في الدار من خدمه واولاد
اولاده تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعدم الالتباس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة اي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتور والفتوء اخوان قال ابو زيد ما فتئت اذكره اي ما زلت
لا يتكلم به الا مع الجحد حتى تكون حرضا وصف بالمصدر للمبالغة والحرض فساد في الجسم او العقل للحزن والحب حتى يكون كلا لا كالاحياء ولا كالاموات
ارادوا انك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشفى على الهلاك او تهلك فاجابهم بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قالت العلماء
اذا اسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان بثا فالبث اصعب اذا اسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكره
لغيره كان بثا فالبث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس فيعني لا اذكر الحزن القليل الا مع الله ملتجئا اليه وداعيا
لمخلوق وشكايتي وهذا مقام العارفين الصديقين كقول نبينا صلعم اعوذ بك منك ويحتمل ان يكون هذا معنى توليه عنهم اي تولى عنهم
الى الله والشكاية اليه يحكى انه دخل على يعقوب جار له وقال له ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذي لكثرة غمومي
فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي
وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت اي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم ان حال يعقوب في تلك النوائب

شديد و كلام

كانت مختلفة فتارة كانت مستغرقا في بحار معرفة الله وتارة كان يستولي عليه الحزن والاسف فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همه يوسف بغير اختيار منه وكذا تاسفه عليه ما دون انه عوتب على ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين وبالحقيقة كانت واقعة يعقوب امرا خارق العادة اراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتمادى اسفه وحزنه والا فمع غاية شهرته وشدة محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف ولم يبعث يوسف اليه رسولا بعد تملكه وقدرته ولم زاد في حزن ابيه بحبس اخيه عنده اما قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجو ان ياتيني الفرج من حيث لا احتسب وقيل انه راى ملك الموت في المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم اشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه كان قد راى امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي اخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في اقواله وافعاله فظن انه ابنه او علم ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك ما اذاه فغلب على ظنه ان الملك هو يوسف وقيل اوحى الله تعالى اليه انه سيلقى او سيلقى ابنه ولكنه ما عين الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وهو طلب الشيء بالحاسة كالسمع والبصر ومثله التجسس بالجيم وقد قرئ بهما وربما يخص الجيم بطلب الخبر في ضد الخير ولا تياسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم اي من رحمته التي تحيى بها العباد قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما يهتز به الانسان ويلتذ به فهو روح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان هذا الياس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد مطلق ولا حكيم لا يفعل العبث في البعث وكل واحدة من هذه العقايد كفر فضلا عن جميعها اللهم اني لا اياس من روحك فاصنع ما انت اهله ثم ههنا اضمار والتقدير فقبلوا وصية ابيهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها من زجيته اذا دفعته قال سبحانه الم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة العجم وقيل لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها صورة يوسف وكانت دراهم مصر تنقش عليها صورته فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين وان يسعر لهم بالردي كما يسعر بالجيد فاختلف العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء سوى محمد صلعم وقال الاخرون ارادوا بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة او بايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك لا يضيع عنده والصدقة العطية التي ترجى بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء ان يقال الله تعالى متصدق او اللهم تصدق علي بل يجب ان يقال اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني كان يعقوب امرهم بالتحسس من يوسف واخيه والمتحسس يجب عليه ان يتوسل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق يتعلق بكل شيء فبدؤا بالعجز والاعتراف بضيق اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفضت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقوله هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتم من يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بامرهم هذا واما فعلهم باخيه فتعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه وامه وايذاؤهم اياه بالاحتقار والامتهان وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم في اوان الصبى وزمان الجهالة والغرة ازالة للخجالة عنهم فان مظنة الجهل الشباب ونصحا لهم في الدين اي هل علمتم قبحه فتبتم لان العلم بالقبح يدعو الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يتشفى المغيظ وينفث المصدور ويدرك ثاره الموتور وقيل انما نفى العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا ائنك لانت يوسف عرفوا بالخطاب الذي لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم او تبسم فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم او رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها قال انا يوسف صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب انا ذلك العاجز الذي قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما كما كنت ثم صار منعما عليه من الله وقيل ليعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما فقوله قد من الله علينا اي بكل خير دنيوي واخروي وبالجمع بعد التفرق

انه ان الشان من يتق عقاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعته فان الله لا يضيع اجر المحسنين اراد اجرهم فاكتفى بالربط بالعموم ومن قرأ يتقي باثبات الياء
فوجهه ان يجعل من بمعنى الذي ويجوز على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذفت الحركة للتخفيف او للمشاكلة وفي الاية دليل
على براءة ساحة يوسف وتنزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى
والصبر وسيرة المحسنين وصفة الاحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء وان افضل بعضهم على بعض لان الانبياء متفاوتون في الدرجات تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض وان كنا وان شاننا انا كنا خاطئين قال ابو عبيدة خطئ واخطأ بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ من اراد الصواب
فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي قال ابو علي الجبائي انهم لم يعتذروا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه
وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم اخطأوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان
الذئب لم ياكله واعترض عليه فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان من غير ان يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر غيران م
انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم متعمدين للاثم
قال يوسف لا تثريب عليكم لا تانيب ولا توبيخ وقيل لا اذكر ذنبكم وقيل لا مجازاة لكم عندي على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه
من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والقراد وذلك لانه اذا ذهب منه الثرب كان
في غاية الهزال والعجف فصار مثلا للتقريع المدنف المضني وقوله اليوم اما ان يتعلق بالتثريب او بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثربكم
اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب الدارين مرفوعا عنهم واصل الدعاء ان يقع على
لفظ المستقبل فاذا اوقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء فيكون فيه بشارة بعاجل غفران الله لتجدد
توبتهم وحدوث ندمهم في ذلك اليوم يروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان
بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخذ يوم الفتح بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ما ترونني فاعل
بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال صلى اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى الشباب
اسهل منها الا الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم
عن ابيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله فارتد بصيرا المراد
يأت الي وهو بصير دليله قوله واتوني باهلكم اجمعين قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة اوحى الله اليه ان فيه عافية كل
مبتلى وشفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله علم ان اباه ما كان اعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القى عليه قميصه سار منشرح الصدر
بقوي فرحه وزال ضعفه روي ان يهوذا حمل القميص قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وخرج حاسرا من مصر الى
كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف مصر وهم ثلثة وتسعون بين در
رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم نحو من ستمائة الف ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه
وفصل مني اليه كتاب اذا نفذ واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد لاجل مجانسة الشم ريح يوسف قال مجاهد
هبت ريح فصفقت القميص ففاحت ريح الجنة في الدنيا فعلم يعقوب انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل
اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء اوان الروح والفرج من مسيرة ثمان ومنع من وصول خبره اليه مع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين
عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان المحنة صعب وكل
صعب فهو في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جوابه محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف
وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات راي فتفند في الكبر قالوا اي بعض الحاضرين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم اي فيما كنت عليه شيخ مفند ولا يقال عجوز
فيه من البعد عن الصواب في افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما يكابد على يوسف من الاحزان
قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء ان صلة اي فلما جاء فلما ذهب عن ابراهيم الروع وقيل هي مع
الفعل في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما ظهر ان جاء البشير وهو يهوذا القاه طرحه البشير او يعقوب على وجهه فارتد بصيرا اي انقلب من العمى الى البصر
او من الضعف الى القوة قال الم اقل لكم جوز في الكشاف ان يكون مفعوله محذوفا وهو قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله لا تيأسوا من روح الله ويكون
قوله اني اعلم كلاما مستانفا والظاهر ان مفعوله قوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك انه كان قال لهم انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله
ما لا تعلمون روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان
تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر لانه ارجى الاوقات
للاجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى اخره الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل اخره ليتعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في الحال [illegible]



الجزء الثالث عشر

بدوام الاستغفار في الاستقبال فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وروي انه قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا انهم هلكوا نزل جبرئيل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة والخلاف للناس في نبوتهم مشهور يحكى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي ويتوكأ على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فاجابه يوسف وقال يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك ومعنى آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه باقية الى ذلك الوقت وقيل ماتت الا ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها تحقيقا لرؤيا يوسف وقيل المراد بابويه ابوه وخالته لان امه ماتت في النفاس باخيه بنيامين حتى قيل بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماها الله تعالى احد الابوين لان الخالة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخال اب كما ان العم اب فكيف قد اجتمع ههنا الامران قال السدي كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كانه حين استقبلهم نزل لهم في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلى هذا جاز ان يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا مصر اي اقيموا بها وقوله ان شاء الله آمنين يتعلق بالدخول المكيف بالامن كانه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم واقامتكم ان شاء الله وجواب الشرط بالحقيقة محذوف والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما سلف يخافون ملك مصر او اراد الامن من القحط والشدة او من تعييره اياهم بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه وخروا له سجدا لسائل ان يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجدوا ليوسف وايضا تعظيم الابوين ثاني تعظيم الله سبحانه فمن اين جاز سجدة ابويه له والجواب عن ابن عباس في رواية عطاء ان المراد خروا لاجله سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التأويل في قوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين اي انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتي واعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه او يراد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة واعترض على هذا الوجه بان لفظ الخرور يأباه واجيب بان الخرور قد يعنى به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا وقيل الضمير عائد الى اخوته فقط ورد بان قوله هذا تأويل رؤياي من قبل ينبو عنه واجيب بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه فيحتمل ان يكون السجدة في حق الاخوة التواضع التام وفي حق ابويه مجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام للولد واكرام وقيل انما سجد الابوان لئلا تحمل الانفة اخوته على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغائن او لعله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف موافقة لامر الله ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما رأى سجودهم اقشعر جلده ولكن لم يقل شيئا و كان الامر بتلك السجدة كان من تمام التشديد والبلية والله اعلم وقد احسن بي اي احسن بي واليه بمعنى اذ اخرجني من السجن لم يذكر اخراجه من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولانه لم يكن نعمة لانه حينئذ صار عبدا وصار مبتلى بالمرأة ولان هذا الاخراج اقرب واشمل وجاء بكم من البدو اي من البادية سمي المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواش يتنقلون في المياه والصحاري قال ابن الانباري بدا موضع معروف هنالك روي عن ابن عباس ان يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده اهل الحضر والبدو قصد هذا الموضع الذي يقال له بدا والمعنى جاء بكم من قصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى اخبر عن يوسف انه اضاف الاحسان الى الله ونسب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على ان الخير من الله دون الشر واجيب بانه انما راعى الادب والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة والقاصر في الداعية الى الشر فلا يقدر عليه الا الله تعالى فان العاقل لا يريد ضرر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء فاذا اراد حصول امر هيأ اسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام انه هو العليم بالوجه الذي يسهل به الصعاب الحكيم في افعاله حتى يجيء على الوجه الاصوب والنحو الاصلح يحكى ان يوسف اخذ بيد يعقوب وطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي والثياب والسلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال او ما تسأله فقال انت ابسط اليه مني فسأله فقال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له قال رب قد آتيتني من الملك شيئا من ملك الدنيا او من ملك مصر لانه كان دون ملك فوقه وعلمتني من تأويل الاحاديث بعضا من ذلك لانه لا يمكن ان يحصل في العمر المتناهي والاستعداد المعين المحصور للانسان سوى المتناهي من السعادات الدنيوية والكمالات الاخروية فاطر السموات والارض منادى ثان او صفة النداء الاول ابدعهما على النحو الافضل من مادة سابقة كالدخان او من عدم محض انت وليي في الدنيا والآخرة

لا تبوئي اصلاح مهماتي في الدارين غيرك ولما قدم النداء والثناء كما هو شرط الادب الحسن ذكر المسئلة فقال توفني مسلما اراد الوفاة على حال الاسلام والختم بالحسنى كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون والحقني بالصالحين من ابائي او على العموم قيل الصلاح اول درجات المؤمنين فالتواصل الى الغاية وهي النبوة كيف يليق به ان يطلب البداية والجواب ان اراد الالحاق بالاباء فظاهر وان اراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير طلب الالحاق باهل الصلاح غير فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التي تتعاكس اضواءها وتتكامل انوارها الى حيث لا يطيقها العيون الضعيفة هذا مع ان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو ان التوفي على الاسلام والالحاق باهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القائل افعل يا من لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا اذا كان الفعل من الله فكيف يجوز ان يقول للمكلف افعل مع انه ليس بفاعل اجاب الجبائي والكعبي بان المراد اللطف بالاقامة على الاسلام الى ان اموت فالحق بالصلحاء ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله بحق الكل فسؤاله لغو والانبياء يعلمون انهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة في الطلب الجواب العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي ولا سيما في مقام الخشية والرهبة وقال في التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر وهي الاستسلام لحكم الله والرضا بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين انه تمنى الموت واللحوق بدار البقاء في زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبي قبله ولا بعده قال اهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله ان يعظم رغبته في الموت لوجوه منها ان مراتب الموجودات ثلث المؤثر الذي لا يتاثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتاثر الذي لا يؤثر وهو عالم الاجسام فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض المتضادة ويتوسطهما قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف من العالم الالهي ثم اذا اقبلت على عالم الاجسام تصرفت فيه واثرت فللنفوس في التاثير والتاثر مراتب غير متناهية لان تاثيرها بحسب تاثرها مما فوقها والكمال الالهي غير متناه فاذن لا ينفك النفس نقصانا ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وقد ذاق لذة الكمال بقي في القلق والم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الا الموت فح يتمنى الموت ومنها ان سعادات الدنيا ولذاتها سريعة الزوال مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها مخلوطة بالمنغصات والاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الاراذل اكثر فلاجرم تمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الافات ومنها ان اللذات الجسمانية لا حقيقة لها لان حاصلها يرجع الى دفع الالام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد البلع فان الماكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم ولا شك انه شيء منفر ثم يصل الى المعدة فيستحيل الى ما ذكره منفر فكيف يميل وممن قال بعض العقلاء من كانت همته ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وايضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة نقص وافة وكذا الكلام في لذة النكاح وعيوبها مع ان فيها احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقي المرء في مهالك الاكتساب ومهاوي الانتجاع ولذة الرياسة ادنى عيوبها ان كل واحد يكره بالطبع ان يكون خادما مامورا ويحب ان يكون مخدوما امرا فسعي الانسان في الرياسة سعي في مخالفة كل من سواه ولا ريب ان هذا امر صعب الحصول ممتنع المرام واذا ناله كان على شرف الزوال في كل حين واوان لان كثرة الاسباب توجب حصول الاثر فيكون دائما في الحزن والخوف فاذا تامل العاقل في هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح في اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فيكون دائما في بحر الافات وغمرات الحسرات فح يتمنى زوال هذه الحيوة وقد سبق منا في تمني الموت كلام انيق في سورة البقرة في تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال اهل السير لما توفي يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ثم بقي يوسف هناك الى ان بعث الله موسى فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر ابيه والله تعالى اعلم بحقائق الامور التاويل ان يعقوب الروح لا يتاسف على فوات شيء من المخلوقات الا على يوسف القلب لانه مرات جمال الحق لا تشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه في انتظارها فلامه على ذلك الاوصاف البشرية بقولهم تفتؤ تذكر يوسف واين اهل السلوة في عشقه من اهل العشق اين الخلي من الشجي ولا بد للمحب وكلام من ملامة الخلق فاول ملام في ادم حين قالت الملائكة لاجله اتجعل فيها من يفسد فيها بل اول ملام هو الله تعالى حين قالوا له اتجعل فيها وذلك اثر كل محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم واعلم من الله مع حاله وكماله اذهبوا فتحسسوا فيه ان الواجب على كل مسلم ان يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره وان ترك لطف الله واليأس عن وجدانه كفر فلما رات الاوصاف البشرية اثار العزة من رب العزة على صفحات احوال يوسف القلب حين وصلوا بتيسير احكام الشريعة وتدبير اداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا وهم القوى الانسانية الضر البعد عن الحضرة الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل بافاضة سجال العوارف واسباغ ظلال العواطف قال انتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلومية والجهولية لقد اثرك الله علينا بالطلب الصادق والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا لخاطئين في الاقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية التي تضر القلب والسر والروح لا تثريب عليكم اليوم لانه صدر منها ما صدر بحكمة من الله

تعالى وتربية القلب فان كان مصراً له ظاهراً كما ان ضيع اخوة يوسف في البداية صار سببا لرفعة منزلته في النهاية اذهبوا بقميصي وهو نور جمال الله
ولما فصلت عير واردات القلب هبت نفحات الطاف الحق انك لفي ضلالك القديم شعر يا عاذل العاشقين دع فئة اضلها الله كيف
يرشدها فارتد بصيراً لان الروح كان بصيرا في بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بانوار من القلب شعر
وردا لبشير بما اقر الاعينا وشفى النفوس من غليل غايات المنى والقلب في بدو الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول
فيضان الحق بين اصبعين ونال مملكة الخلافة بمصر القرب في النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستنادته بانوار الحق وبذلك ان القلب بمثابة
المصباح في البداية الى التربية في قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح وتزكيته في النهاية لتقبل بواسطته النار ادخلوا مصر ان شاء الله
لانه لا يصل الى الحضرة الاحدية الا بجذبة المشيئة امنين من الانقطاع والانفصال وخروا له سجداً لما راوه وعرفوه انه عرش الحق تعالى فالسجدة
لله تعالى كانت في الحقيقة لرب العرش هذا تاويل رؤياي من قبل اذ كنت نائما في نوم العدم اذ اخرجني من السجن سجن الوجود ولم يقل من الجب لانه خرج من جب البشرية في البداية
ما دام من الجب بدو الطبيعة التي هي الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وارض البشرية توفني مسلما من قيد الوجود المجازي وابقني ببقائك
مع الباقين بل بفضلك ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من آية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم ع
الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون القراءة سبيلي بفتح الياء ابو
جعفر ونافع نوحي بالنون وكسر الحاء حفص الاخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وابن كثير والاعشى والبرجمي
والباقون بتاء الخطاب كذبوا مخففا عاصم وحمزة وعلي وخلف ويزيد الباقون بالتشديد فنجي بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الياء ابن عامر و
عاصم وسهل ويعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائي مثل هذا ولكن بسكون الياء وخطاه علي عيسى بناء على انه فعل مستقبل
من الانجاء والنون لا يدغم في الجيم ومن التنجية والنون المحركة لا يدغم في الساكن واقول ان كان فعلا ماضيا من التنجية والنون المتحركة لا يدغم
كما في القراءة الاولى ولكن يسكن الياء للتخفيف لم يلزم منه خطاء الاخرون قرؤا بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارعا من الانجاء
على حكاية الحال الماضية الوقوف اليك ج لابتداء النفي مع واو العطف يمكرون بمؤمنين اجر للعالمين معرضون مشركون لا يشعرون ومن اتبعني
المشركين القرى ط من قبلهم اتقوا ط تعقلون نصرنا ط لمن قرأ فنجي بالتخفيف ولا وقف على من نشاء ومن قرأ فنجي مشددة وصله بما قبله ووقف على من نشاء المجرمين
الالباب ط يؤمنون التفسير ذلك الذي ذكر من نبأ يوسف هو من اخبار الغيب وقد مر تفسير مثل هذا في اخر قصة زكريا في سورة ال عمران ومعنى اجماع
الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح وارادوا عزمهم على القاء يوسف في البئر وهو المكر بعينه وذلك مع سائر الغوائل من المجيء على قميصه بدم
كذب ومن شراهم اياه بثمن بخس قال اهل النظم ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله ص على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله
انه اذا ذكرها انهم اصروا على كفرهم فنزل وما اكثر الناس اي اكثر خلق الله المكلفين او اكثر اهل مكة قاله ابن عباس ولو حرصت جوابه مثل ما تقدم
اي ولو حرصت فما هم بمؤمنين والحرص طلب الشيء باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الاية قوله انك لا تهدي من احببت وما تسئلهم عليه على
ما تحدثهم به من اجر كما يسئل القصاص ان هو الا ذكر وعظة من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكاين من اية الاكثرون على انه لفظ مركب من كاف
التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتمييز عن
الكاف لا عن اي كما في مثلك رجلا والاكثر ادخال من في تمييزه وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض وفي مواضع
اخر تفصيل بعض الايات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الايات قصص الاولين واحوال الامم الماضين ومعنى
يمرون عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء وخبره يمرون والمراد ما يرون من آثار الامم
الهالكة وغير ذلك من العبر الحاصل ان جملة العالم العلوي والعالم السفلي محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن
الغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا مقرين بالاله ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا في المعبودية هو الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن هم
اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتج الكرامية بالاية على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار
اللغو ولو كان كافيا لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتعمهم قل يا محمد لهم هذه سبيلي التي هي الدعوة الى الايمان سبيلي وقوله ادعو الى الله

نفسه لسبيلي وعلى بصيرة حال من ادعو عاملة انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة في انا و
من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ والمعطوف عليه ومن اتبعني وعلى بصيرة خبرا مقدما فيكون ابتداء اخبار بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشهي وقل
سبحان الله تنزيها عما اشركوا وما انا من المشركين لا شركا جليا ولا شركا خفيا قال ارسلنا من قبلك وفي الانبياء قبلك بغير من لان قبلا اسم للزمان
السابق على ما اضيف اليه ومن يفيد استيعاب الطرفين وفي هذه السورة اريد الاستيعاب قوله الا رجالا رد على من زعم ان الرسول ص ينبغي ان يكون
ملكا او يمكن ان يكون امرأة مثل سجاح المتنبئة وقوله من اهل القرى خصهم بالاستنباء لان اهل البادية من الغلظ والجفاء فيما رحمة من الله لنت لهم قال ص
من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة انما قال افلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لاتصالها
بقوله وما ارسلنا من قبلك فكان الفاء انسب من الواو ولدار الاخرة موصوف محذوف اي ولدار الساعة والحال الاخرة لان للناس حالين حال الدنيا
وحال الاخرة وبيان الخيرية قد مر في الانعام وانما خصت ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غاية لمحذوف دل عليه الكلام والتقدير
فتراخى نصر اولئك الرجال حتى اذا استيأسوا عن النصر او عن ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا فيه وجوه لقراءتي التخفيف والتشديد لامكان عود الضمير في
الفعلين الى الرسل والى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل السابق ذكرهم في افلم يسيروا اما وجوه التخفيف فمنها فظن الرسل انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون وكذب رجاؤهم لقولهم رجاء صادقا وكاذبا والمراد ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد
تطاولت وتمادت حتى توهموا ان لا نصر لهم في الدنيا قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا
الا ترى الى قوله وزلزلوا والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه الوسوسة وحديث النفس على عالم البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد
الجانبين على الاخر فلا لان الرسل اعرف الناس بالله وبانه منزه عن خلف الميعاد مبرأ عن وصمة الاخلاف ومنها وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر
والظفر ومنها وظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم واما قراءة التشديد فان كان
الظن بمعنى اليقين فمعناه ايقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان بعد فدعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستئصال او كذبوهم فيما وعدوهم
من العذاب والنصرة عليهم وان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل ان الذين امنوا بهم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان وهذا تأويل عائشة
قالت ما وعد الله محمدا شيئا الا وعلم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا من ان يكذبهم الذين كانوا قد امنوا بهم لقد كان في قصصهم
قصص الرسل اضافة المصدر الى الفاعل ويحسن ان يعود الضمير لاخوة يوسف لاختصاص هذه السورة بهم والعبرة نوع من الاعتبار وهي العبور من الطرف
المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم انه لا خير الا في العمل الصالح والتزود بزاد التقوى فان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا
العباد ثم لم يراعوا حق الله في شيء من ذلك ماتوا وانقرضوا وبقي الوزر والوبال عليهم وعلى الخصوص ان الذي قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب
واعلاء شانه بعد حبسه في السجن واجتماعه باهله بعد طول البعاد قادر على اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشترك في الدلالة على صدق محمد لان هذا
النوع من القصص الذي اخبر جملة الاحاديث ورواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر وبرهان باهر على انه بطريق الوحي والتنزيل وانما
يكون دليلا او اعتبارا لاولي الالباب واصحاب العقول الذين يتأملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان الدليل دليل في نفسه للعقلاء وان لم
ينظر فيه مستدل قط كما ان الرئيس الحقيقي من له اهلية الرياسة وان كان في نهاية الخمول ما كان مدلول القصص هو المقصوص والقران حديثا يفترى لظهور
اعجازه ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والا
والقياس وقيل تفصيل كل شيء من واقعة يوسف مع ابيه واخوته قال الواحدي وعلى التفسيرين فهو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤول اليهما
وهدى في الدنيا ورحمة في الاخرة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك التاويل من انباء الغيب لان هذا الترتيب في السلوك لا يعلمه الا من الاولو
لجج بحر ملكوت السماء الغواصون في بحر بطن القران وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما تسألهم
عليه وما تسألهم عليه من اجر لان اللاهوتية غير محتاجة الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها وكاين من
اية في سموات القلوب وارض النفوس تمر الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لاقبالها على الدنيا وشهواتها وما يؤمن اكثر الصفات الانسانية
بطلب الله وتبدل صفاتها الا وهم مشركون في طلب الدنيا وشهواتها وطلب الاخرة ونعيمها او وما يؤمن اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون برؤية الايمان
والطلب انهما منهم لا من الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب فهو موحد كل شيء هالك في نظر الموحد الا وجهه او وما يؤمن اكثر الناس بالله و
بقدرته وايجاده الا وهم مشركون في طلب الحاجة من غير الله غاشية جذبة تقهر ارادتهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله او تأتيهم
الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلي لان طريق السير والسلوك مختص بي وبامتي الا رجالا من اهل قرى الملكوت دون مدن الملك
والاجساد ارجال من القرى واشبه ان يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى اقل اجزاء من المدن افلم يسيروا في ارض البشرية على
قدمي الشريعة والطريقة ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وظنوا انهم قد كذبوا في ابطاء النصر ابتلاء للرسل الله حسبي ونعم الوكيل

الرعد

سورة الرعد مكية وقيل مدنية سوى اية نزلت تخفيفا قولوهم يكرون حروفها ثلثة الاف خمسمائة وستة كلمها ثمانمائة خمس وخمسون اياتها ثلث واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ۝ الله الذي رفع السموات بغير عمد
ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ۝ و
هو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون ۝ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۝ وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد أولئك
الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۝ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ۝ ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ۝ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء
ع عنده بمقدار ۝ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ۝ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب
بالنهار ۝ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ۝ القراءة وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالجر
فيهن عطفا على أعناب يسقى بالياء المثناة من تحت على تقدير يسقى كله أو للتغليب ابن عامر وعاصم ويزيد ويعقوب الباقون بتاء التأنيث لقوله جنات و
يفضل على الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون على نحن نفضل أإذا بهمزتين واحدة على أنه يقلب الثانية ياء والباقي كما مر نافع غير قالون وسهل ويعقوب
غير رشيد أئذا أئنا بالمد والباقي مثله زيد خالون أإذا بهمزة واحدة أإنا بهمزتين ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة أإذا بهمزة واحدة آينا بهمزة ممدودة ثم
ياء فيهما ابن كثير مثله ولكن بالمد أبو عمرو أإذا أإنا بهمزتين فيهما عاصم وحمزة وخلف هادي ووالي بالياء في الوقف يعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى
ابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الوقف وعن البزي بغير ياء المتعالي بالياء ابن كثير ويعقوب وافق سهل وعباس في الوصل الوقوف المر كوفي آيات الكتاب ط لا يؤمنون
والقمر ط مسمى ط توقنون وأنهارا ط النهار ط يتفكرون بماء واحد ط لمن قرأ ويفضل بالنون في الأكل ط يعقلون جديد ط بربهم ج في أعناقهم ج للتاريخ خالدون
المثلات ط ظلمهم ج لتنافي الجملتين العقاب من ربه ط هاد تزداد ط بمقدار المتعال بالنهار من أمر الله ط ما بأنفسهم ط فلا مرد له ج لاختلاف الجملتين وال التفسير تلك
الآيات التي في هذه السورة آيات السورة العجيبة الكاملة في بابها والذي أنزل إليك من ربك أي القرآن كله هو الحق الذي لا محيد عنه والمراد أنه لا
ينحصر الحقية في هذه السورة وحدها ثم أخذ في تفصيل الحق فبدأ بالدلالة على صحة المبدأ والمعاد فقال الله مبتدأ خبره الذي أو الموصول صفة المبتدأ
وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات خبر بعد خبر والعمد بفتحتين جمع عمود فهو ما يعمد به الشيء شبه الاسطوانة وقوله ترونها كلام مستأنف على سبيل الاستشهاد
أي أنتم ترونها مرفوعة بلا عماد وقال الحسن في الآية تقديم وتأخير تقديره رفع السموات ترونها مرفوعة بغير عمد وفيه تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم
زعم من تمسك بالمفهوم أن للسموات عمدا لكنا لا نراها وما تلك العمد قال بعض الظاهريين هي جبل من زبرجد محيط بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى
سقوط هذا القول لأن كل جسم لو كان معتمدا يلزم أن يكون معتمدا على شيء فذلك الجبل أيضا كان معتمدا على شيء وتسلسل وقال بعض من ترقى من حضيض
الصورة إلى ذروة عالم المعقول أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه الذي أو فيها في التجلي العالي ونحن لا نرى ذلك التدبير ولا نعرف كيفية ذلك
الإمساك أما قوله كل يجري لأجل مسمى فعن ابن عباس أن للشمس مائة وثمانين منزلا في مائة وثمانين يوما ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في أمثال
تلك الأيام ومجموع تلك الأيام سنة تامة أقول إن صح هذا عنه فلعله أراد تصاعدها في دائرة نصف النهار وتنازلها عنها في أيام السنة أو أراد نزولها
في فلكها الخارج المركز من الأوج إلى الحضيض ثم صعودها من الحضيض إلى الأوج فإن لها بحسب كل جزء من تلك الأجزاء في كل يوم من أيام السنة تعديلا خاصا
زائدا أو ناقصا كما برهن عليه أهل النجوم وأما القمر فيسير في منازله شهرا وقال سائر المفسرين المراد كونهما متحركين إلى يوم القيمة وبعد ذلك ينقطع الحركات
وتنتهي المسير كقوله وأجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما يقول كتبت لثلث خلون وإنما قال في سورة لقمن إلى أجل مسمى موافقة لقبيل ذلك ومن
يسلم وجهه إلى الله والقياس لله كما في قوله أسلمت وجهي لله يدبر الأمر إجمال بعد التفصيل أي أمر العالم العلوي والعالم السفلي من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى
بحيث لا يشغله شأن عن شأن لأن تدبيره لعالم الأرواح كتدبيره لعالم الأشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة إلى قدرته أحوال
شيء من ذلك في الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وتبديل الصور والأعراض وتغيير الأشكال والأوضاع يفصل الآيات الدالة على وحدانيته
وقدرته ويحتمل أن يراد بتدبير الأمر تدبير عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الآيات إنزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذي هو أثر ذلك
العالم في العالم السفلي ويجوز أن يكون تدبير الأمر إشارة إلى القضاء وتفصيل الآيات إشارة إلى القدر وقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون على التقادير
إشارة إلى إثبات المعاد لأن المتفرد بتدبيره وتقديره على الأشياء المذكورة لا بد أن يعترف بأنه قادر على الإعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية
أتبعها الدلائل الأرضية فقال وهو الذي مد الأرض قال الأصم أي بسطها إلى ما لا يدرك منتهاها وهذا الامتداد الظاهر لحس البصر لا ينافي كونها
لتباعد أطرافها وجعل فيها رواسي أي جبالا ثوابت في أحيازها غير منتقلة عن أماكنها وكيفية تكون الجبال على بسيط الأرض لا يعلم تفصيلها إلا هو جل
وزعمت الفلاسفة القائلون بتأثير السموات في الأجزاء الأرضية القابلة لذلك لا أثر بعد امتزاجها بالأجزاء المائية وغيرها وفي بعض على ذلك نزول

الامطار

الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالي وزعم بعضهم ان البحار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هناك وحين انتقل الحضيض
الى الجنوب انجذب المياه الى ذلك الجانب لان الشمس بصيرورتها في الحضيض اقرب الى الارض فيوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا وحدثت
الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة وباعانة من السموات والاثار العلوية وبالجملة فالاسباب تنتهي لا محالة الى مسبب لا سبب له وهو الله سبحانه
ومن الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض الكائنة فيها من احتباس الابخرة واكثر ذلك انما يتكون في
الجبال فلذا قرن الجبال بالانهار في القرآن كثيرا كقوله وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر
ومكامن الاجسام المايعة من النفط والقير والكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قهار ثم يحدث على الارض بتربية المياه
وتغذيتها انواع النبات فلذلك قال وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وللمفسرين فيه قولان الاول انه حين مد الارض خلق فيها من جميع الثمرات
انواعها زوجين زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فيكون كل زوجين بالنسبة الى ذلك النوع كآدم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني
انه اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاختلاف الصنفي ووصف الزوجين بالاثنين للتاكيد مثل نفخة واحدة
اما قوله يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ فقد مر تفسيره في الاعراف وانما ذكر هذا الانعام في اثناء الدلائل الارضية لان النور والظلمة انما يحدثان في الجو الذي يسميه
الحكماء كرة النسيم وكرة البخار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا ظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببهما طلوع الشمس وغروبها
في الافق ويحتمل ان يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاد مرة اخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ
اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومثلا صفة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على خلافها وفي هذا دلالة ظاهرة
على انها بجعل فاعل مختار موقع لافعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الاجناس مختلفة الثمار في اللون و
الطعم والشكل وهي تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ فتدل على ان هذه الاختلافات لا تستند الى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم وانما ذكر الزرع بين
الاعناب والنخيل لانها كثيرا ما يكون كذلك في الوجود كقوله جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا والصنوان
جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وعن ابن الاعرابي الصنو المثل ومنه قولهم عم الرجل صنو ابيه فمعنى الاية على هذا ان اشجار النخيل قد يكون
متماثلة وقد لا يكون والاكل الثمر الذي يوكل قاله الزجاج وعن غيره انه عام في جميع المطعومات وانما ختم الاية السابقة بقوله إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
وهذه بقوله لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الآباء الاثيرية والامهات العنصرية
لكن العاقل اذا تفكر في اختصاص كل ممتزج بمزاج معين وطبيعة وشكل معين وخاصية مخالفة لغيره علم ان كل هذه الاختلافات لا تستند الى اشعة
كواكب معدودة ولا الى الطبائع عناصر محصورة كما اشير الى ذلك بقوله وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ الاية ولئن سلم ان الاتصالات الفلكية واختلافات الفواعل
والقوابل قد يرتقي الى حد يظهر منها هذه الاثار فلا بد لكل مسبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب له وهو فرد ليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يجده
الا صاحب عقل بل فائدة حسن الحاصل ان التفكر في الآيات يوجب عقلية ما جعلت الآيات دليلا عليه فهو الاول المؤدي الى الثاني والله ولي التوفيق
ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وَإِنْ تَعْجَبْ قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب او ان
تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد او ان تعجب يا محمد فقد عجبت في موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر
الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرائب والعجائب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذي
لا يعرف سببه وذلك في حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم وان سلم ان المراد عجب عند الله كما قرئ في الصافات بل عجبت بضم
التاء فتاويله انه محمول على النهاية لا على البداية اي منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف أَإِذَا كُنَّا الى آخر
قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وهو نبعث ونحشر ثم حكم
عليهم بامور ثلثة الاول أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يعني اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك ان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة
او عن انكار كمالها بان يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتاثير الطبايع والافلاك او انكار العلم
بان يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي وتمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو او انكار الصدق كما اذا قيل انه اخبر عنه ولكنه
لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة وكل واحدة من هذه العقايد كفر فضلا عن جميعها والثاني وَأُولَئِكَ
الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل في عنقه للعمل الرديء اذا كان لازما له وهو
مصر على فعله وقال آخرون هو من جملة الوعيد ولا بد من تجويز على القولين اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلان المراد انه سيحصل هذا المعنى
والغرض انه حاصل في الحال ويؤيد القول الثاني قوله إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ والاول قوله إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا والثالث
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وربما يستدل الاشاعرة بان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار ويمكن ان يقال
في فائدة الحصر ثم انه صم كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة اخرى بعذاب الدنيا فيستهزءون
بزعمهم بانه كلام لا اصل له والى هذا اشير بقوله وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ بالعذاب العقوبة التي تسوءهم قبل تمام الحسنة وهي العافية والاحسان اليهم

بالاهمال والتأخير وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها واصل هذا الحرف من المثال الذي هو الشبه
لان العقاب مماثل للمعاقب عليه ومنه المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين ونحو ذلك وفي ذلك انه ليس تغييرا كليا لا
يماثل الصورة الاولى وانما ذلك تغيير يبقى الصورة معه قبيحة وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قالت الا[illegible]ره فيه دلالة على جواز العفو عن
صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله على ظلمهم حال منهم ومن المعلوم ان الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا بل لا بد ان يدل على انه تعالى يغفر
الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ترك العمل بها في حق الكافر فيبقى معمولا بها في حق اهل الكبائر لا يقال المراد من هذه المغفرة تأخير العقاب الى الاخرة
ليندفع جوابا عن استعجالهم او المراد غفران الصغائر لمجتنب الكبائر او غفران الكبائر بشرط التوبة فان تاب والا فهو شديد العقاب لانا نقول تأخير
العقاب الى الاخرة لا يسمى مغفرة والا كان غافرا للكفار وايضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل لا باداء الواجب وعندكم
يجب غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر وجواب لباقي ما مر عن النبي صلعم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل
احد قال اهل النظم ان الكفار طعنوا في نبوته بسبب الطعن في الحشر والنشور ثم طعنوا في نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا في نبوته بسبب عدم
الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه وقد تقدم مثل هذا في الانعام في تفسير قوله قالوا لولا انزل
عليه آية من ربه ويجيء مثل هذه بعينها في هذه السورة قيل وليس بتكرار محض لان المراد بالاول انهم اقترحوا نحو ما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر الايات
وبالثاني انهم ما لا انهم لم يعتدوا للآيات ان القرآن آية فوق كل آية وانكروا سائر آياته صلعم ولعلهم ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات فاجاب
سبحانه لرسوله انما انت منذر ما عليك الا الاتيان بما يصح به دعوى انذارك ورسالتك ولكل قوم هاد من الانبياء يدعوهم الى الله بوجه
من الهداية والارشاد يليق بزمانه وبامته ولم يجعل الانبياء شرعا في المعجزات فعلى هذا التفسير المنذر نبينا والهادي نبي الا ان الاول محمد و
الثاني نبي كل زمان وقيل المنذر محمد والهادي هو الله تعالى قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والمعنى انهم ان جحدوا كون القرآن
معجزا فلا يضيقن قلبك بسببه فما عليك الا الانذار واما الهداية فمن الله وقيل المنذر النبي والهادي هو علي روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم
وضع يده على صدره فقال انا المنذر واومى الى منكب علي فقال وانت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي قال في التفسير الكبير ثم ان المعاندين
المذكورة في الآيات السابقة بقوله الله يعلم لانه اذا كان عالما بجميع المعلومات قادرا على تمييز اجزاء بدن كل مكلف من غيره فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول
العذاب مفوضا الى علمه فلا يجوز استعجاله به وكذا انزال الآيات يكون موكولا الى تدبيره فان علم ان المكلفين اقترحوها لاجل الاسترشاد و
مزيد البيان اظهرها الله تعالى لهم والا فلا وفيه ان اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية وعلى القول
الثالث فيه ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم باي طريق شاء وعلى هذا احتمل ان يكون الله خبر مبتدأ محذوف و
الجملة مفسرة لهاد اي هو الله ثم ابتدأ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى قال في الكشاف لفظة ما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل
انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها او غيوض ما فيها وزيادته على ان الفعلين غير متعديين فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها والازدياد افتعال
من زاد فابدل التاء دالا وانه يتعدى ولا يتعدى كما انه او موصولة والمراد يعلم ما تحمله من الولد ذكورته وانوثته وتخاطيط اعضائه وسائر احواله من
السعادة وضدها ومن العلم وضده الى غير ذلك ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه كقوله وغيض الماء وما تزداده من العدد فقد يكون واحدا واكثر ومن
الخلقة فقد يكون تاما او مخدجا ومن المدة فقد يكون اقل من تسعة اشهر او ازيد الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك
ومن دم الحيض قال ابن عباس كلما سال الحيض يوما ازداد في مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر ثم بين كمال علمه ونفاذ امره بقوله وكل شيء عنده بمقدار اي بقدر
وحد لا يتجاوزه في طرفي التفريط والافراط والمراد بالعندية العلم كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا وذلك انه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين وحالة
معينة حسب مشيته الازلية وارادته السرمدية وقال حكماء الاسلام وضع اسبابا كلية واودع فيها قوى وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة
بالمقادير المخصوصة احوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها افعال العباد وافعالهم واخلاقهم وخواطرهم ولذلك ختم الآية بقوله
عالم الغيب والشهادة اي هو عالم بما غاب عن الحس وبما حضر له او بما غاب عن الخلق وبما شهدوه او بالمعدومات وبالموجودات الكبير في ذاته لا بحسب الجثة
بل بالرتبة والشرف لانه اجل الموجودات المتعالي المنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته وفي صفاته وفي افعاله ثم زاد في التأكيد فقال سواء منكم من اسر
القول ومن جهر به اي مستو في علمه هذان لانه يعلم السر كما يعلم الجهر لا يتفاوت في علمه احد الحالين سواء عنده من هو مستخف ليتناول معنى الاستواء شخصين
احدهما مستخف والاخر سارب لانه لم يتناول الا واحدا هو مستخف وسارب لا ان يكون من في معنى الاثنين حتى كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل و
سارب بالنهار وفي المستخفي والسارب قولان احدهما ان المستخفي هو المستتر الطالب للخفاء في ظلمة الليل والسارب من يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار
يبصره كل احد يقال سرب في الارض سروبا اي ذهب فيه والسرب بالفتح والسكون هو الطريق ويؤيده قول مجاهد معناه سواء من تقدم على القبائح في ظلمات الليل
ومن يأتيها في النهار الظاهر على سبيل التوالي وثانيهما نقل الواحدي عن الاخفش وقطرب المستخفي الظاهر من قولهم اختفيت الشيء اي استخرجته والسارب
المتواري الداخل سربا بفتحتين ومنه انسرب الوحشي اذا دخل في كناسه وهذا وان صح من حيث اللغة لكن قرينة الليل والنهار دالتا على القول الاول و
لهذا اطبق اكثر المفسرين عليه ثم ذكر ما يجري في الظاهر مجرى السبب لاستواء علمه بحال المسر والمعلن فقال له اي لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات

جماعات

جماعات من الملائكة يعقب في حفظه وكلائته والاصل متعقبات فادغمت التاء وهو على اصله من عقبه بالتشديد اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا ولانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه والتاء للمبالغة نحو نسابة وعلامة او لانه جمع معقبة اي ملائكة معقبة او جماعة معقبة وقوله من امر الله ليس صلة الحفظ لانه لا قدرة للملك ولا لاحد من الخلق على ان يحفظوا احدا من قضاء الله وانما هو صفة اخرى كانه قيل له معقبات من امر الله يحفظونه او له معقبات يحفظونه ثم بين سبب الحفظ فقال من امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه في بمعنى اللام وقراءة ابو علي وابن عباس وغيرهما ويجوز ان يكون صلة على معنى يحفظونه من باس الله اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته وقيل المراد يحفظونه من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان المستخفي والسارب اذا سعى في مهماته فانما يحذر من الجهتين ومما الفائدة في تسلط هؤلاء على ابن ادم قال علماء الشريعة ان الشياطين يدعون الى المعاصي والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات الشريفة واذا علم ابن ادم ان معه ملائكة يحصون عليه افعاله واقواله استحيى منهم وكان ذلك له رادعا قويا وقد مر في هذا الباب كلام في الانعام في قوله ويرسل عليكم حفظة فليتذكر وللاية تفسير اخر منقولا عن ابن عباس واختاره ابو مسلم الاصفهاني قال المعقبات الحرس واعوان الملوك والجملة وهي قوله له معقبات صفة للمستخفي والسارب وحال منه لكونه نكرة موصوفة اي يستوي في علم الله السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والسارب بالنهار مستظهرا بالمعاون والانصار والمقصود بعث الامراء والسلاطين على ان يطلبوا الخلاص عن المكاره بعصمة الله لا بالحرس والاعوان ولذلك ختم الاية بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم قالت الاشاعرة في هذا الكلام دلالة على ان العبد غير مستقل في الفعل لانه اذا كفر العبد فلا شك انه تعالى حكم بكونه مستحقا للذم في الدنيا والعقاب في الاخرة فلو كان العبد مستقلا لحصل الايمان وكان رادا لقضاء الله تعالى وقالت المعتزلة هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم لانه لو ابتدا العبد اول ما يبلغ بالضلال والخذلان كان ذلك من اعظم العقاب مع انه ما كان منه تغيير قالوا وفيه دليل على انه لا يعاقب اطفال المشركين بذنوب ابائهم لانهم لا يغيروا ما بانفسهم من نعمة فيغير الله ما بهم من النعمة الى النقمة اجابت الاشاعرة بان هذا راجع الى قوله ويستعجلونك بين الله سبحانه بذلك انه لا ينزل بهم عذاب الاستئصال الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم ان فيهم من يؤمن او في اعقابهم من يؤمن فانه لا يستاصلهم وزيف بان هذا خلاف الظاهر وقد صرح بذلك في سورة الانفال في قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا الاية والحق ان ترتب النقمة على تغيير النعمة لا ينافي استناد تغيير النعمة اليه فانه مبدا المبادي وانتهاء الوسائط وسبب الاسباب التاويل المر الا ان الله لا اله الا هو الحي القيوم اللام له مقاليد السموات والارض الكريم مالك يوم الدين الواو رب العالمين من الازل الى الابد اقسم بهذه الامور ان الذي انزل على عبده محمد هو الحق وانه حبل الله الذي يوصل المؤمن من هبوط عالم الطبيعة الى ذروة عالم الحقيقة لا الله الذي رفع السموات الحسية بغير عمد فكما انه رفع السموات بقدرته فكذلك رفع الدرجات برحمته وكما انه رفع السموات الحسية بعمد القدرة كذلك يرفع سموات القلوب بعمد العناية وسخر شمس الروح وقمر القلب او النفس لتدبير مصالح العالم الصغير وانما يظهر هذه الغرائب والعجائب لحصول كمال الايقان بالرجوع الى الله والفناء فيه بل البقاء به ومن حسن تدبيره انه مد ارض البشرية وجعل فيها رواسي من الاوصاف الروحانية وانهارا من منابع الغيب ومن كل الثمرات وهي المكاشفات والاخلاق وجعل فيها زوجين اثنين ملكة روحانية حميدة واخرى نفسانية ذميمة فالاولى نورانية كالنهار والاخرى ظلمانية كالليل يغلب هذه تارة وتلك اخرى وهذا معنى قوله يغشي الليل النهار وفي ارض الانسانية قطع متجاورات هي النفس والقلب او الروح والسر والخفي حيوانية وملكوتية روحانية وجبروتية وعظموتية وجنات هي هذه الاعيان المستعدة لقبول الفيض عند بلوغها من اعناب هي ثمرة النفس من الصفات التي هي اصل الاسكار كالغفلة والحمق والسهو واللهو وزرع هو ثمرة القلب فان القلب كالارض الطيبة التي فيها غذاء الروح ونخيل هو الروح والاخلاق الحميدة كالكرم والجود والشجاعة والقناعة والحياء والتواضع والشفقة صنوان هو السر الجبروتي الكاشف عن اسرار الجبروت بين الرب والعبد فانه اذا حكى السر للعبد كان المحكي مثالا لما عليه الوجود وغير صنوان هو الخفي الواقف على اسرار العظموت التي لا مثل لها ولا امثال ولا يحكي لعبد تعالى كما فاوحى الى عبده ما اوحى وكما قال بين المحبين سر ليس يفشيه يسقى بماء واحد هو ماء القدرة والحكمة الله يعلم ما تحمل كل انثى اي ما في استعداد كل مستعد من الفضائل او ما في كل ذرة من ذرات المكونات من الخواص والطبايع او ما في كل منها من الايات الدالة على موجدها سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وما تغيض الارحام وما تزداد اي ما يظهر من تلك الايات للاستعدادات في جانبي التفريط والافراط والمراد ما ينقص من ارحام الموجودات او المعدومات فيما اوجد شيء نقص من رحم العدم واحد وزاد في رحم الوجود واحد وبالعكس في جانب الاعدام مستخف بليل العدم وظاهر بنهار الوجود له اي لله معقبات من العلم والقدرة من بين يدي المعلوم ومن خلفه اي في حالتي عدمه ووجوده من ازله الى ابده يحفظونه من امر الله اي لاجل امره حتى لا يخرج من قبضة تدبيره ان الله لا يغير ما بقوم من الوجود والعدم حتى يغيروا ما بانفسهم من استدعاء الوجود والعدم بلسان استحقاق الوجود او العدم كما يقتضيه حكمته وتدبيره هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا

التاويل

ضلال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال قل من رب السموات والارض
قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات
والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما
الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين
لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس المهاد افمن
يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق و
الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من
ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن
القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب القراءة كباسط مثل بصطر وقد مر في البقرة ام هل يستوي بياء تحتانية
حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الاخرون بتاء التانيث يوقدون على الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الخطاب اما
للكفرة في قوله قل افاتخذتم واما للمكلفين على العموم كما في القراءة الاخرى والضمير يعود الى الناس المعلوم من سياق الكلام الوقوف لتفاته لاختلاف الفاعل مع اتفاق
اللفظ من حيث ان لله في الله لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحال ط للاية وانقطاع النظم دعوة الحق ط بالغ ط ضلال والاصال والارض ط قل الله ط ولا ضرا ط
والبصير للعطف النور لاحتمال ان يكون هذا الاستفهام بدلا عن الاول عليهم ط القهار رابيا مثله ط والباطل ط جفاء ج لاتفاق الجملتين مع كون اما للتفصيل
في الارض ط الامثال الحسنى ط لافتدوا به ط الحساب جهنم المهاد نصف الجزء اعمى ط الالباب لا الميثاق للعطف سوء الحساب ط الدار لا لان قوله جنات عدن بدل
من عقبى من كل باب لحق المحذوف اي فائلين او لا اي عقبى الدار ط في الارض لا سوء الدار ويقدر ط الدنيا ط متاع من ربه ط اناب بذكر الله ط الا ط القلوب ط ماب
التفسير لما خوف عباده بانزال ما لا مرد له اتبعه دلائل تشبه اللطف من بعض الوجوه والقهر من بعضها وهي بعث البرق والسحاب والرعد والصاعقة وقد مر
في اول سورة البقرة تفسير هذه الالفاظ وقول الحكماء في اسبابها وحدوثها وانتصاب خوفا وطمعا اما على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او التقدير ذا خوف
وطمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين واما على انه مفعول له على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع وانما وجب تقدير المضاف ليكون فعلا
لفاعل الفعل المعلل كما هو شرط نصب المفعول له ومعنى الخوف من وقوع الصواعق والطمع في نزول الغيث وقيل يخاف المطر من يتضرر به اما بحسب الزمان
واما بحسب المكان فمن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي عن الرعد فقال ملك من الملائكة
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فعلى هذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك الموكل المسمى بالرعد وعن الحسن خلق من خلق الله
ليس بملك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا غير مستبعد من قدرة الله
خصوصا عند من لا يجعل البنية شرطا في الحيوة وقيل المضاف محذوف اي يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له او متلبسين بسبحان
الله والحمد لله وعن علي سبحان من سبحت له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اشتد الرعد اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل
ذلك وقيل معنى تسبيح الرعد ان هذا الصوت المخصوص بحوله ومهابته يدل على وجود اله قهار كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده قال في الكشاف
ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم اما قوله والملائكة من خيفته اي ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله فقد
ذكر جمع من المفسرين انه عنى بهؤلاء الملائكة اعوان الرعد فانه سبحانه جعل له اعوانا قال ابن عباس انهم خائفون من الله لا كخوف ابن ادم فان احدهم لا يعرف
من على يمينه ومن على يساره ولم يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء وقالت الحكماء انما تتم الاثار العلوية بقوى روحانية فلكية فللسحاب روح معين
من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول في الرياح وفي سائر الاثار فهذا هو المراد بالملائكة في الاية قوله ويرسل الصواعق قد عرفت انها نار يتولد في السحاب
وينزل بقوة شديدة فربما غاصت في البحر واحرقت الحيتان ووجه الاستدلال بها على الصانع ان النار حارة يابسة وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة
والبرودة فالاجزاء المائية فيه وحصول الضد من الضد لا يكون بالطبع وانما يكون بتدبير القادر المختار وتسخيره ولما بين دلائل كمال العلم في قوله والله يعلم
ودلائل كمال القدرة في هذه الاية قال وهم يجادلون في الله لان انكار المدلول بعد وضوح الدليل جدال بالباطل وعناد محض ويحتمل ان يكون الواو
للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم ويؤكده ما روي عن ابن عباس في رواية ابي صالح وابن جريج وابن زيد ان عامر بن الطفيل واربد بن
ربيعة اخا لبيد بن ربيعة اقبلا يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من اصحابه يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد

ع
ع
نصف
الرعد
والطمع الخوف

الله بخير الجهد. فاخرج قبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل لي الامر بعدك قال لا ليس ذلك
الي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس
ذلك لي اليوم وكان اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رأيتني اكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل في الله فقال
اخبرني عن ربك امن نحاس هو ام من حديد فدار اربد خلف النبي صلعم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت
رسول الله صلعم فرأى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد
دعوت ربك فقتل اربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال رسول الله يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت
امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول واللات لئن اصحر الي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل الله اليه ملكا فلطمه
بجناحيه فاذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول اغدة كغدة البعير وموت في بيت السلولية ثم مات
على ظهر فرسه وانزل الله الاية في هذه القصة قوله وهو شديد المحال معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمحال المماكرة ومنه تمحل لكذا اذا
تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعل لنا القرآن شافعا مشفعا ولا تجعله علينا ماحلا
مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة امرها واما عبارات المفسرين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة ابو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة
وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى ارادة ايصال الشر الى مستحقه مع اخفاء تلك الارادة عنه ثم اثنى على نفسه بالحقية وشهد على الاصنام بالبطلان فقال له
دعوة الحق فاضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة الى الحق والمراد انه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة اذا اراد فهو حقيق
بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا فائدة في دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وهذا
اجابة النبي صلعم في الكافرين حين دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قوله لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هي الحق والصدق وقد سلف
تحقيق الحق في اول هذا الكتاب في تفسير البسملة والذين يدعون من دونه اي الالهة الذين يدعوهم او يعبدهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم
بشيء الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر به والحاصل ان الكفار وذلك الطالب كليهما مشتركان في الخيبة
لاشتراكهما في دعاء الجماد وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغترف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلا جرم لا يبلغ طلبته
ثم اكد خيبتهم بقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لحقارة امرهم عنده وان دعوا الالهة
لم تستطع اجابتهم ثم زاد في الثناء فقال ولله يسجد من في السموات والارض فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر في المؤمنين لانهم يسجدون
له طوعا اي بسهولة ونشاط وكرها اي على تعب واصطبار ومجاهدة واما في حق الكفار فمشكل ووجهه ان يقال المراد حق له ان يسجد لاجله جميع المكلفين من
الملائكة والثقلين فعبر عن الوجوب بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالالهية وترك الامتناع عن نفوذ مشيته فيهم فلا اشكال نظيره
قوله وله اسلم من في السموات والارض وقد مر في آل عمران اما قوله وظلالهم فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانباري لا يبعد ان
يخلق الله للظلال فهما تسجد به لله وتخضع له كما جعل للجبال فهما حتى اشتغلت بتسبيحه فظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد
لغير الله كرها ويسجد لله طوعا وقال اخرون المراد من سجود الظلال تقلصها وامتدادها بحسب ارتفاع الشمس وانحطاطها فهي منقادة مستسلمة لما اتاح
الله لها في الاحوال وتخصيص الغدو والآصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها في الوقتين ومعنى الغدو والآصال مر في اواخر الاعراف واعلم انه سبحانه
ذكر اية السجدة في النحل بعبارة اخرى فقال ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة لانه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه
ذكر الملائكة ولا الانس بالتصريح فعم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال في الحج الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض بلفظ من لانه تقدم
ذكر المؤمنين وسائر الاديان فقدم ذكر من في السموات تعظيما لهم ولها وذكر من في الارض لانهم هم الذين تقدم ذكرهم واما في هذه السورة فقد تقدم العلويات
من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم ثم انجر الكلام الى ذكر الاصنام والكفار فبدأ في اية السجدة بذكر من في السموات لذلك وذكر الارض تبعا ولم يذكر
من فيها استخفافا بالكفرة واصنامهم فتبين ان ورود كل اية بما لاق بمقامها والله تعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن التسخير بسؤال التقرير ردا على عبدة الاصنام
فقال قل من رب السموات والارض قل الله وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بانه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا
قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره استيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله قل افاتخذتم ويجوز ان يكون تلقينا
لما لبسوا منكرين له والهمزة في افاتخذتم للانكار والمعنى ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء جمادات عجزة عن تحصيل المنافع
والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار سبب الاشراك ثم جعلوا مع ذلك
اخس الاشياء مكان اشرف الذوات وهذا جهل لا مزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهالاتهم بالظلمات وانكر ان يكون شيء منهما مساويا
لنقيضه فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور جمع الظلمات ووحد النور لان السبل المنحرفة غير محصورة والصراط
المستقيم واحد ثم اكد الانكار المذكور بقوله ام جعلوا والمراد بل جعلوا لله شركاء خالقين مثل خلقه فتشابه الخلق اي خلق الله وخلقهم عليهم اي
ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق الله حتى يشتبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق اصلا بل كل ما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله قل الله خالق كل شيء وهو

التوحيد لظهور المتوحد بالربوبية الذي لا يغالب وما عداه مربوب مقهور قالت المعتزلة للعبد فعل وتأثير ولكنا لا نقول انه يخلق كخلق الله
لان العبد يفعل لجلب منفعة او دفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بان المخالفة من بعض الوجوه لا يقدح في المماثلة من وجه آخر فلو كان فعل
العبد كالتحريك مثلا واقعا بقدرته لكان مثلا للتحريك الواقع بقدرة الله تعالى وهذا الاشكال وارد ايضا على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب
مثلا آخر للحق وذويه والباطل ومنتحليه فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية اي مياهها والوادي الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري
فيه السيل وقيل الوادي اسم للماء من ودى اذا سال والمعنى سالت مياه قال الفارسي لا نعلم فاعلا جمع على افعلة الا اودية وكانه حمل على فعيل فجمع على افعلة
كجريب واجربة كما ان فعيلا حمل على فاعل فجمع على افعال مثل يتيم وايتام وشريف واشراف كاصحاب وانصار في صاحب وناصر وقال غيره نظيره واد واودية وناد وندية
ومعنى التنكير في اودية ان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض قال في الكشاف معنى بقدرها بمقدارها
الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم بدليل قوله واما ما ينفع الناس وقال الواحدي معناه سالت مياه الاودية بقدر الاودية فان صغر الوادي قل الماء
وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره زائدا بسبب انتفاخه من
ربا يربو اذا زاد ثم قال سبحانه اظهارا للكبرياء كما هو ديدن الملوك ومما توقدون عليه من لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء
او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله اراد به الاجساد المنطرقة والايقاد على الشيء قسمان احدهما ان لا يكون ذلك الشيء في النار كالاجر في قوله فاوقد لي
يا هامان على الطين والثاني ان يكون في النار كانواع الفلز ولهذا قال ههنا بزيادة لفظة في النار قال في الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع
مثل فائدة قوله بقدرها لانه جمع بين الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس اي واما ما ينفعهم به من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز
وهو اتخاذ الحلي من الذهب والفضة واتخاذ سائر اثاث البيت وامتعته من الحديد والنحاس والرصاص والاسرب وما يتركب منها والمتاع كل ما يتمتع به
كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يضرب الامثال للحق والباطل ومثله في اخر الاية فاختصر الكلام بان حذف الامثال من الاول والحق والباطل
من الثاني تاكيدا للمقصود ورعاية للاختصار ثم شرع في تتميم المثل قائلا فاما الزبد فيذهب جفاء نصب على الحال وهو اسم لما ينفيه السيل يقال جفاء
الوادي بالهمز وجفاء اذا رمى بالقذر والزبد وكذلك القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض حاصل المثل ان
الوادي اذا جرى طفا عليه زبد وذلك الزبد يبطل ويبقى الماء النافع في العيون والابار والانهار وكذا الاجساد المنطرقة اذا اذيبت لاجل اتخاذ الحلي
او سائر الامتعة انفصل عنها خبث وزبد فيبطل ويتلاشى ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به ازمنة متطاولة وتطبيق المثل على الحق والباطل انه سبحانه انزل
من سماء الوحي ماء بيان القرآن فسالت اودية القلوب بقدرها فان كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب على قدر استعداده ثم انه
يختلط بذلك البيان شكوك وشبهات ولكنها بالاخرة تضمحل ويبقى العلم واليقين فزبد السيل والفلز مثل للباطل في سرعة اضمحلاله وانسلاخه من
المنفعة والماء والفلز الصافي مثل للحق في البقاء والانتفاع به ثم ذكر احوال السعداء وتبعات الاشقياء فقال للذين استجابوا لربهم اي فيما دعاهم
من التوحيد والنبوة والتكاليف الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدأ خبره الجملة الشرطية بعده وقيل ان الكلام متصل بما
قبله اي يضرب الله الامثال لهذين الفريقين قوله الحسنى صفة لمصدر استجابوا اي الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير
المستجيبين ومن ذلك قوله اولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج لان كفرهم احبط اعمالهم وقال غيره سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي هو ان يحاسب الرجل
بذنبه كله لا يغفر منه شيء وقال الحكماء هو ظهور اثار الملكات الرديئة والهيئات التي تمكنت على النفس ولم يكن قبل ذلك له شعور بها لاشتغاله بعالم الحس
ومأواهم جهنم لانهم اقبلوا على الدنيا واعرضوا عن المولى فاليوم اذا ماتوا فارقوا معشوقهم فاورثهم الحرمان والخذلان والاحتراق بنار الفراق ثم انكر بعد هذه
البيانات ان يستوي بين الناظر البصير والجاهل الضرير فقال أفمن يعلم انما اي ان الذي انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى القلب انما يتذكر اي لا
ينتفع بالامثال الا اولوا الالباب الذين يعبرون من القشر الى اللباب ثم وصفهم بقوله الذين يوفون بعهد الله ويجوز ان يكون نصبا على المدح
وان يكون مبتدأ خبره اولئك قال عهد الله عن ابن عباس هو المذكور في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم وقيل هو كل ما قام عليه دليل عقلي او سمعي من
الافعال والتروك ولا عهد اوكد من الحجة بدليل ان من حلف على الشيء فانما يلزم الوفاء به اذا ثبت بالدليل جوازه ولا ينقضون الميثاق تاكيد للوفاء
بالعهد يعني انه يلزم الاول كقولك لما وجب وجوده لزم ان يمتنع عدمه وقيل الوفاء بعهد الله اشارة الى ما كلف الله العبد به ابتداء وعدم نقض الميثاق
اراد به ما التزمه العبد بالنذر وقيل الوفاء بالعهد عقد الربوبية والعبودية والميثاق اعم لشموله كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله و
من سائر المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد والوفاء بالعهد امر مستحسن في العقول والشرائع كلها قال صلعم من عاهد الله فغدر كانت فيه خصلة من النفاق و
الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل افراد لما بينهم وبين العباد بالذكر فقيل المراد صلة الرحم وقيل هو موازرة النبي صلعم ومعاونته ونصرته في الجهاد وقيل
رعاية جميع حقوق الناس بالشفقة عليهم والنصيحة لهم في كل حال وكل حين ومن ذلك عيادة المريض وشهود الجنائز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم
ومن يطيف به حتى الهرة والدجاجة ويخشون ربهم وان اتوا بكل ما قدروا عليه في باب التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله خوفا من وعيده كله و
يخافون خصوصا سوء الحساب ويلزم ذلك ان يحاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا وقيل الخشية نوعان خشية الجلال كالعبد اذا حضر بين يدي السلطان
ومن ذلك خشية الملائكة يخافون ربهم من فوقهم والى هذا اشار بقوله ويخشون ربهم وخشية ان يقع في العبادة خلل او نقص يوجب فسادها

المنطرقة الذائبة نل

او نقصان ثوابها والیه الاشارة بقوله ویخافون سوء الحساب والذین صبروا عن المعاصی وعلی الطاعات وعلی المصائب ابتغاء وجه ربهم لا
لاجل ان یقال ما اورعه وما ازهده وما اصبره وغیر ذلک من الاغراض الفاسدة وانما یصبر علی التکالیف لانها احکام المعبود الحق ویصبر علی الرزایا
لانها قسمة قسامه متصرف فی ملکه کیف یشاء او لانه مشغول بالمقدر والقاضی لا بالقدر والقضاء وقد یرضی العاشق بالضرب والایلام لالتذاذه بالنظر الی
وجه معشوقه فهکذا العارف یصبر علی البلایا والمحن لاستغراقه فی بحر العرفان وفیضان انوار المعروف علیه واقام الصلوة ولا یمتنع دخول النوافل فیها کقوله
ما زال العبد یتقرب الی بالنوافل حتی احببته وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانیة یتناول النفل لانه فی السر افضل والفرض لانه فی الجهر افضل کما مر فی اواخر
سورة البقرة ویدرؤن بالحسنة السیئة ای یدفعون بالتوبة وهی الخصلة الحسنة المعصیة قال صلعم لمعاذ بن جبل اذا عملت سیئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها او
قیل لا یقابلون الشر بالشر وانما یقابلونه بالخیر کما روی عن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس یدفعون بالحسن
من الکلام ما یرد علیهم من سیئة غیرهم یروی ان شقیق بن ابرهیم البلخی دخل علی عبد الله بن المبارک متنکرا فقال من این انت قال من بلخ فقال وهل تعرف
شقیقا فقال نعم فقال کیف طریقة اصحابه فقال اذا منعوا صبروا واذا اعطوا شکروا فقال عبد الله هکذا طریقة کلابنا وانما الکاملون الذین اذا منعوا
شکروا واذا اعطوا اثروا وقیل مراد الایة انهم اذا راوا منکرا امروا بتغییره اولئک لهم عقبی الدار عاقبة الدنیا وهی الجنة التی ارادها الله تعالی ان یکون مرجع
اهلها والعقبی مصدر کالعاقبة ومثله البشری والقربی ویجوز ان یکون مضافا الی الفاعل والمعنی اولئک لهم ان یعقب اعمالهم الدار التی هی الجنة
ومعنی جنات عدن تقدم فی سورة براءة ومن صلح معطوف علی فاعل یدخلونها ویجوز ان یکون مفعولا معه قال ابن عباس یرید من صدق کما صدقوا
وان لم یعمل مثل اعمالهم قال الزجاج بین ان الانساب لا ینفع اذا لم یحصل معها اعمال صالحة قال الواحدی والاول اصح لان الله تعالی جعل من ثواب المطیع سروره
بحضور اهله معه فی الجنة فلو دخلوها باعمالهم الصالحة لم یکن فی ذلک کرامة للمطیع ویمکن ان یوجه قول الزجاج بان المقصود بشارة المؤمن بان اهل الصلاح
من اصوله وفصوله وازواجه یجتمعون معه فی دار الثواب فقد یمکن ان یکونوا جمیعا فی الجنة ولا یجتمعون فی موضع وللقائل ان یقول الدخول اعم من الاجتماع
ولا دلالة للعام علی الخاص فصح اعتراض الواحدی والاباء جمع ابوی کل واحد منهم فکانه قیل من ابائهم وامهاتهم ولیس فی الایة ما یدل علی التمییز بین زوجة
وزوجة ولعل الاولی من مات عنها او ماتت عنه ویؤیده ما روی عن سودة انه لما هم رسول الله صلعم بطلاقها قالت دعنی یا رسول الله احشر فی زمرة نسائک
قال ابن عباس لهم خیمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها اربعة الاف باب مصاریعها من ذهب یدخل علیهم الملائکة من کل باب یقولون لهم سلام علیکم بما
صبرتم علی امر الله وقال ابو بکر الاصم من کل باب من ابواب البر کباب الصلوة وباب الزکوة وباب الصبر یقولون نعم ما اعقبکم الله بعد الدار الاولی
وهذا یناسب قول حکماء الاسلام ان لکل مرتبة من مراتب الکمالات جوهرا قدسیا وروحا علویا یختص بتلک الصفة فبعد المفارقة یفیض علی
النفس الکاملة من ملک الصبر کمال مخصوص ومن ملک الشکر کذلک وعلی هذا القیاس وقد یستدل بالایة علی ان الملک افضل من البشر والا فلم یکن دخولهم
علی المؤمنین موجبا لتحیتهم واکرامهم ویمکن ان یجاب بان وجه التکریم هو مجیئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجیء والباء فی قوله بما صبرتم یتعلق
بالسلام والمعنی انما حصلت لکم هذه السلامة بواسطة صبرکم او بدل صبرکم وروی عن النبی صلعم انه کان یاتی قبور الشهداء علی راس کل حول فیقول
السلام علیکم بما صبرتم فنعم عقبی الدار ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقیاء وقد مر تفسیره فی اول البقرة علی ان الضد قد یعلم من الضد وسوء
وقد مر انفا وقوله سوء الدار کان العاقبة لا یطلق الا علی العاقبة الحمیدة کقوله والعاقبة للمتقین لان غیر الحمیدة لا یستاهل لان یکون عاقبة
وقال فی الکشاف المراد سوء عاقبة الدنیا ولا حاجة الی هذا الاضمار بناء علی ما قلنا قال ویجوز ان یراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها ذکر اهل النظم انه لما
بین سوء حال الناقضین کان لقائل ان یقول انهم قد فتح الله علیهم ابواب الرزق فی الدنیا فاجاب بقوله الله یبسط الرزق والمراد ان الدنیا دار
امتحان لا دار جزاء فقد یتفق ان یکون الجاهل الکافر رخی البال والعالم المؤمن ردی الحال ولا تعلق لهذا المعنی بالکفر والایمان وللحکماء فیه وجه یوسع
الرزق علی من یشاء کاهل مکة ویقدر ای یضیق ومعناه انه یعطیه بقدر الضرورة وسد الرمق لا یفضل منه شیء وفرحوا یعنی اهل مکة واضرابهم بما بسط
لهم من الدنیا فرح بطر واشر لا فرح تحدث بنعمة الله واظهار لفضله علیهم وما الحیوة الدنیا ونعیمها فی جنب نعیم الاخرة الا متاع شیء نزر یتمتع به ایاما
قلائل ثم یعدم فلذلک حسرت لانقضائها ومثل هذا لا یوجب الفرح بل لا یجوزه ثم حکی نوعا اخر من قبائح الکفرة فقال ویقول الذین کفروا لولا انزل علیه
ایة من ربه وقد مر مثله فی هذه السورة وذکرنا انه لیس بتکرار محض الا ان قوله فی جوابهم قل ان الله یضل من یشاء ویهدی الیه من اناب اقبل علی الحق
وحقیقته دخل فی نوبة الخیر فیه غموض واجیب بانه یجری مجری التعجب کانه قیل ما اعظم عنادکم بعد ما انزلت من الایات الباهرة ان الاضلال والهدایة
من الله والمراد لا تشتغلوا بطلب الایات ولکن تضرعوا الی الله فی طلب الهدایات فان الذی اضله الله لا ینفعه الایة سری والذی هداه یراه معجزة وقال الجبائی المعنی
ان الله یضل من یشاء عن طریق الصواب ویهدی الیه انواما اخرین فلولا انکم تستحقون العقاب لهداکم الی الثواب بان ازال ما اقترحتموه وقیل المراد انه تعالی
انزل ایات ظاهرة ولکن الاضلال والهدایة من الله فلو شاء لهداکم فلا فائدة فی تکثیر المعجزات الذین امنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم
عن ابن عباس یرید اذا سمعوا القران خشعت قلوبهم واطمانت والاطمینان بایات الوعد لا ینافی الوجل من ایات الوعید حیث قال اذا ذکر الله
وجلت قلوبهم او المراد انه علیهم بکون القران معجزا یوجب حصول الطمانینة لهم بانه سبحانه واحد لا شریک له صادق فی وعده ووعیده او بان
محمدا نبی حق الا بذکر الله تطمئن القلوب التخصیص فیه لان الانسان متوسطا ونسبة بین عالم الارواح وعالم الاجسام فاذا توجه الی عالم الجسمانیات

الطاعات وعن الثانی ... ویتعلق بعض البعض بالبعض ... هذا الضمیر فی مقابلة عقبی الدار

التراکیب

الى التفرقة فيظهر له هناك امور ضرورية في التعيش ودونها الليس بما هو من خوط القتاد فيتوزع فكره ويضطرب احواله اما اذا توجه الى عالم الروح فانه يرتفع
الاضطراب ويتوحد المطلب يحصل الاستغراق في بحار العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالي ما يرد عليه انا الغريق فما خوفي
من البلل وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلبت ذهبا صافيا باقيا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع في القلب السليم كيف لا يقلبه
جوهرا صافيا نورانيا امنا من التغير والزوال الذين آمنوا مبتدأ خبره طوبى لهم وجوز في الكشاف ان يكون بدلا على حذف المضاف اي قلوب الذين
آمنوا وطوبى مصدر طاب يطيب كبشرى وواوه منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها واللام للبيان مثل سقيا لك والمعنى اصابهم طيب وهو الدعاء او الخبر عن ابن عباس
هو فرح وقرة عين الضحاك غبطة لهم قتادة حسنى لهم الاصم خير وكرامة الزجاج عيش طيب ولكل متقارب والعبارة الجامعة ان اطيب الاشياء في كل الامور حاصل
لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكى الاصم ان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلي
والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم ان طوبى هي الجنة بالحبشية والمآب المرجع التأويل هو الذي يريكم برق انوار الجلال فيغلب
عليكم خوف الانقطاع والياس ويريكم برق اضواء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصل ورجاء الاستيناس وينشئ السحاب الثقال والافضال الثقال بمطر
القبول والاقبال ويسبح الرعد هو الملك المخلوق من نور الهيبة والجلال فيقع الهيبة في قلوب الخلق كلهم حتى الملائكة فيسبحون من خيفته ويرسل صواعق
القهر فيصيب بها من يشاء من اهل الخذلان فيحرق حسن استعدادهم في قبول الايمان ومن نتايج ذلك انهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كالفلاسفة الذين
لا يتابعون الانبياء والشرايع وكبعض المتكلمين من اهل الاهواء والبدع له دعوة الحق اي دعوته حق لمن دعاه فيستجيبه كما قال للسموات والارض ائتيا
طائعين وايضا له دعاء يدعون الخلق بالحق الى الحق والذين يدعون من دونه اي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا يؤثر في الخلق نصحهم كمن يبسط
يده الى الماء ارادة الى الحلق انه يريد شربه وما هو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة وان استجيبوا في الظاهر لانهم استجابوا لهم على الهوى كما دعوا الى الحق
بالهوى بدليل قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا
ومن ارواح الكافرين والمنافقين والشياطين كرها بالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم اي نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح
وليس السجود من شانها لانها امارة بالسوء الا ما رحم ربي فانها تسجد بتبعية الروح معنى آخر ولله يسجد من في سموات القلوب من الارواح والعقول طوعا
ومن في ارض النفوس من صفات النفس القوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي آثارها ونتايجها آخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة
وظلالهم وهي اجسامهم بالتبعية وهذا السجود بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان آثار القدرة فيهما اكثر وان اريد الانقياد والتسخير
احتمل ان يراد بالوقتين وقتا الانتباه والنوم ففي الاول يطلع شمس الروح من افق الجسد وفي الثاني يغرب فيه انزل من سماء القلوب ماء المحبة فسالت
اودية النفوس فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية او انزل من سماء الارواح ماء مشاهدة انوار الجمال فسالت اودية
القلوب فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية او انزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجمال فسالت اودية الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا
من انانية الروحانية او انزل من سماء الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فسالت اودية الاسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي ومما
يوقدون عليه من البقاء في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فلا تبقي ولا تذر وهي لتذكية بالفناء ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي
او متاع وهو التمتع بربه زبد مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فاما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء واما ما ينفع الناس
من البقاء بالله فيمكث في ارض الوحدة المستعدة لقبول الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العناية الازلية التي هي الاستجابة من نتايجها
كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ما في ارض البشرية من انواع اللذات
والحظوظ واضعافها لجعلوه فداء العذاب القطيعة وانفقوا مما رزقناهم اي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سرا بالانقطاع عما يشغل بواطنهم
وعلانية بالانفصال عما يشغل ظواهرهم ويدرؤن بالاعمال والاحوال الحسنة في صدق الطلب الاحوال السيئة من الوقائع والفترات والملائكة
يدخلون عليهم بالبركات ويمنايهم تبعا لهم من كل باب دخلوها بالاستقلال على اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى
صدق الطلب الا بذكر الله تطمئن القلوب القلوب اربعة قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمينانه بالدنيا وشهواتها رضوا بالحيوة الدنيا
واطمانوا بها وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسي ولم نجد له عزما فاطمينانه بالتوبة فتاب عليه وهكذا قلب مشتاق وهو قلب المؤمن
فاطمينانه بذكر الله كما في الاية وقلب مع الحق وهو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمينانه بالله وصفاته كقول الخليل عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي اي بتجلي
صفات الاحياء واذا صار القلب مطمئنا انعكس نور الاطمينان من مرآة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة ايضا فتستحق بجذبات العناية لخطاب ارجعي
اشار الى ان الاطمينان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في ارض القلب فقال الذين آمنوا الاية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله
ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم يكن الا في قلب النبي صلى الله عليه وسلم ويتشعب في قلوب المؤمنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة
فانهم في اهل الجنة فانهم في اهل الجنة كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او

تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا
ع
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبؤنه بما لا يعلم في الارض
ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحيوة
الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم
وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن
الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب وكذلك انزلناه حكما عربيا
ع
ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من
اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

القراءة متابي وعقابي ومابي بالياء في الحالين يعقوب والسرندي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل بل زين ونحوه بالادغام علي وهشام وصدوا بضم
الصاد وكذلك في حم المؤمن عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الباقون بفتحها ويثبت مخففا من الاثبات ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الآخرون با
لتشديد من التثبيت الكافر لمن على التوحيد ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير والباقون الكفار على الجمع الوقوف بالرحمن ج الا هو لانقطاع النظم مع تحا
القائلين متاب لموتى ط لان جواب لو محذوف اي لكان هذا القرآن جميعا ط في الموضعين عد الله ط الميعاد ج اخذتهم ج للاستفهام مع الفاء عقاب بما كسبت ج
لحق الخبر المحذوف التقدير لمن لا ينفع ولا يضر ولان قوله وجعلوا يصلح استينافا وحالا باضمار قد شركاء ط سموهم ط لحق الاستفهام من القول ط عن السبيل
ط هاد اشق ج لاتفاق الجملتين مع النفي في الثانية واق المتقون ط لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة والوصل وجه يذكر في التفسير الانهار ط وظلها ط اتقوا
ق ذبل والوصل اجوز لان الجمع بين بيان الحالين ادل على الانتباه النار بعضه ط ولا اشرك به ط مآب عربيا ط العلم لا لان ما بعده جواب واق وذرية ط باذن الله
كتاب ويثبت ج والوصل اجوز لتمام مقصود الكلام الكتاب الحساب اطرافها ط لحكمه ط الحساب جميعا كل نفس ط الدار مرسلا ط وبينكم للعطف الكتاب التفسير عن ابن
عباس والحسن ارسلنا الانبياء قبلك في امة قد خلت من قبلها امم وقال آخرون معنى التشبيه كما ارسلنا الى امم واعطيناهم كتبا تتلى عليهم كذلك اعطيناك
هذا الكتاب انت تتلوه عليهم فلم تنكرون غيره وقال في الكشاف معناه مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسال
ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء ثم ذكر مقصود الارسال فقال لتتلوا اي لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي
اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن حال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن المفسرين خلاف في تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن بالمعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس في رواية الضحاك نزلت في
كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل لهم ان الرحمن الذي انكرتم معرفته وهو ربي لا اله الا هو الواحد القهار المتعالي
عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب رجوعي فيثيبني على مصابرتكم وقيل نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب الصلح فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا
كان اهل الجاهلية يكتبون فانزل الله الآية فعلى هذا تبين ان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم او اشراكهم
روي ان اهل مكة قعدوا في فناء الكعبة فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كابي جهل وعبد الله بن امية المخزومي سير لنا جبال
مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها انهارا نزرع فيها واحي لنا بعض اموات لنسئلهم احق ما تقول ام باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى او سخر لنا
الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست باهون على ربك منه فنزل قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها و
ازيلت عن مراكزها او قطعت به الارض اي وقع به التسيير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض وشققت عن مراكزها فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى
بعد احيائهم به لكان هذا القرآن قال الراوي لما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سألتم ولو
شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفر لم يعذبكم عذابا لا يعذب به احدا من
العالمين فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى اي تنبيههم لما آمنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الآية وقال في الكشاف هذا الآية لبيان تعظيم شان القرآن ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا ونقل في الكشاف عن الفراء ان الآية يتعلق بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن وبعد قول هذا الكلام وهو قوله ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض ثم قال ردا عليهم بل لله الامر جميعا قال اهل السنة يعني ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه
وقالت المعتزلة القدرة على الايات التي اقترحوها الا ان علم بان اظهارها مفسدة بصرفهم او لان يلجئهم الى الايمان لا انه ينافي امر التكليف

التفسير
وسلناك كام
المراد هم

الاخبار فانوا ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله مشيئة الالجاء لهدى الناس جميعا او لو يشاء لهداهم الى الجنة والمراد نفي العموم
النبي وذلك انه ما شاء هداية الاطفال والمجانين اجاب اهل السنة بان كل هذا خلاف الظاهر ومعنى افلم ييأس افلم يعلم وهذه لغة قوم من النخع وقال الزجاج
المجاز لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمنهما اياهما ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة
افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل ان قراءتهم اصل والمشهورة تصحيف وقع من جهة ان الكاتب كتبه مستوي السينات وهذا القول سخيف جدا والظن
باولئك الثقات الحفظة غير ذلك ولهذا قال في الكشاف هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بامنوا ومعناه افلم يقنط من ايمان هؤلاء الكفرة
الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم اوعد الكافرين بقوله ولا يزال الذين كفروا يعني عامة الكفار تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم من السبي والقتل ونحل القارعة قريبا من دارهم فيتطاير اليهم شرارها حتى ياتي وعد الله وهو اسلامهم او موتهم او القيامة وقيل خاصة
في اهل مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فيغير عليهم ويختطف منهم وعلى هذا احتمل ان يكون قوله او تحل خطابا اي تحل انت يا محمد
قريبا من دارهم بجيشك كما في الحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعده الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد وكان معنى ان الله لا يخلف
الميعاد وقد مر البحث عليه في اول سورة ال عمران ثم ازداد في الوعيد فقال ولقد استهزئ برسل الاية والاملاء الامهال وقد مر هنالك والاستفهام في قوله
فكيف كان عقاب للتقريع والتهديد ثم اورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجيب من عقولهم فقال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ومعنى القائم الحفيظ
والرقيب اي الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك ويجوز في الكشاف ان يقدر الخبر بحيث يمكن عطف وجعلوا عليه التقدير
افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله الله من وضع الظاهر مقام المضمر وذكر السيد صاحب حل العقد انه يجوز ان يجعل الواو
في قوله وجعلوا لله للحال ويضمر للمبتدا خبر يكون المبتدا معه جملة مقررة لانكار ما يفاد بها من الحال والتقدير افمن هو قائم على كل نفس موجود
والحال انهم جعلوا له شركاء فاقيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا تقريرا للالهية وتصريحا بها وانه هو الذي يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطي الناس
ومغنيهم موجود ويحرم مثلي ثم زاد في المحاجة فقال قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم وانما يقال ذلك في الشيء المستحقر
الذي لا يستحق ان يلتفت اليه فيقال سمه ان شئت يعني انه اخس من ان يسمى ويذكر ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالالهة
على سبيل التهديد قال في الكشاف ام في قوله ام تنبئونه منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان تعرف اقول وذلك لانه لا شيء
محض اذ لو كان الشريك هو موجود وهو ارضي لتعلق علم العالم الذات المحيط بجميع السفليات ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم وقد مر في اول يونس
ثم اكد هذا المعنى بقوله ام بظاهر من القول اي بل انسمونهم شركاء بظاهر من الكلام من غير ان يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه
الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج من اعاجيب الاساليب التي اختص بها القران الكريم المعجز فلله در شان التنزيل ثم بين طريقتهم فقال بل زين للذين
كفروا مكرهم قال الواحدي معنى بل ههنا كما يقال دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه انه كذا وكذا والكلام في ان المزين هو الله تعالى او غيره قد مر في
اول سورة ال عمران وكذا البحث فيمن قرا وصدوا بضم الصاد واما من قرا بالفتح فيحتمل ان يكون لازما اي اعرضوا عنه ويحتمل ان يكون متعديا اي
صدوا غيرهم والخلاف في قوله ومن يضلل الله تقدم في مواضع منها اخر الاعراف ثم عاد الى الايعاد فقال لهم عذاب في الحيوة الدنيا من القتل والقتال
واللعن والذم لا المصائب والامراض لانها قد تصيب المؤمنين ايضا ولانها مامور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك ولعذاب الاخرة اشق لانه
اشد وادوم وما لهم من الله اي من عذابه من واق من حافظ او ما لهم من جهة الله واق اي دافع ومانع من رحمته بل انما يمنع رحمته منهم باختياره وحكمته ثم عقب
الوعيد بالوعد فقال مثل الجنة وتقديره عند سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج انه تمثيل
للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله اكلها دائم كانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الانهار كما تعلمون من حال جنانكم الا انه قال اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم ايضا والمراد انه لا حر هناك ولا برد ولا
شمس ولا قمر ولا ظلمة وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله وندخلهم ظلا ظليلا قيل في الاية دلالة على ان حركات الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله
ابو الهذيل واتباعه قال القاضي وفيها دلالة على ان الجنة لم تخلق بعد والا انقطع اكلها لقوله تعالى كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال
ولا ننكر ان تحصل الان في السموات جنات تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم الا ان جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة
والجواب انا نخصص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على ان الجنة مخلوقة وهو قوله اعدت للمتقين ثم ذكر عقائد الفرق في شان القران المتلو فقال
والذين اتيناهم الكتاب قيل اراد بالكتاب القران يعني ان المسلمين يفرحون بما انزل اليك من الشرايع والعلوم ومن الاحزاب الجماعات من اليهود و
النصارى وغيرهم من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقائدهم وانما انكروا ما يختص بالاسلام من
نعت الرسول وغيره قاله الحسن وقتادة واعترض عليه بان فرح اهل الاسلام بنزول القران معلوم ولا فائدة في ذكره ويمكن ان يقال المراد زيادة الفرح
والاستبشار بما فيه من العلوم والفوائد وانهم يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهالة وقيل الكتاب التورية والانجيل والمراد من
اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة فرحوا بالقران لانهم
امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني اهل الكتاب المشركون قال ابن عباس وقال مجاهد اراد ان اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق

المراد بهم من سائر الكفرة من ينكر بعضه واعترض بانهم كلهم لا يفرحون بكل ما انزل الى رسولنا وقوله بما انزل يفيد العموم واجيب بالمنع من ان ما يفيد العموم لصحة الاستثناء ولصحة ادخال كل عليه لا تكرير وادخال بعض ولا نقض كما بين في علم اصول الفقه امر نبيه بان يصرح بطريقته فقال قل انما امرت ان اعبد الله امرت الا بعبادته وعدم الاشراك به وهذه درج فيه جميع وظائف العبادة ثم ذكر انه مع كماله مكمل فقال اليه ادعو خصه بالدعاء الى العبودية دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه مآب لا مرجع الا اليه ومن تأمل في هذه الالفاظ عرف انها مع قلتها مشتملة على حاصل علوم المبدأ والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القرآن واوعد على الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه الضمير يعود الى ما في قوله بما انزل اليك والى القرآن في قوله ولو ان قرآنا ووجه التشبيه كما انزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القرآن وقال في الكشاف معناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا نصب على الحال اي حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمي حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به او لانه اشتمل على اصول الاحكام والشرائع فجعل نفس الحكم للمبالغة روي ان الكفار كانوا يدعون رسول الله صلعم الى امور ليوافقهم فيها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فاوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد امته وذكر الوجوه في مثله في اوائل سورة البقرة قال الكلبي عيرت اليهود رسول الله صلعم وقالت ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا الاية وبين ان الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص من قبل الزواج والاولاد فقد كان لسليمان ثلثمائة امرأة منكوحة وسبعمائة سرية ولداود مائة وذراري يعقوب اكثر من ان يحصى وكانوا يقترحون الآيات فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله ولابد لكل نبي من معجز واحد والزائد على ذلك بل اصل النبوة وتعيين المعجز الواحد مفوض الى مشيئته سبحانه ولا حكم لاحد عليه وكان رسول الله صلعم يخوفهم بنزول العذاب وظهور نصرة الاسلام وذويه وكانوا يكذبونه ويستبطئون موعوده فاجيبوا بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتأخر ذلك الحكم او الحادث عنه ولا يتقدم عليه وقيل هذا على القلب اي لكل مكتوب وقت معين والتحقيق انه لا حاجة الى ارتكاب القلب لان المعية تقتضي التلازم وكانوا ينكرون النسخ الشرائع وفي التكاليف فنزل يمحو الله ما يشاء ويثبت اي يثبته فاستغنى بالصريح عن الكناية والمحو ذهاب اثر الكتابة ونحوها وفيه اقوال لان الاول انها عامة وانه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود وقد رواه جابر عن رسول الله صلعم والذاهبون اليه كانوا يدعون ويتضرعون الى الله في ان يجعلهم سعداء ان كانوا اشقياء وهذا التأويل لا ينافي قوله جف القلم لان المحو والاثبات ايضا من جملة ما قضى به الثاني انها خاصة في بعض الاشياء فقيل المراد نسخ حكم واثبات آخر مكانه وقد مر تمام بحث النسخ في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره واعترض الاصم عليه بانه ينافي قوله تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها واجاب القاضي بان المراد صغائر الذنوب وكبائرها ورد بان هذا اصطلاح المتكلمين والمفهوم اللغوي اعم فيتناول المباحات ايضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدلها الحسنة كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في اول السنة احكام تلك السنة فاذا مضت السنة محيت وكتب كتاب آخر للمستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس وقيل يمحو الدنيا ويثبت الآخرة اما قوله وعنده ام الكتاب اي اصله فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلعم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ واثبت فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيمة فعلى هذا عند الله كتابان احدهما اللوح المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات روى ابو الدرداء عن النبي صلعم ان الله سبحانه في ثلث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل بتغير المتعلقات وقد تقدم تحقيقه في مواضع ولما بين كيفية انطباق الحوادث على اوقاتها قال وان ما نرينك يعني كيفما دارت الحال اريناك مصارع ما وعدناهم من العذاب او توفيناك قبل ذلك فليس يجب عليك الا التبليغ وما حسابهم وما جزاؤهم الا علينا والبلاغ بمعنى التبليغ كالسلام والكلام ثم ذكر امارات حصول تلك المواعيد وان اماراتها قد ظهرت وقرب ذلك فان تباشير الظفر قد طلعت ولاحت فقال اولم يروا انا نأتي الارض يعني ارض الكفر والغلبة بدليل ننقصها من اطرافها والارض ارض مكة كان المسلمون ينالون من اهاليها ونواحيها في البعوث والسرايا والجيوش والان صارت الارض اعم واشمل ولله الحمد على اعلاء شان المسلمين زاده الله علوا فالمراد ينقص شيء من ديار الكفر ويزيد في بلاد الاسلام ونقل عن ابن عباس ان المراد بنقص اطراف الارض موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وصلحائها قال الواحدي اللائق بالمقام هو القول الاول وقد يوجه الثاني بانه اراد انهم اذا شاهدوا هذه التغيرات فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم اذلة مغلوبين بعد ان كانوا اعزة غالبين ثم اكد هذا المعنى بقوله والله يحكم ومحل لا معقب لحكمه نصب على الحال والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وذلك انه يعقبه بالرد والابطال فكأنه قيل والله يحكم نافذ الحكم وهو سريع الحساب عن ابن عباس هو سريع الانتقام فيعاقبهم في الدنيا ثم سلى نبيه صلعم بقوله وقد مكر الذين من قبلهم برسلهم كنمرود بابرهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى فلله المكر جميعا قال الواحدي لان مكر جميع الماكرين بتخليقه وارادته ولانه لا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره وقالت المعتزلة انه جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره وقيل اراد فيجازيهم جزاء مكر الماكرين قال الواحدي والقول الاول اظهر بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد ان اكتسابها باسرها معلومة لله تعالى وخلاف معلومه ممتنع الوقوع فلا يقدر العبد على خلاف معلومه وناقضت المعتزلة بانه اثبت لكل نفس كسبا فدل على انه مقدور العبد ويجب بان المقتضي

عند فاهو مجموع القدرة والداعي وهذا معنى قولهم الكبحاحصل للعبد ثم ختم الاية بوعيد الخوارج الى فقال وسيعلم الكفار من قرا على فظاهر ومن قرا على
الوحدة فالمراد بجنس عن ابن عباس ان المراد ابو جهل وعن عطاء اراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب
القاطع فقال ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا والمراد من هذه الشهادة انه اظهر المعجزات على وفق دعواه ولا شهادة اعلى من هذه
لان الشهادة القولية منا لا تفيد الا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بصحة نبوته ثم عطف على اسم الله ومن عنده علم الكتاب اى الذي حصل عنده علم القران و
فهم معناه واشتماله على ما لا يمكن لاحد الاتيان بمثله من النظم الانيق والاسلوب العجيب الفائق لقوى البشر فمن علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بانه معجز قاهر وان
الذي ظهر هذا المعجز عليه نبي حق ورسول صدق وعن الحسن وسعيد بن جبير والزجاج ان الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم
ما في اللوح المحفوظ الا هو يعني الله عز وجل شهيدا ويعضده قراءة من قرا ومن عنده على من الجارة واعترض على هذا القول بان عطف الصفة على الموصوف بعيد
لا يقال شهد بهذا زيد والفقيه وانما يقال زيد الفقيه وقيل المراد شهادة اهل الكتاب من الذين امنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم
الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض ان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على امثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز
وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وعن الحسن لا والله ما يعنى الا الله وعن سعيد بن جبير ان السورة مكية وابن سلام واصحابه امنوا بالمدينة
بعد الهجرة والله اعلم بمراده التاويل وهم يكفرون بالرحمن يعني ان الصفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما ان صفة القهارية
كانت مقتضية للوحدة بان لا يكون معه شيء ولا نعمة اجل من بعثة الرسل ففيه صلاح حال الدارين لهم فاذا جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب
تخصيص هذا الاسم بالمقام كقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ولذلك امر بان يقول في الجواب هو ربي الذي رباني لا اله الا هو لا
يستحق العبادة الا هو ولا افوض امري الا اليه واليه مرجعي كما كان منه مبدئي ولو ان قرانا سيرت به جبال النفوس او قطعت به ارض البشرية او كلم به موتى القلوب انتبه بلا لو
عليهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالرحمن قارعة من الاحكام الازلية تقرعهم في انواع المعاملات التي تصدر عنهم موجبة للشقاوة او تحل قريبا من دارهم
قلبهم بان تصدر تلك المعاملة ممن يصحبهم عن ابن لا تشك وتسل عن قوم يستحيي باني حتى ياتي وعد الله بعد ما تسلت الشقاوة الازلي ومن امارات الشقاوة الاستهزاء
بالانبياء والاولياء ثم اخذتهم اي امسكتهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالبعد والحجاب عبودية النفس بالهوى ولعذاب
الاخرة بانواع الحسرات او الشعور بالهيئات والملكات الموجبة للدركات اكلها دائم هي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها اي انهم في ظل معاملات
واحوالهم التابعة لشمس وجودهم على الدوام والذين اتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا اسرار القران ومن الاحزاب النفس والهوى
والقوى من ينكر بعضه لثقل التكليف عليهم وللجهل بفوائده ولئن اتبعت اهواء المخالفين بالشركة في الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوحدة
بيدك لا لانانية وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه ان الرسل جذبتهم العناية في البداية فرقوا من حضيض الحيوانية الى اوج الروحانية ثم الى معارج النبوة
والرسالة في النهاية فلم يبق فيهم من دواعي البشرية ما يزعجهم الى الازدواج بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل ردهم الله سبحانه في ذلك
على وفق الشريعة ليخصوا بالخلافة باظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام يمحو الله ما يشاء لاهل السعادة من افاعيل اهل الشقاوة
ويثبت لهم من خصال اهل السعادة وبالعكس لاهل الشقاوة وعنده ام الكتاب الذي قدر فيه ان الخاتمة كل من الفريقين وانما نرينك بالكشف
بعض مقاماتهم كما اخبر عن العشرة المبشرة بانهم في الجنة وعن غيرهم بانه في النار انا ناتي ارض البشرية فننقصها بالازدياد في الاوصاف الروحانية
سورة ابراهيم مكية غير ايتين من قوله الم تر الى الذين بدلوا الايتين حروفها اربعة الاف واربعمائة واربع وثلثون كلماتها ثمانمائة وخمس وستون اياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

ع الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في
السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة و
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجيكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
ع من ربكم عظيم واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان
تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا
لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى
حزب اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف
مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه و
ياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ القراآت الله الذي بالرفع على الابتداء في الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر
المفضل وقرأ يعقوب الخراز عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر مطلقا وعكس بالهاني الحالين يعقوب فاقق ودش وسهل وعباس
في الوصل او الوقوف الوقوف الحميد ط لمن قرأ الله بالرفع وما في الارض ط شديد لا بناء على ان الذين صفة الكافرين عوجا ط بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب
او مرفوع على الذم اي اعني الذين او هم الذين وان جعل الذين مبتدأ خبره اولئك في ضلال فلا وقف على عوجا ولكن تقف على شديد لانه بعيد
ليبين لهم ط لان قوله فيضل حكم مبتدأ خارج عن تعليل الارسال ويهدي من يشاء ط الحكيم بايام الله ط شكور كفار ذكرط عظيم لشديد جميعا لا لان ما بعده جزء
حميد وثمود ط لمن لم يعطف وجعله مستأنفا ومن عطف فوقفه على من بعدهم ط الا الله ط مريب الارض ط فصلا بين الاستخبار والاخبار مسمى ط لتفرد بهمزة
الاستفهام في تريدون مبين من عباده ط باذن الله ط المؤمنون سبلنا ط اذيتمونا ط المتوكلون في ملتنا ط من بعدهم ط وعيد عنيد لا لان ما بعده وصف صديد
لذلك بميت ط غليظ التفسير كون السورة مكية او مدنية انما يفيد في الاحكام لتعرف المنسوخ من الناسخ وفي غير ذلك المكية والمدنية سيان قوله الر
كتاب اي السورة المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وان كان الر مذكورا على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هذا القرآن او هذه
السورة كتاب الظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام في لتخرج للغرض عند المعتزلة وللغاية عند الحكيم وان شئت فقل للعاقبة
واللام في الناس للجنس المستغرق في ظاهر افيه دليل على ان دعوته عامة ومعنى اخراج النبي صلعم اياهم من الظلمات الى النور انه سبحانه انزل الكتاب عليه ليدعوهم
اياهم الى الحق واسطه لهدايتهم لا مطلقا ولكن باذن ربهم اي بتسهيله وتيسيره وكل ميسر لما خلق له والحاصل ان المراد من الاذن معنى يقتضي ترجيح جانب
الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين ولك ان تعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالآية من قال ان معرفة الله
تعالى لا يمكن الا بالتعليم الذي يعبر عنه بالاخراج من الظلمات الى النور واجيبت بان معنى الاخراج التنبيه واما المعرفة فانما يحصل من الدليل وقوله الى صراط مستقيم بدل
من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز في الكشاف ان يكون على جهة الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وفي ذكر الوصفين تاكيد لحقية
الصراط واستنارته لان العزيز هو القادر الغالب الحميد هو الكامل في خصائص الحمد من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذي
نهجه لعباده مفضيا الى صلاح حالهم دينا ودنيا اذ لا حاجة له الى ارتكاب عبث وقبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح ان اول العلم بالله العلم بكونه
قادرا غالبا وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهذا معنى الحميد ثم اثنى على نفسه تحقيقا لحقية صراطه وبيانا للعزيز والحميد
فقال الله الذي مبتدأ وخبر او المبتدأ محذوف تقديره هو الله ومن قرأ بالجر فعلى انه عطف بيان للوصفين بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سبق
هذا البحث مشبعا في تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم ختم الآية بوعيد من لا يعترف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله وويل للكافرين وهو دعا
عليهم بالهلاك والثبور وكل منوقا في الكشاف وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل انهم يولولون من العذاب ويقولون يا ويلاه الذين يستحبون اي
يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون ذلك الشيء عنده احب من الآخر وذلك ان الانسان قد يحب الشيء ولكنه يكره
كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه محبا له واحب تلك المحبة فذلك نهاية المحبة وهذا شان محبة اهل الدنيا للدنيا ولكنها ادنى مراتب الضلال
وقوله ويصدون عن سبيل الله اشارة الى الضلال وقوله ويبغونها عوجا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال غاية
الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لا تروقع عنه في الطرف الآخر فبينهما غاية الخلاف ويمكن ان يكون اسنادا مجازيا باعتبار ان صاحبه
بعيد عن طريق الحق ثم لما من على المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر ان من كمال تلك النعمة ان يكون ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم احتج اصحاب ابي هاشم
بالآية على ان اللغة اصطلاحية وضعها البشر واحد او جماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال قالوا ان كانت توقيفية والتوقيف
انما يكون بالوحي والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي ملغتهم لزم الدور واجيب بان الآية تخص برسول له قوم
ولا قوم لآدم فينتهي التوقيف اليه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية في ان محمدا رسول الله ولكن الى العرب لانهم قومه
وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم والجواب سلمنا ان قومه هم العرب ولكن قوم النبي اخص من اهل دعوته فقد
يكون اهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما في حق نبينا صلعم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما يكون ارسال بالسنة قومه
الرسول اولا اليهم ليبين لهم فيفقهوا عنه ما يدعوهم اليه ثم ينوب التراجم في كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس والتخليط ويجب
للمفسر الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد وقالت المعتزلة ان مقصد هذه الآيات وهي قوله لتخرج الناس وسطها وهو قوله
ليبين لهم فان فائدة التبيين انما يظهر اذا كان المكلف قادرا والاختيار ونحوها وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافي خلق الكفر والقبائح يدل على صحة مذهب
الاعتزال وقالت الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز لا يجامع ان يكون لغيره قدرة وتصرف يؤيد مذهبنا اقول
نحن حققنا مسئلة الجبر والقدر كرارا ومما يخص هذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستئناف

التفسير

عالما والعلم بكونه

الائمة بقرب الجيد في تبديل الرسول صلعم

لكان الغرض

الجزء الثالث عشر

الفجه كقوله ليبين لكم ونقر بالرفع نظيره في الاية قوله نهضل بالرفع على الاستيناف كانه قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم
تلك الشرايع بلغة القوم وارشادهم ومع ذلك فان المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا للمبين ان مقصود
من بعثة نبينا صلعم هو اخراج الناس من الظلمات الى النور اراد ان يبين ان الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر لذلك مثالا وخص موسى بالذكر
لان امته اكثر الامم سوى محمد صلعم كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته القاهرة ومعنى ان اخرج اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول ويجوز ان يكون ان ناصبة والتقدير بان
اخرج ومعنى التذكير بايام الله الانذار بوقايعه التي وقعت على الامم قبلهم ويقال ايام العرب لحروبها وملاحمها وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه من تظليل الغمام و
انزال المن والسلوى وبلاؤه اهلاك القرون والايام التي كانوا تحت تسخير فرعون والمراد عظهم بالترغيب والترهيب ان في ذلك التذكير والتنبيه
دلائل لكل صبار على الضراء شكور على السراء وذلك ان فائدة الايات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما امر الله موسى بالتذكير حكى عنه انه ذكرهم ولم
يقل ههنا يا قوم كما ذكر في المائدة اختصارا على ما ذكره هناك وقوله عليكم ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله اذ انجاكم ظرف للانعام ايضا وان كان
مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز ان ينتصب اذ انجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز ان يكون اذ بدلا من النعمة اي اذكروا وقت انجائكم وهو بدل
الاشتمال وباقي الاية قد مر في اول البقرة ومن جملة النعم قوله واذ تاذن اي واذكروا حين اذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتزاح معه الشبهات
وقد تقدم في اواخر الاعراف ان فيه معنى القسم ولذلك جلبت اللام الموطئة في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب ان
الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع اقسام ما انعم الله تعالى به عليه فيما اعطاه لاجله ولا شك ان المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة
اقسام نعم الله وفي ملاحظة دقايق لطفه وصنعه وفي اعمال الجوارح في الاعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات الحميدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد
محبة المنعم وقد يترقى العبد من هذه الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم ويصدر منه الاعمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير التطبع
طباعا والتكلف خلقا وهذا معنى امراء الشكر مزيد الانعام وقد يفيض عليه بحكم وعد الله الذي هو الحق والصدق سجال مواهبه الدينية والدنيوية
لانه مهما صار مطيعا منقادا للواجب الوجود سبحانه تجلى فيه نور الوجوب فلا غرو اي لا عجب ان ينقاد لذلك النور كثير من الممكنات وينفتح عليه باب التصرف
في الخلق بالحق للحق وان كان حال المكلف بضد ما قلنا ظهر عليه ضد تلك الاثار لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم يعني كفران النعم ان عذابي لشديد
ثم ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود الا الى صاحبه وعليه والله تعالى غني عن ذلك كله فقال ان تكفروا انتم الاية وذلك ان واجب الوجود في جميع صفاته
وان يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات اهلا للحمد وان لم يكن حامد قوله الم ياتكم يحتمل ان يكون خطابا من موسى لقومه والغرض
تخويفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون فيكون داخلا تحت التذكير بايام الله واحتمل ان يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم امر القرون
الاولى قال ابو مسلم والاكثرون على انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلعم تحذيرا لهم عن مخالفته وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ان كان جملة من
مبتدأ وخبر وقعت في موضع اعتراض وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم الا الله وحده اعتراض ثم ان عدم العلم اما ان يكون
راجعا الى صفاتهم بان يكون احوالهم واخلاقهم ومدد اعمارهم غير معلومة واما ان يكون فيما بين القرون اقوام ما بلغنا اخبارهم كما روي عن ابن عباس
بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن
العباد ونظير الاية قوله وقرونا بين ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بمقدار السنين
من لدن ادم عم الى هذا الوقت لانه لو امكن ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات اتوا بامور
احدها فردوا ايديهم في افواههم وفيه قولان احدهما ان المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا فيه احتمالان الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر او وضعوا الايدي على الافواه ضحكا
واستهزاء كمن غلبه الضحك او وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبي
او اشاروا بايديهم الى السنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وهذا قول
قوي لعطف قوله وقالوا على قوله فردوا الاحتمال الثاني ان يكون الضماير راجعة الى الرسل والمراد ان الرسل لما ايسوا عنهم سكتوا ووضعوا
ايدي انفسهم على افواه انفسهم ارادوا انهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة او يكون الضميران الاخيران راجعين الى الرسل والمعنى ان الكفار اخذوا ايدي
الرسل ووضعوها على افواههم ليسكتوا ويقطعوا كلامهم او يكون الضمير الاخير فقط عايدا الى الرسل والمراد ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء ونصائحهم
اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم او وضعوا ايديهم على افواه الانبياء منعا لهم من الكلام هذه جملة الاحتمالات على القول الاول
القول الثاني ان ذكر اليد والفم توسع ومجاز عن ابي مسلم ان المراد باليد ما نطقت به الرسل بافواههم من الحجج لان دلائل الوحي من اجل النعم لانهم اذا كذبوا
الايات ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم انه يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رد يده في فيه
يعني الاية انهم سكتوا عن الجواب وزيف بانهم قد اجابوا بالتكذيب قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به والمراد بما زعمتم ان الله ارسلكم به وكانهم في اول الامر
حاولوا اسكات الانبياء وفي المرتبة الثانية صرحوا بالكفر ثم بنوا امرهم على الشك فلنا ارادوا انا كافرون برسالتكم وان تركنا هذا المقام فلا اقل
من انا شاكون في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم انه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قولهم افي الله شك فاطر السموات والارض

ذاته واجب الوجود في جميع

عائد الى ما تنوالهم بان يكونوا

عليهم وفي الثالث قالوا لما لنا الفعل ... [illegible]

ادخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وان وجود الله لا يحتمل الشك قال الضعيف لمذنب المفتقر الى عفو ربه
الكريم مؤلف الكتاب الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري انظم الله احواله في الدارين انه كان من عقيدته في ان العلم بوجود الواجب في الخارج من جملة ال
البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من اقراني واصحابي لما رأوا ان الائمة مما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية فكتب قد كتبت
لاجلهم رسالة في الالهيات مشتملة على دلائل تجري مجرى المنبهات على ذلك المعنى فان الضروريات قد ينبه عليها وان لم يحتج في الاقناص الى البراهين
والان اريد ان اذكر بعض تلك المنبهات في هذا المقام لانها مقررة لقوله سبحانه أفي الله شك فاقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته والى الخارج اما
ان يكون واجب الوجود فقط او واجب العدم فقط او ممكن الوجود والعدم فقط او واجب الوجود والعدم معا او واجب الوجود وممكن الوجود والعدم معا
او واجب العدم وممكن الوجود والعدم معا او واجب الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه اقسام سبعة ثم ان العقل الصريح لا يشك في
استحالة خمسة اقسام منها في الخارج الاول واجب العدم لذاته فقط الثاني واجب الوجود لذاته وواجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود
لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك في استحالة الوجود الخارجي لهذه
الاقسام الخمسة ينبغي ان لا يشك في وجود الواجب لذاته فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته
كان من القسم الثاني من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذا المفروض خلاف ذلك فثبت كونه موجودا في الخارج
بالضرورة وهو المطلوب فهذه طريقة صدرا تيسرت لنا من غير احتياج الى دور وتسلسل يرد عليهما المنوع المشهورة وجه ثان الموجود في الخارج
اما واجب او ممكن وهذه قضية اتفقوا على ضروريتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب والا فممكن فنقول ان كانت القضية
حتى يكون المعنيان الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب ان كانت القضية منفصلة
ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط اما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما انها ليست
بمانعة الجمع فلان الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والا لم يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب
بل يستدلون منه على نفيه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجود فلان يكون
الواجب موجودا يكون اولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تامل في مفهوم واجب
الوجود اذ لا معنى لوجوب الوجود الا انه وجود يوجد بنفسه من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى
الممكن بالتشكيك بمعنى انه في الواجب اول واولى منه في الممكن وجه ثالث طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما تشتركان في صحة وجودهما
الخارجي بالضرورة ويفترقان في ان الواجب ذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير
ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجوب الثاني لان الموقوف على مقدمات اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى بكونه ضروري
الوقوع وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوعه لا يخلو في نفس الامر من ان يكون بالوجوب او بالامكان او بالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الى المسببات
الخارجية من حيث ذواتها لا يخلو من احد الامور الثلاثة لكن نسبتها اليها بالامتناع ظاهر الاستحالة فهي اما بالامكان او بالوجوب ولا شك ان
نسبته الوجود الى ذات الموجود اولى من نسبته الى غيره اذ الاصل عدم الغير فكل ما دل البرهان على ان وجوده من غيره لتغيره او نقص يحكم عليه بانه ممكن
الوجود وما لم يدل البرهان فيه على ذلك بل يدل على وجوب وجوده بجميع صفاته الكمالية فهو واجب الوجود ومن شك في وجود ما وجوده من تلقاء
نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للنقائص والرذائل كان هذا لا نهج الحكمة وجه خامس نفس الامكان
نقص لا نقص فوقه لاستتباعه العجز والافتقار وصحة العدم عليه الذي لا اضعف مثله والوجود المتصف به متحقق بالضرورة فالوجود الذي يجوزه العقل
الصريح متصفا بصفة الوجوب كيف لا يكون متحققا ومن يستبهم عليه مثل هذا الجلي فلا يلومن الا نفسه وجه سادس مقتضى ذات الشيء اقرب ايجابا له عند
العقل من مقتضى كل ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت في الخارج مع ان ثبوته في الخارج مقتضى الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب
ثابت بالطريق الاولى وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الوجود من تلقاء نفسه والا كان وجودا واجبا لانا لا نعني بالوجود
الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب هو المطلوب او من وجود مثله وما لم يكن ثابتا في نفسه لم يتصور منه افادة مثله فاذن حصل لنا وجود
ممكن موصوف بالثبوت في نفسه وموصوفا بكونه مفيد الوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للوجود الواجب
الغني بل نسبتهما الى الثاني اولى من نسبتهما الى الاول بحكم الفهم الصحيح وجه ثامن كون الشيء موجودا في نفسه اقرب واقبل عند العقل من كونه موجدا
لغيره اذ ليس كل من له وجود في نفسه يكون موجدا لغيره وكل موجد لغيره موجود في نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه بابعد الامرين عن القبول
والفعل فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته باقربهما من القبول والفعل وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء
والحكماء وسائر العقلاء من اخوان الصفا واخلان الوفا وارباب البدع والاهواء الى وجود واجب حتى رجعوا الى انفسهم وطالعوا ملكوت السموات
والارض وتاملوا في الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب او هجوم نعم اجلى دليل على وجود رب جليل منزه عن سمات النقص والافول في حجر الامكان
مفيض للخيرات مدبر للممكنات ولهذا قال رب السموات والارض حين على الظلمة المعاندين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اخبر

ابراهيم

اى يصلح للوجود والعدم او ... الوجود والعدم معا
كلام حكيم
... واجب ... الخامس لذاته
... الوجود لذاته ... ممكن
العدم لذاته ...
الوجود والعدم ...

انهم يعتذرون عن اصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله انه لم يكن جحدهم وعنادهم عن تحقيق وصدق في واتما كانوا امكابرين في الظاهر ابتداء من
من الله وشقاء منهم فالحاصل ان المؤمن والمشرك والمقر والجاحد سيان في انه يشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب في ذاته وصفاته ولا ادل من ذلك
على انه ضروري الوجود وجه عاشر هو الاستدلال بالافاق كل موجود سوى الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبر في نفسه لم يكن له
ذلك من تلقاء نفسه فكان فقيرا في نفسه وذلك الافول له في افق الامكان واذا كان ما مقتضى ذاته الافول طالعا فما مقتضى ذاته الطلوع اولى بان
يكون طالعا وجه حادي عشر هو الاستدلال بالانفس من تامل في ذاته وفرض شخصه في هواء طلق لا يحس فيه بمتضاد ولغفل الحواس عن الخارج جد شيئا هو
هو وبذلك يصح انيته وهو نفسه الناطقة التي نسبتها الى البدن نسبة الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف يشاء ومهما انقطع علاقته عن البدن مات صاحبه
وانخرط في سلك الجمادات فكما ان البدن لضعفه وخسته مفتقر في قوامه وقيامه الى مدبر يدبره ويقيمه فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها لخستها وفقرها
يستند لا محالة الى ما هو اشرف منها وذلك ما وجوده من تلقاء نفسه هو الواجب الحق تعالى شانه ولولاه لفسد نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا اثر
وجه ثاني عشر هو انور الوجوه واظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك ان نورا ويعني به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان
ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب ولا يحتاج الى ما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا
لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب ولا يحتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن ان لا يكون
ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه
فذاك والا احتاج الى ما يظهره ولا بد ان ينتهي في طرف الصعود الى ما يكون ظهوره في نفسه بنفسه والا لم يتناه الامر في طرف النزول الى الظاهر
المفروض ولا نهاية ما لا نهاية له محال من اي جانب فرض لا ينتقض بعودة اليومية نقضا علينا بناء على انها مسبوقة بعودات لا يتناهى فان لا
تناهيها في جانب الازل محال عندنا وكما قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلت الكلام الى الفيض الواجب قلت الفيض الواقع
في زمان الحال مسبوق بافاضات غير متناهية لا محالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل في الواجب لان وجوده واوصافه المعتبرة كلها مقتضيات
ذاته ومقتضى ذات الشيء يدوم بدوام الشيء ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية فيضانه تابعة للا مسبوقية بغيره وكون وجوده من ذاته ولا يلزم من
كون مطلق الفيض ازليا ان يكون الفيض المخصوص ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر في نفسه بنفسه ثبت المطلوب
وهو وجود نور الانوار تعالى شانه وبهر برهانه وهو نهاية الممكنات في جانب الازل وبدايتها في جانب الابد فهو قديم ازلي لان وجوده مقتضى ذاته
وما بالذات لا يزول فهو الباقي الدائم هذا ما سنح من المنبهات لهذا الضعيف ثبتها في هذا الكتاب الشريف ليبقى ان شاء الله على وجه الدهر وينظر
فيها من هو من اهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي فتلك اللطمة يدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف
وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة الانبياء اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا بشهادة فطرته على ان هذه اللطمة لما حدثت
بعد عدمها وجب ان يكون حدوثها لاجل فاعل مختار ادخلها في الوجود واذا كان هذا حال هذا الحادث مع حقارته هكذا فما ظنك بجميع الحوادث الكائنة
في العالم العلوي والعالم السفلي واما دلالتها على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي ويصيح ويقول له ضربني فلان الضارب وفيه دلالة على
ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل اي شيء اشتهى واما دلالتها على الجزاء فلانه يطلب الجزاء على تلك اللطمة ولا
يترك ما امكنه واذا كان الحال في هذا العمل القليل كذلك فكيف يكون الحال في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم ان
العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة الانبياء الا تبيين الشرايع والاحكام ومما يدعو العاقل الى الاعتراف بالمبدأ والمعاد
انه لو اقر بهما ثم بان ان الامر على خلافه فلا ضرر فيه البتة اما اذا انكر الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة حقة ففي انكارها
اعظم المضار فيلزم على العاقل ان يعترف بهذه الامور اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك
ثنتان الاولى قوله يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم استدل بالاية على من جوز زيادة من في الاثبات وذلك لقوله تعالى في موضع اخر ان الله
يغفر الذنوب جميعا واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لاقوام غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من للتبعيض تمييزا بين
الفريقين ويؤيده ما ذكرنا استقراء الايات فانها ما جاءت للكافرين الا مقرونة بمن كما في هذه الاية وفي سورة الاحقاف ونوح وقال في خطاب المؤمنين في (في خطاب سح)
سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقيل اراد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل اي ليكون المغفرة
بدلا من الذنوب وضعف بانه لم يوجد له في اللغة نظير وعن الاصم انه اراد اذا تبتم يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فاما الصغائر فلا حاجة الى
غفرانها لانها مغفورة وزيفه القاضي بان الصغيرة انما تكون مغفورة من الموحدين حيث يزيد ثوابهم على عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا (لانها يح)
يكون شيء من ذنوبه صغيرا ولا كبيرا مغفورا وقيل المراد ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب
منه وقال الامام فخر الدين الرازي في الاية دلالة على انه تعالى قد يغفر ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير
اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك
البعض هو ما عدا الكفر من الذنوب لقائل ان يقول لا نسلم انه لم يشترط التوبة في الاية لان قوله يدعوكم اي الى الايمان معناه امنوا ليغفر لكم فكانه

قيل

قيل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز ان يكون ذلك البعض هو الكفر العامة الثانية قوله ويؤخركم الى اجل مسمى عن ابن عباس اي يمتعكم
في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت الطبيعي ولا يعاجلكم بعذاب الاستيصال وقد مر تحقيق الاجل في اول الانعام ثم شرع في حكاية شبه الكفار وهي
ثلث الاولى قولهم ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع ان يبلغ التفاوت بينهم الى هذا
الحد مع اشتراك الكل في ضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا الثالثة انكارهم دلالة المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا انهم ما اتوا بحجة اصلا لاعتقادهم
ان معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا سلطان مبين اي برهانا باهرا وحجة قاهرة ثم ان الانبياء سلموا انهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا انفسهم بمزية
من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله اجاب المخالف بانهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسمانية
تواضعا منهم ولانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لها لخصائص فيهم واما الشبهة الثانية فانما لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة تهدم
قاعدة التقليد اما الشبهة الثالثة فجوابها وما كان لنا اي ما صح منا ان نأتي باية اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر يتعلق بمشية الله
والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا في السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبياء وعلى الله فليتوكل المؤمنون
الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعاني الاول لاستحداث التوكل والثاني للسعي في ابقائه وادامته وقيل معنى الاول ان الذين
يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثاني ابداء التوكل على الله في
دفع شر الكفار وسفاهتهم وفي قولهم وقد هدانا سبلنا اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل اعباء الرسالة والصبر
على متاعبها فان تاثير نفوسهم في عالم الارواح كتاثير الشمس في عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس المشرقة بالانوار الالهية وبالوحي
الصريح ان الله تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفي قولهم ولنصبرن على ما آذيتمونا دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ومنبع السعادات
اما قول الكفار للرسل او لتعودن في ملتنا فقد مر البحث عليه في سورة الاعراف في قصة شعيب وقال صاحب الكشاف العود ههنا بمعنى الصيرورة
حلفوا ان يخرجوهم البتة الا ان يصيروا كافرين مثلهم فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه او اضمر
القول عن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ذلك الذي يقضي الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق لمن خاف مقامي يريد
موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة وهو موقف الحساب والمقام مصدر اي خاف قيامي عليه بالحفظ والمراقبة كقوله افمن هو قائم
على كل نفس او قيامي بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط او المقام مقحم اي خافني مثل سلام الله على المجلس العالي وخاف وعيد قال الواحدي
هو اسم من الايعاد التهديد قال المحققون الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد الله كما ان حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذه فائدة عطف احد الخوفين
على الاخر قوله واستفتحوا الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على اعدائهم او استحكموا الله وسئلوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة
واما للكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول يكون في الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود وخاب كل جبار
عنيد معاند واصل العنود الميل من العند الناحية والجانب كان كلا من المتعاندين في جانب آخر وقيل الجبار هو المتكبر اشارة الى ان فيه
خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبا للحق منحرفا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل وخاب
الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من ورائه اي من بين يديه يقال الموت وراء كل احد وذلك ان قدام وخلف
كلاهما متوار عن الشخص فصح اطلاق لفظ وراء على كل واحد منهما وقال ابو عبيدة هو من الاضداد لان احدهما ينقلب الى الاخر وهذا وصف حاله
في الدنيا او في الاخرة حين يبعث ويوقف قال جار الله قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى في جهنم ما يلقى ويسقى من ماء صديد اي
من ماء بيانه او صفته هذا والصديد ما يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن رؤيته او تناوله وقيل يخلق الله
في جهنم ما يشبه الصديد في النتن والغلظ والقذارة يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه اي لم يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس
المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب في الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به ما في بطونهم وانما المراد بها ان المشروب في الحلق
بالاستطابة وقبول النفس لا بالكراهة والتاذي قلت يحتمل ان يراد بالاساغة مجرد الحصول ولا نزاع ان قوله يصهر به لا يدل على الحصول لقوله قبله يصب
من فوق رؤسهم الحميم ويأتيه الموت من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان موجبات الموت احاطت به من
جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت فيها ولا يحيى ثم اخبر والعياذ بالله ان العذاب في كل وقت يفرض من الاوقات المستقبلة يكون اشد واقوى مما
قبله فقال ومن ورائه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قال في الكشاف يحتمل ان يكون اهل مكة استفتحوا اي استمطروا
والفتح المطر في سني القحط التي سلط عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل
سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما مستانفا منقطعا عن حديث الرسل واممهم التاويل
بسم اشارة باسم الذات وهو الاسم الاعظم ابتداء بخلق عالم الدنيا اظهار الصفات الرحمانية التي هي للمبالغة لاشتراك الحيوان والجماد والمؤمن
والكافر في الرحمة ويخلق عالم الاخرة اظهار الصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة قوله الر اي بالائي وبلطفي اقرأن انزلناه اليك لتخرج

وجعل النار يستعملون ارتفاعها موضع الاعم موضع الاخص والاعم الخصب نصيبا على الكفر مع

الثاني

الناس بہ الالہ نورہ من ظلمات عالم الطبیعۃ والکثرۃ الی نور عالم الروح والوحدۃ باذن ربہم الذی بربیہم ہو لاانت وفی قولہ الی صراط اشارۃ الی القلب
ہو طریق الوصول الی من احتجب بحجب العزۃ واستتر باستار مظاہر القہر واللطف وفی الاختتام بقولہ اللہ الذی لہ ما فی السموات وما فی الارض اشارۃ
الی من یبقی فی افعالہ وہی المکونات لم یصل الی صفاتہ لم یصل الی ذاتہ ومن وصل الی ذاتہ بالخروج عن انانیتہ الی ہویتہ اتصف بصفاتہ وافعالہ وویل
للکافرین من شدۃ الم الانقطاع عن اللہ ثم اخبر ان الکافر الحقیقی ہو الذی قنع بالایمان التقلیدی فاقبل علی الدنیا واعرض عن المولی فضل واضل
الا بلسان قومہ الی یتکلم معہم بلسان عقولہم ولقد ارسلنا بواسطۃ جبرئیل الجذبۃ موسی القلب بایات عصا الذکر والید البیضاء من الصدق
والاخلاص ان اخرج قومک وہم الروح والسر والخفی من ظلمات الوجود المجازی الی نور الوجود الحقیقی وذکرہم بایام اللہ التی کان اللہ ولم یکن معہ شیء وہو
یحیہم بلاہم ان فی ذلک التذکیر لایات فی نفی الوجود لکل صبار باللہ مع انقطع عن غیر اللہ شکور لنعمۃ الوجود الحقیقی ببذل الوجود المجازی ولئن
شکرتم بالطاعۃ لازیدنکم فی تقرب الیکم لازیدنکم فی محبتی لکم لازیدنکم فی الخلعۃ لازیدنکم فی الوصول لازیدنکم فی التجلی ولئن شکرتم
فی التجلی لازیدنکم فی الفناء عنکم ولئن شکرتم فی الفناء لازیدنکم فی البقاء ولئن شکرتم فی البقاء لازیدنکم فی الوحدۃ ولئن کفرتم نعمتی فی
المعاملات کلہا ان عذابی بقطیعتی لشدید وقال موسی القلب ان تکفروا انتم ایہا الروح والسر والخفی بالاعراض عن الحق والاقبال علی بتبعیۃ
النفس ومن فی ارض البشریۃ من النفس والہوی والطبیعۃ یدعوکم من المکونات الی الملکوت لیغفر لکم بصفۃ الغفاریۃ من ذنوبکم التی اصابتکم من
حجب عالم الخلق ویؤخرکم فی التخلق باخلاقہ الی اجل مسمی ہو وقت الفناء فی الذات وعلی اللہ فلیتوکل المتوکلون للتوکل مقامات فتوکل المبتدی
قطع النظر عن الاسباب فی طلب المرام ثقۃ بالمسبب وتوکل المنتہی قطع تعلق ما سوی اللہ والاعتصام بہ بالکلیۃ ذلک لمن خاف مقامی وہو مقام الوصول
الی فان ہذا مقام الاخص واما خوف الخواص فعن مقام الجنۃ وخوف العوام عن مقام النار وخاف وعید القطیعۃ واستبصر القلب والروح من
امر اللہ علی النفس والہوی من ورائہ ای قدام النفس فی متابعۃ الہوی جہنم الصفات الذمیمۃ ویسقی من ماء صدید ہو ما یتولد من الصفات
والاخلاق من الافعال الرذیلۃ یسقی من ماء صدید ہو ما یتولد من الصفات یسقی منہ صاحب النفس الامارۃ یتجرعہ بالتکلف ولا یکاد یسیغہ
لانہ لیس من شربہ ویاتیہ اسباب الموت من کل مکان من کل فعل مذموم ومن ورائہ عذاب غلیظ ہو عذاب القطیعۃ والبعد واللہ اعلم بالصواب
مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ
الضَّلَالُ الْبَعِيدُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ
إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ
بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا
لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَا
هُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَ
سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ
القراءات الریاح علی الجمع ابو جعفر ونافع الباقون علی التوحید خالق السموات والارض بلفظ اسم الفاعل حمزۃ وعلی وخلف الباقون بلفظ الفعل
سبلنا باسکان الباء حیث کان ابو عمرو ولی علیکم بفتح الیاء حفص بمصرخی بکسر الیاء حمزۃ الاخرون بالفتح اشرکتمونی بالیاء فی الحالین سہل ویعقوب
وافق ابو عمرو ویزید وقتیبہ واسمعیل فی الوصل البوار ممالۃ ابو عمرو وعلی لیضلوا بفتح الیاء ابن کثیر وابو عمرو وسہل ویعقوب
الباقون بضمہا لعبادی الذین مرسلۃ الیاء ابن عامر وحمزۃ وعلی ویعقوب والاعشی الباقون بالفتح من کل بالتنوین یزید وعباس الباقون
بالاضافۃ الوقوف عاصف بناء علی ان ما بعدہ مستانف کان سائلا قال ہل یقدرون من اعمالہم علی شیء ط البعید
بالحق جدید لان ما بعدہ یتم معنی الکلام بعزیز من شیء ط ہدیناکم محیص فاخلفتکم فاستجبتم لی لاختلاف الجملتین انفسکم ط لابتداء النفی بمصرخی
لحق ان ومن قال ان الابتداء بقولہ انی کفرت فیتم لجواز ان الکفر بالاشراک واجب کالایمان من قبل ط الیم باذن ربہم ط سلام فی السماء لا

الجزء الثالث عشر
والمجد ط صح
ومن یبقی فی صفاتہ صح
ولئن شکرتم فی محبتی لکم لازیدنکم فی الخلعۃ ولئن شکرتم فی الخلعۃ لازیدنکم فی الوصول ولئن شکرتم صح
المتوسط قطع تعلق الاسباب بالمسبب فی توکل صح
کشجرۃ خبیثۃ صح
تحیتہم صح

ابراهيم

ربهما يند كرون السبع الرابع من قرائة رفي الاخرج لتكرار اسم الله تعالى في الفعلين مع ان كليهما مستقل بخلاف قوله ويفعل الله لانه في المعنى
بيان قوله ويضل الله ما يشاء البوار لا جهنم ج لان ما بعده يصلح استينافا او حالا من فاعل احلوا او من مفعوله او من كليهما يصلونها القرار
عن سبيله ط الى النار ولا خلال ه رزقا لكم ط بامره ج الانهار ج دائبين ج والنهار ج لحسن هذه الوقوف مع العطف لتفصيل النعم تنبيها على الشكر
سألتموه ط لا تحصوها ط كفار التفسير لما ذكر في الايات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية خسرانهم
وبطلان سعيهم فقال مثل الذين وارتفاعه عند سيبويه على الابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى او نقص عليكم مثلهم وقوله اعمالهم
كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا وانما جاز حذفه
استغناء بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالجملة المراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله
غير مخزون ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا والخبر كرماد وحده والمراد باعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء
الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واعانة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير اساس التوحيد والايمان برماد طيرته
الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم وهو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي
عصوف او في يوم عاصف الريح فحذف لذكره مرة وقيل المراد من اعمالهم عبادتهم للاصنام ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم فيها دهرا طويلا
ثم لم ينتفعوا بها بل استضروا بها وقوله مما كسبوا على شيء القياس عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة ولان مما كسبوا صفة
لشيء ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب يعني العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذكر ولهذا اشار اليه بقوله ذلك هو الضلال
البعيد اي عن الحق والثواب ثم كان لسائل ان يسأل كيف يليق بحكمته اضاعة افعال المكلفين فقال الم تر ان الله خلق السموات والارض
بالحق مشتملة للفوائد والحكم دالة على وجود الصانع القدير فحبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكونها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص
لا من انه سبحانه يمكن ان يوجد في افعاله عبث وخلل وسهو ثم بين كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن عمل كل عامل عاجل فقال ان يشاء
يذهبكم وتقدم مثله في سورة النساء وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فان قيل الغرض من
الاية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك انما يتم بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله ويأت بخلق جديد وهل فيه دليل على ان الفناء
لا يوجد بدون الفيض قلنا على تقدير تسليمه لا ينحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هي تأكيد التخويف فان الناس من تصور العدم المجرد ليس كالناس
من تصور عدم مع اقامة غيره مقامه على ان الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم ان يستدل بقوله
يذهبكم على ان مادة الجوهر لا تنعدم وانما ينعدم الصور والاعراض والجواب ان الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام
ههنا امتناعه في جميع الصور وفيه انه الحقيق بان يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك اتبعه احوال الاخرة فقال وبرزوا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع
مثل ونبئ ونادى والتركيب يدل على الظهور بعد الخفاء ومنه امرأة برزة اذا كانت تظهر للناس وبرز فلان على اقرانه اذا فاقهم ومعنى بروزهم لله
وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله
ر د ا فاذا كان القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او المضاف محذوف اي برزوا لحساب الله وحكمه قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا
فهو المراد من قوله ومن ورائه عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهرت عليها آثار الملكات
الهيئات التي كان يمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز لله فان كانوا من السعداء برزوا لموقف الجمال بصفاتهم القدسية
وهيآتهم النورانية فيا اجل تلك الاحوال ويا طوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال باوصافهم الذميمة وهيآتهم المظلمة
فما اعظم تلك الفضيحة وما اشنع تلك الهيئة لمن ارتكب الضعفوء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علمؤا بني اسرائيل
والضعفاء العوام والاراذل للذين استكبروا سادتهم واشرافهم الذين استنكفوا عن عبادة الله تعالى فضلوا واضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على
ان التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وجوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا اي ذوي اتباع اما في الكفر او في الامور الدنيوية فهل انتم
مغنون هل يمكنكم دفع عذاب الله عنا ومن في من عذاب الله للتبيين وفي من شيء للتبعيض والمعنى هل مدفعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب
الله او كلاهما للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله لا
رشدناكم قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم الى الضلال لان الله اضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف لعلهم قالوا
ذلك مع انهم كذبوا فيه كقولهم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بان هذا خلاف مذهبه لانه لا يجوز
صدور الكذب عن اهل القيمة كما مر في اوائل الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف
فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وزيف بان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعل وقيل لو هدانا الله
طريق النجاة من العذاب لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة يؤكد هذا التفسير قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا واعرابه كقوله
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ارادوا اقناطهم من دفع العذاب بالكلية او ارادوا ان عتاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع

من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر وجوز في الكشاف ان يكون قوله سواء علينا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظيره في وصل كلام انسان
بكلام انسان اخر قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمحيض او مكان كالمبيت والمضيف ولما ذكر مناظرة شياطين
الانس اتبعها مناظرة شيطان الجن ومعنى قضي الامر قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء المحاسبة والاكثرون على انه بعد الحساب ودخول الاشقياء
النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار فليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروى ان الشيطان
يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول ان الله وعدكم وعد الحق وعن النبي صلعم اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافرون قد وجد المسلمون من
يشفع لهم من يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فياتونه ويسالونه فعند ذلك يقول هذا القول ووعد الحق من اضافة الموصوف الى صفته
مثل مسجد الجامع وتاويله وعدا يوم الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال وفي الاية اضماران الاول وعدكم وعد الحق فوفى لكم بما وعدكم
الثاني ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا يشاهدون وليس وراء العيان بيان وفيه
ولان ذكر نقيضه وهو اخلاف الوعد من الشيطان يغني عنه ووجه الثاني ايضا مثل ذلك ثم ذكر طريق وسوسته عند اغوائهم فقال وما كان
لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم قال النحويون هذا الاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس
السلطان فالمراد لكن دعائي اياكم الى الضلال بوسوستي ويمكن ان يوجه الاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال
تارة يكون بالقسر وتارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم ما سمعتم
مني الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجيء انبيائه فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا اليه قالت المعتزلة
في الاية دلالة على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما
يزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا ان عدم انكار الله تعالى
عليه حجة هذا مع ان اول كلام اللعين مبني على الانصاف والصدق فكذا ينبغي ان يكون اخره قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك
ان الانسان اذا احس بشيء او ادركه ترتب عليه شعوره بكونه ملائما له او بكونه منافرا له ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل او الى الترك
وكل هذه الاشياء من شان النفس الانسانية ايضا جوهر علوي مجرد فلا يبعد حصول اثر احدهما الى الاخر وذهب بعض الحكماء الى ان كل نوع
من الارواح البشرية فانه ينتسب الى روح معين من الارواح السماوية وانها تتولى ارشادا لارواح الانسانية الى مصالحها بالالهامات الحسنة في حالتي
النوم واليقظة هذا اذا كانت خيرة واما اذا كانت شريرة فانها توسوسها بالخواطر والاعمال القبيحة والقدماء كانوا يسمون كلا من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض
العلماء احتمالا اخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت ابدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس
اخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة من بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فيصير
تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن وبعضدها على احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى في ابواب الخير والشر كان الهاما
وان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى الله سبحانه عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس ما انا بمغيثكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي
الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اي اغثته وعاب النحويون على حمزة انه قرأ وما انتم بمصرخي
لان ياء الاضافة لا يكون الا مفتوحة حيث قبلها الف نحو عصاي فبالحري اذا قبلها ياء وحاصل ما عابوا عليه انه لم يوجد له نظير في استعمال العرب
لكنك تعلم ان القران حجة على غيره قوله اني كفرت بما اشركتمون ان كانت ما مصدرية فالمعنى اني كفرت اي انا جاحد وما كان لي رضى باشراككم في
الدنيا مع الله في الطاعة وفي ان له تدبيرا وتصرفا في هذا العالم وان كانت موصولة على ما قاله الفراء من ان ما في معنى من كقوله سبحان ما سخركن
لنا فالمراد اني كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالله الذي اشركتمونيه ووجه نظم الكلام على هذا التفسير ان ابليس كانه يقول لا تاثير لوسوستي في
كفركم بدليل اني كفرت بالله قبل ان كفرتم وما كان كفري بسبب وسوسة اخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شيء
اخر سوى الوسوسة وهذا التقرير يناسب اصول الاشاعرة اما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالاظهر انه كلام الله ويشمل ابليس ومن تابعه من
الثقلين وليس يبعد ان يكون من تتمة كلام ابليس قطعا لاطماع اولئك الكفار عن اعانته ثم شرع في احوال السعداء وقال وادخل على لفظ
الماضي تحقيقا للوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره وقرا الحسن وادخل على لفظ المتكلم قال في الكشاف
فعلى هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم معنى قوله تحيتهم فيها سلام في اول سورة يونس ثم لما
بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال اضدادهم اراد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا قال في الكشاف كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا وضرب بمعنى جعل اي جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة وقال كحل العضد الظن ان الوجه ان يجعل
قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعولا ثانيا عن ابن عباس الكلمة الطيبة هي قول لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن
ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار
كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد ان الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في تحصيلها

او لا الحق صح

ولا معنى للشيطان في المقامات الا بان
في تحريض بعض الغافلات الا ان كان
بان ذكر شيئا مثل ان الانسان ان كان
غافلا عن شيء او امر فيلقي الشيطان
عليها فيخاطر وكيف فيفعل تمكن
الشيطان من النفوذ في باطن الانسان
الانسان والقاء الوسوسة اليه
ان الشيطان ان كان جسما لطيفا
والله سبحانه قادر على ان يجعل
النفوذ والتمرج للطافة
لتنعيد نفوذه في الاجسام
كالنار وكالدم
القسم وان كان جوهرا مجردا
يحمل على الشر والنفس صح

كشجرة طيبة صح

وادخارها للنفس سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن اما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة ويشمل طيب المنظر والشكل والرائحة وطيب
الفواكه المتولدة منها وطيب منافعها والثانية اصلها ثابت راسخ امن من الانقطاع والاستئصال لان الشيء الطيب انما يكمل الفرح بحصوله اذا امن انقراضه وزواله
والثالثة وفرعها في السماء اعني جهة العلو وهكذا التاكيد لرسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوى وارسخ كان الفرع اعلى واشمخ ومن فوائد ارتفاع
الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاوتها عن القاذورات قال في الكشاف فرعها اعلاها وراسها ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
له الصفة الرابعة تؤتي اكلها كل حين اي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين ستة اشهر لان من حملها الى صرامها ستة
اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام يحمل الثمرة ولاسيما النخلة اذا تركوا عليها الثمر بقي من السنة الى السنة وقال الزجاج الحين الوقت
طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت يفرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى والاستغراق
في محبته وطاعته هي الشجرة الطيبة ولا لذة في الدنيا لا هي لان المدركات المحسوسة انما تصير مدركة لملاقاة شيء من المحسوسات شيئا من الحاس اما نور معرفة الله
اشراقها فانما ينفذ ويسري في جميع جواهر النفس حتى انه يكاد يجد بر ثم ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا يكاد ينتهي الى حد وان عروق هذه
الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب واغصان صاعدة في هواء العالم الروحاني يجمعها التعظيم لامر الله ومنشاؤها القوة النظرية وغايتها
الحكمة العملية باقسامها واصولها وفروعها واغصانها ثابتة في فضاء العالم الجسماني ومبناها القوة العملية وفائدتها الحكمة الخلقية التي يجمعها الشفقة على
خلق الله عموما وخصوصا واثر رسوخ شجرة المعرفة في القلب ان يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه ونطقه بالصدق والصواب قولوا قولا سديدا وكذا الكلام في سائر القوى والاعضاء وهذه المراتب لا تكاد تنحصر بحسب مراتب الاستعداد
واذا صار جوهر النفس كما ينبغي بحسب هذه الفضائل فقد يكون مكمل الغير وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين وفي قوله باذن ربها اشارة الى ان النظر في جميع
هذه المراتب يجب ان يكون على المفيض لا على الفيض وعلى المنعم لا على النعمة ويضرب الله الامثال لعلهم يتذكرون المبدء وعرفانه والمعاد واتيانه فيختار
الكمال على النقصان واتم العرفان المعروف لا العرفان فيكون روح جوهر نفسه كلمة طيبة كما قال في حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة
الطيبة سهل عليك معرفة ضديهما اما الكلمة الخبيثة فكلمة الشرك او كل كلمة قبيحة او كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل او كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل
والثوم ونحو ذلك ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي من استقرار مصدر كالثبات والبنات وعن
قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة
ذلك ان الباطل لا قائل به ولا يوافقه فيه من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل زائل والحق بنقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه
ولا يحصل له منه برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمانينة ولا وقار بل هي ابدا تسعى في الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران ولما شبه حال الفريقين بما شبه بين مآل حالهما فقال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة
والبرهان وتمكن في قلب صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال هذا في الحيوة الدنيا فلا جرم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كاصحاب الاخدود والذين نشروا
بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد ويثبتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يبهتوا عن ابن عباس
من دام على الشهادة في الحيوة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنه اياها وقد ورد في حديث سؤال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب العقلي
يوجب رسوخ الملكة بحيث لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسر الاخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن احكام الدنيا
ويدخل في احكام الاخرة فمعنى الاية يثبت الله الذين آمنوا بالله وبما يجب الايمان به على ما آمنوا به في الدارين او يثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت
على القول الثابت وقيل معنى الاية يثبتهم الله على الثواب والكرامة بسبب القول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحيوة الدنيا
ويصدر عنهم حال ما يكونون في الاخرة ويرد عليه ان الاخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحيوة الدنيا متعلقا بقوله يثبت اي يثبتهم
على الثواب في الدارين بسبب القول ورد عليه ان الدنيا ليست دار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد في الدارين فلا جرم اذا
سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من التثبيت او الاضلال ولا اعتراض لاحد عليه او من منح الالطاف ومنعها كما يقتضيه الحكمة
ثم عجب ظالمي مكة بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمته كفرا اي وضعوا مكان الشكر الكفر او بدلوا نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة
فلم يبق معهم الا الكفر وذلك انه تعالى اسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فلم يقوموا بشكر تلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين
وقتلوا يوم بدر وبقي الكفر طوقا في اعناقهم واعناق من تابعهم وذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار اي الهلاك وقوله جهنم عطف بيان و
بئس القرار اي المقر مقصد رسمي بقوله ليضلوا من قرء بضم الياء فاللام للغرض او للعاقبة ومن قرء بفتحها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد
ضلال نفسه ولكنه قد يريد ضلال الغير لمصلحة دنيوية وانما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل
حصولها في اخر المراتب والمشابهة احد الامور المصححة للمجاز قل تمتعوا امر وعيد وتهديد قال جار الله ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر
مامورون به قد امرهم امر مطاع هو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار وانما سمى عيش الكفا

تمتعوا لان امهالهم في الدنيا على اي وجه يفرض يكون اسهل مما اعد لهم في الدنيا الآخرة من العقاب بين الذين نزل فيهم روي عن عمر انه قال
هم من الافجرين من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن
الايهم واصحابه ولما امر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا تهديدا امر نبيه صلى الله عليه وسلم بحث المؤمنين على خلاف ذلك وهو الاقبال على ما ينفعهم في الآخرة
فقال قل لعبادي الذين آمنوا المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا
وجوز بعضهم ان يكون المذكور هو المقول بناء على انه امر غائب محذوف اللام وانما حسن الحذف لان الامر الذي هو قل عوض منه
او قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز والخلال المخالة اراد انفقوا اموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الانفاق
في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصادقة وانما ينتفع بالانفاق لوجه الله ونفى المخالة في هذه الآية وفي قوله في البقرة لا بيع
فيه ولا خلة لا ينافي اثباتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المنفية هي التي سببها ميل الطبيعة ورغبة
النفس والمثبتة هي التي موجبها الاشتراك في الايمان والعمل الصالح ولما ختم احوال المعاد عاد الى المبدأ اخيرا الله الذي خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقد مر في اول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بان الانسان
ربما كان واقفا على قلة جبل عال ويرى الغيم اسفل منه واذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه وسخر لكم الفلك كقوله في اواسط
البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقد مر ومعنى بامره بتيسيره وتدبيره لانه خلق موادها والهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل
على وجهه جريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بانه فعل وانما يقال انه امر بكذا ومنهم من حمل الامر على الظاهر اي بقوله كن وسخر لكم الانهار
وجه المنة فيها ان البحر قلما ينتفع به في العمارة والزراعة لعمقه وللملوحة ففجر الله الانهار والعيون والآبار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى وسخر
لكم الشمس والقمر اي صيرهما تحت تصرفه وتسخيره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخين والترطيب والاضاءة والانارة لانهما من آلات
للانس وقوله دائبين نصب على الحال والدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة مطردة اي يدابان في سيرهما وانارتهما وسائر منافعهما وخواصهما
وهكذا معنى التسخير في قوله وسخر لكم الليل والنهار اي قدرهما لعرضين متعاقبين في احوال الانسان وللمعاش ولما فصل طرفا من النعم اجمل
الباقية منها بقوله وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه ومن قرأ بالتنوين فما اما نافية والجملة نصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك
غير سائليه او موصولة بمعناه وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين ان نعم الله على عبيده غير متناهية فقال وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدرون على تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها قال الواحدي النعمة ههنا اسم اقيم مقام المصدر كالنفقة بمعنى الانفاق
ولهذا لم يجمع ومن تأمل في تشريح الابدان خصوصا في اعضاء الحيوان واجزائها من العروق الدقاق والاوردة والشرايين وفي كل واحد من الاعضاء
البسيطة والمركبة ووقف على منافعها عرف بعض دقائق نعم الله تعالى على عباده واذا جاوز الانفس الى الآفاق وسير فكره في احوال الاجسام السفلية
والعلوية ووقف من بديع صنعها وعظم منفعتها على ما يقتضيه منه العجب واذا عبر الملك الى الملكوت في اودية الحيرة والدهشة وتلاشى عقله
عند ادنى سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم اذا اخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها اما الذي قبلها فكالخبز و
الطحن والزرع وغير ذلك من الآلات المعينة والاسباب الفاعلية والقابلية حتى ينتهي الى الافلاك والعناصر واما الذي بعدها فكالقوى
المعينة على الجذب والامساك والهضم والدفع وكالاعضاء الحاملة لتلك القوى وكسائر الامور النافعة في ذلك لبابها خارجة عن البدن
او داخلة فيه فانها لا تكاد تنحصر واذا كانت نعم الله تعالى في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت في عالم
الاجسام فاذا تخطيت الى عالم الارواح وجلت طرف عقلك في ميادين القدس وحظائر الانس وصادفت بعض ما هنالك من الكرامات
واللذات فلعلك تعرف حق النعمة اذ تغرق في لجة المنة او تعرف من بحر المحنة والنعم هنالك على قدر الاستعداد وادراك النعم بمقدار الفهم
والرشاد فان كنت اهلا لها فذاك والا فلم الانتقاد ان الانسان اي هذا الجنس لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد
الكفران لها وذلك انه مجبول على النسيان والملالة فلا بد ان يقع في اغفال شكر النعمة ان نسيها او في كفران النعمة اذا ملها وقيل ظلوم في
الشدائد بالشكاية والجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واعلم انه ختم الآية في هذه السورة بما ختم وختمها في النحل بقوله ان الله لغفور رحيم
وكأنه قال ان كنتم ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم فلا اقابل تقصيرك الا بالتوفير ولا اجازي جفاك الا بالوفاء تلك صفتك
في الاخذ وهذه صفتي في الاعطاء التأويل وبرزوا من القشور الفانية لله جميعا من القوي والضعيف فقال الضعفاء وهم المقلدون للذين
استكبروا من المبتدعين اني كفرت بما اشركتمون من قبل العين حين لا ينفع نفسا ايمانها وادخل فيه اشارة الى ان الانسان اذا خلي وطباعه
لا يدخل الجنة لانه خلق ظلوما جهولا لا سفلي الطبع وانما يدخلها الله بفضله وعنايته جنات القلوب تجري من تحتها انهار الحكمة خالدين
فيها باذن ربهم اي بعنايته والا لم يبق فيها ساعة كما لم يبق آدم تحيتهم اهل القلوب السلام قلوبهم وتحيتهم على اهل النفوس لمرض قلوبهم ليسلموا
من شر نفوسهم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الم تر اي لم تشاهد بنور النبوة كيف ضرب الله مثلا الاستعداد الانساني القابل
للفيض الالهي دون سائر المخلوقات كلمة طيبة هي كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث مثمرة ثمار شواهد انوار القدم اصلها ثابت في الحضرة

التأويل

لا الجنة فانها صفة فانه بدا نهاو فرعها فی سماء القلوب تؤتی اکلها من انوار المشاهدات والمکاشفات کل حین یتقرب العبد الی ربه یتقرب الرب تعالی الیه ویضرب الله الامثال للناس لمن نسی العهد الاول لعلهم یتذکرون الحالة الاولی فیسعون فی ادراکها ومثل کلمة خبیثة یتولد من خباثة اجتثت من فوق ارض البشریة ما لها من قرار لانها من الاعمال الفانیات لا من الباقیات الصالحات یثبت الله الذین امنوا یمکنهم فی مقام الایمان بملازمة کلمة لا اله الا الله والسیر فی حقایقها فی الحیوة الدنیا وفی الاخرة لان سیر اصحابها الاعمال ینقطع بالموت وسیر ارباب الاحوال لا ینقطع ابدا الا واحلوا قومهم ارواحهم وقلوبهم ونفوسهم وابدانهم انزلوا ابدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدرکات وقلوبهم العمی والصمم والجهل وارواحهم العلویة اسفل سافلین الطبیعة فبدلوا نعم الاخلاق الحمیدة کفر الاوصاف الذمیمة الله الذی خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلوب ماء الحکمة فاخرج به ثمرات الطاعات رزقا لارواحکم وسخر لکم فلک الشریعة لتجری فی بحر الطریقة بامر الحق لا بالهوی والطبع وسخر لارباب الطلب من سفن الذکر انهار العلوم الدینیة وشمس الکشوف وقمر المشاهدات ولیل البشریة ونهار الروحانیة ومعنی التسخیر فی الکل جعلها اسبابا لاستکمال النفس الانسانیة واتاکم من کل ما سألتموه من سایر الاسباب المعینة علی ذلک فجمیع العالم بالحقیقة تبع لوجود الانسان وسبب لکمالیته وهو ثمرة شجرة المکونات فلذلک قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان مخلوقاته غیر محصورة وکلها مخلوق لاستکمال الانسان الظلوم بافساد استعداده کفار لا یعرف قدر نعمة الله فی حقه

وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِیْمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ اٰمِنًا وَّ

و چون گفت ابراهیم ای پروردگار من بگردان این شهر مکه را امن

اجْنُبْنِیْ وَبَنِیَّ اَنْ نَّعْبُدَ الْاَصْنَامَ رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِیْرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِیْ فَاِنَّهٗ مِنِّیْ وَمَنْ عَصَانِیْ

و دور دار مرا و پسران مرا از آنکه پرستیم بتان را ای پروردگار من بدرستیکه آنها گمراه کردند بسیاری از مردمان پس هر که پیروی کرد مرا پس بدرستیکه او از من است و هر که نافرمانی کرد مرا

فَاِنَّكَ غَفُوْرٌ رَّحِیْمٌ ۝ رَبَّنَآ اِنِّیْ اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِیْ بِوَادٍ غَیْرِ ذِیْ زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

پس بدرستیکه تو آمرزنده مهربانی ای پروردگار من بدرستیکه من ساکن گردانیدم بعضی از فرزندان خود را بوادی غیر صاحب زراعت نزدیک خانه تو که حرام گردانیده شده ای پروردگار ما

لِیُقِیْمُوا الصَّلٰوةَ فَاجْعَلْ اَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِیْٓ اِلَیْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرٰتِ لَعَلَّهُمْ یَشْكُرُوْنَ

تا برپا دارند نماز را پس بگردان دلهای برخی از مردمان را که میل کنند بسوی ایشان و روزی ده ایشان را از میوه‌ها باشد که ایشان شکرگزاری کنند

رَبَّنَآ اِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِیْ وَمَا نُعْلِنُ ۭ وَمَا یَخْفٰی عَلَی اللّٰهِ مِنْ شَیْءٍ فِی الْاَرْضِ وَلَا فِی السَّمَآءِ ۝ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِیْ

پروردگار ما بدرستیکه تو میدانی آنچه پنهان میداریم و آنچه آشکار میکنیم و پوشیده نمی‌باشد بر خدا هیچ چیز در زمین و در آسمان ستایش مر خدا راست

ع وَهَبَ لِیْ عَلَی الْكِبَرِ اِسْمٰعِیْلَ وَاِسْحٰقَ ۭ اِنَّ رَبِّیْ لَسَمِیْعُ الدُّعَآءِ ۝ رَبِّ اجْعَلْنِیْ مُقِیْمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّیَّتِیْ

بخشید بمن در بزرگی اسمعیل و اسحق را بدرستیکه پروردگار من هر آینه شنونده دعاست ای پروردگار من بگردان مرا برپا دارنده نماز و از فرزندان من

رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِیْ وَلِوَالِدَیَّ وَلِلْمُؤْمِنِیْنَ یَوْمَ یَقُوْمُ الْحِسَابُ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا

ای پروردگار ما و قبول کن دعای مرا پروردگار ما بیامرز مرا و والدین مرا و مؤمنان را روزی که قایم شود حساب و مپندار البته خدا را بیخبر

عَمَّا یَعْمَلُ الظّٰلِمُوْنَ ۬ اِنَّمَا یُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِیْهِ الْاَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِیْنَ مُقْنِعِیْ رُءُوْسِهِمْ لَا یَرْتَدُّ اِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ

از آنچه میکنند ستمکاران جز این نیست که باز پس میدارد ایشان را برای روزی که خیره شود در آن چشمها شتابندگان برداشتگان سرهای خود را بر نمیگردد بایشان چشم ایشان

وَاَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝ وَاَنْذِرِ النَّاسَ یَوْمَ یَاْتِیْهِمُ الْعَذَابُ فَیَقُوْلُ الَّذِیْنَ ظَلَمُوْا رَبَّنَآ اَخِّرْنَآ اِلٰٓی اَجَلٍ قَرِیْبٍ ۙ

و دلهای ایشان باشد خالی و بیم کن مردمان را از روزیکه آید ایشان را عذاب پس گویند آنانکه ستمکردند ای پروردگار ما باز پس دار ما را بسوی مدتی نزدیک

نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۭ اَوَلَمْ تَكُوْنُوْٓا اَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ۝ وَّسَكَنْتُمْ فِیْ مَسٰكِنِ الَّذِیْنَ

تا اجابت نمائیم دعوت ترا و پیروی کنیم رسولان را آیا نبودید که سوگند خوردید پیش از این که نیست شما را هیچ زوالی و ساکن شدید در مسکنهای آنانکه

ظَلَمُوْٓا اَنْفُسَهُمْ وَتَبَیَّنَ لَكُمْ كَیْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْاَمْثَالَ ۝ وَقَدْ مَكَرُوْا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللّٰهِ

ستمکردند بخویشتن و ظاهر شد برای شما که چگونه کردیم بایشان و زدیم برای شما داستانها را و بدرستیکه حیله کردند مکر خود را و نزد خداست

مَكْرُهُمْ ۭ وَاِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُوْلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهٖ رُسُلَهٗ ۭ اِنَّ اللّٰهَ عَزِیْزٌ

جزای مکر ایشان و اگر بود مکر ایشان که زایل شود از آن کوهها پس مپندار البته خدا را خلاف کننده وعده خود بر رسولانش بدرستیکه خدا غالب

ذُو انْتِقَامٍ ۝ یَوْمَ تُبَدَّلُ الْاَرْضُ غَیْرَ الْاَرْضِ وَالسَّمٰوٰتُ وَبَرَزُوْا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝ وَتَرَی الْمُجْرِمِیْنَ یَوْمَئِذٍ

صاحب انتقام است روزی که بدل کرده شود زمین بغیر این زمین و آسمانها و ظاهر شوند از برای خدای یگانه غالب و ببینی گناهکاران را آن روز

مُّقَرَّنِیْنَ فِی الْاَصْفَادِ ۝ سَرَابِیْلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَّتَغْشٰی وُجُوْهَهُمُ النَّارُ ۝ لِیَجْزِیَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۭ اِنَّ اللّٰهَ

سَرِیْعُ الْحِسَابِ ۝ هٰذَا بَلٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِیُنْذَرُوْا بِهٖ وَلِیَعْلَمُوْٓا اَنَّمَا هُوَ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ وَّلِیَذَّكَّرَ اُولُوا الْاَلْبَابِ

القراءة ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان اني اسكنت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن عصاني بالامالة علي
دعائي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وقرا ابو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمي والخراز عن هبيرة واحمد بن فرج عن ابي عمرو
عن اسمعيل بالياء في الوصل والباقون والهاشمي عن ابن فليح بغير ياء في الحالين نؤخرهم بالنون عباس والمفضل في رواية ابي زيد الاخرون
بالياء لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الاخرى علي الباقون بكسر الاولى ونصب الاخرى القهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء
مكسورة منونة آن على انه اسم فاعل يزيد عن يعقوب الوقوف على قراءة لن بالياء الوقوف الاصنام ط من الناس ج مني ج فصلا بين النقيضين مع اتحاد
الكلام رحيم المحرم لا لان قوله ليقيموا متعلق بقوله اسكنت وكلمة ربنا تكرار يشكرون وما نعلن ط وما في السماء الدعاء ومن ذريتي ز
قد قيل والوصل اولى للعطف وربنا تكرار دعاء الحساب ط الظالمون ط الابصار لا لان ما بعده حال طرفهم ج لاحتمال ان قوله وافئدتهم يكون
من صفات اهل المحشر وان يكون من صفة الكفار في الدنيا هواء ط قريب لا لان قوله نجب جواب اخرنا الرسل ط زوال لا للعطف على اقسمتم الامثال
وعند الله مكرهم الجبال ط رسله ط انتقام ط فان انتقامه لا يختص بوقت والتقدير اذكر يوم القهار ج الاصفاد ج للاية ولان الجملة بعد من
صفات المجرمين النار لا لتعلق لام كي ما كسبت ط الحساب الالباب التفسير قصة ابرهيم يحتمل ان يكون مثالا للكلمة الطيبة وان يكون
دعاء الى التوحيد وانكار العبادة الاصنام وان يكون تعديدا لبعض نعمه على عبيده فان وجود الصالحين ولا سيما الانبياء والمرسلين
رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابرهيم ومن نسله صـ وعلى نبينا صـ حكى الله سبحانه عنه
طلب امور منها قوله رب اجعل هذا البلد آمنا وقد مر في البقرة الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك ولا ريب ان في مكة مزيد امن
ببركة دعائه حتى ان الناس مع شدة العداوة بينهم كانوا يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا وكان الخائف اذا التجأ بمكة امن والوحوش هناك
تستأنس ليس في غيرها وانما قدم طلب الامن على سائر المطالب لانه لولاه لم يفرغ الانسان لشيء اخر من مهمات الدين والدنيا ومن ههنا جاز
التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وسئل بعض الحكماء ان الامن افضل ام الصحة فقال الامن بدليل ان شاة لو انكسر رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها
تقبل على الرعي والاكل وانها لو ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فانها تمسك عن العلف ولا تتناول شيئا الى ان تموت فدل ذلك
على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الالم الحاصل للجسد ومنها قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام قال جار الله اهل الحجاز يقولون
جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني واجنبني وفائدة الطلب والاجتناب حاصل التثبيت والادامة ولا اقل من هضم النفس واظهار الفقر والحاجة
والتماس العصمة من الشرك الخفي اما قوله وبني فقيل اراد بنيه من صلبه وانهم ما عبدوا صنما ببركة دعائه وقيل اولاده واولاد اولاده ممن كانوا
موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عيينة لم يعبد احد من ولد ابرهيم صنما وهو التمثال المصور وانما عبدت العرب الاوثان يعني
احجارا مخصوصة كانت لكل قوم زعموا ان البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار و
لذلك استحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وضعف هذا الجواب بانه اذا عبد غير الله فالوثن والصنم سيان على انه سبحانه
وصف الهتهم بما ينبئ عن كونهم مصورين كقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الايات الى قوله وتريهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده بدليل قوله فمن تبعني فانه مني اي من اهلي وفيه ان من لم يتبعه في دينه فانه
ليس من اهله كقوله لابن نوح انه ليس من اهلك وقيل انه وان عمم الدعاء الا انه اجيب في البعض كقوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قالت الاشاعرة
لو لم يكن الايمان والكفر بخلق الله تعالى لم يكن لالتماس التبعيد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على منح الالطاف اما قوله رب انهن اضللن كثيرا فاتفقوا
على ان نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم اي صارت سببا للفتنة والاغترار بها فمن تبعني بقي على الملة
الحنيفية فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي ومن عصاني فانك غفور رحيم قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان
قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك وقيل المراد انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل المراد ان يمهلهم حتى يتوبوا
وقيل ومن عصاني فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة بالاطلاق من غير اشتراط التوبة على انه شفاعة في اسقاط العقاب عن اهل الكبائر واذا ثبت
هذا في حق ابرهيم صـ ثبت في حق نبينا بالطريق الاولى ثم اراد ان يعطف الله بدعائه قلوب الناس كلهم او جلهم على اسمعيل ومن ولد منه بمكة و
ان يرزقهم من الثمرات فقدم لذلك مقدمة فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعضهم بواد غير ذي زرع اي لم يكن فيه شيء من زرع قط كقوله
قرانا عربيا غير ذي عوج اي لا يوجد فيه اعوجاج فيه اصلا ولم يوجد ذلك فيه في زمن من الازمان وقد سبق في سورة البقرة قصة مجيء ابرهيم صـ باسمعيل
وامه هاجر الى هنالك وفي قوله عند بيتك المحرم دليل على انه دعا هذه الدعوة بعد بناء البيت لا في حين مجيئه بهما ومعنى كون البيت محرما
ان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لاجل حرمته وانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب
وقيل سمي محرما لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه او حرم على المكلفين ان يقربوه بالدماء والاقذار
ولانه امر الصائرين اليه ان يحرموا على انفسهم اشياء كانت تحل لهم من قبل ربنا ليقيموا الصلوة اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا لاقامة
الصلوة عند البيت وعمارته بالذكر و[illegible]ل افئدة من الناس من للتبعيض اي افئدة من افئدة الناس قال مجاهد لو قال افئدة

التفسير

الناس

الناس وحنتكم عليه فارس والروم والترك والهند وعن سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه اراد افئدة المسلمين
وجوز في الكشاف ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم وعلى هذا فانما يحصل التبعيض من تنكير افئدة فكانه قيل افئدة ناس
ومعنى تهوي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تنحط وتنحدر الاصمعي هوى يهوي هويا بفتح الهاء اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا
الدعاء فائدتان احديهما ميل الناس الى تلك البلدة للنسك والطاعة والاخرى نقل الامتعة اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك يتسع معايشهم و
يكثر ارزاقهم ومع ذلك قد صرح بها فقال وارزقهم من الثمرات فلاجرم اجاب الله دعاءه فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وقيل اراد
ان يحصل حواليها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الاية بقوله لعلهم يشكرون ليعلم ان المقصود الاصلي من منافع الدنيا وسعة الرزق
هو التفرغ لاداء العبادات واقامة الوظائف الشرعية ثم اثنى على الله سبحانه تمهيدا لدعوة اخرى وتعريضا ببقية الحاجات فقال ربنا انك
تعلم ما نخفي وما نعلن على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم بالذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب الفرقة بيني وبين اسمعيل
وما نعلن من البكاء والدعاء او اراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قال المفسرون وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم ويحتمل ان يكون من كلام ابرهيم ومن للاستغراق اي لا يخفى على
الذي يستحق العبادة لذاته شيء ما في اي مكان ثم حمد الله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبر السن وفي حال الشيخوخة اسمعيل واسحق ذكر اولا كونه
تعالى عالما بالضمائر والسرائر ثم حمد على هذه الموهبة لان المنة بهبة الولد في حال وقوع الياس من الولادة اعظم لانها تنتهي الى حد الخوارق فكانه رمز
الى انه طلب الله سبحانه ان يهبهما بعد [illegible] ولهذا ختم الاية بقوله ان ربي لسميع الدعاء وهو من اضافة الصفة الى مفعولها اي مجيب الدعاء او
الى فاعلها بان يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى ويحتمل ان يكون قوله ان ربي لسميع الدعاء رمزا الى ما كان
قد دعا ربه وسئل الولد بقوله رب هب لي من الصالحين روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن
مائة واثنتي عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الادعية
بقوله رب اجعلني مقيم الصلوة اي مديما لها ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي كذلك لم يدع للكل لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته
كفار وذلك قوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعاء عن ابن عباس اي عبادتي وحمله على تقبل الادعية السابقة والاية غير
بعيد ربنا اغفر لي طلب المغفرة لا يوجب سبق الذنب لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء في مقام الخوف والدهشة على
ان ترك الاولى لا يمتنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله ولوالدي فاعترض عليه بانه كيف استغفر لابويه وهما كافران واجيب
بانه قال ذلك بشرط الاسلام وزيف بان قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك مستثنى من الاشياء التي يؤتسى فيها بابرهيم و
لو كان استغفاره مشروطا باسلام ابيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل اراد بوالديه ادم وحواء والصحيح في الجواب انه استغفر
في الجواب انه استغفر له بناء على الجواز العقلي والمنع التوقيفي بعد ذلك وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل
ومثله قولهم قامت الحرب على ساقها او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او المضاف محذوف مثل واسئل القرية ثم عاد الى بيان
الجزاء والمعاد لان دعاء ابرهيم صلعم قد انجر الى ذكر الحساب فقال ولا تحسبن الله غافلا ان كان الخطاب لكل مكلف وللنبي والمراد امته فلا اشكال
وان كان للنبي صلعم فمعناه التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله الا عالما بجميع المعلومات او المراد لا تحسبه يعاملهم معاملة الغافل عما يفعلون
ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم
لزم ان يكون غافلا عن الظالم او عاجزا عن الانتقام او راضيا بالظلم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار اي ابصارهم كقوله واشتعل الراس شخص بصر الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا تطرف وانما ذلك انما يكون عند غاية الحيرة
وسقوط القوة مهطعين مسرعين قال ابو عبيدة هو الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا فبين الله تعالى ان حالهم بخلاف
هذا المعتاد لانهم مع شخوص ابصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال احمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخضوع وقيل هو الساكت مقنعي
رؤسهم رافعيها وهذا ايضا بخلاف المعتاد لان الغالب ممن يشاهد البلاء انه يطرق رأسه لكيلا يراه لا يرتد اليهم طرفهم الطرف تحريك الاجفان
على الوجه الذي خلق وجبل عليه وسمي العين بالطرف تسمية بفعلها اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل اي
لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء والهواء الخلاء الذي لم يشغله الاجرام وصف قلوب الجبابرة بانه لا قوة فيه ويقال للاحمق ايضا قلبه
هواء والمعنى ان قلوب الكفار خالية يوم القيمة عن جميع الخواطر والافكار لعظم ما نالهم وعن كل رجاء وامل لما تحققوه من العذاب والاظهر ان هذه الحالة
لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هي عند ما يتميز السعداء من الاشقياء وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وعن ابن جريج
اراد ان افئدة الكفار في الدنيا صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر و
اليوم يوم القيمة واللام في العذاب للعهد السابق من شخوص الابصار وغيره او المعلوم وهو عذاب النار ومعنى اخرنا امهلنا الى امد وحد من الزمان
قريب او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او لم تكونوا على اضمار القول اي فيقال لهم

ذلك واقبالهم اما بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا واما بلسان المقال اشرا وبطرا وجهلا وسفها وما لكم من زوال جواب القسم ولو قيل
ما لنا من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث العربية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء او لا ينتقلون الى
دار اخرى هي دار الجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله وسكنتم استقررتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة وبالبنيان والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات
وضربنا لكم الامثال قال جار الله اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما ورد في القرآن
مما يدل على القدرة على الاعادة والابداء وعلى العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكر اولئك الظلمة فقال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم
الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد صلعم كما قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل المراد ما نقل ان نمرود حاول
الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع بنسور وكان قد جوعها ورفع من الجوانب الاربعة على التابوت عصيا اربعا وعلق
على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك التابوت فلما ابصرت النسور ذلك اللحم تصاعدت في جو الهواء ثلاثة ايام
وغابت الارض عن عين نمرود ورأى السماء بحالها فعكس تلك العصا التي عليها اللحوم فهبطت النسور الى الارض وضعف هذه الرواية
لا يكاد يقدم عاقل على مثل هذا الخطر وعند الله مكرهم ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه باعظم
من ذلك وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون اما قوله
وان كان مكرهم لتزول من قرأ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان يكون ان مخففة من الثقيلة فزوال الجبال مثل
لعظم مكرهم وشدته اي وان الشأن كان مكرهم معدا لذلك وثانيهما ان يكون ان نافية واللام المكسورة لتأكيد النفي كقوله وما كان الله
ليضيع ايمانكم والمعنى محال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه الثابتة على حالها ابد الدهر ومن
قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما مر ثم انه سبحانه اكد كونه مجازيا لاهل المكر على مكرهم بقوله
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال جار الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم انه غير مخلف الوعد على الاطلاق
ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شأنه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ونحوهما من الآيات قوله والله عزيز ذو انتقام قد مر في اول آل عمران يوم تبدل الارض قال الزجاج انتصاب يوم على البدل
من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والاظهر انتصابه باذكر كما مر في الوقوف ومعنى قوله والسموات اي وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير
وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل
الى شكل وتفسير ابن عباس يناسب الوجه الثاني قال هي تلك الارض وانما تغير فتسير عليها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا
امت وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابي هريرة ان النبي صلعم قال تبدل
الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات
لا يتطرق اليها العدم وانما يعدم صفاتها واحوالها لانهم جوزوا انعدام الصور مع بقاء جواهر عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الاول
قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء
كالصحائف وقيل لا يبعد ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة وبرزوا لله قد ذكرناه في السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع لتعظيم
الهول وانه لا مستغاث ولا مستند الى غيره ولا حكم يومئذ لاحد الا له يتفرد بحكمه ويقهر ما سواه ومن نتائج قهره قوله وترى المجرمين يومئذ
مقرنين قرن بعضهم مع بعض لان الجنسية علة الضم او مع الشياطين الذين اضلوهم قالت الحكماء هي الملكات الذميمة والعقائد الفاسدة
التي اكتسبوها في تعلق الابدان وقوله في الاصفاد اي القيود اما ان يتعلق بمقرنين واما ان يكون وصفا مستقلا اي مقرنين مصفدين
وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما يحصل
بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون
منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجمع عليهم اللذع والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على ان
التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلي فيه ان البدن بمنزلة القميص للنفس وكلما يحصل للنفس من الآلام
والغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وسائر اخلاق الملكات
الردية فيه ومن قرأ من قطر آن فالقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره قال ابن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك السربال
ولا تفنيه وكما لا يهلك النار اجسادهم والاغلال التي كانت عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز موضع في ظاهر البدن
واشرفه فعبر به عن الكل قوله ليجزي الله اللام متعلقة بتغشى او بجميع ما ذكر فكأنه قيل يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس ما كسبت قال الواحدي اراد

سورة الحجر التأويل

نفوس الكفار لان ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل نفس مجرمة ومطيعة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم
ثم اشار الى القرآن او الى ما في السورة او الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكير والموعظة
لينصحوا او لينذروا به بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والى استكمال القوة العملية بقوله
وليذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولي التوفيق التأويل واذ
قال ابرهيم الروح رب اجعل بلد القلب مناما من وسوسة الشيطان وهواجس النفس وآفات الهوى واجنبني وبني هم الفؤاد والسر والخفي
ان نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله فصنم النفس الدنيا وصنم القلب العقبى وصنم الروح الدرجات العلى وصنم السر العرفان والقربات وصنم
الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور رحيم فيه نكتتان احديهما لم يقل ومن عصاك اشارة الى
ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة والثانية لم يقل فانا اغفره وارحم عليه لان عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافاة وانما المغفرة والرحمة
من شان الغني المطلق اسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع وهو وادي النفس عند بيتك المحرم على ما سواك
وهو كعبة القلب حرام ان يكون بيتا لغير الله لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وفيه انه توسل في اجابة الدعاء بمحمد وكانه قال ان
ضيعت هاجر واسمعيل فقد ضيعت محمدا وفي قوله ليقيموا الصلوة اشارة الى انه لولا تعلق الروح بالجسد وحلوله بارض القالب لم يمكن استكمال الروح
بالاعمال البدنية وانه لولا عرض هذا الاستكمال لم يحصل ذلك التعلق فاجعل افئدة الصفات الناسوتية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات
الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون بهذه النعم التي لا يبلغها الملائكة المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفي من حقائق
الدعاء وما نعلن من ظاهر القصة وما يخفى على الله من شيء من جسيمة عوارض المعاملات الصورية ولا في سماء القلوب من الغيوب على الكبر اي بعد تعلق الروح
بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفي مقيم الصلوة دائم العروج فان الصلوة معراج المؤمن ربنا اغفر لي استر لي وامح بصفة مغفرتك لوالدي من الآباء
العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبوني عن رؤيتك يوم يقوم الحساب بكمالية كل نفس ونقصانها لا يكون في حساب الكاملين الا في حساب الناقصين ولا تحسبن
اي لم يكن الله غافلا في الازل بل الكل بقضائه وقدره وانما يؤخرهم ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فانها مودعة في الاعمار وبذلك يصل كل
من اهل السعادة والشقاوة الى ما قدر لهم ما لكم من زوال فيه من ابطال مذهب التناسخ زعموا ان نفوسهم لا تزال تتعلق بالابدان وسكنتم في
مساكن الذين ظلموا تعلقتم بابدان مثل ابدانهم متمكنين في ظلمات الاخلاق الذميمة وعند الله مقدر مكرهم وان كان مكرهم بحيث يزول منه ازالة
الجبال عن اماكنها ولكنه لا يحرك شعرة الا باذن الله بقضائه يوم تبدل الارض البشرية بارض القلوب فيمحو ظلماتها بانوار القلوب وتبدل
سموات الاسرار بسموات الارواح فان شموس الارواح اذا تجلت لكواكب الاسرار محت انوار كواكبها بسطوة اشعة شموسها بل تبدل ارض الوجود
المجازي عند اشراق تجلي انوار هويته بحقائق انوار الوجود الحقيقي كما قال واشرقت الارض بنور ربها وبرزوا لله الواحد القهار فان شموس
الارواح يصير مقهورة في تجلي نور الالوهية وترى المجرمين يوم التجلي مقرنين في حجب الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران المعاد
ظلمات النفوس فانهم محجوبون بها عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرات والقطيعة هذا بلاغ للناس ليتفنوا عالم الوحدة ولينذروا به قبل الفناء
فان الانتباه بالموت لا ينفع وليعلموا انما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الها غيره من الدنيا والهوى والشيطان وليذكر اولوا الالباب عالم التوحيد خواص الحضرة
سورة الحجر مكية بالاجماع وحروفها الفان وسبعمائة وواحد وستون وكلماتها ستمائة واربعة وخمسون واياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل

اين آيتها آيات كتاب خدا و قرآن روشن است / بسا كه آرزو كنند آنها كه كافر شدند كه بودند مسلمانان / واگذار ايشان را تا بخورند و بهره برند و مشغول دارد ايشان را آرزو

فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون وقالوا

پس زود باشد كه بدانند / و هلاك نكرديم هيچ دهى را / مگر و او را كتابى بود دانسته / پيشى نگيرد هيچ گروهى / مدت خود را و پس نيفتند از آن / و گفتند

يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملئكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملئكة

اى آنكه فرو فرستاده شد / بر او قرآن بدرستيكه تو ديوانه / چرا نمى آورى / فرشتگان را / اگر هستى از راستگويان / فرو نفرستيم فرشتگان را

الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين

مگر براستى و نباشند / آنگاه مهلت داده شدگان / بدرستيكه ما فرو فرستاديم ذكر را و بدرستيكه ما مر او را نگاهبانيم / و بدرستيكه فرستاديم از پيش تو از گروههاى پيشينيان

وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت

و نمى آمد ايشان را هيچ رسولى / مگر بودند كه بآن استهزا ميكردند / همچنين درمى آريم آنرا / در دلهاى گناهكاران / ايمان نمى آورند بآن و بدرستيكه گذشت

سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن

قوم

قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم

گروهی سحر کرده شدگان و بدرستیکه گردانیدیم در آسمان برجها و آراستیم آنرا برای نگرندگان و نگاه داشتیم آنرا از هر شیطان رانده شده

إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء

مگر آنکه بدزدید گوش فرا داشتن پس از پی رفت او را شهابی روشن و زمین و گسترانیدیم آنرا و افکندیم در آن کوههای استوار و رویانیدیم در آن از هر چیز

موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر

سنجیده و ساختیم برای شما در آن اسبابهای معیشت و کسی را که نیستید مر او را روزی دهندگان و نیست هیچ چیز مگر نزد ماست خزینهای آن و فرو نمی فرستیم آنرا مگر باندازه

معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت و

دانسته شده و فرستادیم بادها را بار کننده پس فرو فرستادیم از آسمان آبی پس نوشانیدیم شما را آن و نیستید مر آنرا خزانه داران و بدرستیکه ما زنده میکنیم و میمیرانیم

نحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه ع

و مائیم وارثان و بتحقیق دانستیم پیشی گیرندگان را از شما و بتحقیق دانستیم باز پس ماندگان را و بدرستیکه پروردگار تو او حشر میکند ایشانرا بدرستیکه او

حكيم عليم ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار

درست کار داناست و بتحقیق آفریدیم انسانرا از گل خشک شده از گلی بگند شده و جان را آفریدیم آنرا پیش از این از آتش

السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت

سوزان و هنگامیکه گفت پروردگار تو مر ملائکه را بدرستیکه من آفریننده ام آدمیرا از گل خشک شده از گلی بدبوی پس چون راست کردم او را و دمیدم

فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين

در آن از روح خود پس بیفتید مر او را سجده کنندگان پس سجده کردند فرشتگان همه ایشان همگی مگر شیطان را ابا کرد از آنکه باشد با سجده کنندگان

قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ

گفت ای شیطان چیست ترا که نمی باشی با سجده کنندگان گفت نیستم که سجده کنم مر آدمیرا که آفریدی او را از گل خشک شده از گلی

مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى

بگند شده گفت پس بیرون رو از آن پس بدرستیکه تو رانده شده و بدرستیکه بر تست لعنت تا روز جزا گفت ای پروردگار من پس مهلت ده مرا تا

يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم

روزیکه برانگیخته شوند گفت پس بدرستیکه تو از مهلت داده شدگانی تا روز وقت دانسته شده گفت ای پروردگار من بانکه گمراه کردی مرا هر آینه بیارایم برای ایشان

في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي

در زمین و هر آینه گمراه کنم ایشانرا همگی مگر بندگان تو از ایشان برگزیدگان گفت این راهیست بر من راست بدرستیکه بندگان من

ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل

نیست ترا بر ایشان تسلطی مگر آنکه پیروی کرد ترا از گمراهان و بدرستیکه دوزخ هر آینه وعده گاه ایشانست همه مر آنراست هفت در مر هر

باب منهم جزء مقسوم إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على

دری از ایشان بهره ایست قسمت کرده شده بدرستیکه پرهیزگاران در بهشتها و چشمه ها اند داخل شوید آنرا بسلامتی ایمنان و برکشیدیم آنچه در سینهای ایشانست از کینه برادران بر

سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم

تختها روبروی یکدیگر نمیرسد ایشانرا در آن رنجی و نیستند ایشان از آن بیرون کرده شدگان خبر ده بندگان مرا که بدرستیکه منم آمرزنده مهربان و بدرستیکه عذاب من آن عذاب دردناک

القراءة ونبا بفتح الباء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني وربما بضم الباء خفيفة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما ننزل بالنون الملائكة
بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاي المشددة الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن
بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزي وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علي بكسر اللام ورفع
الياء على النعت يعقوب الاخرون على جار ومجرور وعيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها
نبئ عبادي مثل نبئنا عبادي اني بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والاخرون بالاسكان الوقوف الجزء الرابع عشر الر ط مبين مسلمين
يعلمون معلوم وما يستأخرون المجنون لان التخضيض لقصد الكلام الصادقين منظرين لحافظون الاولين يعرجون مسحورون
للناظرين رجيم مبين موزون برازقين خزائنه لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيين الجمع في التقدير والتفريق في التنزيل فاسقيناكموه
لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال بخازنين الوارثون المستأخرين يحشرهم عليم مسنون لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول في الثاني
السموم مسنون ساجدين اجمعون الا ابليس الساجدين مسنون رجيم الدين يبعثون من المنظرين المعلوم [illegible] المخلصين مستقيم

[illegible]

الغاوين لجمعين ابواب مقسوم وعيون ط لارادة القول بعده امنين ه متقابلين ه بمخرجين ه الرجيم ه الاليم ه التفسير قال جار الله تلك اشارة الى ما تضمنته
السورة من الآي والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال آخرون الكتاب والقرآن المبين هو الكتاب الذي وعد الله محمدا صلعم المعنى
تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان اما قوله ربما يود فذكر السكاكي ان فيه سبع لغات اخر بعد المشهورة
رب بالراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة او مسكنة (او مضمومة) وربت بالراء مفتوحة والباء كذلك ورب مفتوحة مخففة او مشددة وانما دخلت على المضارع مع
اختصاصها بالماضي لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود وما هذه كافة لرب عن العمل فيتهيأ بذلك
للدخول على الفعل وقيل انها بمعنى شيء اي رب شيء يوده الذين كفروا ورب للتقليل فاورد عليه ان تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل واجيب
بانه على عادة العرب اذا ارادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل كما اذا ارادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء
عن التصريح بالتعريض فيقولون لمعاند منه على ما فعلت لعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك ارادوا
ولو كان الندم قليلا او مشكوكا فيه لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من الغم القليل كما يتحرزون من الكثير ومن الغم
المظنون كما من المتيقن فمعنى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله لو كانوا
مسلمين اخبار عن ودادهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن وفي متى يكون
هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل في وجه التقليل
ان العذاب يشغلهم عن كثير التمني فلذلك قلل وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهد امارات العذاب وقيل اذا اسودت وجوههم روي
عن النبي صلعم اذا كان يوم القيامة اجتمع اهل النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة فقال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد
صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيأمر لكل من كان من اهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ رسول الله صلعم الآية
وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى آخر
الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ظاهره امر لرسول الله صلعم بان يخليهم وشأنهم وقد
احتجت الاشاعرة به على انه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون له مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا
ويجوز وانما هو لتهديد ووعيد وقطع طمع النبي عن ارعوائهم وفيه انهم من اهل الخذلان ولا يجيء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا
معاينة ما ينذرون به وفي لا ينفعهم الوعظ وفي الآية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين
ومعنى يلههم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة وطيب عن الشيء بالكسر الهى لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاني غيره
عن انس ان النبي صلعم خط خطا وقال هذا اجله وخط آخر بعيدا منه فقال هذا الامل بينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون سوء صنيعهم
مزيد تأكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية في الزجر والتخويف فقال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب اي مكتوب معلوم وهو اجلها الذي
كتب في اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح ان هذا
سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل
وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لكان الفاصلة بالواو كيف وقد خلت الفاصلة في الآية بكلمة الا وذو الحال قريب من المعرفة
اذ التقدير وما اهلكنا قرية من القرى من قبيل افادة من الاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان ينزله الله بالمكذبين
المعاندين من الامم السالفة وقال آخرون اراد الموت والاول اقرب لانه في الزجر ابلغ وكأنه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل
فان لكل امة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتأخر وقيل اراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فمعناه مجاوزته وخلفه
كقولك سبق زيد عمرا اي جاوزه وخلفه وانه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام كذا معناه مضى قبل
اتيانه ولم يبلغه فمعنى الآية انه لا يحصل اجل امة قبل وقته ولا بعده كما في كل حادث وقد مر بحث الاجل في اول سورة الانعام وانث الامة اولا ثم ذكرها
اخرا في قوله وما يستأخرون حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستأخرون وهو عنه للعلم به ولما بالغ في تهديد الكفار شرع في تعديد بعض شبههم
ومطاعنهم في النبي فالاولى انهم كانوا يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون منه ما لا يوافق اغراضهم ولا يطابق اهواءهم وانما نادوه بيا ايها الذي
نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما او ارادوا يا ايها الذي يدعي نزل عليه الوحي في زعمه و
اعتقاده وعند اصحابه واتباعه الثانية لوما تأتينا بالملائكة لوما حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمني ومن ما المزيدة فافاد المجموع الحث على
الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تأتينا بالملائكة العذاب
ان كنت صادقا في ان تكذيبك يقتضي التعذيب العاجل فاجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قالت المعتزلة اي
تنزيلا متلبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة ولا حكمة في ان يأتيكم عيانا فان امر التكليف يؤول الى الاضطرار والالجاء ولا فائدة في نزولهم
عليكم لانه تعالى يعلم اصراركم على الكفر فيصير انزالهم عبثا او لا حكمة في انزالهم لانهم لو نزلوا ثم لم تؤمنوا وجب عذاب الاستئصال وذلك قوله

لا يتقدم مع

كانوا اذاً منظرين فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يهلك هذه الامة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم او ايمان اولادهم وقالت الاشاعرة الا بالحق اي الا بالوحي او العذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من اذ وهو بمعنى حين ومن ان الدال على مجيء فعل بعده فخففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكانه قيل وما كانوا منظرين اذ ان كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد انا نحن نزلنا الذكر ثم دل على كونه منزلا من عنده فقال وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر او لم يكن آية لم يبق محفوظا من التغيير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلعم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول اوضح ووجه حفظ القرآن قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيئا ظهر ذلك للعقلاء ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث ولم يخل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض الصبيان اخطأت ومن جملة اعجاز القرآن وصدقه انه سبحانه اخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما اخبر بعد سبعمائة سنة فلم يبق للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القرآن ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيون والاحبار فاختلفوا فيما بينهم فوقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلعم وفي الكلام اضمار التقدير ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى في شيع الاولين في امهم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال جار الله معناه ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي قوله وما ياتيهم حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الفطام عن المألوف شديد وكون الانسان متبع الامر من مثله او اقل حالا منه في المال والجاه والقبول اشد على ان السبب الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووقوعهم مظاهر القهر في الازل قوله كذلك نسلكه السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى اقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزءون واما الضمير في قوله لا يؤمنون به فعائد الى الذكر لانه لو عاد الى الاستهزاء وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضماير عودها على شيء واحد وان كان الاحسن ذلك والحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع من اعتباره وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه اي يجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به ففيه دلالة على ان الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل الخرقبله وليس الا تنزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل انا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول نظيره اذا انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض بان النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلالة ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له اثر قوي كامل اما اذا فعل بحيث يكون منازعه وعدوه فعله غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك استماع القرآن وتحفيظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل ان يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة الاولين فقيل اي طريقتهم التي بينها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا اي هؤلاء الكفار فيه يعرجون يتصاعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا هو من سكر الشراب او من سكر البثق وسكرت النهر اذا سددته وحبسته عن الجري والتركيب يدل على قطع الشيء من سننه الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو فيعني الا تحيرت ابصارنا ووقع بها من فساد النظر ما يقع بالرجل السكران او حبست عن فعلها بحيث لا ينفذ نورها ولا يدرك الاشياء على حقائقها عن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لشكوا في تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلعم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان ياتوا بمثله قال في الكشاف ذكر الظلول يعني انه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار وقيل الضمير في فظلوا للملائكة اي لو رأوا الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو انه كيف جاز من جم غفير ان يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح واجيب بانه قوم مخصوص لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا رؤساء قليلة العدد فجاز تواطؤهم على المكابرة والعناد لا سيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع حجة او غلبة خصم ولما اجاب عن شبهة منكري النبوة بما اجاب وكان القول بالنبوة مفرعا

على القول بالصانع المبدع دلائل ذلك فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا اي اثني عشر عند اهل النجوم وذلك انهم قسموا نطاق الفلك الثامن عندهم
باثني عشر قسما متساوية ثم الجزء الذي في كل قسم وبازائه مبتدئة من اول الحمل نصف دائرة عظيمة مارة بقطبي الفلك فصار الفلك ايضا منقسما باثني عشر
قطعة كل منها تشبه ضلعا من اضلاع البطيخ يسمى برجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة الطبائع كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة
فلذلك يسمى الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان
والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت اجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون او كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التاثير
كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة او بتاثير معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر
قدير الدليل الآخر قوله وزيناها اي الشمس والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار والاستبصار قال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك
الثامن وهذه الآية لا تدل على ما يمكن ان يسبق الى الوهم لا تفاوت بين كونها في سماء الدنيا او في سموات اخر فوقها فلا بد ان يكون ظهورها في السماء الدنيا
فيكون السماء الدنيا مزينة بها والآية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الآية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله
في سورة الملك الدليل الثالث قوله وحفظناها اي البروج او السماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن
من استرق وجاز ان يكون محفوظا اي الا من استرق وعن ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة فاتبعه اي ادركه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
الشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات كانوا يدخلونها ويسمعون
اخبار الغيوب عن الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى ع منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد ص منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات
كما لو حفظ احدنا منزله ممن يتجسس ويخشى منه الفساد والاستراق السعي في استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس
فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنيته فيحدث منها انواع من جملتها الشهب النيازك فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي ص
الا انها لم تكن مسلطة على الشياطين وانما قيض كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى ع ثم اسئولة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان
او اكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ثم انهم مع ذلك لعله يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض الله لطائفة منهم
الحرق لطغيانها فلعله من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار آخر وقد ورد في الاخبار ان ما بين
كل سماء مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع اسرار
الملائكة من ذلك البعد ولم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض واجيب بانا سلمنا ان بعد ما بين ذلك القدر الا ان تحت الفلك لعله قدر
قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال ع بينا النبي ص جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون
في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال النبي ص لا يرمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر
في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا
يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء ويتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون آخر الشياطين
مخلوقون من نار فكيف يحترق النار بالنار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان من جنسه آخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات النبي ص
فكيف بقي بعد وفاته والجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة آخر ان الشهب قد يحدث بالقرب من الارض والا لم يمكن الاحساس
بها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاستراق واجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم
اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة آخر لو كان تمكنهم منه يمكنهم نقل اخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على نقل اسرار المؤمنين
واجيب بانه تعالى اقدرهم على شيء واعجزهم عن شيء ولا يسئل عما يفعل واقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات اكثر آخر اذا جوزتم
في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن اخبار النبي ص عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى اخبر انهم عجزوا
عن ذلك بعد مولد النبي ص لانا نقول صدق هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو اثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته بدلائل اخرى حتى
لا يلزم دور ولكن لا ريب ان اخباره عن بعض المغيبات مؤكد لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع قوله والارض مددناها والقينا فيها رواسي وقد
مر تفسير مثله في اول سورة الرعد الدليل الخامس قوله تعالى وانبتنا فيها اي في الارض او في الجبال الرواسي من كل شيء موزون بميزان الحكمة ومقدر
بمقدار الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل اي له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل اراد ان مقدار
من العناصر معلومة وكذا مقدار تاثير الشمس والكواكب فيها وقيل اي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون
اي متناسب وفلان موزون الحركات وقيل اراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كالاثمار والفواكه والنبات وجعلنا لكم
فيها اي في الارض او في تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى المعيشة وقد مر في اول الاعراف ومن عطف على معايش اي جعلنا لكم من لستم له
برازقين او عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم
العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وحمل الآباء والسادات والمخاديم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول

في زمن عيسى ح

كل سماء ح

الى الكفار ح

الانعام والدواب والوحش والطير كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يذكر غير من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشبه ذوي العقول من جهة التقاطها الارزاق عند الحاجة يحكى انه قلت مياه الاودية في بعض السنين و
اشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه قال جمع
المفسرين اراد بالشيء ههنا المطر الذي هو سبب ارزاق بني آدم وغيرهم من الطيور والوحش وذلك انه لما ذكر معايشهم بين ان خزائن المطر الذي هو سبب
المعايش عنده اي في امره وحكمه وتدبيره قوله وما ننزله الا بقدر معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحلبي ما من عام باكثر مطرا من عام آخر
ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان في البحر واعلم ان لفظ الآية لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح امكن ان يقبلهما العقل والا
كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى
الوجود كيف شاء وهي وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع في اوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام في الاحيان
وساير الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وحيز ووقت معينين [شكل معين] الى غير ذلك من الصفات المعينة دون
اضدادها لابد ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة
في ان المعدوم شيء وقيل المراد ان تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقايق وماهيات ثم انه تعالى
ينزل اي اخرج بعضها من العدم الى الوجود الدليل السادس قوله وارسلنا الرياح وقرئ الريح لواقح فاللام للجنس لواقح قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها
تلقح السحاب بمعنى انها تحمل الماء ويجري في السحاب لانها تلقح الشجر اي تقويها وتنميها الى ان يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء في كلام
العرب فاعل بمعنى مفعل قال ومختبط مما تطيح الطوايح يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانباري يقول العرب ابقل النبت فهو باقل اي مبقل
قال الزجاج معناه ذوات لقحة لانها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقحة يقال رامح اي ذو رمح ولابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح في
نفسها لاقح اي حاملة للسحاب او الماء من قوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا او حاملة للخير والرزق كما قيل لضدها الريح العقيم فاسقيناكموه اي
جعلناه لكم سقيا قال ابو علي يقال سقيته الماء اذا اعطاه قدر ما يروى واسقيته نهرا اي جعلته شربا له والذي يؤكد هذا اختلاف القراء في قوله
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا
عندنا خزائنه اي نحن الخازنون للماء لا انتم او ما حفظه قدرته وعجز من سواه الدليل السابع قوله وانا لنحن نحيي ونميت والغرض الاستدلال
بانحصار الاحياء والاماتة فيه على انه واحد في ملكه وملكه قال اكثر المفسرين انه وصف النبات فيما قبل فهذا الاحياء مختص بالحيوان ومنهم من يحمله على القدر
المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر في آل عمران في قوله ولله ميراث السموات
والارض قوله ولقد علمنا عن ابن عباس في رواية عطاء المستقدمين يريد اهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته وروي
انه صلى الله عليه وسلم رغب الناس في الصف الاول في الجماعة فازدحم الناس عليه فانزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني
في صف القتال وقال ابن عباس في رواية ابي الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها
وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا ايديهم لينظروا من تحت آباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون
هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون من مات
من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة ولا ينبغي ان يخص الآية بحالة
دون اخرى ثم نبه على ان الحشر والنشر امر واجب ولا يقدر على ذلك احد الا هو فقال وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فلحكمته يأمر العباد على
التكليف والجزاء ولعلمه قدر على توفية مقادير الجزاء الدليل الثامن الاستدلال على الخالق بخلق الانسان خاصة وذلك انه لا بد من انتهاء الناس الى انسان اول
ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا اول لها وقد اجمع المفسرون على انه آدم عليه السلام وروايت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قد انقضى قبل آدم الذي
هو ابونا الف الف آدم او اكثر وكيف كان فلا بد من انسان هو اول الناس والاقرب انه تعالى خلق اولا من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون
ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من اي جنس كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة او لما كان
فيه من دلالة الملائكة والجن او لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه والصلصال الطين
اليابس الذي يصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو متضعف صل اذا انتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك
الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه اي صورته قال سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور
من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول معناه متغير منتن وكأنه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل منهما سنين
ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حمأ صفة صلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ قلت ولا يبعد ان يكون بدلا اي خلقه من حمأ
قال وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى
جوهر آخر قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة هو ابليس ورواية عطاء عن ابن عباس وفي رواية اخرى هو ابو الجن كما ان آدم ابو الناس وهو قول الاكثرين والتركيب

نسقيكم مما ...

يريد ابليس ... بن عباس

يدل على السبق الى الثواب بعض الاعين وقد مر فيما سلف في الاستعانة في اوائل الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس اى من قبل خلق
آدم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام يكون في النهار وقد يكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التي يبرز منها العرق وبخار البدن
الباطن ولا شك ان تلك الريح فيها نار ولها لفح على ما ورد في الخبر انه نفخ جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله
منها الجان ولا استبعاد في خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندر قد يتولد فيها او على ان قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن
ان يغلب عليه احدها وح يكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه
قادرا مختارا ذكر بعده واقعته والمراد بكونه بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر بخلاف الملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشرة ظاهر
الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها او سويت اجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعتدالا نوعيا
او شخصيا ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم اخر فمن زعم ان الروح جسم لطيف كالهواء سار في البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه
جوهر مجرد ولا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل
ما يحيى به فيه وتمام الكلام في الروح سوف يجيء ان شاء الله في قوله ويسألونك عن الروح ولا خلاف في ان الاضافة في قوله روحي للتشريف و
التكريم مثل ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله فقعوا له تدل على ان وقوعهم في السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد
قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجد وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل اجمعون توكيد بعد
توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا لكان منصوبا لافادة المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس
من الملائكة وقد سلف وجه الاستثناء في اول سورة البقرة ثم استانف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال ابى ان يكون مع الساجدين يعني
ابى استكبارا ثم قال سبحانه خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان
بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه اى غرض لك في الامتناع
من السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اى لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر وحاصل شبهة اللعين انه روحاني لطيف وآدم جسماني كثيف
اصله نوراني شريف واصل آدم ظلماني خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم اجيب بقوله فاخرج منها اى من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضرب
يوم الدين اى يوم الجزاء حدا للعنة جريا على عادة العرب في التابيد كما مر في قوله ما دامت السموات والارض واراد اللعن المجرد من غير تعذيب
حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف واقول هذا ان اريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة اما ان اريد به الابعاد
عن كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من اثبت لابليس وجها العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لا تذكر آدم بلفظ الجنس حيث قال اني خالق
بشرا ولم يخصص آدم بالاضافة الى نفسه في سورة ص حيث قال لما خلقت بيدي خصص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي فانهم قال
رب فانظرني قد مر مثله في اول الاعراف ومعنى الوقت المعلوم ان ابليس لما عينه واشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد بمنزلة الوقت القريب من
البعث الذي يموت فيه الخلائق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا وقيل لم يجبه الى ذكر ذلك وانظره الى يوم لا يعلمه الا الله قال رب بما اغويتني قد مر
مباحثه في الاعراف ومفعول لازينن محذوف اى لازينن لهم المعاصي في الارض اى في الدنيا التي هي دار الغرور واراد انه اذا قدر على الاضلال لآدم وهو
في السماء فهو على التزيين لاولاده وهم في الارض اقدر واراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض بان ازين لهم الارض في اعينهم واحدثهم ان الزينة
هي في الارض وحدها كقوله صرح بعيبها وان يعتذر بالمحل من في ضروعها من الضيف يجرح في عراقيبها ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه
علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحذاق احترز ابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فيعلم منه ان الكذب في غاية الشناعة والاخلاص فعل
الشيء خالصا لله من غير شائبة الغير لا اقل من ان يكون حق الله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه هذا يعني
الاخلاص طريق مستقيم علي ان اراعيه او علي مروره اى علي رضواني وكرامتي وقيل لما ذكر اللعين انه يغوي بني آدم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن
هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاشار اليه تعالى بقوله هذا اى تفويض الامور الى ارادتي ومشيئتي صراط علي تقديره وتاكيده ومن قرأ
علي بالتنوين فهو من علو الشرف اى الاخلاص وطريق التفويض الى الله والايمان بقضائه طريق رفيع مستقيم لا عوج له قال جار الله هذا اشارة
الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الكلبي المذكورون في هذه الاية هم الذين استثناهم ابليس وذلك انه لما ذكر
الا عبادك تبين به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله تعالى في الاستثناء قائلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك اى ولكن
من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب اصول الاشاعرة وقال آخرون هذا تكذيب لابليس في قوله انه اوهم بما ذكر ان له سلطانا على
على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا الا الغواة لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة
الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا يناسب اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم اجمعين قال ابن عباس
يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اى سبع طبقات بعضها فوق بعض علاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة



النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم سبعة اقسام لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت مراتب العقاب ايضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات وعيون عن جمهور المعتزلة انهم الذين اتقوا جميع المعاصي والا لم يفد المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه انه اتقى وكذا الكلام في الضارب والكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه ابدا بجميع اصنافه وافراده الا ان الامة اجمعوا على ان التقوى عن الشرك شرط في حصول هذا الحكم والآية ايضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر انه لا يراد شرط آخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان اقل كان اوفق لمقتضى الاصل فثبت ان المتقين هنا ولجميع القائلين بكلمة الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من اهل الطاعة او من اهل المعصية ثم ان الجنات قيل انها اربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان واما العيون فاما ان يراد بها الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن الآية واما ان يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين وينتفع بها كل من في خدمته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الى بعض ويحتمل لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذ كانوا في جنات فكيف يقال ان يقول لهم الله تعالى وبعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ذلك ومعنى بسلام اي مع السلامة من آفات بتغير او انقطاع قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قد مر تفسيره في الاعراف اخوانا نصب على الحال وكذا على سرر متقابلين والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العيش مستقره الذي يطمئن عليه حال سروره وفرحه والتركيب يدل على الغرة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادي لافضل موضع منه ومنه السر الذي يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الآخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون تقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الآفات دائمة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها رمز الى انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لا يمسهم فيها نصب اي تعب تلويح الى كونها سالمة من المنغصات الا ان قوله ونزعنا ما في صدورهم اشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لا يمسهم اشارة الى نفي المضار الجسدانية وقوله وما هم منها بمخرجين معنى الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال نبئ عبادي وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها اشهاد رسوله واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغتي الغفور والرحيم مع نوع تكرير وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي التأويل ربما يود الذين كفروا اي النفوس الكافرة لو كانوا مسلمين لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وتبدل اخلاقها من الامارية الى الاطمئنان فتمنت حينئذ ذوق حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدو الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هدد النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت بالشؤم الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية بقوله ذرهم ياكلوا وما اهلكنا من قرية من القرى البدنية بافناء استعدادها الا ولها كتاب مكتوم في علم الله من سوء اعماله واحواله ما تسبق من امة اجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها لا تتأخر لحظة بعد استيفاء اسباب هلاكها وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا للقلب الذاكر لو ما تأتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى ان النفس الامارة لا تؤمن بما انزل الله الى القلوب من الانوار الالهية حتى تصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو انزلت قبل اوانها وكمال استعداد القلوب ما كانوا اذا منظرين من الهلاك لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان والمنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على اهل الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلب لانكروا فتح الباب ولقد جعلنا في سماء القلب بروج الاطوار فكما ان البروج منازل السيارات فكذا الاطوار منازل شموس المشاهدات واقمار المكاشفات وسيارات اللوامع والطوالع وزيناها لاهل النظر الناظرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الامارة ولكن من استرق السمع من النفس او الشيطان فادركه شعلة من انوار تلك الشواهد فيضمحل الباطل ويثبت الحق والارض مددناها فيه ان ارض البشرية تميل كنفس الحيوانات الى ان ارساها الله بجبال العقل وصفاء القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي اسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المجرد وان غذاءه من مواهب الحق وتجلي جماله فقط ولكل شيء خزائنه فلصورة الاجسام خزائن ولاسمائها خزائن ولمعانيها خزائن وكذا للونها ولطعمها ولخواصها من المنافع والمضار وكذا لظلمتها ونورها وملكها وملكوتها وما من شيء الا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى باجمعها وارسلنا رياح العناية لواقح لاشجار القلوب بانوار الكشوف وباثمار الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على اسرار العارفين اعتقهم من هواجس انفسهم ورعونات طباعهم وظهر في القلوب نتائج ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فانزلنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما انتم له بخازنين في اصل

الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا انا نحن نحيي قلوب اوليائنا بانوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد فناء
وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشرهم المستقدمين الى الخطاير في قدسه والمستأخرين الى اسفل سافلين الطبيعة خاطب ابليس النفس بقوله
وان عليك اللعنة الى يوم الدين اي الى ان تطلع شمس شواهد ناصر مشرق الروح ويصير ارض النفس مشرقة ويتبدل صفاتها الذميمة المظلمة
بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون اي يبعث الارواح في قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذي يتجلى الرب فيه للارواح العشاق فينعكس
نور التجلي من الارواح الى النفوس فيجعلها مطمئنة بما اغويتني اي اضللتني من طريق الامارية لازينن للارواح في ارض البشرية من الاعمال الصالحة
التي تورث الاخلاق الحميدة وبما تزينه الارواح وترقيها ولاغوينهم اجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية التي لا تأتي الا
لعبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط علي اي هو طريق اهل الاستقامة في السير الى الله المنقطعين عن غيره ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان حجة تتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوائهم فانهم بلاهم وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية
عما سواه لها سبعة ابواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر والابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى
الوهم والخيال فانهما اصل الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور والباقية اعني المفكرة والحافظة والذاكرة من
اعوانها واكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها في الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلذلك صارت ابواب الجحيم فاذا استعملها
في تحصيل السعادات الباقية بحسب تصرف العقل العزيزي صرن مع العقل ابوابا بل اسبابا للحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله تحية
امنين من دفع موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان السير في الله لا يمكن الا بالله وحده بانه ولهذا قال جبرئيل ليلة المعراج لو دنوت انملة
لاحترقت ونزعنا فيها ان نزع الغل من الصدور ولا يكون الا بنزع الصفات الارواح القدسية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية
مبرات من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلها ان النفوس المصفات عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها
انوار جمال الله وجلاله انعكس منها الى من في مثل درجاتها كما يتعاكس المرايا الصافية المتحاذية ويزداد كل منها في نفسها بخفاء صفاتها وفي قوله
نبئ عبادي اشارة الى ان سلوك السالكين وطيران الطائرين يجب ان يكون على قدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والجن والله الموفق بالصواب

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ اِبْرٰهِيمَ اِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ اِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ
وخبر ده ایشان را از مهمانان ابرهیم آنگاه که در آمدند بر او پس گفتند سلام گفت بدرستیکه ما از شما ترسندگانیم گفتند نترس
اِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ قَالَ اَبَشَّرْتُمُونِي عَلٰى اَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا
بدرستیکه ما مژده میدهیم ترا به پسری دانا گفت آیا بشارت میدهید مرا بر آنکه مس کرد مرا پیری پس بچه خبر بشارت میدهید مرا گفتند مژده دادیم ترا براستی پس
تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ اِلَّا الضَّالُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ اَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا
مباش از نومیدان گفت و کیست که نومید شود از رحمت پروردگارش مگر گمراهان گفت پس چیست کار شما ای فرستادگان گفتند
اِنَّا اُرْسِلْنَا اِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ اِلَّا آلَ لُوطٍ اِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ اَجْمَعِينَ اِلَّا امْرَاَتَهُ قَدَّرْنَا اِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ فَلَمَّا
بدرستیکه ما فرستاده شدیم بسوی گروهی گناهکاران مگر خاندان لوط بدرستیکه ما رهاننده ایشانیم همه مگر زنش که تقدیر کردیم که او بدرستیکه از باز ماندگان پس چون
جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ اِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَاَتَيْنَاكَ
آمد آل لوط را فرستادگان گفت بدرستیکه شما گروهی ناشناختهاید گفتند بلکه آوردیم ترا بآنچه بودند در آن که شک میکردند و آوردهایم ترا
بِالْحَقِّ وَاِنَّا لَصَادِقُونَ فَاَسْرِ بِاَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ اَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ اَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ
بحق و بدرستیکه ما راستگویانیم پس ببر اهلت را در پارهٔ از شب و تابع شو از پی ایشان و باید که التفات نکند از شما احدی و بروید هر جا که
تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا اِلَيْهِ ذٰلِكَ الْاَمْرَ اَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وَجَاءَ اَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ
که مامور شدید و گذاردیم بسوی او این امر را بدرستیکه دنبال اینها بریده شده است در حالتی که صبح کنندگانند و آمدند اهل شهر شادی کنندگان
قَالَ اِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا اَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هٰؤُلَاءِ
گفت بدرستیکه اینها مهمانان منند پس رسوا مکنید مرا و بترسید از خدا و خوار مسازید مرا گفتند آیا منع نکردیم ترا از جهانیان گفت اینها
بَنَاتِي اِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ اِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَاَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا
دختران منند اگر هستید شما کنندگان بجان تو که ایشان در مستی ایشان حیران بودند پس گرفت ایشان را صیحه در حالتی که در روز شدگان پس گردانیدیم
عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَاَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَاِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ
زبرش را زیرش و باراندیم بر ایشان سنگها از سنگ گل بدرستیکه در این هر آینه نشانهاست برای فراستداران و بدرستیکه آن هر آینه براه ثابت است
اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَاِنْ كَانَ اَصْحَابُ الْاَيْكَةِ لَظَالِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَاِنَّهُمَا لَبِاِمَامٍ مُبِينٍ

ربع الجزء الرابع عشر

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ

و بتحقیق که تکذیب کردند اصحاب حجر رسولان را و دادیم ایشان را آیتهای خود پس بودند از آنها اعراض کنندگان و بودند می‌تراشیدند از کوهها

بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

خانهای ایمنان پس گرفت ایشان را فریاد در هنگام صبح کنندگان پس کفایت نکرد از ایشان آنچه بودند کسب میکردند و نیافریدیم آسمانها

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ

و زمین و آنچه میان آنهاست مگر بحق و بدرستیکه قیامت هر آینه آینده است پس درگذر درگذشتنی خوب بدرستیکه پروردگار تو اوست آفریدگار

الْعَلِيمُ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

دانا و بتحقیق که دادیم ترا هفت آیه از سوره که دو بار نازل شده و قرآن عظیم مکن دراز البته دو چشم را بآنچه کامرانی دادیم بآن اصنافی را

مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ

از ایشان و اندوه مخور برایشان و فرود آور بال خود را از برای گروندگان و بگو بدرستیکه منم بیم کننده آشکار همچنانکه فرو فرستادیم بر آنانکه قرار دادند

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

آنانکه گردانیدند قرآن را پاره پاره یعنی سحر یا کذب پس بپروردگار تو قسم که هر آینه خواهیم پرسید ایشان را همه از آنچه بودند میکردند پس آشکار کن آنچه را که مأمور شده

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

و رو بگردان از مشرکان بدرستیکه ما کفایت کنیم از تو استهزا کنندگان را آنانکه میگردانند با خدا خدای دیگر پس زود باشد که بدانند

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

و بتحقیق میدانیم که تو تنگ میشود سینه‌ات بآنچه میگویند پس تسبیح گوی بستایش پروردگارت و باش از سجده کنندگان و بپرست پروردگارت را تا بیاید بتو مرگ

القراءة اذ دخلوا وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف غير هشام انا نبشرك بسكون الباء وضم الشين حمزة الاخرون بالتشديد يبشرون بالتشديد وكسر النون المخففة نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير الباقون بفتح النون على انها علامة رفع بقنط بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف كذلك بيائه الاخرون بالفتح ال لوط مدغما حيث كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف يعقوب حمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد بنات ان بفتح الباء ابو جعفر ونافع انا بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو الوقوف بروهيم لئلا يصير اذ دخلوا ظرفا لنبئهم فانه محال سلاما ط وجلون ه عليم ه تبشرون ه القانطين ه الضالون ه المرسلون ه مجرمين لا للاستثناء ال لوط ط اجمعين لا لان الجملة بعد مفعول والكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين ه المرسلون ه لان ما بعده جواب لما منكرون ه يمترون ه لصادقون ه تؤمرون ه مصبحين ه يستبشرون ه فلا تفضحون لا للعطف ولا تخزون ه العالمين ه فاعلين ط لابتداء القسم يعمهون ه مشرقين لا لاتصال انقلابها بالصيحة من سجيل ط للمتوسمين ه مقيم ه للمؤمنين ط لتمام القصة لظالمين ه لاتصال الانتقام بظلمهم منهم لان الواو للابتداء فلو وصل لشبه الحال وهو محال مبين ط لتمام قصتهم المرسلين لا لان الواو بعده للحال اي وقد اتيناهم معرضين لا للعطف امنين ط مصبحين ط للاتصال معنى يكسبون ه لتمام القصص الا بالحق ط الجميل ه العليم ه العظيم ه المؤمنين ج المبين ج لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم او بقوله فانتقمنا ولجواز تعلقها بمحذوف اي انزلنا عليهم العذاب كما انزلنا وتمام البحث يجيء في التفسير المقتسمين لا عضين ه اجمعين لا يعملون ه المشركين ه المستهزئين لا اخر ط لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون ه يقولون لا لاتصال الامر بالتسبيح تسلية الساجدين لا للعطف اليقين ه التفسير انه سبحانه عطف قصة نبينا على قصة سائر الانبياء ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا من المعصية المستبعة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوي ما ذكر من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم وقد مر تفسير اكثر هذه القصة في سورة هود فنذكر الا ما هو مختص بالمقام فقوله وجلون معناه خائفون خافهم لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن في غير وقت انا نبشرك استيناف في معنى تعليل النهي عن الوجل لبشره بالولد الذكر ويكون عليما فقيل اراد وبعلمه بنبوته وقيل العلم مطلقا وقوله على ان مسني في موضع الحال اي مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة في حالة الهرم لانها امر عجيب عادة لا لانه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأي اعجوبة تبشروني او اراد انكم لا تبشروني بشيء في الحقيقة لان ذلك امر غير متصور في العادة واحسن ما قيل فيه ان لا يكون قوله بما صلة للتبشير بل يكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فبأي طريق تبشروني بالولد فلذلك قالوا في جوابه بشرناك بالحق اي باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله ووعده وانه قادر على خلق الولد من غير ابوين فضلا من شيخ فان وعجوز عاقر قال ابو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب بانه لما حذف الياء اكتفاء بالكسرة نون الوقاية لم يورده كما اورده في قراءة التشديد انما كسر نون الجمع لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيحة قيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن الجواب المنتظم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب ان يكون الطمأنينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ما

قضى الله ان يخرج من صلب ابرهيم اسحق ومن صلب اسحق اكثر الانبياء وقوله فلا تكن من القانطين لا يدل على انه كان قانطا فقد ينهى عن الشيء ابتداء كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك اكد ابرهيم نهيهم بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق الصواب او الكافرون وفيه انه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله هما لغتان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسي ان الاولى اعلى اللغتين ثم سئل عما لاجله ارسلهم الله حيث قال فما خطبكم والخطب الشان العظيم فسئل انهم لما بشروه بالولد الذكر العليم فما وجه السؤال عن مجيئهم واجاب الاصم بان المراد بما الامر الذي وجهتم فيه سوى البشرى فقال القاضي انه علم ان المقصود لو كان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اول ما دخلوا قبل ان يوجس ابرهيم منهم خيفة قلت لعله استصغر امر التبشير اما لاجل التواضع واما لانه واقعة خاصة فسئلهم عن الامر الذي هو اعظم من ذلك واعم نفعا ثم انهم قالوا انا ارسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا بمعنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر او السهم الى المرمى واقول كانه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة الذاريات انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا ال لوط وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام دون ال لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن كانه قيل لكن ال لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء اي ارسلنا اليهم لنهلكهم الا امرأته كقول المقر لفلان علي عشرة الا ثلاثة الا واحدا وجوز في الكشاف ان يكون قوله الا ال لوط مستثنى من الضمير في مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا اي الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم ولم يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على ان ال لوط مستثنى من معمول ارسلنا او مجرمين والا امرأته من معمول منجوهم وقد عرفت ما فيه على انه اذا جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو ال الامر الى ما ذكرنا فلا ادري لم استبعده مع وفور فضله قال اهل اللغة قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعل الشيء على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور اي جعلها على مقدار ما يكفي في ابواب الخير والشر وقيل في معنى قدرنا وقال كتبنا الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب المشرب في هذا المعنى اكثر استعمالا وانه جواب سؤال كانه قيل فما بالها استثنيت من الناجين فقيل قد قدرنا انها لمن الغابرين اي الباقين في الهوالك ويقال للماضي ايضا غابر وهو من الاضداد قال في الكشاف علق فعل التقدير مع ان التعليق من خصائص افعال القلوب لانه في معنى العلم وانما اسندوا الفعل الى انفسهم مع ان التقدير لله عز وجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا ولعل المدبر والامر هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابرهيم بالولد والخبر بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله فلما جاء ال لوط المرسلون قال اي لوط انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر منكم وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف ان يطرقوه بشر فلذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرحك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تخوفهم به وهم يشكون في وقوعه واتيناك بالحق اليقين الثابت وقال الكلبي بالعذاب الذي لا شك فيه وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل اي في اخره وقدم في سورة هود وزاد ههنا قوله واتبع ادبارهم لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم ففي الاية زيادة بيان لكيفية الاسراء ثم زاد في البيان فقال ولا يلتفت منكم احد ولم يستثن امرأته اكتفاء بما في السورة من قوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قال جار الله انما امر باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع انهم ليوطنوا انفسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز ان يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني لان من يلتفت لا بد ان يقع له ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قال الجوهري مضى الشيء مضيا ذهب ومضى في الامر مضيا نفذ وقال في الكشاف عدي وامضوا الى حيث تعدية الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون قلت حاصل الكلام يرجع الى قولنا اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه او نفذوا وامرا الذهاب الى هنالك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم مجملا فقال وقضينا ضمن معنى اوحينا ولذلك عدي بالى كانه قيل واوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اي كما قصدوا اصابهم عن اخرهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفي هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم حكى ما ابدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال وجاء اهل المدينة اي اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل فقيل اجور من قاضي سدوم يستبشرون بظهور السرور ومجيء الملائكة لانهم كانوا مردا حسان الوجوه قال لوط لما قصدوا اضيافه ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا اسيء اليه في دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون مر في هود قالوا في جواب لوط اولم ننهك عن العالمين اي الستا نهيناك عن ان تكلمنا في شان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط عم ينهاهم عن ذلك قدر وسعه فقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين اراد نساء امته كما مر في هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال وما اظنكم تفعلون

مع الاستثناء

الحجر

وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط لعمرك مبتدأ محذوف الخبر لكثرة الاستعمال اي وقسمي
او هو مما اقسم به والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فان الحلف كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
غوايتهم التي اذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطائهم وصوابهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك والذي تأمرهم به من ترك البنين الى البنات
وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلعم واقسم بحيوته كرامة له وما اقسم بحيوة احد قط وذلك يدل على انه اكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من اول الصبح لقوله مصبحين اليس الصبح بقريب وغايته كانت عند طلوع الشمس
قال المفسرون هي صيحة جبرئيل قلت ويحتمل ان يكون صيحة قلب المداين وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال وامطرنا عليهم وفي
سورة هود وامطرنا عليها لان المراد هيهنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا ارسلنا
الى قوم مجرمين ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين وحقيقة التوسم التثبت في النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشيء فعبر به عن التأمل والتفكر
وانها يعني تلك القرى واثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون اثار قهر الله وغضبه لهذا قال بعضهم
انما جمع الآيات في قوله ان في ذلك الآيات للمتوسمين لانه اشارة الى ما تقدم من ضيف ابرهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها
وعلى من غاب منهم وقال في الثانية وانها لبسبيل وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال ان في ذلك لآية للمؤمنين وقيل ما
جاء من القرآن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين هم مقرون بوحدانيته وحد الآية
نظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم اجمل قصة قوم شعيب فقال وان كان اصحاب الايكة لظالمين
ان مخففة عن الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا اصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها الايكة الشجر الملتف والضمير في
قوله وانهما يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فذكر احد الموضعين هيهنا وهو
الايكة على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لان الانسان يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير
الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وهو واد بين الشام والمدينة وجمع المرسلين لان
تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء او لان القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين واتيناهم اي
اعطينا رسولهم اياتنا اراد الناقة وكانت فيها ايات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا في الاعراف وكانوا عنها اي
عن النظر فيها والاعتبار بها معرضين وفيه ان التقليد مذموم وان الاستدلال واجب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من ان ينهدم ويتداعى
بنيانها او يقع سقفها عليهم او امنين من عذاب الله او من حوادث الدهر فما اغنى عنهم لم يدفع عنهم شيئا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من
من بناء البيوت الوثيقة من جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي ملتبسا [illegible]
والغايات الصحيحة والحكم منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها واعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض عنهم وهذا النظم
يناسب اصول الاعتزال قال الجبائي فيه بطلان لمذهب المجبرة الذين يزعمون ان اكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي
باطل واجيب بان افعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب ان يكون الله خالقها ويمكن ان يقال في وجه النظم ان هذا ابتداء شروع
في تسلية النبي صلعم وتصبيره على اذيات قومه بعد اقتصاص احوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع انبيائهم ويؤيد هذا النظم قوله وان الساعة لآتية
معناه كان الله سينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق
والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال امرك ولما صبره على اذى قومه رغبه في الصفح فقال فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم
اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح لا الذي يشتمل على حقد واجهال ومكر وان كان للعهد
فلعل المراد ما امر به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ باية السيف والاظهر ان حسن المعاشرة والمخالقة
مامور بها ما امكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق كثير الخلق العليم الكامل العلم يعلم ما يجري بين الخلايق من الاحوال والاخلاق
وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيمة على حسب ذلك وقيل اراد انه الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فاليوم الصفح اصلح فاصفحوا الى ان
يكون السيف اصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بتذكير النعم الجسام والعطايا العظام التي خصه بها فقال ولقد اتيناك سبعا من المثاني اكثر المفسرين
على ان المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلي عم وابن مسعود وابي هريرة والحسن وابي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتاده
وذلك انها سبع ايات والمثاني جمع مثناة من التثنية او جمع مثنية وانها تثنى في كل صلوة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها معها او لانها
قسمت نصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث في هذا المعنى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين وقد مر في اول الكتاب او لانها
كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتمجيده مقرر ومما يتفرع على هذا
القول ما نقل القاضي عن ابي بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كانه راى انه تعالى عطف عليه قوله والقرآن
العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب ان يكون السبع المثاني غير القرآن والجواب انه قد يكون بعطف الجزء على الكل كعطف الملائكة وجبرئيل

او بالعكس كما في الآية والمقصود في الوصفين تمييز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلت اليس لعطف الكل على البعض
نظير والاستدلال بالآية استدلال لصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد آتيناك دليلا على انه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد بن
جبير في رواية ان السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغيرها ولذا
لانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى وانكر الربيع هذا القول لان هذه السورة مكية واكثر تلك السور مدنية واجيب بان المراد من الايتاء
انزالها الى السماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بان المراد الحقيقي لفظ الايتاء على ما لم يصل بعد اليه خلاف الظاهر وقال قوم
السبع المثاني هي التي دون الطوال والمائين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان مولى رسول الله صلعم قال ان الله اعطاني المائين مكان الانجيل
واعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالمفصل قال الواحدي والقول في تسمية هذه السورة مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني وروي عن
ابن عباس واليه ذهب طاوس ان المثاني هي القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها مثاني وانها سبعة اسباع كرر فيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى
العطف على هذا القول التجنيس كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وكانه قيل آتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرآنا عظيما قال الزجاج وقال
صاحب الكشاف ومن في المثاني للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ولما عرف رسوله نعمه الدينية ورغبه
فيها نفره من اللذات العاجلة الزائلة لان كل نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القرآن حقيرة وفي الحديث من لم يتغن بالقرآن اي لم يستغن
فليس منا وعظم صغيرا او قول ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فحق قارئ القرآن
الواقف على معانيه ان لا يشغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال الواحدي انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا ادام النظر نحوه وادامة النظر اليه
يدل على استحسانه وتمنيه وقال في الكشاف معنى لا تمدن لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اي اصنافا من الكفار قاله
ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك اي لا تحسدن احدا على ما اوتي من الدنيا وضعف بان الحسد منهي عنه مطلقا
فكيف يخص الرسول به ويمكن ان يجاب بان المراد منه نهي التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد الغبطة فهي محظورة عليه صلعم لجلالة
منصبه وان كانت جائزة لامته وروي انه وافت من بلاد الشام سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر فقال المسلمون لو
كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع
وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه لما نهاه عن الالتفات اليهم انفسهم وان يحصل لهم في
قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم اي على انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وكما امره بالتكبر على الاغنياء و
الترفع عنهم اذا كانوا كفارا امره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال واخفض جناحك للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه
وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال في سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر عشيرتك الاقربين فلو لم يكن هذه الزيادة
لكان الظاهر ان اللام للعهد فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالاقربين من عشيرته فزيد لمن اتبعك لتعلم ان هذا التشريف شامل لجميع متبعيه
من امته ولما بعثه على الرفق باهل الايمان امره بالانذار لكل المكلفين فقال وقل اني انا النذير المبين ويدخل تحت كونه مبلغا لجميع التكاليف
لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل في كونه شارحا لجميع مراتب اهل التكليف من الجنة والنار
فالانذار بالنار والاحذار بالجنة هو الاخبار عن موجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله ولقد آتيناك اي كما انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين
ومن هم قيل اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء او
فعلة من عضهه اذا بهته فالمحذوف منها الهاء لا الواو وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلعم
العاضهة والمستعضهة فنقصانها الهاء ايضا وجمعت العضة بالمعاني جمع العقلاء لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا عما
لحقها من الحذف كسنين ومعنى الآية ان اليهود اقتسموا القرآن الى حق وباطل وجزءوه فقالوا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبالاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي هذا تسلية لرسول الله صلعم عن تكذيب قومه وعداوتهم وهذا وسط بين المتعلق بقوله لا تمدن الخ
لاشتماله للتسلية لما فيه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني ان
يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من التزام اضمار او زيادة اما الاضمار فان يكون التقدير انا النذير عذابا كما انزلنا
كقولك رأيت القمر الحسن اي وجها كالقمر واما الزيادة فان يكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شيء ويمكن ان يبقى الكاف بمعنى مثل ولا حاجة
الى التزام والتقدير انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل
المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان واما غيرهم من اهل مكة او من قوم صالح قال ابن عباس الذين اقتسموا
طرق مكة ومداخلها ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالله ورسوله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج
فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وكانوا قريبا من اربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص

دابل والاسود بن عبد المطلب قال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي وقال مقاتل
اقتسموه وقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كذب وبعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله لنبيتنه واصحابه
كما يجيء في سورة النمل او منهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير اي انذر العضين الذين يجزّئون القرآن الى سحر وشعر
واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسألنهم الآية وقد مر تفسير مثله في اول الاعراف في ذلك قوله
فلنسألن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير
بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه قائلا فاصدع اي اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل
ومنه سمي الصبح صدعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذي تؤمر به من الشرائع مثل امرتك
الخير وجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك وشأنك مصدر من المبني للمفعول وقالوا وما زال النبي ص مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال واعرض
عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا لا ينافي آية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم اكد النهي
عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طبقة ذو شوكة تقدروا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والآية لا تفيد
الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم واسمائهم مع اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من الاشراف الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر وقال جبرئيل ع
لرسول الله ص امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى
الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى
انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد
في تسلية نبيه ص فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني تقتضي ذلك ثم
امره بكشف ما نابه باربعة اشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي بذلك لانه امر متيقن ولا يجب ما دام المكلف
حيا وهذا كما قيل تخلية بعد طلب العلم اثر من الهداية الى الحق كيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون كانه ينكشف له
اضواء عالم الربوبية فيهون في نظره المصالح الدنيوية فلا يستوحش من فقدها ولا يستأنس بوجدانها وقال اهل السنة اذا نزل الى العبد بعض المكاره
فعليه ان يفزع الى الله بالذكر الدائم والسجود وسائر انواع العبادة فكانه يقول وجب على عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكاره وقالت المعتزلة
من اعتقد تنزه الله عن القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه التأويل في بشارة ابرهيم
اشارة الى ان الطالب الصادق وان كان مستضعفا بقوى كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد فانه ينبغي ان لا يقنط من رحمة الله فيتقرب اليه بالاعمال
القلبية ليتقرب اليه بتربيات الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلبه وجه رحم قلبه غلاما عليما بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله
في قلب مؤمن ان في ذلك لآيات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد احكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من
النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق اي الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان المخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة
يعني قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من اصحاب الرياضات لان انفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح ايها الطالب
الصادق عن النفس المرتاضة بان تدع عتابها وتواسيها فان في قيامة العشق يحصل من تزكية النفس في لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة
ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات ولمعانيها وحقائقها الا شيء العليم لمن خلقه
مستعد المظهرية ذاته وصفاته ومظهريتهما وليس ذلك لمن في السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفات
دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك سبعا اي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحيوة والعلم
والارادة والقدرة من المثاني اي من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه
القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك اليه على
المقتسمين الذين قسموا قهر الله على انفسهم فصاروا مظاهر القهر الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء هانئة الاستعمال فقوم قرؤه ليقال انهم
القراء وبه يأكلون وقوم حفظوه ليقال انهم الحفاظ وبه يحجبون الرزق وقوم حصلوا تفسيره وتأويله اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا
معانيه فقهيه حالي نوازلهم مذاهبهم فكفروا بما فسروا القرآن برأيهم انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين
يجعلون مع الله الها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لا تلتفت منهم وكن من الساجدين بسجود الشكر واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي
الابد لان كل مقام يحصل فيه اليقين بالعبادة للعرفان فانه يحصل فوق مقام الخوف ثم كل كان يحصل برد اليقين فيه انه فيها مراتب لا تتناهى فاليقين يكون اشارة الى الابد

سورة النحل مكية غير ثلث آيات وان عاقبتم حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة وسبعون ثمانية الف وثمانمائة واحد واربعون واياتها مائة وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بالاخلاص

النحل

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا

آمد فرمان خدا پس شتاب مکنید آنرا پاکست او و برترست از آنچه شریک میآورند فرو میفرستد فرشتگان را با روح از امر خود بر هر که بخواهد از بندگان خود که بیم دهید

أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا

بدرستیکه نیست الهی مگر من پس بترسید از من آفرید آسمانها و زمین را براستی برتر آمد از آنچه شریک میآورند آفرید آدمی را از نطفه پس آنگاه

هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ

او خصم جدل کننده آشکار و شتر و گاو و گوسفند آفرید آنها را برای شما در آنها گرمی و منفعتها و از آنها میخورید و برای شما در آنها جمال است هنگامیکه بیارید از

وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ

و هنگامیکه بچرا میبرید و بر میدارند بارهای گران شما را بشهری که نباشید رسنده آن مگر بتعب نفسها بدرستیکه پروردگار شما مهربان است

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ

و اسپان و استران را و خران را تا سوار شوید آنها را و برای آرایش و میآفریند آنچه را نمیدانید و بر خداست راست راه و برخی از آن منحرف است

وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ

و اگر خواستی هر آینه هدایت کردی شما را همه اوست که فرو فرستاد از آسمان آبی برای شما از آن نوشیدنی و از آنست درخت که در آن میچرانید میرویاند

لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ

برای شما بآن کشت را و زیتون و درختان خرما و انگورها و از همه میوهها بدرستیکه در این نشانه ایست برای گروهی که اندیشه میکنند و مسخر کرد

لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ

برای شما شب را و روز را و آفتاب و ماه و ستارها مسخر شده بفرمان او بدرستیکه در آن نشانهاست برای گروهی که میفهمند و آنچه آفرید برای شما

فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا

در زمین که مختلف است رنگهایش بدرستیکه در آن نشانه ایست برای گروهی که پند میگیرند و اوست که مسخر کرد دریا را تا بخورید از آن گوشتی

طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

تازه و بیرون آرید از آن پیرایه که میپوشید آنها را و می بینی کشتیها را شکافندگان آب در آن و تا بجوئید از فضل او و باشد که شما شکر کنید

وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا

و افکند در زمین کوههای استوار تا نجنباند شما را و نهرها و راهها باشد که شما راه یابید آیا پس کسیکه میآفریند چون کسیست که نمیآفریند آیا پس

تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

پند نمیگیرید و اگر بشمارید نعمت خدا را شمار نتوانید آنرا بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست و خدا میداند آنچه را پنهان میدارید و آنچه آشکار میکنید

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَٰهُكُمْ

و آنانرا که میخوانند از جز خدا نمیآفرینند چیزی را و ایشان آفریده میشوند مردگانند نه زندگان و نمیدانند که کی برانگیخته میشوند خدای شما

إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

خدائیست یگانه پس آنانکه ایمان نمیآورند بآخرت دلهای ایشان ناشناسا است و ایشان سرکشانند ناچار بدرستیکه خدا میداند آنچه پنهان میدارند و آنچه

يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ القراءة تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف والآخرون على الغيبة تنزل بالفتحات

آشکار میکنند بدرستیکه او دوست ندارد سرکشان را الثلث الملائكة بالرفع سهل وروح وزيد وابو زيد مثله لكن بضم التاء العوفانية جبلة ينزل من

الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير وابو عمرو ورويس الباقون بالتشديد من التنزيل لشق الانفس بفتح الشين يزيد الباقون بكسرها ننبت

بالنون يحيى وحماد الآخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر ووافق حفص والمفضل في النجوم مسخرات الباقون

بنصب الجميع على ان مسخرات حال يسرون او يعلنون بالياء التحتانية فيهما الخراز عن هبيرة الآخرون بتاء الخطاب يدعون على الغيبة سهل

ويعقوب وعاصم غير الاعشى الباقون على الخطاب الوقوف فلا تستعجلوه ط يشركون ه فاتقون ه بالحق ط تشركون ه مبين ه خلقها ج لاحتمال

تمام الكلام واحتمال ان يكون لكم متعلقا به والوقف على لكم تأكلون ه للعطف تسرحون ص الانفس ط رحيم ه لان الخيل مفعول خلق وزينة

ما لا تعلمون ه جائر ط اجمعين ه تسيمون ه الثمرات ط يتفكرون ه والنهار لمن قرأ والشمس وما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر

ومن نصب الكل وقف على بامره ط يعقلون ه لان ما بعده مفعول سخر الوانه ط يذكرون ه تلبسونها ج لان قوله وترى فعل مستأنف مع اتصال المعنى

تشكرون ه تهتدون ه لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ه لا يخلق ط تذكرون ه لا تحصوها ط رحيم ه وما تعلنون

هم يخلقون ط لان التقدير هم اموات غير احياء ج لاختلاف الجملتين وما يشعرون ه لان ما بعده مفعول يبعثون ه واحد ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مستكبرون

التفسير

ومما يعقلون الشكرين التفسير قيل هذه السورة تسمى سورة النعم ايضا وحكى الاصم عن بعضهم ان كلها مدنية وقال الآخرون من اولها الى قوله كن فيكون
مدنية وما سواها مكي وعن قتادة بالعكس عنه قال اهل النظر ان رسول الله ص كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في
يوم بدر وتارة بعذاب القيامة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيئا من ذلك قبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعدوا به استهزاء وروي انه لما نزل
اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى
شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب
رسول الله ص ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبهتهم اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع
كما يقول لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع او المراد ان امر الله بذلك حكمه قد وقع واتى فاما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى
حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كانوا قالوا
هب يا محمد انا سلمنا صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا انا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا
عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فاجاب الله عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه
عن ان يكون له ضد وانداد وان يكون لاحد من الازواج والاصنام ان يشفع عنده الا باذنه او انه يستعجل في حكم من احكامه وقضية قبل اوانها ثم كانهم
قالوا سلمنا انه تعالى يقضي على طائفة باللطف وعلى الاخرين بالقهر ولكن كيف عرفت وانت ما اطلعت على اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن اين
حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله سبحانه شبهتهم بقوله ينزل الملائكة الاية والمراد انه ما لك ان يخص بعض عبيده بانزال الوحي عليه و
يامره بان يكلف سائر العباد بمعرفة الله وتوحيده وتقواه بعباداته فظهر بهذا البيان ان هذه الايات منتظمة على احسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن
عباس انه اراد بالملائكة ههنا جبريل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائزة واذا كان على هذا التفسير فالمراد بالروح كلام الله تعالى
كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القرآن الذي به بيان المبدأ والوسط والمعاد فيه يحصل اشراق العقل
بالفعل بكمال ضياء جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والتابع فرع عليه وبهذه المناسبة سمي جبريل روحا وعيسى روحا وعن ابي عبيدة
ان الروح ههنا جبريل والباء بمعنى مع اي ينزل الملائكة مع جبريل وذلك انه في اكثر الاحوال كان ينزل ومعه افواج من الملائكة كما في يوم بدر
وحنين وكان ينزل على رسول الله ص ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف بالروح من امره اي بما يحيى القلوب الميتة
بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد قال غيره من امره معناه ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل
الا بامر ربك قال الزجاج ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة
من الثقيلة وضمير الشان مقدر اي بان الشان اقول لكم انذروا اي اعلموا الناس قولي لا اله الا انا وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله
فاتقون رمز الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم ان النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها فوز حقيقي وحيوة ابدية وسعادة سرمدية
قال الامام فخر الدين الرازي انا لا نعلم كون ابليس غير صادق ولا معصوم من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة
على صدق محمد ص وصدقه موقوف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان جبريل صادق
مبرء من التلبيس واضلال الشياطين وح يلزم الدور وهذا مقام صعب اقول قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجز والسحر هو ان صاحب المعجز يدعو
الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه
المعجزة بالسحر وجبريل بابليس حتى يلزم الدور ولما بين الله سبحانه ان روح الارواح وروح الاجسام هو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل
به اتبعه دلائل التوحيد مبتدأ من الاشرف وهو السموات الى الادون وهو الارضيات فقال خلق السموات والارض بالحق وقد مر تفسير
مثله مرارا وقوله تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عمن يشاركه في الازلية والقدم والتدبير والتاثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا
الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله في اول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان اشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقبه المذكور
بقوله خلق الانسان من نطفة قالت الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان
وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وح يصير جزء من العضو المغتذي يشبهه ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان
الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء ويجتمع منه النطفة في اوعيتها وعلى هذا يكون النطفة جسما مختلف الاجزاء والطبائع وان كانت
في الحس انها متشابهة الاجزاء وكيف ما كان فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة
تاثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة
وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم البسائط يجب ان يكون اشكالها الطبيعية هي الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه
ينحل الى بسائط فانه يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا ان حدوث هذه
الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وهو كيف لا والنطفة جسم سريع الاستحالة

تحقيق النطفة

فالاجزاء

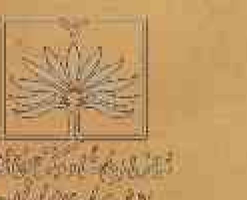
في الاجزاء الموجودة فيها لا يحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل في الفوق فلا يكون حدوث اعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما او الاكثريا وحيث كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب فالخلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وانها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير اما قوله فاذا هو خصيم مبين فقد ذكروا فيه وجهين الاول فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان كان نطفة لا حس بها ولا حراك وتقريره ان النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة كما يخرج من البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة ويلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذي لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك الحالة الخسيسة الى ان يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة الوجه الثاني ان المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم فعلى الوجه الاول يجوز ان يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وان يكون بمعنى مختصم وعلى الوجه الثاني تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على ان هذه الايات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع الحكيم وقد رجح لاجل وصف الانسان بالتمادي في الوقاحة والكفران وقد رجح الثاني بما روي ان ابي بن خلف الجمحي جاء بعظم رميم الى رسول الله صلعم فقال يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم اردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفي غير ضروراته من الاغراض الصحيحة كالتزيين والجمال فقال والانعام خلقها هي الازواج الثمانية المذكورة في سورة الانعام وهي الضان والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال في الكشاف واكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل قلت ويمكن ان يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل اثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان قال صاحب النظم واحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدئ ثم عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كالملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر قال الجوهري الدفاء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها والدفاء ايضا السخونة وقوله ومنافع قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع بالحقيقة اعم من ذلك فقد ينتفع بها بالبيع والشراء بالنقود والاثواب وسائر الحاجات اما قوله ومنها تأكلون فتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم عادة واما الاكل من غيرها كالدجاج وصيد البر والبحر فكغير المعتد به الجاري مجرى التفكه ويحتمل ان يراد ان غالب اطعمتكم انما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكتسبون باكرية الابل وتشترون بنتاجها والبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله حين تريحون اي تردونها بالعشي الى مراحها حيث تاوي اليه ليلا او تسرحون القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها اظهر حين تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظاير حاضرة لاهلها قوله بشق الانفس من قرا بفتح الشين فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع ومن قرا بالكسر فمعناه النصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد قال جار الله معنى المضي في قوله لم تكونوا بالغيه الى الفرض والتقدير اي لو لم يخلق الابل لم يكونوا الا كذلك وانما قيل لم تكونوا حاملها الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل اثقالكم لاجل المبالغة كانه قيل قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا عن ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون العائد في الانتقال محذوفا اي لم تكونوا بالغيها الا بالشق والمراد بالانتقال الاجتماع عن ابن عباس انه فسر البلد بمكة الى اليمن والى الشام والى مصر قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها اكثر متاجر اهل مكة ان ربكم لرؤف رحيم والا لم يخلق هذه الحوامل لاجل تيسير هذه المصالح احتج منكروا الكرامات بالاية على امتناع طي الارض كما ينقل عن بعض الاولياء والجواب ان الامتناع العادي لا ينافي الامكان الذاتي والخيل والبغال والحمير معطوفات على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها وانما لم يقل لتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وفيه والتحقيق فيه ان الركوب احد الامور المعتبرة في المقصود بخلاف التزين بالشيء فانه قلما يلتفت اليه ارباب الهمم العالية لانه يورث العجب ولينبغي لباديكم انه قال خلقها لتركبوها فتدفعوا عن انفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة واما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة القائلون بان افعال الله معللة بالمصالح بان قوله لتركبوها يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب ان استتباع الغاية والفائدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج الحنفية بالاية على تحريم لحوم الخيل من وجوه احدها افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل في الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها ان منفعة الاكل اعظم منه من الركوب والتزين فلو كان اكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وثالثها ان قوله فيما قبل ومنها تأكلون يقتضي الحصر فيجب ان لا يجوز الاكل مما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قو

لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلثة هو الركوب والزينة فلو كان حل اكلها مقصودا لزم ان يكون ما ذكر
تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم الخيل محل النزاع وتحريم الحمر بنص الكتاب ممنوع لما روي عن جماعة من الصحابة
انه صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للاية دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك العام لان الاية مكية عند الاكثرين
ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم بهذه السنة فائدة واذا لم يكن الحمر والخيل محرمين لم يكن لتحريم البغال المتولدة منهما
وجه وايضا كون معظم المنافع في الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما اعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكانما اعطي
الاكثر والمعظم حكم الكل واقتضاء الحصر في قوله ومنها تاكلون ممنوع بل لعل تقديم الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان انواع الغرائب والعجائب المخلوقة في هذا
العالم لا حد لها ولا حصر فلهذا اشار الى ما بقي منها على سبيل الاجمال فقال ويخلق ما لا تعلمون اي كميته وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات
العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها وروى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور
مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله
تعالى من كل نقطة تقع من راسه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون
اليه الى يوم القيمة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه فهم احد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين انه انما ذكرها ازاحة للعذر وازالة
للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل للجنس والقصد مصدر
بمعنى الفاعل اي سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة
بالاية على مسئلتين من اصولهم احديهما انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف اي وعلى الله بيان قصد السبيل
فالمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه والثانية انه لا يضل احدا ولا يغويه والا لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه
الجبر فلما غير اسلوب الكلام قائلا ومنها جائر دل على انه اراد ان يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم
افادة كلمة على الوجوب انه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثاني ان دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست
دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبيل منحرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فاما ان فاعل
تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه اصلا على ان قوله ولو شاء لهديكم اجمعين يناقض ما ادعيتم وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر وبالهداية
الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب
احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد
ان الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل ان يكون الماء المحتبس في الابار والعيون منه كقوله فاسكناه في الارض وبعضه
يحصل منه شجر يرعاه المواشي قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم
بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلاء وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر في الاية الكلاء وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر
فانه سحت يعني الكلاء وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب ان يكون الشجر
ما له ساق واجيب بانه عطف الجنس على النوع جائز وبان قوله فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت واسامها صاحبها
وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي ان يكون الشجر هو العشب لكن لا يبعد ان الابل تقدر على رعي الاشجار
الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال ينبت لكم به الزرع الذي هو الغذاء الاصلي والزيتون الذي هو فاكهة من وجه وغذاء
لكثرة ما فيه من الدهن والنخيل والاعناب اللذين هما اشرف الفواكه ثم اشار الى سائر الثمرات بقوله ومن كل الثمرات كما اجمل الحيوانات التي لم يذكرها
بقوله ويخلق ما لا تعلمون قال في الكشاف انما قيل وكل الثمرات بل ذكر من التبعيضية لان كلها لا يكون الا في الجنة واعلم انه قدم الغذاء
الحيواني على الغذاء النباتي لان النعمة فيه اعظم لانه اسرع تشبها ببدن الانسان وفي ذكر الغذاء الحيوان وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق
وهو ان يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده اكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب في قوله كلوا وارعوا انعامكم بناء على ما هو الواجب
في نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله وسخر لكم الليل والنهار معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على
سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر في الاعراف وفي سورة ابرهيم وهذا حسم لمادة
شبهة من يزعم ان حركات الافلاك هي المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هي المستدعية للحوادث السفليات فانه
ان سلم لهم ذلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرء عن الحدوث والنقصان وهو الله
سبحانه ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قال جار الله جمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة
للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الايات لتطابق قوله مسخرات ومثله في هذه السورة في موضع اخر مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله
ان في ذلك لايات واقول انما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم اية في نفسها الثباين الليل والنهار وتخالف مسيرات

النبات غذاؤه
غذاء ع
الشجر على غذاء
الانسان ومع

الكواكب

الكواكب كما هو مقرر في علم الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فان مطلق الانبات امر واحد وكذا قوله وما ذرأ لكم في الارض اي خلق لكم فيها من حيوان
وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه فان ذر هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية وفي تأثير
الفلكيات فيها امر واحد في على وجود الصانع تعالى شانه ولست ادعي الا امكان هذه الاعتبارات والا ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد وانما
خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة وخص المقام الثاني بالعقل لذكره بعد ما ماطة الشبهة وازاحة العلة فمن لم يعترف بعدها
بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الآيات التي في الحقيقة نعم امتن على
الانسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع به اكلا ولبسا والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز ومصدره طراوة بقي شيء طري
اي غض من الطراوة وقال قطرب طرا اللحم وطري طراوة والمراد في الآية السمك وما في معناه قال في الكشاف وصفه بالطراوة لان الفساد يسرع
اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه لم يحدث بحسب
الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث اظهر الضد من الضد قال اكثر الفقهاء ومنهم ابو حنيفة والشافعي من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا
لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ورد
عليهم الامام فخر الدين الرازي بانه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع انكم تقولون انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت
ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان وللقائل ان يقول لعل الانكار في هذه بعد تسليمه انما جاء من
قبل ندرة شراء العصفور او شراء لحمه فانما يشترى كله ولم يجئ من اطلاق اللحم عليه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا اراد بالحلية اللؤلؤ
والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولان تزينهن لاجلهم وللقائل ان يقول لا مانع من تزيين الرجال باللآلي ونحوها
شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف استدل الامام فخر الدين بالآية في ابطال قول الشافعية انه لا زكوة في الحلي قال لان اللام فيما يروى عنه
انه قال لا زكوة في الحلي ينصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الآية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكوة في اللآلي وهذا باطل بالاتفاق
وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اللام للجنس فيشمل المصوغ من الذهب والفضة ايضا فيكون الحديث مخصصا بالآية ان ثبت صحته ومن
عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه وترى الفلك مواخر فيه قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت جري الفلك
بالرياح وقال ابن عباس مواخر اي جواري وانما حسن هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله ولتبتغوا من فضله اي لتتجروا فيه
فتطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم ان قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف
المتعلق بمواخر بعد مضي مفعولي ترى واما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تاكلون ولتقدم الجار في قوله ومن كل
تاكلون حذف لفظه منه هنالك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتاكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في
السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع اي لو حضرتها ايها المخاطب لرايته بهذه الصفة ويمكن ان يقال
انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكتنف المتعلق المتعلقين وانما بينا الكلام
على ان قوله فيه متعلق بمواخر لانه الى الفرب هذا او بعد ذلك والله اعلم قوله ان تميد بكم اي كراهة ان تميل الارض بكم والميد للتعدية او
للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يروى انه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت
وقد رسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب
فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا الارض تستقر على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بان السفينة
انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل في تجاويف الخشب ومسامها اما الارض فجسم كثيف ثقيل من شانها الرسوب في الماء
على ما هو مشاهد من حال اجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها حتى توجب الجبال ارساءها وثباتها وان لم
تكن طبيعة الكل كذلك حتى يكون طافية مائدة وقد ارساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينتقل
الكلام الى وقوف الماء في حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا اختلاف لتقديره لانا نفينا القول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال وان لم
يكن بالطبع بل كان وانما بتخليق الفاعل المختار وتسكينه في حيزه المخصوص فلم لا نقول مثله في تسكين الارض هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازي
وتسبب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج لحله وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو ان الارض جسم كروي والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك
بادنى سبب فلما احدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعتها عن السلاسة والحركة قلت في هذا الحل خلل اما اولا
فلكونه مبنيا على غير قواعد اهل التفسير واما ثانيا فلما ثبت في الحكمة ان نسبة اعظم جبل في الارض وهو ما ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض
كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان ذلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة
الحركة فكذا ينبغي ان يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة اهل الشرع ان يقال لا نسلم ان الارض بكليتها لها طبيعة موجبة
لحالة من الاحوال وعلى التقدير التسليم فلا نسلم ان لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسي واما قوله لم لا وقف الله الماء في



حيرة ولم يوقف الارض من غير اساس فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فلو سلّط الاسباب مدخل في الامور العادية وان لم نقل بتأثيرها
هذا وان حركة الارض عند الزلزلة لا تنافي حكم الله بعدم اضطرابها لان اثبات الحركة بجزء الشيء لا ينافي نفيها عن كليته وشبهوا الزلزلة وهي حركة قطعة
من الارض لاحتقان البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه وانهارا معطوف على رواسي
اي وجعل فيها رواسي لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله والقيت عليك محبة مني وكذا قوله وسبلا اي اظهرها وبينها لاجل ان
تهتدوا بها في اسفاركم ولما ذكر انه اظهر في الارض سبلا معينة ذكر انه اظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السابلة من
جبل وسهل وغير ذلك يحكى ان جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون
كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي قال بعض المفسرين
اراد بقوله هم يهتدون اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل اراد اعم من ذلك فاهل البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك
وفي معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين الدال عليهم ذكر السبل وقال في الكشاف كأنه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم
في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا بتقديم النجم واقحام لفظ هم كأنه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ثم لما عدد الايات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال اراد ان يوبخ اهل الشرك والعناد فقال
افمن يخلق كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق شيئا الا انه اجراها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ من التي هي لاولي العقل بناء على زعمهم انها الهة او لاجل
المشاكلة بينه وبين من يخلق او اراد ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم
منهم واعلم ان اهل البيان يقولون ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في وجه الشبه من المشبه ليلحق الاضعف بالاقوى في وجه التشبيه كقولك وجه
كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق فكان حق النظم في الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس ووجهه عند العلماء
زيادة التوبيخ ليكون كأنهم جعلوا غير الخالق اقوى حالا واعرف من الخالق وقال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها حين جعلوا
غيره مثله في التسمية والعبادة فانكر عليهم ذلك ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له ادنى عقل بل حس قال افلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل
لانه كالحاصل الذي يحصل عند العقل بادنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة في الاية دلالة على ان العبد غير خالق لافعال
نفسه لانه لا يستحق الثناء ولا يحصل له امتياز بصفة الخالقية اجاب المعتزلة بان المراد افمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان
والنبات والبحار والجبال والنجوم او نقول معنى الاية ان كل من كان خالقا يكون افضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا
فانه يجب ان يكون الها نظيره قوله الهم ارجل يمشون بها اراد به ان الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال
الكعبي نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى
هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا ان اصحاب ابي هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان ابا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد
حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الايات التي هي نعم بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مر تفسيره في سورة ابرهيم قال العقلاء ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لتنغص العيش على
الانسان ولتمنى ان ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا
مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده ولكن هذا المثال حاضر في ذهنك فقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك
وقصورك عن شكر ادنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا اختتم الاية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر عنكم في اداء شكر النعم ويرحمكم حيث
لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كانواع اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون ضروبا من الكفر والمكائد في حق الرسول صلعم
فاوعدهم بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وفيه انه مع تعريض وتوبيخ بسبب ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي تعبد
جمادات لا شعور لها اصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ فقال والذين يدعون اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون
شيئا وقد ذكر هذا المعنى في قوله كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم يخلقون اي يخلقهم الله او بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز
من عبدتهم ففي هذه الاية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال واثبت صفة النقصان وكذلك قوله اموات غير احياء يستلزم ذمهم من حيث ان
من الاموات ما يعقبه حيوة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقه الروح واما الحجارة فاموات لا تقبل الحيوة اصلا وفيه ان الاله الحق
يجب ان يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد تقرر المعنى الواحد مع الغبي الجاهل بعبارات
مختلفة تنبيها على بلادته وما يشعرون ان الضمير فيه للالهة اما الضمير في ايان يبعثون فاما للالهة ايضا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان الله تعالى
يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين اي لا يشعر الالهة متى يبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من
حيث ان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف واما للاحياء يعني
يبعث الاحياء الهتكم بها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حتى الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار

اي لا يعلم هؤلاء
الالهة جمع

الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم ومعناه انهم اموات اي لابد لهم من الموت غير احياء اي غير باقية حيوتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما زيف
طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق في نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال فالذين لا يؤمنون با
لاخرة قلوبهم منكرة للوحدانية ولكل كلام يخالف هواهم وهم مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب
والترهيب فينقاد للحق اسرع واما الجاحد المعاد فلا يقبل الا ما يوافق رايه ويلايم طبعه فيبقى في ظلمة الانكار لا جرم اي حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم على ما اسروا من الاستكبار واعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد فيختص بالمشركين او كل مستكبر فيدخل هؤلاء
دخولا اوليا لان الكلام فيهم التاويل الناس طبقات ثلث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب لانهم كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم اصحاب
النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم في الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل
رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذي الجلال فخبر بان في الازل اتى امر الله استعجل ارواح كل طبقة منهم الخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب
المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له في القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن ان يشارك في الحكم احد فلا
مبدل لكلماته بالروح من امره اي بما يحيي القلوب من المواهب الربانية من امره الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة
وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلي الصفات لافناء
الذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا واعلموا اوصاف وجودكم بتبديلها في انه لا اله الا انا فاتقون عن انانيتكم
بانانيتي خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها مظهر الافاعيله فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون الارواح
والاشباح في حالة افاعيله اليه غيره خلق الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين يدعي الشركة معه في الوجود والافاعيل و
الانعام اي الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة في جبلتكم ومنافع ومنها تاكلون باستفادة بعض ما يحصل ولكم فيها جمال في ذوات
القرابة ازمنة الاستراحات وتحمل اثقالكم ارواحكم وهي اعباء الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم اذا فنيتم انفسكم في جبروته يبقيكم
ببقاء عظموته والخيل والبغال والحمير اي صفاتها خلقت فيكم لانها مراكب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى
مستقره الذي اهبط منه ويخلق فيكم ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل بجذبة ارجعي ومنها جائر يعني نفوسكم تحيد
عن القضاء وبذل الوجود هو الذي انزل من السماء سماء الكرم ماء الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية ودواعيها فيه تسيمون مواشي
نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات والزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة واعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات
والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة
وقانون الطريقة وما ذرا لكم في ارض جبلتكم من الاستعدادات يتلون في كل عالم بلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر
العلوم لتاكلوا منه الفوائد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعاني فيلبس بها ارواحكم النور والبهاء وترى فلك الشرائع
ومذاهب جواري في بحر العلوم لتبتغوا الاسرار الخفية عن الملائكة والقى في ارض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية
عن جادة الشريعة والطريقة وانهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون
فيخرجون من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي افمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات
والله يعلم ما تسرون من اداء شكر نعمة القلوب وما تعلنون من اداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون
شيئا من المنافع وهم يخلقون بتعب الدنيا الطلب في تحصيلها ولهذا قال اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثها دواعي البشرية والذين
لا يؤمنون بالاخرة بما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عن عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار الله

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ

وچون گفته شود مر ایشانرا چه چیز فرو فرستاد پروردگار شما گویند افسانهای پیشینیان تا بردارند بارهای گناهان خود را تمام روز قیامت و از بارهای گناه

الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ

آنانکه گمراه میکنند ایشانرا بدون علم آگاه باشید بد است آنچه بر میدارند بتحقیق که مکر کردند آنانکه بودند پیش از ایشان پس آمد فرمان خدا بنای ایشانرا از بیخ

فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ

پس فرود آمد بر ایشان سقف از بالای ایشان و آمد ایشانرا عذاب از جائیکه نمیدانستند پس روز قیامت خوار میکند ایشانرا و میگوید کجایند

شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ

انبازان من که بودید که مخالفت میورزیدید در ایشان گفتند آنانکه داده شدند علم را بدرستیکه رسوائی امروز و بدی بر کافرانست آنانکه

تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا

أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ

درهای دوزخ را جاودانیان در آن پس هر آینه بد است جایگاه گردنکشان وگفته شد مر آنانرا که پرهیزکار شدند چه چیز فرو فرستاد پروردگار شما

قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ

گفتند خیر یعنی قرآن از برای آنانکه نیکوئی کردند در این دنیا نیکوئیست و هر آینه سرای آخرت بهتر است و هر آینه خوب است سرای پرهیزکاران بهشتهای

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ

دائمی درآیند آنرا میرود از زیر آنها نهرها مر ایشانراست در آنها آنچه خواهند همچنین جزا میدهد خدا پرهیزکارانرا آنانکه

تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ

بمیرانند ایشانرا فرشتگان پاکیزگان میگویند سلام بر شما درآئید بهشت بسبب آنچه بودید میکردید آیا انتظار میبرند مگر آنکه بیاید ایشانرا

الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

فرشتگان یا بیاید فرمان پروردگار تو همچنین کردند آنانکه از پیش ایشان بودند و ستم نکرد ایشانرا خدا ولکن بودند که بخود ایشان ستم میکردند

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا ع

پس رسید ایشانرا بدیهای آنچه کردند و احاطه کرد بایشان آنچه بودند بآن استهزا میکردند وگفتند آنانکه شرک آوردند اگر میخواست خدا نه

عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ

میپرستیدیم بجز او هیچ چیز را ما و نه پدران ما و حرام میکردیم بغیر حکم او هیچ چیز را همچنین کردند آنانکه پیش از ایشان بودند پس آیا

عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ

بر رسولان مگر رسانیدن آشکار و بتحقیق برانگیختیم در هر امتی رسولی را که بپرستید خدا را و دور شوید از طاغوت

فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

پس از ایشان کسیست که هدایت کرد خدا و از ایشان کسیست که ثابت شد بر او گمراهی پس سیر کنید در زمین پس بنگرید چگونه بود انجام کار تکذیب کنندگان

إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا

اگر حرص ورزی بر هدایت ایشان پس بدرستیکه خدا هدایت نمیکند کسیرا که گمراه میکند و نیست مر ایشانرا هیچ یاری کنندگان و سوگند خوردند بخدا سختترین سوگندهای ایشان نه

يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ

بر میانگیزد خدا کسیرا که بمیرد آری وعده دادنی بر او ثابت و لیکن بیشتر مردمان نمیدانند تا بیان کند مر ایشانرا آنچه اختلاف میکردند در آن و تا بداند

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ۝ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا

آنانکه کافر شدند که ایشان بودند دروغگویان جز این نیست گفتار ما مر چیزیرا چون اراده کنیم آنرا که بگوئیم مر او را باش پس میشود و آنانکه هجرت کردند

فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

در راه خدا از بعد آنکه ستم کرده شدند هر آینه جای دهیم ایشانرا در دنیا جای خوب و هر آینه اجر آخرت بزرگتر است اگر باشند که بدانند آنانکه صبر کردند و بر پروردگار خود توکل میکنند

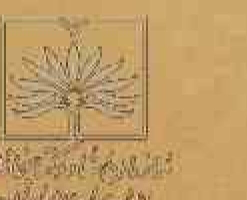
القراءة شركائي مثل هداي ونحوه عن ابن كثير والخزاعي عن البزي وقرأ الخزاز عن هبيرة شركاي الذين مرسلة الياء الباقون بفتح الياء وكذلك في الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تتوفيهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع الوقوف ربكم لا لان ما بعده جواب ذا الاولين للتعلق الكلام يوم القيمة لا لان قوله ومن اوزار مفعول ليحملوا بغير علم ما يزرون ه لا يشعرون ه فيهم ط الكافرين ه بناء على ان ما بعده صفة انفسهم ولطول الكلام من سوء تعملون ه خالدين فيها ط المتكبرين ه مضف الجزء انزل ربكم ط خيرا ط حسنة ط خير ط المتقين ه لا لان ما بعده بدل يشاؤن ط المتقين و طيبين لا لان ما بعده حال اخرى سلام عليكم لا لان قوله ادخلوا مفعول يقولون تعملون ه امر ربك ط من قبلهم ط يظلمون ه يستهزؤن ه من شيء ط الثاني ط من قبلهم للاستفهام مع الفاء المبين ه الطاغوت ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين ه ناصرين ه ايمانهم لا لان ما بعده جواب القسم يموت ملا يعلمون لا للتعلق لام كي كاذبين ه فيكون ه حسنة ط اكبر م لان جواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة ولو وصل لصار قوله ولاجر الآخرة متعلقا بشرط ان لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون لا بناء على ان الذين خبر او بدل والذين هاجروا يتوكلون ه

التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد اراد ان يذكر شبهات منكري النبوة مع اجوبتها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القرآن وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزله ربكم او ما مبتداء وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتداء وعلى التقديرين فقوله اساطير الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار والا لكان المعنى الذي انزله ربنا اساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن كلام مستانف اي ليس ما تدعون انزاله منزلا بل هو اساطير الاولين وقال في الكشاف معناه المنزل اساطير الاولين وذكر في دفع التناقض انه على

النصف



التخرية كقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وجوز كونه منصوبا ولم يقرأ به واختلفوا في السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم انه تعالى اقتصر في جواب شبههم على محض الوعيد لانه قد ثبت بالتحدي كما مر ذكره مرارا ان القرآن معجز تحدوا بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد ذلك محض المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد واللام في قوله ليحملوا ليس لام الغرض لانهم لم يصفوا القرآن بكونه اساطير لغرض حمل الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا وفيه دليل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة قال الواحدي لفظة من في قوله ومن اوزار الذين ليست للتبعيض فانه لا يخفف عن الاتباع بعض اوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم ايما داع دعى الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء ولكنها للابتداء اي ليحملوا ما قد نشأ من اوزار الاتباع او للبيان اي ليحملوا ما هو جنس اوزارهم ومعنى بغير علم ان هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال في الكشاف بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم اوعدهم بما هو النهاية في التهديد فقال الا ساء ما يزرون ورزهم ثم حكى حال اضرابهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل اهلها فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا والقت راس الصرح في البحر فاحدث نمرود وتبلبلت يومئذ السن الناس من الفزع فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والاصح ان الآية عامة في جميع المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الاول معنى قوله فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم من القواعد وهي اساطين البناء التي تعمده او الاساس انه اسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التنصيص على ان الابنية هدمت وهم ماتوا تحتها وعلى الثاني يكون الكلام محض التمثيل والمراد انهم سووا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله فهلاكهم في تلك الحيل كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لاخيه فقد وقع فيه وبعبارة اخرى من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيمة بادخالهم النار انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ اين شركائي الاضافة لادنى الملابسة او هي حكاية لاضافتهم استهزاء وتوبيخا الذين كنتم تشاقون تخاصمون المؤمنين مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستيناف قال الذين اوتوا العلم عن ابن عباس هم الملئكة وقال الآخرون هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك يوم القيمة شماتة بهم قالت المرجئة قولهم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على ان ماهية الخزي والسوء مختصة بالكافرين فينتفي عن غيرهم اما قوله فالقوا السلم فعن ابن عباس المراد انهم اسلموا واقروا بالعبودية عند الموت وقيل انه في يوم القيمة وقولهم ما كنا نعمل من سوء ارادوا الشرك قالوه على وجه الكذب والجحود ومن لم يجوز الكذب على اهل القيمة قال ارادوا في اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم اولوا العلم او الملائكة بقولهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم قال في الكشاف وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم وفي ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر ما اتت به الانبياء والفاء للعطف على فاء التعقيب في فادخلوا واللام للتاكيد يجري مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لها في كل القرآن ثم اتبع اوصاف الاشقياء احوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الآية وانما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكشوفا بينا من غير تلعثم اي انزل خيرا او قالوا خيرا لا شرا فاله الكفار او قالوا قولا خيرا ولو رفعوا لاوهم انه كلام مستانف كما في جواب الكفار وليس بمنزل روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف كما مر فكان الوافد يقول كيف ارجع الى قومي دون ان استطلع امر محمد صلى الله عليه وسلم واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وجوز في الكشاف ان يكون للذين احسنوا وما بعده بدلا من خيرا كانه فسر الخير بهذا القول وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتدأ على سبيل الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم اما قوله في هذه الدنيا فاما ان يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جاؤا بالاحسان في هذه الدنيا لهم في الآخرة حسنة هي الثواب العظيم والمضاعف الى سبعمائة او اكثر واما ان يتعلق بما بعده والتقدير الذين احسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح والثناء او بالظفر على اعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد له او بفتح ابواب المكاشفات والمشاهدات والحاصل لهم في الدنيا مكافاة باحسانهم ولدار الآخرة خير منها ثم بين الخيرية بقوله ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال جنات عدن



اي هذه فيكون لمبتدأ محذوف او الجنات مبتدأ وما بعدها خبر او جنات عدن هي المخصوص بالمدح فالجنات يدل على القصور والبساتين
والعدن على الدوام والاقامة وقوله تجري من تحتها الانهار على انه حصل هناك ابنية مرتفعة هم عليها والانهار تجري من تحتهم وقوله لهم فيها ما
يشاؤن ابلغ من قوله في موضع آخر فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وفي تقديم الظرف دلالة على ان الانسان لا يجد كل ما يريده الا
في الجنة وقوله الذين تتوفاهم الملائكة الاكثر من المفسرين على ان هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله طيبين اي طاهرين عن دنس الكفر والمعاصي
او دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل انواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت ودليله قوله يقولون
سلام عليكم يروى انه اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة فذلك قوله ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن ان المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة
بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون قيل انه جواب شبهة اخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلعم ان ينزل عليهم ملكا من
السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في تصديق نبوتك الا ان تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل ان يقال
انهم لما طعنوا في القرآن بانه اساطير الاولين اوعدهم الله بما اوعد ثم وصف القرآن بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر ان اولئك الكفار
لا يرجعون عن كفرهم بسبب البيانات التي ذكرناها الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد او لقبض الارواح او اتاهم امر ربك وهو العذاب المستأصل او القيامة
كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المعجل وما ظلمهم الله بتدميرهم فانه انزل بهم ما استحقوه بكفرهم فاصابهم سيئات ما عملوا اي
جزاء سيئات اعمالهم او هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اي نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم
الشبهة الثالثة لمنكري النبوة انهم تشبثوا بمسألة الجبر فقالوا لو شاء الله ما عبدنا الآية وقد مر تفسير مثلها في آخر سورة الانعام وذكرنا اسرار المتشابه
هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء
كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين لكانوا مؤمنين وقال آخرون انه سبحانه اجاب عن شبهتهم وهي انه لما كان
الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعني انهم اعترضوا على احكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من
الكفرة فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي ما عليهم الا التبليغ فاما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه اكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا في
كل امة رسولا الى قوله ومنهم من حقت عليه الضلالة وفيه دلالة على ان امر الله قد لا يوافق ارادته فانه امر الكل بالايمان ولا يريد
الهداية الا للبعض اذ لو ارادها للكل لم يكفر احد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ثم خصص الخطاب قائلا لرسوله ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل لا يرشد احد احدا اضله قاله ابن عباس وقال الفراء لا يهدي معناه لا يهتدي
ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا يقدر انت ولا احد على هداية من اضله الله فلن يكون مهديا ولا منصورا ولا يخفى ان اول الآية ظاهره يوافق
مذهب المعتزلة اما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى آخر الآيات فانهم قد صاروا فيها الى التأويل فقالوا معناه ان من تقدمهم اشركوا و
حرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم اسندوه الى الله فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله بريء من الظلم وخلق القبائح والمنكرات وما
من امة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه
من اهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الخذلان لانه عرف مصمما على الكفر والمراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال
لظهور ضلاله او منهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من اضله عنها فسيروا في الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني
لا اقدر الشر ولا اشاؤه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلعم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف بمن يخذل
لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث فهذا تفسير الفريقين لاشتمال الآيات مسألة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك دون
هواك الشبهة الرابعة قدحهم في الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم اي اغلظ الايمان كما مر في المائدة كانهم
ادعوا علما ضروريا بان الشيء اذا فني وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا آخر فاكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فاجاب
الله عن شبهتهم بقوله بلى وهو اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وقوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى اي وعد
البعث وعدا عليه حقا لا خلف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او ان وعد الله حق ثم ذكر لمية حقية البعث فقال ليبين
اي يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين ليبين لهم الحق الذي اختلفوا فيه بيانا عيانيا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصي والمحق بالمبطل والظالم
بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم ان يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على
الضلالة قبله مفترين على الله الكذب في ادعاء الشريك له وفي قولهم بمجرد هواهم هذا حلال الله وهذا حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله
انما قولنا وهو مبتدأ خبره ان نقول له وقد فسرنا مثل هذه الآية في سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة
والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا يتوقف آثار قدرته على مجرد الارادة والمشية فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو اهون من
الابتداء قال في الكشاف قرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول قلت لا مانع من كونه منصوبا باضمار ان لوقوعه جوابا للامر بعد الفاء وقد

قال الزج

في البقرة احتج بعض الاشاعرة بالاية على قدم القرآن قال انه لو كان حادثا لافتقر الى ان يقال له كن ثم الكلام في هذا اللفظ كالكلام في الاول و
تسلسل والجواب بعد تسليم ان هذا النص مثلا وان ثم قولا اي اذا لا يفيد التكرار فلا يلزم في كل ما يحدثه الله تعالى ان يقول له كن وكيف يتصور
ان يكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القرآن على ان قوله انما قولنا لشيء اذا
اردناه يقتضي كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وانه علق القول بكلمة اذا ولا شك انها للاستقبال وكذا قوله ان نقول ثم
ان كلمة كن متقدمة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فتلخص من هذه الدلائل ان الكلام المسموع لا بد ان
يكون محدثا هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازي ولعل لنا فيه نظرا ولما حكى الله سبحانه من الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء اوعدهم
والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحث على ان يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين قائلا والذين هاجروا في الله
اي في حقه وسبيله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا مبوءة حسنة او مباءة حسنة هي المدينة آواهم اهلها ونصروهم قاله الحسن والشعبي وقتادة
وقيل لننزلنهم منزلة حسنة هي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على اهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الاية في جماعة
منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون بمكة يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب انا رجل كبير ان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم
بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اما الضمير في قوله لو كانوا يعلمون فاما ان يرجع
الى الكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا في دينهم واما ان يعود الى المهاجرين اي لو علموا ان اجر الآخرة اكبر
لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله الذين صبروا اي هم الذين واعني الذين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي
هو حرم الله وعلى المجاهدة في سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ
السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو آخر الطريق والله ولي التوفيق فان العارفين بالصبر ساروا وبالتوكل طاروا وثم في الله حسبي الله
ونعم الوكيل وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ اِلَّا رِجَالًا نُوحِي اِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
و نفرستاديم پيش از تو مگر مردانيرا که وحی ميکرديم بايشان پس بپرسيد از اهل ذکر اگر هستيد که ندانيد بحجتها و کتابها
وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ اِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ اَفَاَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ اَنْ يَخْسِفَ اللّٰهُ
و فرستاديم بتو ذکر را تا بيان کنی از برای مردم آنچه فرو فرستاده شد بايشان و تا بود که ايشان انديشه کنند آيا پس ايمن شدند آنانکه مکر انديشيدند بديها را که فرو برد بزمين خدا
بِهِمُ الْاَرْضَ اَوْ يَاْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ اَوْ يَاْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ اَوْ يَاْخُذَهُمْ عَلٰى تَخَوُّفٍ
ايشانرا زمين را يا بيايد ايشانرا عذاب از جائيکه ندانند يا بگيرد ايشانرا در گرديدنشان پس نيستند ايشان عاجز کنندگان يا بگيرد ايشانرا بر ترسی
فَاِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ اَوَلَمْ يَرَوْا اِلٰى مَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلّٰهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
پس بدرستيکه پروردگار شما مهربان مهربانست آيا نديدند بسوی آنچه آفريد خدا از چيزی که ميگردد سايه هايش از راست و چپها سجده کنندگان مر خدا را و ايشان خوارانند
وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلٰئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
و مر خدا را سجده ميکند آنچه در آسمانها و در زمين است از جنبنده و ملائکه و ايشان سرکشی نميکنند ميترسند از پروردگارشان از بالای ايشان
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَقَالَ اللّٰهُ لَا تَتَّخِذُوا اِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ اِنَّمَا هُوَ اِلٰهٌ وَاحِدٌ فَاِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي
و ميکنند آنچه امر ميشوند و گفت خدا که مگيريد دو اله را دو جز اين نيست که او اله يگانه است پس از من بترسيد و مر او راست آنچه
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا اَفَغَيْرَ اللّٰهِ تَتَّقُونَ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَاِلَيْهِ تَجْاَرُونَ
در آسمانها و زمين است و مر او راست دين پيوسته آيا پس جز خدا ميپرهيزيد و آنچه باشماست از نعمتی پس از خداست پس چون برسد شما را ضرر پس بسوی او زاری ميکنيد
ثُمَّ اِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ اِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
پس چون دفع کرد ضرر را از شما آنگاه پاره از شما به پروردگارشان شريک می آورند تا کفران ورزند بآنچه داديمشان پس برخوردار شويد پس زود باشد که بدانيد
وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّٰهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ
و ميگردانند مر آنچه نميدانند بهره از آنچه روزی داديمشان بخدا که پرسيده ميشويد از آنچه بوديد که افترا ميکرديد و ميگردانند از برای خدا دختران را پاکست
وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَاِذَا بُشِّرَ اَحَدُهُمْ بِالْاُنْثٰى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارٰى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ اَيُمْسِكُهُ
و مر ايشانراست آنچه ميخواهند و چون مژده داده شود يکی از ايشان بمادينه ميگردد رويش سياه و باشد او پر از خشم پنهان ميشود از قوم از بدی آنچه مژده داده شده بآن آيا نگاه دارد او را
عَلٰى هُونٍ اَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ اَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْاَعْلٰى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
بر خواری يا پنهان کند او را در خاک آگاه باشيد بدست آنچه حکم ميکنند از برای آنانکه نمی گروند بآخرت صفت بد است و مر خدا راست صفت برتر و اوست غالب درستکردار
القراءة نوحي بالنون حفص غير الخزاز الباقون بالياء مجهولا اولم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف يتفيؤ بتاء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون على
الغيبة الوقوف لا تعلمون ه لا لتعلق الباء والزبر ط يتفكرون ه لا يشعرون ه للعطف بمعجزين ه لا لان ذلك على تخوف للفصل بين الاستخبار والاخبار رحيم ه داخرون ه

ع

نصف الربع

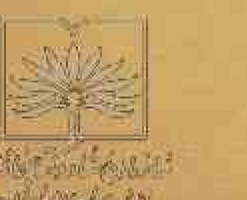
لا يستكبرون ه ما يؤمرون ه سجدة اثنين ج للابتداء بانما مع اتحاد القائل واحد ج للعدول مع الفاء فارهبون ه واصبا ط تتقون ه تجأرون ه ج لأن ثم لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون ه لا لتعلق لام كي آتيناهم ط للعدول والفاء للاستئناف تعلمون ه رزقناهم ط تفترون ه سبحانه لا لأن ما بعده من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون ه كظيم ج لاحتمال ان ما بعده وصف لكظيم او استئناف بشر به ط لان التقدير متفكرا في نفسه المسئلة في التراب ط ما يحكمون ه السوء ج لتضاد الجملتين مع العطف لفظا الاعلى ط الحكيم ه التفسير الشبهة الخامسة ان قريشا كانوا يقولون الله اعلى واجل من ان يكون رسوله بشرا فاجاب سبحانه بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والمراد ان هذه عادة مستمرة من اول زمان الخلق والتكليف وزعم ابو علي الجبائي انه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله اراد الملائكة الذي يرسل الى الانبياء بحضرة اممهم كما روي ان جبرئيل عليه السلام كان يأتي في صورة دحية وفي صورة سراقة وانما قيد بحضرة الامم لان الملائكة قد يبقون على صورهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة من الله الى انبيائه كما روي انه عليه السلام رأى جبرئيل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه تأولوا قوله ولقد رآه نزلة اخرى ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى اصحاب العلوم والكتب فامرهم الله ان يرجعوا في هذه المسئلة اليهم ليتبين لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسئلوا اهل الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على انه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد آخر فيما اشتبه عليه واحتج نفاة القياس بالآية قالوا لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس واجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع اقوى من ظاهر النص اما قوله بالبينات ففي متعلقه وجوه منها ان يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وانكر الفراء ذلك قال ان صلة ما قبل الا لا يتأخر الى ما بعد الا لان المستثنى عنه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كما لو قيل ما ارسلنا بالبينات الا رجالا ولما لم يصر هذا ولما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها ان يتعلق برجالا صفة له اي رجالا متلبسين بالبينات ومنها ان يتعلق بارسلنا مضمرا نظيره ما ضرب الا اخوك ثم تقول من ضرب فيقال زيد قاله الفراء ومنها ان يتعلق بيوحي اي يوحي اليهم بالبينات ومنها ان يتعلق بالذكر بناء على انه بمعنى العلم ومنها ان يتعلق بلا تعلمون اي ان كنتم لا تعلمون بالبينات وبالزبر فاسئلوا قال في الكشاف الشرط ههنا في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي قلت اراد ان عدم علمهم مقرر كما ان عمل الاجير ثابت وسلم جار الله ان مثل قوله فاسئلوا جواب الشرط على هذا الوجه واما على الوجوه المتقدمة فيجزم انه اعتراض بناء على ان جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما ارسلنا وعندي ان هذا الجزم ليس بحتم بل يجوز على كل الوجوه ان يكون مثل فاسئلوا جوابا والله اعلم واهل الذكر اهل التوراة كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التوراة وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظ جامعة لكل ما يتكامل به الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي يعتبر في باب العبادة وهي الزبر ثم قال وانزلنا اليك الذكر اي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير لاهل الغفلة والنسيان ويجوز ان يراد بالذكر العلم لتبين للناس ما نزل اليهم من الاحكام والشرائع وتبيين الاحكام بالنسبة الى الرسول وارادة التأمل والتفكر في المبدإ والمعاد بالاضافة الى المكلفين وفي ظاهر هذا النص دلالة على ان القرآن كله مجمل ومن هنا ذهب بعضهم الى انه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب تقديم الخبر لان القرآن مجمل والخبر مبين له والجواب بمنع الكلية فمن القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات والمجملات قال بعض من نفى القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما انزل عليهم من الاحكام بل كان له ان يفوض بعضها الى رأي القائس والجواب انا بينا ان القياس من جملة الحجج فالقياس ايضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع اجوبتها شرع في التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات اراد اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي عنى بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والاقرب ان المراد سعيهم في ايذاء الرسول واصحابه على سبيل الخفية ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب او بلا نكبة العذاب من السماء من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين فاتفق ذكر المفسرين في هذا التقلب وجوها منها انه تعالى يأخذهم في اسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على ان يهلكهم في السفر كما انه قادر على ان يهلكهم في الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم في البلاد البعيدة ومنها انه يأخذهم بالليل والنهار في احوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته في حال تصرفهم في الامور التي يتصرف فيها امثالهم ومنها انه اراد في حال ما يتقلبون في قضاء اوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الاول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور او يأخذهم على تخوف على حالة تخوفهم وتوقعهم للبلاء بان يكون قد اهلك قوما قبلهم فكان اثر الخوف باقيا فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف التنقص والمعنى انه يأخذهم بطريق التنقص شيئا بعد شيء في ديارهم واموالهم وانفسهم حتى يأتي الفناء على الكل عن عمر انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعر نا زهير يخوف الرجل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا اي سناما مرتفعا متراكما والسفن ما ينحت به الشيء ومنه السفينة لانها تسفن وجه الماء كما مر في البحر فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الآية بقوله فان ربكم لرؤف رحيم فذهب المفسرون الى ان معناه انه يمهل في اكثر الامر لانه رؤف رحيم فلا يعجل بالعذاب اقول يحتمل ان يكون قوله فان مثلا لقوله افامن

التفسير

معنى التخوف

كقوله

كقوله ما غرك بربك الكريم وبما خوف الماكرين بما خوف اتبعه ذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوي والسفلي وسكانها
فقال أولم يروا الى ما خلق الله قال جار الله ما موصولة مبهمة بيانه من شيء وقال اهل المعاني قوله يتفيؤ ظلاله اخبار عن شيء وليس بوصف له والتفيؤ
تفعل من الفيء واصله الرجوع ومنه فيئة المولي وقال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرف
عنه الشمس والقمر والذي يكون بالغداة ظل وقال ثعلب اخبرت عن ابي عبيدة ان رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء و
ظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله اضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه
واحدا في اللفظ وان كان كثيرا في المعنى وهو قوله الى ما خلق ونظيره لتستووا على ظهوره اضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد
اريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهري تفيئت الظلال اي تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال اهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد
اليمين لانه اراد واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمائل لانه اراد كلها لان قوله ما خلق الله لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتي جمع عبرت
عن احدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التي هي مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل
عبارة عن الانحراف الواقع في تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان اقوى جانبي الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة
القوية وكذا جانب المشرق اقوى جوانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي اسرع الحركات واقواها ويمكن ان يقال ان الانسان اذا توجه الى المشرق الذي
هو اول الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب ان وصول الشمس الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقالها
من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد واذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم ان الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في
جنوب سمت الرأس وقع ظلها الى جانب الشمال وان كانت في شماله وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل ان يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها فيما بين الجهتين و
الله اعلم اما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لامر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحرك النير على نسب مخصوصة و
مقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع زرع وذكر بعضهم في
تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال اخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون
لانهم اشبهوا العقلاء من حيث طاعتها لله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الانسان وشماله بجانبي الشيء اي ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في نفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال الاخفش اي من الدواب واخبر بالواحد كما يقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال و
قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر انه علم من ذكر الظلال ان الجمادات باسرها منقادة لله فبين في هذه
الانواع الحيوانات باسرها ايضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لانها ليست مما يدب ولكنها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة
لقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة انها ارواح مجردة ليست من شأنها الحركة والدبيب قال جار الله
من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان ما في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا
لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة خصوصا من بين
الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات الملائكة ويقول فقال ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه
في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال لهم وهم لا يستكبرون يخافون على انه حال منهم او بيان لنفي استكبارهم لان الخوف اثره عدم الاستكبار
وقوله من فوقهم اما ان يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما ان يكون حالا من ربهم اي يخافونه غالبا
قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وزعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة انه تعالى وصفهم بالخوف
وحصول الخوف يستلزم تجويز الاقدام على الذنوب وهب انهم فعلوا كل ما امروا به لكن ابن علم انهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول انهم انما
يخافون من العذاب لقوله تعالى اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يكون الذنب وعن ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال
كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة جلال الله اتم كانت الهيبة والحيرة اعظم وعن الثاني ان النهي عن الشيء امر بتركه وفي
الاية دلالة على ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه ابى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك افضل من البشر بل من كل المخلوقات
والا لما خصهم بالذكر من بينها ولخلو بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه قتل
الانسان ما اكفره وقال صلى الله عليه وسلم ما منا الا من قد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال ايضا الشيخ في قومه كالنبي في امته فضل الشيخ على الشاب لتقادم
عهده وطول مدته ولا شك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وقرون متمادية وانهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسئلة مذكور في اول سورة البقرة وفي قوله ما يؤمرون دلالة على ان الملائكة مكلفون بالامر
والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين ان كل ما سواه في عالمي الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه اتبعه النهي
عن الشرك قائلا وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا يدلان على العدد الخاص فما



الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد واجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتاخيرا اي لا تتخذوا اثنين الهين
ومنها ان ذكر نفي العبادة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول اهل المعاني ان فائدة الوصف والبيان هي ان يعلم ان النهي
راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج
المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزئين ما به الاشتراك في الوجوب الذاتي
وما به الامتياز ولكن التركيب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل التمانع ايضا يعين على المطلوب كما لو اراد احدهما تحريك
جسم معين واراد الاخر تسكينه او قوي احدهما على مخالفة الاخر او لا يقوى او قدر واحدهما على ان يستر ملكه عن الاخر او لا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة
الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا فاياي فارهبون وقد مر مثله في اول البقرة ثم لما قرر وحدته قرر انه يجب ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه فذكر
ان الكل ملكه وملكه فقال وله ما في السموات وما في الارض فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها مفعولة لاجله والغرض طاعته لان فيها المباحات
والمحظورات التي يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد ان كلها بتخليقه وتكوينه ومن جملة ذلك وتكوين افعال العباد ثم قال وله الدين واصبا
فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها وثبت للمريض وصب لكون ذلك المرض لازما له وانتصابه على الحال والعامل
فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او الموت الا الحق سبحانه فان طاعته
واجبة ابدا ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الملك اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء سرمدا لا يزول يعني الثواب
والعقاب قال بعض المتكلمين المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله الدين اي
الانقياد واصبا اشارة الى ان جميع الممكنات مفتقرة الى فيضه وجوده في حال وجوده لان الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم انكر ان
يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال افغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ما بمعنى الذي وبكم صلته ومن نعمة حال
من الضمير في الجار او بيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف اي ما يكن وقال جار الله معناه اي شيء حل بكم او اتصل بكم
من نعمة فهو من الله قال الاشاعرة افضل النعم نعمة الايمان والاية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل
العمل به واما دنيوية نفسانية او بدنية او خارجية كالسعادات المالية وغيرها وكل واحد من هذه جنس تحتها انواع لا حصر لها والكل من الله
فعلى العاقل ان لا يشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله قائلا ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جار الله يجوز ان يكون الخطاب
للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قلت
والظهر الوجهين الاول والمعنى ان فريقا منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفزع الا الى الله وفريقا يتغير عن حاله فيشرك بالله
ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ولهذا قال ليكفروا كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ويجوز ان يكون لام العاقبة تلك التضرعات
ماكانت لا لهذا الكفران والمراد بقوله بما آتيناهم كشف الضر وازالة المكروه او القرآن والشرائع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي انعم الله بها على
الانسان ثم قال على سبيل التهديد بطريقة الالتفات نظرا الى اول الكلام فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما يجيء واما
في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا اخر من قبائح اعمال بني آدم فقال ويجعلون لما لا يعلمون
الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز
وبان جمع السلامة بالعقلاء اليق وقد يرجح الثاني بان الاول يفتقر الى الاضمار كما لو قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا ولا في الاعراض
عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم نصيبا او يجعلون لما لا يعلمون الهيتها
او السبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن
والنبات والحيوان وللمشتري كذا الى اخر الكواكب ثم اوعدهم الله بقوله تالله لتسألن عما كنتم تفترون على الله من ان له شريكا وان الاصنام اهل
للتقرب اليها مع انه لا شعور لها بشيء اصلا او المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي وقولهم ان لغير الله تاثيرا في هذا
العالم ومتى يكون هذا السؤال قيل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر والاقرب انه في الاخرة وهذا في هؤلاء
الاقوام خاصة كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون في الامم عامة قوله ويجعلون لله البنات نوع اخر من القبائح وكانت خزاعة
وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي اظن ان ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء ومنه اطلاق التانيث
على الشمس لاستتارها عن ان يدرك بالابصار لضوئها الباهر ونورها القاهر سبحانه تنزيه لذاته عن نسبة الولد اليه او تعجيب من قولهم ومحل
ما في قوله ولهم ما يشتهون اما الرفع على الابتداء او النصب اي وجعلوا لهم ما يشتهون يعني البنين لكن الزجاج جوز النصب فقال لان العرب لا
تقول جعل له كذا وهو يعني نفسه وانما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر ظاهرا كراهتهم للاناث التي جعلوها

في قوله وما بكم من نعمة ... ويحتمل ان يكون الخطاب ...

النحل

الله تعالى فقال وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ اى صار مُسْوَدًّا ويحتمل ان يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره مسودا الوجه وَهُوَ كَظِيمٌ مملوّ غمّا وحزنا وغيظا على المرأة قال اهل المعانى جعل اسوداد الوجه وهو كظيم كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوى فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الاطراف ولا سيّما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه واشرق واذا قوى غمّه انحصر الروح فى داخل القلب ولم يبق منه اثر قوى على الوجه فلذلك يصفرّ ويسودّ يَتَوَارَىٰ يستخفى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ من اجل سوء المبشر به ولم يظهر اياما يحدث نفسه ويدبّر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله أَيُمْسِكُهُ اى يحبسه عَلَىٰ هُونٍ ذل وهوان والظاهر ان هذا صفة المولود يمسكها على هوان منه لها وقال عطا عن ابن عباس انه صفة الاب اى يمسكها مع الرضا بهوان نفسه أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ اى يئدها والدسّ اخفاء الشيء فى الشيء وانما ذكّر الضمير فى يمسكه ويدسّه باعتبار ما بشّر به كانوا مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى ان يموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحميّة وتارة خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة وروى ان رجلا قال يا رسول الله والذى بعثك بالحق ما اجد حلاوة الاسلام وقد كانت لى فى الجاهلية ابنة وامرت امرأتى ان تزيّنها فاخرجتها فلما انتهيت الى وادٍ بعيد القعر القيتها فيه فقالت يا ابت قتلتنى فكلما ذكرت قولها لم ينفعنى شىء فقال صلعم ما فى الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما فى الاسلام يهدمه الاستغفار ربّ ولا ان الانثى التى هذا محلها عندهم كانت فى غاية الكراهة والنفرة ومع ذلك اثبتوها لله المتعالى عن الصاحبة والولد فلذلك قال أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ولهذا يقدمون على القتل والايذاء مَثَلُ السَّوْءِ وصفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهم خشية الاملاق والتزام الشح البالغ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل والجود الشامل وَهُوَ الْعَزِيزُ الذى لا يغالب فلا ينتصر بان ينسب اليه ما لا يليق به الْحَكِيمُ فى خلق الذكور والاناث وفى الوعيد على قتل البنات قال القاضى ان هؤلاء المشركين استحقوا الذم باضافة البنات الى الله والذم اسهل من اضافة القبائح والفواحش كلها اليه وهذا شأن المجبرة واجابت الاشاعرة بانه ليس كل ما قبح منا فى العرف قبح من الله الا ترى ان رجلا لو زيّن اماءه وعبيده وبالغ فى تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل ورفع الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يصحّ اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية اما افعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينية ان خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احد الصورتين بالاخرى والله اعلم التأويل ان يخسف الله بهم ارض البشرية ودركات السفلى او يأتيهم العذاب بالمكر والاستدراج من حيث لا يشعرون انه من ابتلائهم من قبل الاعمال الدنيوية او من قبل الاعمال الاخروية او يأخذهم فى تقلبهم من اعمال الدنيا الى اعمال الاخرة بالرياء ومن اعمال الاخرة الى اعمال الدنيا بالهوى أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ بالعباد اذ اعطاهم حسن الاستعداد ورحيم حين لا يأخذهم بعد افساد الاستعداد فى الحال لعلهم يتوبون فى المال فيقبل توبتهم بالفضل والنوال ما خلق الله من شىء وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شىء يتفيؤ ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة تميل بعمل اهل السعادة الى اصحاب اليمين واخرى تميل بعمل اهل الشقاوة الى اصحاب الشمال سُجَّدًا لِّلَّهِ منقادين لامره مسخرين لما خلقوا لاجله وانما وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة اصحاب الشمال وسجود كل موجود بلسان حاله كما ان تسبيح كل منهم بلسانه وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ اراد بالاله الآخر الهوى لقوله صلعم ما عبد اله ابغض على الله من الهوى وَيَجْعَلُونَ بعض اصحاب النفوس والاهواء لِمَا لَا يَعْلَمُونَ لمن لا علم لهم باحوالهم نَصِيبًا بالرياء مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الطاعات تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ والسؤال عن المعاملات انما هو بتبديل الصفات وتغير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ اظن ان البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل وعدم الاستقلال بالتأثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ يعنى ان كل احد يحب ان يوصف بغاية الكمال ويتغير وجهه اذا نبّه على عيب فيه ولا يعلم ان مطلق الكمال لا يليق الا بالواجب لذاته وان الامكان نقصان يستلزم جميع النقصانات

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ

سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ

أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ

وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً

لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

و بدرستیکه مر شما را در چهارپایان هر آینه عبرتیست می آشامانیم شما را ازانچه در شکمهای ایشانست از میان سرگین و خون شیری خالص گوارا مر آشامندگان را

ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون

و از ثمرهای درختان خرما و انگورها میگیرید ازان شکر و روزی خوب بدرستیکه دران هر آینه آیتیست برای جمعی که در می یابند بعقل

واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات

و وحی فرستاد پروردگار تو بسوی زنبور که بگیر از کوهها خانها و از درخت و از آنچه بنا میکنند پس بخور از همه میوها

فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية

پس برو راههای پروردگار را رام شده بیرون می آید از شکمهای ایشان شرابی که مختلفست رنگهای او در وی شفاست مر مردمان را بدرستیکه درین هر آینه آیتیست

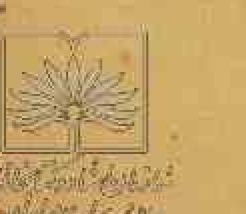
لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفيكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير

مر جمعی را که فکر میکنند و خدا آفرید شما را پس میمیراند شما را و از شما کسیست که رد کرده میشود بسوی فروتر عمر تا نداند پس از دانش چیزی بدرستیکه خدا داناست توانا

القراءة لا جرم في المد مثل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم
بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد الآخرون بضمها الوقوف مستقيم للظرف مع الفاء ولا يستقدمون ه الحسنى وقيل على لا جرم
ثم يبدأ بجرم وهو تكلف مفرطون ه اليوم فيه للعطف على موضع لتبين تقديره الانبياء فانا وهدى يؤمنون ه موتها يسمعون ه لعبرة لانه نوع
اشبه ما بعده بالوصف للشاربين ه حسنا ط يعقلون ه يعرشون ه للعطف لا للعدول للناس ط يتفكرون ه شيئا قدير ه التفسير لما حكى عن
القوم عظيم كفرهم وقطيع قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث لا يعاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية وقد طعن بعض
الطاعنين في عصمة الانبياء انه اضاف الظلم الى ضمير الناس والانبياء من جملة الناس فوجب ان يكونوا ظالمين عاصين ويؤكده قوله ما ترك
عليها من دابة فانه لو لم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه وحيث لم يصدق انه ما بقي على الارض واحد والجواب لا نم عموم الناس في الآية
لقوله سبحانه في موضع آخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن
المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب والذين تقدم ذكرهم من المشركين واما قوله من دابة فعن ابن عباس انه اراد من مشرك
يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بها كل من يدب عليها فلعل الهلاك في حق الظلمة يكون
عذابا وفي غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح ثم وايضا من المعلوم انه لا احد الا وفي آبائه من يستحق العذاب فلو اهلكوا لبطل
نسلهم ولادى الى فناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه
فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر
وفي انقطاعه انقطاع النبت وفي انقطاع النبت فناء الدواب احتج المعتزلة في الآية دلالة على ان الظلم والمعاصي ليست من افعال الله تعالى والا لم
يؤاخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك ثم في قوله بظلمهم دليل على ان الظلم هو المؤثر في العقاب فان الباء للعلية وجواب
الاشاعرة معلوم وهو انه لا يسئل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والدواعي ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل في المضار
الحرمة لان الضرر لا يجوز ان يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار
في الاسلام ملعون من ضار مسلما ولا ان يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره
فالآية تقتضي انه تعالى ما اخذ الناس بظلمهم وانه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار
فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به لتقديم الخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل ان يقول لا نسلم انه لا يجوز
ان يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافي ذلك لانها لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم اما على انه لا
يؤاخذ ببعض انواع الظلم فلا ودليله قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة
ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم ان يكون محرما
لان وجوده ضرر وانه غير مشروع فالذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول
باطل لان هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس ولقائل ان يقول توارد الادلة على المدلول الواحد غير ممتنع اما قوله
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فعن ابن عباس في رواية عطاء انه يريد اجل القيامة لان معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل اراد منتهى العمر لان المشركين
يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقي الآية قد مر تفسيرها في اوائل سورة الاعراف واعلم انه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها
من دابة وفي سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا والعرب يجوز ذلك في كلامهم لحضورها بين يدي
كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلان افضل من عليها واكرم من تحتها ومنها الغداة اذ يقال اليوم البارد ومنها الاصابع يقولون والذي شقهن خمسا

(الي ٢)

من واحد يعني الاصابع من اليد وانما لم يذكر الظهر في هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة
فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله أولم يسيروا في الأرض وفي قوله وفي الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن ان يقال لما قال ههنا بظلمهم لم يقل على ظهرها وحين
قال هنالك بما كسبوا قال على ظهرها احترازا عن الجمع بين الظائين لانها تثقل في الكلام وليست لامة من الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما في شطر واحد
ثم عاد الى حكاية كلماتهم الحمقاء فقال ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ولا يبعد ان يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في
الرياسة ومن الاستخفاف والتهاون برسلهم ورسائلهم وانهم يجعلون ارذل اموالهم لله واكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار
كيف يكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هات ما دفعت الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هات
ما دفعت الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف ثم قال وتصف ألسنتهم الكذب قال الفراء والزجاج ابدل منه
قوله أن لهم الحسنى عن مجاهد ان الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة اي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون
حكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف
يحكمون بذلك وكانوا منكرين للقيمة الجواب انه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ضنا
منهم ان الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه ويعتقد بانهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صلعم صادقا في دعوى الحشر والقيمة فانه يحصل
لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من يتم هذا القول لانه تعالى رد
عليهم بعد ذلك بقوله لا جرم أن لهم النار قال الزجاج لا رد لقولهم اي ليس الامر كما وصفوا جرم اي كسب ذلك القول أن لهم النار فان مع ما بعده
في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى حق بان لهم النار وانهم مفرطون من قرأ بكسر الراء المخففة فهو من
الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز ابو علي الفارسي ان يكون من افرط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب ومن قرأ بفتحها مخففة
فهو من افرطته فلانا خلفته اذا خلفته ونسيته فالمعنى انهم متروكون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات ومن
قرأ بفتح الراء المشددة فهو من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء افرطته بمعناه ايضا فالمراد انهم يقدمون الى النار معجلون اليها ثم بين سبحانه ان مثل
صنيع قريش قد صدر عن سائر الامم فقال تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك اي رسلا فزين لهم الشيطان اعمالهم قالت المعتزلة لو كان
خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن اين يتوجه عليهم اللوم وان خالق ذلك العمل اجدر بان يكون وليا لهم من الداعي
اليه واجيب بان الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها والمراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا او اليوم عبارة عن يوم الاخرة الذي يعذبون فيه
في النار فهو حكاية الحال الاتية والولي الناصر اي فهو ناصرهم يوم القيمة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور
منه النصرة اصلا واذا كان الناصر مخصوصا فيه لزم ان لا ينصره بالضرورة قال ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وانه زين للكفار
قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما اهلك من هلك الا بعد
اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار
له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم وهدى ورحمة انتصبا على انهما مفعولا لهما ولا حاجة الى اللام
لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكلبي وصف القران بكونه هدى ورحمة
لقوم يؤمنون لا ينافي كونه كذلك في حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا ولما اشتد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات
فقال والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وفي العنكبوت من بعد موتها لان هنالك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق
فقيد الظرف بمن للاستيعاب وايضا حذف من في هذه السورة موافقة لقوله عما قريب لكيلا يعلم بعد علم شيئا وانما حذف من هنا بخلاف ما في
الحج لانه اجمل الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفيكم وفصل في الحج فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب
الاثبات ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر فان من لم يسمع بتدبر فكأنه اصم ثم استدل بعجائب احوال الحيوانات فقال وان
لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي سورة المؤمنين مما في بطونها فذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد و
معناها جمع كالرهط والقوم والنعم فيجاز تذكيره حملا على اللفظ وتانيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شايع في القران قال تعالى فلما راى الشمس
بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشيء الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشيء وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة
الواردة على افعال وجوز في الكشاف ان يكون تانيثه على انه تكسير نعم وقيل ان الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام يلحق الاحاد بالجمع والجمع
بالاحاد قلت ما ذكروه لا يتم حسنا لانه لا يقع جوابا عن التخصيص ولعل السر فيه ان الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون
للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه واما في المؤمنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو
قوله ولكم فيها منافع ومنها تاكلون وعليها لم يحتمل ان يكون المراد به البعض فانث ليكون نصا على ان المراد بها الكل وعن الكلبي عن ابي صالح عن



عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه لبنا خالصا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث وانكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما الحس فلان الانعام تذبح ذبحا متواليا ولا يرى في كرشها دم ولا لبن واما التجربة فلان الدم لو كان في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء ان يقيء الدم وليس كذلك بل الحق انه اذا تناول العلف حصل له في معدته او كرشه هضم اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع وهو لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله الدم هناك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شيء على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان اسخن واخف والانثى ابرد وارطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة ليصير مادة لتولد الولد ويتسع بدنها له ثم ان تلك الرطوبات التي كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان في الرحم ينصب بعد انفصال الجنين الى الثدي ليصير مادة لغذاء الطفل واعلم ان الله تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى ان تكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثقل هناك ثم ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثقل فهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتاتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وايضا انه اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التي في ذلك الماكول والمشروب طابخة لها حتى ينقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفي المعدة بالعكس واودع في المرارة قوة جاذبة لزيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بفعله الخاص مما لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي في وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزعها على جميع البدن في غير ذلك الوقت ثم ان الله تعالى احدث في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المص والحلب فهي بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين اي سهل المرور في الحلق حتى قيل انه لم يغص احد باللبن قط ومن عجائب حال اللبن اجتماعه من اجسام مختلفة مع انها واحدة في الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهي باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم ان الله تعالى الهم الطفل الصغير مص الثدي عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة تامة وقدرة باهرة قال المحققون في تقليب العشب في هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سائغا دليل على ان الله تعالى قادر على تقليب الانسان في اطواره الى ان يصير مستعدا للبقاء الابدي واللقاء السرمدي قال جار الله من في بطونه للتبعيض ومن في قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس بمستنكر ان يسلك المني مسلك البول وهو طاهر كما انه يخرج اللبن من بين الفرث والدم طاهرا واما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب اي ومن الاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اذا عصرت وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه سكرا بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التاكيد نظيره قولك زيد في الدار فيها وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور او الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها و يتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير في الاية قولان احدهما ويروى عن الشعبي والنخعي انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية وثانيهما انها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافي الحرمة على ان في الاية تنبيها على الحرمة ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان السكر لا يكون رزقا حسنا لا بحسب الشهوة بل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر واحتج بان الاية تدل على ان السكر حلال لان الله تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل ما ثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن ابي علي الجبائي انه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما اخذته منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما يتقوى به قلبك فقيل له قد صنفت في تحليله فقال تناوله ايدي الشيطان فقبح عندي المروات والاقدار وقيل السكر الطعم قاله ابو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن واحد كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن عجيب احوال الحيوان حال النحل المناسب عليها والتشبيه باللبن في موافقة اللذة في الخروج من البطن فلذلك افردها بالذكر عقيب ذلك فقال واوحى ربك اي الهمها وعلمها على وجه هو اعلم به ولقد حق لغريب امرها وعجيب صنعتها ان يطلق عليه لفظ الايحاء الذي انها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساويات التي لا يمكن للعقلاء تركيب مثالها الا بالمساطر والفرجار ... علم من الهندسة ان

الى العروق

للسوداء الى الكلية ... ... الطبايع ... وعلم ومن نخ ...

تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة
اللطيفة من الاعاجيب ومن غرائب امرها ان لها رئيسا هو اعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويتبعون نصبه وامره ومنها انها اذا نفرت عن
وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا ارادوا اعادتها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي لان الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون
على ردها الى اوكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان اكثر من ان تحصى واشهر من ان تخفى والغرض ان امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص
العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة سر حالة تشبيهه بالوحي بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز ان يقال سميت نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل بواسطتها
وهي مؤنثة في لغة اهل الحجاز ولذلك قال تعالى ان اتخذي وهي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون اي يبنون ويرفعون التبعيضية لانها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن توافقها وتليق
بها وكثيرا ما تتعهدها الناس ويصلحون احوالها ثم كلي من كل الثمرات اي بعضا من كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك فهمك في عمل العسل ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها وسهلها عليها او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلك منقادة
لما امرت به غير ممتنعة او المراد فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي المذللة اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا وهي اجوافها ومنافذ
ماكلها واراد انك اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى
انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلاد البعيدة في طلب النجعة ويجوز ان يريد بقوله ثم كلي اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها
سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله ان اتخذي ثم كلي فاسلكي امر فمن الناس من قال لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها
من الله امر ونهي ومنهم من انكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل اما حدوث
العسل من النحل فالاصح عند الاطباء ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع على اوراق الاشجار فقد
يكون كثيرا يجتمع منها اجزاء محسوسة وهي الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الاوراق والازهار وهو الذي الهم الله تعالى هذا النحل فيلتقط
تلك الذرات بافواهها ويأكلها وتغتذي بها فاذا شبعت التقطت مرة اخرى وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع
في بيوتها شيء محسوس من تلك الاجزاء الطلية فذاك هو العسل ولا يبعد ان يحصل لتلك الاجزاء في افواهها نوع هضم وتغير ونضج فيها
فلذلك قال يخرج من بطونها اي من افواهها ومن الناس من زعم ان النحل تاكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرة شيئا ثم انه تعالى يقلب
تلك الاجسام في داخل بدنها عسلا ثم انها تقيء مرة اخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول اقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين
قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك انه طل يحدث في الهواء ويقع على اطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وايضا النحل انما تتغذى
بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب اي ما يشرب يعضد القول الثاني وقوله مختلفا
الوانه اي منه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف الاماكن وامزجة النحل واختلاف الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه
شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقلما يوجد في اكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان بعض
الشفاء فان كل دواء كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما
نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال قال اهل المعاني انه صلى الله عليه وسلم كان عالما
بانه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن اخيك حين لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
فعليكم بالشفائين القرآن والعسل واعلم انه سبحانه ختم الآية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه امر مشاهد
محسوس ينكره منكر فاقد الحس وانما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القرآن المنبه على هذه الآية مسموع وختم الآية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر
فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان امر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لاميرها واتخاذها البيوت على اشكال يعجز
عنها الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا او قيئا يقتضي فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجائب احوال الحيوان اتبعه عجيب خلق
الانسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم عند انقضاء آجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره عن علي خمس
وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي يصير الى حالة شبيهة بحال الطفل
في النسيان وعدم الذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا او لا يعلم زيادة على علمه وقيل ان الرد الى ارذل العمر ليس في المسلمين والمسلم
لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الآية قوله ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب
عمر الانسان في اربع اولها سن النشوء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط
الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء واصحاب الطبيعة ان بدن الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا
عملت في الجسم الرطب قللت رطوبته فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل ما في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغ
الغضروف والعصب والوتر والرباط وسائر الاعضاء فاذا تم تكون البدن وكمل فبعد ذلك ينفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد

الى خمس وثلثين سنه

زائدة على حرارته فيكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النشوء وغايته الى ثلثين سنة ثم تصير رطوبات البدن اقل ويكون وافية
بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا يكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل
الرطوبات بحيث لا يكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية ويظهر الانتقاص قليلا الى ستين وهي سن الكهولة ثم يظهر جدا الى تمام مائة وعشرين سنة
قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونه منيا ودما كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم القاطع لذلك
كانت قوية على تحليل اكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى ان صارت عظما وعصبا وغضروفا ورباطا فعند ما تولدت الاعضاء
وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان تقوى الحرارة الغريزية قوة ازيد مما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن
وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمني الى ان صار عظما وعصبا اما بعد تولد البدن
فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا ان البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه ومن وجه آخر الحرارة الحاصلة في بدن
الانسان الكامل الغريزية اما ان يكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل
في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن تأثير اصلا واما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة تتزايد
بحسب تزايد الجثة ولا ريب ان تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فيلزم ان لا ينهدم البدن الحيواني ابدا وليس كذلك ومن وجه
ثالث هب ان الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب ان تصير اقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب
الى سن الانتقاص قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية
حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية ايضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة
الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فينتهي الامر الى ان لا يبقى من الرطوبة شيء لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها
توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احدهما ضعف الاخرى فتنطفي الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت في تجفيف — فتنطفي
الرطوبة وقلتها فلم لا يجوز ان يورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي رادا عليهم ان
القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وذلك مسلم وانما يكون الحرارة الغريزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزية
وانما يحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فتعين
اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واما
الطبيعة فجاهلة عاجزة قلت لا شك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى و
الطبائع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسائط والآت لما فوقهما من المبادي والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد
ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير — التأويل
التأويل ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على ارض البشرية من صفة من صفات الحيوانية ولكن
يؤخر اهل الشقاء الى اجلهم وافناء صفات النفس بصفاء القلب والروح في جنة واوانه ويؤخر اهل الشقاء الى اوان العكس من ذلك ويجعلون لله
ما يكرهون اي يعاملون الله باعمال لا يكرهون ان يعاملهم بها غيرهم وتشوق لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة
ماء بيان القرآن فاحيا به ارض قلوب الامم بعد موتها باختلافهم على انبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم
في الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا
للشاربين جائزا لاهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يحصل منها شرب النفس
فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة
والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر شربت الحب كاسا بعد كاس ❊ فما نفد
الشراب وما رويت ❊ واوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر ان اتخذي من الجبال بيوتا اراد الاعتزال عن الخلق والتبتل
الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حرا اسبوعا واسبوعين وشهرا ولا بد ان يتنظف كما ان النحل يحترز عن التلوث وفيه ان نحل الارواح
اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك نظيره قوله كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى
المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها اغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك
السبل الى ان تصل الى المقعد الصدق عند مليك مقتدر فيكون غذاؤها مكاشفات الحق ومشاهداته فتبيت عند ربها يطعمها ويسقيها ثم يخرج من بطونها شراب
الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعاني والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم اخرجكم من العدم الى الوجود
ثم يتوفيكم عن الوجود المجازي ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو مقام الفناء في الله لكيلا يعلم بعد فناء علم شيئا بعلمه بل يعلم بربه الاشياء كما هي والله اعلم بالصواب

وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ

وخدا افزونی داد شما را بر بعضی در روزی پس نباشند آنانکه افزونی داده شدند برگردانندهٔ روزی شان بر آنچه مالک شده دستهای شان پس ایشان در آن برابر

أَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ

پس آیا بنعمت خدا انکار میکنند وخدا گردانید برای شما از جنس شما جفتان وگردانید برای شما از جفتهای تان پسران ونوادگان وروزی داد شما را

مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا

از پاکیزها آیا پس بباطل میگروند وبنعمت خدا ایشان کفران میورزند ومیپرستند از غیر خدا آنچه مالک نمیباشد برای ایشان روزی

مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ضَرَبَ اللّٰهُ

از آسمان وزمین چیزی را ونمیتوانند پس مزنید برای خدا مثلها را بدرستیکه خدا میداند وشما نمیدانید زد خدا

مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ

مثلی بندهٔ درم خریده که قادر نیست بر چیزی وکسیکه روزی دادیم از خود روزی خوبی پس او انفاق میکند از او پنهان وآشکارا آیا یکسان میشوند

الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلٰى

ستایش مر خدا را بلکه بیشتر ایشان نمیدانند وزد خدا مثل دو مرد که یکی از آن دو گنگ است که قادر نیست بر چیزی واو گران است بر

مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَلِلّٰهِ

صاحبش هر جا که متوجه میگرداندش نمی آورد خیری آیا یکسان است او وکسیکه میفرماید بعدالت واو است بر راه راست ومر خدا راست

غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللّٰهُ

نهانی آسمانها وزمین ونیست فرمان قیامت مگر چون نظر انداختن چشم یا آن نزدیکتر است بدرستیکه خدا بر هر چیزی توانا است وخدا

أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

بیرون آورد شما را از بطون مادران تان که نمیدانستید چیزی را وگردانید برای شما گوش وچشمها ودلها باشد که شما شکر کنید

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللّٰهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللّٰهُ جَعَلَ

آیا ندیدند بسوی پرندها رام شدگان در میان آسمان نگاه نمیدارد ایشان را مگر خدا بدرستیکه در اینها نشانهاست برای جمعی که ایمان میآورند وخدا گردانید

لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ

برای شما از خانهای تان آرامگاه وگردانید برای شما از پوستهای شتر وگاو وگوسفند خانهها که سبک می‌یابید آنها را روز کوچ تان وروز ماندن تان واز

أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلٰى حِينٍ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ

پشمهای آنها وکرکهای شان پوشش وفرش وبهره گرفتن تا هنگامی وخدا گردانید برای شما از آنچه آفرید سایهها و

جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ

گردانید برای شما از کوهها خانهای پنهان وگردانید برای شما پیراهنها که نگاه دارد شما را از گرما وپیراهنها که نگاه دارد شما را از آسیب جنگ تان همچنین تمام میکند نعمت خود را

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ

بر شما باشد که شما منقاد شوید پس اگر رو گردانند پس نیست بر تو مگر رسانیدن آشکار میشناسند نعمت خدا را پس انکار میکنند وبیشتر ایشان کافرانند

القراءات: تجحدون بتاء الخطاب ابو بكر وحماد الآخرون على الغيبة. من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم علي. امهاتكم بكسرهما حمزة. الباقون
بضم الهمزة وفتح الميم. الم يروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب. ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر. الباقون بفتحها.
الوقوف: في الرزق ج لاختلاف الجملتين مع الفاء. سواء ط. يجحدون ه. من الطيبات ط. يكفرون ه للعطف. لا يستطيعون ج لابتداء النهي مع فاء التعقيب.
الامثال ط. لا يعلمون ه. وجهرا ط. هل يستوون ط. الحمد لله ط. لان بل للاعراض عن الاول. لا يعلمون ه. مولاه لا لان الجملة بعده صفة احدهما. بخير لا للوقف.
الى مستقيم لاتحاد الكلام. والارض ط. اقرب ط. قدير ه. شيئا لا للعطف. الافئدة لا لتعلق لعلكم. تشكرون ه. السماء ط للفصل بين الاستخبار والاخبار. الا الله ط.
يؤمنون ه. اقامتكم لا للوقوع جعل على اثاثا. الى حين ه. باسكم ط. تسلمون ه. المبين ه. الكافرون ه. التفسير: لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطوار مراتب العمر
اراد ان يذكره طرفا من سائر احواله لعله يذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام والا لم
يكن الغافل رخي البال والعاقل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فكم ترى
ملك يقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها وربما احضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شي
منها وترى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ملء بطنه طعاما وللمفسرين في الآية قولان احدهما ان المراد تقرير كون
السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس موالي وبعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد وللمولى

الجزو الرابع عشر

هو الله فلا تحسبن الموالي المفضلون انهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق انما ذلك رزقي اجريته لهم على ايديهم وثانيهما ان المراد الرد على من اثبت لله شريكا كالصنم وكعيسى فضرب له مثلا فقال انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس فالفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ولك ان تقول بمعنى حتى اي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف ترضون ان تجعلوا عبيدي لي شركاء عن ابي ذر رضي انه سمع رسول الله صلعم يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون وهي انه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين فجعل ذلك او جعل عدم التسوية بينهم وبين عبيدهم من جملة جحود النعمة او جعل اعتقاد اهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود في معنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال ابو عبيدة وابو حاتم قراءة الغيبة وهي الكبرى اولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا لكان ظاهره للمسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة الله البتة الحالة الاخرى من احوال الانسان قوله عز طوله والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا ليكون الانس بها اتم ولا ريب ان تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها قالوا ان المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد تاما في الانوثة واذا انصب المني الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي هذه العلة ضعيفة فقد رايت في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقائل ان يقول الكلام في المزاج الصنفي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض باحدهما على الاخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اصل الحفد الاسراع في الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل اراد بها في الاية الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون انفسهم لانهم الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعوم الطيبة لان لذة المنكوح لا يهناه الا بعد الفراغ من لذة المطعوم او بعد الفراغ من تحصيل اسبابها واورد من للتبعيض لان لذة كل الطيبات لا يكون الا في الجنة ثم ختم الاية بقوله افبالباطل يؤمنون فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما احل لهم وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله هم يكفرون وفي اخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الاية استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب واما الاية فقد سبق مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الايات الدالة على الاقرار بالتوحيد انكر صنيع اهل الشرك عليهم قائلا ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا او يكون تاكيدا لا يملك شيئا من الملك من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق اما الضمير في ولا يستطيعون فعائد الى ما بعد ان قيل لا يملك على اللفظ وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام الهة والفائدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة ان يتملك بطريق من الطرق فبين تعالى انها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف ان يكون الضمير للكفار اي لا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال اي لا تجعلوا له مثلا تشبهونه به فان ضارب المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان اله العالم اجل من ان يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون الى الاصنام والكواكب كما ان اصاغر الناس يخدمون اكابر حضرة الملك واولئك الاكابر يخدمون الملك فنهوا عن غير الحقيقة والاخلاص وعلل النهي بقوله ان الله يعلم ما عليكم من العقاب وانتم لا تعلمون ما في عبادتها من العذاب وفيه ان القياس الذي توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال ضرب الله مثلا ثم ابدل من المثل قوله عبدا مملوكا لا حرا فان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله لا يقدر على شيء ليخرج العبد الماذون والمكاتب فانهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالاية على ان العبد لا يملك شيئا وان ملكه السيد لان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على ان العبدية اينما وجدت فهي علة للذل والمقهورية وعدم القدرة فثبت العموم وهو ان كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وايضا قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا يقتضي ان لا يحصل للقسم الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيئا ما صدق عليه ان الله قد اتاه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والاكثرون على ان عدم اقتدار العبد مخصوص بما يتعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق ايضا قال جار الله الظاهر من في قوله ومن رزقناه موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة وجمع قوله هل يستوون لانه اراد الاحرار والعبيد والمقصود في ضرب المثل اقوال فالاكثرون على انه اراد انا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وفرضنا حرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والاخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله

معنى الحفدة

لا يملك له

والشفقة على خلق الله والغرض انهما لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد انهما لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز الحكم بان الاول مساو لرب العالمين الحمد لله قال ابن عباس اراد الحمد لله على ما فعل باوليائه وانعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شيء من الحمد للاصنام لانه لا نعمة لها على احد بل اكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد لي وقيل اراد قل الحمد لله والخطاب للرسول صلعم وامة من رزقه الله رزقا حسنا ومبرة بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الذليل الضعيف قيل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله اي على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع بل يصل ضررها الى من يعبدها اعظم المضار اما تفسير الالفاظ فالابكم العي المفحم وقد بكم بكما وبكامة وقيل هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه اصله من الغلظ الذي هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت فلم يقدر على القطع وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه اي ثقيل وعيال على من يلي امره وقوله اينما يوجهه حيثما يرسله لا يأت بخير لم ينجح في مطلبه والتوجيه ان ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق هل يستوي هو اي الموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم غير منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الامر بالعدل يجب ان يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور وقادرا حتى يتلقى منه الا الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين يناقض كونه ابكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل لله الخالق وما يدعى من دونه اما الابكم فمثل الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شيء وهو كل على عابده لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى اي مهم يوجه الصنم لا يأت بخير واما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدي باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الاية المتقدمة في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه ابو الجوار الذي كان ينهاه عنه وهذه الاية نزلت في سعد بن ابي العيص وفي عثمان بن عفان ومولاه والاولى ان المقصود من الاية الاولى كل عبد موصوف بالصفات المذكورة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الاية الثانية كل رجل جاهل عاجز وكل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما او اراد بغيبهما يوم القيمة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان ينقلب فيه الحدقة نحو المرئي وكل زمان يقبل التجزية فلذلك قال او هو اقرب وليس هذا من قبيل المبالغة وانما هو كلام في غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي وقيل معناه ان امر الساعة ان اماتة الاحياء واحياء الاموات كلهم يكون في اقرب وقت واقله ثم اكده بقوله ان الله على كل شيء قدير ثم زاد في التأكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا قال جار الله هو في موضع الحال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي تستعمل في مقام الكثرة ايضا لعدم ورود غيرها واعلم ان جمهور الحكماء زعموا ان الانسان في مبدأ فطرته خال عن المعارف والعلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم في خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها في ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق ان كان كافيا في جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض وانتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها ولا محالة ينتهي الى البديهيات قطعا للدور والتسلسل فهي علوم كسبية وظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس الانسانية هو ان الله اعطى الحواس والقوى الدراكة للصور الجزئية وعند اخرين ان النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة هي التي ينبغي ان تسمى بالبديهيات وانما لا يظهر اثارها عليها عند اتصالها بالجنين الا من ضعف الالة واشتغالها بتدبيره فاذا قوي وترقى ظهرت اثارها شيئا فشيئا وقد برهنا على هذه المعاني في كتبنا الحكمية فالمراد بقوله لا تعلمون شيئا انه لا يظهر اثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب العلوم المتوقفة على الة التعلق وعلى هذا لعلكم تشكرون اراد ان تصرفوا كل الة فيما خلقت لاجله وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على اخرج ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطن وقد مر في اول البقرة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انه لم وحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا اخر على كمال قدرته فقال الم يروا الى الطير مسخرات فيه دلالات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وسائر الاسباب المواتية لذلك كرقة قوام الهواء والهامهن بسط الجناح وقبضه كما يعمل السابح في الماء في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو وهو مضاعف عتيق كاممر وامر ما يمسكهن الا الله بقدرته وباعطاء الالات التي لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة احوال الانسان قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو ما يسكن اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها اي تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم اي في وقت ترحالكم و

ثقيل بكل اللسان
ازار عاطم

والظعن بفتح العين وسكونها سير اهل البادية لنجعة ثم استعمل في كل شخوص لسفر ويوم اقامتكم لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من مكان الى مكان ويمكن ان يكون
اليوم على حقيقته اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لا يثقل عليكم ضربها ومن اصوافها وهي للضان و
اوبارها وهي للابل واشعارها وهي للمعز اثاثا وهو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال ابو زيد الاثاث المال اجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة
اثاثة قال ابن عباس اثاثا ثيابا وبسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل اصله من اث النبات والشعر يئث اذا كثر فقيل اثاثا عطف قوله
متاعا على اثاثا فوجب ان يتغايرا فما الفرق واجيب بان الاثاث ما يكتسي به المرء ويستعمل من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل ويتزين
به قلت لا يبعد ان يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين كونه اثاثا وكونه مما يتمتع به الى حين اي الى ان تقضوا اوطاركم منه او الى
ان يبلى ويفنى او الى الموت او الى القيمة ثم ان المسافر قد لا يكون له خيام ولا ابنية يستظل بها لفقره او لعارض اخر فيحتاج الى ان يستظل بشجر او جدار
او غمام ونحوها فلذلك قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا او قد يحتاج المسافر الى حصن يأوي اليه في نزوله والى ما يدفع به عن نفسه آفات الحر و
البرد وسائر المكاره وكذا المقيم فلذلك من بقوله وجعل لكم من الجبال اكنانا هي جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة
في الجبال وكالغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهي القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر
البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم لغلبة الحرارة في بلادهم على ان ذكر احد الضدين يغني في الاغلب عن ذكر الاخر لتلازمهما في الخطور بالبال
غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشمل الرقيق والكثيف والساذج والمحشو من الثياب وسرابيل تقيكم بأسكم كالدروع
والجواشن كذلك يتم نعمته اي مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وانعم بها عليكم فانه يتم نعمه الدين والدنيا عليكم لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم
يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات سواه وعنه انه قرأ بفتح التاء واللام من السلامة اي يسلم قلوبكم من الشرك
او تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح بلبس الدروع فان تولوا فقد تمهد عذرك فانما عليك البلاغ المبين وليس اليك
الهداية ثم ذمهم بانهم يعرفون نعمت الله التي عددناها حيث يعترفون بها وبانها من عند الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير من انعم بها وبقولهم هي
من الله ولكنها بشفاعة الهتنا ومعنى ثم تبعيد رتبة الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من آبائنا او وصل الينا بسبب فلان او انهم
لا يستعملونها في طلب رضوان الله وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال واكثرهم الكافرون لانه استعمل
الاكثر مقام الكل او اراد البالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين او اراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر للجهل بصدق
الرسول او لانهم لم يقم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفسرون قلت ويحتمل ان يراد بالكافرين المصرين الثابتين على كفرهم وقد علم الله ان في مطلق
الكفرة من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى اعلم التأويل فضل الارواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء و
الرد الى البقاء وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل
النفوس على الابدان في رزق التزكية والتحلية وفضل ابدان المؤمنين على ابدان الكافرين بحمل اعباء الشريعة فما الارواح برادي رزقهم
على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس على الابدان افبنعمة الله التي انعم بها على اوليائه تجحدون يا منكري هذا الحديث والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من ازواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهي النفوس افبالباطل
وهو الزخارف والوساوس يؤمنون وبنعمة الله التي انعم بها على ارباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى ما لا يملك
لهم رزقا من سموات القلوب وارض النفوس شيئا من الكمالات التي اودع الله فيهن ولا يستخرج منها الا بعبادة الله ولا يستطيعون استخراجها بعبادة
غير الله فلا تضربوا لله الامثال بان تريدوا ان تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا للهوى وللدنيا ومن رزقناه
ولاية كاملة يتصرف بها في بواطن المستعدين وظواهرهم بل اكثرهم لا يعلمون اولياء الله لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم غيره احدهما ابكم هو
النفس الحيوانية التي لا يقدر على شيء من العلم والعقل والايمان وهو كل على مولاه الروح المسمى بالنفس الناطقة لا يأت بخير لانها امارة بالسوء
ولله غيب سموات الارواح والارض النفوس لا يقف على خاصيتهما غيره وهو وكل كلا منهما الى الطبع ثم امر يرجع الى ربها ورجوعها يكون بالاماتة
والاحياء ويميتها عن اوصافها ويحييها بصفاته وهو المراد بامر الساعة لان الاماتة بتجلي صفات الجلال والاحياء بتجلي صفات الجمال واذا تجلى الله لعبد
لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك قال او هو اقرب وح يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا من امور الدنيا والاخرة ولا مما كانت روحكم تعلم في عالم الارواح ولا مما كانت تعلم ذراتكم من فهم خطاب الست بربكم وجواب بلى
وجعل لاجسادكم السمع والابصار والافئدة كما للحيوانات ولارواحكم كما للملائكة ولاسراركم سمعا يسمع به من الله وبصرا يبصر به الله وفؤادا يعرف
به الله ويحتمل والله اخرجكم من العدم وهو الام الحقيقي لا تعلمون شيئا قبل ان يعلمكم الله سبحانه اسماء كل شيء فتجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه
اعطاكم سمعا تسمعون به خطاب الست بربكم وبنور بصره اعطاكم بصرا تبصرون به جماله وبنور علمه اعطاكم فؤادا تعرفون به كماله وبنور كلامه
اعطاكم لسانا تجيبون بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد الا ذاته
ولا تتكلمون بهذا الكلام الا معه الم يروا الى طير الارواح مسخرات في جو سماء القلوب ما يمسكهن في سفل الاجساد [illegible] فلذلك قال والله جعل

للابل ربع وصح

والتحلية

لكم من جلود الانعام التي هي اجساد اشترك فيها سائر الحيوانات بيوتا تستخف ارواحكم اياها وهي النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله والتوجه
للاستراحة والتربية ومن اصوافها الصفات الحيوانية والحواس والقوى اثاثا الآلات للسير ومتاعا ينتفع بها الى حين الوصول والوصال والله
جعل لكم مما خلق ظلالا اى جعل عالم الخلق ظل عالم الامر ليستظل بها الارواح عند طلوع شمس التجلي والا لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره
وجعل لكم من جبال القلوب اكنانا للارواح وجعل لارواحكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم
من بأسها الوساوس والخواطر كذلك يحفظكم من الآفات ويربيكم بالكرامات حتى يتم نعمة الوصول عليكم ولتسلموا من قطع الطريق يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون
بلند بنعمة الله اظهار للقهر والله اعلم وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
و روزیکه برانگیزیم از هر امتی شاهدی پس داده نشود از برای آنکه کافر شدند و نه ایشان طلب رضا جوئی کرده شوند

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا
و چون بینند آنانکه ستم کردند عذاب را پس سبک کرده نشود از ایشان و نه ایشان مهلت داده شوند و چون بینند آنانکه شرک آوردند انبازان خود را گویند

رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ
پروردگارا اینها شریکان مااند که بودیم میخواندیم از غیر تو پس بیندازند بایشان گفتار را که شما هر اینه دروغ گوئید و بیندازند بخدا

يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ
آن روز صلح را و گم شد از ایشان آنچه بودند افترا میکردند آنانکه کافر شدند و باز داشتند از راه خدا افزودیم ایشان را عذاب بر بالای عذاب

بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ
بسبب آنچه بودند فساد میکردند و روزیکه برانگیزیم در هر امتی شاهدی بر ایشان از خودهاشان و آوردیم ترا شاهد بر اینها

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
و فرستادیم بر تو کتاب را بیان کننده مر همه چیز و هدایت و رحمت و بشارت مر مسلمانان را بدرستیکه خدا میفرماید بعدالت

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ
و نیکوکاری و بعطا کردن بصاحب قرابت و نهی میکند از کار زشت و ناپسند و ظلم پند میدهد شما را باشد که شما پند گیرید و وفا کنید بعهد خدا

إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
چون عهد کردید و مشکنید سوگندها را بعد از استوار کردنش و بتحقیق گردانیدید خدا را بر شما گواه بدرستیکه خدا میداند آنچه میکنید

وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ
و مباشید چون زنیکه گردانید رشته اش را از بعد محکمی پاره پاره تاب داده میگیرید سوگندهای خود را مفسده میان شما که باشد گروهی افزون تر

مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
از گروهی جز این نیست که میآزماید شما را خدا بآن و هر اینه بیان خواهد کرد برای شما روز قیامت آنچه بودید در آن اختلاف میکردید و اگر خواستی خدا هر اینه گردانیدی شما را امت واحد

وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ
و لیکن گمراه میکند هر که را خواهد و هر اینه پرسیده شوید البته از آنچه بودید میکردید و فرا مگیرید سوگندهای خود را مفسده میان خود پس بلغزد قدمی بعد

ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
از ثباتش و بچشید اندوه را بآنکه باز داشتید از راه خدا و از برای شما عذابیست بزرگ و عوض مگیرید به پیمان خدا بهای اندک

إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا
بدرستیکه آنچه نزد خداست آن بهتر است شما را اگر باشید که بدانید آنچه نزد شماست سپری میشود و آنچه نزد خداست باقیست و هر اینه جزا دهیم آنانرا که صبر کردند

أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مزد ایشان را بهتر از آنچه بودند میکردند کسیکه کرد کار شایسته را از مرد یا زن و او مومن پس هر اینه زنده سازیم او را زندگی پاکیزه و هر اینه جزا دهیم ایشانرا مزد ایشان بهتر

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا
از آنچه بودند میکردند پس چون بخوانی قرآن را پس پناه جوی بخدا از شیطان رانده شده بدرستیکه نیست مر او را تسلطی بر آنانکه گرویدند

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ — القراءة ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد
و بر پروردگار خود توکل کردند جز این نیست تسلط او بر آنانکه دوست میدارندش و آنانکه باو انباز آورنده گانند

وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الاخرون بالياء قرءت القران مثل اشاءنا الوقوف يستعتبون ه ولا هم ينظرون ه من دونك ج لاختلاف
الجملتين مع الفاء لكاذبون ه للعطف مع اتحاد ... يفترون ه يفسدون ه على هؤلاء ط الواو للاستيناف للمسلمين ه والبغي ج لاحتمال ما بعده

الكافرون

الجزو الرابع عشر

الحال والاستيناف تذكرون ه كيلا تفعلون ه انكاثا ابناء على ان النقد بل تتخذون من قربة ط تختلفون ه ويهدي من يشاء ط تعملون ه عن
سبيل الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ه قليلا ط يعلمون ه باق ط يعملون ه طيبة ج للعدول عن الوحدان الى الجمع مع اتحاد ضمير من يعملون الرجيم
يتوكلون ه مشركون ه التفسير لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه اصناف وعيد يوم القيامة والتقدير
واذكر يوم نبعث من كل امة شهيدا او يوم وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيدا لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين
كفروا اي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر او في كثرة الكلام او في الرجوع الى دار الدنيا او الى التكليف ليظهر لهم كونهم ايسين من رحمة الله تعالى
او المراد انه يسكت اهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود ولا هم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط
فلا فائدة في العتاب فلهذا قيل شعر اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب وقال في الكشاف اي لا يقال لهم ارضوا ربكم
لان الاخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم ان المنع من الكلام اصعب من شهادة الانبياء عليهم واذا راى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب بعينه فلا
عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ان يتوبوا فان التوبة هنالك غير موجودة او غير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن النفع دائم كما يقول المتكلمون
واذا راى الذين اشركوا شركاءهم وهي الاصنام او الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم في الغي قاله الحسن قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعو اي نعبدهم من دونك قال ابو مسلم الاصبهاني مقصود المشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم ان ذلك
ينجيهم من عذاب الله او ينقص من عذابهم منه وزيفه القاضي بان الكفار يعلمون في الاخرة علما ضروريا ان العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة
فما الفائدة في هذا القول والانصاف ان الغريق يتعلق بكل ما يرى والمبهوت قد يقول ما لا فائدة فيه على ان العلم الضروري الذي ادعاه القاضي
ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا خاطئين في عبادتها فالقوا
اليهم القول اي قال الاصنام او الشياطين للكفار انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين اشاروا الى الاصنام ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو
من دونك وقد كانوا صادقين في ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب ان المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله في المعبودية
فكذبتهم الاصنام في اثبات هذه الشركة وفي قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان اراد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم
انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبي استسلم العابد والمعبود واقروا
لله بالربوبية وبالبراءة عن الشركاء والانداد وقال اخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله بعد الاباء في
الدنيا وضل اي غاب عنهم ما كانوا يفترون من ان شركاءهم شركاء الله او ان الهتهم يشفع لهم حين كذبوهم وتبروا منهم الذين كفروا وصدوا عن
قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاكثرون على العموم زدناهم عذابا لاجل الاضلال فوق العذاب الذي استحقوه للضلال وايضا عذاب الاستنان
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ومن المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة انهار من نار تسيل من تحت العرش
يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات امثال البخت وعقارب اشباه البغال انيابها كالنخل الطوال
تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم
بكونهم مفسدين امور الناس بالغدو والاصال فيعلم منه ان من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيد الله تعالى اجره على اجره ثم اعاد حكاية
بعث الشهداء لما نيط بها من زيادة فائدتين احدهما كون الشهداء من انفسهم لان كل نبي فهو من جنس امته والاخرى ان الشهيد يكون ثابتا
في الامة لا مفارقا اياهم وفسر الاصم الشهيد في هذه الاية بانه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان حتى يشهد عليه وهي الاذنان والعينان
والرجلان واليدان والجلد واللسان وهذا ذكره لفظة ووصف الشهيد بكونه من انفسهم ثم شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وجئنا بك شهيدا على
هؤلاء اي على امتك ولا ريب في تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله ونظيره قوله في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الاية انه لا بد في كل عصر من اقوام تقوم الحجة بقولهم
ويكونون شهداء على غيرهم وهم اهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل ان يقول الامة في الاية هي الجماعة الذين بعث النبي اليهم والى
من سيوجد منهم الى اخر زمان دينه فيكون نبي تلك الامة وحده شهيدا عليهم ولا دلالة للاية الا على هذا القدر فمن اين حصل لك
ان اجماع اهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين انه ازاح عللهم فيما كلفوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء اي بيانا والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء ولم يات غيرهما وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان القران تبيانا لجميع الاحكام
المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند الى الكتاب حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وورد فيه ومن يتبع
غير سبيل المؤمنين وجاء فاعتبروا وقال اخرون ان علم اصول الدين كلها في القران واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص
القران فاذن القران واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في اول احوالهم والرحمة
في وسطها وهو من العمر بعد الاسلام والبشرى في اوان الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله وابشروا والله اعلم بمراده واما
ذكر ان في القران تبيان كل شيء ذكر عقيبه اية جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال ان الله يامر الاية عن ابن عباس ان عثمان

سبيل الله ع

بالصد والاضلال ن

لان الاحكام ع

ابن

ابن مظعون الجمحي قال ما اسلمت اولاً الا حياء من رسول الله صلعم ولم يستقر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ رايت بصره شخص
الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا انا احدثك اذا جبرئيل عم نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل الاية قال
عثمان فمن وقته استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلعم وعن ابن مسعود هي اجمع اية في القران وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن
الا امر الله تعالى به في هذه الاية وليس من خلق سيء الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو اداء الفرائض وعن ابن عباس هو قول لا اله
الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمستحبات شرعا وعرفا واقربها صلة الرحم بالمال فلذلك افردها بالذكر بقوله وايتاء ذي القربى والفحشاء
هي الامور المتزائدة في القبح فلذلك افردها بالذكر وهي الكبائر وقد يخص بالزنا او بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة
والبغي هو الاستطالة قال جار الله حين سقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي عم وعلى نبينا الصلوة والسلام اقيمت هذه الاية مقامها
واعلم ان العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وانه واجب الرعاية في جميع الاشياء ولنذكر له امثلة اما في الاعتقادات فالقول
بنفي الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله واحد تشريك وتجزية والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه ارباب
المذاهب ثم ان الاشعري يقول القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات
الكمال من الحيوة والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر والكلام ونفي غيرها والمعتزلي يقول بوجه آخر نفي الصفات تعطيل واثبات الصفات
الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات ازلية قديمة غير متغيرة وايضا القول بان العبد لا قدرة له اصلا جبر محض والقول بانه مستقل
في التصرف قدر محض وتفويض والعدل امر بين الامرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقهما الله تعالى فيه وايضا
القول بان الله تعالى لا يؤاخذ عبده بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلد في النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل
انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلي يقول العدل في هذه الاصول بنوع آخر وقد مر مرارا واما رعاية العدل
فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا الاحتراز عن شيء من المعاصي
وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان ان يجتنب عن كل الطيبات ويبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع
اليه حتى التزوج والاولى بالمرء ان يخصي فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلعم لان التشديد غالب في دين موسى فليس
شرع على القاتل الا القصاص وحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل الا العفو ولا يحرم وطي الحائض
والعدل ما حكم به شرعنا من جواز العفو واخذ الدية وحرمة وطي الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلعم في العبادات قيل له طه ما انزلنا عليك القران
لتشقى ولما اخذ قوم في المساهلة نزل افحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد رعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض
العقلاء والحكماء فيه ان راس ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب وغيرها فيضعف
حسه ويقل شعوره فيقل لذة الوقاع فيقل الرغبة فيه فالاختصاء وقطع الآلات كما ذهب اليه المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة
في تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة والا فلعل اللذة بعد الختان
اكثر لملاقاة الحاس المحسوس بلا حائل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون ومعناه ان مقادير العناصر لو لم يكن
معادلة متكافئة بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وانقلبت الطبايع كلها الى طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من
الارض اقل مما هو الان لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان اكثر لاستولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها
وابطائها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وقوامه وفيما مر هذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل واما الاحسان فهو المبالغة في اداء
الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ المخلص في اداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى
نفسه وبالحقيقة يدخل في الاحسان انواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف انواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم افرد بالذكر
كما مر ثم انه تعالى اودع في النفس البشرية قوى اربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه
الاخيرة لا يحتاج الى التهذيب لانها من نتائج الارواح القدسية واما الثلاث الاول فيحتاج الى التأديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون
العقل والطريقة والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط
الحاصل في اثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير ما استحقاق والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية
كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس اهلا لذلك واخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية واوسطها
الغضبية واعلاها الوهمية فلهذا بدأ سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان اصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الاية لا جرم ختمها
بقوله يعظكم لعلكم تذكرون لانها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة
قال الكعبي في الاية دلالة على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقه فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا واعلم انه لا

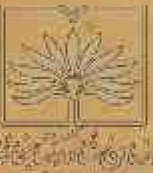
هذا ما قيل في الختان
الحكمة في الختان
ع



من ارادة الله فذكر العبد والتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من فعل العبد لان يطلب الله منه التذكر كان طلبا لما ليس في وسعه محال فيغني لعلكم تذكرون ارادة ان تكونوا على حالة التذكر لا ارادة ان تحصلوا التذكر ثم خص من جملة المامورات الوفاء بالعهد فقال واوفوا بعهد الله خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله صلعم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرائع وقيل هو اليمين والاصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه ان يكون قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله تكرارا اكد ووكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل وفي الاية دلالة على الفرق بين الايمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وايضا الاية من العمومات التي دخلها التخصيص لما روي انه صلعم قال من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات بالذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الايمان في البقرة وفي المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الاية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به ان الله يعلم ما تفعلون فيجازيكم بحسب ذلك من خير او شر وفيه ترغيب وترهيب ثم اكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة اي من بعد قوة الغزل بامرارها وفتلها قال الزجاج انتصب انكاثا على المصدر لان المعنى نقضت نكثت وزيف بان انكاثا ليس بمصدر وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول ثان كما تقول كسره اقطاعا وفرقه اجزاء اي جعله اقطاعا واجزاء فكذا ههنا اي جعلت غزلها انكاثا قلت ويحتمل ان يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذه الاية متصلة بما قبلها والتقدير واوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امراة غزلت غزلا واحكمته ثم جعلته انكاثا فعلى هذا المشبهة امراة غير معينة ولا حاجة في التشبيه الى ان يكون المشبه به موجودا في الخارج وقيل المراد امراة معينة من قريش ريطة بنت سعد بن تيم كانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لا تتخذ اي لا تنقضوا ايمانكم متخذيها بينكم اي مفسدة ودغلا وقال الواحدي اي غشا وخيانة وقال الجوهري اي مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقوله ان تكون اي لان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة هي جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان اعز منهم واشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم اعز والمعنى انما يبلوكم الله به اي بما يامركم وينهاكم وقد تقدم ذكر الامر والنهي وقال جار الله الضمير لقوله ان تكون لانه في معنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين وفقرهم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وانذرهم بقوله وليبينن لكم يوم القيامة باظهار الدرجات والكرامات للاولياء وتعيين الدركات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتنقضون عهودهم ثم بين انه سبحانه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر ابواب الايمان ولكنه بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء المعتزلة حملوا المشية على مشية الالجاء بدليل قوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا اجاب الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل روي الواحدي ان عزيرا قال يا رب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يا عزير اعرض عن هذا فاعاده ثانيا فقال اعرض عن هذا او لامحون اسمك عن النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الايمان اراد ان ينهاهم عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلعم والدليل على هذا التخصيص قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا الوعيد لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد النبي صلعم قال جار الله وحد القدم ونكر لاستعظام ان تزل قدم واحد عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع في بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض عهد الاسلام وزلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى الدركات الهاوية بيانه قوله وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله لان المرتد قد يقتدي به غيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ويحتمل ان يراد ان ذلك السوء الذي تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوم اسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هناك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان يعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال ولا تشتروا الاية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق لاهلها لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والاية حجة عليه ولنجزين الذين صبروا على ما التزموه من شرائع الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب ليجزيهم بجزاء اشرف واوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ثم عمم الوعد على اي عمل صالح كان فقال من عمل صالحا ولا كلام في عموم الاية الا انه زاد قوله من ذكر او انثى تاكيدا وازالة لوهم التخصيص والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح مستتبعا للثواب حيث قال وهو مؤمن فاستدل به على ان الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشيء غيره واختلف في الحيوة الطيبة فقيل هي في الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان في الدنيا لا يخلو من مشقة واذية ومكروه لقوله تعالى يا ايها الانسان انك

الی ربک کدحا فملاقیه بین ان هذا الکدح وهو التعب فی العمل باق الی ان یصل الی ربه واما بعد ذلک فحیوة بلا موت وغنی بلا فقر وصحة بلا
مرض وملک بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدی ان هذه الحیوة فی القبر والاکثرون علی انها فی الدنیا لقوله بعد ذلک ولنجزینهم اجرهم
باحسن ما کانوا یعملون وعلی هذا فما طیب الحیوة قیل هو الرزق الحلال وقیل عبادة الله مع الاکل الحلال وقیل القناعة او رزق یوم بیوم کان
النبی صلی الله علیه وآله یقول اللهم اجعل رزق آل محمد کفافا قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذی یصلح عمله ان کان موسرا فذاک وان کان معسرا فمعه
من القنوع والعفة والرضا بالقضاء ما یطیب عیشه واما الکافر او الفاجر فان الحرص لا یدعه ان یتهنأ بعیشه ابدا ویعظم اسفه علی ما یفوته لانه
عاشق الدنیا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما یفرح علی حب الدنیا مالها وجاهها ویستوی عنده
وجودها وفقدها وخیرها وشرها ونفعها وضرها وبرکة الصلوح والقنوع مما لا ینکرها عاقل اللهم اجعلنا من اهلها ثم ان ظاهر الایة یقتضی
ان العمل الصالح انما یفید الاثر المخصوص بشرط الایمان وظاهر قوله فمن یعمل مثقال ذرة خیرا یره یدل علی ان العمل الخیر مطلقا یفید اثرا مطلقا
فلا منافاة بینهما ثم ذکر الاستعاذة التی هی من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال فاذا قرأت القرآن ای اردت قراءته
اطلاقا للاسم المسبب علی السبب وقد مر بحث الاستعاذة مستوفی فی اول هذا الکتاب انه لیس له سلطان تسلط وولایة علی الذین آمنوا وعلی
ربهم یتوکلون وهذا معنی الاستعاذة فان معناها بالحقیقة راجع الی التبری عما سوی الله والتوجه بالکلیة الیه والاعتماد فی جمیع الامور علیه
انما سلطانه علی الذین یتولونه عن ابن عباس ای یطیعونه یقال تولیته ای اطعته وتولیت عنه ای اعرضت عنه اما الضمیر الواحد فی قوله والذین
هم به مشرکون فقیل راجع الی الرب وقیل الی الشیطان ای بسببه التأویل یوم یبعث فیه اشارة الی ان ارواح الانبیاء اشرف علی اممهم فی
حال حیوتهم وبعد وفاتهم وفیه ان الدنیا مزرعة الاخرة فلا یقبل فی القیمة اعتذار واذا رأی الذین ظلموا ای وضعوا الکفر واعمال
الطبیعة موضع الایمان واعمال الشریعة فلا یخفف عن ارواحهم اثقال الاخلاق الذمیمة ولا هم ینظرون لتبدیل من مومها یمحوها واذا
رأی الذین اشرکوا وهم عبدة الدنیا والهوی انکم لکاذبون فی انا دعوناکم الی عبادتنا فانا کنا مشغولین بتسبیح سبحانه وطاعته و
صدوا عن سبیل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذابا بالحرمان عن الکمال فوق خسران النسیان ما انسد الاستعداد
الفطری وجئنا بک شهیدا لان روحه شاهد علی جمیع الارواح والقلوب للنفوس لقوله اول ما خلق الله روحی نبیا تبیانا لکل شیء یحتاج الیه
السالک فی اثناء سلوکه ان الله یأمر بالعدل وهو وضع الآلات واسباب تحصیل الکمال فی مواضعها بحیث یؤدی الی مقام الوصال والکمال و
الاحسان وهو ان یحسن الی الخلق بما اعطاک الله کقوله واحسن کما احسن الله الیک وفی قوله وایتاء ذی القربی اشارة الی ان من جملة العدالة
رعایة حال الاقرب فیبتدئ بتکمیل نفسه ثم بما هو اقرب الیه قربا معنویا او صوریا وینهی عن الفحشاء وهو صرف ما آتاه الله فی غیر مصرفه وال
المنکر وهو ضد المعروف وهو ان لا یحسن الی غیره والبغی وهو ان لا یراعی الترتیب المذکور فی باب الارشاد والتکمیل واوفوا بعهد الله یوم
المیثاق وقد جعلتم الله علیکم کفیلا بجزائه ووفائکم ولا تکونوا کالتی نقضت غزلها فیه اشارة الی حال المرید ان تکون امة هی اهل الدنیا فی
الدنیا اعلی حالا من امة هم اهل الاخرة ولا تتخذوا ایمانکم عهودکم مع المشایخ شبکة تصطادون بها الدنیا وقبول الخلق فتزل اقدامکم
عن صراط الطلب من ذکر او انثی هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشریعة والطریقة ومن القلب التوجه الی الله بالکلیة والحیوة
الطیبة للنفس ان تصیر مطمئنة مستعدة لقبول فیض ارجعی الی ربک وللقلب ان یصیر فانیا عن انانیته باقیا بشهود الحق وجمال وجهه ویطیب عن
دنس الانانیة ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبی صلی الله علیه وآله ظاهرا او بالحقیقة لا هو ولا امته لان شیطانه اسلم علی یده فلم یحتج
الی الاستعاذة من شیطانه بل هو من خواص امته کقوله انه لیس له سلطان علی الذین آمنوا وفیه ان الشیطان لیس له تسلط علی اولیاء
الله الا بالوسوسة وفیها صلاح المؤمن فان ابریز الاخلاص قلبه لا یتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة لان المؤمن یطلع علی
بقایا صفات نفسه بما یکون الوسوسة من جنسه فیزید فی الریاضة وملازمة الذکر حتی ینجی تلک البقایا والله تعالی اعلم بالصواب

ع وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ
و چون بدل کنیم آیتی را بجای آیتی و خدا داناتر است بآنچه فرو میفرستد گویند جز این نیست که تو افترا کننده بلکه بیشتر ایشان نمیدانند بگو فرود آورده است آنرا روح پاک
مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
از پروردگار تو براستی تا ثابت گرداند آنانرا که گرویدند و راه نمودن و بشارت از برای مسلمانان و بدرستیکه ما میدانیم که ایشان میگویند جز این نیست که می آموزد او را آدمی زبان
الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
آنکه میل میکنند بسوی او عجمی است و این زبانیست عربی روشن بدرستیکه آنانکه نمیگروند بآیتهای خدا راه ننماید ایشانرا خدا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن
و از برای ایشان عذابی دردناک جز این نیست که می بندند دروغ را آنانکه نمیگروند بآیتهای خدا و آنگروه ایشانند دروغگویان هرکه کافر شد بخدا از



بعد ایمانه الا من اکره وقلبه مطمئن بالایمان ولکن من شرح بالکفر صدرا فعلیهم غضب من الله ولهم
بعد از ایمان آوردنش جز آنکه مکره کرده شد ودلش آرمیده بود بایمان ولیکن کسیکه باز شد بکفر از سینه پس برایشان خشمی از خدا ومرایشان را
عذاب عظیم ذلک بانهم استحبوا الحیوة الدنیا علی الآخرة وان الله لا یهدی القوم الکافرین اولئک الذین
عذابی بزرگ آن عذاب بسبب آن است که ایشان اختیار کردند زندگانی دنیا را بر آخرت وبدرستیکه خدا هدایت نمیکند گروه کافران را آن گروه آنانند
طبع الله علی قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئک هم الغافلون لاجرم انهم فی الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربک
که مهر نهاده خدا بر دلهاشان وگوشهاشان وچشمهاشان وآن گروه ایشانند بیخبران ناچار بدرستیکه ایشان در آخرت ایشانند زیانکاران پس بدرستیکه پروردگار تو
للذین هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربک من بعدها لغفور رحیم یوم تأتی کل نفس تجادل
مرآنانرا که هجرت کردند از بعد آنکه عذاب کرده شدند پس جهاد کردند وصبر نمودند بدرستیکه پروردگار تو از بعد آن هر آینه آمرزنده مهربانست روزیکه آید هر نفسی که مجادله کند
ع عن نفسها وتوفی کل نفس ما عملت وهم لا یظلمون وضرب الله مثلا قریة کانت آمنة مطمئنة یأتیها رزقها رغدا
از خویش وتمام داده شود هر نفسی آنچه کرد وایشان ستم کرده نشوند وزد خدا مثلی قریه که بود ایمن آرمیده که می‌آمد آنرا روزیش فراوان
من کل مکان فکفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما کانوا یصنعون ولقد جاءهم رسول
از همه جا پس کفران ورزید به نعمتهای خدا پس چشانید خدا آنرا پوشش گرسنگی وبیم بسبب آنچه بودند که میکردند وبحقیقت آمد ایشانرا رسولی
منهم فکذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فکلوا مما رزقکم الله حلالا طیبا واشکروا نعمت الله ان
از ایشان پس تکذیب کردند اورا پس گرفت ایشانرا عذاب وایشان ستمکاران پس بخورید از آنچه روزی داد شما را خدا حلال پاکیزه وشکر کنید نعمت خدا را اگر
کنتم ایاه تعبدون انما حرم علیکم المیتة والدم ولحم الخنزیر وما اهل لغیر الله به فمن اضطر غیر باغ
هستید اورا میپرستید جز این نیست حرام کرد بر شما مردار وخون وگوشت خوک وآنچه بانگ زده شد برای غیر خدا بآن پس کسیکه مضطر شد نه ستمکار
ولا عاد فان الله غفور رحیم ولا تقولوا لما تصف السنتکم الکذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علی الله
ونه عادی پس بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست ومگوئید برای وصف کردن زبانهاتان دروغ را که این حلال است واین حرام تا ببندید بر خدا
الکذب ان الذین یفترون علی الله الکذب لا یفلحون متاع قلیل ولهم عذاب الیم وعلی الذین
دروغ را بدرستیکه آنانکه میبندند بر خدا دروغ را رستگار نمیشوند بهره‌ایست کم وبرایشان است عذابی دردناک وبر آنانکه
هادوا حرمنا ما قصصنا علیک من قبل وما ظلمناهم ولکن کانوا انفسهم یظلمون ثم ان ربک للذین
یهود شدند حرام کردیم آنچه خواندیم بر تو از پیش وستم نکردیم برایشان ولیکن بودند که بر خودشان ستم میکردند پس بدرستیکه پروردگار تو مر آنانرا که
عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلک واصلحوا ان ربک من بعدها لغفور رحیم ان ابراهیم کان امة
کردند بدی را بنادانی پس توبه کردند پس از آن واصلاح آمدند بدرستیکه پروردگار تو از بعد آن هر آینه آمرزنده مهربانست بدرستیکه ابراهیم بود امامی
قانتا لله حنیفا ولم یک من المشرکین شاکرا لانعمه اجتبیه وهدیه الی صراط مستقیم وآتیناه فی الدنیا
مطیع از برای خدا حق گرای ونبود از شرک آورندگان شکر کننده مر نعمتهای او را برگزیدش وهدایت کردش براه راست ودادیمش در دنیا
حسنة وانه فی الآخرة لمن الصالحین ثم اوحینا الیک ان اتبع ملة ابراهیم حنیفا وما کان من المشرکین
نیکی وبدرستیکه او در آخرت هر آینه از شایستگانست پس وحی کردیم بسوی تو که پیروی کن کیش ابراهیم را حق گرای ونبود از شرک آورندگان
ع انما جعل السبت علی الذین اختلفوا فیه وان ربک لیحکم بینهم یوم القیمة فیما کانوا فیه یختلفون ادع الی سبیل
جز این نیست گردانیده شد شنبه بر آنانکه اختلاف کردند در آن وبدرستیکه پروردگار تو هر آینه حکم میکند میان ایشان روز قیامت در آنچه بودند که در آن اختلاف میکردند بخوان براه
ربک بالحکمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتی هی احسن ان ربک هو اعلم بمن ضل عن سبیله وهو اعلم بالمهتدین
پروردگارت بحکمت وپند نیکو ومناظره کن با ایشان بآنچه آن نیکوتر است بدرستیکه پروردگار تو او داناتر است بکسیکه گمراه شد از راهش واو داناتر است بهدایت یافتگان
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خیر للصابرین واصبر وما صبرک الا بالله
واگر عقوبت کنید پس عقوبت کنید بمانند آنچه عقوبت کرده شدید بآن واگر صبر کنید هر آینه آن بهتر است از برای صبر کنندگان وصبر کن ونیست صبر تو مگر بخدا
ولا تحزن علیهم ولا تک فی ضیق مما یمکرون ان الله مع الذین اتقوا والذین هم محسنون
واندوه مخور برایشان ومباش در تنگی از آنچه مکر میکنند بدرستیکه خدا با آنان است که پرهیزکار شدند وآنانکه ایشان نیکوکارانند

القراءة بما ینزل من الانزال ابن کثیر وابو عمرو یلحدون بفتح الیاء والحاء حمزة وعلی وخلف فتنوا مبنیا للفاعل ابن عامر والخوف بالنصب عباس عن ابی عمرو
هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذکوان فی ضیق بالکسر ابن کثیر وکذلک فی النمل لا تنوین بالفتح او توقف مکان ابراهیم الا ان جواب اذا هو قوله
والله اعلم بما ینزل جملة معترضة مفتر لا یعلمون ه للمسلمین ه بشر مبین ه بایات الله لا لان ما بعده خبر ان الیم ه ... لاختلاف الجملتین

مع العطف لكاذبون غضب من الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ه على الآخرة للعطف وابصارهم ط لاختلاف الجملتين الغافلون ه
الخاسرين ه وصبروا لا لان ان الثانية تكرار الاولى لطول الكلام بصلته وخبرهما واحد رحيم ه لا يظلمون ه يصنعون ه ظالمون ه طيبا ص للعطف
المتفقين تعبدون ه لغير الله به ج رحيم ه على الله الكذب ط لا يفلحون ه قليل ص للعطف لمتفقين ولاسيما اذا افاد رطم متاع اليم ه من قبل ج لابتداء النفي
مع النفي العطف يظلمون ه واصلحوا الابان لرحيم ه حنيفا ط من المشركين ه لا لان شاكرا وصف آخر وبدل من حنيفا لانعمه ط مستقيم ه حسنة ط الصالحين ه لان ثم
لترتيب الاخبار حنيفا ط المشركين ه اختلفوا فيه ط يختلفون ه احسن ط بالمهتدين ه عوقبتم به ط للصابرين ه يمكرون ه محسنون ه التفسير هذا شروع
في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلعم قال ابن عباس كان اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية الين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من اصحابه
يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل واذا بدلنا ومعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه
وتبديل الآية رفعها بآية اخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها والله اعلم بما ينزل شيئا فشيئا على حسب المصالح معلظا ثم مخففا او بالعكس بل اكثرهم
لا يعلمون فوائد النسخ والتبديل قال ابو مسلم اراد تبديل الآية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء اتفقوا على ان المراد
بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي ان القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى اخبر بتبديل الآية مكان الآية وضعف بانه لا يلزم من وجود التبديل
بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله اي القرآن
روح القدس هو جبرئيل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم من ربك صلة نزله اي ابتداء تنزيله
من عنده وقوله بالحق حال اي متلبسا بالحكمة والصواب ليثبت الذين آمنوا كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقول كل من الناسخ
والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصالح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في اوانه وصواب بالنسبة الى المكلف
حين ما يكلف به وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ثم
حكى شبهة اخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب
ابن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار
كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلعم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان
الفارسي ثم اجاب عن شبهتهم فقال لسان الذي واللسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذي يلحدون يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان
اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة وقد مر في آخر الاعراف ان تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه امال
مذهبه عن الاديان كلها قال ابو الفتح الموصلي تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء وضده البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه
والعجماء البهيمة وصلوة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سر واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لسانهم ولا
يتكلم بلغتهم اعجميا وقالوا زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وحاصل الجواب هب ان محمدا يتعلم المعاني من ذلك الرجل الا انه
لا يقدح في المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية ايضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا
يهديهم الله يعني ان سبب عدم ايمانهم هو ان الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بان الله لا يهديهم الى طريق الجنة
بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب اصول المعتزلة فلا ادري كيف مال اليه ثم لما بين انهم ليسوا مظاهر اللطف ومحله كان قد بقي الكلام
في جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من انه يتعلم من ذلك البشر اراد ان يبين ان الذي قالوا غير صحيح ولا صادق في نفس الامر فقال انما يفتري الكذب
وفيه ايضا رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء واولئك اشارة الى قريش او
الذين لا يؤمنون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون اذ هم ~~الكاذبين على~~ الكاملون في الكذب لان تكذيب بآيات الله اعظم الكذب
او هم الذين من شانهم الكذب وذلك هجيراهم لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ومما يدل
على كذبهم عقلا انهم اعداء له وكلام العدو ضرب من الهذيان ولا شهادة لمتهم وايضا ان امر التعليم لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج
الى مدة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وايضا ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة والمعلم يجب ان يكون اعلى حالا من المتعلم
فلو كان مثل هذا العالم الذي يتعلم منه مثل النبي صلعم موجودا في ذلك العصر لم يخف حاله وحال الناس اليه دون النبي قال بعض علماء المعاني
عطف الجملة الاسمية التي هي قوله واولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهي فعلية دال على ان من اقدم على الكذب فانه دخل في الكفر تنبيها
على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما يقول كذبت وانت كاذب زيادة في الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء
اعظم من انكار الالهية والنبوة روي ان النبي صلعم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته اراد ان يفرق بين
الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون على انه بدل مما من الذين لا يؤمنون
بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر
صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب واما من المبتدأ الذي هو اولئك او من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم

التفسير

لا يهديهم

والتعلم

أي أخص أعني من كفر وجوز بعضهم أن يكون من شرطية والجواب محذوف لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وإنما صح استثناء المكره من الكافر مع أنه ليس بكافر لأنه ظهر منه بعد الإيمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن المشركين بمكة أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام قال وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر رسول الله صلعم بأن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلعم وهو يبكي فجعل يمسح عينيه وقال صلعم إن عادوا لك فعد لهم بما قلت فمن هنا حكم العلماء بأن الإكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الإكراه أن يعذب بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وسائر الإيلامات القوية وأجمعوا على أن قلبه عند ذلك يجب أن يكون متبرئا عن الكفر وأن يقتصر على التعريض ما أمكن مثل أن يقول إن محمدا كذاب يعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر أو يذكره على نية الاستفهام بمعنى الإنكار وإذا أعجله من أكرهه عن إحضار هذه النية أو لأنه لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير تورية وطلب منه أن يقول لا أريد بقلبي سوى ما ذكره بلساني فههنا يتعين إما الكذب وإما تورط النفس كذبا بالعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضي لأن الكذب إنما يقبح لكونه كذبا فوجب أن يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لغاية بعض المصالح لم يمتنع أن يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللإكراه مراتب منها أن يجب الفعل المكره عليه كما لو أكره على شرب الخمر وأكل الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم إضرار بالغير ولا إهانة لحق الله ومنها أن يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو أكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روي أن بلالا صبر على العذاب كان يقول أحد أحد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلعم بئسما فعلت بل عظموه ولأن في ترك التقية والصبر على القتل أو التعذيب إعزازا للإسلام ومنها أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما إذا أكره على قتل إنسان أو على قطع عضو من أعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الأصلية وهل لو قتل فللعلماء قولان أحدهما لا يلزم القصاص وبه قال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه لأنه قتله عن نفسه فأشبه قتل الصائل ولأنه كالآلة للمكره ولذلك يجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال أحمد والشافعي في أصح قوليه أن عليه القصاص لأنه قتله عدوانا لاستبقاء نفسه قصاصا كما لو قتل المضطر إنسانا فأكله ومن الأفعال ما لا يمكن الإكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فلو دخل في الزنا في الوجوه علم أنه وقع بالاختيار لا بالإكراه والأصح أن الإكراه فيه متصور وأن الحد يسقط وعن أبي حنيفة أنه إن أكره السلطان لم يجب الحد وإن أكره بعض الرعية وجب قال بعض الأصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالإيمان دلالة على أن محل الإيمان هو القلب فهو إما الاعتقاد إن كان الإيمان معرفة وإما كلام النفس إن كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز وأصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل إلى النصب للمبالغة وليثنى الكلام على الإبهام ثم التفسير قوله ذلك بأنهم أي ذلك الارتداد بسبب أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة ولأجل أنه تعالى ما هداهم إلى الإيمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب لحق العذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف فيه بين الأشاعرة والمعتزلة قد مر في أول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة إلى الإعادة أولئك هم الغافلون أي الكاملون في الغفلة إذ غفلوا عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون وقال في أوائل سورة هود هم الأخسرون لأن أولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الأخسرون وهؤلاء صدوا بأنفسهم فهم الخاسرون ويمكن أن يقال إن ما قبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على ألف قبلها مثل يبصرون يفترون وفي هذه السورة اعتمدت على الألف مثل الكافرين الكاذبون فجاء وجعل في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من أكره أتبعه حال من هاجر من بعد ما فتن فقال جل الله معنى ثم إن ربك تباعد حال هؤلاء من حال عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم فينصرهم ولا يخذلهم ويحتمل أن يكون الجار متعلقا بالخبر على نية التأخير وتكرير إن لطول الكلام من قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهان فتن وافتتن بمعنى والمراد أن أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم لأن الرخصة في إظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد وأراد أن أكابر المشركين الذين فتنوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فإن الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد المستضعفين المعذبين الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الإيمان إن هاجروا وجاهدوا وصبروا فإن الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في الرسول ثم أسلموا وهاجروا فنزلت الآية فيهم فمعنى ثم تبعيد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك في أمر الرسول إلا أنه سبحانه يكرمهم يغفر لهم إذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح أمر النبي صلعم بقتله فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله صلعم ثم إنه أسلم وحسن إسلامه وهذه الرواية إنما تصح لو جعلنا الآية مدنية ومثله ما روي عن قتادة أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يقبل منهم إسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم أحسب الناس أن يتركوا

ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم على ان يخرجوا فان لحق بهم المشركون من اهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا او يلحقوا بالله
فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزلت هذه الاية والضمير في قوله من بعدها يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة
والجهاد والصبر فالحاصل ان الاية اما نازلة فيمن عذب فتكلم بردة ومع ذلك هاجروا وجاهدوا واما نازلة فيمن اظهر الكفر تقية فبين تعالى ان حاله
اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب قام بما يجب القيام به فوعد الله المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم تأتي منصوب
بقوله رحيم او باضمار اذكروا ذكرهم وانذرهم ومعنى الاية ظاهر الا ان في قوله عن نفسها اشكالا من حيث اضافة النفس الى ضمير النفس واجيب بان المراد
بالنفس الاولى جملة بدن الحي وبالنفس الثانية الذات فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك عن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول يا رب
نفسي حتى ان ابرهيم الخليل ص يفعل ذلك ثم اوعد الكفار بآفات الدنيا ايضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل ان يكون مقدرة وان يكون
مقدرة وان يكون معينة موجودة اما مكة او غيرها وذهب كثير من المفسرين الى انها مكة وقال الاقرب انها غيرها لان مثل مكة يكون غير مكة
فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم
بالاطمينان اشارة الى ان هواء ذلك البلد معتدل ملائم لامزجة اهله حتى اطمانوا واستقروا ولم يخرجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان دلالة على حصول الكفاف لهم بايسر سعي قال في الكشاف الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس قلت لعله حمله على ذلك طلب الضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا اطلاق الاكثرين ان جمع فعلة يجيء على افعل قليل تنادر وجمع القلة تنبيها
بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لاهل مكة كانوا في الامن والطمانينة
والخصب ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد ص فكفروا بها وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى اكلوا
الجيف والعظام العلهز والقد وكان النبي ص يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم نقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس
قال ابن الاعرابي لا باس ايها النسناس هب ان محمدا ص ما كان نبيا اما كان عربيا كانه طعن في الاية ان المناسب هو ان لو قيل فكساها الله لباس الجوع او
فاذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابي والذي اجاب به علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما غشي
الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف
جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد
سلف هنا تقرير هذا الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب ترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا ان
للتجريد ترجيحا من حيث انه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان اصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف
والاختبار تقول اناظر فلانا فاذوق ما عنده شعر: فال ومن يذق الدنيا فاني طعمتها ؛ وسيق الينا عذبها وعذابها ؛ فمعنى ذوق لباس
الجوع والخوف على فلان تعرف ما ظهر عليه من الضمور وشحوب اللون وتغير الحال وكسوف البال فمعنى الاية عرفها الله اثر لباس الجوع و
قيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد فعلهم بالنبي ص من التكذيب
والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات اجريت على القرية الا قوله يصنعون تنبيها على ان المراد في الحقيقة اهلها ولما ذكر المثل
والممثل قال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم من انفسهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون قال ابن
عباس يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس اولى والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم فاتركوا الكفر
فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فاكل الغنائم بسبب ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله ص حين جهدوا
وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله ص فاذن في الحمل فحمل الطعام
اليهم فذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بانه تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال
الطيب هو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم وانه سبحانه اعاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة وفي الانعام وفي هذه السورة قطعا
للاعذار وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان كتحليل الميتة والدم فقال ولا
تقولوا لما تصف السنتكم الكذب قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف السنتكم
تقولوا هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية ايضا اي لا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام بوصف السنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة ودليل ويجوز ان تكون ما موصولة ولا تقولوا
للذي تصف السنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظ فيه لكونه معلوما وقوله تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كان
ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله لتفتروا لام العاقبة لا الغرض
المقصود من ذكره بيان انه كذب على الله فان قوله لما تصف السنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم اوعد المفترين بقوله ان الذين يفترون الاية

سورة النحل

نبيا اما كان صح

لا ان اطلاق الذوق على ازالة الجوع والخوف صح

وقوله متاع قال الزجاج اى متاعهم وعن ابن عباس اراد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
او ان نعيم الدنيا كلها يزول عنهم عما قريب ويبقى العقاب له دائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ثم قال وما ظلمناهم كقوله هناك ذلك جزيناهم
ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة في موضع الحال اى عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متاملين في العاقبة لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعدها من بعد تلك التوبة والتوبة او الجهالة
ولما بالغ في ابطال مذاهب المشركين ونبه الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابرهيم ص رئيس الموحدين وقدوة اكابر النبيين ذكره الله
تعالى في اخر هذه السورة قائلا ان ابرهيم كان امة اى هو وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه امة وكان رسول الله ص يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله وحده
وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه اربعة عشر يدفع بهم الله عن اهل الارض الا زمن ابرهيم فانه وحده وقيل امة بمعنى مأموم اى يؤمه
الناس ليأخذوا منه افعال الخير او بمعنى مؤتم به كقوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب وفيه خصلة كان له
لامته الامتياز عن سواهم قانتا لله قائما بما امره الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا مائلا لملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن عباس
المراد انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى ولم يك من المشركين قط لا في الصغر ولا في الكبر شاكرا لانعمه وان كانت قليلة فضلا عن
النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى
الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى
صراط مستقيم اى ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي ان الله تعالى حبّبه الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل
قبول قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين في اعلى مقاماتهم من الجنة تخصيصا له على وجه التحقيق بالصالحين قال في
الكشاف معنى ثم في قوله ثم اوحينا اليك بتعيد هذا النعت من بين سائر النعوت التي اثنى الله بها على ابرهيم ليعلم ان اجل ما اوتي خليل
الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرها كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال اهل النظم كان لسائل ان يسئل
لم اختار اليهود السبت مع ان ابرهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله سبحانه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فاختاره بعضهم
للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة ايام يوما واحدا فابوا ان
يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا
نريد ان يكون عندهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة عن النبي صلعم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله
له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول
الاول بان اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغ ويمكن ان يقال لعل فيهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم وقع الاختلاف سؤال النصارى
يقولون ان يوم الاحد مبدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه اهل الملل ان الله تعالى خلق العالم في ستة ايام اولها الاحد فجعله عيدا معقولا و
اليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذي قد فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فلم جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو ان يوم الجمعة
يوم التمام والكمال وحصول التمام يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا اولى به ثم اوعد اليهود بقوله وان ربك ليحكم بينهم ولما امر محمدا باتباع ابرهيم صلعم وجه
المتابعة فقال ادع الى سبيل ربك الاية وفيه ان طريقته ص في الدعوة كانت هكذا وتقريره ان الداعي الى مذهب ونحلة لا بد ان يكون
قوله مبنيا على حجة وهي اما ان تكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة احتمال النقيض واما ان تكون مفيدة للظن القوي والاقناع والاول لا يمكن
ملتفتا اليها في العلوم وقد يكون الجدل والخصام غالبا على المدعو فيحتاج الى الزامه وافحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة
عند الجمهور او من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او من مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة
لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما يكون مع الطالبين البالغين في الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال
الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة واهل هذه المكالمة اقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى الا انهم باقون على الفطرة
الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان لكن الداعي قد يضطر مع الخصم
الالد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله وجادلهم بالتي اى بالطريقة التي هي احسن فكان طريق
الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعي اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعي محقا
وغرضه صحيحا فان كان مبطلا واراد تغليط السامع لم يكن جدلا حسنا ويسمى دليله مغالطة هكذا ينبغي ان يتصور تفسير هذه الاية فان كلام المفسر
الظاهرين فيه غير مضبوط وجوز في الكشاف ان يريد القرآن اى ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم باحسن طرق المجادلة

والابرهيم ... من عمل بالسبت ... فجعل عليهم السبت تم

وحرموه تارة تم

ابرهيم تم

الجدال والخصام ... فالجدال

من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس الى النبي وانما ذلك الى الله تعالى فقال
ان ربك هو اعلم الاية اي هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدورتها وصفائها وبمن جعل الدعوة سببا لسعادتها او واسطة لشقائها
ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المألوف والفطام منه شديد وربما يجر المقاولة الى المقاتلة فرخص المدعي في اتباع
ورعاية العدل والانصاف في حال القتال فقال وان عاقبتم اي ان رغبتم في استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه
عامة وقيل بخصوصها وذلك اسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول
الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلعم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به ان اظفرني الله بهم لامثلن
سبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده قاله ابن عباس في رواية عطا وابي بن كعب ومن هذا ذهبوا الى ان خواتيم سورة النحل مدنية
ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا
يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد
والنخعي وابن سيرين انه نهي للمظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفي قوله وان عاقبتم رمز الى ان الاولى ان لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت
تاكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح قائلا ولئن صبرتم لهو خير اي صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء
من الله عليهم او وصفا لهم بالصفة التي تحصل لهم وجعل الصبر خيرا للصابرين عليهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما يهون الصبر على النفس
فقال وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا السبب كلي مفيد للصبر واما السبب الجزئي القريب فذلك قوله ولا تحزن عليهم
ولانك وذلك ان اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وانه لا يهيج الا عند فوات نفع واشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم
فيكل اي على قتلى احد وما على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين والحين توقع مكروه في المستقبل واشار الى ذلك بقوله ولا تك في
ضيق من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذي يشجع عليه امن الالتباس لان الضيق وصف فهو يكون في الانسان
ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة اخرى وهي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على انه مصدر
ايضا وعلى انه مخفف ضيق فمعناه في امر ضيق وانما لم يقل ولا تكن بالنون كما في اخر النمل موافقة لما قبله ولم يك من المشركين ولان الحزن ههنا
اكثر بناء على انها وردت في قتل حمزة فبولغ بالحذف في النهي عن الحزن ثم ختم السورة بانه جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي كلها والذين هم محسنون في الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الريا وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة
والذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فان اردت ان اكون معك بالنصر والتأييد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى
الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له اوص فقال انما
الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل التأويل واذا بدلنا اية اشارة انه تعالى يعالج بدواء القرآن امراض القلوب في كل وقت بنوع اخر على
ما يعلمه من الصلاح فلذلك قال والله اعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب في معالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر
ان طب القلوب وعلاجها من شان البشر نظر العقل لانه مبني على معرفة الامراض واسبابها وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها
ومعرفة الامزجة واختلاف احوالها وان القلوب بيد الله يقلبها هو كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم
واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر هو الذي
لا يفهم من كلام الله اسراره وحقائقه والعربي ضده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفتري الكذب لان الافتراء من شان النفس الامارة الكافرة التي لا
يؤمن بآيات الله واولئك هم الكاذبون اي هم الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال الا انه لا يصر على ذلك وهكذا في
جميع المعاصي ولهذا لا يخرج من الايمان بالكلية ولكن ينقص الكذب ايمانه ويرجع بالتوبة الى اصله قال النبي صلعم ما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب
حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد بعد تنسمه روائح نفحات الحق بمشام قلبه عند هبوبها واستطالة
سالم الباطن وانحراف سحب البشرية فلمع له برق ضاء من افاق سماء القلب واشرقت ارض النفس فامر بمحبة الطلب لطالب واحتمل
التعب فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما اضاءت ما حوله وبذل في الاجتهاد حده وحوله هبت نكباء النكبات فصدت نزغات الطبيعة
ذهب الله بنوره وانخمدت نار الطلب وآل المشوم الى طبعه الا من اكره على مباشرة فعل او قول يخالف الطريقة من معاملات اهل الطبيعة
فيها في الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يخلص من شوم صحبتهم استحبوا اختاروا المحبة الدنيا وشهواتها على محبة الله
القوم الكافرين مع ستر واولئك هم الغافلون عما اعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاعضاء عن العبودية يورث خسران القلوب عن
مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا انفسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة امر الحق ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات
وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تاتي ارباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقائها ووجودها دفعا لمضادها

اوجدن بالمنافع بها حتى ان كل نبي يقول نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه فان بالكلية عن نفسه باق ببقاء ربه فيقول امتي امتي لانه مغفور ذنب وجوده المتقدم
في الدنيا والمتاخر في الآخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ اجيب بخطاب سلام عليك ايها النبي فنفى عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة
فكان رحمة مهداة يبر كافة الى الناس كافة ولكن رفع الذلة من تلك الضيافة وجب لمتابعيه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
يعني الذين صلحوا لبذل الحق بالوجود في طلب المقصود قرية هي قرية شخص الانسان كانت امنة اهلها وهو الروح الانساني مطمئنة
بذكر الله ياتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحاني وجسماني فكفرت النفس الامارة فاذاقها الله لباس الجوع وهو انقطاع مواد التوفيق
فاكلوا من جيفة الدنيا ومشتهيات المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الرباني فما تخلفوا باخلاقه
وكلوا مما رزقكم الله من انوار الشريعة واسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة اهل العبادة الا بالحنة وعلى الذين هادوا اي تابوا ورجعوا
من موانع الوصول ما قصصنا عليك في بدء نبوتك حتى كنت محرزا عن صحبة خديجة وتحبيبا لي حرا اسبوعا واسبوعين وما ظلمناهم بتحريم
ذلك عليهم بل نعمنا به عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين ممن له شركة مع الله في
الوجود اتبع ملة ابراهيم الظاهر حتى يتبعك هو في الباطن ولهذا ذهب الى ربه مشيا اني ذاهب الى ربي واسرى بمحمد راكبا سبحان الذي اسرى
بعبده فهو خليل وانت حبيب يتبع الخليل في الدنيا فيتبعك الخليل في الآخرة الناس محتاجون الى شفاعتي يوم القيمة حتى ابرهيم وان
عاقبتم بنفس الامارة فعاقبوا اي بالغوا في عقابها بالفطام عن مالوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب
ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عتاب الحبيب على قدر عقاب العدو وهي اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على
معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله ولا يقدر احد ان يتصف بصفاته الا بان يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن
على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها اصلاح حالهم ومالهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه

لان الصبر من صفات الله

سورة بني اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله وقل جاء الحق وحروفها ستة الاف واربع مائة وستون وكلماتها الف
الف وخمسمائة وثلاثة وستون بسم الله الرحمن الرحيم اياتها مائة واحدى عشرة

من جزء الخامس عشر

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ
مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا
مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ
لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي
بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ
عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ع
وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا

وَكُلَّ اِنسَانٍ اَلْزَمْنٰهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كِتٰبًا يَلْقٰيهُ مَنْشُورًا اِقْرَاْ كِتٰبَكَ كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ

عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدٰى فَاِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى وَمَا

كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولًا وَاِذَا اَرَدْنَا اَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

فَدَمَّرْنٰهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفٰى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا مَنْ كَانَ

يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلٰيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَ

مَنْ اَرَادَ الْاٰخِرَةَ وَسَعٰى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ

وَهٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ وَلَلْاٰخِرَةُ اَكْبَرُ دَرَجٰتٍ وَاَكْبَرُ

تَفْضِيلًا القراءة يتخذ وبالياء الغيبة ابو عمرو وعباس مخيرا الباقون بتاء الخطاب ساتم بالمد ابو عمرو ويزيد والفتحهما عن ورش والاعشى وحمزة
في الوقف ليسوءا الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد ولنسوء بالنون علي الباقون ليسوءا على الجمع ويبشر مخففا
حمزة وعلي ويخرج بالياء مجهولا يزيد ويخرج لازما يعقوب الاخرون بالنون متعد يلقاه مشددا ابن عامر ويزيد وروى النقاش عن
ابن ذكوان بالامالة الباقون مخففة وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة اقرا كتابك بغير همز الاعشى واوقية وحمزة في الوقف امرنا من باب المفاعلة
يعقوب الوقوف الجزء الخامس عشر بآياتنا البصير لمن قرا يتخذ وبتاء الخطاب لامكان ان يجعل نحو يتبعه منادى نوح شكورا كبيرا الدنيا
مفعولا نفيرا فليها لان ما بعده عائد الى قوله فاذا جاء وعد اوليهما مع اعتراض العوارض تتبيرا يرحمكم للابتداء بالشرط مع العطف عدنا
حصيرا من توهم العطف حصيرا كبيرا لا للعطف اليما بالخير عجولا والحساب تفصيلا عنقه منشورا كتابك حسيبا لتعذر الشرط لنفسه
للشرط مع العطف عليها اخرى رسولا نذيرا نوح بصيرا جهنم لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف مدحورا مشكورا عطاء ربك
محظورا بعض تفضيلا التفسير لما عزم على نبيه في خواتيم النحل جوامع مكارم الاخلاق حكى طرفا مما اختصه به من المعجزات فقال سبحان الذي
وهو اسم علم للتسبيح وقد مر اعرابه في قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل ما لا يليق بجلاله واسرى وسرى لغتان يروى
انه لما وصل النبي صلعم الى المراتب العلية في معراجه اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك فقال يا رب بنسبتي الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان
الذي اسرى بعبده وقوله ليلاً نصب على الظرف وفيه تاكيد الاسراء وفي تنكيره تقليل مدة الاسراء لان التنكير فيه معنى البعضية اخبر
انه اسرى به في بعض الليل من المسجد الحرام عن النبي صلعم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا اتاني جبرئيل بالبراق
قيل المراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب الاكثرون قالوا انه اسرى به
من دار ام هاني بنت ابي طالب قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس بالاتفاق سمي به
الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء
من وقت موسى ع ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله اسرى مع قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات لنريه
من آياتنا بيان لحكمة الاسراء سؤال اري ابرهيم ع ملكوت السموات والارض واري محمد صلعم بعض آياته فيلزم ان يكون معراج ابرهيم افضل
الجواب لعل بعض الآيات المضافة الى الله تعالى اشرف واجل من ملكوت السموات والارض كلها ولهذا ختم الآية بقوله انه هو السميع لاقوال
محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على انه اسرى بجسد رسول الله صلعم
والاقلون على انه ما اسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلعم
لكن عرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها ان الحركة الجسمانية البالغة في السرعة
الى هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده الى السموات يوجب الخرق في الفلك ومنها انه لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون بمحضر
من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه وما الفائدة في اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها ان الانسان عبارة عن الروح و
لانه باق من اول عمره الى اخره والاجزاء البدنية في التغير والانتقال والباقي مغاير للمتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا

وكلا آية

التفسير

معراج النبي

عن جميع جوارحه واعضائه ومنها قوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما تلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت
فتنة للناس لان كثيرا ممن امن به حين سمعها ارتد وكفر به ومنها ان حديث المعراج الجسماني اشتمل على اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره
بماء زمزم وركوب البراق وايجاب خمسين صلوة فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء اجاب الاكثرون عن الاول
بان حركة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف القطر الى نصف الدور ونسبة الواحد الى ثلثة امثال وسبع هي نصف
حركة الفلك في يوم بليلته واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان اولى ولو كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعا لكان القول بنزول
جبرئيل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا لان الملائكة ايضا اجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول في حركات الجن والشياطين وقد
سخر الله تعالى لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان
عرش بلقيس في اقصى اليمن وسليمان في الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع وعلى قول من يقول ان الابصار انما يكون بانتقال شعاع العين
من البصر الى الكواكب الثابتة في ان واحد فثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه اقصى ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصا
بهذه الصورة وانما ذلك امر حاصل في جميع المعجزات وعن الثاني ان انخراق الافلاك عند حكماء الاسلام جائز وعن الثالث ان فائدة الاسراء
قد عادت اليه حيث شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيهما وعليها فحصل في قلبه زيادة قوة وطمأنينة بها انقطعت علقته عن الكونين
ولم يبق مشغول القلب بشيء من امور الدنيا والاخرة وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس ان تلك الرؤيا هي
غير حكاية المعراج كما يجيء في تفسيره ولو سلم انها هي المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية وعن السادس انه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من افعاله
وانه على كل شيء قدير واعلم انه ليس في الاية دلالة على العروج من بيت المقدس الى السموات والى ما فوق العرش الا انه ورد الحديث به
ومنهم من استدل على ذلك باول سورة النجم او بقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعيهما يروى انه كان صلى الله عليه وسلم نائما في بيت
ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون وصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد
فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسرى به من مكة الى بيت المقدس ومنه عرج الى السماء وراى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة
المنتهى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به
ورجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعتوه المسجد فجلي له صلى الله عليه وسلم بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا
اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو
الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يؤمنوا و
قالوا ما هذا الا سحر مبين ولما حكى طرفا من اكرام موسى فقال وآتينا موسى الكتاب اي التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل اخرجناهم بواسطته
من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الا تتخذوا ومن قرأ على الغيبة فان ناصبة وكلام العاقبة محذوف والمعنى لئلا يتخذوا ومن قرأ
على الخطاب فان مفسرة ومعناها اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا او زائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم يا ذرية من حملنا مع نوح قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لانه كان معه في السفينة ثلثة بنين سام وحام ويافث و
كلهم من ذريته اولئك فقوله يا ذرية قائم مقام قوله يا ايها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القرائتين احتمل
ان ينتصب على انه مفعول اول ليتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين
مع نوح عيسى وعزير ثم علل النهي عن الاشراك بقوله انه كان عبدا شكورا اي انتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعلوه اباكم
اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص في بني اسرائيل والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح
فهم متصلون به فلهذا استاهلوا الاختصاص وجوز في الكشاف ان يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد يروى من شكره انه اذا كان اذا
اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني
ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو
شاء حبسه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به ثم ذكر ان كثيرا من بني اسرائيل ما اهتدوا بهدى التورية
فقال وقضينا الى بني اسرائيل اوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التورية وقوله لتفسدن جواب قسم محذوف
او اجرى القضاء المبتوت مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين ولتعلن لتعظمن ولتستولن على الناس علوا
كبيرا تسلطا عظيما وبغيا شديدا فاذا جاء وعد عقاب اوليهما اولى المرتين بعثنا ارسلنا وسلطنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
اصحاب نجدة وشدة في القتال فجاسوا ترددوا للغارة خلال الديار اوساطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس وكان وعد العقاب وعدا

مفعولا لابد من وقوعه ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والغلو وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتجت الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثنا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء والقدر وان الفساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله واجابت المعتزلة بان المراد انه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس واحراق التورية وقتل حفاظها وضعف بان تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على ان الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء الكل اليه ومما يحكى عنهم انهم حين عصوا سلط عليهم اعداهم مهد قاعدة كلية في الاحسان والاساءة فقال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها لم يقل فعليها او فاليها للتقابل مع ان حروف الاضافة تقوم بعضها مقام البعض قال اهل الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الا مرة ففيه دليل على ان جانب الرحمة اغلب فاذا جاء وعد عقاب المرة الاخرة بعثناهم حذف جواب اذا لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسؤا وجوهكم ليجعلها الله او الوعد او البعث او ليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها لان اثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب انما تظهر على الوجه وليتبروا ما علوا ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه ويجوز ان يكون ما بمعنى المدة اي مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله تتبيرا ذكر المصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر وروي ان بني اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك اول الفسادين فسلط الله عليهم بختنصر وسنحاريب جنوده او جالوت عن ابن عباس فقتلوا علماءهم واحرقوا التورية وسبوا منهم سبعين الفا وبقوا في الذل الى ان قيض الله ملكا آخر من اهل بابل وتزوج بامراة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم اقدموا على قتل زكريا ويحيى ع وقصدوا قتل عيسى بن مريم ع وهذا ثاني الافسادين فانتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس ارميا والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى واعلم انه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القرآن هو انهم كلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم اعداءهم وفيه عبرة للعقلاء من مخالفة اوامر الله ونواهيه ثم قال عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية وان عدتم للثالثة عدنا لها قال اهل السير ثم انهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد ص وكتمان ما ورد من نعته في التورية والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا حشمة لهم ولا عزة فيهم في عذاب الى يوم القيمة واما بعد ذلك فهو قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا حاصرا او محصورا لا يتخلصون منه ابدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد ص وموسى ع وفي عبيده العاصين كاكثر بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة الله توجب كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وغرامة عظم شان القرآن المبين للاحكام الهادي للانام فقال ان هذا القرآن يهدي للتي اي للحالة او الشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة يعرفها اهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب الوهم كل مذهب قيل هذا الشيء اقوم من ذلك انما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ثم يكون للاول فضل على الاخر وكيف يتصور في غير هذا الدين شيء من الاستقامة حتى يستقيم التفضيل واجيب بان افعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان ويمكن ان يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله الواجب بالذات وكالتزام لاصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين السياسات الا ان بعض الخلل ابطل الكل فالكل منهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القرآن هاديا الى الاعتقاد الاصوب والعمل الاصلح نتيجته واثره ذلك هو البشارة بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم وخبر بان لفظ البشارة بمعنى الانذار يستعمل للتهكم اذ البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة لكنه قيل وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويجوز ان يبشر المؤمنين ببشارتين احديهما بثوابهم والاخرى بعذاب اعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة واجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا اما من اهل التقوى واما من اهل الشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك قلت هذا الجواب عجيب فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا ان حكمه يجب ان يذكر في القرآن الذي فيه اصول الاحكام على ان ذكر الفساق من الامة في القرآن المكي والمدني موجود قال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم واذا كان ذكرهم في القرآن واردا فانه تعالى بعد ههنا اوصاف القرآن على جهة المدح فاي مقام ادعى الى ذكر هذا الوصف من ههنا والجواب الحق ان الذين كانوا ينكرون الفسقة جعلوا تابعين اهل الايمان والله اعلم قيل هذه الاية واردة في شرح احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالاخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فانهم بالاخرة كلا ايمان فبعضهم انكروا المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما واعلم انه سبحانه قال ههنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف اجرا حسنا رعاية للفاصلة ولان الاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين ان القرآن كافي في الهداية ذكر ان الانسان قد يعدل عن التمسك باحكامه فقال ويدع الانسان اي جنس الكافر وقد ذكر جمع من المفسرين انه النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو

الحق



ربع الجزء الخامس عشر

في الشركة بسمها الله

الحق فاضرب عنقه فاجاب الله دعاءه وضرب رقبته صبرا وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب الله وآخرون متى هذا الوعد جهلا منهم و
اعتقادا ان محمدا صلعم كاذب وقيل المراد انه يدعو الله عند غضبه وضجره باللعن على نفسه وولده وماله ولو استجيب له في الخير لهلك ويروى انه صلعم
دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما
اصبح النبي صلعم دعا به فاعلم بشأنه فقال صلعم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلعم اني سألت
الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وكان الانسان عجولا يتعجل
بالعذاب مع انه اتاه او يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله معتقدا ان خيره فيه وان كان ذلك عند التأمل مضرا له وقيل
اراد بهذا الانسان آدم وذلك انه لما انتهى الروح الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما رأى فذهب لينهض فلم يقدر وليس هذا القول بالحقيقة
مغايرا للاول لان اصل الآدمي اذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفا به لا محالة قال اهل النظم لما ذكر نعمة الدين وهو القرآن اردفها
بنعمة الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار آيتين وفيه ان القرآن لا يتم المقصود منه الا بنوعيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع
به الا بجزئيه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه كالليل في خفائه وبوجه آخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد واكدها بدليل
آخر من عجائب الزمان وبوجه آخر لما وصف الانسان بكونه عجولا اي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة بين ان كل احوال هذا العالم
كذلك فينتقل الهواء من الانارة الى الظلام وبالعكس وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد فمحونا آية الليل هي من اضافة الشيء الى
نفسه للبيان كقولك نفس الشيء وذاته اي فمحونا الآية التي هي الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان
ما في اللوح الممحو وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة ذات ابصار وذلك باعتبار من فيها اي يبصر فيها الاشياء وتستبان او اريد بالابصار الاضاءة
لانها سببه وقيل المضاف محذوف والتقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع
الشمس ترى به الاشياء رؤية غير بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار او
بشعاع الشمس المستلزم للنهار الى التصرف في وجوه معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين او بزيادة ضوء القمر ونقصانه عدد السنين الشمسية
او القمرية المركبة من الشهور ولتعلموا جنس الحساب المبني على الساعات والايام والشهور والسنين والادوار وقيل اراد بمحو القمر الكلف الذي في
وجهه وسببه في الشرع ما روي ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فارسل الله تعالى جبرئيل فامر جناحه على وجه القمر فاذهب عنه الضوء
وسببه عند الفلاسفة انه ارتكز في وجه القمر اجسام قليلة الضوء كارتكاز الكواكب في اجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام اقل ضوءا من جرم القمر
لا جرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان ونحن قد ذكرنا له وجها آخر في الهيئة قال اهل التجارب ان اختلاف احوال القمر في مقادير
النور له اثر عظيم في احوال هذا العالم ومصالحه لا سيما في احوال البحار والبحرانيين على ما يذكره الاطباء الا ان الكلف ليس له مدخل في ابتغاء فضل
الله وفي معرفة الحساب بالتفصيل نعم لو قيل ان الكلف نقص من نور القمر حتى لم يشوش على الناس ظلام الليل بالكلية فيبقى وقت السكون والاستراحة
ووقت التردد في طلب المعاش بحاله وصار تعاقب الليل والنهار سببا لمعرفة الايام وما يتركب منها كان متجها ثم قال وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم
ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس حتى انزاحت العلل وزالت الاعذار فلا يهلك من يهلك الا عن بينة فلذلك قال وكل انسان الزمناه
طائره اي عمله في عنقه وبوجه آخر لما شرح احوال آيتي القمر والنهار والليل لابتغاء المعاش وللدعة والراحة ولمعرفة المواقيت وكان الغرض الاصلي من
الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الافعال واصلاح الاقوال ذكر ان الانسان مؤاخذ في عرصة القيامة باقواله وافعاله وسائر احواله
ليظهر انه هل اتى بما هو المقصود من خلقه ام لا قال اكثر اهل اللغة ان العرب اذا ارادوا الاقدام على عمل من الاعمال اعتبروا احوال الطائر انه يطير
بنفسه او يحتاج الى ازعاج واذا طار فهل يطير متيامنا او متياسرا او صاعدا في الجو الى غير ذلك من الاحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل
واحد منها على ما يسوؤهم او يسرهم من خير او شر فاطلاق الطائر على العمل تسمية للشيء باسم لازمه وقال ابو عبيدة الطائر عند العرب الحظ و
يقول له البخت فالطائر ما وقع للشخص في الازل مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كأنه طائر يطير اليه من وكر الازل
وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية له ولا غاية الا ان انتهى الى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وفي هذا دليل على انه لا يظهر
في الابد الا ما حكم الله به في الازل والكفاية الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية وانه سبحانه انما اكد هذا المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله في
عنقه توجيه هذا الامر في عنقه الى مخلد تكره والزمته الاحتفاظ فكان كان خيرا زينة كالطوق وان كان شرا شينة كالغل ومن امثال
العرب تقلدها طوق الحمامة ونخرج له من قرأ بالنون فظاهر وقوله يلقيه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول يلقاه و
من قرأ بالمجهول او لازما فالضمير للطائر وكتابا حال منه ثم بقى لعيب الشيء ولقابه عن الحسن يا ابن آدم بسطت لك الصحيفة وطويت في قبرك
معك ثم اذا بعثت فخلدتها في عنقك اقرأ كتابك على اضمار القول قال قتادة يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قارئا وبنفسك فاعل كفى و
حسيبا تمييز بمعنى حاسب انه كثير من فعيل بالضم كضريب بمعنى ضارب من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه ضريب القداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق بحسيب من قولك حسب عليه كذا او يجوز ان يكون الحسيب بمعنى الكافي ثم وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان

بلغ مقابلة



الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وذكر حسيبا بمعنى رجلا حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والغالب ان الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة والنفس اول بالشخص او حمل فعيل بمعنى فاعل على فعيل بمعنى مفعول كقتيل ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن عدل والله في حقك من جعلك حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وروي انه يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفته وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في جوف صحيفته وهو يقرأها حتى اذا ظن انها قد اوبقته قال الله تعالى له فقد غفرتها لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره ويصير من الذين قال الله في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة قال الحكيم التكرار يوجب تقرير الآثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا وشرا فانه يحصل منه في جوهر روحه اثر مخصوص الا ان ذلك الاثر يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانها كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فحينئذ يزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وانه لا ينافي ما ورد في النقل ثم بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى الى قوله وزر اخرى قال الجبائي فيها دلالة على ان الاطفال لا يعذبون بكفر آبائهم وان الوزر والاثم ليس من فعل الله والا لم يؤاخذ العبد به كما لا يؤاخذ بوزر غيره بل كان يجب ان لا وزر اصلا لان الصبي لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة ان الوزر مختص بافعال المكلفين من الثقلين وقد جرحت عائشة بذلك في صحة ما رواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء اهله واستدل به جماعة من الفقهاء في الامتناع من ضرب الدية على العاقلة ويمكن ان يجاب بانه عام والا وقد خص اما قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فقد استدل به الاشاعرة في ان وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا يتقرر معناه الا بترتب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية اجاب الخصم بانه لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان النبي اذا جاء وادعى المعجزة فهل يجب على السامع قبول قوله والتأمل في معجزته ولا يجب والثاني باطل بالاتفاق وعلى الاول ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم اثبات الشيء بنفسه وان كان غيره دار او تسلسل وبوجه اخر اذا اوجب الشيء بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى لذلك الا ترتب العقاب على الترك او الفعل ثم انه يجب على المكلف ان يحترز عن العقاب ولا يجب لا سبيل الى الثاني بالاتفاق وعلى الاول يلزم الوجوب العقلي والا لزم الدور او التسلسل ثم ان مذهب اهل السنة جواز العفو عن عقاب الكبيرة فماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب بدلالة ذم مع جواز العفو فلم يبق الا ان ماهية الواجب انما يتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب ولا يكون هذا الخوف الا بمحض العقل فثبت ان الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما ان يجري الآية على ظاهرها ويبقى العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقرر رسالة احد من الرسل ومجيء الانبياء كالتنبيه على النظم كالايقاظ من رقدة الغفلة والجهالة وان كانت لازمة لهم قبل بعثة الرسل الا انها بعد البعثة الزم واما ان يخصص عموم الآية فيقال المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الا بعد مجيء الشرع ومما ارتضاه الامام فخر الدين الرازي ان مجرد العقل سبب في انه يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك ما يستضر به اما مجرد العقل لا يدل على انه يجب على الله شيء وذلك انا مجبولون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر والله تعالى منزه عن ذلك وللقائل ان يقول انه سبحانه منزه عن الانتفاع والاستضرار الا انه حكيم جواد فلا يقبح من الحكيم الجواد ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده والحكيم لا يترك الاحسن فيصدر ذلك الاحسن منه البتة هو الذي لك ان تسميه وجوبا كما وصف به نفسه في قوله كان على ربك حتما مقضيا وكم من آية في القرآن دالة على ان الفعل قد يصدر منه بحيث لا يحتمل النقيض من ذلك قوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها للمفسرين في معنى امرنا قولان الاول ان المراد به الامر الذي هو نقيض النهي وعلى هذا اختلفوا في المامور به فالاكثرون على انه الطاعة والخير وقال في الكشاف معناه واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم بالفسق ففسقوا ولما كان من اصول الاعتزال انه تعالى لا يأمر بالفحشاء ذكر ان الامر بالفسق ههنا مجاز ووجهه انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكان ايتاء النعمة سببا لايثارهم الفسوق على الائتمار فكانهم مامورون بذلك ثم جعل تقدير امرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكليف بعلم الغيب لم يجوز ان تكون من قبيل امرته فعصى فانه يفهم منه ان المامور به طاعته ولكنه حكم بانه مثل امرته فقام وامرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة وللقائل ان يقول كما ان قوله امرته فعصى يدل على ان المامور به شيء غير المعصية لمنافيته للامر ومناقضته له فكذلك قوله امرته ففسق يدل على ان المامور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المامور به فكونه فسقا ينافي كونه مامورا به كما ان كونه معصية ينافي كونها مامورا بها وهذا ظاهر فلا ادري لم اصر جار الله على قوله مع ضعفه ومخالفته اصله القول الثاني ان معنى امرنا مترفيها اكثرنا فساقها قال الواحدي تقول العرب امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وامرهم ايضا الله واحتج ابو عبيدة على صحة هذه اللغة بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة فالسكة النخل المصطفة والمهرة المامورة النتاج و

فيكون مع

النظر د

حمل بعضهم الحديث على الامر ضد النهي اي قال الله لها كوني كثيرة النسل فكانت وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر اي سيكثر ويكبر والمترف في اللغة المنعم الذي قد ابطرته النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها اي خرجوا عما امرهم الله فحق عليها القول استوجبت العذاب فدمرناها تدميرا اهلكناها على سبيل الاستئصال قالت الاشاعرة ظاهر الآية يدل على انه تعالى اراد اهلاكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق ويؤيده قوله فحق عليها القول اي بالكفر ثم التعذيب قال الكعبي ان سائر الآيات دلت على انه تعالى لا يبتدئ بالتعذيب كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فتلك الآيات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال في التفسير الكبير احسن الناس كلاما في تأويل هذه الآية القفال فانه ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علمه حجة على من علم انه عصى بل يأمر حتى يظهر عصيانه للناس فح يعاقبه ومعنى الآية واذا اردنا اهلاك قوم بسبب ظهور العصيان منهم لم نعاجلهم بالعذاب في اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصي وخص المترفين بذلك لان نعمة الله عليهم اكثر فكان الشكر عليهم اوجب فاذا لم يرجعوا واصروا صب عليهم البلاء صبا وزعم الجبائي ان المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة ليس المعنى ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما عنيت انه سيصير الى ذلك فمعنى الآية واذا قرب وقت اهلاك قرية وقد نقلنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفى انه عدول عن الظاهر ثم ذكر ان هذه عادته الجارية مع القرون الخالية فقال وكم اهلكنا فكم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له اراد بهم عادا وثمودا ونحوهما ثم خاطب رسوله بما هو ردع للناس كافة فقال وكفى بربك الآية قال الفراء انما يجوز ادخال الباء في المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه او يذم كقولك كفاك به واكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما وقام باخيك وانت تريد قام اخوك وفي الآية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة الشاملة يقتضي ايصال الجزاء الى كل احد بقدر استحقاقه ثم اكد المعنى المذكور من قوله وكل انسان الزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه بقوله من كان يريد العاجلة اي المنفعة او الدار العاجلة عجلنا له فيها ثم قيد المعجل بقيدين احدهما قوله ما نشاء ولهذا نرى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما قوله لمن نريد وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير راجع الى من وهو للعموم ولهذا نرى كثيرا منهم يتمنون البعض اليسير من الدنيا ولا يؤتون فيجتمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الآخرة بل عذابها لقوله ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة بان يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور وسعى لها سعيها اي حق السعي لاجلها ولا بد ان يكون الذي يتوسل به الى الفوز بثواب الآخرة من جملة القرب والطاعات وعلى قوانين الشرع والعقل لا البدعة والهوى وهو مؤمن لان شيئا من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقديم الايمان فاولئك كان سعيهم مشكورا قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع امور ثلاثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بافعال تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله سبحانه تعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة لانه يعلم كونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثني عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات الدالة على كونهم مطيعين عند الله وفي قوله من كان يريد العاجلة دون ان يقول من اراد العاجلة كما قال ومن اراد الآخرة اشارة الى ان مريد نفع الدنيا لا يكون مذموما الا اذا كان غالبا في ذلك ثابت القدم فيه لا مثل مريد الآخرة يكون محمودا بادنى التفاته بعد وجود الشروط قالت الاشاعرة ان مجموع القدرة مع الداعي هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه اعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان للعبد واستتبع الثناء الدائم صار العبد ايضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة لا نشكر الله على الايمان لان المدح على عمل لم يعمله المادح قبيح قال تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما اعطانا من القدرة والعقل وانزل الكتب واوضح الدلائل واعلم انه تعالى ذكر صنفين من الناس قاصد خيرات الدنيا وقاصد خيرات الآخرة وههنا ثلاثة اقسام اخر الاول ان يكون طلب الآخرة في عمله راجحا فقيل انه غير مقبول ايضا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فيقع في حيز القبول الثاني ان يكون طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا راجحا واتفقوا على ان هذين القسمين ايضا لا يفيدان الا انهما على كل حال خير من الرياء المحض ثم بين كمال رأفته وشمول رحمته فقال كلا اي كل واحد من الفريقين نمد اي نزيدهم من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله هؤلاء بدل من كل ومن عطاء ربك متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه انظر يا محمد او يا من له اهلية النظر والاعتبار الى عطائنا المباح للفريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فاوصلناه الى مؤمن وقبضناه عن مؤمن آخر واوصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر آخر ليكون بعضهم تحت تسخير بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضيل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل التأويل نزه نفسه بقوله سبحان عن الاتحاد الكلي ولكن اخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله اسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن الاغيار

وقوله بعبده اشارة الى مقام تفتح نسبة العبد بعبادته التي هي آخر مقامات السالكين وقوله ليلا رمز الى ذلك الجذب كاد يكون خفيا عن الجذب اذا
كان ذاهلا عن انانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيه الالتفات الى ما سوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفناء في الله الذي باركنا
حوله بالبقاء بالله لنريه من آياتنا التي لم تسمع اذن ولا ابصر عين انه هو السميع البصير فلا يصل احد اليه الا اذا سمع به وابصر به هذا ما خطر بال
الضعيف في تاويل هذه الآية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطائه والا فمني ومن الشيطان فجاسوا خلال الديار الجسدانية بالقتل وفك
التركيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة لتخريب بيت مقدس القلب ثم رددنا لكم الكرة عليهم
باستيلاء داود القلب وقتل جالوت النفس وامددناكم باموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد الآخرة حين ارتد عن الطريقة
ليسوءوا وجوه قلوبكم بعجب سوء اعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل او ان عدتم الى الندم عدنا الى الكرم او ان عدتم الى العبودية عدنا الى
الربوبية او ان عدتم الى التقربات عدنا الى الجذبات وجعلنا ليل البشرية ونهار الروحانية فمحونا آية الليل وهي قمر القلب فيه نور العقل
حين تطلع شمس شهود الحق وهي آية النهار فاذا طلع الصباح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا من ربكم وهو تجلي ذاته وصفاته وقد اختص الانسان
به من بين المخلوقات ولتعلموا ايام الطلب وحساب الترقي من مقام الى مقام وكل شيء يحتاج اليه السالك بيناه بالاشارات من كان يريد العاجلة
انقلب الانسان بين اصبعي قهر الرحمن ولطفه وبحسب ذلك يحول وجهه الى الدنيا حتى يؤل امره الى دركات البعد او يحوله الى الآخرة حتى يصل الى درجات الوصال والله
ع المستعان على ما تصفون لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوْمًا مَّخْذُوْلًا وَقَضٰى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّآ اِيَّاهُ

گردان مکن با خدا — خدای دیگر پس بنشینی نکوهش کرده شده واگذاشته شده — و حکم کرد پروردگار تو که مپرستید — مگر او را

وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا اِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ اَحَدُهُمَآ اَوْ كِلٰهُمَا فَلَا تَقُلْ لَّهُمَآ اُفٍّ وَّلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيْمًا

و بوالدین نیکویی کردن اگر برسند نزد تو به پیری — یکی از ایشان یا هر دو ایشان پس مگو مر ایشان را اف و زجر مکن ایشان را و بگو مر ایشان را سخن خوب

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيٰنِيْ صَغِيْرًا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا فِيْ نُفُوْسِكُمْ اِنْ تَكُوْنُوْا صٰلِحِيْنَ

و فرود آور برای ایشان بازوی تواضع را از مهربانی و بگو پروردگارا رحمت کن ایشان را چنانچه پرورش کردند مرا در خردی پروردگار شما داناتر است بآنچه در نفسهای شماست اگر باشید نیکوکاران

فَاِنَّهٗ كَانَ لِلْاَوَّابِيْنَ غَفُوْرًا وَاٰتِ ذَا الْقُرْبٰى حَقَّهٗ وَالْمِسْكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيْرًا اِنَّ الْمُبَذِّرِيْنَ

پس بدرستیکه او هست بازگشتگان را آمرزنده — و بده صاحب قرابت را حق او — و بیچاره را — و ره گذر را و تبذیر مکن تبذیر کردنی — بدرستیکه اسراف کنندگان

كَانُوْٓا اِخْوَانَ الشَّيٰطِيْنِ وَكَانَ الشَّيْطٰنُ لِرَبِّهٖ كَفُوْرًا وَاِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوْهَا

باشند برادران — شیاطین — و باشد شیطان مر پروردگار خود را ناسپاس — و اگر اعراض کنی از ایشان برای طلب رحمتی از پروردگار تو که امید میداری آن را

فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُوْرًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً اِلٰى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوْمًا مَّحْسُوْرًا

پس بگوی مر ایشان را گفتار نرم — و مگردان دست خود را بسته بگردن خود و مکش آن را همه گشادن — پس بنشینی ملامت کرده شده محروم

اِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيَقْدِرُ اِنَّهٗ كَانَ بِعِبَادِهٖ خَبِيْرًا بَصِيْرًا وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ

بدرستیکه پروردگار تو گشاده میکند روزی را برای آنکه خواهد و تنگ میگرداند بدرستیکه او باشد به بندگان خود آگاه بینا — و مکشید فرزندان خود را — از بیم تنگدستی

اِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَاِيَّاكُمْ اِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْاً كَبِيْرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنٰٓى اِنَّهٗ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيْلًا

ما روزی میدهیم ایشان را و شما را بدرستیکه کشتن ایشان باشد گناهی بزرگ — و نزدیک مروید زنا را بدرستیکه آن باشد کار زشت و بد است راه

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوْمًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهٖ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفْ

و مکشید نفسی را — که حرام کرده خدا — مگر بحق — و کسیکه کشته شد مظلوم — پس بتحقیق که دادیم مر ولی او را تسلط پس نباید اسراف کند

فِّي الْقَتْلِ اِنَّهٗ كَانَ مَنْصُوْرًا وَلَا تَقْرَبُوْا مَالَ الْيَتِيْمِ اِلَّا بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهٗ وَاَوْفُوْا

در کشتن بدرستیکه او هست یاری کرده شده — و نزدیک مروید بمال یتیم — مگر بآنکه آن بهتر است تا برسد بکمال قوت خویش — و وفا کنید

بِالْعَهْدِ اِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُوْلًا وَاَوْفُوا الْكَيْلَ اِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوْا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيْمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَّ

بعهد بدرستیکه عهد باشد پرسیده شده — و تمام کنید پیمانه را چون پیمایید و وزن کنید بترازوی راست — این بهتر است و

اَحْسَنُ تَاْوِيْلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ اُولٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ

خوبتر بعاقبت — و پیروی مکن آنچه نباشد — مر ترا بآن دانشی بدرستیکه گوش — و چشم و دل — همه اینها — باشد از آن

مَسْئُوْلًا وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرَحًا اِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْاَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُوْلًا كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ

پرسیده شده — و راه مرو در زمین از روی کبر و ناز بدرستیکه تو هرگز نخواهی درید زمین را و هرگز نرسی بکوهها در بلندی — همه اینها باشد

سَيِّئُهٗ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوْهًا ذٰلِكَ مِمَّآ اَوْحٰٓى اِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ فَتُلْقٰى

نصف الحزب الخامس عشر

فی جهنم ملوما مدحورا افاصفیکم ربکم بالبنین واتخذ من الملائکة اناثا انکم لتقولون قولا عظیما القراءة
در دوزخ ملامت کرده شده رانده شده پس آیا مخصوص کرد شما را پروردگار شما بپسران و گرفت از فرشتگان دختران بدرستیکه شما هر آینه میگوئید سخن بزرگ یبلغان
مثنی حمزة وعلی وخلف اف بالجر والتنوین ابو جعفر ونافع وحفص اف بالفتح ابن کثیر وابن عامر وسهل ویعقوب غیر مجاهد خطأ والمفضل
والباقون بالکسر نبسطها کل البسط مثل بسطه خطأ بفتحتین من غیر مد یزید وابن ذکوان غیر ابن مجاهد خطاء بالفتح ثم السکون ابن مجاهد
عن ابن ذکوان خطاء بالکسر والمد ابن کثیر الباقون بالکسر ثم السکون فلا تسرف علی الخطاب حمزة وعلی وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذکوان
بالقسطاس بکسر القاف حیث کان حمزة وعلی وخلف وعاصم غیر ابی بکر وحماد والمفضل وقرأ ابو نشیط والشمونی عن النقار بالصاد سیئه
علی اضافة شیء الی ضمیر کل حمزة وعلی وخلف وعاصم وابن عامر وسهل الاخرون سیئة علی التانیث الوقوف مخذولا ه احسانا ط کریما ه صغیرا ه
فی نفوسکم ط غفورا ه تبذیرا ه الشیاطین ط کفورا ه میسورا ه محسورا ه ویقدر ط بصیرا ه املاق ط وایاکم ط کبیرا ه فاحشة ط سبیلا ه الا بالحق ط لان الشرط
فی امر قد یقع نادرا خارجا عن النهی فی القتل ما منصورا ه اشده بالعهد علی تقدیر فان مسئولا ه المستقیم ط تأویلا ه به علم ط مسئولا ه مرحا ج لاحتمال
اضمار الفاء او اللام طولا ه مکروها ه الحکمة ط مدحورا ه اناثا ط عظیما ه التفسیر لما اجمل اعمال البر فی قوله وسعی لها سعیها وهو مؤمن اخذ فی تفصیل
اخذ فی التفصیل سالکا مسلک مبتدئا باشرفها الذی هو التوحید فقال لا تجعل مع الله الها آخر والخطاب للنبی ص فی الظاهر ولکنه فی الحقیقة عام
للمکلفین ویحسن ان یقال ان الخطاب للانسان کانه قیل یا ایها الانسان لا تجعل او القول مضمر ای قل لکل مکلف لا تجعل ومما یؤید ذلک قوله
وقضی ربک فان ذلک الخطاب لا یلیق بالنبی ص لان ابویه ما بلغا الکبر عنده وانتصب قوله فتقعد علی انه جواب للنهی والفاء فی التحقیق عاطفة
والتقدیر لا یکن منک جعل فقعود وفیه وجوه منها ان المراد به المکث یقال ما یصنع فلان فیقال هو قاعد باسوء حال ای ماکث سواء کان قائما
او جالسا ومنها ان من شأن المذموم المخذول ان یقعد نادما متفکرا علی ما فرط منه فالقعود علی هذا حقیقة ومنها انه کنایة عن عدم القدرة
علی تحصیل الخیرات فان السعی فیه انما یتأتی بالقیام والعجز عنه یلزمه ان یبقی قاعدا عن الطلب ومنها انه بمعنی الصیرورة من قولهم شحذ الشفرة
حتی قعدت کانها حربة بمعنی صارت ولا ریب ان المشرک جامع علی نفسه الذم والخذلان لانه لشرکه یضیف بعض النعم الحاصلة له حقیقة من
الله الی غیره فیستوجب الذم بالکفران ویستحق الخذلان من حیث انه لما فوض امره الی الشریک المعدوم او العاجز الناقص بقی بلا ناصر ومعین
وایضا الکمال فی الوحدة والنقصان فی الکثرة فمثبت الشریک واقع فی جانب النقصان فیورثه الذم والخذلان ولما ذکر ما هو الرکن الاعظم
فی الایمان اتبعه سائر الشعائر والشرائع فقال وقضی ربک ای امر امرا جزما وحکما قطعا ان لا تعبدوا ای بان لا تعبدوا فان ناصبة
ویجوز ان یکون مفسرة والفعل نهی معناه ای لا تعبدوا وقد روی الضحاک وسعید بن جبیر ومیمون بن مهران عن ابن عباس انه
کان الاصل فی هذه الآیة ووصی ربک وبه قرأ علی وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرئ وقضی ربک ثم قال ولو کان علی القضاء
ما عصی الله احد قط لان خلاف قضاء الله ممتنع وضعف هذا القول بانه یوجب تجویز وقوع التحریف والتصحیف فی القرآن امر بعبادة نفسه
ثم اردفه بالامر ببر الوالدین والتقدیر بان تحسنوا بالوالدین او واحسنوا بالوالدین احسانا ولا یجوز ان یتعلق الباء فی بالوالدین
بالاحسان علی ما ذهب الیه الواحدی لان المصدر لا یتقدم علیه صلته وقد مر فی اوائل البقرة تفسیر قوله وبالوالدین احسانا وانه لم یجعل
الاحسان الیهما تالیا لعبادة الله حکی ان واحدا من المتسمین بالحکمة کان یضرب اباه ویقول هو الذی ادخلنی فی عالم الکون والفساد وعرضنی
للفقر والعمی والزمانة وقیل لابی العلاء المعری ماذا نکتب علی قبرک فقال اکتبوا علیه هذا جناه ابی علی وما جنیت علی احد وقال فی ترک
التزوج والولد : وترکت فیهم نعمة العدم التی : سبقت وصدت عن نعیم العاجل : ولو انهم ولدوا لعانوا شدة : ترمی بهم فی موبقات
الآجل : وقیل للاسکندر استاذک اعظم منة علیک ام والدک فقال الاستاذ اعظم منة لانه تحمل انواع الشدائد والمحن عند تعلیمی
اوقفنی فی نور العلم فاما الوالد فانه طلب تحصیل لذة الوقاع لنفسه فاخرجنی الی آفات عالم الکون والفساد ومن هنا قیل خیر الآباء من علمک
وقال العقلاء وهب ان الوالد فی اول الامر طلب لذة الوقاع الا انه اهتم بایصال الخیرات الی الولد ودفع الآفات عنه من اول دخول الولد فی الوجود
الی ان یکبر بل الی آخر عمره لا ینکر ولا یکفر ولهذا نکر احسانا ای احسنوا الیهما احسانا عظیما کاملا جزاء علی وفور احسانهما الیک علی
ان البادی بالبر لا یکافأ لانه اسبق منه ثم فصل طرفا من الاحسان المأمور به فقال اما یبلغن هی ان الشرطیة زیدت علیها ما الابهامیة
لتاکید معنی الشرط ثم ادخلت النون المشددة لزیادة التقریر والتاکید کانه قیل ان هذا الشرط مما سیقع البتة عادة فلیکن هذا الجزاء
مرتبا علیه والا فالتقریر والتاکید لا یلیق بالشرط الذی مبناه علی التردد الحکیم وقال النحویون ان الشرط کالنهی من حیث الجزم وعدم
الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤکدة فیه ومن قرأ الفعل علی التوحید فقوله احدهما او کلاهما فاعل له لکن الاول بالاستقلال والثانی
بتبعیة العطف ومن قرأ علی التثنیة فاحدهما بدل من الف الضمیر الراجع الی الوالدین وکلاهما عطف علی البدل لا لاستلزام العطف
المشارکة دون المباینة وکلا مفرد لفظا مثنی معنی عند البصریین ومثنی لفظا ومعنی عند الکوفیین اصله کل المفید للاحاطة فخفف بحذف احدی اللامین
وزیدت الف التثنیة لتعرف ان المراد الاحاطة فی المثنی لا فی الجمع وضعف بانه لو کان کذلک لوجب ان یقال فی الخفض والنصب مررت بکلی الرجلین

ذکوان والی ج

التفسیر

نکتة

بدل مثل ولا یصح ان یکون توکید التثنیة معطوفا علی الکل صح

بکلا

بكسر التاء كقوله طرفي النهار يا صاحبي السجن قال في الكشاف معنى عندك هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته
وكنفه وهما اسما الافعال وفي اف لغات ضم الهمزة مع الحركات في الفاء الثلاث بالتنوين وبدونه واف بكسرتين بلا تنوين واني مما لا يكثر
واف بكسر الفاء منونة وقد تتبع المنونة نفة فيقال اف ونف وهي من اسماء الافعال وفي تفسيرها وجوه قال الفراء تقول العرب فلان يتأفف من ريح
وجدها اي يقول اف اف قال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون
به وقيل معنى اف القلة من الافيف وهو الشيء القليل وتف اتباع له نحو شيطان ليطان وخبيث نبيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابي ان الاف الضجر
وقال القتيبي اصله انه اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل اف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه
يصل اليهم وقال الزجاج معناه النتن وبه فسر مجاهد الاية اي لا تتقذرهما كما لم يتقذراك حين كنت تخرأ وتبول وفي رواية اخرى عن مجاهد اذا وجدت منهما رائحة
تؤذيك فلا تقل لهما اف اي لا تقل لهما تضجرت او انضجرت قال بعض الاصوليين منع التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الاذية دلالة لفظية ومعنى
الاية لا تتعرض لهما بنوع من انواع الايذاء والايحاش كما ان قولك لا يملك فلان نقيرا ولا قطميرا يدل في العرف على انه لا يملك شيئا اصلا
وقال الاكثرون منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة اخرى فاذا اردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما ان يكون
الحكم في محل السكوت اخفى من الحكم في محل المذكور وهو اكثر القياسات واما ان يتساويا كقوله صلعم من اعتق نصيبا من عبد قوم عليه الباقي فان
الحكم في الامة والعبد يتساويان واما ان يكون الحكم في محل المسكوت اظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التأفيف فانه مغاير للمنع من الضرب عقلا
لان الملك الكبير اذا اخذ ملكا آخر عدوا له فقد يقول للجلاد اياك وان تستخف به او تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبته فهذا معقول في الجملة
الا ان قرينة تعظيم الوالدين صيرته من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى فدل على المنع من جميع انواع الايذاء ثم اكد هذا المعنى بقوله ولا تنهرهما
والنهر والنهي اخوان يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا مشتملا على حسن الادب ورعاية دقائق المروءة
والحياء والاحتشام وقال عمر بن الخطاب القول الكريم ان يقول له يا ابتاه يا اماه دون ان يسميهما باسمهما وقول ابرهيم لابيه آزر بالفتح على النداء بتقديم
لحق الله على حق الابوين قالوا ولا بأس به في الغيبة كما قالت عائشة نحلني ابو بكر كذا وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد
المذنب للسيد الفظ واخفض لهما جناح الذل ذكر القفال في معنى خفض الجناح وجهين الاول ان الطائر اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له
جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكأنه قال للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك
والثاني ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع
وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان الاول انها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل او الذلول والثاني سلوك
سبيل الاستعارة كانه تخيل للذل جناحا ثم اثبت لذلك الجناح خفضا كقول لبيد اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت للشمال يدا
ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله من الرحمة في معنى التعليل اي من اجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر
خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك التي لا دوام لها ولكن وقل رب ارحمهما كما ربياني ليس المراد رحمة مثل رحمتهما علي وانما الكاف لاقتران
الشيئين في الوجود اي كما وقع تلك فليقع هذه والتربية التنمية ربا الشيء اذا انتفخ وزاد قال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل مخصوص لان التخصيص اولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا
كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي
في العمر مرة واحدة رب ارحمهما وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في كل يوم مرة او في كل شهر ام في كل سنة فقال نرجو
ان يجزيه اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه فكانوا يرون الصلوة عليه في التشهد وكما قال الله
تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يكررون في ادبار الصلوة قلت وينبغي ان يدعو لهما ايضا كلما ذكرهما او ذكر شيئا من انعامهما وسئل ايضا
عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين وعن النبي صلعم رضا الله
في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي عن سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلعم ان ابوي بلغا من الكبر
اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما و
شكا رجل الى رسول الله صلعم اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه
شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني فكنت لا امنعه شيئا انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلعم
وقال ما من حجر ولا مدر يسمع ذلك الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك مرتين وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين
حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها
واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا
بعث اليه ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها ثم قال سبحانه ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما في ضمائركم من الاخلاص وعدمه

وغير منونة صح

لا تتقذرهما كما انهما لم يتقذراك صح

في كل الطاعات إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر إلى الوالدين ثم فرط منكم ما در في حقهما فانبتم إلى الله واستغفرتم منها فانه
كان للأوابين غفورا اللام للعهد كما روي عن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك الا الخير او للجنس فيشمل كل من فرطت منه
جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على اثره ثم وصى بغير الأبوين من الأقارب بعد التوصية بهما فقال وآت ذا
القربى حقه قيل الخطاب لرسول الله صلعم أن يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء والغنيمة وأوجب عليه اخراج حق المساكين وابناء السبيل
أيضا من هذين المالين والأظهر انه خطاب لكل انسان كما في قوله وقضى ربك وأما الحق المأمور به للأقارب فهو إذا كانوا محارم كالأبوين
والولد وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب كان الرجل موسرا أن ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعي لا ينفق إلا على الولد والوالدين وإن كانوا
مياسير أو لم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة على السراء والضراء وفي عطف المسكين وابن السبيل على
ذي القربى دليل على أن المراد بالحق الحق المالي وقد تقدم وصف المسكين وابن السبيل في البقرة وفي التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال كما
يفرق البذر وهو الاسراف المذموم كانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتنفق اموالها في الفخر والسمعة كما ذكروا ذلك في اشعارها فنهوا عن ذلك
وامروا بالانفاق فيما تقرب إلى الله قال ابن مسعود التبذير انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا ثم بالغ في تقبيح
شأن التبذير فقال إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أي أمثالهم في الشرارة واصدقاءهم من حيث انهم يطيعونهم في الامر بالاسراف
أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا لأنه يستعمل قواه البدنية في المعاصي والافساد والاضلال وكذلك من
رزقه الله مالا او جاها فصرفه إلى غير مرضاة الله كان كفور النعمة الله ثم علم ادبا حسنا في رد السائل إذا اقتضى الأمر إليه ذلك ضرورة فقال وإما
تعرضن عنهم وكان النبي صلعم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء والقول الميسور الرد بالطريق الأحسن وقيل اللين السهل قال
في الكشاف يسر الأمر له القول أي لينه وقيل القول المعروف كقوله قول معروف ومغفرة خير وذلك أن القول المتعارف لا يحوج إلى تكلف وقيل
ادع لهم بأن يسهل الله عليهم أسباب الرزق أي دعاء فيه يسر قال جار الله قوله ابتغاء رحمة إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أي فقل لهم قولا
سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة من الله ترجوها بسبب رحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أي وإن اعرضت عنهم لفقد رزق من
ربك ترجوا ان يفتح لك فردهم ردا جميلا فسمي الرزق رحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فالفقد سبب الابتغاء فاطلق
المسبب على السبب وجوز أن يكون الاعراض كناية عن عدم الاعطاء فإن من ابى أن يعطي اعرض بوجهه ولما ذكر ادب المنع ونهى عن التبذير صرح
بادب الانفاق فقال ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك وهو تمثيل لغاية الامساك بحيث يضيق على نفسه واهله في سلوك سبيل الانفاق
ولا تبسطها كل البسط اي لا توسع في الانفاق بحيث لا يبقى في يدك شيء وحين نهى عن طرفي التفريط والافراط المذمومين بقي الخلق الفاضل
المسمى بالجود وهو العدل الوسط ثم بين غائلة استعمال الطرفين فقال فتقعد ملوما عند الناس بالبخل محسورا بالاسراف أي منقطعا عن المقاصد
بسبب الفقر من قولهم بعير محسور منقطع عن السير ولا شك أن المال مطية الحوائج والآمال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وإبقاء الأهل والولد
في الضر والمحنة وعن جابر بينا رسول الله صلعم جالس أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال صلعم من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى
أمه فقالت له قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة
فنزلت الآية وقيل اعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصين فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيد :: بين
عيينة والأقرع :: وما كان حصن ولا حابس :: يفوقان جدي في مجمع :: وما كنت دون امرئ منهما :: ومن تضع اليوم لا يرفع :: فقال صلعم يا أبا بكر
اقطع لسانه عني اعطه مائة من الإبل فنزلت ثم انه تعالى سلى نبيه صلعم بأن الذي يرهقه من الاضاقة ليس لهوان منه على الله ولا لبخل به عليه ولكنه
تابع لمشية الخالق الرازق فقال إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يضيق إنه كان بعباده وبمصالحهم خبيرا بصيرا فالتفاوت في الارزاق
ليس لأجل البخل ولكن لرعاية الصلاح ويمكن أن يكون مراد الآية أن البسط الكلي والقبض بالكلية من شأن الرب الخبير البصير وليس للعباد الا الاقتصاد
ويحتمل أن يراد انه تعالى مع غاية قدرته وسعة جوده يراعي وسط الحالتين فلا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته
وتخلقوا باخلاقه وفي الآية دلالة على انه هو المتكفل بأرزاق العباد فلذلك قال بعده ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وايضا لما علم كيفية
البر بالوالدين اراد ان يعلم كيفية البر بالأولاد فبر الاباء مكافاة وبر الابناء ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء النوع الانساني لان
قتل الاولاد إن كان لخوف الفقر فهو سوء الظن بالله وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم والاول ضد التعظيم لأمر الله
والثاني ضد الشفقة على خلق الله ومن رغب عن تجنب الولد فكانه رغب عن جوه قال :: ولدا المؤمن منه جنى ملحالة :: أمر يودع الترب منه جوا :: وكانوا
يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على القتل والغارة وايضا كانوا يخافون أن فقرها ينفر اكفاءها عن رغبة فيحتاجوا
إلى انكاحها من غير الأكفاء وفي ذلك عار شديد فبين الله سبحانه أن الموجب للرحمة والشفقة كونهم ولدا ولذا نسبهم قال أولادكم وبين أن الخوف
من الفقر لا وجه له لأن الله هو الرزاق لكل وكثيرا ما يكون الابن افقر من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين يشتركان في الانفاق عليهما
قبل البلوغ ولما نهى عن قتل الأولاد المستند على افناء النسل ذكر النهي عن الزنا المفضي إلى مثل ذلك ولا اقل من اختلاط النسب فقال ولا تقربوا

الكشاف

الزنى وهذا آكد من ان يقول لا تزنوا ثم علل النهي بقوله انه كان فاحشة اي خصلة متزايدة في القبح وساء سبيلا اي سبيله فاستدل القائلون
بالتحسين والتقبيح العقليين بهذا التعليل في ان الاشياء لا تحسن ولا تقبح بذواتها بل لوجوه عائدة اليها في انفسها وان تكاليف العباد واقعة
على وفق مصالحهم في المعاش والمعاد ومن مفاسد الزنى اختلاط الانساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص
معين لم يكن لاحد التزام تربيته اولى من الآخر وكذا المرأة التي زنى بها اذا لم يوجد سبب شرعي للرجل في ضم ذاتها الى نفسه اختصاصا بها لم يحصل الالفة والمحبة
ولا يتم السكون والازدواج وينوب كل رجل على كل امرأة اراد بحسب شهوته ومقتضى طبعه فيهيج بالفسوق والحروب بعد التشبه بالبهائم وايضا
ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة ولكن المقصود الكلي هو ان يكون شريكة له في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بامور الاولاد والعبيد
ولن يتم هذه المقاصد الا اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وايضا الوطء يوجب الذل والعار ولهذا لا يرتكب
الا في الاماكن المستورة وفي الاوقات المعلومة فاقتصار المرأة على الواحد من الرجال سعي في تقليل ذلك العمل وكفى في قبح الزنى ان مرتكبه من الرجال
والنساء يستقذره كل عقل سليم ويحط بذلك عن درجة الاعتبار وقد ذكر في التفسير الكبير انه تعالى وصف الزنى وآية اخرى بكونه مقتا لان
الزانية تصير ممقوتة مكروهة وهو وهم لان ذلك قد ورد في اول سورة النساء في نكاح منكوحات الآباء قال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وانما نبهنا عليه لئلا يغتر غيره في السهو وما نزع من التكليف الا احتياطا الخامس عشر قال ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله وفي التصريح بالتحريم بعد النهي تأكيد للحظر ولا ريب ان الاصل في قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر والاصل في المضار الحرمة
ولان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحيوة وكمال البنية ولكن الحل انما يثبت لاسباب عرضية فلهذا قال الا بالحق وهذا مجمل
فبين ذلك الحق بقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي تسلطا على استيفاء القصاص فظاهره يدل على انه لا سبب لحل القتل الا ان
قتل مظلوما وظاهر قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضي ضم شيئين آخرين اليه فرعا
على القول بتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ويحتمل ان يقال قوله ومن قتل مظلوما كلام مستأنف والحديث بتمامه تفسير لقوله الا بالحق فلا
يلزم التفريع المذكور ثم انه دلت آية اخرى على حصول سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وآية اخرى على سبب خامس
وهو الكفر الاصلي اقتلوهم حيث ثقفتموهم هذا وقد اثبت الفقهاء اسبابا اخر منها ان تارك الصلوة يقتل عند الشافعي دون ابي حنيفة و
كذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري وجوز بعضهم قتل من يمنع الزكوة ومن يأتي البهيمة والذين منعوا القتل في هذه الصور قالوا
الاصل حرمة القتل كما بيناه فلا يعول على هذا الدليل الا لمعارض اقوى لا اقل من ان يساوي هو النص المتواتر ثم انه سبحانه اثبت لولي الدم
سلطانا ولم يبين ان هذه السلطنة بم تحصل فيها اذا فضل انه لما قال فلا يسرف في القتل عرف ان تلك السلطنة انما تحصل في استيفاء القتل و
قيل معناه فلا يسرف في القتل انه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية بقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الى
قوله فمن عفي له الآية فالاولى بان لا يقدم على استيفاء القتل وان يكتفي بالعفو واخذ الدية فثبت ان هذه الآية لا يجوز التمسك بها في مسئلة
ان موجب العمد القصاص وعن الشافعي ان التنوين في قوله مظلوما للتنكير فيدل على ان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يدخل
تحت هذا النص فيعلم منه ان المسلم لا يقتل بالذمي لان ذنبه غير مغفور كالمشرك ولان النصارى قائلون بالتثليث وقد قال تعالى
اقتلوا المشركين فثبت ان الذمي غير كامل في المظلومية فلا يندرج في الآية وايضا ليس فيها دلالة على ان الحر يقتل بالعبد لانها وان كانت
عامة الا ان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على العام من قرأ فلا تسرف بالتاء الفوقانية فعلى خطاب الولي او قاتل المظلوم
ومن قرأ على الغيبة فالضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد ان الضمير في قوله انه كان منصورا
للولي اي حسبه ان الله قد نصره بايجاب القصاص فلا يستزد عليه او نصره بمعونة السلطان والمؤمنين فلا يتبع ما وراء حقه واما المظلوم فلان الله
نصره في الدنيا بايجاب القصاص على قاتله وفي الآخرة باعطاء الثواب اما الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على
المسرف ولما ذكر النهي عن اتلاف النفوس في المبادي وفيما ورائها اتبعه النهي عن اتلاف الاموال وكان اهمها بالحفظ والرعاية مال اليتيم فقال
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي بالطريقة التي هي احسن وهي تثميره وانماؤه روى مجاهد عن ابن عباس اذا احتاج الولي اكل بالمعروف فاذا
ايسر قضاه وان لم يوسر فلا شيء عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور حتى يبلغ اليتيم اشده بان يكمل قواه العقلية والحسية كما
مر في الانعام واوفوا بالعهد يتناول كل عقد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانون في المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا
دل دليل خاص على ضده ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او هو على حذف المضاف والمراد ان صاحب
العهد مسئول او هو تخييل كانه يقال للعهد لم نكثت تبكيتا للناكث كقوله واذا الموؤدة سئلت ثم امر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما
يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالقرسطون وقيل كل ميزان صغير وكبير والاصح انه لغة العرب من القسط النصيب العدل
وقيل رومي معرب ذلك الايفاء والوزن المعتدل خير من التطفيف واحسن تأويلا عاقبة من آل اذا رجع اما في الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراز
عن الخيانة مالت القلوب اليه وعول الناس عليه فينفتح عليه ابواب المعاملات واما في الآخرة فظاهر قال الحكيم ان نقصان الكيل والوزن قليل

والوعيد عليه شديد والغار فيه عظيم فيجب على العاقل ان يحترز عنه ثم امر باصلاح اللسان والقلب فقال ولا تقف اي لا تتبع من قولك قفوت
فلانا اي اتبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو كل بيت القبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار اقدام الناس ويستدلون بها على
احوالهم في النسب والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة
فقيل نهي المشركين عن تقليد اسلافهم في الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس هل
عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك
وسمعته اذناك ووعاه قلبك وقيل المراد النهي عن القذف ورمي المحصنين والمحصنات بالاكاذيب كانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها
في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول
يقال في قفاه ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج اي يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها
هي غسالة اهل النار من القيح والصديد احتج نفاة القياس بالاية زعما منهم ان الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم واجيب بان العلم قد يراد
الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وانه لا يفيد الا الظن
سلمنا لكن الظن وقع في التصريف لان الشرع قد اقام الظن الغالب مقام العلم وامر بالعمل به وزيف بانه دليل قاطع على وجوب العمل بالظن الغالب
لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه انما كان قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة
قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بان الدليل الذي عولتم عليه وهو هذه الاية
تمسك بعام مخصوص للاتفاق على ان العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات واروش الجنايات وكذا
الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا ليحل ذبيحته او الوارث ليحصل التوارث والميت ليدفن في مقابر المسلمين وبالحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة
في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال المعينة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال صلعم
نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الاية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز التمسك بهذه
الاية وكل ما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به واجيب بانا نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلعم ان التمسك بآيات القرآن جائز ورد
بان كون العام المخصص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهي بقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الاعضاء الثلاثة وان لم
يكن من ذوات العقول كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا قال في الكشاف عنه في موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب
عليهم وفيه نظر لان المسند اليه للفعل او شبهه لا يتقدم عليه والصواب انه فاعل مسئولا المحذوف والثاني مفسر له وكيف يسئل
عن هذه الجوارح قيل يسئل صاحبها عما استعملها فيه لانها آلات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها في الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب
وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسئلها عن افعالها ولا تمش في الارض مرحا نصب على الحال مع انه مصدر اي ذا مرح وهو شدة الفرح وفي وضع المصدر
موضع الصفة نوع من التأكيد مثل زيد ركضا وهو نهي عن مشية اهل الخيلاء والكبر انك لن تخرق الارض لن تثقبها بشدة وطأتك ولن
تبلغ الجبال طولا مصدر في موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له او مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الآدمي بانه في حال انحطاطه
لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به ان يتكبر ويتجبر كانه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة
من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل انه مثل ومعناه كما انك لن تخرق الارض في مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا
فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك وعجبك وفيه يأس للانسان من بلوغ ارادته كل ذلك كان سيئه من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكور من
قوله لا تجعل مع الله الها آخر بعضها حسن وهو المأمورات وبعضها سيئ وهو المنهيات فالمعنى ان ما كان من تلك الاشياء سيئا فانه مكروه عند
الله ويمكن ان يراد سيئ تلك الخصال طرف الافراط او التفريط ومن قرأ سيئة على التأنيث فقوله ذلك كله اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان
الكلام قد تم عند قوله واحسن تأويلا وقوله كل ذلك اشارة الى ما نهي عنه في قوله ولا تقف ولا تمش وانما قال سيئة على التأنيث مع قوله مكروها
حملا على انه كبيرة لانه جعل السيئة في معنى الذنب والاثم قالت المعتزلة الكراهة نقيض الارادة ففي الاية دلالة على ان المنهيات لا تكون مرادة لله
تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم تكن مرادة له لم تكن مخلوقة لان الخلق بدون الارادة محال اجابت الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها
منهيا عنها وزيف بانه عدول عن الظاهر مع لزوم التكرار لان كونها سيئة يدل على كونها منهية واجيب بانه لا بأس بالتكرار لاجل التأكيد ذلك
الذي ذكر من قوله لا تجعل الى هذه الغاية وهي نيف الى خمسة وعشرين تكليفا مما اوحى اليك ربك من الحكمة سمي حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه
للفساد بوجه وعن ابن عباس انها كانت في الواح موسى عم وباصطلاح الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به ولا ريب
ان الامر بالتوحيد راس الحكمة النظرية وسائر التكاليف مشتملة على اصول مكارم الاخلاق وهي الحكمة العملية ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه
التكاليف المتنوعة الشريفة كذا خاتمتها لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن فقده لم ينفعه شيء من العلوم وان بذ الاقران والاكفاء جلالة وفاق
التمام وفي داعي هذا التكرار دقيقة فرتب على الاول كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة الى حال المشرك في الدنيا ورتب على الثاني انه

القصد والجنايات وسائر المعاملات وكذا

بل يلقى في جهنم ملوما مدحورا وانما حالة في الآخرة رتبة القعود هنا لا للالقاء ههنا اشارة الى ان للانسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة
والله اعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو ان يذكر ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح منكر واللوم هو ان يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل
وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا الفعل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين المخذول والمدحور بان المخذول عبارة عن الضعيف
يتخاذل اعضاؤه اي ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم انكر على المشركين القائلين بان الملائكة بنات
الله فقال أفأصفاكم اي اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد واتخذ من الملائكة اولادا اناثا انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد الى من لا يصح له الولد لقدمه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والاصفى والسادة بالادون والاردى ثم بجعلكم الملائكة الذين هم اعلى
خلق الله على الاطلاق او بالتقييد على المذهبين اخس الصنفين وهو الاناث التأويل خاطب نبيه صلعم ليقطع تعلقه عن الكونين من بين
الثقلين فقال والله ولا تجعل مع الله الها آخر من الدنيا والآخرة ثم شرف امته بتبعيته فقال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وانما قال
ربك لانه اصل في التربية والامر تبع له فمن حكم في الازل انه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله وبالوالدين طفل الروح ووالدة البدن و
الاحسان بهما ان يرفقهما في العبودية ليعبد الله كانهما يريانه اما يبلغن عندك يخاطب القلب بوصيتهما بان يواسي ولد الروح عند كبره وهو
بلوغه اعلى مراتب القرب بعجزه عند سطوات تجلي صفات الالوهية ويدل ذا البكاح فلا يستعملهما عند العجز ولا تنهرهما عند الاستراحة
واقوتهما عند استعمالهما في العبودية ولا تنكر عليهما فانك حصلت التربية منهما لان القلب طفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد وجد التربية منهما صورة ومعنى
الى ان صار قابلا للتجلي والخلافة ربكم اعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين الراجعين من
انانيتهم الى هويته دون من كان مقيدا بنفسه غفورا ساترا بانوار جماله ثم اخبر عن ادب الخلافة فقال وآت ذا القربى وهو النفس حقه فان لنفسك عليك حقا
من غير اسراف وتقتير وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا
و بجقیق بکرر بیان کردیم درین قران تا پند گیرند و نمی‌افزاید ایشانرا مگر نفرت بگو اگر بود با او الهان همچنانکه میگویند انگاه
لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ
هر اینه بجستندی بسوی صاحب عرش راهی منزه است او و برتر است از انچه میگویند برتری بزرگ تسبیح میکنند مراو را آسمانهای هفتگانه و زمین و هر که
فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا
در آنهاست و نیست هیچ چیز مگر انکه تسبیح میکند بستایش او و لیکن نمی‌فهمید تسبیح ایشانرا بدرستیکه او هست بردبار آمرزنده و چون بخوانی قرانرا بگردانیم
بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
میان تو و میان انانکه نمیگروند باخرت پرده پوشیده و گردانیدیم بر دلهای ایشان پوششها مبادا که بفهمند آنرا و در گوشهای ایشان
وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ
گرانی و چون ذکر کنی پروردگار را در قران تنها برگردند بر پشتهای خود رمندگان ما داناتریم بانچه گوش میدارند بوی انگاه که گوش مینهند
إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ
بتو و در راز گوئی انگاه که میگویند ستمکاران پیروی نمیکنید مگر مردی را سحر کرده شده بنگر چگونه زدند برای تو مثلها را
ربع ۱۵ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا
پس گمراه شدند پس نمیتوانند یافت راهی و گفتند آیا چون باشیم استخوانها و ریزه ریزه آیا ما برانگیخته شدگانیم بآفرینش تازه بگو باشید
حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
سنگها یا آهن یا خلقی از انچه عظیم آید در سینهای شما پس زود باشد که گویند کیست که باز آورد ما را بگو آنکسیکه پدید آورد شمارا اول بار
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ
پس زود باشد که بجنبانند بسوی تو سرهای خود را و بگویند کی خواهد بود بگو شاید که باشد نزدیک روزیکه بخواند شما را پس اجابت میکنید بستایش او
وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ
و گمان میبرید که درنگ نکرده اید مگر اندکی و بگو مر بندگان مرا که بگویند انچه او نیکوتر است بدرستیکه شیطان فساد میکند میان ایشان بدرستیکه شیطان
كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا
هست مر انسانرا دشمنی آشکار پروردگار شما داناتر است بشما اگر خواهد رحم کند شمارا یا اگر خواهد عذاب کند شمارا و نفرستادیم ترا بر ایشان کارگذار
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا قُلِ ادْعُوا
و پروردگار تو داناتر است



الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى
آنهارا که دعوی کردید غیر از او پس مالک نباشند دفع ضرر از شما ونه تغییر را ایشان آنکه میخوانند میجویند بسوی پروردگارشان
ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن
هر کدام ایشان که نزدیکتر و امید دارند رحمتش را و میترسند از عقابش بدرستیکه عذاب پروردگار تو باشد حذر کرده شده و نیست هیچ قریه مگر ما
مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل
هلاک کننده ایشانیم پیش از روز قیامت یا عذاب کننده ایشان عذاب سخت بود آن در کتاب نوشته شده و باز نداشت ما را که بفرستیم
بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا
معجزها مگر آنکه تکذیب کردند آنرا پیشینیان و دادیم ثمود را ناقه حجت کننده پس ستم کردند بان و نمیفرستیم معجزها را مگر برای ترسانیدن
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة
و هنگامیکه گفتیم ترا بدرستیکه پروردگارت احاطه کرده بمردمان ونه گردانیدیم آن خواب را که نمودیم ترا مگر امتحانی برای مردمان و آن درخت
الملعونة في القرءان ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا القراءة ليذكروا من الذكر وكذلك في الفرقان حمزة وعلي
لعنت کرده شده در قرآن و میترسانیم ایشانرا پس نمی افزاید ایشانرا مگر زیاده روی بزرگ
خلف الاخرون بتشديد الذال والكاف من التذكر كما يقولون

في الغيبة ابن كثير وحفص عما يقولون على الخطاب حمزة وعلي وخلف تسبح بتاء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وحفص
غير ابي بكر وحماد والمفضل والخراز عن هبيرة الاخرون على التذكير ائذا ائنا القول فيه كما مر في الرعد وكذلك في اخر هذه السورة وفي سورة
قد افلح وفي سورة السجدة الوقوف ليذكروا ط نفورا ه سبيلا ه كبيرا ه فيهن ط تسبيحهم ط غفورا ه مستورا ه للعطف وقرا ط نفورا ه مسحورا ه سبيلا ه جديدا ه حديدا ه
صدوركم ج للفاء مع ان والسين للاستيناف يعيدنا ط اول مرة ج لما قلنا متى هو ط قريبا ه قليلا ه احسن ط بينهم ط مبينا ه علم بكم ط يعذبكم ط وكيلا ه والارض ط زبورا ه
تحويلا ه عذابه ط محذورا ه شديدا ط مسطورا ه الاولون ط لان الواو للاستيناف فظلموا بها ط تخويفا ه بالناس ط في القران ط الكل لما مر ونخوفهم
لصحة عطف المستقبل على المستقبل كبيرا ه التفسير لما بين انواع الحكم ومكارم الاخلاق ذكر غاية ضلالة عبدة الاوثان وجهالتهم فقال ولقد
صرفنا اي بينا احسن بيان لان من حاول بيان شيء فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع ومن مثال الى مثال حتى ينتهي به الى ما هو المراد من
الايضاح ومفعول التصريف متروك اي وقعنا التصريف في هذا القران ويحذف المعلوم والمراد صرفنا فيه ضروبا من كل مثل ولاد بطلان
القران ابطال ما قالوا ان الملائكة بنات الله لانه مما كرر ذكره والمقصود ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وقيل لفظة في زائدة كقوله واصلح
لي في ذريتي قال الجبائي في قوله ليذكروا دلالة على انه اراد منهم فهمها والايمان بها والمراد بالذكر ههنا فيمن قرا مخففا هو التذكر والتامل
لا الذكر الذي هو نقيض النسيان وقالت الاشاعرة قوله وما يزيدهم الا نفورا دل على عكس ذلك لان الحكيم اذا اراد تحصيل امر من الامور وعلم
ان الفعل الفلاني يصير سببا لعسره وتعذره والنفرة عنه لم يقدم على ذلك الفعل فلما اخبر ان هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا انه
ما اراد الايمان منهم عن سفيان الثوري انه كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا ثم دل على التوحيد الذي امر به في
قوله ولا تجعل مع الله الها اخر فقال قل لو كان معه الهة كما يقولون اي كما يقول المشركون من اثبات الهة من دونه او كما تقولون ايها المشركون
وفي قوله لا تجعل اذا دلالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو قال في الكشاف قلت ولعل لذا ههنا
نوع دلالة عليه لابتغوا اي لطلبوا الى ذي العرش سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض ومثله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
ويسمى في عرف المتكلمين دليل التمانع وسيجيء بحثه في سورة الانبياء ان شاء الله العزيز وقيل معنى الاية لو كانت هذه الاصنام كما تقولون من انها
تقربكم الى الله زلفى لطلبت لانفسها سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا في موضع التعالي وهو العلو وموضع المنشعبة وهو التعالي كقوله انبتكم
من الارض نباتا ثم وصف العلو بالكبر مبالغة في النزاهة ونبه على ان بين الواجب لذاته وبين الغني المطلق والفقير المطلق مباينة لا يعقل ازيد
عليها ثم بين غاية ملكه ونهاية عظمته بقوله تسبح له الاية قالت العقلاء التسبيح الحي المكلف يكون تارة باللسان بان يقول سبحان الله واخرى بدلالة احوال
على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون الا من القبيل الثاني وقد تقرر في اصول الفقه ان اللفظ المشترك لا يحمل على معنييه معا فلا جرم
تعين حمل التسبيح ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون واورد عليه انه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ولكن لا تفقهون
تسبيحهم لان التسبيح بهذا الوجه مفقوه معلوم واجيب بان دلالة كل شيء على وجود الصانع معلومة على الاجمال دون التفصيل لانا اذا اخذنا
تفاحة واحدة فلا شك انها مركبة من اجزاء لا تتجزى ولكن عدد تلك الاجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها
الا الله وليس الخطاب للمشركين وانهم وان كانوا مقرين بالخالق الا انهم لما اثبتوا له شريكا وانكروا قدرته على البعث والاعادة ولم ينظروا في المعجزات الدالة
على نبوة محمد فكانهم لم يفقهوا التسبيح اذ لم يتوسلوا به الى نتيجة النظر الصحيح ولهذا ختم الاية بقوله انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وسوء نظركم وزعم بعض العلماء ان ما سوى الحي المكلف يسبح الله باللسان ايضا كل بلغته جمادا لا يمنع من كونه مسبحا كما في الحيوانات قال

عليهم ان كونه تنجزؤ الاشجار وغيره في التسبيح ارتعلي غضب

بذكركم
التفسير

عن التسبيح وكذا كسر الغصن وقد يمكن ان يجاب بان تسبيح كل شيء تعلقه بمختص تركيبه الذي خلق عليه فاذا بطل ذلك التركيب فلا شك ان ذلك النظم لم يبق مسبحا
على ذلك النحو واعترض عليه ايضا بانه اذا جاز في الجمادات ان تكون عالمة بذات الله سبحانه تصفه بانه مسبح له مع انها ليست باحياء فسد علينا
باب العلم بكونه تعالى حيا لانا نستدل بكونه عالما قادرا على كونه حيا ويمكن ان يجاب بانا نستدل على حيوته تعالى بالاذن الشرعي ولو سلم ان العلم يستلزم
الحيوة عقلا فقد قيل ان لكل موجود وجوه يليق به ولما فرغ من الالهيات شرع في النبوات فقال واذا قرأت القرآن قيل نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول
الله صلعم اذا قرأ القرآن عليهم يروى انه كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره اخوان من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وعن اسماء انه كان رسول الله صلعم جالسا ومعه ابو بكر اذ اقبلت امرأة ابي لهب ومعها فهر تريد الرسول صلعم وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا
فقال ابو بكر يا رسول الله صلعم ان معها حجرا اخشى عليك فتلا رسول الله صلعم وهي تقول هذه الآيات فجاءت فما رأت رسول الله صلعم وقالت ان قريشا
قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب هذه الكعبة ما هجاك وعن ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحرث وابا الحارث
جهل وغيرهم كانوا يجالسون الرسول صلعم ويستمعون حديثه فقال النضر يوما ما ادري ما يقول محمد صلعم غير اني ارى شفتيه يتحركان بشيء وقال ابو سفيان اني ارى
بعض ما يقول حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت وكان رسول الله صلعم اذا اراد تلاوة القرآن
قرأ قبلها ثلاث آيات وهن في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وفي النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي
حم الجاثية افرأيت من اتخذ الهه هواه وكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات عن عيون المشركين وذلك قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا اي ذا ستر وقد يجيء مفعول بمعنى ذا كذا كما جاء فاعل على ذلك كثيرا نحو لابن وتامر من ذلك قولهم رجل مرطوب اي ذو رطوبة ومكان
مهول ذو هول وسيل مفعم ذو افعام وجوز الاخفش مجيء فاعل بلفظ المفعول مثل مشؤوم وميمون بمعنى شائم ويامن وقيل انه حجاب يخلقه الله في عيونهم بحيث يمنعهم
ذلك الحجاب عن رؤية النبي صلعم وذلك الحجاب شيء لا يراه احد فهو مستور وعلى هذا يصح قول الاشاعرة انه يجوز ان يكون الحاسة سليمة والمرئي
حاضرا والرؤية غير حاصلة لاجل انه تعالى يخلق في العيون شيئا يمنعهم عن الرؤية ويحتمل ان يراد حجابا من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان
يبصر فكيف يبصر المحتجب به والقول الثاني في الآية ان المراد بالحجاب الطبع والختم فاستدلت الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم الآية على صحة
مذهبهم في خلق الكفر والايمان كما مر في سورة الانعام في قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا واجاب الجبائي بان المراد انهم يطلبون موضعه
بالليل ليقتلوه ويستدلون عليه باستماع قراءته فامنه الله من شرهم بان جعل في قلوبهم ما شغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما منعهم من سماع صوته
قال الكعبي اراد به التخلية والخذلان لانه لا يستبد الظالم بل يضيف حال عبده وصفاته الى خالقه العبد يقول انا الغني في هذه الحالة فبسبب انك خليتني ورأي
وقال جار الله هذه حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم قلوبنا غلف وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبائح اهل الشرك انهم كانوا يحبون
ان يذكر آلهتهم كلما ذكر الله فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر آلهتهم نفروا وانفضوا عن المجلس فلذلك قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
وهو مصدر سد مسد الحال اي التقدير يحده وحده مثل وارسلها العراك ولوا على ادبارهم نفورا مصدر من غير لفظ التولية او جمع نافر كقاعد
وقعود فاوعدهم الله على ذلك بقوله نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن قال جار الله به في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء اي
مستهزئين اذ يستمعون نصب بما دل عليه اعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى اي وبما يتناجون به اذ هم ذوو
نجوى اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم اذ يتبعون اي على تقدير الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله الا رجلا مسحورا سحر فاختلط عقله و
زال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذي افسد من قولهم طعام مسحور اذا افسد عمله وارض مسحورة اصابها من المطر اكثر مما ينبغي فافسدها
وقال مجاهد مسحورا اي مخدوعا لان السحر حيلة وخديعة زعموا ان محمدا يتعلم من بعض الناس واولئك الناس كانوا يخدعونه بهذه الحكايات او زعموا
ان الشيطان يخدعه فيتمثل له بصورة الملك وقال ابو عبيدة يريد بشرا ذا سحر وهو الرية قال ابن قتيبة لا ادري ما حمله على هذا التفسير المستكره
مع ان السلف فسروه بالوجوه الواضحة انظر كيف ضربوا لك الامثال شبهوك بكل منهم بشيء اخر فقالوا انه كاهن وشاعر وساحر ومعلم ومجنون فضلوا
في جميع ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والى ابطال امرك من حيث انك النبي لا امتناع به وحين فرغ من شبهات القوم في
النبوات حكى شبهتهم في امر المعاد وايضا لما ذكر ان القوم وصفوه بانه مسحور فاسد العقل ذكر ما كان في زعمهم دالا على اختلاط العقل وهو دعوى
الانسان انه يصير حيا بعد ان كان عظاما ورفاتا والرفات الاجزاء المفتتة من كل شيء يكسر وهو اسم كالرضاض والفتات ودق منه دقا فعظام
الجزء ورفاتا اذا كسرها وتقرير الشبهة ان الانسان اذا مات جفت اعضاؤه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك الاجزاء بامثالها
من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها باعيانها ثم عود الحيوة اليها ذلك المجموع فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بان اعادة بدن الميت الى حاله
الحيوة امر ممكن ولو فرضتم ان بدنه قد صار ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي وغضاضته ومن جنس ما ركب منه البشر كالحجارة او الحديد فهو كقول
القائل اتطمع في وانا فلان فيقول كن ابن الخليفة او من شئت فساطلب منك حقي او خلقا مما يكبر في صدوركم فالمراد فرضوا اشياء اخر ابعد
عن قبول الحيوة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحيوة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين ذلك الشيء وقال مجاهد اراد
السموات والارض وعن ابن عباس انه الموت اي لو صرتم ابدانكم نفس الموت فان الله يعيد الحيوة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما

يقال هو روح مجسم او وجود محض والا فالموت عرض وانقلاب الجسم عرضا محال وبتقدير التسليم فالموت كيف يقبل الحيوة لان الضد يمتنع ان يقبل الضد وفي قوله قل الذي فطركم اول مرة بيان كاف وبرهان شاف لانه لما سلم ان خالق الحيوان هو الله فتلك الاجسام في الجملة قابلة للحيوة والعقل والفاعل عالم بجميع الجزئيات والكليات فلا يشتبه عليه اجزاء بدن كل من الاموات واذا قدر على جعلها متصفة بالحيوة في اول الامر فلان يقدر على اعادتها الى الحيوة في ثاني الحال اولى والزم لهم ولا بان البعث امر ممكن وان فرضتم بدن الميت اي شيء اردتم وكانهم سلموا امكانه ولكن تجاهلوا وتغافلوا عن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فاجاب بانه الفاطر الاول ثم زادوا في الاعتراض فسئلوا عن تعيين الوقت بقولنا وذلك قوله فسينغضون اليك رؤسهم اي فيحركونها تعجبا واستهزاء قال ابو الهيثم يقال للرجل اذا اخبر بشيء فحرك راسه الى فوق والى اسفل انكارا له انغض راسه قال المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث ولكن وقف على التعيين مما استاثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريبا وقد انقرض اكثر من سبعمائة سنة ولم يظهر لانا نقول كل ما هو آت قريب واذا كان ما مضى اكثر مما بقي فان الباقي قليل قوله يوم يدعوكم منصوب باذكروا والمراد يوم يدعوكم هو كان ما كان او هو بدل من قريبا والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة وروي ان اسرافيل ينادي ايتها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت والاستجابة موافقة الداعي فيما دعى اليه وهي مثل الاجابة بزيادة تاكيد لما في السين من طلب الموافقة قال في الكشاف الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهو مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بامر يشق عليه ستأتي به وانت حامد شاكر اي ستنتهي الى حالة تحمد الله وتشكره على ان اكتفوا منك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقال قتادة فيحمدونه اي بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة ومن هنا قال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال اخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلا عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة ومثله قول الحسن معناه تقريب وقت البعث وكانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزول عنهم العذاب في ذلك الوقت وقيل اراد استقصار لبثهم في عرصة القيامة حين عاينوا هول النار ثم امر المؤمنين بالرفق والتدرج عند ايراد الحجة على المخالفين فقال وقل لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد مختص بهم في اكثر القرآن فبشر عبادي الذين يستمعون القول عينا يشرب بها عباد الله فادخلي في عبادي يقولوا الكلمة او الحجة التي هي احسن والتي هي ان لا تكون مخلوطة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اي بين الفريقين جميعا فيزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم ايها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة ومن ايذائهم او ان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم وكيلا اي حافظا موكولا اليك امرهم انما انت بشير ونذير والهداية الى الله وقال جار الله الكلمة التي هي احسن مفسرة بقوله ربكم اعلم بكم الى اخره اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يزيد غيظهم وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقروا بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة التي هي احسن وهي كلمة التوحيد والبراءة من الشركاء والاضداد لان ذلك احسن بالبديهة من الاشراك ووصفه بالقدرة على الحشر احسن من وصفه بالعجز عنها والحامل على مثل هذه العقائد هو الشيطان المغوي ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بتوفيق الهداية او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان تلك المشية غائبة عنكم فلا تقصروا في الجد والطلب ثم قال لرسوله وما ارسلناك عليهم وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة وهذا قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلعم فنزلت وحين قال ربكم اعلم بكم عمم الحكم فقال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التمايز والتفاضل كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وفيه رد على اهل مكة في انكارهم ان يكون يتيم ابي طالب مفضلا على الخلائق يتقدم على صناديد قريش واكابرهم وانما ختم الاية بقوله واتينا داود زبورا ليعلم ان التفضيل ليس بالمال والملك وانما هو بالعلم والدين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه في الاية الا بايتاء الكتاب وفيه ايضا اشارة الى ان محمدا صلعم خاتم الانبياء وامته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي محمد وامته ومعنى التنكير في زبور انه كامل في كونه كتابا والزبور وزبور كالعباس وعباس والحسن وحسن او المراد بعض الزبور كما يسمى بعض القرآن قرانا وقيل ان كفار قريش ما كانوا اهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات وكانت اليهود يقولون انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التورية فنقض الله كلامهم بانزال الزبور على داود بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة او على طائفة من اهل الكتاب كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل اراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا وانما خصصت الاية بهؤلاء الطوائف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب تقرير الوارد ان المعبود الحق هو الذي يقدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال وهم كان

الى مكان وهذه التي زعمتم انها آلهة لا يقدرون على شيء من ذلك فوجب القطع بانها ليست بآلهة سؤال ما الدليل على ان الملائكة
لا تقدر ايضا على كشف الضر فان قلتم لانا نرى ان اولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا يحصل الاجابة قلنا ان المسلمين ايضا يتضرعون الى الله
ولا يجابون وهم يعتقدون الاجابة في بعض الاوقات فالكفار ايضا يحصل مطلوبهم احيانا فيقولون انه من الملائكة جوابه ان الملائكة مقرون بان الاله
الاعظم خالق العالم فكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه ان قدرتهم بالنسبة الى قدرة الله قليلة
حقيرة واذا كان كذلك وجب ان يكون الاشتغال بعبادة الاله الاعظم اولى واجدر اخذا بالمعلوم المتيقن دون المظنون الموهوم على ان اهل السنة قاطعون
بانه لا تأثير لشيء في الوجود الا لله تعالى يقول مؤلف هذا التفسير اضعف عباد الله تعالى واحوجهم الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله
احواله في اولاه واخراه رأيت في بعض الكتب مرويا عن امير المؤمنين علي عليه السلام من وقع في ملمة او طلب كفاية مهم فليسجد في خلوة وليقل في سجدته الهي انك
قلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيا من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف ما بي فانه اذا قال ذلك
كشف الله عنه ضره وكفى مهمه وقد جربت فوجدت كذلك ثم انه تعالى اكد عدم اقتدار معبوديهم ببيان غاية افتقارهم الى الله تعالى في جلب المنافع
ودفع المضار فقال اولئك وهو مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان اولئك المعبودين يطلبون الى ربهم الوسيلة اي القربة
في الحوائج وايهم بدل من واو يبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف اي يبتغي من هو اقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب والدليل على
هذا الافتقار اقرار جميع الكفار بامكانهم الذاتي وجوز في الكشاف ان يضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب
الى الله وذلك بازدياد الخير والطاعة والصلاح ويرجون ويخافون كغيرهم من العباد وقيل اولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم
الله في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين اي الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون للامم الى الله لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة
الا اليه فانهم احق بالعبادة واحتج هذا القائل على صحة قوله بان الله تعالى قال يخافون عذابه والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون واجيب بانهم
يخافون عذابه لو اقدموا على الذنب لقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ان عذاب ربك كان محذورا اي حقيقا بان يحذره كل
احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجهلة فانه لا يخرج عن كونه واجب الحذر ثم بين مآل حال الدنيا واهلها فقال
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب كالسبي والاغتنام وقيل الهلاك للصالحة
والتعذيب للطالحة كان ذلك في الكتاب وهو اللوح المحفوظ مسطورا فلا يوجد له تبديل قطعا ثم ذكر نوعا آخر من سنته فقال وما منعنا ان نرسل
المنع الترك من اجل لزوم خلاف الحكمة او المشيئة عن سعيد بن جبير ان كفار قريش اقترحوا آيات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن ابن عباس انهم
سألوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضي فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى ذلك فقال ان شئت فعلت لكنهم ان
كفروا بعد ذلك اهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا اريد ذلك وانزل الله الآية والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب
بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا عذاب الاستيصال
على ما اجرى الله تعالى به عادته والحاصل ان المانع من ارسال الآيات التي اقترحوها هو ان الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلي وقد
عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ويحتمل ان يراد انهم مقلدون لآبائهم فلا يؤمنون فيكون ارسال الآيات عبثا ثم استشهد على
ما ذكر بقصة صالح وناقته لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله مبصرة والمراد حال كون الناقة آية بينة
يبصر المتأمل بها رشده فظلموا انفسهم بقتلها او فكفروا بها بمعنى انهم جحدوا كونها من الله قاله ابن قتيبة وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل بمعنى ان من انكرها عليه او المراد وما نرسل بآيات القرآن وغيرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الآخرة على المعنى الذي
وحين امتنع من ارسال الآيات المقترحة على رسوله للصارف لم يكن قوي قلبه بوعد النصر والغلبة فقال واذ قلنا لك ان ربك اي واذكر اذ
اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس اي انهم في قبضته وقدرته فلا يقدرون على خلاف ارادته فيحصل ويقويك حتى تبلغ الرسالة عن الحيلولة بينهم
وبينه ان يقتلوه كما قال والله يعصمك من الناس وقيل اراد بالناس اهل مكة واحاط في معنى الاستقبال الا ان خبر الله تعالى لما كان
واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضي وعد نبيه بانه سيهلك قريشا ويغنمه ديارهم ثم قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس يفسر قول الاكثر
انه تعالى اراه في المنام مصارع كفار قريش حتى قال والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد الثاني انه ما رؤياه التي رأى ان يدخل مكة وبين له اصحابه واخبر
فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابي بكر قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو
بكر انه لم يخبر انا نفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة اخرى فلما جاء العام القابل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق الثالث قول سعيد بن المسيب في رواية ابن عباس في رواية عطاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بني امية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك الرابع وهو
قول اكثر المفسرين ان المراد بهذه الرؤيا هي حديث الاسراء ثم اختلفوا فالاكثرون على ان الرؤيا بمعنى الرؤية يقال رأيت بعيني رؤية ورؤيا او
سماها رؤيا على قول المكذبين حين قالوا لعلها رؤيا رآها وخيال خيل اليه لا قائلين على ان الاسراء كان في المنام وهم الجمهور

السورة قوله والشجرة فيه تقديم وتاخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس فان الاكثرين انها
شجرة الزقوم نعتت في القران حيث لعن طاعموها قال عز من قائل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم او وصفت باللعن لان اللعن الابعاد وهي في اصل
الجحيم في ابعد مكان من الرحمة او العرب يقول لكل طعام مكروه ضار ملعون والفتنة فيها ان ابا جهل وغيره قالوا زعم صاحبكم ان نار جهنم
تحرق الحجر ثم يقول ينبت فيها الشجرة فانزل الله تعالى هذه الاية ونظيره قوله انا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السمندل والنعامة
كيف يتعجب من قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا تعمل فيه النار وعن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو امية وعنه هي الكشوث التي تلتوي
بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل اليهود سؤال اي تعلق لحديث الرؤيا والشجرة بما قبله من الكلام جواب كانه
قيل لهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في انك لست بصادق في دعوى النبوة الا ان وقوع هذه
الشبهة لا ينبغي ان يكون سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انها ما اوجبت ضعفا في امرك ولا فتورا في اجتماع المحقين عليك ثم ذكر سببا اخر انه
تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال ونخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا متماديا التاويل لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
يشتمل معنيين لانهم ان كانوا اكبر منه او امثالا له طلبوا طريقا الى انجاح صاحب العرش ونزع الملك منه قهرا وان كانوا دونه طلبوا اليه
الوسيلة بالخدمة والعبودية على ان الناقص لا يصلح للالهية وهذا قريب من التفسير وان من شيء الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات
ملكوت لقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الاخرة والاخرة حيوان لا جماد لقوله وان الدار الاخرة
لهي الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعه وحمدا له على ما اولاه من نعمه وبهذا اللسان ينطق الحصى في كف النبي وبه
ينطق الارض يوم القيمة يومئذ تحدث اخبارها وبه ينطق الجوارح انطقنا الله الذي انطق كل شيء وبه نطق السموات والارض قالتا اتينا طائعين
انه كان حليما في الازل اذا خرج من العدم من يكفر به غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرات القران فيه اشارة الى ان من قرأ القران بتمامه وصل
الى اعلى معارج القدس واقصى مدارج الانس كما جاء في الحديث يقال لصاحب القران اقرأ وارق قال ابو سليمان الخطابي جاء في الاثر ان عدد اي
القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميع اي القران استولى على اقصى درج الجنة قال المحققون استيفاء جميع اي القران هو ان يتخلق باخلاقه
وصفاته بل يتخلق باخلاق الله وصفات الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة
حجابا مستورا لم يقل ساترا لان الحجاب يستر الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع ولوا على ادبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون
يقبلون الغذاء الصالح فالحلاوة في مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون من ظلمهم لانهم وضعوا المسحور مكان المبعوث ورفاتا وخلقا مما يكبر في صدوركم
اي لو كان قلوبكم التي في صدوركم اشد من الحجارة والحديد فالله قادر على احيائه وتليينه في قيامة العشق يقولوا التي هي احسن شرف من عبيده
بتشريف الاضافة يظهر منه القول الاحسن هو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الاحسن هو ان يكون متادبا باداب الشريعة والطريقة
والخلق الاحسن هو ان يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر منهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويعيش فيهم بالنصيحة يامرهم بالمعروف بلا عنف
وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم اذا لم يعيشوا بالنصيحة واتينا داود زبورا فيه ان فضل النبي صلعم على داود كفضل القران على الزبور
وان من قرية من قرى قالب الانسان الا نحن مهلكوها بموت قلبه او قبل موت قالبه من مات فقد قامت قيامته او معذبوها بانواع الرياضات
والمجاهدات في السير الى الله وبان الصفات وفي السير بالله وبان الذات احاط بالناس علما مقتضى كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك ان كان الوحي يصل الى النبي صلعم في مبدأ امره بطريق المنام وكان في ذلك اختبار للناس ليظهر الموافق من المنافق والمعتقد من الزنديق
وهكذا كان في الشجرة وجود ابليس ابتلاء للناس ولم يكن للمحيط باحوال الناس حاجة الى الابتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر والله اعلم بالصواب

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبْلِيْسَ قَالَ ءَاَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيْنًا قَالَ اَرَءَيْتَكَ هٰذَا الَّذِيْ كَرَّمْتَ
عَلَيَّ لَئِنْ اَخَّرْتَنِ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهٗ اِلَّا قَلِيْلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ
جَزَاءً مَّوْفُوْرًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي
الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰنُ اِلَّا غُرُوْرًا اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ
وَكَفٰى بِرَبِّكَ وَكِيْلًا رَبُّكُمُ الَّذِيْ يُزْجِيْ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهٖ اِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا وَاِذَا
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُوْنَ اِلَّا اِيَّاهُ فَلَمَّا نَجّٰىكُمْ اِلَى الْبَرِّ اَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْاِنْسَانُ كَفُوْرًا اَفَاَمِنْتُمْ

الجزء الخامس عشر

التاويل

مغز الملكوت

عن المنقطع

الافعال التي

ان يخسف

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ

که فرو برد با شما طرف بیابان یا فرستد بر شما سنگ ریزه پس نیابید برای خود نگهبانی یا ایمن شدید که باز گرداند شما را

فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا وَلَقَدْ

دران مرتبه دیگر پس فرستد بر شما درهم شکننده از باد پس غرق کند شما را بآنکه کافر شدید پس نیابید برای خود بر ما بآن از پی آینده و بتحقیق

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ

گرامی گردانیدیم فرزندان آدم را و برداشتیم ایشانرا در بیابان و دریا و روزی دادیم ایشانرا از پاکیزها و برتری دادیم ایشانرا بر بسیاری

مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ

از آنکه آفریدیم افزونی دادنی روزی که بخوانیم هر گروهی را با پیشوای ایشان پس آنکه داده شد کتابش بدست راستش پس ایشان میخوانند

كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ القراءة اخوف

نامهٔ خود را و ستم کرده نشوند مقدار رشته و کسیکه باشد درین دنیا کور پس او در آخرت کور و گمراه تر در راه

بالباقي الحال ابن كثير غير الهاشمي عن ابن فليح وسهل ويعقوب وفي ابو جعفر ونافع ابو عمرو في الوصل الباقون بالحذف ورجلك بكسر الجيم حفص و
ابو زيد عن المفضل الآخرون بسكونها ان نخسف او نرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمرو والباقون على الغيبة الا يعقوب
ويزيد فانهما قرآ فتغرقكم بالتاء الفوقانية على ان الضمير للريح من الرياح على الجمع ويزيد هذه اعمى بالامالة اعمى بالتفخيم ابو عمرو ونصير والبرجمي
وروى قراءة حمزة وعلي غير نصير وخلف ويحيى وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم الوقوف بالبحر ط بناء الاتحاد فاعل فعل قبله وفعل
بعده بالعطف عطف على نحو القسم المحذوف مع اتحاد الكلام قليلا ه ممنوعا ه وعدهم للعدول عن الغيبة سلطان ط وكيلا ه فضله ط رحيما ه
الا اياه ج اعرضتم ط كفورا ه وكيلا ه للعطف تبيعا ه تفضيلا ه بامامهم ج فتيلا ه سبيلا ه التفسير قال اهل النظم انه لما ذكر ان الرسول صلعم كان من قومه
في بلية عظيمة ومحنة شديدة اراد ان يبين ان جميع الانبياء كانوا كذلك حتى آدم عم وايضا ان القوم كان منشأ تعنتهم واقتراحاتهم الفاسدة
الامرين الكبر والحسد فبين الله سبحانه ان هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنة الله عليه وايضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخويف
اراد ان يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى في سبع سور البقرة والاعراف
والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله طينا
حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد معناه أأسجد لمن كان له وهو طين في الاصل واما من الراجع الى الموصول من الصلة تقديره اسجد لمن كان
في وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار امر الاشرف على زعمه بخدمة الادون ولذلك قال ارايتك اي اخبرني عن هذا الذي كرمت اي فضلته
علي لم كرمته وانا خير منه فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن ان يكون هذا مبتدأ والاستفهام فيه مقدر ومعناه اخبرني اهذا الذي كرمته علي
والاشارة هنا بقصد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول ارايت لان الكاف لمجرد الخطاب كانه قال على وجه التعجب والانكار ابصرت او علمت هذا
بمعنى لو ابصرته او علمته لكان يجب ان لا تكرمه علي ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم
بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او هو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه احنك الشاتين اي آكلهما وقال ابو مسلم هو افتعال
من الحنك يقال منه حنك الدابة يحنكها اذا جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به كانه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه وانما ظن ابليس
ذلك لانه سمع قول الملائكة في حقهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم انه خلق شهواني لما غير ذلك من قواه السبعية والوهمية
والبهيمية او قاس ذريته آدم عليه حين عمل وسوسته فيه وضعفه جار الله بان الظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة قال اي الله تعالى اذهب ليس المراد
منه نقيض المجيء وانما المراد امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وامهالا لانه رتب عليه الامهال قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اراد
جزاؤهم وجزاؤك فغلب المخاطب على الغائب لانه الاصل في المعاصي وغيره تبع له وجوز في الكشاف ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات و
انتصب جزاء موفورا على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر المدلول عليه بقوله فان جهنم جزاؤكم او على الحال الموطئة والموفور الموفر
قولهم فر لصاحبك عرضه وقيل هو بمعنى الوافر ثم اكد الامهال والخذلان بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك افزه الخوف و
استفزه ازعجه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله وقيل الغناء واللهو واللعب واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الفراء وابو عبيدة اجلب
من الجلبة والصياح اي صح عليهم وقال الزجاج اي اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك فالاجلاب الجمع والباء في بخيلك زائدة وقال
ابن السكيت الاجلاب الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال صلعم يا خيل الله اركبي وعلى الافراس جميعا والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر
وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا مثل حذر وحذر وندس وندس وعن ابن عباس كل راكب وراجل
في معصية الله فهو من خيل ابليس وجنوده وقيل يحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب وبعضها راجل والاقرب ان هذا كلام
ورد تمثيلا فقد يقال للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك قال في الكشاف مثلت حالة في تسلطه على من يغويه بمغوار وقع على قوم

التفسير

فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بجند من خياله ورجاله حتى استأصلهم اما المشاركة في الاموال
فهي كل تصرف في المال لا على وجه الشرع سواء كان اخذا من غير عوض او وضعا في غير حق كالزنا والغصب والسرقة وقيل هي تبتيك اذان الانعام
وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالدعاء الى الزنا او تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى او تزيينهم
لا كما ينبغي حتى ينشأوا غير راشدين ولا موقنين ولا متدينين بدين الحق وعدهم بتزيين المعاصي في اعينهم وترجيتهم فيها وتثقيل الطاعات
والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما يخصص المفسرون فعن بعضهم ان المراد وعدهم بانه لا جنة ولا نار وقيل بالكرامة
على الله بالانساب الاحساب وقيل بشفاعة الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل على الاجل ثم نفى ان يكون لوعد الشيطان عاقبة
حميدة فقال وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه انما يدعو الى اللذات البهيمية او السبعية او الخيالية واكثرها دفع الالم وكلها لا اصل
لها ولا دوام ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام محمد الغزالي رحمه الله و
لما قال للشيطان ما قال على سبيل الوعيد والتهديد اعلمه ما يفيد عليه ربط جأش سائر المكلفين بقوله إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
قال الجبائي المراد كل عباده لانه استثنى متبعيه في غير هذا الموضع قائلا الا من تبعك وقال اهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد في تقوية
جانب المكلف فختم الاية بقوله وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا فهو يدفع كيد الشيطان وبعضهم من اغوائه ثم عدد على بني ادم بعض ما انعم عليهم ليكون
تذكيرا لهم وتحذيرا بقوله رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ اي يسير لاجلكم الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ الربح
بالتجارة إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا فلذلك هداكم الى مصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ اي خوف الغرق فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تعقدون به وحده رجاءكم او المراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم
ولكن الله هو الذي ترجونه وحده فكان الاستثناء منقطعا فَلَمَّا نَجَّاكُمْ من ذلك الضر واخرجكم الى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عن الاخلاص وَكَانَ الْإِنْسَانُ
كَفُورًا لنعم الله لانه عند الشدة يتمسك برحمة الله وفي الرخاء يعرض عنه ثم انكر عليهم سوء معاملتهم قائلا أَفَأَمِنْتُمْ تقديره انجوتم فامنتم
فحملكم ذلك على الاعراض أَنْ يَخْسِفَ اصله دخول الشيء في الشيء ومنه عين خاسفة للتي غارت حدقتها في الرأس وخسف القمر دخل تحت الحجاب و
هو دائرة الظل عند الحكماء بِكُمْ حال وانما قال جَانِبَ الْبَرِّ لانه ذكر البحر في الاية الاولى وهو جانب والبر جانب فخسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه
فالخسف تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فنبهوا انكم ان تخوفتم من هول البحر فلا امنتم من هول البر فانه قادر على تسليط افات البر عليكم اما من جانب التحت بالخسف
واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء وقال الزجاج الحاصب التراب
الذي فيه حصباء فالحاصب ذو الحصباء كاللابن والتامر ولا يخفى ان هذا بين العذابين اشد من غرق البحر ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا يصرف
ذلك عنكم أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى بان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوب البحر فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا ريحا لها قصيف اي
صوت شديد والقاصف الكاسر قوله مِنَ الرِّيحِ بيان له فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بسبب كفركم ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا مطالبا يتبعنا
لانكار ما نزل بكم او لصرفه عنكم فهو كقوله وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ثم اجمل ذكر النعمة بقوله وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وقد ذكر المفسرون في تكريمه وجوها
منها الخط فيه يقدر الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو او غيره في الدفاتر فتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن
الانطماس اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ومنها الصورة الحسنة وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ومنها القامة المعتدلة لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ومنها ان كل شيء يأكل بفيه الا ابن ادم يحكى عن الرشيد انه حضر لديه طعام فاحضرت الملاعق وعنده ابو يوسف فقال
له جاء في تفسير جدك ابن عباس ان هذا التكريم هو انه جعل لهم اصابع يأكلون بها فردت الملاعق واكل باصابعه ومنها ~~القامة المعتدلة لقد~~
~~خلقنا الانسان في احسن تقويم~~ ما قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات و
يدخل الاخرس في هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة او الكتابة ويخرج الببغاء ونحوه لانه لا يقدر على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها
تسليطهم على ما في الارض وتسخيرها لهم فالارض لهم كالام الحاضنة منها خلقناكم وفيها نعيدكم وهي لهم فراش ومهاد والماء ينتفعون به في الشرب
والزراعة والعمارة وماء البحر ينتفع به في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة الحياة ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على المعمورة والنار ينتفع
بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة فهذا العالم باسره كقرية معمورة
او خوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فاي تكريم يكون ازيد من هذا ولا شك ان الانسان لكونه مستجمعا للقوة
العقلية القدسية وللقوتين الشهوية البهيمية والغضبية السبعية ولقوة الحس والحركة الارادية وللقوى النباتية وهي الاغتذاء والنمو والتوليد
يكون اشرف مما لم يجمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو انه تعالى خلق ادم بيده وابدع غيره بواسطة لما يروى عن زيد بن
اسلم ان الملائكة قالت ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي
لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض انواع التكريم بالذكر فقال وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قال ابن عباس في البر اي
على السفن وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من كل غذاء نباتي او حيواني لطيف ولذيذ واعلم ان التكريم لا يدل على التفضيل والتكريم دينه لا ينافي

على الخيل والبغال والحمير

تكريم

تكريم عبيده بأزيد من ذلك ولذلك ختم التكريم بقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا فربعض لا يشاطره الكثير هيهنا بمعنى الجميع تشنع عليه
جار الله بانه شيء في الحلق وقذى في العين لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع ممن خلقنا والانصاف ان كون الكثير بمعنى الجميع لا يوجب
هذا التشنيع لانه لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ اخر بمعنى انه يرجع الحاصل الى ذلك بعد لا لزام الالتزام او بحكم العرف ان يوضع ذلك اللفظ
موضعه وينطق به على ان التفسير لا يقوم مقام المفسر البتة لان هذا مجز دون ذلك فكيف يتمشى الترادف بحاله وايضا فالحاصل هو قولنا
على جميع ممن خلقنا فان الدعوى هو ان كثيرا من الشيء اقيم مقام كل ذلك الشيء لا كل من ذلك الشيء حتى يلزم البشاعة من قبل الجمع بين لفظ الكل
ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة هو اجراء الكلام على الظاهر وانه لا يدل على انه حصل في مخلوقات الله شيء لا يكون للانسان تفضل
عليه لانه سبحانه ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يحسن من الله تعالى الاقتصار على ذكر البعض وكل من اثبت هذا
القسم قال انه هو الملائكة بل بعض الملك افضل من اكثر الانسان وان كان يوجد في خواص الانسان من هو افضل من عوام الملائكة بل من
خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان الملائكة كلهم افضل من كل البشر على ما زعم جار الله وامثاله
فانه تحكم محض ولما ذكر انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاته في الاخرة فقال يوم ندعوا وهو منصوب باضمار اذكر وبقوله فضلناهم
على عادة الله في الاخبار ونفضلهم في هذا اليوم بما نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكريم في الدنيا والتفضيل في الاخرة ولا وقف
على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي ومقدم في الدين او كتاب او دين والباء في قوله بامامهم للالصاق كما تقول ادعوك باسمك عن
ابي هريرة مرفوعا انه ينادى يوم القيمة يا امة ابرهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فياخذون كتبهم
بايمانهم ثم ينادى يا اتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال واكابر الكفر ويجوز ان يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو
كل اناس متلبسين بامامهم اي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وروى الضحاك وابن زيد انه ينادى في القيمة يا اهل القرآن يا اهل
التورية يا اهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي فيه اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وابي
العالية ايضا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم والحكمة في ذلك رعاية حق
عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا ثم قال وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته وقال في التفسير الكبير كل خلق
يظهر من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى تلك الافعال خلق باطن كالامام له كالمتبع والمنشأ ويوم القيمة انما
انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق فمن اوتي وهو في معنى الجمع ولذلك حمل في جوابه فاولئك يقرؤن وخص اصحاب
اليمين بقراءة كتابهم لان قراء اصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم وفيه من الحياء والخجل والتتعتع ومن كان في هذه الدنيا اعمى لا خلاف ان المراد بهذا
العمى عمى القلب اما قوله فهو في الاخرة اعمى فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشرهم يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
وفي هذا زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عددها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله
تفضيلا فهو في الاخرة التي لم يرها اعمى واضل سبيلا لان الضلال عن معرفة احوال الاخرة اقرب وقوعا فعلى هذا يكون الاعمى في
الموضعين في الدنيا ومثله ما روى ابو روق عن الضحاك من كان في الدنيا اعمى عما يرى من قدرته في خلق السماء والارض والبحار والجبال والناس
والدواب فهو عن امر الاخرة وتحصيل العلم به اعمى قال المفسرون لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افعل التفضيل ودليله قراءة ابي عمرو بامالة
الاول وتفخيم الثاني لان الاول اسم وافعل في الطرف فكانت عرضة للامالة ومظنة لها بخلاف الثاني فان تمامه بمن وكانت الفه في حكم وسط
الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابي علي الفارسي واقول الوجه منظر لان الامالة ليست تختص بلحوق الكلمة مثل شيبان والكافرين ونحوها
ولهذا قرء حمزة بامالتهما مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ولعل من لم يمل الثاني راعى المشاكلة بينه وبين اضل والله اعلم وقال الحسن في
الاخرة اي في امر الاخرة وذلك انه في الدنيا يقبل توبته وفي الاخرة لا يقبل وقيل المراد بالعمى في الاخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة والى
طيباتها والابتهاج بها ولا يمكن ان يراد بها الجهل بالله لان اهل الاخرة يعرفون الله بالضرورة التأويل من استطعت منهم بصوتك البكي
المبتدع عنه ومقالات اهل الطبيعة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم بخصوص العبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين
وكفى بربك وكيلا في تربيتهم وتمشية صالح احوالهم ربكم الذي يزجي لكم فلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية
فلما نجيكم الى بر الوصول والوصال اعرضتم بعجب العجب ورؤية الاعمال حاصبا من سطوة القهر قاصفا من ريح الابتلاء بسلطان البدع والاهواء
فيغرقكم في بحر الشبهات ولقد كرمنا بني ادم بالكرامات الابدية العامة للمؤمنين والكافرين وهي تخمير طينته بيده وتصويره في الرحم بنفسه وبالكرامات
الروحانية الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرناهم من بر البشرية وبحر الروحانية الى ساحل
الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب ونوال الكشوف وفضلناهم على كثير اي على الملائكة لانهم الخلق الكثير من مخلوقات الله وبيان
تفضيله حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة ندعو كل اناس بامامهم من الدنيا والاخرة
وغيرهما فيقال يا اهل الدنيا ويا اهل الاخرة ويا اهل الله فمن اوتي كتابه بيمينه فيه اشارة الى ان اهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون

حسابهم واهل الشمال يؤتون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم عمى والقراءة يحتاج الى الابصار بالابصار والبصائر والله اعلم

وَاِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِىٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَاِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَآ اَنْ

ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ اِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝ اِذًا لَاَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ

عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝ وَاِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْاَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَاِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ اِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ

مَنْ قَدْ اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝ اَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ اِلٰى غَسَقِ

الَّيْلِ وَقُرْاٰنَ الْفَجْرِ اِنَّ قُرْاٰنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهٖ نَافِلَةً لَكَ عَسٰىٓ اَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَحْمُودًا ۝ وَقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا

نَصِيرًا ۝ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ اِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ اِلَّا خَسَارًا ۝ وَاِذَآ اَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ اَعْرَضَ وَنَاٰ بِجَانِبِهٖ وَاِذَا

مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ۝ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلٰى شَاكِلَتِهٖ فَرَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ اَهْدٰى سَبِيلًا ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ

عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّى وَمَآ اُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيلًا ۝ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ اَوْحَيْنَآ ٤

اِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهٖ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ اِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ اِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝ قُلْ لَئِنِ

اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰىٓ اَنْ يَاْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَاْتُونَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هٰذَا الْقُرْاٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَاَبٰىٓ اَكْثَرُ النَّاسِ اِلَّا كُفُورًا ۝ القراء خلفك ابن كثير و

ابو جعفر و نافع و ابو عمرو و ابو بكر و حماد الآخرون خلافك بكسر الخاء و بالالف و ننزل من مخففا ابو عمرو و يعقوب الباقون بالتشديد

وناى بجانبه مثل ناع يزيد وابن ذكوان وناى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف العجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب ونصير

مثله ولكن بكسر النون على غير نصير وخلف والعجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين كوى الوقوف خليلا ه قليلا ه لتعلق اذا نصيرا ه قليلا ه

تحويلا ه وقرآن الفجر ط مشهودا ه نافلة لك ق للوصل اولى لان عسى وعد على التهجد محمودا ه نصيرا ه وزهق الباطل ط زهوقا ه للمؤمنين لا لان ما بعد

من صلة ما خسارا بجانبه لعطف جملتي الظرف يؤسا ه شاكلته ط سبيلا ه عن الروح ط قليلا ه وكيلا لا من ربك ط كبيرا ه ظهيرا ه نصف الجزء

مثل لعطف المتفقين لفظا المختلفين معنى كفورا ه التفسير لما عدد في الآيات المتقدمة اقسام نعمه على بني آدم وشرح احوال السعداء اردفه

بما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء ان وفد ثقيف قالوا للنبي صلعم لا ندخل في امرك حتى

تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا اي لا نسجد وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا و

ان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك

فقل ان الله امرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت

رسول الله ثم قال للكاتب اكتب لا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر

ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فقال عمر اما ترون رسول الله صلعم امسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه فانزل الله الآية

وهذه القصة وقعت بعد الهجرة بالمدينة قال المفسرون انها ليست بمكية وروي ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة فنزلت وقال الحسن ان الكفار
اخذوا رسول الله صلعم بمكة قبل الهجرة فقالوا يا محمد كف عن ذم الهتنا وشتمها فلو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب
رسول الله صلعم ان يكف عن شتم الهتهم وعن سعيد بن جبير انه صلعم كان يستلم الحجر فمنعوه فقالوا لا ندعك حتى تستلم الهتنا فوقع في نفسه ان يفعل
ذلك كارها فنزلت قال القفال من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون في ابطال رسول الله صلعم باقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون
لو عبدت الهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وقوله ودوا لو تدهن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال
الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك ادعاء النبوة فنزل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا ودعوه الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون
ربهم وكل ذلك دليل على انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه ويزيلوه عن منهجه فلو لم يكن شيء من الروايات المذكورة موجودة لكان للاية
محمل صحيح والمعنى وان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنين واصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من ازال الشيء عن حده
وجهته وذلك ان في اعطائهم ما سالوه مخالفة لحكم القران وافتراء على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك واذا لاتخذوك اي
ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك لولا تثبيتنا وعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم
لقاربت ان تميل الى مرادهم شيئا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الاية قال النبي صلعم اللهم لا
تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد التوعد فقال اذا لاذقناك اي لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة والضعف عبارة عن ضم الشيء الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد بعذاب الممات هو عذاب
القبر وعذاب الحيوة وهو عذاب حيوة الاخرة اي عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار بمعنى مضاعفا
فكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت الصفة كما اضافة
الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام انك لو مكنت خواطر
الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والاخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك
في الدنيا ومثلي عذابه في الاخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء اكثر فكان ذنوبهم وكذا عقوبتها اعظم نظيره
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه لان دليل الخطاب لا عبرة
به فقد يرتقي الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يعني لو اذقناك لم تجد احدا يخلصك من عذابنا واعلم ان القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل
على الاقدام عليها فلا يلزم من الاية طعن في عصمة النبي صلعم وفيها انه لا عصمة من المعاصي الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد
بهذا التثبيت الالطاف الصارفة عن ذلك وهي ما اخطر الله ببالك من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده واجيب بانه لو لم يوجد المقتضي
للاقدام على ذلك الفعل المحذور لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذلك المقتضي الا القدرة مع الداعي ولا ذلك المانع الا داعية اخرى
معارضة للداعي الاول فقد وجدها الله تعالى عقيب ذلك ثم ذكر طرفا اخر من مكائدهم فقال وان كادوا ليستفزونك ان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة كما في الاية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر في قوله واستفزز والارض اما ارض مكة كما قال قتادة ومجاهد ويدل
عليه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك ويمكن ان يقال انهم هموا باخراجه و
لكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بامر ربه فاطلق الاخراج على ارادة الاخراج مجازا ويؤيده قوله واذا لا يلبثون وهو معطوف على
يستفزونك اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا اي لو اخرجوك لاستؤصلوا لكنه لم يقع الاستيصال فدل ذلك على عدم وقوع الاخراج
ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث انهم اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل واما ارض المدينة فيبتنى على ما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلعم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلد مقدسة وكانت
مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك
منهم فعسكر رسول الله صلعم على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الاميال من المدينة او بذي الحليفة
حتى يجتمع اليه الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت الاية فرجع وعلى هذا القول يكون هذه الاية ايضا مدنية والخلاف
في معنى الخلف كما مر في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ واذا لا يلبثوا بحذف النون على اعمال اذن فيكون الجملة براسها معطوفة على جملة
قوله وان كادوا ليستفزونك ثم بين ان عادته تعالى جارية بان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم فقال سنة من قد ارسلنا
وهو منصوب على المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا لان الاسباب الكلية في الازل اقتضت توزع كل
من اجزاء الزمان على حادث معين بسبب معين فتبديل احد الحوادث وتحويلها الى وقت اخر يقتضي تغير الاسباب عن اوضاعها وهو
محال عقلا او عادة قال اهل النظم لما قرر الالهيات والمعاد والجزاء اردفها باشرف الطاعات وهي الصلوة وايضا لما قال وان كادوا

ليستفزونك

يستغرق وقتك امر بالاشتغال بعبادة تفويضا للامور الى الله وتعويلا على فضله في دفع شر اعدائه ونظيره قوله في سورة طه فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابي قتيبة وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس ان دلوك
الشمس هو غروبها وعلى هذا لا تشتمل الاية الا على صلوتي الظهر والعصر واكثر الصحابة والتابعين على ان دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء ويؤيده
ما روي انه صلعم قال اتاني جبرئيل لدلوك الشمس فصلى بي الظهر قالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه اذا نظر اليها وهي في كبد حين زالت الشمس صح
السماء وعلى هذا التفسير تشتمل الاية جميع الصلوات الخمس وحمل كلام الله على ما هو اكثر فائدة اولى واللام بمعنى الوقت او للتعليل اي ادم الصلوة في هذا
الوقت الى غسق الليل اي ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا اي اظلم والاسم الغسق بفتح السين وتركيبه يدور على السيلان ومنه يقال
غسقت العين اذا هملت وكان الظلام انهمل على الدنيا وتراكم وهذا عند مغيب الشفق الابيض واستدل به بعض الشافعية على ان اول
وقت العشاء الاخرة يدخل بغروب الشفق الاحمر لان المحدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على ان
الغاية لا يدخل في ذي الغاية وعلى ان الاية يجب ان يشتمل جميع الصلوة وللخصم المنع في المقامين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بقران الفجر
هو صلوة الصبح التي تسمية ببعض اجزائه ومثله تسمية الصلوة ركوعا وسجودا وقنوتا قال جار الله انه حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست
بركن قلت اجزاء الصلوة اعم من اركانها ولهذا قسمت الفقهاء الصلوة الى اركان وابعاض وهيئات فلا يتم هذا الاعتراض وفي الاية مسائل
الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا واجيب بان الاية مخصوصة بفعل الرسول او بقوله
صلوا كما رأيتموني اصلي ويستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الاصلي الثانية استدل
بعض الشافعية بها على ان التغليس في صلوة الصبح افضل من التنوير لوجوه منها انه اضاف القران الى الفجر والتقدير اقم قران الفجر وظاهر الامر
للوجوب لا اقل من الندب حتى لا يكثر مخالفة الدليل والفجر انفجار ظلمة الليل فيلزم ان يكون اقامة الفجر في اول الوقت افضل ومنها انه خص
الفجر باضافة القراءة اليه فدل على ان طول القراءة في هذه الصلوة مطلوب ولن يتم هذا المطلوب الا اذا شرع في ادائه في اول الوقت
ومنها انه وصف قران الفجر بكونه مشهودا فقيل اي يشهده الكثير من المصلين في العادة ومن حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال اكثر
المفسرين معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلوة الصبح تنزل هؤلاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار وقيل انهم
يجتمعون خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة الغداة قبل ان تعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملائكة الليل
ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك ويقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك
وهم يصلون فيقول الله لملائكته اشهدوا اني قد غفرت لهم والغرض ان المكلف اذا شرع في صلوة الصبح في اخر الظلمة الذي هو اول الفجر كانت
ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا امتدت هذه الصلوة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكلية او بالاكثر وحضرت ملائكة النهار
وهذا المعنى لا يحصل اذا ابتدئ بها وقت التنوير قال اهل التحقيق اذا شرع في صلوة الصبح في اول وقتها شاهد في اثنائها انقلاب العالم من الظلمة
التي هي نظيرة الموت الى الضياء الذي هو نظير الحيوة فالمتيقظ عقله من هذه الحالة الى عجيب صنع الخالق المدبر للانفس والافاق فيزداد بصيرة
وايقانا ومعرفة وايمانا وينفتح عليه ابواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتقابلة
المتعاكسة اضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورية وبهاء فيحتمل ان يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب
انه اذا شرع في الصلوة اول انتباهه من النوم قبل ان يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية التي بتركها كان اولى
فان الانبياء ما بعثوا الا لازالة مثل هذه الامراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال ومن الليل فتهجد به قال ابو عبيدة وابن
الاعرابي هذا من الاضداد لانه يقال تهجد الرجل اذا نام وتهجد ايضا اذا صلى من الليل وتوسط الازهري فقال الهجود في الاصل هو النوم بالليل
لكن التفعل فيه لاجل التجنب ومنه تأثم وتحرج اذا القى الاثم والحرج عن نفسه فكان المتهجد يدفع الهجود عن نفسه وبوجه اخر لما كان غرض المصلي
بالليل ان يطيب رقاده وهجوده بعد الموت سمي بذلك الاعتبار متهجدا وربما يقال سمي تهجدا لان الاصل فيه ان ينام ثم يقوم ثم يصلي فهو صلوة بعد
رقاد كما كان شأن رسول الله صلعم ولداود كما جاء في الحديث افضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك
بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره واقم الصلوة في بعض الليل فتهجد به اي بالقران ومعنى نافلة زائدة كما مر في اول الانفال
ثم من ذهب الى ان صلوة الليل كانت واجبة على النبي صلعم زعم ان معناها كونها فريضة زائدة على الصلوات الخمس او المراد ان فريضتها نسخت عنك
فصارت تطوعا زائدة على الفرائض ويرد عليه ان الامر ظاهره الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض
على قول من يقول ان صلوة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن ان يجاب عنه بان قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد
لك ان كل طاعة يأتي بها النبي سوى المكتوبة فان تاثيرها لا يكون في كفارة الذنوب لانه غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تأخر وانما يكون
مؤثرة في زيادة الدرجات وكثرة الثواب لا كذلك حال الامة فكانه قيل للنبي ان هذه الطاعات زوائد ونوافل في حقك لا في حق غيرك
لان غيرك يحتاج اليها في تكفير السيئات ومن تقييد التهجد بقوله نافلة لك يعلم ان قوله اقم الصلوة عام له ولكل امته [illegible] كان ظاهره خطابا

سورة بني اسرائيل

معه ثم وعد على اقامة الفرائض والنوافل بقوله عسى ان يبعثك ربك وكلا ربنا ان عسى من الكريم اطماع واجب قال في الكشاف انتصب مقاما محمودا
على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك او هو حال اى يبعثك ذا مقام محمود وقيل انه مطلق
في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات والاولى ان يخص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء انعام ولا انعام للنبى على امته الاخرة الا انعام
الشفاعة ولا انعام اجل منها لان السعى في تخليص الغير من العقاب اهم من السعى في ايصال الثواب اليه ويؤيده رواية ابى هريرة عن النبى صلعم هو المقام
الذى اشفع فيه لامتى واما ما روى عن حذيفة ان المقام المحمود هو ان يجمع الناس في صعيد واحد ولا تتكلم نفس فاول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك
والشر ليس اليك والمهدى من هديت عبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
فليس يقوى لان هذا القول من محمد لا يوجب حمدا له من امته الا ان يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل اراد مقاما يحمد عاقبته
وروى الواحدى عن ابن مسعود ان ذلك حين يقعد محمد صلعم على العرش وزيف بلزوم التحيز له تعالى قوله مدخل صدق ومخرج صدق
مصدر ان بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود اى ادخالا يستاهل ان يسمى ادخالا ولا يرى فيه ما يكره
قال الحسن وقتادة نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء وعزم رسول
الله صلعم على الذهاب اليه فكانه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلوة وادع الله بقولك رب ادخلني المدينة مدخل صدق واخرجني منها الى مكة مخرج صدق اى افتحها لى فعلى هذا ينبغى ان يكون الكلام عودا الى الواقعة المذكورة من
وان كادوا ليستفزونك والاولى ان يقع عاما في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر او مكان وقيل المراد ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها
امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلف من غير تفريط
وقيل المراد رب ادخلنى الصلوة واخرجنى منها مع الصدق والاخلاص والقيام بلوازم الخضوع او ادخلنى في مجاري دلائل التوحيد واخرجنى من الاشتغال
بالدليل الى ضياء معرفة المدلول وقال صاحب الكشاف ادخلنى القبر ادخالا مرضيا واخرجنى منه عند البعث ملقى بالكرامة يدل على هذا التفسير
ذكره على اثر ذكر البعث واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حجة ظاهرة تنصرنى بها على جميع من خالفنى او ملكا وعزا ناصرا للاسلام وقد وعد ثم
بشرهم باستجابة دعائه بقوله وقل جاء الحق اى الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك من زهقت نفسه اذا خرجت ان الباطل كان زهوقا غير
ثابت في كل وقت وان اتفقت له دولة وصولة كانت كالبرق عن ابن مسعود ان النبى صلعم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون
صنما لقبائل العرب صنم كل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب لوجهه حتى القاها جميعا وبقى صنم
خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله صلعم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا
رجلا اسحر من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله وننزل من القران من للبيان كقوله من الاوثان او للتبعيض اى ننزل ما هو شفاء
وهو هذا القران او بعض هذا الجنس وقيل زائدة ولما كانت ازالة المرض مقدمة على السعى في تكميل موجبات الصحة ذكر كون القران شفاء من
الامراض الروحانية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية ايضا لما فيه من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرض
كما قال صلعم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ثم ثنى انه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التى بها يصل
الانسان الى جوار الملائكة المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كان قبول القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم لا يزيد
القران الظالمين الذين وضعوا التكذيب مقام التصديق والشك موضع الايقان والاطمئنان الا خسارا لان لكل عضو النفى كلما عدد
زاد شرا فلا يزال سماع القران يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى زيادة ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى ان يدفع الله مكرهم
ثم ذكر نتيجة خصلة الانسان التى جبل عليها فقال واذا انعمنا على الانسان اى على هذا الجنس بالصحة والغنى وعن ابن عباس انه
الوليد بن المغيرة وهذا التخصيص بعيد الا ان يكون سبب النزول اعرض وناى بجانبه الناى البعد والنا للتعدية او للمصاحبة وهو تاكيد
للاعراض لان الاعراض عن الشئ هو ان يوليه عرض وجهه اى ناحيته والناى بالجانب ان يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان
هذا الفعل من شان المستكبرين ومن قرأ ناء فاما من النوء بمعنى النهوض مستثقلا واما مقلوب كقولهم راء فى راى واذا مسه الشر
من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله والحاصل ان ان فاز بالمطلوب الدنيوى وظفر بالمقصود الدنى نسى المنعم الحقيقى وان فاته
شئ من ذلك استولى عليه الاسف حتى كاد يتلف ويذوب كلتا الخصلتين مذمومة ولا مقتضى لهما الا العجز والطيش وكل يعقد ركما قال
كل يعمل على شاكلته اى كل واحد من الخلائق انما يتيسر له ان يعمل على سيرة وطريقة التى تشاكل حالة التى جبل عليها من قولهم طريق ذو شواكل وهى
الطرق التى تتشعب منه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لا ﺗﺤﻠﻮﻕ شئ وراه عالم بخاصية كل نفس وبمقتضى جوهرها المشرق او المظلم سواء
قلنا ان النفوس مختلفة بالماهيات او هى متساوية الحقائق واختلاف احوالها لاختلاف مزجة ابدانها كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الذهب
وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ولما انجر الكلام الى ذكر الكلام الانسان وما جبل هو عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال ويسئلونك
عن الروح ذكر المفسرون في سبب نزوله ان اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا صلعم عن ثلث عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب

نغيظ

فلذلك بيع

برا ومثله

كل

عن الاذ

عن الاولين والبهم الثالثة فهو بين لان ذكر الروح مبهم في التورية وان اجاب عن الكل او سكت فليس بنبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
من امر ربي اي مما استاثر الله بعلمه فقد هو على سؤالهم ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها ان الروح ليس اعلى شانا من الله تعالى واذا
كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فما المانع من معرفة الروح ومنها ان هذه المسئلة يعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي ص ان يقول
اني لا اعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يصح ما روي عن ابن عباس يريد لقد مضى النبي ص وما يعلم الروح ومنها ان جعل الحكاية دليلا على
النبوة غير معقول ونحن نتفصى عن المسئلة فنقول السؤال عن الروح اما ان يكون عن حقيقته او عن حال من احواله ككونه متحيزا او قديما او حادثا
او باقيا بعد البدن او فانيا او على تقدير البقاء ما سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله تعالى ويسئلونك عن الروح
ليس فيه ما يدل على تعيين شيء من هذه المسائل فالاولى ان يحمل السؤال على السؤال عن الحقيقة لان معرفة حقيقة الشيء اهم واقدم من معرفة
حال من احواله فيكون قوله قل الروح من امر ربي رمزا الى ان الروح جوهر بسيط مجرد يحصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون لان الاية دلت على ان
الروح من امر الرب وقال في اخر سورة يس انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون يعني ان الروح اذا اراده فانما يقول له كن فيكون ومنه
يعلم انه شيء مغاير للاجسام المتوقفة على المادة والمدة وللاعراض الموقوفة على الاجسام وانه بسيط محض والا لتوقف على انضمام اجزائه ولا يلزم من
كون الروح كذلك كونه مشاركا للباري تعالى في الحقيقة فان الاشتراك في اللوازم لا يقتضي الاشتراك في الملزومات وليس في الاية دلالة على حدوث
الروح الا بحسب الذات بل يستدل ان يستدل بها على قدمه بالزمان اذ لو كان متوقفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر والمفروض خلافه
ولما كان امر الروح مشتبها على الناس كلهم او جلهم ختم الاية بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وذلك ان الانسان وان كمل علمه وكثر تصرفه
بحقايق الاشياء ودقائقها فان ما علم يكون اقل مما لم يعلم فاذا نسب معلومه الى معلومات الله المشار اليها بقوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي كان كلا شيء فانه لا نسبة للمتناهي الى اللامتناهي اصلا وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا
للنبي ص قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله وذكر
الامام فخر الدين الرازي ان قوله الروح من امر ربي يدل على ان الروح حادث لان الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون برشيد
اي فعله وقال ولما جاء امرنا اي فعلنا واذا حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا عين النزاع فان الخصم لا يسلم ان
كل ما هو من فعل الله وبايجاده فانه حادث ثم ذكر حجة اخرى على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما اوتيتم من العلم الا قليلا ووجه تقريرها
ان الانسان بل روحه في مبدا الفطرة خال عن العلوم والمعارف ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو دائما في التبدل والتغير من النقصان
الى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور على ان حمل وقت خلو العلم على اول الفطرة تخصيص من غير دليل مع
ان ظاهر الاية يدل على ان الانسان وان اوتي حظا من العلم وافرا فانه قليل بالاضافة الى علم عالم الذات وقيل الروح المذكور في الاية هو القران
الذي هو سبب لحيوة الروح كان القوم استعظموا امره فسئلوا انه من جنس الشعر او من جنس الكهانة فاجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام
البشر وانما هو كلام ظهر بامر الله ووحيه وتنزيله وقيل هو ملك في غاية العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملئكة صفا
ونقل عن علي ع ان له سبعين الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا
يطير مع الملائكة يوم القيمة ولم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء الله ان يبلع السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة
لفعل ولمثل هذه الروايات مسرح الى بقعة الامكان ولا دليل للاعتراض عقلا عليه وقال الحسن وقتادة هذا الروح جبرئيل كانهم سئلوا الرسول
كيف جبرئيل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فامر بان يقول الروح من امر ربي اي نزوله بامر الرب كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وقال
مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني ادم لهم ايد وارجل ورؤس ياكلون كما ياكل الناس وليسوا بالناس وضعف هذه الاقوال
بان صرف السؤال عن الروح الانساني الذي تحير دواعي العقلاء على معرفته الى اشياء [illegible] الوجود مستنكر واعلم ان للعقلاء في حقيقة
الانسان اختلافات كثيرة واذا كان حال العلم باقرب الاشياء الى الانسان وهو نفسه هكذا فما ظنك بما هو ابعد ولننبه على بعض تلك المذاهب
فلعل الحق يلوح في تضاعيف ذلك فنقول العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير اليه كل واحد بقوله انا فذلك المشار اليه اما ان يكون جوهرا
مفارقا او جسما هو هذه البنية او جسما داخلا فيها او خارجا عنها او عرضا اما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى ان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس
وزيف بان البدن دائما في التغير والتبدل والمشار اليه بانا واحد من اول العمر الى اخره وبان الانسان غير غافل عن نفسه حين ما يكون ذاهلا
عن اجزاء بدنه وبان النصوص الواردة في القران والخبر كقوله عز من قائل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وكقوله ص انبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من
حفر النيران وقوله في خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت
بي جمعت المال من حله وغير حله فالهناء لغيري والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي توجب مغايرة النفس للبدن وبان جميع فرق الدنيا من ارباب
الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم ويزورونهم ويدعون لهم بالخير وبان الميت قد يرى في المنام فيخبر عن امور [illegible] ويكون كما اخبر وبان

انه قال الروح

او غير متحيز

غير المتناهي

في تحقيق الانسان

تحقيق النفس

الانسان قد يقطع عضو من اعضائه ويعلم يقينا انه هو الذى كان قبل ذلك وبثبوت المسخ فى حق طائفة من اهل الكتاب وليس المسخ الا
تغير البنية مع بقاء الحقيقة وبان جبرئيل قد راى فى صورة دحية وابليس راى فى صورة الشيخ النجدى فعلم ان لا عبرة بالبنية وبان الزانى يزنى
بفرجه فيضرب على ظهره فعلم ان المثاب ذو المثاب شيء اخر سوى العضو وبانا نعلم ضرورة ان العالم الفاهم المخاطب انما هو فى ناحية القلب ليس
جملة البدن ولا شيئا من الاعضاء اما ان قيل الانسان جسم هو فى داخل البدن فاعلم ان احدا من العقلاء لم يقل بان الانسان عبارة عن الاعضاء
الكثيفة الصلبة التى غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال انه الجسم الذى
غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة اعنى الدم بدليل انه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذى غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح
الذى فى القلب وجزء لا يتجزى فى الدماغ ومنهم من يقول انها اخلاط بهذه الارواح القلبية والدماغية اجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية
وهى الانسان ومنهم من قال اذا تكون بدن الانسان وتم استعداده نفذت فيه اجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس
قابلة للتبديل والتحليل ولا للتفرق والتمزق نفوذا يشبه نفوذ النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد وهذا النفوذ هو
المراد بقوله ونفخت فيه من روحى ثم اذا تولدت فى البدن اخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن
فيعرض الموت الجوهر قال الامام فخر الدين الرازى هذا مما ذهب اليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب قوى شريف يجب التامل فيه فانه شديد
المطابقة لما فى الكتب الالهية من احوال الحيوة والموت قلنا اما نفوذ الجوهر النورى فى البدن كنفوذ الدهن فى السمسم واما انه اجرام او اجسام
ففيه نظر واعلم انه لم يذهب احد الى ان الانسان جسم خارج عن البدن ولا الى انه عرض حال فى البدن الا ما نقل عن الاطباء وعن ابى الحسين البصرى
من المعتزلة ان الانسانية عبارة عن امتزاجات اجزاء العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخص هذا الصنف ومن شيوخ المعتزلة من
قال الانسان عبارة عن اجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة باعراض مخصوصة هى الحيوة والعلم والقدرة ومنهم من قال انه يمتاز عن سائر الحيوانات
بشكل جسده وهيئة اعضائه والصحيح من المذاهب عند اكثر علماء الاسلام كالشيخ ابى القاسم الراغب الاصفهانى والشيخ ابى حامد الغزالى ومن
قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمى ومن الشيعة الشيخ المفيد ره ومن الكرامية جماعة ومن الفلاسفة الالهيين كلهم ان الروح الانسانى جوهر
مجرد ليس داخل العالم الجسمانى ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان الاله العالم
لا تعلق له بالعالم الا على سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطعت علاقته عن البدن فلا يبقى البدن معطلا ميتا واستدلوا على هذا
المطلوب بحجج منها ما اختاره الامام فخر الدين الرازى وهى لو كان الانسان جوهرا متحيزا لكان تحيزه عين ذاته المخصوصة اذ لو كان صفة قائمة بها لزم كون الشىء
الواحد متحيزا مرتين ولزم اجتماع المثلين وايضا لم يكن جعل احدهما ذاتا والاخر صفة اولى من العكس وايضا التحيز الثانى ان كان عين الذات فهو
المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا كان التحيز عين ذاته لزم انه متى عرف ذاته عرف تحيزه لكنا قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد
فى الجهات الثلث وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم منتف وعورض بانه لو كان الانسان جوهرا مجردا
لكان كل من عرف ذاته عرف تجرده وليس كذلك واجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية ومنها ان الشىء الذى
يشير اليه كل واحد بقوله انا واحد بالبديهة ولان الغضب مثلا حالة نفسانية يحدث عند محاولة دفع المنافى ومحاولة دفع المنافى
مشروط بالشعور بكون الشىء منافيا فالذى يغضب لابد ان يكون هو بعينه مدركا ولان اشتغال الناس بالغضب وانصبابه اليه يمنعه من
الاشتغال بالشهوة والانصباب اليها فعلمنا انهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد اذ لو كان لكل منهما مبدء مستقل لم يكن اشتغال احدهما
بفعله مانعا للاخر وايضا اذا ادركنا شيئا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا للغضب فعلمنا ان صاحب الادراك
بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وايضا النفس لا يمكنها ان يتحرك بالارادة الا عند حصول الداعى ولا معنى للداعى الا الشعور بخير يرغب فيه فعلم
هذا يقتضى ان المتحرك بالارادة هو بعينه المدرك للخير والشر واللذيذ والمؤذى والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس
والمتخيل والمتفكر والمشتهى والغاضب وبعض الات مختلفة وقوى متغايرة واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل
اثر واحد ولو كانت جزءا من اجزاء البدن كانت قوته سارية فى جميع اجزاء البدن والوجود بخلافه لكل تحصل اليقين بان النفس شىء مغاير لكل
البدن ولكل جزء من اجزائه ومنها ان الاستقراء يدل على ان احوال النفس بالضد من احوال الجسد اذ قبل شكل التثليث مثلا امتنع ان يقبل
شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فان ادراك كل صورة يعينها على ادراك ما عداها ولذلك كلما ازداد الانسان فهما وذكاء ازداد العلو
وايضا كثرة الافكار توجب قوة للنفس ويستدعى استيلاء على الدماغ وقد يصير ابدان ارباب الرياضة فى غاية النحافة والهزال وقوة
نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى السلاطين واصحاب الشوكة والقوة ومما يختص بهذه الاية التى نحن فى تفسيرها ان الروح لو كان جسما منتقلا
من حالة الى حالة لكان مساويا للبدن فى كونه متولدا من اجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلعم عن الروح كان الاليق
ان يقول انه جسم كان كذا ثم صار كذا وكذا كما ذكر فى كيفية تولد البدن انه كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة الى اخره ولما جاء الاحاديث
الواردة فى ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد يؤكد ذلك الولاء الذى ادعينا من ان النفس شىء مغاير للبدن ولاجزائه والله اعلم بحقائقه



الامور قال اهل التحقيق لما بين انه ما آتاهم من العلم الا القليل اراد ان يبين انه لو شاء ان ياخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه فقال ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك قلت في نسبة علم القرآن الى القلة خروج من الادب فالاولى في وجه النظم ان يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسئلة الروح
بين ان ذلك من العلوم الالهية التي لا نهاية لها لكن العلوم الانسانية القليلة وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان اراد ان يبين
غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان ايضا فبين انه قادر على ذهاب القرآن ومحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك في آخر الزمان كما جاء
في الروايات ثم لا يجد النبي الذي هو اكمل انواع الانسان من يتوكل على الله بالاسترداد فضلا عن غيره الا رحمة من ربك استثناء متصل اي الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك كان رحمته توكل عليه بالرد او منقطع معناه ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ان فضله بايحاء القرآن اليك ثم ابقاه
عليك وبهذا يعلم ان الحساد والمراد كان عليك كبيرا وفيه ان نعمة القرآن وبقائه محفوظا في الصدور ومسطورا في الدفاتر من اجل النعم واشرفها
فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن شكرها والقيام بحقها جعلنا الله ممن يراعي حق القرآن ويعمل بمقتضاه واحتج الكعبي بالآية على ان القرآن مخلوق
لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل ان يكون قديما واجيب بان المراد ازالة العلم به عن القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه في المصحف لا يوجب
حدوث الكلام النفسي الذي هو محل النزاع ثم دل على ان الذي اوحي اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن
والآية وقد مر وجه اعجاز القرآن في اوائل سورة البقرة فان قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف يعرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز
ان يقال ان الجن اعانوه على هذا التاليف سعيا في اضلال الخلق واخبار محمد بانه ليس من كلام الجن يوجب الدور وليس لاحد ان يقول ان الجن ليسوا فصحاء
فكيف يعقل ان يكون القرآن كلامهم لانا نقول التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء فالجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه
معجزا ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان بمثل القرآن فسقط السؤال بالكلية
على انه سبحانه قد اجاب عنه في آخر سورة الشعراء بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وسوف يجيء تفسيره ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة التحدي
بالقديم محال والجواب بمثل ما مر ان محل النزاع هو الكلام النفسي لا الالفاظ التي يقع التحدي بها وبفصاحتها ثم بين انهم مع ظهور عجزهم بقوا مصرين
على كفرهم فقال ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وذلك كدلائل التوحيد
والنبوة والمعاد وكالقصص اللائقة وغيرها من المواعظ والنصائح فابى اكثر الناس معناه النفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا جحودا قال اهل البرهان
انما لم يذكر الناس في اوائل السورة حين قال ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا لتقدم ذكرهم في السورة وذكرهم في الكهف اذ لم يجر ذكرهم وذكر
الناس ههنا وان جرى ذكرهم فيما قبل استئنافا لان ذكر الجن ايضا قد جرى وقدم الناس على قوله في هذا القرآن كما قدمه في قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن واما في الكهف وغيرها فقد رجحها الله تعالى اليه في القرآن فكانت العناية بالقرآن اكثر فكان تقديمه اجدر التاويل وان كادوا ليفتنونك
اي من عمي قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالقول الثابت وهو قول لا اله الا الله الى ان يبلغ حقيقة لا اله الا الله شيئا قليلا اذا لماد صفر بالفلك
لان بشريته مغلوبة روحانية غالبة ضعف الحياة وضعف الممات اي يحيي نفسك واذقناك عذاب حياة واسهل الانقطاع الروح وتميت قلبك
واذقناك عذاب مماته وضعف وحل وبعد عن الحضرة سنة من قد ارسلنا اي جرت عادة الله تعالى بان يجعل لكل نبي عدوا يؤذيه ويكون سبب ترقيه من طريق
خالص الانبياء والاولياء عن رحمة الابتلاء فقال اقم الصلاة اي ادمها بالقلب الحاضر نهارا وليلا ان قرآن الفجر كان مشهودا الشواهد الحق بل الحق مشهود
له ثم ادخلني مدخل صدق في بعض السير في الله بالله واخرجني مخرج صدق واثبتني واجعل لي من لدنك سلطانا الامر بكنتك لا من لدن غيرك وفيه ان كل ذي مقام فانه لا يصل
الى مقامه الا بمعية الوصول الى ذلك المقام كقوله وسعى لها سعيها روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعرض حاجته فقال صلى الله عليه وسلم ما تريد فقال مرافقتك
في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم او غير ذلك فقال الرجل بل مرافقتك في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاعني على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد
وتجلي صفات الجمال والجلال وزهق الباطل وهو كل ما خلا الله من الموجودات ومن الخواطر كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وننزل من القرآن
ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب القلوب ان الاحاديث من سلمى تشفيني قل الروح من امر ربي قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر
الذي خلق لا من شيء وعالم الخلق الذي خلق من شيء ويعبر عنهما بالآخرة والدنيا والملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن
والظاهر والارواح والاجسام وما روي انه قال اول ما خلق الله جوهرة وفي رواية درة فنظر اليها فذابت اول ما خلق الله اللوح اول ما خلق الله
روحي وفي رواية نوري واول ما خلق الله العقل واول ما خلق الله القلم وما نقل عن بعض السلف ان اول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبي فالاسامي
مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم فباعتبار انه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة وباعتبار نورانيته سمي نورا وباعتبار وفور
عقله سمي عقلا اذ قال له اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ادبر اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى المعراج ثم قال له
وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك اعرف وبك آخذ يعني طاعة من اخذ منك الدين والشريعة وبك اعطي اي بشفاعتك اعطي
الدرجات العالية وبك اعاقب الكافرين وبك اثيب المؤمنين باعتبار جريان الامور على وفق متابعته والاقتداء به سمي قلما وباعتبار غلبات
الصفات الملكية عليه سمي ملكا كروبيا ولان كل الارواح خلقت من روحه كان ام الارواح ووجه الخلق اليه قيل له ابي في قدره وفي الحديث
آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولما كان الروح خليفة الله تعالى اتصف بالازلية دون الابدية ولما كان الجسد خليفة الروح فنال الروح

قوله ... لان اليهود ... عن قصة اصحاب الكهف

فوائد وفيا سهر يكن الجسد اذ لباد لا ابدا الا يتبعه الروح ثم اخبر عن عزة القران وغيرة الرحمن بقوله ولئن شئنا لنذهبن الاية وفيه انه لا

يقدر على الايمان والذهاب به الا الله تعالى لكنه اكد هذا المعنى بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن كل ما هو مستور عن العيون فيتناول — والمراد بالجن

الملائكة ايضا وفيه انه لا مثل لصفاته حتى الكلام كما انه لا مثل لذاته والله تعالى اعلم بالصواب وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا

من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء

كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن

نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس

ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين

لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا

ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على

وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا

وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات

والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا قل لو انتم تملكون

خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فسئل بني

ع

اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب

السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن

معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق

انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه

تنزيلا قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا و

يقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا

الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا

الجزء الخامس عشر

من الفجر يعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن الغالب الآخرون من التفجير تكثيرا للفعل وان كان الفاعل والمفعول مفردا حتى تنزل
بالتخفيف ابو عمرو ويعقوب الآخرون بالتشديد كسفا بفتح السين ابو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سبحان بلفظ
الماضي ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر المهتدي باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بحذف الياء ربي
اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو خبت زدناهم بادغام التاء في الزاي ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء على التكلم
علي الآخرون بفتحها او ادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة ورويس يقفان على ايا ثم يبتديان ما تدعوا ويتم هذا الوقف وقف البيان الكل
على كلمة واحدة الوقوف ينبوعا ه لا تفجيرا ه قبيلا ه في السماء ط لابتداء النفي بعد طول الفصل وقيل لا الاصح الوصل لان قوله ولن نؤمن لرقيك من كلامهم
نقرؤه ط رسولا ه رسولا ه وبينكم ط بصيرا ه المهتدي ه لعطف جملتي الشرط مع التضاد من دونه ط لان الواو لا يحتمل الاستئناف جهنم ط سعيرا ه جديدا ه
لاريب فيه ط لتناهي الاستفهام الى الاخبار كفورا ه الانفاق ط قتورا ه مسحورا ه بصائر ج للابتداء بان مع اتحاد القائل مثبورا ه جميعا ه للعطف لفيفا ه
لانقطاع النظم والمعنى نزل ط لابتداء النفي ونذيرا ه احترازا من ايهام العطف تنزيلا ه او لا تؤمنوا ط سجدا ه لمفعولا ه خشوعا ه بحق ه الرحمن ط للفصل
الشرط الحسنى ج لانقطاع نظم الشرط الى النهي مع اتحاد المراد سبيلا ه تكبيرا ه التفسير ليس من شرط كون النبي صادقا تواتر المعجزات وتتالي الآيات لان
فتح هذا الباب يوجب نقض المقصود وهو ان لا يثبت نبوة نبي ابدا ولكن المعجز الواحد يكفي في صدق النبي واقتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما
بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بيانا لتصميمهم على الكفر قال ابن عباس ان رؤساء مكة ارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
جلوس عند الكعبة فأتاهم فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسير جبالها لتنفسح وفجر لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا اقدر عليه فقال قائل
منهم او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا فقال لا اقدر عليه فقيل له او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب
فيغنيك عنا فقال لا اقدر عليه فقيل له فاذ كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن امية المخزومي
وامه عمة رسول الله لا والذي يحلف به لا اومن بك حتى تتخذ سلما فتصعد عليه ونحن ننظر فتأتي باربعة من الملائكة فيشهدون لك بالرسالة ثم
بعد ذلك لا ادري اومن بك ام لا فانزل الله هذه الآيات ولنشرع في تفسير الالفاظ فقوله ينبوعا اي عينا غزيرة من شأنها النبوع من غير انقطاع
والياء زائدة كيعبوب من عب الماء وقوله او تكون لك جنة معناه انك لا تفجر الانهار لاجلنا نفجرها من اجلك وقوله كما زعمت اشارة الى قوله
سبحانه ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء او اشارة الى ما مر في السورة من قوله أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل
عليكم حاصبا اي اجعل السماء قطعا متفرقة كالحاصب وسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبي فاسقط السماء علينا وقيل كما زعمت
ان ربك ان شاء فعل قال في الكشاف الكسف بسكون السين كسدرة وسدر وقال ابو علي الكسف بالسكون الشيء اذا غطيته والشيء
المقطوع كالطحن للمطحون واشتقاقه على ما قال ابو زيد من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشيء اذا غطيته كانه قيل
او تسقطها طبقا علينا وهو نصب على الحال في القراءتين ومعنى قبيلا كفيلا بما تدعي من صحة النبوة والمراد او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا
فاختصر والمراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم يعلموا انه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظيره قولهم لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا وقال ابن عباس اي فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر في تفسير قوله انه يراكم هو وقبيله
قوله بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة عبد الله او يكون لك بيت من ذهب وقال الزجاج هو الزينة
ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة والمصدر رقي واصله فعول
كقعود ومعنى لن نؤمن لرقيك لن نؤمن بك لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك قال الرسول متعجبا من اقتراحاتهم او
تنزيها لله من تحكماتهم او من قولهم او تأتي بالله سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فان طلبتم هذه الاشياء ان اتي بها من تلقاء
نفسي فالبشر لا يقدر على امثال ذلك فكيف قدرنا عليها وان اردتم ان اطلب من الله اظهارها على يدي فالرسول اذا اتى بمعجز واحد كفى
به ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانا عبد مأمور ليس لي ان اتحكم على الله بما ليس بضروري في الدعوة ثم حكى عنهم شبهة اخرى فقال وما منع الناس
ان يؤمنوا اي الايمان بالقرآن وبنبوة محمد اذ جاءهم الهدى وهو الوحي المعجز الهادي الى طريق النجاة الا ان قالوا منكرين ابعث الله بشرا رسولا
ثم اجاب عن شبهتهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون على الاقدام كما يمشي الانس مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لان الرسول لا بد ان يكون من جنس المرسل اليهم فكانه اعتبر لتنزيل الرسول من جنس الملائكة امرين احدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني
كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران باجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من اهلها ما يجب معرفته
وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف ان يكون قوله بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا بل زعم انه اعني له
اجوب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كان احد الصفتين المتقابلين حالا لزم ان يكون
الاخرى كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال قل كفى بالله الآية وذلك ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله تعالى له على
الصدق فاذا لم تسمع هذه الشهادة وهو عليم ببواطن الامور وخفيات الضمائر فكيف بظواهرها علم ان هؤلاء الحسد والعناد من

وسهل الباقون بالضم

... جمع كسفة بالسكون

والعناد فيجزيهم على حسب ذلك ثم بين ان الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته وتقديره فقال ومن يهد الله الآية وقد مر خلاف المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة
في مثله في آخر الاعراف وغيره وقوله فهو المهتد حمل على اللفظ وقوله فلن تجد لهم حمل على المعنى والخطاب في لن تجد اما للنبي او لكل من يصح منه الخطاب والاولياء
الانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها كما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس قد اخبر الله تعالى عنهم بانهم يرون وينطقون ويسمعون حيث قال ورأى المجرمون النار دعوا
هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة تقبل منهم ولا يسمعون
ما يلذ اسماعهم وفي رواية عطاء انهم عمي عن النظر الى ما جعله الله لاوليائه بكم عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صم عن ثناء الله على اوليائه وقيل هذه
الاحوال بعد قوله تعالى لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون وبعد ان يذهب بهم الى النار وانما جعلوا اموات في الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي و
التصام عن الحق ومن عدم النطق به كلما خبت اي سكن لهبها خبت النار تخبو خبوا واخباها غيرها اي اخمدها زدناهم سعيرا قال ابن قتيبة اي تسعرا وهو التلهب
ولا ريب ان خبو النار تخفيف لاهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب واجيب بانه يحصل لهم في الحال الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيتمم
العذاب او لعل لعظم العذاب صار التفاوت الحاصل في الوقتين غير مشعور به ويحتمل ان يقال المراد بعدم التخفيف انه لا يتخلل زمان محسوس ومعتد به بين الخبو
والتسعر وقال في الكشاف لانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها وفيه زيادة في تحسرهم
وفي الانتقام منهم ومما يدل على هذا التفسير قوله ذلك جزاؤهم الآية ثم ابدى للجاحد حجة تستنبط المذعن للحق اذا تأمل فقال اولم يروا الآية وذلك ان من قدر على
خلق السموات والارض كان على اعادة من هو دونهما اقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل الابتداء
ومن قال المراد انه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم يصونهم ليوحدوه ويتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي يبعثهم وحينئذ يبين ان
البعث امر ممكن في نفسه ثم ذكر ان لوقوعه وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم اي لبعثهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله اولم
يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم واقول يحتمل ان يكون الواو للاستيناف ووجه النظم كانهم لما طلبوا اجراء
الانهار والعيون في اراضيهم ليتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي رزقه وسائر نعمه على خلقه التي لا نهاية لها لبقوا
على بخلهم وشحهم فضلا ان يملكوا خزائن بصدد الفناء والنفاد قال النحويون كلمة لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء لانها حين
يكون على معناها الاصلي تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الآثار والاحوال لا الذوات وايضا
انها ههنا بمعنى الشرطية وهي مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فاصل الكلام لو تملكون مرتين فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير لو تملكون صح
فصار الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو به فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره قال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدلالة على
الاختصاص انهم هم المختصون بالشح المتبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر من حيث انه لا يقصد
الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لا يقصد اللطمة بل اللاطمة اي لو حرة لطمتني وقوله خشية الانفاق اي خوف الفقر من انفق له
اذا ذهب ماله ومفعول امسكتم متروك المفعول معناه لبخلتم وكان الانسان قتورا اي بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير التقصير في الانفاق وهذا الحكم لا ينافيه ما
قد يوجد في الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس اي هذا الجنس من شأنه الشح اذا كان باقيا على طبعه لانه خلق محتاجا الى الضروريات المسكن والملبس
والمطعوم ولا بد له في تحصيل هذه الاشياء من المال فهو يستدفع حاجته ويتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسكه لايام الضرورة والفاقة
ومن الناس من يحب بذل المال محبة ذاتية لا عرضية فاذن الاصل في الانسان هو البخل والجود منه انما هو امر تكلفي او عرضي طلبا للثناء او الثواب وقيل المراد
بهذا الانسان المعهود السابق ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا بها ثم قال ولقد آتينا موسى تسع آيات فكانه
اراد انا آتيناه معجزات تساوي هذه الامور التي اقترحوها بل اقوى منها واعظم فليس عدم الاستجابة الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة او لعدم
استتباع الغاية لعلمنا باصراركم والختم على قلوبكم عن ابن عباس ان الآيات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر
والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب عنهن
فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على اموالهم فقال له عمر لا يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرج فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين
وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني
اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليهود فقبلوا يديه ورجليه وقالوا انك نبي ولولا
انا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازي هو اجود ما قيل في الآيات التسع واقول عد الاحكام من الآيات البينات فيه بعد اللهم الا ان يقال النهي
عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بتسع وزاد واحدة تختص بهم وروى ابو داود هذا الحديث ولم يذكر
ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة في انه صلى الله عليه وسلم قال ولا تقذفوا محصنة او قال ولا تولوا الفرار وقيل انه كان لموسى آيات اخر كانزال المن والسلوى عليه وعلى قومه
وكالآيات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا ان تخصيص العدد بالذكر لا يقدح في الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذوق

ان لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب التخصيص هو ان مرجع جميع معجزاته الى تسع انواع كالسنين ونقص الثمرات مثلا فانهما نوع
واحد وهو القحط وقد يعبر عنها بالآيات بناء على ما به الاشتراك ولكن لا بد عنده من اعتقاد الانحصار في التسع لاجل خبر الصادق فاما قوله فسئل بني اسرائيل فالخطاب فيه
للنبي والسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة والايقان لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت والمسؤلون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام
واصحابه وقوله اذ جاءهم يتعلق بآتينا او بمنصوب باضمار اذكر وهو للتعليل والمراد فسألهم يخبروك انه جاءهم اي جاء آباءهم ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى بتقدير
القول اي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم عن ان يعاضدوك
ويساعدوك في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري ان معناه اعطي علم السحر من قرأ
علمت بضم التاء فظاهر لان موسى كان عالما بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض فاراد اني لا اشك في امري بسبب تشكيك مثلك ومن قرأ
بفتحها فالمراد تبيين ان كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لك الآيات هؤلاء كقوله والعيش بعد اولئك الايام
ومعنى بصائر بينات مكشوفات وانتصابها على الحال كانه اشار بقوله ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض فاراد اني لا اشك في امري بسبب تشكيك مكذب
الى انها افعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى ان فاعلها انما فعلها لغرض تصديق المدعي فتم حد المعجز بمجموع القيدين ثم قارع موسى ظن فرعون بظنه فقال اني
لاظنك يا فرعون مثبورا قال الفراء اي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك
ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان انكاره ما علم صحته يستعقب لا محالة الويل والثبور او حسرة وندامة ولهذا قال فاراد اي فرعون ان يستفزهم من الارض
اي يستخف موسى وقومه من بسيط الارض او من ارض مصر بالقتل والاستيصال او بالنفي والاخراج والحاصل ان فرعون عوض بنقيض المقصود فدفن
هو وقومه واسكن بنو اسرائيل مكانه تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ثم اخبر عن المعاد قائلا فاذا جاء وعد الآخرة وهو قيام الساعة جئنا بكم لفيفا يعني
المكلفين كلهم لفيفا جماعات من قبائل شتى وذوي اديان ومذاهب مختلفة وذلك لاجل الحكم والجزاء والفصل والجلاء ولما بين اعجاز القرآن واجاب عن شبهات
القوم اراد ان يعظم شان القرآن ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص اي ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق في مركزه وتمكين الصواب في نصابه
قال جار الله اي ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا
بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وقال الآخرون الحق هو الثابت كما ان الباطل هو الزاهق ولا
ريب ان هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة واقرار النبوات وفي اثبات المعاد وعلى اصول الاديان
والملل التي لا يتطرق اليها النسخ والتبديل وكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها مما تبقى ببقاء الدهور وقال ابو علي الفارسي الباء في الموضعين بمعنى
مع كما في قولك خرج بسلاحه والمعنى انزلنا القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل ان يكون الباء الثانية كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد لان
القرآن نزل به اي عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين والاتيان بشيء مما اقترحوه ثم
ان القوم كان من تعنتهم طعنوا في القرآن من جهة انه لم ينزل دفعة واحدة واجاب عن شبهتهم بقوله وقرآنا هو منصوب بفعل يفسره فرقناه اي جعلنا نزوله
مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال انه لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على
فصل متقارب وقال ابو عبيدة التخفيف اعجب الي لان تفسيره بيناه وليس للتشديد معنى الا انه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما رواه
ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام وقول ابن عباس اعتبار الفصل بين اوله وآخره وبين آخره فرأى التشديد اولى
لعل المراد الفصول المتقاربة التي فيما بين المدة بدليل قوله لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وتؤدة ولقوله ونزلناه تنزيلا اي على حسب
المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه بان يقول للمقترحين آمنوا به او لا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب من
قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا ما انزل على محمد خروا سجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام
وفي قوله يخرون للاذقان سجدا دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قيد الخرور وهو السقوط بالذقن فقال الزجاج لان الذقن مجمع
اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور للسجود فاول ما يحاذي به الارض من وجهه الذقن قلت هذا تصحيح للمعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال
غيره المراد تعفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما انه
لم يقل يخرون على الاذقان كما هو ظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكانهم خصوا اذقانهم بالخرور وخصوا الخرور باذقانهم ثم حكى
انهم في سجودهم انهم يراعون شرائط التنزيه والتعظيم قائلين سبحان ربنا ان كان وعد ربنا بانزال القرآن وبعثة محمد في كتبنا المفعول اي انجزا
وان مخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام في خبر كان ثم ذكر انهم كما خروا للاذقان فانهم في حال كونهم ساجدين فقد خروا لها حال كونهم باكين ويجوز
ان يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرير الفعل منهم بدليل قوله ويزيدهم اي القرآن خشوعا لين قلب ورطوبة عين ثم اراد ان يعلمهم كيفية الخشوع والدعاء
فقال قل ادعوا عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا
ثم تترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا واو للتخيير والمعنى على السبب لا على سموه بهذا الاسم او بهذا والتأنيث اما هذا واما هذا اياما تدعوا

يعني ايّ هذين الاسمين سميتم وذكرتم فالتنوين عوض عن المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير في فله لا يرجع الى احد الاسمين ولكن الى مسماهما
وكان اصل الكلام ايّا ما تدعوا فهو اي ذلك الاسم حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسمائه كلها حسن الاسمان لاستقلالها بنعوت
الجلال والاكرام وقد مرّ في اواخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء فقال ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلوتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر
والمخافتة من نعوت الصوت لا الصلوة افعالها فهو من اطلاق الكل وارادة الجزء منه يقال خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه وضعف وسكن وخفت
الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلعم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا
سمعه المشركون سبّوه وسبّوا من جاء به فاوحى الله اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا يسمع
اصحابك وابتغ بين ذلك الذي ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان النبي صلعم طاف بالليل دور الصحابة فكان ابو بكر يخفي صوته في صلوته
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر النبي صلعم ابا بكر ان يرفع صوته قليلا وامر عمر
ان يخفض قليلا فنزلت الاية على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل و
تخافت بصلوة النهار وعن عايشة وابي هريرة ومجاهد ان الصلوة هيهنا الدعاء وقد روي هذا مرفوعا قال الحسن لا ترائي بعلانيتها ولا تسيء سريرتها
وايضا في الجهر اسماع غيره الذنوب وهو الموجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
جار الله ابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولما امر ان لا يذكر ولا ينادي الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله وقل
الحمد لله الاية قال في الكشاف كيف لاق وصف الله بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو
الذي يستحق جنس الحمد واقول الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه يتولد من جزء من اجزاء الوالد فالولد مركب وكل مركب محدث
والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد يبخله والبخيل لا يستحق الحمد والشركة في الملك انما يتصور لمن لا يستقل
بالمالكية فيفتقر الى من يتم بمشاركته امورهم لكثرة ومصالح مهمة وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضانه فلا يستحق الحمد على الاطلاق
وهكذا حكم من كان له ولي من الذل اي لم يتخذ حبيبا من اجل ذلة به واستفادة لا من عزة وقوة وافاضة او الولي بمعنى الناصر اي ناصر من اجل مذلة به ليدفعها
بموالاته وايضا قد يمنعه الشريك من اصابة الخير الى اوليائه والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فينعم عليه دون من استغنى عنه اما اذا كان
منزها عن الولد وعن الشريك وعن ان يكون له ولي ينصره ويلي امره كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر قال الامام فخر الدين
الرازي التكبير انواع منها تكبير الله في ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته بان يعتقدها كلها من
صفات الجلال والاكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعند هذا
يعود مسئلة الجبر والقدر قال سمعت ان الاستاد ابا اسحق الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الرحمن بن احمد الهمداني
فلما راه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاد سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبير الله في احكامه وهو ان يعتقد ان احكامه
كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة ووفق الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي صلعم اذا افصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية والله اعلم التاويل وقالوا لن نؤمن لك كانوا ارباب الحس فلم يبصروا شواهد الحق ودلايل النبوة ولم
يطلبوا منه ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتجلية الارواح وتفجير ينابيع الحكمة من ارض القلوب لانبات نخيل المشاهدات و
اعناب المكاشفات في جنات المواصلات ابعث الله بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا حين ظنوا ان الملك اعلى حالا من البشر وغفلوا عن رتبة الانسان
الكامل حيث جعلوا مسجود الملائكة المقربين واودع فيه سر الخلافة ماويهم جهنم الحرص والشهوات كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها زدناهم
سعيرا باشتغال الطلب بشهوة اخرى تسع آيات بينات قال الشيخ المحقق نجم الحق والدين المعروف بداية اراد الايات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه
خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه وتربيته في حجر العدو ... عليه ونحو ذلك وبالحق انزلناه لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي
احتاجت بالعلوم الى عالم العلوي الى حبل متين هو القران كقوله ... بحبل الله جميعا وبالحق نزل لتمييز بين اهل السعادة والشقاوة بالاتباع في الرجوع صح
وعدمه ان الذين اوتوا العلم من قبله في الازل اذا يتلى عليهم في الازل عند خطاب الست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان
في عالم الصورة يبكون فالتواضع والسجود من شان الارواح والبكاء والخشوع من شان الاجسام ثم بين ان الارواح انما ارسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله
فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايّا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي كل اسم من سماته حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء
وسمعة ولا تخافت بها بان تخفيها بالكلية فتحرموا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الاية حروفها ستة الاف وثلثمائة وستون حرفا كلماتها الف وخمسمائة وسبعة وسبعون اياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين

يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم

به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك

على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم

ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف و

الرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة

وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين

احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى و

ربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا

اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن

افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم

من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و

اذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد

ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين

وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و

لملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما

او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر

ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا

عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان

وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا

رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ

خدای ایشان دانا تر است بایشان گفتند آنانکه غالب شدند بر کار ایشان هر آینه کنیم برایشان مسجدی زود گویند سه چهارم ایشان

كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي

سگ ایشان و میگویند پنج ششم ایشان سگ ایشان گمان بردنی بنا دیده و میگویند هفت و هشتم ایشان سگ ایشان بگو پروردگار من

أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا وَلَا

دانا تر است بشمار ایشان نداند ایشان را مگر اندکی پس ستیزه مکن در ایشان مگر ستیزه پیدا و مپرس در ایشان از ایشان یکی را و

تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي

مگو البته چیزی را بدرستیکه من کننده آنم فردا مگر اینکه خواهد خدا و یاد کن خدا را چون فراموش کنی و بگو شاید که راه نماید پروردگار من

لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ

نزدیکتر از این راه راست و درنگ کردند در غار خود سیصد سال و افزودند نه بگو خدا داناتر است بآنچه درنگ کردند او را

غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا

پنهانی آسمانها و زمین چه بینا است و شنوا نیست مر ایشان را جز از او هیچ دوستی و انباز نیارد در حکم او یکی

القراءة من لدنه باشمام الدال شيئا بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الآخرون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء ويبشر مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد يهيئ لنا ويهيئ لكم بتليين الهمز فيهما الاوقية والاعشى في الوقف وابدال الهمزة الفا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الآخرون على العكس تزاور خفيفا بحذف تاء التفاعل عاصم وحمزة وعلي وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر مثل تحمر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي لادغام التاء فهو المهتدي كما في سبحان الملئت مشددة للمبالغة ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف غير مهموز بورقكم بسكون الراء ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر والخزاز عن هبيرة وعباس بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الآخرون بكسر الراء مظهرا ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهدين ان ترن وان يؤتين وان تعلمن باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وعن البزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين ونافع ويزيد ابو جعفر ونافع وابو عمرو بالياء في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح وزيد الآخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف الوقوف عوجا ط لان قيما ليس بصفة له ولكنه انتصب بمحذوف دل عليه المتلو وهو انزل اي انزله قيما او للوصل وجه وهو ان يكون حالا عن الكتاب والعبد وما بينهما اعتراض حسنا ه لا ابدا ه ولدا ه لان ما بعده يحتمل الصفة او الابتداء والاخبار والوقف اوضح ليكون ادعاء الولد مطلقا كما هو الظاهر لا بانهم ط من افواههم ط كذبا ه اسفا ه عملا ه جرزا ط لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجب عجبا ه رشدا ه عددا لا للعطف امدا ه بالحق ط هدى ز لعطف الجملتين والوصل اولى للعطف شططا ه الهة ط لابتداء التحضيض بين ط كذبا ه مرفقا ه فجوة منه ط ايات الله ط فهو المهتد ج مرشدا ه رقود قد والاولى الوصل على ان ما بعده حال اي وهم رقود ونحن نقلبهم الشمال قد والوصل احسن على ان المعنى نقلبهم باسطا بالوصيد ط رعبا ه بينهم ط كم لبثتم ط بعض يوم ط احدا ه ابدا ه لا ريب فيها ج لان اذ يصلح ان يكون ظرفا للاعثار عليهم وان يكون منصوبا باضمار اذكر بنيانا ط بهم ط مسجدا ه رابعهم كلبهم ج فصلا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين بالغيب ج لوقوع العارض كلبهم ط قليل ط ظاهرا ص احدا ه يشاء الله لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا ه تسعا ه لبثوا ج لاحتمال ان ما بعده مفعول قل او اخبار مستانف والارض ط لابتداء التعجب اسمع ط من ولي ط لمن قرا ولا تشرك على النهي ومن قرا على الغيبة اخبار اجوز وقف لاختلاف الجملتين احدا ه التفسير الصق الحمد والتكبير المذكورين في آخر السورة المتقدمة بالحمد على اجزل نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على محمد ص قال بعض العلماء نزه نفسه في اول سورة سبحان عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته وحمد نفسه في اول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على ان مقام التسبيح مبدا ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه ان الاسراء اول درجات كماله لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية الى اوج الملكية ولا شك ان المنافع المتعدية اعظم من القاصرة كما ورد في الخبر من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي ص نعمة عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم العلوي والشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالآخر واما انه نعمة علينا فلانا نستفيد منه ص مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفضية الى صلاح المعاش والمعاد وفي انتصاب قيما وجوه فاختار صاحب الكشاف ان يكون منصوبا بمضمر اي جعله قيما وابى ان يكون حالا لان العطف يدل على تمام الكلام وجعل حالا يدل على نقضانه وقال الجامع لا اصفهاني هما حالان متواليان الا ان الاولى جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له والفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التاكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخلو عن ادنى عوج في الحقيقة هذا تفسير ابن عباس ويحتمل ان يراد انه

سائر الكتب مصدق لها شاهد بصحتها وانه قيم بمصالح العباد وما لابد لهم من الشرع والاحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى انه
كامل في ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو في نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى انه مكمل لغيره مصلح مجسن ببيانه وارشاده
لاحوال المعاش والمعاد فيكون الاية نظير قوله في اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد ان يفصل ما اجمله في قوله قيما فقال لينذر باسا شديدا من
لدنه وحذف المنذر للعلم به لعمومه ولتطهير اللسان عن ذكره اى لينذر الذين كفروا عذابا بائسا صادرا من عنده والاجر الحسن الجنة بدليل قوله ماكثين
فيه وهو حال من الضمير في لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر لخصوصه وحذف المنذر به وهو الباس الشديد لتقدم ذكره وقد بين كونه قضية كلية ثم يعطف
عليها بعض جزئياتها تنبيها على كونه اعظم جزئيات ذلك الكلي فيقع عطف الانذار المخصوص على الانذار المطلق دليل على ان اقبح انواع الكفر والمعصية اثبات
الولد لله تعالى على ما زعم بعض كفار قريش من ان الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال ما لهم به اى بالولد او باتخاذ
الله اياه من علم ولا لآبائهم وانتفاء العلم بالشيء اما بالجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال فلا يتعلق به العلم لذلك وهو المراد في الاية اى
قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد لآبائهم الذين هم مثلهم في الجهالة قال جار الله الضمير في قوله كبرت يعود الى قولهم اتخذ الله ولدا
وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز ان يعود الى مضمر ذهني يفسره الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعمت امرأة عندي قال الواحدي انتصب كلمة على
التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة فقد ميزتها من محتملاتها وقرئ بالرفع على
الفاعلية كما يقال عظم قولك قال اهل البيان النصب اقوى وابلغ لافادته التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة من جهة الصنعة ومن جهة التمييز ثم وصف
الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من جهتين الاول ان كثيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا يتمالك العقلاء ان يتفوهوا بها حياء وخجلا
فبين الله تعالى ان هذا المنكر لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما اشنع فعلهم وما اعظم قبحهم الثاني ان هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه
في غاية البطلان وكانه شيء يجري على لسانهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه ان الكلام جسم بان الخروج عبارة عن الحركة والحركة من خواص الاجسام
والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فاسند الى الحال ما هو من شان المحل مجازا ثم زاد في تقبيح صورتهم
بقوله ان يقولون الا كذبا وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علم قائله بانه غير مطابق وذلك لان القيد الاخير غير
موجود هاهنا مع انه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك باخع قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصل
البخع الجهد يروى ان عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض اى جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائي بخعت الارض بالزراعة اذا
جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه اذا انهكها واسفا منصوب على المصدر اى تاسف اسفا وحذف الفعل لدلالة الكلام عليه
وقال الزجاج هو مصدر في موضع الحال ومفعول له اى لفرط الحزن شبههم اياهم حين لم يؤمنوا بالقران واعرضوا عن نبيهم برجل فارقه احبته فهو
يتساقط حسرات عليهم والحاصل انه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فاما تحصيل الايمان فيهم فليس اليك قال القاضي
اطلق الحديث على القران فدل على انه غير قديم واجيب بانه لا نزاع في حدوث الحروف والاصوات انما النزاع في الكلام النفسي قوله سبحانه انا جعلنا
ما على الارض زينة لها قال اهل النظم كانه تعالى يقول اني خلقت الارض وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا اقطع
عنهم مواد هذه النعم فانت ايضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم بعد ان لا تاسف عليهم وما على الارض المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان
واشرفها الانسان وقال القاضي الاولى ان لا يدخل المكلف فيه لان ما على الارض ليست زينة لها بالحقيقة وانما هو زينة لاهلها لغرض الابتلاء
فالذي له الزينة يكون خارجا عن الزينة ومعنى انه مجاز بالصورة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان من قبيل
الابتلاء والامتحان وقد مر هذا البحث بتمامه في سورة البقرة في تفسير قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه واللام في لنبلوهم للغرض عند المعتزلة او العاقبة
او استتباع الغاية عند غيرهم حذرا من لزوم الاستكمال قال الزجاج ايهم رفع بالابتداء لان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنمتحن هذا احسن عملا ام ذاك
ثم زهد في الميل الى زينة الارض بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا اى مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة
في ازالة بهجته واماتة سكانه قال ابو عبيد الصعيد المستوي من الارض التي لا نبات فيها من قولهم امراة جرز اذا كانت اكولا وسيف جراز اذا كان مستأصلا
وجرز الجراد والشاة والابل الارض اذا اكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسالوا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال سبحانه
ام حسبت يعني بل اظننت يا انسان انهم كانوا عجبا من اياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان اياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض
ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا خاليا عن الكل كيف تستبعدون قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة
الى طائفة مخصوصة وقال جار الله يعني ان ذلك تزيين وغيره اعظم من قصة اصحاب الكهف يعني انه ذكر امرا عظيما فقدرته ثم اضرب عن ذلك موبخا للانسان
والحاصل انك تعجب من هذا الادنى فكيف غفلت عن فوقه والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد انه لوح من حجارة او رصاص
رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيلا بمعنى مفعول ومثله ما روى ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وعن السدي
انه القرية التي خرجوا منها وقيل هو الوادي او الجبل الذي فيه الكهف عجبا صفة مصدر وصف به او المراد ذات عجب قوله اذ اوى الفتية الى الكهف صاروا اليه وجعلوه
ماواهم منصوب باضمار اذكر ولا يجب ان يتعلق بحسبت لتفاوت المعنى ولا يبعد ان يتعلق بعجبا والتنوين في رحمة اما للتعظيم او للنوع وتقديم من لدنك للاختصاص اى رحمة

مخصوصة بانها من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من قولك هيأت الامر فتهيأ من امرنا الذي نحن عليه من
مفارقة الكفار رشدا اي امرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او نصير راشدين فمن يكون من للابتداء ويجوز ان يكون للتجريد كما في قولك رأيت منك اسدا
اي اجعل امرنا رشدا كله فضربنا على آذانهم قال المفسرون اي انمناهم والاصل فيه ان المفعول محذوف وهو الحجاب كما يبنى على الدار اي بني عليها القبة
وسنين ظرف زمان وعددا اي ذات عدد وهو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف اما القلة لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليظهر معلومنا وتعلق
العلم معلق لما في اي من معنى الاستفهام فارتفع اي الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو فعل ماض وما في لما لبثوا مصدرية اي احصى امدا للبثهم فيكون
الجار والمجرور صفة للعد فلما قدم صار حالا منه وقيل اللام زائدة وما بمعنى الذي وامدا تمييز والتقدير احصى لما لبثوا امدا او الامد الغاية زعم
بعضهم ان احصى افعل التفضيل كما في قولهم اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولم يستصوبه في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا
في تعيين الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من اصحاب الكهف
وذلك انهم لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال آخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين حدسوا ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء
ان طائفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي على وجه الصدق انهم فتية آمنوا بربهم اي وضع
الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى اي بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالهام الصبر على فراق الخلائق والاوطان والفرار بالدين
الى بعض الغيران اذ قاموا فقالوا في هذا القيام اقوال فعن مجاهد انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر القوم اني لاجد في نفسي
شيئا ما اظن احدا يجده ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض وقال اكثر
المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه
فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط
اذا بعد والمراد قولا ذا شطط اي بعيد عن الحق هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان او بدل واتخذوا خبره وهو اخبار في معنى انكار وفي اسم الاشارة
تحقير لهم لولا يأتون عليهم هلا يأتون على حقيقة الهيتهم او على حقيقة عبادتهم بسلطان بين بحجة ظاهرة اسند الحجة الى عدم الدليل على عدم الشركاء و
الاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم ان الاتيان
بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد ويؤكده قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه ثم خاطب بعضهم
بعضا حين صمم عزمهم على الفرار بالدين وقوله وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب يعني واذا اعتزلتموهم ومعبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع
على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا بناء على ان المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا
غير الله فما نافية قال الفراء فأووا الى الكهف جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه مأويكم ينشر لكم ربكم من رحمته يبسطها لكم مرفقا على القراءتين مشتق من الارتفاق
الانتفاع وقيل فتح الميم اقيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر ما ترتفق به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر في مرفق اليد الا كسر الميم
قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لانه اخبرهم نبي في عصرهم منهم او من غيرهم وترى الشمس ايها الانسان اذا طلعت تزاور اصله من الزور
بفتح الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لانه اخبرهم نبي في عصرهم الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال عنه والمراد ان الشمس تعدل عن
سمتهم الى الجهتين فلا يقع عليهم والفجوة المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص وكلام المفسرين في الاية قولان احدهما انهم في ظل نهارهم كله
لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح والى هذا الجواب اشار بقوله ذلك من آيات الله وثانيهما ان باب الكهف كان
مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك
في متسع من الغار ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بان عدم وصول الشمس اليهم لا يكون آية من آيات الله على هذا التقدير واجيب بان المشار اليه
حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار تعيين مكانهم ثم بين الله سبحانه لطفه بهم بصون ابدانهم عن الفساد في تلك المدة
كما لطف بهم في اول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الهداية وضدها كليهما بمشيئة الله وعنايته الازلية وباطنه وتقرره الذي
سبق القلم وقال جار الله فيه تنبيه على ان من سلك طريقة الراشدين المهتدين فهو الذي اصاب الفلاح ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده
ثم حكى طرفا آخر من غرائب احوالهم فقال وتحسبهم ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف كانكاد في جمع نكد وهم رقود جمع راقد كقعود في قاعد واستبعد
في التفسير الكبير وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة
واحدة في يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على ايمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقليبهم
ظاهرة وهي ان لا تأكل لحومهم الارض قاله ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين قال وان الله تعالى قادر على حفظهم من غير تقليب اقول لا ريب في قدرة
الله تعالى ولكن الوسائط معتبرة في اغلب الاحوال وكلبهم باسط حكاية حال ماضية ولهذا عمل في المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة او الباب
قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هربوا ليلا من ملكهم فمروا براع معه كلب فتبعهم

على دينهم وصعر كلبه وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك ثلث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا
حتى احرسكم وقال عبيد بن عمير وكان ذلك كلب صيدهم والاطلاع على الشيء الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منتصب على المصدر لانه بمعنى التولية
وسبب الرعب هيبة البسهم الله اياها وقيل طول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم منه يحكى ان معوية غزا الروم فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية
لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاخرجتهم وكذلك اشارة الى المذكور قبله اي وكما
انمناهم تلك النومة وفعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الانامة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا
اي ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور آثار القدرة قال قائل منهم كم لبثتم قال ابن
عباس هو رئيسهم يمليخا رد علم ذلك الى الله تعالى حين راى التغير في شعورهم واظفارهم وبشرتهم والفاء في فابعثوا للتسبيب كانه قيل واذ قد حصل
الياس من تعيين مدة اللبث فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة وفي تزودهم الورق عند فرارهم دليل على ان امساك بعض
ما يحتاج اليه الانسان في سفره وحضره لا ينافي التوكل على الله والمدينة طرسوس قال في الكشاف ايها معناه اي اهلها ازكى طعاما واقول يحتمل ان يعود
الضمير الى الاطعمة ذهنا كقولك زيد طيب ابا على ان الاب هو زيد ويجوز ان يراد اي اطعمة المدينة ازكى طعاما على الوجه المذكور عن ابن عباس يريد
ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون دينهم وقال مجاهد احرز وامن المغصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل اطيب
والذ وقيل ارخص وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن والاظهر انهم طلبوا اللطف في امر التخفي حتى لا يعرف ويؤيده
قوله ولا يشعرن بكم احدا اي لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور ويتسبب له انهم ان يظهروا ويطلعوا على مكانكم او عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي
الرجم وكانه كانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه العنيف قال في الكشاف العود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا
يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلي لاحتمال ان يكون اصحاب الكهف على ملة اهل المدينة قبل ان هداهم الله
وفي اذن معنى الشرط كانه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا ابدا قال المحققون لا خوف على المؤمن الفار بدينه اعظم من هذين ففي الاول هلاك الدنيا وفي الثاني
هلاك الآخرة وانما نفى الفلاح على التابيد مع ان كفر المكره لا يضر لانهم خافوا ان يجرهم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبي وكما انمناهم وبعثناهم اعثرنا
عليهم سمى الاعلام اعثارا لان العلم عثور لان من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر اليه وعرفه وكان الاعثار سببا لحصول العلم واليقين وفي سبب الاعثار
قولان احدهما انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك والاكثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق
الى السوق وكانت دراهم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من اين وجدت هذه الدراهم قال بعت بها امس شيئا
من التمر فعرف الملك انه ما وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة ثم ذكر سبحانه غاية الاعثار فقال ليعلموا ان وعد الله حق يروى ان ملك
ذلك العصر ممن كان ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الزمان فقال بعضهم
الجسد والروح يبعثان جميعا وقال آخرون الروح يبعث واما الجسد فتاكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع ان يظهر له آية يستدل بها على
ما هو الحق في المسئلة فاطلعه الله تعالى على امر اصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت
ثم يبعث فالمراد بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث والضمير في قوله اذ يتنازعون بينهم امرهم يعود الى تلك الامة وقيل اراد اذ يتنازع الناس
بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على
باب كهفهم بنيانا ربهم اعلم بهم يروى ان الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك
به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب
فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على ان اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين بالعبادة والصلوة وقيل ان الكفار قالوا انهم
كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنيانا والمسلمون قالوا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا في عددهم واسمائهم قال جار الله ربهم اعلم
بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة قالوا ذلك او هو من كلام الله عز وجل رد
لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من اهل الكتاب قال الذين غلبوا
على امرهم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم وهاهو
ظننا بها سيقولون يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكان كما اخبر فكان معجزا يروى ان السيد والعاقب واصحابهما
من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وآله فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا هم
خمسة سادسهم كلبهم فنزلت مصدقا لهما ثم قال رجما بالغيب اي يرمون رميا بالخبر الخفي يقال فلان يرجم بالكلام رميا اي يتكلم من غير تدبر وكثيرا
ما يعبر بالظن مكان قولهم ظن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول المحق عرفها المسلمون باخبار رسول الله صلعم على لسان
جبرئيل ع والذي يدل عليه امور منها ما روي عن علي عليه السلام انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره

مرنوش ودبرنوش وشادنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشططوش واسم مدينتهم افسوس واسم
كلبهم قطمير وقيل بيان عن ابن عباس ان اسماء اصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء
الطفل يكتب ويوضع تحت راسه في المهد وللحرث يكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان وللحمى الثلثة والصداع
والغنى والجاه والدخول على السلاطين يشد على الفخذ اليمنى وللعسر للولادة يشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من
القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاءني رجل ومعه اخر كما يدخل
على الجملة الواقعة حالا من المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفايدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها
امر ثابت مستقر لان الواو ومقتضاها الجمعية فكانهم وصفوا بكونهم سبعة قرينين بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بهما وصفوا مرة
واحدة وللقائل ان يقول ان العاطف لا يوسط بين الوصف والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو وهو الحالة المتوسطة بين كمال
الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو اما للعطف عطف الجملة على الجملة واما للحال وجاز لانهم لم يسوغوا ذي الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة
في نحو قولك رايت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير في قوله ويقولون سبعة الله تعالى والجمع للتعظيم ومنها قول
ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها ان تخصيص
القولين الاولين بزيادة قوله رجما بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فمن البعيد ان يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة
ولا يذكر الحق على انه سبحانه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علم حكم هذه الواقعة وايضا الله تعالى
قال ما يعلمهم الا قليل ويبعد ان لا يحصل العلم بذلك للنبي صلعم ويحصل لغير النبي صلعم كعلي وكابن عباس حين قال انا من ولئك القليل وقد عرفت قوله لهم
في هذا الباب واذا حصل فالظاهر انه حصل بهذا الوحي لانه لا اصل فيما سواه العدد وقيل الضمير في سيقولون لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب
فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وقوله سبحانه في الموضعين الاخرين ويقولون بغير السين لا ريب انهما للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل
ان يكون لاجل الصيغة التي تصلح له وان يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد اكرم وانعم اي قد انعم اما فائدة تخصيص الواو في قوله وثامنهم فقد عرفت
انفا وقد يقال لعدد السبعة عند العرب نداوة وعن الالسنة في مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة عقود
فاذا وصلوا الى الثامنة ذكروا لفظا يدل على الاستيناف كقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وكقوله ثيبات وابكارا وزيف القفال هذا الوجه
بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في النعت الثامن والانصاف ان
هذا التزييف ليس في موضعه لان دخول الواو وهو الذي يفتقر الى التوجيه اما عدمه فعلى الاصل وبين التوجيه والايجاب بون بعيد والقائل بصدد الاول
دون الاخر ثم نهى نبيه صلعم عن الجدال مع اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف ثم قال الا مراء ظاهرا اي الا جدالا ظاهرا اي جدالا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم
ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين
لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم في شانهم لان المفتي يجب ان يكون اعلم من المستفتي وههنا الامر بالعكس ولا سيما في باب
واقعة اصحاب الكهف كما بينا ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما يتوقف هي عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب فقيل فعيل
بمعنى فاعل وفعيل لعله وذلك انه تولى الطاعات من غير تخلل معصية وقيل بمعنى مفعول كقتيل وذلك ان الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقرب
منه والفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون يظهر على يده الخوارق وكما ينقل
ان الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة لان شكله وخلقه يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة
فان كان صادقا فواجب ان لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب يمكن ان يوتى الكاذب يستحيل ان يظهر منه الفعل الخارق والى هذا ذهب جمهور المعتزلة و
خالفهم ابو الحسين البصري وصاحب محمود الخوارزمي فجوزا ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله وسموه بالاستدراج وقد يفرق بين النبي الصادق
والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير والى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين من لم يجوز للولي دعوى الولاية لانه مامور بالاخفاء كما ان النبي مامور
بالاظهار ثم ان المعتزلة انكروا كرامات الاولياء واثبتها اهل السنة مستدلين بالقران والاخبار والاثار والمعقول اما القران فكقصة مريم و
نبأ اصحاب الكهف قال القاضي لا بد ان يكون في ذلك الزمان نبي بسببه ظهرت تلك الكرامات واجيب في التفسير الكبير بان القائهم على النوم ام غير خارق
للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لاحد واما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا ايضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لانهم لا يعرفون
كونهم صادقين في هذه الشرايط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة الدعوى الا اذا يعرفوا طول هذه المدة وعرفوا ان هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت
هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرايط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق الا ان يجعل كرامة
لهم وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون نفس بعثهم معجز النبي ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بامارات اخر كما مر من حديث الدراهم
وغيرها واما الاخبار فمنها ما اخرج في الصحاح عن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى بن مريم وصبي في زمان جريج وصبي اخر اما عيسى
فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام وكان يوما يصلي اذ اشتاقت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلوة خير ام رؤيتها

صلى فيه عشر ثانيا مثل ذلك ثالثا مرارا وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى ريه المومسات وكانت في بني اسرائيل زانية فقالت لهم
انا افتن جريجا حتى يزني فاتته فلم يقدر عليه شيئا وكان هناك راع ياوي بالليل الى اصل صومعته فارادت الراعي على نفسها فاتاها فولدت غلاما فقالت
ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته قال ابو هريرة كاني انظر الى النبي صلعم حين قال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فندم القوم
على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب وفضة فابى عليهم وبناها كما كانت واما الصبي الآخر فان امراة كانت معها صبي لها ترضعه
اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مر بها امراة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت
اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت له امه في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق
وزنت ولم تزن وهي تقول حسبي الله ومنها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فاواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت
صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران فكنت
لا اغبق قبلهما فناما في ظل شجرة يوما فلم ارح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما فقمت
والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة
فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي واردتها عن نفسها فامتنعت حتى الممت سنة
من السنين فجاءتني فاعطيتها مالا على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا اذن لك ان تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك
العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها
قال رسول الله صلعم ثم قال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال
فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله ادّ الي اجرتي فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من اجرتك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ
بك فاخذ ذلك كله اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج فانفرجت الصخرة من الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قوله صلعم كم
من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولم يفرق بين شيء وشيء ومنها ما رواه ابن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال بينا رجل
يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي صلعم امنت بهذا وابو بكر
وعمر ومنها ما رواه ابو هريرة عن النبي صلعم بينا رجل سمع رعدا او صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل
قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسئل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا
في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذا قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثا واما
الاثار فمن كرامات ابي بكر الصديق انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلعم ونودي السلم عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد
فتح فاذا بهاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر ما روي انه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة
يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل قال علي بن ابي طالب عليه السلم فكتب تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المؤمنين غزونا
يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنايم العظيمة قال بعض
العلماء كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي صلعم لانه قال لابي بكر وعمر انتما مني بمنزلة السمع والبصر لا جرم قدر على رؤية الجيش من بعيد ومنها ما روي ان نيل مصر
كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص هذه الحالة الى عمر فكتب عمر على الخزف من عمر
امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا اليك وان كنت تجري بامر الله فاجر على بركة الله وامر ان يلقى الخزف في النيل فجرى ولم يقف
بعد ذلك ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض فقال اسكني باذن الله تعالى فالقوها في النار فانطفت في الحال ويروى ان رسول ملك
الروم جاء الى عمر وطلب داره وظن ان داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك انما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضعا درته
تحت راسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال ان اهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فاخرج
الله اسدين من الارض فقصداه فخاف فالقى السيف فانتبه عمر واسلم الرجل قال اهل العلم لم يتفق لاحد من اول عهد ادم الى الان ما تيسر له فانه مع غاية بعده
عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان فعن انس قال سرت في طريق فوقعت عيني على امراة ثم دخلت
على عثمان فقال ما لي اراكم تدخلون علي واثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت اوحي نزل بعد رسول الله صلعم فقال لا ولكن فراسة صادقة ومنها انه لما طعن بالسيف
فاول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى ان جهجاه الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها على
ركبته فوقعت الاكلة في ركبته واما علي صلوات الله عليه فيروى ان واحدا من محبيه سرق وكان عبدا اسود فاتي به الى علي عليه السلم فقال له اسرقت قال بلى
فقطع يده فانصرف من عند علي عليه السلم فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول
وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال ولم لا امدحه وقد قطع بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا عليه السلم فدعا الاسود ووضع يده على ساعده
وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فاذا اليد كما كانت باذن الله تعالى واما سائر الصحابة فعن محمد بن

المنذر انه قال ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركبت لوحا من الواحها فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الي الاسد فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلعم قال فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعني ورجع وروى ثابت عن انس ان اسيد بن حضير ورجل آخر من الانصار خرجا من عند رسول الله صلعم حين ذهب من الليل قطع وكان ليلة مظلمة وفي يد كل واحد منهما عصا فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فرأى رجلا على فرس ومعه زق فيه خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوا اذا هي خل فقالوا والله ما جئتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقائع المشهورة ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم على اسم الله وما ضره وعن ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وروي ان النبي صلعم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم فمشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الاولياء ومن ارادها فليطالعها واما المعقول فهو ان الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كلما امره الله فاي بعد في ان يفعل الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريده العبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعالى ليس اهلا له فذلك قدح في قدرته واما لان المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته اشرف العطايا واجلها واذا لم يبخل الفياض بالاشرف فلان لا يبخل بالادون اولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتيها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي كما يتصرف في جسده قلت وذلك ان النفس نور ولا يزال يتزايد نورانيته واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية عليه حتى ينبسط ويقوى على اثارة عزمه والتصرف فيه والوصول الى هذا المقام هو المعنى بقول علي بن ابي طالب صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة ولوجب الفرق بين المعجزة والكرامة بان المعجزة مقرونة بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وايضا انه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية واما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبي مامور بالاظهار لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشتهار والفخر المنهيين عنه فانه يفرق بينهما بان المعجز مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير مسبوقة بشيء من الدعاوي قالوا ثم حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله باداء الفرائض لا يحصل له شيء من الكرامات فالمتقرب اليه باداء النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان الكلام في المتقرب اليه باداء الفرائض والنوافل جميعا قالوا ثم وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فالقول بطي الارض للاولياء طعن في الآية وطعن في محمد صلعم حين لم يصل من المدينة الى مكة الا في ايام واجيب بان الآية وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فيصير كالمستثناة من ذلك العموم وان محمدا لم يكن قاصرا عن رتبة بعض الاولياء ولكنه لم يتفق له ذلك او لعله اتفق له السفر قالوا اذا ادعى الولي على انسان درهما فان لم يطالبه بالبينة كان تاركا لقوله البينة على المدعي وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن والجواب مثل ما مر من ان النادر لا يحكم به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات انقلب خرق العادة وفقا لها واجيب بان المطيعين منهم قليل لقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور والولي منهم اعز من الكبريت الاحمر فاتفاق الكرامة للولي ايضا على سبيل الندرة فكيف يصير ما يظهر عليه معتادا الفرق بين الكرامات والاستدراج هو ان يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى مكرا وكيدا وضلالا وامهالا والفرق ان صاحب الكرامة لا يستانس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج يسكن الى ما اوتي ويشتغل به وانما كان الاستيناس بالكرامات قاطعا للطريق لان صاحبها اعتقد انه يستحق لذلك وان له حقا على الخالق فيعظم شانه في عينه ويفتخر بها لا بالمكرم ولا ريب ان الاعجاب مهلك ولهذا وقع ابليس فيما وقع والعبد الصالح هو الذي يزداد تذللا وتواضعا بين يدي مولاه بازدياد آثار الكرامة لا يستكثرها ولكنه يخاف سوء الخاتمة والولاية علم قرأ المقرئ في مجلس الاستاد ابي علي الدقاق اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة رفع العمل ان لا يبقى منه في نظرك شيء فان بقي فهو غير مرفوع واختلف في ان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاد ابو بكر بن فورك لا يجوز لان ذلك يوجب الامن الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والامن ينافي اعتقاد قهاريته تعالى ويقتضي زوال العبودية الموجب لسخط الله وكيف يامن الولي وقد وصف الله عباده المخلصين بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وايضا ان طاعة العباد ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لانهما محدثة متناهية وصفاته قديمة غير متناهية والمحدث المتناهي لا يغلب القديم غير المتناهي فقد يكون العبد في عين المعصية ونصيبه في الازل هو المحبة وقد يكون في عين الطاعة ونصيبه المبغضة ولهذا لا يحصل الجزم بكيفية الخاتمة وقيل من هنا قال سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن كانت محبته لا لعلة امتنع ان يصير عدوا لعلة المعصية وبالعكس لمحبة الحق وعداوته من الاسرار التي لا يطلع عليها الا الله ومن اطلعه عليها الله وقال الاستاد ابو علي الدقاق وتلميذه ابو القسم القشيري ان للولاية ركنين احدهما انقياد الشريعة في الظاهر والثاني كونه في الباطن مستغرقا في نور

في غير ذلك السفر

الحقيقة فاذا حصل هذان الامران وعرف الانسان ذلك عرف ان لا مجال له في كونه وليا وعلامته ان يكون كثير الرجوع الى الله واستثنينا سر بذكر الله فلنذ
لا ريب ان مداخل الاغلاط في هذا الباب كثيرة ودون الوصول الى عالم الربوبية حجب وارصاد من نيران وانوار فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالمخبر
عسر والله تعالى اعلم قال المفسرون ان اليهود حين قالت لقريش سلوا محمدا عن مسائل ثلث عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه قال
اجيبكم عنها غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه خمس عشرة ليلة وقيل اربعين يوما ثم نزل قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا اي لاجل شيء تعزم عليه
اني فاعل ذلك الغد اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ان تقوله بان يأذن لك في ذلك الاخبار كان معنى صحيحا و
لكنه لا يكون موافقا لسبب النزول فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا في موضع الحال اي لا تقولنه الا متلبسا بان يشاء الله يعني قائلا ان شاء
الله وهذا نهي تاديب لنبيه صلعم لان الانسان اذا قال سأفعل الفعل الفلاني غدا لم يبعد ان يموت قبل مجيء الغد او يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل
ان شاء الله صار كاذبا في هذا الوعد والكذب منهي وجوز في الكشاف ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا قال اهل السنة
في صحة الاستثناء بل في وجوبه دلالة على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة ويؤكده انه اذا قال المديون القادر على اداء الدين غدا ثم
قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا لان الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امره باداء الدين وانما لم يقع الطلاق في
قول الرجل لامرأته انت طالق ان شاء الله لان مشيئة الله غير معلومة فيلزم الدور لتوقف العلم بالمشيئة على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس واستدل
القائلون بان المعدوم شيء بقوله ولا تقولن لشيء وذلك ان الشيء الذي سيفعله غدا معلوم مع انه سماه شيئا في الحال واجيب بانه مجاز
كقوله اعصر خمرا واذكر ربك اي مشيئة ربك اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها وللعلماء في مدة النسيان الى الذكر خلاف فعن ابن عباس ولو بعد سنة
وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا اثر له في الاحكام ما لم يكن
موصولا قالوا ان الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خالفنا هذا الدليل
فيما اذا كان متصلا ولم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى اصل الدليل وقيل اراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء
وفيه بعث على الاهتمام بها وقيل اذكره اذا اعتراك النسيان في بعض الامور ليذكرك المنسي او اذكره اذا تركت بعض ما امرك به وليس لهذه الاقوال شديد
ارتباط بما قبله وكذا قول من حمله على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا في المشار اليه بقوله لاقرب من هذا فالظاهر عند صاحب الكشاف
ان المراد اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة
وقيل ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره احسن فقوله هذا اشارة الى الترك واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نبأ اصحاب الكهف
ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأهم وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالمغيبات ما هو اعظم وادل عن قتادة ان قوله سبحانه ولبثوا في كهفهم حكاية لاهل الكتاب وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده
قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على انه بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا والمراد من قوله قل الله اعلم ان لا تجاوزوا
الحق الذي اخبر الله به ولا تلتفتوا الى ما سواه من اختلاف اهل الاديان نظيره قوله قل ربي اعلم بعدتهم بعد قوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم قال النحويون سنين
عطف بيان لثلثمائة لان مميزها ينبغي ان يكون مجرورا مفردا وقيل فيه تقديم وتأخير اي لبثوا سنين ثلثمائة ومن قرأ بالاضافة فعلى وضع الجمع موضع الواحد
في التمييز كما مر في قوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا اما قوله وازدادوا تسعا اي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه دون ان يقول ولبثوا ثلثمائة سنين
وتسع بالسنين القمرية وهذا شيء تقريبي وقيل انهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك
تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله له غيب السموات والارض اي ليس لغيره ما خفي فيهما من احوالهما واحوال سكانهما وهو مختص بذلك
ثم زاد في المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات والضمير في قوله ما لهم لاهل السموات والارض وفيه بيان لكمال قدرته وان
الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم غيره ولا يشرك في حكمه وقضائه وقيل اصحاب الكهف احدا منهم ومن قرأ ولا تشرك على النهي فهو معطوف على
ولا تقولن والمراد انه لا يسأل احدا عما اخبره الله به من نبأ اصحاب الكهف واقتصر على بيانه وقيل الضمير في ما لهم لاصحاب الكهف اي انه هو الذي حفظهم
في ذلك النوم الطويل وتولى امرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم من دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل
فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا في هذا الباب لغوا لا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبين الله تعالى انه ليس له من دونه ولي يمنع العقاب عنهم
واعلم ان الناس اختلفوا في زمان لبث اصحاب الكهف في مكانهم فقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وانه ذكرهم في التورية فلهذا سألت اليهود عنها وقيل دخلوا
الكهف قبل المسيح واخبر هو بخبرهم ثم لبثوا في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى القفال عن محمد بن اسحق انه دخلوا الكهف بعد عيسى وقيل
انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكر ابو علي بن سينا في باب الزمان من كتاب الشفا ان ارسطاطاليس الحكيم زعم انه عرض لقوم من المتألهين
حالة شبيهة بحالة اصحاب الكهف ثم قال ابو علي ويدل التاريخ على انهم كانوا قبل اصحاب الكهف واما المكان فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي
المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف احوال اصحاب الكهف فوجه معه من انفذه الى ذلك الموضع قال وان الرجل الموكل بذلك المقام فزع من الدخول
عليهم فدخلت فرأيت الشعور على صدورهم فعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالادوية المجففة الحافظة لابدان الموتى

عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يتهيأ الخوارزمي رعبا من الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم ليسوا اصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكينا عن معوية
حين غزا الروم حصل ظن غالب بانهم منهم والله تعالى اعلم **التأويل** الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب والعبد الحقيقي من يكون حرا
عن الكونين وهو محمد صلعم اذ يقول امتي امتي يوم يقول كل نبي نفسي نفسي ولانه هو الذي صح نسبته العبودية كما ينبغي اطلق عليه اسم العبد مطلقا
وقيد لساير الانبيا كما قال عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه كان خلقه القرآن قيل ولم يجعل له اي لقلبه عوجا لانه يستقيم بنور القرآن ومن
استقامة قلبه نال ليلة المعراج ربيته فاوحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة جبرئيل ونال قلبه الاستقامة بامر التكوين بقوله فاستقم كما امرت اجرا
حسنا هو التمتع من حسن الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من عادته عليه الصلوة والسلام ان يبالغ في المامور به حتى ينهى عنه بالغ في الدعوة
والشفقة على امته حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ في الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط انا جعلنا
ما على الارض زينة لها اي زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء للمحب والسائل لنبلوهم ايهم احسن عملا في تركها ومخالفة
هوى نفسه طلبا لله ومرضاته ثم اخبر عن سعادة السادة الذين اعرضوا عن الدنيا واقبلوا على المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تعجب من حالهم فان
في امتك من هو اعجب حالا منهم فيهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم اووا الى الكهف خوفا من لقاء دقيانوس
وفرارا منه وهؤلاء اووا الى الخلوة شوقا الى لقائه وفرارا اليه وانهم طلبوا النجاة من شره والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا اتنا الاية وهؤلاء
طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات الغار المجازي للوصول الى نور الوجود الحقيقي فضربنا على اذان باطنهم وحواسهم الاخروية في مدة
الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن الواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم اللدنية والانوار الالهية ليفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله ثم بعثناهم
اي احييناهم بنا لنعلم اي الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب السلوة احصى لما اكثر فائدة واتم عائدة لامد لبثهم في الدنيا التي هي مزرعة الاخرة وزدناهم
هدى فانهم كانوا يؤمنون بالايمان الغيبي فانمناهم ثم بعثناهم حتى صار الايمان ايقانا والغيب عيانا اتخذوا من دونه الهة من الدنيا والهوى وترى الشمس
اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هذا اخبار عن اصناف لطائفه باصحابه وفيه اشارة الى ان نور ولايتهم يغلب نور الشمس فيرده
عن الكهف كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله صلعم ان المؤمن اذا ورد النار يستغيث النار وتقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وهم في فجوة منه في
متسع وفراغ من تلك النور يدفع عنهم كل ضرر ويراعيهم عن بلى اجسادهم وثيابهم قلت يحتمل انه اراد انه شمس الروح او المعرفة والولاية اذا طلعت من
افق الهداية واشرقت في سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا يتصرف في حال خلوتهم الى امر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا
غربت اي سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو لا يلتفت هم ارواحهم الى امر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل يتحرف عن الجهتين الى المولى
وهم في حال دفاع وفراغ مما يشغلهم عن الله وتحسبهم ايقاظا منصرفين في امور الدنيا وهم رقود عنها لانهم يتصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس
او تحسبهم ايقاظا مشغولين بامور الاخرة لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود منصرفون في امور الدنيا لان الناس بهم يرزقون وبهم يمطرون
وفي قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى انهم في التسليم لمقلب القلوب في الاحوال كلها كالميت بين يدي الغسال وفي الاية
دلالة على ان المريد الذي يربيه الله بلا واسطة المشايخ تكامل مرة في ثلثمائة وتسع سنين والذي يربيه بواسطتهم تم امره في اربعينات معدودة
ولهذا يكون ثمرة البساتين الدهر ثمرة الجبال وفي قوله وكلبهم باسط اشارة ان كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الاعمال بهادية القلوب والارواح
معنى ان هذا النوع من التربية من قبيل القدرة الالهية التي اختصهم بها ويمكن ان يراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم في جميع الاحوال وكرهم
غائبين ثم ولملئت منهم رعبا بما شاهدت عليهم من اثار الانوار التي زادتهم وجلا بسبب الهيبة والعظمة التي البستهم لبثنا يوما او بعض يوم لانهم
الوصال القصيرة فلما رأوا انهم في دهشة الوصال وحيرة الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم فيه تعجب
انهم ما احتاجوا مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله صلعم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فلما رجعوا من عند الله الحق الى عبدية
انفسهم احتاجوا الى الغذاء الجسماني ازكى طعاما لما رجعوا الى العالم الجسماني تعللوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى تلك الملاطفات
بلطافة الاغذية الجسمانية وذكائها ولا يشعرن بكم احدا فيه ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن صحبة اهل الغفلة والسلوة ليعلموا ان وعد الله حق باحياء
القلوب الميتة حتى قدره الامر فيها اظهر وابدى واسر واخفى سيقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية
التي منشاءها القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة
هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعاني والخيال المدرك للصور وثامنهم كلبهم هو النفس المدركة للكليات قل ربي اعلم بعدتهم لان القوى
الباطنة والظاهرة وافعالها وغاياتها لا يعلمهن الا الله سبحانه ومن اطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل والله اعلم بالصواب

وَاتْلُ مَا اُوحِيَ اِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
وبخوان آنچه وحی کرده شد بسوی تو از قرآن — خدای تو نیست تغییر دهنده سخنانش را — ونیابی از غیر او پناه گاهی — وشکیبا کن تن خود را با آنکه
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا
میخوانند پروردگار خود را در بامداد و شبانگاه میخواهند خوشنودی او را ودر مگذار چشمهای خود از ایشان میخواهی آرایش زندگانی دنیا

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ
و فرمان مبر آنرا که بیخبر کردیم دل او را از یاد خود و پیروی کرد آرزوی خود را و بود کار او بیهوده و بگو راستی از پروردگار شماست پس هر که خواهد

فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
بگرود و هر که خواهد پس کافر گردد که ما آماده کردیم برای ستمکاران آتش را که احاطه کرده باشد ایشان را سراپرده‌ها و اگر آب خواهند

يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
آب داده شوند به آبی چون مس گداخته کباب کند روها را بد آشامیدن و بد تکیه گاه بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کار

الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
شایسته بدرستیکه ما ضایع نمیکنیم مزد کسیکه نیکو کار است آنگروه مر ایشان راست بهشتهای عدن که میرود از زیرهای آنها نهرها

يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا
پیرایه بسته شوند دران از دست برنجها از زر و میپوشند جامهای سبز از دیبای تنک و درشت تکیه زده اند دران

عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
بر تختها نیکو پاداشت و نیکو تکیه گاه و بزن برای ایشان مانند دو مرد که گردانیدیم مر یکی را

جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا
دو بوستان از انگورها و گردا گرد فرو گرفتیم ایشانرا بخرما بنان و گردانیدیم میان ایشان کشت هر دو بوستان داد بر خورش

وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
و ستم نکرد از آن چیزی را و روان گردانیدیم در میان آن جوی و بود او را میوه پس گفت مر یار او را و او سوال کرد او را که من بیشتر

مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا
از تو بمال و غالب تر بگروه و در آمد در بوستان او و او ستم کننده بود مر نفس خود را گفت گمان نمیبرم که هلاک شود این همیشه

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ
و گمان نبرم قیامت ایستاده و اگر باز گردیده شوم بسوی خدایم هر اینه یابم البته بهتر ازان بازگشتی گفت مر او را یار او و او

يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
سوال و جواب کرد او را آیا کافر شدی بانکه آفرید ترا از خاک از آب منی پس برابر کرد ترا مردی لیکن او است خدا پروردگار من و انباز نگیرم

بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ
بخدای خود کسی را و اگر نه چون در آمدی در بوستان گفتی آنچه خواست خدا نیرو نیست مگر بخدا اگر بینی مرا کمتر از تو

مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ
بمال و فرزند پس شاید خدای من انکه بدهد بهتر از بوستان تو و فرستد بران آفتی از آسمان پس گردد

صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ
زمین خشک لغزان یا صبح کند آب آن فرو خته پس نتوانی مر او را جستن و احاطه کرده شد بمیوه او پس صبح کرد میگردانید

كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ
دو کف خود را بانچه خرج کرد دران و آن بود افتاده بر سقف خود و میگوید ای کاشکی که نگرفتمی انباز بخدای خود کسی را و نبود

تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ
مر او را گروهی که یاری کنند او را از غیر خدا و نبود انتقام کشنده انجا یاری خاص مر خدا راست براستی او بهتر است بپاداش و

خَيْرٌ عُقْبًا وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
بهتر بسرانجام و بیان کن ایشان را مثل زندگانی دنیا مانند آبی که فرو فرستادیم آن را از آسمان پس آمیخته شد بآن رستنیهای زمین

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ
پس صبح کرد خشک پریشان پراکنده میکند آنرا بادها و باشد خدا بر همه چیز توانا مال و پسران آرایش زندگانی

الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا القراءة وجئناها بالتخفيف سهل ويعقوب
دنیا و خصلتهای شایسته بهتر است نزد پروردگار بپاداش بهتر و امید غیر ... ولم ثمر وكذا بثمره بفتح الميم ... عاصم
وسهل ويعقوب وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها على الوحدة ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي



وخلف الآخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير الف في الحالين قتيبة وابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل بغير الاثر واتفقوا
على الالف في الوقف بوجي احد مفتوحة الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وان ترن بفتح الياء السراندي عن قتيبة عورا بضم الغين وكلتا في الملك
الرحمي الباقون بفتحها ولم يكن له يريا العينة الولاية بكسر الواو حمزة وعلي وخلف الآخرون بتاء التانيث وفتح الواو لله الحق بالرفع ابو عمرو وعلي الا
بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على التوحيد حمزة وعلي وخلف الوقوف من كتاب ربك ط لاختلاف الجملتين ملتحدا
عنهم لان ما بعده يصلح حالا او استئنافا ما بحذوف الا الغداة لا لنزال العتاب فرطا ه فليكفر لا لان الامر للتهديد بدليل انا اعتدنا فلو فصل صار
مطلقا نارا ه لا لان ما بعده صفة سرادقها ط الوجوه ط الشراب ط مرتفقا ه عملا ه لاحتمال كون اولئك مع ما بعده خبران الذين وقوله انا لا نضيع جملة
معترضة الارائك ط الثواب ط مرتفقا ه زرعا ه لتمييزا الا للعطف ثمرا ه ط للعدول لمع الفاء نفرا ه لنفسه لا لاتحاد العامل بل عطف ابدا ه قائمة لا لان
ما بعده شك من قول الكافر في البعث منقلبا ه رجلا ط لتمام الاستفهام احدا ه ما شاء الله لا لتمام المقول لا قوة الا بالله لابتداء الشرط المحذوف وجوابه مع
اتحاد القائل والمقول له وولدا ه لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط زلقا ه لا طلبا ه احدا ه منتصرا ط وقيل يوقف على هنالك والاوجه ان يبتدأ هنالك
اي عند ذلك يظهر لكل سلطان الله ونفاذ امره الحق ط على القراءتين عقبا ه الرياح ط مقتدرا ه زينة الحيوة الدنيا ه فصلا بين المعجل الفاني والمؤجل
الباقي مع اتفاق الجملتين املا ه التفسير لما اجاب عن سؤالهم بما اجاب امر نبيه ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين امنوا
بما انزل عليه واحتمل ان يكون فاتل امرا من التلو لا من التلاوة اي اتبع ما اوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي اوحي اليه ثم بين سبب
اللزوم فقال لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك الا المواظبة على العلم والعمل به يؤكده قوله
ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فرضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في اسمائه ثم سوى لرسوله في سورة الانعام عن
طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الاية وامره في هذه السورة بحبس النفس معهم وعدم الالتفات الى غيرهم بقوله ولا تعد عيناك قال جار الله انما لم يقل ولا
تعدهم عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل ولا تقتحم عيناك مجاوزين الى غيرهم ثم
نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا به فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه قال اهل السنة معنى الاغفال ايجاد
الغفلة وخلقها فيهم او وجوده اغفلها اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى ان الغفلة عن
الذكر لو كانت بايجاد العبد والقصد الى ايجاد الغفلة عن الشيء لا يتصور الا مع الشعور به لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى اغفلناه وجدناه
غافلا او الخذلان والتخلية بينه وبين الاشياء المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هواه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة
في القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشيء في نفس الامر نتيجة الشيء ان يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على
ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل يبقى متوقفا
متحيرا وكان امره فرطا اي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره وانت اذا تاملت
وجدت حال الاغنياء المتجبرين بخلاف الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغدوة والعشي ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته فاقبلوا على
الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء قد اعرضوا عن المولى واقبلوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة الهوى يتولون في تيه الجهل والعمى وانما لم يجز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لان الايمان بهم
من ترك الايمان حذرا من مجالسة الفقراء كلا ايمان فوجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن اين هو فقال وقل الحق من ربكم اي الدين الحق حصل
ووجد من عند الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختيار
الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحمله الاشاعرة على انه تهديد وقالوا ان
الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد ان يقع بالاختيار والقصد فنقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد ان ينتهي الى
قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار في صورة هذا التخيير ولا شك ان الله سبحانه لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يتضرر بكفر الكافرين
ثم بين وعيد الظالمين الذين وضعوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال انا اعتدنا اي اعددنا وهيأنا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فاثبت للنار شيئا شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا مخلص لهم منها
ولا فرج وقيل هو حائط من نار يحيط بهم وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب وقوله تعالى و
بماء وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما اذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قاله ابو عبيدة والاخفش وقيل في حديث
مرفوع انه دردي الزيت وقيل الصديد والقيح وضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله تسقى من عين آنية واما لدفع الحر و
لاجل التبريد كقوله حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء ويروى انهم اذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص وقد
يفسر بهذا قوله سرابيلهم من قطران عن النبي صلعم هو يعني المهل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله يشوي الوجوه بئس الشراب
ذلك لان المقصود من الشراب تبريد الاحشاء وهذا يحرقها ويشويها وساءت اي النار مرتفقا متكأ لاهلها وفيه المرفق لانه يتكئ عليه قال جار الله
هذه لمشاكلة قوله في اهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار الا ان يكون معنى يتفقون انه نصب مرفقه ووضع عليه خده كعادة المغتمين

معاد با

وقال قائلون ان الشياطين رفقاء اهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجتمعا لاولئك الرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية
فان جعلت انا لا نضيع اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا فاولئك خبر آخر وكلا ماسبقنا نفيا للاجر المبهم فمعنى العموم فيمن احسن يقوم مقام الرابط المحذوف
والتقدير من احسن عملا منهم وتفسير جنات عدن قد مر في سورتي التوبة والرعد ولاهل الجنة لباسان لباس التحلي ولباس التستر ولم يسم فاعل يحلون
للتعظيم وهو الله جل وعلا او الملك باذنه ومن في من اساور للابتداء وفي من ذهب للتبيين وتنكير اساور ولابهام امرها في الحسن اساور
اهل الجنة بعضها ذهب بهذه الآية وبعضها فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وبعضها لؤلؤ كقوله في الحج ولؤلؤا وجمع في لباس الستر بين السندس
وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبره وقيل انما لم يسم فاعل يحلون اشارة
الى ان الحلي بفضل الله بما عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على انهم استوجبوه بعملهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على الاسرة
والارائك جمع اريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بجدهم وحشمهم واموالهم واصناف تمتعاتهم على الفقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين
تنبيها على ان متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافرين
والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر اسمه فطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات
في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا
بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج
اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق
به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له وطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة
قبل رسول الله صلعم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد اما قوله وحففناهما بنخل فقال صاحب الكشاف انه يتعدى الى المفعول الثاني بالباء ومعنى جعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار ولا سيما المثمرة منها وخاصة النخيل لانه اكرم وجعلنا بينهما زرعا
فهما جامعتان للاقوات والفواكه وقيل انهما تأتي في كل وقت بمنفعة اخرى متواصلة متشابكة وكل منهما متعوق بوفاء الثمار واتمام الاكل وانه محمول على
لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز والظلم اصله النقصان وهو المراد ههنا وفجرنا من قرأ بالتخفيف فظاهر لانه نهر واحد ومن قرأ
بالتشديد فللمبالغة لان النهر ممتد في وسطهما فهو كالانهار وكان له ثمر قال الكسائي الثمرة اسم الواحد والثمر جمع وجمعه اثمار ثم ثمر ككتاب وكتب بالحركة
او بالسكون وذكر اهل اللغة ان الثمر بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجرة وقال قطرب كان ابو عمرو بن العلاء
يقول الثمر المال والولد اي كان يملك مع الجنتين اشياء من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض وسائر التمتعات كيف شاء والمحاورة مراجعة
الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كانه اخذ
اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه وذلك قوله سبحانه ودخل جنته قال جار الله معنى افراد الجنة بعد
التثنية انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد ان يكون قد
دخل مع اخيه جنة واحدة منهما او جعل مجموع الجنتين في حكم جنة واحدة منهما او جعل مجموع يؤيده توحيد الضمير على اكثر القراءات في قوله لاجدن خيرا
منها وانما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وسائر معتقدات ان الله
كان واضعا للنعم في غير موضعها على ان نعم الجنة بخصوصها مما يجب ان يستدل بها على احوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى عكس الكافر القضية زعم دوام جنته التي هي بصدد الزوال قائلا ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه الجنة
ابدا وذلك لطول امله واستيلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى انكر المحسوس وادعى غلبة الظن بامتناع الحشر مع قيام الدلائل العقلية والحسية
على امكانه ووجود الدلائل الشرعية على وجوبه قائلا وما اظن الساعة قائمة ثم اقسم على انه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا وكما زعم صاحبه ان له ربا وانه سيرد
اليه وجد خيرا من جنته في الدنيا كانه قاس الغائب على الشاهد وادعى ان النعم الدنيوية لن يكون استدراجا اصلا وانما يكون استحقاقا وكرامة
ومنقلبا نصب على التمييز اي مرجع تلك وعاقبتها لكونها باقية بزعمكم خير من هذه لكونها فانية حسا او في اعتقادكم قال بعض العلماء الرد
يتضمن كراهة المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت اي عن جنتي هذه التي اظن ان لا تبيد هذه ابدا الى ربي ولما لم يسبق مثل هذا المعنى في حم
قال هناك ولئن رجعت الى ربي قوله اكفرت ذلك زعم الجمهور ان اخاه انما حكم بكفره لانه انكر البعث واقول يحتمل ان يكون كافرا بالله سابقا بل مشركا
لقوله بعد ذلك يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولقول اخيه معرضا به لكنا هو الله ربي وليس في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة على انه كان عارفا بربه لاحتمال
ان يكون قد قال ذلك بزعم صاحبه كما اشرنا اليه وقوله خلقك من تراب اي خلقك اصلك وهو اشارة الى المادة البعيدة وقوله من نطفة اشارة
الى المادة القريبة ومعنى سواك رجلا عدلك وكملك حال كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال المكلفين ويجوز ان يكون رجلا تمييزا او
لعل السر في تخصيص الله سبحانه في هذا المقام بهذا الوصف هو انه يكون دليلا على وجود الصانع اولا ان الانسان ادل على هذا المطلوب
بخلق الانسان اقرب الانسان الى الانسان وفيه ايضا اشارة الى امكان البعث لان الذي قدر على الابتداء قادر على الاعادة وفيه انه خلقه فهو اعلم منه بخلقه



للعبودية والاقرار للفقر والانكار ثم استدرك بقوله اكفرت كانه قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد واصل لكنا لكن انا حذفت
الهمزة بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى وادغمت في الثانية وضمير الغائب للشان والجملة بعده خبر
للشان والمجموع خبر انا والراجع ياء الضمير وتقدير الكلام لكن انا الشان الله ربي قال اهل العربية اثبات الف انا في الوصل ضعيف لكن في قراءة
ابن عامر قوية بناء على ان الالف كالعوض عن حذف الهمزة ولولا للتحضيض وتعلقه قلت واذ دخلت ظرف وقع في البين توسعا وقوله ما شاء الله
خبر مبتدأ محذوف وجملة شرطية محذوفة الجزاء تقدير الكلام الامر ما شاء الله واي شيء شاء الله كان انما تمسك اهل السنة بالاية فانه لا يدخل
في الوجود شيء الا بامر الله ومشيته واجاب الكعبي بان المراد ما شاء الله مما تولى فعله لا ما هو من فعل العباد والجواب ان هذا مما يخرج الكلام
عن الفائدة فانه كقول القائل السماء فوقنا واجاب القفال بانه اراد ما شاء الله من عمارة هذا البستان ويؤيده قوله لا قوة الا بالله اي ما قوتي
على عمارته وتدبير امره فهو بمعونة الله وتعقب بانه تخصيص للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان لعلها حصلت بالظلم والعدوان فالحق
انه لا قوة لاحد على امر من الامور الا باعانة الله وعن قتادة عن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من يشاء وكان اذا دخل ردد هذه الاية
حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض الامر الى مشية الله اجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال ان ترن انا اقل فانا فصل واقل مفعول ثان ومالا وولدا
نصب على التمييز فعسى ربي ان يؤتين في الدنيا او في الاخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر كالغفران بمعنى الحساب اي مقدارا قدره
في حساب الله وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداك وقيل هو جمع حسبانة وهو السهم القصير يعني الصواعق فتصبح
صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها وزلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم ثم اخبر سبحانه عن تحقيق ما قدره
المؤمن فقال واحيط بثمره وهو عبارة عن اهلاكه وافنائه بالكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا ان يحاط بكم فاصبح يقلب كفيه اي يندم على
ما انفق فيها لان النادم يفعل كذلك غالبا كما قد يعض انامله وهي خاوية على عروشها اي سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم
وقد مر في البقرة في قصة عزير ويقول يا ليتني لم اشرك تذكر لموعظة اخيه وفيه دلالة ظاهرة على ما قلنا من انه كان غير عارف بالله بل كان عابدا صنم
ومن ذهب الى انه جعل كافرا لانكاره البعث فسره بان الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكانه اثبت لله شريكا في اعطاء العز والغنى او انه لما
عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا للخلق في هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه ندما على الشرك ورغبة في التوحيد المحض و
لكنه رغبة في الايمان رغبة في جنته وطمعا في دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر ندمه مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله ولم يكن له فئة طائفة ينصرونه من
دون الله لانه وحده قادر على نصرة العباد وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين ان النصرة والعاقبة المحمودة
كانت للمؤمن على الكافر علم ان الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل هنالك اي في مثل ذلك الوقت والمقام الولاية الحق لله او الولاية لله
الحق والولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمراد في مثل تلك الحالة الشديدة يتوب الى الله ويلتجئ اليه كل مضطر يعني ان
قول الكافر يا ليتني انما صدر عنه الجاء واضطرارا وجزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الاخرة كقوله لمن
الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخب قط ثم ضرب مثلا اخر للجبابرة من قريش فقال واضرب لهم الاية
وقد مر مثله في اوائل يونس انما مثل الحيوة الدنيا كماء ومعنى فاختلط به نبات الارض بسببه وقيل معناه روى النبات ورق فاختلط بالماء وذلك لان
الاختلاط يكون من الجانبين والهشيم ما هشم وحطم والذرو النظر والانتهاب نحو ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا وكان
الله على كل شيء مقتدرا لتكوينه اولا وتنميته وسطا وازهاقه اخرا ولا ريب ان احوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم
تتزايد الى ان تتكامل ثم تنتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل ان يبتهج به وحين مهد القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية
فقال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات هي اعمال الخير التي تبقى ثمرتها خير عند ربك ثوابا اي نعلق ثواب وخير املا
لان الجواد المطلق افضل مسؤل واكرم مامول وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ففي التسبيح تنزيه له
عن كل ما لا ينبغي وفي الحمد اقرار له بكونه مبدأ لافادة كل ما ينبغي وفي التهليل اعتراف بانه لا شيء في الامكان متصفا بالوصفين الا هو وفي
التكبير اذعان لغاية عظمته وانه اجل من ان يعظم وقيل الطيب من القول والاصح كل عمل اريد به وجه الله وحده قال قتادة التأويل
واتل على نفسك ما اوحي اليك من كتاب ربك في الازل لا مبدل لكلماته الى الابد مع الذين يدعون ربهم ومع القلب والسر والروح والخفي في غداة
الازل الى عشي الابد فانهم مجبولون على طاعة الله كما ان النفس جبلت على طاعة الهوى وطلب الدنيا ولا تعد عيناك عنهم فانك ان لم تراقب
احوالهم تصرف فيهم النفس الامارة ولا تطع من اغفلنا يعني النفس نارا هي نار القهر والغضب احاط بهم سرادقها يعني مراد في الغرة بماء كالمهل
كل ما هو لاهل اللطف سببا لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعل لاهل القهر سببا لصعوبة الامر وشدة التغلق حتى شوى الوجوه اي
حرف مواد التفاتهم الى عالم الارواح وفسدت استعداداتهم فبقوا في اسفل سافلين الطبيعة يحلون فيها من اساور والتحلية بالاساور اشارة الى
ظهور اثار الملكات عليهم وقول من ذهب الى انها ملكات مستحسنة معتدلة راسخة ويلبسون ثيابا فيه ان انوار العبادات تلوح عليهم وتشمل
بهم وقوله خضرا اشارة الى انها انوار غريقة هرم ومن سندس اشارة الى ما لطف من الرياضات واستبرق الى ما نشو منها متكئين فيها على

لادراك لانهم فرغوا لها وكلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات وبقي ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من اعناب الشهوات وحففناهما بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية وفجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس وكان له ثمر من انواع الشهوات وهو يحاوره يجاذب النفس للقلب انا اكثر منك مالا اي ميلا واعز نفرا من اوصاف المذمومات وهو ظالم لنفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لاجدن خيرا منها لانه غر بالله وكرمه فلا جرم يقول له اكفرت بربك لكن هو الله هلا قلت ما شاء الله اي تصرفي في جنة الدنيا كما شاء الله على ما انفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كماء انزلناه هو الروح العلوي الذي نزل الى ارض الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فاصبح هشيما لانه شئت منه بذوره الاخلاق الروحانية بذروه رياح الاهوية المختلفة فيكون حاله خلاف روح ادركته العناية الازلية فبعث اليه هدهد من اهل الكمال فرباه بماء العلم والعمل حتى يصير شجرة طيبة والباقيات الصالحات اي ما يبقى منك ويبقى بك والله اعلم بالصواب

ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك
صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا
لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا
ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع
الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم
العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل
ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض
عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما
ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا

القراءة نسير الجبال على بناء الفعل للمفعول ورفع الجبال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والاخرون على بناء الفعل للفاعل ونصب الجبال ما اشهدتهم يزيد الاخرون ما اشهدتهم

وما كنت على الخطاب روى ابو بكر وحماد عن يزيد الباقون على التكلم ويوم نقول بالنون حمزة الباقون على الغيبة لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام
حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى وحماد والمفضل الباقون بضم الميم وفتح اللام الوقوف باردة لا لان التقدير وقد حشرناهم قبل ذلك احداً للابتداء
مع العطف صفاً للعدول عن الغيبة في يوم لقد جئتمونا اول مرة ز لان بل قد يبتدأ به مع ان الكلام متحد موعداً احصيها لاستيناف الواو
لعدم تمام الاستفهام مع احتمال الحال باضمار قد حاضراً احداً الا ابليس ط امر ربه عضداً موبقاً مصرفاً مثل ط جدلاً
قبلاً وصلاً بينه لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هزوا بداه ط وقراءة ابداً الرحمة ط العذاب موئلاً موعداً التفسير لما بين خساسة
الدنيا وشرف الاخرة اردفه باحوال يوم القيمة واهوالها وفيه رد على اغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الاموال والاولاد على فقراء المسلمين
والتقدير واذكر يوم كذا عطفاً على واضرب ويجوز ان ينتصب بالقول المضمر قبل ولقد جئتمونا وفاعل التسيير هو الله تعالى الا انه سمي على احدى
القراءتين ولم يسم في الاخرى فتسييرها اما الى العدم لقوله ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً
واما على موضع لا يعلمه الا الله وترى الارض بارزة لانه لا يبقى على وجهها شيء يسترها من العمارات ولا من الجبال والاشجار واما لانها برزت
ما في بطنها من الاموات لقوله والقت ما فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازاً باى بارزاً ما في جوفها وحشرناهم الضمير للخلائق المعلوم حكماً فلم نغادر
منهم احداً من الاولين والاخرين يقال غادره واغدره اذا تركه والتركيب يدل على الترك ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان الذي يجال
السيل ان يذهب بالماء كله ولا يخفى ان الذي يجال رب العزة ان لا يترك احداً من خلقه غير محشور والا كان قدحاً في علمه وحكمته وقد مر في الانشقاق
في قوله وعرضوا على ربك دليل على انه سبحانه في مكان يمكن ان يعرض عليه اهل القيمة وكذا في قوله لقد جئتمونا واجيب بانه تعالى شبه وقوفهم في الموضع الذي
يسئلهم فيه عن اعمالهم بالعرض عليه وبالمجيء الى حكمه كما يعرض الجند على السلطان وانتصب صفاً على الحال اي مصطفين ظاهرين نرى جماعاتهم كما يرى كل
واحد لا يحجب احد احداً والصف اما واحد واما جمع كقوله يخرجكم طفلاً اي اطفالاً وقيل صفاً اي قياماً وبه فسر قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وقال القفال
يشبه ان يكون الصف راجعاً الى الظهور والبروز ومنه الصفصف للصحراء وهذا قريب من الاول وقد مر في الانعام ان وجه التشبيه في قوله خلقناكم اول مرة انهم
يبعثون عراة لا شيء معهم او المراد بعثناكم كما انشأناكم وزعمتم ان لن نجعل لكم موعداً اي وقتاً لانجاز ما وعدوا على السنة الانبياء اما ان يكون حقيقة
واما لان افعالهم تشبه فعل من يزعم ذلك ووضع الكتاب اي جنسه وهو صحف الاعمال والوضع اما حسي وهو ان يوضع كتاب كل انسان في يده اما في اليمين
او في الشمال واما عقلي ومعناه النشر والاعتبار فترى المجرمين مشفقين خائفين مما في الكتاب لان الخائف خائف خوف العقاب وخوف الافتضاح ومعنى
النداء في يا ويلتنا قد مر في المائدة في قوله يا ويلتى اعجزت وقوله صغيرة ولا كبيرة صفتان للهنية او المعصية او الفعلة وهي عبارة عن الاحاطة وضبط
كل ما صدر عنهم لان الاشياء اما صغار واما كبار فاذا احصر الصنفين فقد حصر الكل وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك ان
تلك الصغائر هي التي جرأتهم على الكبائر وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وجوز في الكشاف ان
يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر وتمام البحث في المسئلة اسلفناه في اوائل سورة النساء في تفسير قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فذكر ووجدوا ما
عملوا حاضراً في الصحف مثبتاً فيها او وجدوا اجزاء ما عملوا ظاهراً على صفحات احوالهم ولا يظلم ربك احداً استدل الجبائي به على بطلان مذهب الاشاعرة
في ان الاطفال يجوز ان تعذب بذنوب ابائهم فان ذلك ظلم والجواب ان الظلم انما يتصور في حق من تصرف في غير ملكه فلو ثبت ان له حكم المالكية
ان يفعل ما يشاء من غير اعتراض عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة واجيب بان تلك القضية بعد الدلائل العقلية علمت من مثل هذه الاية عن رسول
الله يحاسب الناس في القيمة على ثلثة يوسف وايوب وسليمان يدعو بالمملوك فيقول له ما شغلك عني فيقول جعلتني عبداً لادمي فلم يفرغني فيدعوا
يوسف فيقول كان هذا عبداً مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدني فيؤمر به الى النار ثم يدعى بالمبتلى فاذا قال اشغلتني بالبلاء دعا بايوب فيقول قد ابتليت
هذا باشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ويؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك في الدنيا مع ما اتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما
اتيتك فيقول شغلني الملك عنك فيدعى سليمان فيقول هذا عبدي سليمان اتيته اكثر مما اتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر
لك فيؤمر به الى النار ثم انه سبحانه عاد الى الرد على ارباب الخيلاء من قريش فذكر قصة ادم واستكبار ابليس عليه قال جار الله قوله كان من الجن كلام
مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلاً قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق والفاء للتسبيب ايكونه من الجن
فسق ولو كان ملكاً لم يفسق لثبوت عصمة الملئكة وقال اخرون اشتقاق الجن من الاستتار عن العيون فيشمل الملئكة والنوع المسمى بالجن ثم من
لم يوجب عصمة الملك فظاهر ومن اوجب قال كان بمعنى صار اي مسخ عن حقيقة الملئكة الى حقيقة الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه في اول سورة البقرة
ومعنى فسق عن امر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه لما امر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الامر الشاق لما حصل ذلك الفسق
فلهذا حسن ان يقال فسق عن امر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف اي فسق عن ترك امره ثم عجب من حال من اطاع ابليس في الكفر والمعاصي وخالف
امر الله فقال افتتخذونه كانه قيل اعقيب ما وجد منه من الاباء والفسق تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي وقصة ادم وابليس سمعها
قريش من اهل الكتاب وعرفوا صحتها فلذلك صح الاحتجاج بها عليهم وان لم يعتقدوا كون محمد نبياً بئس للظالمين بدلاً اي بئس البدل من الله ابليس
لمن استبدل به فاطاعه بدل طاعته قال الجبائي في الاية دلالة على انه لا يريد الكفر ولا يخلقه في العبد والا لم يصح هذا الذم والتوبيخ وعوض

بالعلم والداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق ان الداعي لكفار قريش الى ترك دين محمد صلعم هو النخوة والعجب والترفع والتكبر وهذا شان ابليس
ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم والعمل الفخر على الاقران والترفع على ابناء الزمان فانه مقتدي بابليس وذريته وهذا مقام صعب
نسال الله الخلاص منه ثم نبه على فساد عقيدة اهل الشرك وبطلان طريقتهم بقوله ما اشهدتهم فالاكثرون على ان الضمير للشركاء والمراد انهم لو كانوا
شركاء لي في خلق السموات والارض وفي خلق انفسهم بعين لو كان بعضهم مشاهدين خلق بعض مشاركين لي فيه كقوله ولا تقتلوا انفسكم لامكن ان
يكونوا شركاء لي في العبادة لكن الملزوم المساوي منتف فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم عضدا اعوانا
فوضع المضلين موضع الضمير نعيا عليهم بالاضلال وقيل الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد انهم ما كانوا شركائي في
تدبير العالم بدليل اني ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والاخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلم
ان من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست سلطان البلد ولا مدبر المملكة حتى تقبل منك كل اقتراحاتك وقيل اراد ان هؤلاء
الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الازل من احوال السعادة وضدها لانهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم ان يحكموا بحسن حالهم
عند الله وبشرفهم ورفعتهم عند الخلق وباضداد هذه الاحوال للفقراء ومن قرا وما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول صلعم والمعنى وما صح لك الاعتضاد
بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم ثم عاد الى تهويلهم باحوال يوم القيمة واضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم وتحرى الكلام باحد احوالهم
الفتنة يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا اي ادعوا من زعمتم انهم شركائي فاهلتموهم للعبادة قال المفسرون اراد الجن فدعوهم لم يذكر في هذه الاية انهم
كيف دعوا تلك الشركاء ولعل المراد بما في الاية الثانية هذا كقولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم
في الدنيا هلاكا يوم القيمة وفي الكشاف الموبق المهلك وهو مصدر كالمورد اي جعلنا بينهم واديا من اودية جهنم مشتركا هو مكان الهلاك والعذاب
الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز ان يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم وبالموبق البرزخ اي جعلنا بينهم امدا بعيدا وقيل الموبق فيه السائر
الفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان قوله فظنوا اي علموا وايقنوا والاقرب ان الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم انهم
مخالطوها وواقعون فيها في تلك الساعة من غير تأخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها نظيره اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا الى غيرها لان الملئكة يسوقونهم اليها اخر الامر ولما ذكر ان الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة اموالهم ونفرهم
واجاب عن شبههم واقوالهم الفاسدة وضرب الامثال النافعة وحكى اهوال الاخرة قال ولقد صرفنا وقدم تفسيره في السورة المتقدمة وبين انه
الكفار جدالهم وكانوا ابدا يتعللون بالاعذار الواهية ختم الاية بقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا يعني ان الاشياء التي يتاتى منها الجدال ان فصلتها
واحدا بعد واحد فالانسان اكثرها خصومة فقوله اكثر شيء كقوله اولعمرة وقد مر في الانعام وكثرة جدل الانسان لسعة مضطربه فيما بين افق الملئكة
الى حضيض البهيمية فليس له في جانبي التصاعد والتسافل مقام معلوم قال اهل البرهان قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى وقال في هذه السورة بزيادة ويستغفروا ربهم لان المعنى هناك ما منعهم عن الايمان بمحمد صلعم الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا هلا بعث
ملكا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس ومعنا في هذا الموضع ما منعهم الايمان والاستغفار والاتيان بسنة المرسلين وانتظار ذلك وعن الزجاج
الا طلب سنتهم وهو قولهم ان كان هذا هو الحق وزاد في هذه السورة ويستغفروا ربهم لان قوم نوح امروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا
وكذا قوم هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوم صالح واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب وقوم شعيب واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود فلما خوفهم سنة الاولين اجرى المخاطبين مجراهم والحاصل انهم لا يقدمون على الايمان والاستغفار الا عند نزول
عذاب الاستيصال او عند تواصل اصناف البلاء عيانا ومن قرا بضمتين اراد انواعا جمع قبيل قالت المعتزلة في الاية دلالة على انه لا مانع من الايمان
اصلا وقالت الاشاعرة العلم بانه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر يمنعانه فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم بين انه انما ارسل الرسل مبشرين
بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين ان مع هذه الاحوال يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به اي
ليبطلوا به الحق من ادحاض القدم وهو [illegible] واياتي وما انذروا اي الذي انذروه من العقاب او انذارهم هزوا موضع استهزاء قال جار
الله خذلهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملئكة وما اشبه ذلك قال اهل العرفان قوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بالقران
قوله ان يفقهوه بتذكير الضمير فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها ولم يتدبر في خلاصها متمسك القدرية وانما
قال في السجدة ثم اعرض عنها لان ما في هذه السورة في الكفار الاحياء الذين بما انهم متوقع بعد اي ذكروا فاعرضوا عقيب ذلك وما في السجدة في الكفار
الاموات بدليل قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم اي ذكروا مرة بعد اخرى وزمانا بعد زمان ثم اعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء ايمانهم
وقوله انا جعلنا وقد مر تفسيره في الانعام الى قوله فلن يهتدوا اذا ابدا متمسك الجبرية وقلما تجد في القران دليلا لاحد الفريقين الا ومعه دليل للفريق
الاخر فهذا ابتلاء من الله ولعله ابتلاك اظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال وربك الغفور ذو الرحمة قال المفسرون الضمير في قوله لو يؤاخذهم
لاهل مكة الذين افرطوا في عداوة رسول الله صلعم والموعد يوم بدر واقول لا يبعد ان يكون الضمير للناس في قوله ولقد صرفنا للناس والموعد القيمة والموئل
الملجأ يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه قال الامام فخر الدين الرازي انما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والرحمة ايصال



النفع وقدرة الله تعالى تتعلق بالاول لان الاعضاء لا نهاية لها ممكن ولا يتعلق بالثاني لان فعل ما لا نهاية له محال اقول هذا فرق دقيق لو ساعد عليه
النقل على ان قوله ذو الرحمة ايضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد في القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق القدرة بترك
غير المتناهي ايضا نظر لان مقدورات الله متناهية لا فرق في ذلك بين المبقي والمتروك ثم اشار الى قرى الاولين اعتبارا لغيرهم فقال وتلك القرى
باسم الاشارة مبتداء وفيه تعظيم لشانهم او تبعيد لزمانهم ومكانهم والقرى صفته وما بعده خبره ولا يخفى حذف المضاف اي وتلك اصحاب القرى
اهلكناهم ويجوز ان يكون تلك القرى منصوبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير وجعلنا لزمان هلاكهم او لاهلاكهم او وقت هلاكهم موعدا
وعدا او وقت وعد لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمراد انا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع ان نضرب له وقتا يمكنهم التوبة قبل ذلك
التاويل ويوم نسير الجبال وهي الابدان الجامدة عن السلوك وترى ارض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرنا جميع القوى البشرية
وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر رتبة يليق بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا النفس وقواها ولقد جئتمونا كما
خلقناكم اول مرة على هيئة الفطرة وقيل الانبياء في صف والاولياء في صف والمؤمنون في صف والكافرون والمنافقون في الصف الاخر لا يغادر
صغيرة هي كل تصرف في شيء بالشهوة النفسانية وان كان من المباحات ولا كبيرة هي التصرف في الدنيا على حبها لان حب الدنيا راس كل خطيئة ما اشهدتهم
لاني لا اشهد الا اوليائي كما قلت سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ورأى المجرمون النار راوا في الدنيا اسباب النار من الشهوات والاثام فوقعوا
فيها ولم يجدوا ما يصرفهم عنها من الديانة والايمان الحقيقي فاذا راوا النار في الاخرة ايقنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما تعيشون
تموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان اكثر شيء جدلا فتارة تجادل في التوحيد واخرى في النبوة ومرة في الاصول ومرة في الفروع ولهذا كثرت
المذاهب والاديان والملل والنحل وتسال الصواب من علمه وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم اسباب الهداية ويستغفروا ربهم انكانوا من بينهم
الا ان تاتيهم سنة الاولين من الانبياء والاولياء والمؤمنين وهي جذبات العناية لاهل الهداية كقوله في حضرة النبي ص والله لولا الله ما اهتدينا
او ياتيهم العذاب قبلا كقوله انا نبي السيف امرت وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله — و چون گفت موسی مر جوان را همیشه بروم تا آنگه برسم بر ام جمع دو دریا یا بروم
حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ
روزگار دراز پس چون رسیدند بهم آمدن فراموش کردند ماهی را پس گرفت راه او را در دریا پس چون گذشتند گفت
لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي
مر جوان را بده ما را ناشتای ما هر اینه رسید ما را از سفر این رنج گفت آیا دیدی چون جا گرفتیم بسوی سنگ پس بدرستی که من
نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ
فراموش کردم ماهی را و فراموش نکرد مرا دیو اینکه یاد کنم او را و گرفت راه او در دریا بشگفت گفت
ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
اینست که بودیم که میجستیم پس باز گشتند بر اثر ان پس یافتند بنده از بندگان ما دادیم او را بخششی از نزد ما
وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ
و آموختیم او را از نزد خود دانشی گفت مر او را موسی آیا پیروی کردم تو را بر آنکه بیاموزی از آنچه آموختی راه راست گفت بدرستی که تو
لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا
هرگز نتوانی صبر کردن با من و چگونه صبر کردی بر آنچه گرد نگرفتی آن را دانش گفت زود یابی مرا اگر خواهد خدا صبر کننده و نه
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانْطَلَقَا
فرمان بریم مر ترا کاری گفت پس اگر پیروی کردی مرا پس مپرس مرا از چیزی تا آنکه سخن گویم مر ترا از آن پندی پس رفتند
حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
تا چون بر نشستند در کشتی سوراخ کرد گفت سوراخ کردی او را تا غرق کنی اهل آن را بتحقیق که آوردی چیزی منکر را گفت آیا نگفتم
إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ
که تو نتوانی با من صبر کردن گفت مگیر مرا بآنچه فراموش کردم و در رنج میفکن مرا بکار دشوار پس رفتند تا
إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
چون پیوستند کودکی را پس کشت او را گفت آیا کشتی تن پاکیزه را بغیر تن بتحقیق که آوردی چیزی زشت گفت آیا نگفتم
لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي
مر ترا که هرگز نتوانی با من صبر کردن گفت اگر بپرسم ترا از چیزی بعد از این پس یار مکن مرا بتحقیق که رسیدی از نزد من

عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا
بهانه پس رفتند تا چون آمدند نزدیک اهل شهری بچون طعام خوردنی کردند از اهل آن پس سر باز زدند که مهمان کنند ایشان را پس یافتند دران دیواری را

يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ
میخواست که بیفتد پس بپا داشت او را گفت اگر خواهی بگیری بر او مزد گفت اینست جدائی میان من و میان تو

سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ
زود خبر دهم تورا بدبیان آنچه نتوانستی بر او شکیبا اما کشتی پس بود از بیچاره گان کار میکردند در دریا

فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ
پس خواستم که معیوب کنم او را و بود از پیش ایشان پادشاهی که میگرفت هر کشتی را بستم و اما کودک پس بودند پدر و مادر او گرویدگان

فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَ
پس ترسیدیم که برساند ایشان را بر براهی و کفر پس خواستیم که بدل کند ایشان را خدای ایشان بهتر از آن پاکی و نزدیک تر بخشودن و

أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ
اما دیوار پس بود مر دو کودک دو یتیم در شهر و بود در زیر او گنج برای ایشان و بود پدر ایشان صالح پس خواست

رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ
پروردگار تو که برسانند بقوت آن و بیرون کنند گنج را بخشش از پروردگار تو و نکردم او را از فرمان خود اینست تعبیر

مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝ القراءات انسانيه بضم الهاء حفص والمفضل وقرا علي بالامالة مع كسر الهاء يبغي بالياء في الحالين
آنچه نتوانستی بر او شکیبا ابتاعا لخط المصحف رشدا بفتحتين ابو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان

الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معي بفتح الياء حفص ستجدني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع فلا تسالني بنون التاكيد الثقيلة واثبات
الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والاحسن اثباتها لانه شاذ عن اهل الشام الاخرون بنون الوقاية وحذف
الياء ليغرق اهلها بياء الغيبة وفتحها مع فتح الراء ورفع الاهل حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاغراق وبنصب الاهل زاكية
على فاعلة ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الاخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وابو
بكر وحماد فلا تصحبني من الصحبة روح وزيد الاخرون من المصاحبة من لدني خفيفا ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد والمفضل يضيفوهما من الاضافة المفضل
لتخذت من التخذ ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بسكون الخاء وقرا ابن كثير بالاظهار لاتخذت من الاتخاذ وقرا حفص والمفضل والاعشى والبرجمي مظهرا
يبدلهما من التبديل وكذا في سورة التحريم ون والقلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو والاخرون مع الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب
الباقون بسكون الحاء ۞ الوقوف حتى اسرها غداءنا لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نسيناه الحوت ط لتمام الاستفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو
حالا ان اذكره ج لان ما بعده الاستيناف والحال في البحر قد قيل عليه تم كلام يوشع ثم ابتدا موسى عجبا اي اعجب لك عجبا والوصل اجوز اي سبيلا عجبا
او اتخاذا عجبا نبغ قد قيل لتمام قول احدهما وابتداء فعلهما والوجه الوصل لعطف اللفظ وسرعة الرجوع على الفور قصصا لا لاتصال النظم و
اتحاد الحال علما رشدا ه صبرا خبرا ه امرا ه ذكرا ه فانطلقا قف لان حتى اذا للابتداء خرقها ط اهلها ج لانقطاع النظم واتحاد القائل امرا ه صبرا عسرا ه فانطلقا
لما نفسها الا لان قال جواب الذي بغير نفس ط للفصل بين الاستخبار والاخبار نكرا ه نصف السبع ونصف القران والجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا ه قال
تصاحبني لاختلاف الجملتين عذرا ه فانطلقا وقف فاقامه ط اجرا ه وبينك ج صبرا ه غصبا ه وكفرا ه رحما ه صالحا ج لما قلنا من ربك ج عن امري ط
صبرا ه لانقطاع القصة ۞ التفسير هذه قصة اوردها الله تعالى ليعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة في الافادة اما نفعها في قصة اصحاب الكهف
فهو ان اليهود ان اخبركم محمد عنها فهو نبي والا فلا فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر تنبيها على ان النبي لا يلزم ان يكون عالما بجميع القصص والاخبار واما نفعها
في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى ع مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام
في حقه ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل طلب العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر واكثر العلماء على ان موسى المذكور في الاية هو موسى بن عمران صاحب
التوراة والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يعقوب
وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واحتج الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيث اطلق في القران اريد به موسى بن عمران
فلو كان المراد ههنا شخصا اخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور حجة الاقلين واليه ذهب جمهور اليهود ان موسى بن عمران بعد ان خصه الله تعالى
بالمعجزات القاهرة التي لم تتفق لمن قبله مثلها يبعد ان يؤمر بالتعلم والاستفادة واجيب بان العالم الكامل في اكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل
فيحتاج الى تعلمها الى من يخص بعلمها اما فتى موسى فالاكثر على انه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن
كعب عن النبي ص وقيل هو اخو يوشع وكان مصاحبا لموسى في السفر وعن الحسن انه اراد عبده ويؤيده ما روي انه قال ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا

يقل عبدی و امتی قال اهل السیر ان موسی لما ظهر علی مصر مع بنی اسرائیل و استقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان یذکر قومه النعمة فقام فیهم
خطیبا فذکر نعمة الله فقال ان الله اصطفی نبیکم وکلمه فقالوا له قد علمنا هذا فای الناس اعلم قال انا فعتب الله علیه حین لم یرد العلم الی الله فاوحی
الله الیه بل اعلم منك عبد لی بمجمع البحرین وهو الخضر وکان الخضر فی ایام افریدون قبل موسی ع وکان علی مقدمة ذی القرنین الاکبر وبقی الی ایام
موسی وروی ان موسی سال ربه ای عبادك احب الیك قال الذی یذکرنی ولا ینسانی قال فای عبادك اقضی قال الذی یقضی بالحق ولا یتبع
الهوی قال فای عبادك اعلم قال الذی یبتغی علم الناس الی علمه عسی ان یصیب کلمة تدل علی الهدی او ترده عن ردی فقال ان کان فی عبادك
من هو اعلم منی فادللنی علیه قال اعلم منك الخضر قال فاین اطلبه قال علی الساحل عند الصخرة قال یا رب کیف لی به قال تاخذ حوتا فی مکتل فحیث
فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنی فرقد موسی ع فاضطرب الحوت ووقع فی البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسی الحوت فاخبره
فتاه بوقوعه فی البحر فاتیا الصخرة فاذا رجل مسجی بثوبه فسلم علیه موسی ع فقال وانی بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال یا موسی انا علی علم علمنیه الله
لا تعلمه انت وانت علی علم علمکه الله لا اعلمه انا فلما رکبا السفینة جاء عصفور فوقع علی حرفها فنقر فی الماء فقال الخضر ما ینقص علمی وعلمك
من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا اصح لان علم الانسان متناه وعلم الله غیر متناه ولا نسبة للمتناهی الی غیر المتناهی
اصلا ولنرجع الی التفسیر قال الزجاج وتبعه جار الله لا ابرح بمعنی لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر علیه ولان قوله حتی ابلغ غایة مضروبة
فلا بد لها من ذی غایة فالمعنی لا ازال اسیر حتی ابلغ علی ان حتی ابلغ هو الخبر حذف المضاف وهو المسیر واقیم المضاف الیه وهو یا المتکلم مقامه فانقلب
الفعل من لفظ الغائب الی لفظ المتکلم وجوز ایضا ان یکون لا ابرح بمعنی لا ازول من برح المکان والمعنی لا ابرح ما انا علیه ای لا اترك المسیر والطلب
حتی ابلغ مجمع البحرین یعنی ملتقی بحری فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار فی سورة البقرة فی تفسیر قوله والفلك التی تجری فی البحر بما ینفع الناس
وقیل اراد طنجة وقیل افریقیة ومن غرائب التفسیر ان البحرین موسی والخضر لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا لان احد البحرین اذا کان هو موسی
فکیف یصح ان یقول حتی ابلغ مجمع البحرین اللهم الا ان یؤول حاصل المعنی الی قولنا حتی ابلغ مکانا یجتمع فیه بحران من العلم احدهما انا او امضی حقبا اسیر زمانا
طویلا قال جار الله الحقب بالضم ثمانون سنة ویروی اکثر من ذلك وقیل انه تعالی اعلم موسی حال هذا العالم وما اعلمه موضعه بعینه فقال موسی لا ازال
امضی حتی یجتمع البحران فیصیرا بحرا واحدا او امضی دهرا طویلا حتی اجد هذا العالم وهذا اخبار من موسی ع بانه وطن نفسه علی تحمل التعب الشدید
الی ان یلقاه وفیه تنبیه علی شرف العلم وان طالب العلم یجب له ان یسافر ویحتمل المتاعب فی الطلب من غیر ملال وکلال فلما بلغا مجمع بینهما قال جمهور
المفسرین الضمیر للبحرین ای تحقق ما قال موسی وبلغ المکان الذی وعد فیه لقاء الخضر ولا بد للبین من فائدة ولعل المراد حیث یکاد یلتقی وسط
ما امتد من البحرین طولا والاضافة بمعنی فی ای مجمعا فی وسط البحرین فیکون کالتفصیل لمجمع البحرین والبیان والایضاح بکلام علام الغیوب تعالی
اولی منه بکلام موسی او البین بمعنی الافتراق ای البحران المفترقان یجتمعان هناك ویحتمل علی هذا ان یعود الضمیر الی موسی والخضر ای وصلا الی الموضع الذی
وعد اجتماع شملهما هناك او البین بمعنی الوصل لانه من الاضداد فیفید مزید التاکید کقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم اجدها فی التفاسیر
فان کن صوابا فمن الله والا فمنی ومن الشیطان نسیا حوتهما لانه تعالی جعل انقلاب الحوت حیا علامة علی مسکن الخضر قیل ان الفتی کان یغسل السمکة
لانها کانت مملوحة فطفرت وسارت وقیل ان یوشع توضا فی ذلك المکان فانتضح الماء علی الحوت المالح فعاش ووثب الی الماء وقیل انفجرت هناك
عین من الجنة ووصلت قطرات من تلك العین الی السمکة فحییت وطفرت الی البحر ونسیا الحوت الذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة
علی الوصول الی المطلوب والسبب فی هذا الذهول مع ان هذه الحالة کانت امارة لهما علی الطلبة التی تناهضا من اجلها هو ان یوشع کان قد
تعود مشاهدة المعجزات القاهرة فلم یبق لحیوة السمکة ولقیام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فی مثل السرب منه وقع عنده وقیل ان موسی
لما استعظم علم نفسه ازال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذی یشبه الضروری تنبیها لموسی ع علی ان العلم لا یحصل الا بتعلیم الله وحفظه علی
قلوب عباده وانتصاب قوله سربا علی انه مفعول ثان لاتخذ ای اتخذ سبیله سبیلا سربا وهو بیت فی الارض وذلك ان الله تعالی امسك اجزاء الماء عن
الجری وجعلها کالکوة حتی سری الحوت فیه معجزة لموسی ع وللخضر وقیل السرب هو الذهاب النفذ یسرب فی البحر سربا الا انه اقیم قوله واتخذ سبیله
مقام سرب فلما جاوزا ای موسی وفتاه الموعد المعین وهو الصخرة قال موسی لفتیه اتنا غداءنا وهو ما یؤکل بالغداة لقد لقینا من سفرنا هذا
نصبا تعبا وجوعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الی مسیرهما وراء الصخرة ولم ینصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتی متعجبا ارایت ومفعوله
محذوف لدلالة قوله فانی نسیت الحوت علیه کانه قال ارایت ما دهانی ووقع لی اذ اوینا الی الصخرة قیل هی الصخرة التی دون نهر الزیت فانی نسیت
الحوت علیه ثم ذکر ما یجری مجری السبب فی وقوع ذلك النسیان فقال وما انسانیه الا الشیطان وان اذکره بدل الاشتمال من الهاء فی انسانیه
ای وما انسانی ذکره قال الکعبی لو کان النسیان بخلق الله وارادته لکان اسناد ذلك الی الله تعالی اولی من اسناده الی الشیطان اذ لیس فی وسعه
سعی ولا اثر وقال القاضی المراد بانساء الشیطان ان یشتغل قلب الانسان بوسواسه التی هی من فعله دون النسیان الذی یضاد الذکر لان ذلك
لا یصلح ان یکون الا من قبل الله تعالی قال اهل البرهان لما کان اتخاذ الحوت سبیله فی البحر مما یعجب ای اتخذ الذی کان یطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب عقیب
النسیان ذکرا ولا فاتخذ بالفاء ولما حیل بینهما ثانیا بجملة معترضة هی قوله وما انسانیه الا الشیطان ازال الصعود التعقیب بقی العطف المجرد فقال واتخذ سبیله

بالواو وانتصاب عجبا كما مر في سربا قال كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا قال موسى ذلك يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر ما كنا نبغي اي انه الذي
كنا نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا على طريقهما المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اي يتبعان
آثارهما اتباعا او هو مصدر في موضع الحال اي جاءا على الطريق الذي جاءا منه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد
كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله آتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله أهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجوا ان
يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع ان كل رحمة نبوة قالوا وصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به تعالى هو الوحي والاخبار بالغيوب
وايضا قال في آخر القصة وما فعلته عن امري اي عرفته وفعلته بامر الله وذلك يستلزم للوحي وروي ان موسى عم لما وصل اليه قال السلام عليك فقال
وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق
فيه اذا ضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة قويت القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل ويفيض عليه من عالم
الارواح انوار يستعد بسببها لملاحظة اسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون ايضا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي به لانه كان
لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف قال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر
لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه اظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى اظهر التواضع له حين قال ولا
اعصي لك امرا مع انه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل والامة لا يكون اعلى حالا من النبي وان لم يكن الرواية صحيحة لان
لا يكون الخضر من بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى عم لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واجيب بانه يجوز ان يكون غير
النبي فوق النبي في علوم لا يتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في قوله هل اتبعك انواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا
وفيه ان المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والاتباع بمثل افعال الاستاد واتوا له على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هي الاتيان
بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوها بل لقيام
الدليل على قولها ولكنا متابعون في الصلوات الخمس للنبي عم لانا نأتي بها لاجل انه أتى بها ومنها انه استاذن في اثبات هذه التبعية ومنها انه قال ان تعلمني
مما علمت وفيه اقرار على نفسه بالجهل وعلى استاده بالعلم وفيه انه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه ان يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يدفع اليه
جزءا من اجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علمه الله تعالى والا لم يقل فاعلم وفيه اشعار بان انعامه عليه في هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه وفيه
ومن هنا قيل انا عبد من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع علو المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال
والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمني فدل ذلك على انه لا كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل من كانت احاطته
بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان حرصه على زيادتها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان يكون مفعولا لتعلمني و
لعلمت اي علما ذا رشد ارشد به في ديني وفيه تعظيم لما يتعلمه فان الارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال
بظواهر الامور شرعا فلما يتم للانسان يصبر عليها وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالاية على ان
الاستطاعة لا يحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر نفي الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف
تصبر لانه استفهام في معنى الانكار اي لا تصبر البتة اجاب الجبائي بانه اراد بنفي الاستطاعة انه يثقل عليه الصبر لا انه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا
لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي اي ستجدني غير عاص لك امرا و
يجوز ان يكون قوله ولا اعصي جملة مستانفة معطوفة على مثلها اي ستجدني ولا اعصي قال اهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق الشكر والصبر مأمور
به دليل على انه تعالى لا يريد من العبد الا ما اوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب واجيب بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت
المطلوب وان فسد فاي ادب في ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا اعصي لك امرا دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص
لهذه الاية والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليظ وتجهيل وفي قول موسى
تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم ان راى التغليظ على المتعلم فيما يعنيه نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه
بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتني فلا تسالني شرط على موسى عم في اتباعه ان لا يسال عما خفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدي
بتعليمه اياه واخباره عن وجه الحكمة فيه فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة وقد كان يرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بلا اجرة فلما
حصلوا في اللجة اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما يقال امر الامر اذا عظم ويقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه امر امر احتج الطاعنون في عصمة
الانبياء بان موسى عم اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب اجيب بانه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه احب ان يقف
على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة او انه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي وما
موصولة او موصوفة او مصدرية اي بالذي نسيته وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه اوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت انه

قد نسي لبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ايضا ان يكون النسيان
بمعنى الترك اي بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني ولا تغشني من امري عسرا او اراد بامره اتباعه اي يسّر علىّ متابعتك بالاغضاء وترك
المناقشة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفي قصة الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه
قولهم راى الشيخ خير من مشهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القران انه كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان
او كان منفردا وهل كان مسلما او كان كافرا وهل كان بالغا او كان صغيرا واسم الغلام بالصغير اليق الا انه يعتبر بعينه بالبالغ اليق لان
الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه
ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة طاهرة عنده فقيل النكر
اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل النكر اشد لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل
الى تداركه وايضا الامر العجيب والعجب يستعمل في الخير والشر والنكر ما ينكره العقول فهو شر وظاهر الاية يدل على ان موسى استبعد ان يقتل النفس
الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل بسائر الاسباب ولعله اعتبر السبب الاغلب الاقوى واختلفوا في كيفية قتله فقيل فتل عنقه وقيل ضرب
برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه زاد على ان اذكره ما عاهد عليه فقال الم اقل لك وانما زاد
هيهنا لك لان الانكار اكثر وموجب العتاب اقوى وقيل اكد التقرير الثاني بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك اقول واياك اعني وقيل بين في الثاني
المقول له لما لم يبين في الاول فعند هذا قال موسى ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه الكرة او المسئلة فلا تصاحبني نهاه عن المصاحبة مع حرصه
على التعلم لظهور عذره كما قال قد بلغت من لدني عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة اضطره الحال الى الاعتراف وسلوك
سبيل الانصاف عن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض
الله من السماء استطعما اهلها وكان حق الايجاز ان يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتاكيد كقوله ليت الغراب غداة ينعب بيننا
كان الغراب مقطع الاوداج وايضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستطالة فابوا ان يضيفوهما
يقال اضافه وضيّفه اذا انزله وجعله ضيفه والتركيب يدل على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبي صلعم كانوا اهل قرية
لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدما عليه وايضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم
حتى ترك عهد صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيب بان الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة او اشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجب
اجابته فلقائل ان يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار والجواب انه يقول انه اقام الجدار معجزة فقدير وروي انه مسحه بيده فقام
واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وروي انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الاية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلعم بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله
نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء اي فاتوا ان يضيفوهما فامتنع رسول الله صلعم عن ذلك يريد ان ينقض معناه يسرع سقوطه من انقض
الطائر اذا هوى في طيرانه وقيل انقضاض فانقض ويحتمل ان يكون افعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون تكون اصلية واحدى الضادين مكررة زائدة
عكس الاول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة تشبيها للجماد بالاحياء نظيره ولما سكت عن موسى الغضب قال لنا ابسطا تعين ولما اقام
الخضر الجدار وراى موسى من الحرمان ومسيس الحاجة قال للصاحب لو شئت لاتخذت عليه اجرا الطلب على عملك جعلا تستدفع به الضرورة واتخذ
افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر مشيرا الى الفراق الموعود في قوله فلا تصاحبني ومشيرا الى السؤال والاعتراض هذا
فراق بيني الاضافة بمعنى في اي فراق في بيني وبينك وحكى القفال ان البين هيهنا بمعنى الوصل ثم شرع في تفسير الحكم التي تضمنتها
افعاله وتلك الحكم تشترك في اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على ان الفقير اسوء حالا من المسكين وكان وراءهم
ملك وهو مسمى بجلندى والوراء هيهنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما
كان عندهم خبره يأخذ كل سفينة اي غير معيبة غصبا ولا يخفى ان الضرر الحاصل من التخريق اهون من فوات السفينة بالكلية والتخريق وان كان تصرفا
في ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به باس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة ولعله كان من مخصوصات النبي قال
جار الله قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتاخر عن السبب لكنه قدم للعناية اي تعجب من هذا وهو مراعي وانا
مأمور به وايضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة للمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظن بين
المبتدا والخبر في قولك زيد ظني مقيم في انه يتعلق بالطرفين واما الغلام فقد قيل انه كان بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة وكان
ابواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يقعان في الفسوق لذلك واحتمل ان يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا اي يرهقهما اي يغشيهما وارهقه اياه وقيل انه كان صبيا الا انه تعالى علم من حاله انه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد فاعلم الخضر بحاله

بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه ومثل هذا لا يجوز الا اذا تأكد الظن بالوحي وقيل اراد فخفنا ان يغشي الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما
او خفنا ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوز ان يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى اي كرهنا
كراهة من خاف سوء عاقبة امر فغيّره والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب كانه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف بمعنى
الاشفاق على الابوين يروى انهما ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم ويروى انها ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول الحيسون وفي نسخة الحسين واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم وقوله في المدينة بعد
قوله اهل قرية فيه دلالة على ان القرية لا ينافي المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما اما الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا ولانه
المفهوم منه عند اطلاقه هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا ودفن المال لا يليق باهل الصلاح وعورض بقول قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال لوح من ذهب كان فيه مكتوب عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن و
عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي قوله وكان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد عم كان بين
الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وفيه من صلاح ابيهما ان الناس كانوا يضعون الودايع عنده فيردها اليهم سالمة فالمراد بالعلماء الاشد ان
اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان غافلا به الا انه غايب وقد اشرف الجدار على السقوط رحمة من ربك مفعول منصوب بارادة لانه في معنى
رحمهما او مفعول له وما فعلته عن امري اي اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله سؤال لم قال في الاول فاردت ان اعيبها وفي الثاني فاردنا وفي الثالث
فاراد ربك الجواب لان الاول افساد في الظاهر فاسنده الى نفسه وفي الثالث انعام محض فاسنده الى الله سبحانه وفي الثاني افساد من حيث القتل
وانعام من حيث التبديل فجمع بين الامرين ويمكن ان يقال ان القتل كان منه ولكن انطاق الروح كان من الله ويحتمل ان يقال الوحدة في الاول على
الاصل والجمع في الثاني تنبيه على انه من العلماء المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله بالآخرة اشارة الى انه لا ارادة الا ارادة الله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله ذلك الذي ذكرت من اجزاء ذلك الوقايع تاويل ما لم تستطع عليه صبرا اي يرجع المقصود من تلك الافاعيل الى ما قررنا واصل
تستطع تستطيع كما في قوله سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا الا ان التاء حذف لاجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ في
الاستعمال عن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب التأويل وقال موسى لفتيه فيه ان المسافر لابد له في الطريق من الرفيق
وفيه ان من شرطهما ان يكون احدهما اميرا والآخر مامورا وان يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان الايسام من متاعب السفر
حتى يظفر بمقصوده وان يكون نيته طلب شيخ يقتدى به فان طلب الشيخ في الحقيقة هو طلب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد وعنده
عين الحيوة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد حيي واتخذ سبيله في بحر الولاية سربا فلما جاوزا فيه اشارة الى ان المريد في اثناء
السلوك لو نظرت اليه الملالة اصاب قلبه الكلالة وسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا ان مقصوده يحصل من غير واسطة الشيخ هيهات فانه
ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان ادركته العناية الازلية وردت اليه صدق الارادة فيقول لرفيق التوفيق آتنا غداءنا وهو همة الشيخ وبركة صحبته
لقد لقينا من سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا فقال اللهم ارايت اذ اوينا الى الصخرة صخرة النفس وتسويلها فاني نسيت حوت القلب فلك ما كنا
نبغي من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا وزينتها ان يتخذ سبيله في بحر ولاية شيخ كامل فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وفي قوله و
علمناه من لدنا علما اشارة الى انه تعالى اطلعه على بواطن الاشياء وحقايقها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس و
تجريد القلب عن العلايق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد
موسى كان تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلثة اشارة الى ما قلنا من ان العلم الظاهر يباين
علم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شيء واذا تامل العاقل السالك في قول موسى هل اتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسئلني الخ
وجد اصول الشرايط التي شرطها الصوفية للمريد وللشيخ مودعة فيها وفي تفصيلها طول وقد اشرنا في التفسير الى طرف منها ومن اراد الكل
فعليه بمطالعة كتاب آداب المريدين للشيخ المحقق اي النجيب السهروردي قدس الله سره حتى اذا ركبا في السفينة الشريعة خرقها بهدم الناموس
في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب ومثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وحذرا من التباهي والعجب
لتغرق فيها التي في اهلها في وتيه الضلال اذا اقتدوا به حتى اذا لقيا غلاما هو النفس الامارة فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا اتيا
اهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما اهلها بطلب فاعليها التي يختص بها فابوا ان يضيفوهما باعطاء خواصها
كما ينبغي لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد ان ينقض بقطع العلاقة فاقامه بتقويته
البدن والرفق بالقوى والجوارح كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاتخذت عليه اجرا بالاجر بلا اي لو شئت لصبرت على شدة الرياضة الى فتح
الانوار ونيل الكشوف اما السفينة فكانت لمساكين هم العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم قدرة في عالم الربوبية سيرا وسلوكا حتى يصلوا
الى ملوك بحث الطهارة فاردت ان اعيبها في الظاهر ليسلطهم بالاخلاص في البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان ياخذ كل سفينة عبادة غصبا الا ان كل

مع سفينة

عبادة مخلوص عن الانكار والذل والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن واما الغلام فكان ابواه وهما القلب والروح مؤمنين فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه زكوة هو النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز لهما هو حصول الكمالات النظرية والعملية وكان ابوهما وهو العقل المفارق
صالحا كاملا بالفعل فلهذا ادخر فاراد ربك ان يبلغا اشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا ما كان كامنا فيهما

وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا
قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ
ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۝ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ
مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ
دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ
مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي
بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى
إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۝ قَالَ
هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝ الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا
عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ وَزْنًا ۝ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي
وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ

رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ

پروردگارم و اگر آوریم بمانند آن افزونی بگو جز این نیست که من آدمیم مثل شما وحی کرده شد بسوی من جز این نیست که خدای شما بخدائیست یگانه پس باشد

يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ القراءة فاتبع ثم اتبع مقطوعة

امیدوار بدیدار خدا بگو پس بکند کردار شایسته و انباز نگیرند بپرستیدن پروردگارش کسی را ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف

الباقون بالتشديد موصولة حامية بالالف من غير همز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمزة من غير الف جزاء

الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الآخرون بضمها يفقهون بضم الياء وكسر القاف حمزة وعلي وخلف الباقون

بفتحها ياجوج وماجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الشموني فهل نجعل وبابه بادغام اللام في النون علي وهشام خرجا بالالف حمزة وعلي وخلف وعاصم

غير ابي بكر وحماد وحبلة الباقون بضمها مكني ابن كثير الباقون بادغام النون في النون ردما ائتوني يحيى وحماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم

الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل غير ابو بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الآخرون بفتح الصاد والدال قال

ائتوني والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير خلاد وحماد وقرا ابو نشيط والشموني فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل

ابن مهران دكاء بالمد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة الحسب الذين بسكون السين ورفع الباء يزيد ويعقوب والاعشى في اختيار

دوني اولياء بفتح الياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو ان ينفد بالياء العينية حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الوقوف القرنين ذكرا

سببا الاسباب قوما حسنا نكرا الحسنى لاختلاف الجملتين يسرا لان ثم لترتيب الاخبار سببا سترا كذلك اي كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب

الشمس وقيل تقديره كذلك اي كذلك او الامر كذلك وقيل اي احطنا بما لديه من العدد والعدد كذا اي كما علمنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ثم اتبع سببا قوما لا

سدا يده ردما الحديد انفخوا نارا الاولى جواب اذ قطرا لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا من ربي لعطف الجملتين المختلفتين دكاء لان كلا حقا

لانقطاع القصة جمعا للعطف عرضا سمعا اوليائي ط نزلا اعمالا ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لان التقدير هم الذين ويجوز ان يكون

نصبا على الذم او جرا على البدل صنعا وزنا هزوا نزلا اعمالا حولا مددا واحد لابتداء الشرط مع فاء التعقيب احدا التفسير لما اجاب عن

سؤالين من اسولة اليهود شرع في السؤال الثالث والجواب عنه واصح الاقوال ان ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومي الذي ملك الدنيا

باسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة يحكى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى

انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم

عطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا ابن دارا وهزمه مرات الى ان قتله فاستولى على ممالك الفرس

ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكبيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين

الرازي لما ثبت بالقران ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ ان من هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب

القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب

ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله اخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب في تسميته بذي

القرنين انه بلغ قرني الشمس اي مطلعها ومغربها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان صغيران وقيل

انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب انه سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان

على راسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وقيل راى في المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس

اي بقرنيها وزعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها الى ابيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت

الاسكندر ونشأ عند فيلقوس واظهر انه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال ابو الريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه ان الاذواء كانوا

من اليمن كذي يزن وغيره ويروى انه ملك الدنيا باسرها اربعة ذو القرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبخت نصر وهما كافران واختلفوا في

فقيل كان عبدا صالحا ملكه الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه

وعن علي عليه السلام سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله واحبه وسأله ابن الكواء وكان من اصحابه ما ذو القرنين املك ام نبي فقال

ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله اي في جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي

ذو القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض

والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله واتيناه من كل شيء سببا وظاهره العموم فيكون قد نال اسباب النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب

وتكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبي وقيل كان ملكا من الملائكة عن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا

باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قوله سأتلو عليكم اي سافعل هذا ان وفقني الله تعالى وانزل فيه وحيا والخطاب في عليكم للسائلين وهم

اليهود او قريش كابي جهل واضرابه واتيناه من كل شيء سببا طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة هو الحبل والمراد ههنا كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة

اوالى ذلك انه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا واصله اليه وكذا اراد المشرق فاتبع سببا موصلا واراد بلوغ السد فاتبع سببا ادى اليه ثم انه سبحانه شرع فى تفصيل مسيره الى المغرب فقال فاتبع سببا اى سلك طريقا افضى به الى سفر المغرب ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حامية اى حارة ومن قرأ حمئة بلا الف مهموزا فمعناه ذات حماة اى طين اسود ولا تنافى بين القراءتين فمن الجائز ان يكون العين جامعة للوصفين عن ابى ذر قال كنت رديف رسول الله على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدرى يا اباذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب فى عين حامية قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كروية فى وسط العالم وان السماء محيطة بها من جميع الجوانب وان الشمس فى فلكها تدور وتدور بدوران الفلك وايضا فقد صح ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض بمائة وستة وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها فى عين من عيون الارض فتأويل الاية ان الشمس تشاهد هناك اعنى فى طرف العمارة كانها تغيب وراء البحر الغربى فى الماء كما ان راكب البحر يرى الشمس تغيب فى الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يقل انها تغرب فى عين ولا شك ان البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية وايضا حمئة لكثرة ما فى البحار من الطين الاسود اما قوله ووجد عندها قوما فالضمير اما للشمس واما للعين وذلك ان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كانهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنى عشر الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة فاستخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم احياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال اما من ظلم بالاصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل فى الدنيا ثم يرد الى ربه فى الاخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا روى صاحب الكشاف عن قتادة انه كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن امن اعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر بعد ان يرد الى ربه لا يمكن ان يكون من فعل ذى القرنين ومن قرأ جزاء بالنصب اراد فله الفعلة الحسنى جزاء ومن قرأ بالرفع اراد فله الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة او فله ان يجازى المثوبة الحسنى وسنقول له من امرنا اى مما نأمر به الناس من الزكوة والخراج وغير ذلك يسرا اى قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سفره الى اقصى المشرق فقال ثم اتبع سببا اى هيأ اسبابا يلحق بسفر المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس مكان طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا عن كعب ان الستر هو الابنية وذلك ان ارضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا ابنية تمنع شعاع الشمس وتدفع حره عنهم فاذا طلعت الشمس دخلوا فى اسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من احوال سائر الخلق وعن مجاهد ان الستر الثياب وانهم عراة كالزنج وحال كل من سكن فى البلاد القريبة من خط الاستواء كذا حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى حين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشى على ثم افقت فلما طلعت الشمس اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم ولكن فى متعلق قوله كذلك وجوه احدها كذلك امر ذى القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به الثانى لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الابنية او الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذى بلغ من مغربها الرابع تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم فقضى فى هؤلاء كما قضى فى اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد سبق بعض هذه الوجوه فى الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالى بعد تهيئة اسبابه فقال ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين قيل السد اذا كان بخلق الله فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول اى هو مما فعله الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله ابو عبيدة وابن الانبارى وانتصب بين على انه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية فى قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازى الاظهر ان موضع السدين فى ناحية الشمال فقيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل فى منقطع ارض الترك وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه ان صاحب اذربيجان ايام فتحها وجه انسانا من ناحية الخزر فشاهده ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق رأى فى المنام كانه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه ووصفوا انه بناء من لبن من حديد مشدود من النحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع اخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند قال ابو الريحان البيرونى مقتضى هذا الخبر ان هذا الموضع فى الربع الغربى الشمالى من المعمورة والله اعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين وجد من دونهما اى من ورائهما مجاوزا عنهما قوما لا يكادون يفقهون بانفسهم او يفقهون غيرهم قولهم لانهم لا يعرفون غير لغة انفسهم سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض الخ واجيب بان كاد نفيه اثبات اد لعله فهم ملك فى ضميرهم بالقرائن والاشارات او بوحى والهام ويأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من اج الظليم فى مشيته اذا هرول وتأجج النار اذا التهبت ومن مج الريق او موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة واثبت لهم مخالب واضراسا كاضراس السباع اما افسادهم فى الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل ياكلون لحومهم وقيل يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه فهل نجعل لك خرجا وخراجا اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل احد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج فى الارض قال ذو القرنين ما مكنى فيه ربى اى جعلنى فيه مكينا اكثر مما تبذلون لى من الخراج

قول سليمان فما آتاني الله خير مما آتيكم فاعينوني بقوة بالآلات ورجال الوضياع وقيل بمال اصرفه فهذا المهم ولا آخذه لنفسي والردم اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ آتوني بالمد فظاهر ومن قرأ ائتوني من الاتيان
فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار اي فأتوها فوضع بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما على القراآت
جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان افرغ عليه قطرا فحذف الاول اصب عليه النحاس المذاب وقطرا منصوب بافرغ والتقدير آتوني قطرا
افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا مجمل ما يستدل به البصريون في ان المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثاني اذ لو عمل الاول
لقال افرغه عليه يحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد
والله رأيته قال العلماء هذا معجز من ذي القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الآدمي على القرب منه وكانه تعالى صرف تأثير تلك
الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته ولما
تكرر لفظ الاستطاعة مرارا حذف عنها التاء تخفيفا في الموضعين فلما اعاد ذكرها بالآخرة نبه بها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال ذو القرنين
هذا السد او هذا الاقدار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فاذا جاء اي دنا مجيء القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكلما
انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرأ دكاء بالمد فعلى الوصف اي جعله ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا وهذا آخر حكاية ذي القرنين ثم شرع
سبحانه في بقية الجبارين فقال وتركنا بعضهم يومئذ اي يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في البلاد يروى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه
ويأكلون دوابه ولا يقدرون ان يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ثم يبعث الله نغفا وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون
وقيل اراد ان قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم في بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيمة اي وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط
انسهم وجنهم حيارى ونفخ الصور من آيات القيمة ويجيء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها في الدنيا وفي ذلك نوع من العقاب
للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع عن ذكري اي عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم فاطلق المسبب على السبب او عن القرآن وتأمل معانيه ووصفهم
بالعمى عن الدلائل والآثار فاراد ان يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو ابلغ من ان لو قال وكانوا صما لان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتجت الاشاعرة بالآية على ان الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا واجيب بان
المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم اغذ في التوبيخ والوعيد فقال افحسب الذين كفروا والمراد افظنوا انهم ينتفعون بما عبدوه مع
اعراضهم عن تدبر آيات الله وتمردهم عن قبول امره وامر رسوله وفيه اضمار تقديره افحسبوا اتخاذ عبادي اولياء نافعا والعباد اما عيسى والملائكة واما
الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام اقوال ومن قرأ بسكون السين فمعناه افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على انه مثل قائم
الزيدان والمراد ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والمنزل وقيل انه الذي يعد للضيف فيكون تهكما بهم نحو فبشرهم
بعذاب اليم الذين ضل سعيهم اي ضاع وبطل عن علي رضي الله عنه انهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه ان منهم اهل حروراء وعن مجاهد اهل الكتاب
والتحقيق انه يندرج فيه كل من يأتي بعمل خير لا يبتنى على ايمان واخلاص عن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة
فاذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما في طاعاته كان لم يكن فلا
يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت اعمالهم اشارة الى ذلك او المراد فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا
وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك الذي ذكرناه من انواع الوعيد جزاؤهم وقوله
جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ آيات الله واتخاذ رسله هزوا وتكذيبا ويجوز ان يكون كل من الامرين سببا مستقلا في
التعذيب ثم اردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس اوسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس اعلاها
درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال اهل السنة جعل جنات الفردوس
نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره انه جعل جهنم بأسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه انه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم انفسهم الى تلك الزيادة ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود اي لا يحول
فيطلب كقوله ولا نريد الصبا بها تحولا ولما ذكر انواع الدلائل والبينات وشرح اقاصيص سئل عنها نبه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشيء
كالحبر للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وفرض ان جنس البحر مدادا لها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل
البحر مددا لنفد ايضا وهو تمييز من مثل كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد وفي اي ان حبر احطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الاشاعرة ان كلمات الله تعالى

واحد واعترض عليه بهذه الاية فانها صريحة في اثبات كلمات كثيرة لله تعالى واجيب بان المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي ان قوله قبل ان تنفد كلمات ربي يدل على ان كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه واجيب بان المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية قلنا لا انصاف ان نفاد شيء قبل نفاد شيء اخر لا يدل على نفاد الشيء الاخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الاية الا كثرة كلمات الله بحيث لا يضبطها عقول البشر اما انها متناهية او غير متناهية فلا دليل في الاية على احد النقيضين ولكن الحق في نفس الامر ان كلمات الله لا يتناهى لانها تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية بالبرهان ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يسلك سبيل التواضع وهو ان حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا انه امتاز بنعت الايحاء اليه وكفى به نونا وتباينا ثم بين ان الموحى هو انما الهكم اله واحد وفي تخصيص هذا الوحي بالذكر فائدة هي ان يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة ان يدعو الى التوحيد ثم ان يدعو الى العمل الصالح المقترن بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجو اي يامل لقاءه او يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب والعقاب عند المعتزلة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة هو ان لا يرى بعمله ولا يبتغي الا وجه ربه يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به قال في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ التاويل لما بين ان للانسان كمالا مكنونا وكنزا مدفونا يمكن له تحصيله بالتربية والارشاد اراد ان يبين ان الانسان الكامل انما هو يستحق الخلافة في الارض واوتي اسباب كل شيء في عالم الوسائط والاسباب فبذلك يصير كاملا في نفسه مكملا لغيره فاتبع سببا من اسباب الوصول الى عالم السفلي وهو مغرب شمس الروح الانساني فوجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبائع والاجساد ووجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال اما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها في غير موضعها فسوف نعذبه بقهره على خلاف ما هو مراده وهواه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن مشتهياته او يرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من امرنا يسرا هو التخفيف والاستراحة بعد الفناء والمجاهدة ثم اتبع اسباب الوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق الجسمانية والعوائق الساترة حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعيش والتمدن والجولان في تحصيل اسباب قوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى اصلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام الذين تمادى امرهم الجهل البسيط ان ياجوج وماجوج القوى والطبايع مفسدون في الارض البشرية باستعمال خواصها في غير ما خلقت هي لاجلها فهل نجعل لك خرجا هو ترك الوجود وبذل الموجود فاعينوني بقوة همة صارفة وعزيمة صادقة اتوني زبر الحديد ملكات راسخة وهيئات ثابتة او قلوبا هي كالحديد في المضاء كالجبال الراسيات في البقاء حتى اذا ساوى عرض ما بين طرفي العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا ابنائه حرارة الطاعة والذكر في حديد القلب قال اتوني افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة كيميا الاخلاص النافذة في سويداء القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن الله حسبي

سورة مريم مكية حروفها ثلثة الاف وثمانمائة وحرفان كلمها تسعمائة واثنان وستون اياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد

خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال

که آفریدم ترا از پیش و نبودی چیزی گفت پروردگارا بگردان برای من نشانه گفت نشانهٔ تو آنکه سخن نگوئی مردم را سه شبان

سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب

بی آن پس بیرون آمد بر گروه خود از عبادتگاه پس اشاره کرد بسوی ایشان آنکه تسبیح کنید بامداد و شبانگاه ای یحیی بگیر کتاب را

بقوة واتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم

بتوانائی و دادیم او را حکم در کودکی و بخشایش از نزد ما و پاکی و بود پرهیزکار و نیکی به پدر و مادر و نه

يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا القراءة كهيعص

بود گردنکش نافرمان و درود بر او روزی که زاده شد و روزی که میمیرد و روزی که برانگیخته شود زنده

بامالة الها فقط ابو عمرو كهيعص بامالة اليا فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرا علي غير قتيبة ويحيى وحماد بامالتهما وقرا ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي وابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب بتفخيمهما صاد ذكر مدغما ابو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من وراءي بفتح اليا مهموزا ابن كثير غير زمعة والخزاعي عن البزي وقرا زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراي مثل عصاي يرثني ويرث بالجزم فيهما ابو عمرو وعلي الباقون برفعهما نبشرك مثل ايضا وكذلك في اخر السورة حمزة عتيا وجثيا وصليا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلي وافق حفص الا في بكيا الخزاز عن هبيرة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلقناك حمزة وعلي الاخرون خلقتك على التوحيد لي اية بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى الباقون بسكونها ان سبحوا بضم النون سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن اهل مكة الوقوف كهيعص كوفي زكريا ه لجواز تعلق اذ بذكر رحمة ربك او لاحتمال الانتصاب باذكر مقدرا وفي خفيا شقيا ولي ط للتقدير الامر كذلك وجه الوصل لعطف الجملتين المتفقتين يحيى لا لان ما بعده صفة غلام والاستيناف ليس بقوي سميا ه عتيا ه كذلك بنا على ما مر من التقدير الامر كذلك شيئا ه اية ط سويا ه وعشيا ه بقوة ط صبيا ه للعطف اي اتينا الحكم وحنانا منا عليه وزكوة ط تقيا لا عصيا ه حيا ه التفسير حروف المعجم في الوقف ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفي الراي عند الامران لانه قد يلحق باخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب ان التفخيم اصل والامالة فرع عليه فمن قرا بامالة الها والياء معا فعلى العادة ومن قرا بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرا بامالة احدهما فلرعاية الجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن انه قرا بضمهما فقيل لانه تصور ان عين الكلمة فيهما واو فيه بالضم على اصلها والبحث عن هذه الفواتح قد سلف في اول البقرة ومما يختص بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثنا من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والها هاد والعين عالم او عزيز والصاد صادق وعنه ايضا انه حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع بن انس ان الياء من مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا ان يسند الى الوحي او الالهام وارتفع ذكر رحمة على الخبر اي هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول الذكر وزكريا عطف بيان وقري برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي انه قرا بذكر بلفظ الماضي مشددا تارة ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية ومخففا اخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقري ذكره على الامر وهي قراءة ابن مسعود وقيل يحتمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبي رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبينا وامته لان طريقه في الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا وفي خفاء ندائه وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الريا وادخل في الحسبة وهذا قرره الحسن بانه نداء لا رياء فيه ومنها انه اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في غير وقته ومنها انه اسره من مواليه الذين خافهم ومنها انه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات ولعله اتي باقصى ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لنهاية كبره ثم شرع في حكاية ندائه قائلا قال رب اني وهن العظم مني الى قوله وجعله رب رضيا قال علماء المعاني في الاية لطائف وذلك ان اصل الكلام يا رب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الراس ثم ترك الاجمال الى التفصيل للتوخي بانه التقرير فصار ضعف بدني وشاب راسي ثم في القرينة الاولى عدل من التصريح الى الكناية التي هي ابلغ منه فصار وهنت عظامي فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدا النحوي الحكم ليحصل انا وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني فقد فصلته ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام به كانك اذا قلت اني وهنت العظام افاد ان عظاما واهنة عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلته ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام اذ كان عظاما به تحصل اني وهنت العظام مني واذا حصل الوهن في هذا الجنس الذي هو اصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لساير الاعضاء الرئيسة كالقحف للدماغ والقص للقلب فغير الاعضاء الاخر اولى واما القرينة الاخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيب راسي ونبات الاستعارة فيه انه شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به واداة التشبيه فصار اشتعل شيب راسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه اخر ويمكن ان يكون استعمل اشتعل بدل انتشر فيكون الاستعارة تبعية تصريحية وقرينتها ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الى ابلغ منها وهي اشتعل راسي شيبا وكونها ابلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الراس لافادة شمول الاشتعال الراس كما لو قلت اشتعل بيتي نارا مكان اشتعل النار في بيتي ومنها الاجمال والتفصيل

الواقعة

الوافقان في طريق التمييز ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى هي اشتعل الراس مني شيبا لتوخي مزيد التقرير الاجمال ثم البيان على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لسبق ذكره في القرينة الاولى ففي ذلك حالة ثالثة دالة المعنى على العقل دون اللفظ وكم بين الحالتين مع ان بناء الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرفي النداء وياء المتكلم بناء على الاختصار في اخره وانما اطنب في هذا المقام لان هذه الاية كالعلم فيما بين علماء المعاني ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة قائلا ولم اكن بدعائك رب شقيا كما حكي ان محتاجا قال لكريم انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اي بدعائي اياك واعلم ان زكريا قدم على السؤال امورا ثلاثة الاول كونه ضعيفا والثاني انه تعالى لم يرد دعاءه والثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين وذلك قوله واني خفت الموالي قال ابن عباس والحسن اي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن ابي صالح الكلالة وعن الاصم بنو العم وهم الذين يلونه في النسب وعن ابي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من يقوم بميراثه مقام الولد والمختار ان المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة او في المال الذي كان له او في القيام بامر الدين وكان من عادتهم ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب كان متعينا للحبورة وقوله من ورائي اي بعد موتي لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف اي الموالي الذين يخلفون من بعدي او بمعنى الولاية في الموالي خفت ولايتهم وسوء خلافتهم من بعدي فان زكريا انضم له مع النبوة الملك فخاف بعده على احدهما او كليهما وسبب الخوف القرائن والامارات التي ظهرت له من صفائح احوالهم واخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضي لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كمسئلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وقرئ خفت الموالي بتشديد الفاء وعلى هذا فمعنى ورائي خلفي وبعدي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين والاقامة نوطا بفرد والظرف متعلق بالموالي ومعناه قدامي والظرف متعلق بخفت اي درجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد ثم صرح بالمسئلة قائلا فهب لي واكده بقوله من لدنك اي لما صادرا من عندك مضافا الى اختراعك لاني وامراتي لا نصلح للولادة من فراين وبرث بالجزم فيهما جواب للدعاء ومن قرا بالرفع فيهما فالاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستيناف كانه قيل لم تطلب الولد فقال يرثني اي لانه يرثني لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا واعترض بان حمله على الاستيناف يوجب الاخبار عما لم يقع وكذب النبي اشنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بانه يترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب وقول الاعتراض باق لان المعنى يؤول الى قولنا هب لي وليا موصوفا بالوراثة او بان الغرض منه الوراثة او هب لي وليا اخبر عنه بانه يرثني وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة او الكذب والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة ال عمران ان النبي لا يطلب في الدعاء الا الاصلح حتى لو كان الاصلح غير ما طلبه يصرف الله تعالى عنه كان المصرف في الحقيقة مطلوبه ويمكن ان يقال على الوراثة قد تحققت من يحيى في بقوم تلك الكتاب والشرع معمولا بعد زكريا ايضا وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراءة شاذة لا فائدة كثيرة في تعدادها الى قوله عن علي وجماعة وارث من ال يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان قيل هو ان يجرد الكلام عن ذكر الاول حتى يقول جاءني فلان فجاءني رجل لا يريد به الا الاول ولذلك لا يذكر اسمه في الجملة الثانية ويجرد الكلام عنه واقول يشبه ان يكون معنى التجريد هو انك تجرده عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا في الاية كانه جرده عن منافيات الوارثية بالمرة واختلف المفسرون في انه طلب الذرية او طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره والاول اظهر لقوله في ال عمران رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ولقوله تحنو الانبياء لا تذرني فردا حجة المخالف انه لما بشر بالولد استعظم وقال اني يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد ما استعظم ذلك والجواب تام في ال عمران واختلفوا ايضا في الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هي وراثة المال وعنهم ايضا ان المراد يرثني المال ويرث من ال يعقوب النبوة او بالعكس وفي رواية ابي صالح ان المراد في الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل في المال واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وفي العلم واورثنا بني اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء وحجة الاولين ما روي انه قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على انه بالوراثة المال وكذا قوله انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وايضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد وراثة النبوة لم يحتج الى قوله واجعله رب رضيا لان النبي لا يكون الا مرضيا واجيب بانه اذا كان المعلوم من حال الابن انه يصير نبيا بعده فيقوم بامر الدين جاز ان يقال ورثه والمراد بكونه رضيا انه لا يوجد منه معصية ولا هم بها كما جاء في حق يحيى في قدم الحديث هناك ولا يلزم من هذا ان يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل لبعضهم فضائل اخر يختص بها احتج الاشاعرة بالمسئلة لانه في مسئلة خلق الاعمال واجابت المعتزلة بانه يفعل به ضروب الالطاف فيختار ما يصير به مرضيا عنده وتقييده التزام ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبان فعل الالطاف واجب على الله فطلب ذلك بالدعاء والتضرع عبث واعلم ان اكثر المفسرين على ان يعقوب المذكور في الاية هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم لان زوجة زكريا كانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب واما زكريا فقد كان من ولد هرون اخي موسى وهرون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب وهو اسرائيل وزعم بعض المفسرين ان المراد هو يعقوب بن ماثان وهذا قول الكلبي ومقاتل وعن مقاتل ان بني ماثان كانوا رؤس بني اسرائيل وملوكهم قوله يا زكريا الاكثرون على انه نداء من الله تعالى لقرينة التخاطب من قوله رب اني وهن العظم مني الى قوله رب اني يكون لي غلام ومنهم من قال هو نداء الملك لقوله في ال عمران فنادته الملئكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا في عدم التسمي فقيل اراد انه لم يسم احد بيحيى قبله وقيل المراد انه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك انه جعل

وحصورا ولم يعص ولم يهم بمعصية فكأنه جواب لقوله واجعله رب رضيا وايضا سمي يحيى قبل دخوله في الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فلا نظير
له في هذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول اظهر لما في الثاني من البعد ولعدم الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما في قوله فاعبده واصطبر
لعبادته هل تعلم له سميا لانا نعلم انه بمجرد كونه تعالى لا سمي له لا يقتضي عبادته فنقول المسمى هناك يراد به المثل والنظير ويمكن ان يقال ان التفرد
بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة في الاية ايضا قال جار الله انما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل
والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه قلت وفي يقرب هذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمي يحيى تكلفوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعالى
احيى عقر امه وعن قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة ومن كان ميتا فاحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان اول من امن بعيسى وقيل لانه
استشهد والشهداء احياء وقيل لان الدين احيي به لان زكريا سأله لاجل الدين قوله وقد بلغت من الكبر قال جار الله اي من اجل الكبر والطعن في السن
العالية فمن للتعليل ويجوز ان يكون للابتداء اي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام بوزن عتا
العود وعسا اذا يبس طول الزمان الى حالة اليبس سؤال انه قال في ال عمران وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر فلم عكس الترتيب في هذه السورة واجيب
بان الواو لا يفيد الترتيب قلنا ان ذلك وورد على الاصل وهو تقديم نفسه وههنا راعى الفاصلة قال الامر كذلك تصديقا له ثم ابتدأ قائلا
قال ربك ومحل كذلك رفع ويحتمل ان يكون نصبا بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله هو اي خلق الغلام علي هين ويحتمل ان يكون اشارة الى
قول زكريا اني يكون لي غلام اي كيف تعطيني الغلام ابان تجعلني وزوجتي شابين او بان تتركنا على الشيخوخة فاجيب بقوله كذلك اي تهب الولد لك
مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو فعيل من هان الشيء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كالنطفة او كالجواهر التي لم تنشأ بعد وفيه نفي استبعاد زكريا لان خلق الذات ثم تغييرها في اطوار
الصفات ليس بهون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة في زكريا وصاحبته بعد ان لم تكن قال رب اجعل لي اية وقد مر تفسيره في اول ال عمران اي
قوله سويا قيل انه صفة للليالي اي تامة كاملة والاكثرون على انه صفة زكريا اي انت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا عي فخرج على قومه من
المحراب قيل كان له موضع ينفرد فيه للصلوة والعبادة ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا يصلي فيه هو وغيره الا انهم كانوا لا يدخلونه للصلوة الا
باذنه فاوحى اليهم عن مجاهد اشار بدليل قوله في ال عمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض وان هي المفسرة وسبحوا اي صلوا او على الظاهر
وهو قول سبحان الله عن ابي العالية ان البكرة صلوة الفجر والعشي صلوة العصر فلعلهم كانوا يصلون معه هاتين الصلوتين في محرابه وكان يخرج اليهم
وياذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته ففهمهم المقصود بالاشارة او الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان اعتقل
يخاطب فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التورية لانها المعهود ويحتمل ان يكون كتابا مختصا به وان كنا لا نعرفه الان كقول عيسى اني عبد الله
اتاني الكتاب والمراد بالاخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الاخذ من حيث المعنى وهو القيام بمواجبه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة تقتضي سهولة
الاقدام على المامور به والاحجام عن المنهي عنه ثم اكده بقوله بقوة اي بجد وعزيمة واتيناه الحكم اي الحكمة عن ابن عباس هو فهم التورية والفقه في الدين
ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي قال ما للعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الخوارق كما
في حق عيسى فلا استبعاد الا من جهة العادة والحنان اصله توقان النفس ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل انه اراد حنانا
منا على زكريا او على انه يحيى لا يساعده وجوه الواو وقيل اراد اتيناه الحكم والحنان على عبادنا كقوله في نبينا فبما رحمة من الله لنت لهم واراد بقوله
وزكوة انه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل بما فانه مما يجب عليهم لان الرافة واللين ربما يورث ترك الواجب ولهذا قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
ولا يخفى انه لا يساعده هذا القول وجوه لفظة منا وعن عطاء ان معنى حنانا تعظيما لدينا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج ان معنى كونه
عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما تزكي الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلني مباركا وقيل صدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق
عليهم ثم اخبر مجملا عن جملة احواله بقوله وكان تقيا بحيث لم يعص الله ولا هم بمعصية قط وبرا بوالديه لان تعظيم الوالدين تلو تعظيم الله ولم يكن
جبارا عصيا وذلك ان الزاهد في الدنيا قلما يخلو عن طلب ترفع والعجب في اخرام فذكر انه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق
وبحقوق العبودية للحق قال سفيان الجبار الذي يقتل عند الغضب لقوله ان تريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في
الارض ثم انه سبحانه سلم عليه في ثلثة مواطن هي اوحش المواطن واحوجها الى طلب السلامة فيها ويحتمل ان يكون هذا السلام من الملائكة عليه الا
انه لما كان باذن الله كان كسلام الله وقيل انما قال حيا مع ان المبعوث لا يكون الا على حال الحيوة تنبيها على كونه من الشهداء وهم احياء لا انه جاء مجيئا في قصة عيسى لشكله
ويوم ابعث حيا وذلك انه ورد في الاخبار ان عيسى يموت بعد النزول والظاهر انه اراد يوم يجعل حيا فوضع الاخص موضع الاعم تاكيدا قيل سلم
عليه يوم ولد لا بد ان يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه واما الاخران فيجوز ان يكونا لاجل الثواب قلت اكثر اموره خارق للعادة
فيحتمل ان يوجد منه في بطن امه عمل يستحق الثواب كما يحكى ان امه قالت لمريم وهما حاملان اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك **التاويل** ان زكريا الروح
نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب اني وهن مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية واني خفت صفات النفس ان تغلب وكانت امراتي
يعني الجثة التي هي زوج الروح عاقرا لا تلد الا بموهبة من الله فهب لي من لدنك وليا فاعطاه الله نبيا وهو في الجثة القلب الذي هو معدن



العلم اللدنی فانه ولد الروح والنفس اعدا عدوه یرثنی ویرث من آل یعقوب ای یتصف بصفة الروح وجمیع الصفات الروحانیات واجعله رب رضیا بان
تولیه من تجلی صفات ربوبیتک ما یرضی به بطره ولسوف یعطیک ربک فترضی اسمه یحیی انه احیا بنوره لم نجعل له من قبل سمیا لانه الحیوانات ولامن
الملکیة لانه هو الذی یقبل فیض الالوهیة بلا واسطة وهو سر حمل الامانة کما قال ولکن یسعنی قلب عبدی المؤمن وقد بلغت من الکبر ای بسبب طول
زمان تعلق القلب بالقالب عتیا یبسا وجفافا من غلبات صفات النفس اینک الا تکلم الناس لا تخاطب الا الله ولا تلتفت الی ما سواه ثلث لیال هی ثلث
مراتب الجمادیات والحیوانات والروحانیات سویا متمکنا فی هذا الحال من غیر تلون فخرج زکریا الروح من محراب هواه وطبعه علی قوم صفات نفسه و
قلبه وانانیته فاشار الیهم ان کونوا متوجهین الی الله معرضین عما سواه اناء اللیل واطراف النهار دبل بکرة الازل وعشی الابد یا یحیی القلب خذ الکتاب
الفیض الالهی المکتوب لک فی الازل بقوة ربانیة لا بقوة جسدانیة لانه خلق ضعیفا وآتیناه الحکم صبیا اذا خلق الخلق فی ظلمة ثم رش علیهم من نوره
وزکوة وتطهیرا من الالتفات الی غیرنا وبرا بوالدیه الروح والقالب اما بالروح فلان القلب محل قبول الفیض الالهی لان الفیض یضیع للروح اولا و
لکن لا یمسکه لغایة لطافته کما ان الهواء الصافی لا یقبل الضوء وینفذ فیه واما القلب ففیه صفاء وکثافة فبالصفاء یقبل الفیض وبالکثافة یمسکه وهذا
احد اسرار حمل الامانة واما بره بالقالب فهو استعمالها علی وفق الشریعة والطریقة ولم یکن جبارا عصیا کالنفس الامارة بالسوء وسلام علیه یوم
ولد فی اصل خلقه ویوم یموت من استعمال المعاصی بالتوبة ویوم یبعث بالتربیة والترقی الی مقام السلام انه الله حسبی واذکر فی الکتاب

مریم اذ انتبذت من اهلها مکانا شرقیا ۝ فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا الیها روحنا فتمثل لها بشرا
مریم را — چون کرانه کرد از کسان خود — جای بر آمدن آفتاب — پس گرفت از غیر ایشان — پرده پس فرستادیم بسوی آن جبرئیل را — پس نمود او را آدمی

سویا ۝ قالت انی اعوذ بالرحمن منک ان کنت تقیا ۝ قال انما انا رسول ربک لاهب لک غلاما
تمام خلقت — گفت بدرستیکه من پناه دهم — بخدا از تو اگر هستی پرهیزکار — گفت جز این نیست من فرستاده — خدای توام — تا بخشم تو را کودکی

زکیا ۝ قالت انی یکون لی غلام ولم یمسسنی بشر ولم اک بغیا ۝ قال کذلک قال ربک هو علی
پاک — گفت کجا باشد مرا — کودکی — و مس نکرده مرا آدمی — و نباشم بدکار — گفت همچنین گفت پروردگار تو او بر من

هین ولنجعله آیة للناس ورحمة منا وکان امرا مقضیا ۝ فحملته فانتبذت به مکانا قصیا
آسان و تا بگردانیم او را نشانه برای مردمان — و رحمتی از ما و باشد — کاری حکم کرده شده — پس برداشت او را پس یکسو شد — با او در جائی دور

فاجاءها المخاض الی جذع النخلة قالت یا لیتنی مت قبل هذا وکنت نسیا منسیا ۝ فناداها من تحتها
پس آوردش درد زادن بسوی بن خرما — گفت ای کاشکی — من مردمی پیش از این — و بودم فراموش شده — پس آواز داد از زیر آن

الا تحزنی قد جعل ربک تحتک سریا ۝ وهزی الیک بجذع النخلة تساقط علیک رطبا جنیا ۝ فکلی
که اندوه مخور مرا که گردانید خدای تو زیر قدم تو جوئی — و در جنبان بسوی خود به بن خرما بن — تا افتد — بر تو — خرمای تر چیده — پس بخور

واشربی وقری عینا فاما ترین من البشر احدا ۝ فقولی انی نذرت للرحمن صوما فلن اکلم الیوم
و بیاشام و روشن کن چشم را — پس اگر ببینی از آدمی کسی — پس بگو که من واجب کردم — خدا را روزه — پس سخن نگویم — امروز

انسیا ۝ فاتت به قومها تحمله قالوا یا مریم لقد جئت شیئا فریا ۝ یا اخت هرون ما کان ابوک امرا
آدمی را — پس آورد پیش گروه خود برداشتش — گفتند ای مریم — بر اینه آوردی چیزی عجیبی را — ای خواهر هرون — نبود پدر تو مردی

سوء وما کانت امک بغیا ۝ فاشارت الیه قالوا کیف نکلم من کان فی المهد صبیا ۝ قال انی
بد — و نبود مادر تو زنا نکار — پس اشاره کرد بسوی او — گفتند چگونه سخن گوئیم — آنکه هست — در گهواره کودک — گفت بدرستیکه من

عبد الله آتانی الکتاب وجعلنی نبیا ۝ وجعلنی مبارکا اینما کنت واوصانی بالصلوة والزکوة
بنده خدایم — داد مرا کتاب — و گردانید مرا پیغمبر — و گردانید مرا مبارک — هرجا باشم — و وصیت کرد مرا — بنماز و زکوة

ما دمت حیا ۝ وبرا بوالدتی ولم یجعلنی جبارا شقیا ۝ والسلام علی یوم ولدت ویوم اموت
تا باشم زنده — و نیکی با مادر — و نگردانید مرا جبر کننده — و درود بر من — روزیکه زاده شدم و روزیکه بمیرم

ویوم ابعث حیا ۝ ذلک عیسی ابن مریم قول الحق الذی فیه یمترون ۝ ما کان لله ان یتخذ
و روزیکه برانگیخته شوم زنده — این عیسی — پسر مریم — گفتار درست — که در او شک دارند — سزاوار نیست مر خدا را که فرا

من ولد سبحانه اذا قضی امرا فانما یقول له کن فیکون ۝ وان الله ربی وربکم فاعبدوه
گیرد از ولد — پاک است او — چون حکم کند کاری را — پس جز این نیست که گوید مر او را باش پس میباشد — و بدرستیکه خدا پروردگار من و شما پس پرستید او را

هذا صراط مستقیم ۝ فاختلف الاحزاب من بینهم فویل للذین کفروا من مشهد یوم عظیم
این راه راست — پس اختلاف کردند گروه ها از میان ایشان — پس وای بر آنکه — کافر شدند از دیدن حاضر روز بزرگ



أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝ القراءة

انى اعوذ بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ليهب لك على الغيبة ابو عمرو ويعقوب وورش والحلوانى عن قالون وحمزة فى الوقف الاخرون لاهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على انه حرف جر وبجر التاء الثانية ابو جعفر ونافع وسهل وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد الباقون بفتحهما على ان من موصولة والظرف صلتها تساقط بحذف تاء التفاعل حمزة والخزاز عن هبيرة تساقط من المفاعلة حفص غير الخزاز يساقط بياء الغيبة على ان الضمير للجذع وبادغام التاء فى السين سهل ويعقوب ونصير وحماد الباقون مثله ولكن بتاء التانيث على ان الضمير للنخلة بمالة مفتوحة اليا على وقرا حمزة مرسلة اليا مفخمة فى الوصل ممالة فى الوقف اوصانى بامالة على قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب وان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وروح والمعدل عن زيد الوقوف مريم لئلا يصير اذ ظرفا لاذكر شرقيا لا للعطف زكياه بغياه كذلك لتمام هين لجواز كون الواو مقحمة او معلقة بمحذوف كما يجئ منا لا ختلاف الجملتين مقضياه قصياه النخلة لا لان ... للعطف الماضى من غير عاطف والاولى ان يكون استينافا منسياه سرياه جنياه عيناه للشرط مع الفاء احدا لا لان ما بعده جواب الشرط انسياه للعطف مع الاية تحمله ط فرياه بغياه الى صبياه عبد الله ط لان الجملة لا تقع صفة للمعرفة ويمكن ان يجعل معنى التحقق فى ان عاملا فيكون حالا فلا يوقف اينما كنت ص لطول الكلام حياه لذلك والوصل اولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتى لتبدل الكلام من الاثبات الى النفى شقياه حيا عيسى بن مريم على القراءتين لاحتمال انه اراد قول الحق وان يجعل حالا واما فى قراءة الرفع فاما ان يكون بدلا من عيسى او يكون التقدير هو قول الحق يمترون ه من ولد لا اسبحانه لا للشرط جائز ط فيكون ط لمن قرا وان بالكسر فاعبدوه ط مستقيم من بينهم لان ما بعده مبتدأ مع الفاء عظيم وابصر لا لان ما بعده ظرف للتعجب مبين ه وسمعت عن مشايخى رحمهم الله ان الوقف على قوله قضى الامر لازم لا انه من المطلوب لان ما بعده جملة مستأنفة ولو وصل لاوهم ان يكون حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون ه يرجعون ه التفسير هذا شروع فى ابتداء خلق عيسى ولا ريب ان خلق الولد بين شيخين فانيين اقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد من غير اب فلهذا اخرت قصة عيسى عن قصة يحيى ترقيا من باب التفهم من الادنى الى الاعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لان الازمان مشتملة على ما فيها وفى هذا الابدال تفخيم لشان الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كانها القت نفسها الى جانب معتزلة عن الناس فى مكان يلى شرقى بيت المقدس او شرقى دارها قال ابن عباس من ههنا اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا لا بد لهذا الاحتجاب من غرض صحيح فى المفسرين من قال انها لما رات الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد لكن تنتظر الطهر فتغتسل ويعود فلما طهرت جاءها جبرئيل وقيل طلبت الخلوة لاجل العبادة وقيل فى مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شئ يسترها وقيل كانت فى منزل زوج اختها زكريا ولها محراب عليحدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها بابها فتمنت ان تجد خلوة فى الجبل لتفلى راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست فى المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك وذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعنى جبرئيل لان الدين يحيى به وبوحيه والاضافة للتشريف والتسمية مجاز كما تقول لمن تحبه انه روحى فتمثل لها حال كونه بشرا سويا تام الخلق او حسن الصورة وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا فى الصورة الملكية لنفرت ... لجبرئيل مثلا تارة بالهيكل العظيم واخرى بالصغير عند مستبعد والذى اعتقد ان جبرئيل جسما جوزوا ان يكون له اجزاء اصلية قليلة واجزاء فاضلة فتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبيه بصورة الانسان ولندرة امثال هذه الامور لا يلزم منها قدح فى العلوم العادية المستندة الى الا ... فلا يلزم الشك فى ان زيدا الذى نشاهده الان هو الذى شاهدناه بالامس قوله ان كنت تقيا اى ان كان يرجى منك ان تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة به فانى عائذة به منك وقيل انه كان فى ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقى وكان يتبع النساء فظنت ان ذلك التمثيل هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله وقيل ان نافية اى ما كنت تقيا حين استحللت النظر الى وخلوت بى وحين علم جبرئيل خوفها قال انما انا رسول ربك ارسلنى لاهب لك او ليهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة وكيف زال خوفها بمجرد التمثل احتمل ان يكون قد ظهر لها معجز من جهة زكريا او ارهاصا لعيسى او الهاما من الله سبحانه وهل يقدر الملئكة على تركيب الاجزاء وخلق الحيوة والنطق حتى صح قول جبرئيل لاهب لك قال اجمعت الامة على ان لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والافلا استبعاد فى تاثير بعض الاجسام فى بعضها لخاصية خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة ان جبرئيل صار سببا فى النفخ فى الدرع فلذلك اسند اليه قالت انى يكون لى غلام لم يقل فيها رب لانها تخاطب جبرئيل واما اكتفاء بما سلف فى ال عمران ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا هى الفاجرة التى تبغى الرجال عن المبرد اصله بغوى على فعول فقلبت الواو ياء ثم ادغمت فى الياء وكسرت الغين للمناسبة عن ابن جنى انه فعيل والا لقيل بغو كنهو عن المنكر وخصت بعد ما عممت لزيادة الاعتناء بهذا الخزى بنزيه لساحتها عن الفحشاء ولما جرى فى اول القصة من تمثل جبرئيل لها بصورة البشر حتى ظنت انه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة فى ال عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه فى قوله من قبل ان تمسوهن واللمس

النساء، وانما بوقي في الزنا بحرتها وخبث لها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والآداب قلت لو سلم هذا من حيث اللغة الا انه لا بد لزيادة قوله ولم الفعل
في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سنح لنا والله اعلم قال كذلك قال ربك هو علي هين تفسيره كما مر في قصة زكريا ولنجعله اي ونجعل الغلام او خلقه
آية للناس يستدل بها على كمال اقدارنا على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز ان يكون معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين
اي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وقدم مثل هذا في قوله ولقد مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه ورحمة منا على عبادنا لان كل نبي رحمة لامته فيه
يهتدون الى صلاح الدارين وكان امرا مقضيا مقدرا في اللوح او امرا حقيقا بان يقضى به لكونه آية ورحمة وهذا مبني على ان رعاية الاصلح واجبة على الله
وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل
في فمها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخنا فيه من روحنا وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبرئيل كالضايع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب لك قيل حملته وهي
بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد حاضت حيضتين قبل ان تحمل وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة اشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت مخالفة
لهن في هذه العادة لناسب ان يذكرها الله تعالى في اثناء مدايحها وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال اهل التنجيم انما لا يعيش لانه لا يعود
الى تربية القمر وهو منحس معين لبرعه حركته وغلبة التبريد والترطيب عليه وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل حملته في ساعة
وصورته في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس يومها وعن ابن عباس في رواية اخرى كان حملها بينة لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون
ولفا ان التعقيب في قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض وعلى هذا فالمكان القصي هو اقصى الدار او وراء الجبل بعيدا من اهلها ومعنى
انتبذت به اعتزلت متلبسة به وهو في بطنها وقصى مبا الغرفاص وروى الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت فاول من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانا
مسيين لهم وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم اهل زمانهما اكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء ولا احب ان اكتمه عنك فقالت قل
قولا جميلا فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم الم تعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر او تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى
يستعين بالماء الم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فقال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله قادر على ما يشاء وذلك التهمة عن قلبه
وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضيق قلبها وابتلاء الضعف عليها من الحمل فحين دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك كيلا يقتلوا ولدك
فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة قال جار الله اجاء منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى انك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت
المكان وآتانيه فلان قلت حاصله تخصيص كما ان التعدية تعد تعميم والمخاض بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل
سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة روي انه كان جذع النخلة يابسا في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان
الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هناك واما للجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة ارشدت اليها ليطعم
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء اي طعامها الموافق لها ولان النخلة اقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا باللقاح فكان ذلك الرطب من ذلك
الجذع في الشتاء من دون لقاح وابار دليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف اسم ما من حقه ان يطرح ويلقى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره
الذبح لما من شأنه ان يذبح وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم العصا والقدح والشظاظ ونحوها تمنت لو كانت شيئا لا يعبأ به
ان ينسى في العادة ومعنى منسيا انه قد نسي واطرح فوجد فيه النسيا الذي هو حقه وانما تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل او لانهم هو
وبني عارفة ببراءة ساحتها فشق ذلك عليها او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر
ويجوز ان يكون تسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته وزراية فناداها من تحتها الذي هو تحتها
او انسان تحتها يعني جبرئيل بناء على انه كان يقبل الولد كالقابلة او اراد اسفل من مكانها لان مريم كانت اقرب الى الشجرة منه او كان جبرئيل تحت الاكمة
وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير ان المراد به عيسى لان ذكر عيسى اقرب ولانه موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الضمير يجب
ان يكون معلوما للسامع والذي علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة ان الضمير في تحتها للنخلة قوله
سريا جمهور المفسرين على ان السري هو الجدول وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم سمي به لان الماء يسري فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخاء في مروءة ويقال
فلان من سروات قومه اي من اشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سروات عن الحسن كان والله عبدا سريا حجة هذا القائل ان النهر لا يكون تحتها بل الى
جنبها ولا يمكن ان يقال المراد ان النهر تحت امرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر واجيب بان المكان
المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان تحت واراد ان النهر تحت الاكمة وهي فوقها وايضا حمل السري
على النهر موافق قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقوله فكلي واشربي يروى ان جبرئيل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار و
الاول اقرب لان قوله قد جعل ربك مشعر بالاحداث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل ما دون الرأس الذي عليه الثمرة وقال
قطرب كل خشبة في اصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالزائدة لان العرب تقول هزه وهز به والمعنى حركي جذع النخلة او افعلي الهز رطبا
تمييز او مفعول تساقط على حسب القراءات اللازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز انتصابه بهزي اي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة اي على جذعه

والجنى المأخوذ طريا والظاهر انه ما اثمر الا الرطب فقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه اثمر مع الرطب غيره قالوا اذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب
والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك والمراد انه جمع لها في السري والرطب فائدتين هما الاكل والشرب وقدم الاكل مع ان ذكر السري مقدم فائدتان
لان احتياج النفساء الى اكل الرطب اشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ما سال من الدماء والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين لزكريا اد
ارهاصا لعيسى او كرامتين لمريم واشار الى هذه بقوله وقري عينا لان قرة العين تلزم قوة القلب والتسلي من الهموم والاحزان وقيل ان الم
النفس اشد من الم البدن فلم قدم دفع الم البدن على دفع الم القلب اجيب بان الخوف لنفسي كان قليلا لتقدم بشارة جبرئيل فكانا لتذكر كافيا
فاما ترين اصله ترايين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم يا الضمير للساكنين وذلك بعد لحوق نون التاكيد وقد مر في قوله
اما يبلغن عندك الكبر ان التاكيد في هذه الصورة يقصد به ان الشرط مما سيقع غالبا فانه لا بد ان ترى احدا من البشر عادة عن انس بن مالك
الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال ابو عبيدة كل ممسك من طعام او كلام او سير فهو صائم وقيل اراد الصيام الا انهم كانوا لا يتكلمون
في صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز في شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر وتجريد الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة لعله لا يجوز لما فيه
من التضييق والتشديد ولا حرج في الاسلام وفي الكشاف نهى رسول الله صلعم عن صوم الصمت وروي انه دخل ابو بكر الصديق على امرأة وقد نذرت
انها لا تتكلم فقال ابو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي وفي امرها بهذا النذر ومعناه ان كلام عيسى اقوى في ازالة التهمة وقيل ان تفويض الامر الى
الافضل اولى والثاني ان السكوت عن جدال السفهاء اصون للعرض ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وكيف اخبرتهم بالنذر وقيل بالاشارة ولا
يلزم النقض وقيل خص هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله انسيا اراد المبالغة في نفي الكلام او اراد اني اكلم الملئكة دون الانس وهذا اشبه بقوله
فاما ترين من البشر فانت براءة بعيسى فقد انما انحانت الحال عن وهب قال انساها كرب الميلاد وما سمعت من الناس من بشارة الملئكة فلما كلمها جاءها
مصداق ذلك فاحتملته فاقبلت به الى قومها وعن ابن عباس ان يوسف النجار انتهى بمريم الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت
تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها بكوا وقالوا لقد جئت شيئا فريا بديعا من فري
الجلد وليس في هذا ما يوجب تعييرا وذما لان امرها كان خارجا عن العادة ويحتمل انه اراد انه امر منكر خارج عن طريق العفة والصلاح فيكون توبيخا
ويؤكده قولهم يا اخت هرون الاية واختلفوا في هرون فقيل كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وهذا اظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة اولى من
غيره وقيل يروى عن النبي صلعم انهم عنوا هرون النبي اخا موسى عليهما السلم وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما الف سنة واكثر وعن السدي
كانت من اولاده والمراد انها واحدة منهم كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل اراد رجلا صالحا في زمانها اي كنت عندنا مثله في الصلاح
يحكى انه تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه وقيل كان رجلا طالحا معلنا بالفسق فشبهوها به بالتشبيه نسبة ويروى انهم هموا
برجمها فاشارت اليه اي ان عيسى هو الذي يجيبكم وقد عرفت ذلك اما بان كلمها في الطريق او بالالهام او بالوحي الى زكريا او بقول جبرئيل على
ان امرها بالسكوت بعد ما سبق من البشارة اشارة الى ذلك قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها
بنا اشد بنا من زناها ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد قال الزجاج كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح القريب والبعيد وههنا
للزمان القريب عن الحال لدلالة الحال وهو حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد حتى نكلم هذا ويحتمل ان يكون كان زائدة
نظرا الى اصل المعنى وان كان يفيد ارتباطا مع رعاية الفاصلة او هي تامة وصبيا حال مؤكدة يروى انه يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته قائلا اني عبد الله فكان فيه اولا رد قول النصارى اتاني الكتاب هو الانجيل او التورية اي فهمها
وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا بل في بطن امه وقيل اراد انه سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد والاول اظهر وصغر الجسم لا يقدح
في كمال العقل وخرق العادة فيه اكثر قالوا ان كمال العقل في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما على التحدي وهو غير جائز ولو كان نبيا
في ذلك الوقت وجب ان يشتغل ببيان الشرايع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب ان بعض معجزات النبي لا بد ان يكون مقرونا بالتحدي
اما الكل فممنوع وبعبارة اخرى كل ما يدان يكون مقرونا بفعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقترانه بالتحدي وكذا الكلام في بيان الشرايع فان بعض وقت
النبي لا بد ان يقترن به دون كل وقت وحالة على انه اشار الى بعض التكاليف بقوله واوصاني بالصلوة والزكوة كما يجيء وعن بعضهم انه كان نبيا
لقوله وجعلني نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الدرجة وضعف بان النبي في عرف
الشرع اخص من ذلك ومعنى كونه مباركا اينما كنت نفاعا حيثما كنت روي ذلك عن رسول الله صلعم وقيل معلما للخير وقد علم الكثير من اهل الكتاب
باختلافهم فيه لا يقدح في منصبه كما قيل على تحتي القوافي من معادنها وما علي اذا لم يفهم البقر وهذه سنة الله في انبيائه ورسله كلهم وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا يروى ان مريم سلمت عيسى الى المكتب فقال له المعلم ادفع اليك على ان لا تضربه فقال له اكتب فقال له اي شيء اكتب فقال
اكتب ابجد فقال لا اكتب شيئا لا ادري ثم قال ان لم تعلم ما هو فانا اعلمك الالف الاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال اداء الحق الى الله
وقيل البركة اصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه روي ان امرأة رأته وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن
حملتك وثدي ارضعت به فقال عيسى مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يك جبارا شقيا واوصاني بالصلوة والزكوة اي بادائهما اما

عن العادة و تكن كل تفعل ناقض صح

فی وقتهما المعینة وهو وقت البلوغ واما فی الحال بنا على انه كان مع صغره كامل العقل تام التركیب بحیث یقوی على اداء التكالیف ویؤیده قوله ما دمت حیا وقیل الزكوة ههنا صدقة الفطر وقیل تطهیر البدن من درن الاثام وقیل اوصانی بان امركم بهما وفی قوله وبرا بوالدتی دلالة واشارة الى برئة امه من الزنا والا لم یكن الرسول المعصوم مامورا ببرها قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقیا وتلا قوله وبرا بوالدتی ولم یجعلنی جبارا شقیا ولا تجد سیئ الملكة الا مختالا فخورا وقرأ وما ملكت ایمانكم ان الله لا یحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عیسى الشقاوة ولم ینف عنه المعصیة كما نفى عن یحیى لما جاء فی الخبر ما احد من بنی ادم الا اذنب او هم بذنب الا یحیى بن زكریا ومن عقائد اهل السنة ان الانبیاء معصومون عن الكبائر دون الصغائر قوله والسلام علی قال العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكیره فی قصة یحیى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على ان تعریف الجنس قریب من تنكیره وقیل ان الاول من الله والقلیل منه كثیر قلیل منك یكفینی ولكن قلیلك لا یقال له قلیل وانی لا ارضى منك بما هند بالذی لو ابصره الواشی لقرت بلابله بلا وبان لا استطیع وبالمنى وبالوعد حتى یسام الوعد امله والثانی من عیسى والكثیر منه لا یبلغ معشار سلام الله عن بعضهم ان عیسى ع قال لیحیى انت خیر منی سلام الله علیك وسلمت على نفسی واجاب الحسن بان تسلیمه على نفسه هو تسلیم الله علیه وقال جار الله فهذا التعریف تعریض باللعنة على متهمی مریم واعدائهما الیهود لانه اذا زعم ان جنس السلام خاصة فقد عرض بان ضده علیهم نظیره فی قصة موسى والسلام على من اتبع الهدى یعنی ان العذاب على من كذب وتولى یروى انه كلمهم بهذه الكلمات ثم لم یتكلم حتى بلغ مبلغا یتكلم فیه الصبیان وعن الیهود والنصارى انهم انكروا تكلم عیسى فی المهد قائلین ان هذه الواقعة مما یتوفر الدواعی على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فیه وفی مناقبه وایضا ان الیهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه فی المهد بالعوا فی قتله ودفعه فی طفولیته واجاب المسلمون من حیث العقل بانه لولا كلامه الذی دلهم على براءتها من الذی قذفوها به لاقاموا علیها الحد ولم یتركوها ولعل حاضری كلامه قلیلون فلذلك لم یبلغ مبلغ التواتر ولعل الیهود لم یحضروا هناك فلذلك لم یشتغلوا بقتله وقصده والله اعلم ذلك الموصوف بالصفات المذكورة من قوله انی عبد الله الى اخره هو عیسى بن مریم وفی كونه ابنا لهذه المراة نفی كونه ابنا لله على ما زعمت النصارى واكد هذا المعنى بقوله قول الحق فان كان الحق هو اسم الله فهو كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى قول الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة كقولك هو عبد الله الحق وقول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق الیقین وقد یقرأ ارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف ومعنى تمترون تشكون من المریة الشك او المراد یتمارون من المراء اللجاج وذلك ان الیهود قالوا ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة ثم صرح ببطلان معتقدهم فقال ما كان لله ما صح له وما استقام ان یتخذ من ولد كما لا یستقیم ان لا یكون له شریك وقد مر مثل هذه الایة فی سورة البقرة والذی نزیده ههنا ان بعضهم قال معنى الایة ما كان لله ان یقول لاحد انه ولدی كما هذا الخبر كذب والكذب لا یلیق بحكمته تعالى وزعم الجبائی بناء على هذا التفسیر انه لیس لله ان یفعل كل شیء لان قوله ما كان لله ان یتخذ من ولد كقولنا ما كان لله ان یظلم فلا یلیق شیء منها بحكمته وكمال الهیئة واجیب بان الكذب على الله محال والظلم تصرف فی ملك الغیر فلا یتصور فی حقه فان اردتم هذا المعنى فلا نزاع وان اردتم شیئا اخر فما الدلیل على استحالته احتج بعض الاشاعرة بالایة على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قدیما فهو المطلوب وان كان محدثا احتاج فی حدوثه الى قول اخر وتسلسل واستدلت المعتزلة بها على حدوث كلام قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متاخر عن القضاء المحدث والمتاخر عن المحدث محدث وایضا الفاء فیكون للتعقیب والقول متقدم علیه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان قلیل محدث وكلا الاستدلالین ضعیف لانه لا نزاع فی حدوث الحروف وانما النزاع فی كلام النفس وایضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشیته والا فلیس ثم قول لان الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصیل للحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قوله فیكون صفة التكوین فانها زائدة على صفة القدرة لانه قادر على عوالم اخر سوى هذا ولم یكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوینا ومن قرأ وان الله بالفتح فمعناه ولان الله ربی وربكم فاعبدوه وفیه ان الربوبیة هی سبب العبادة فمن لم یصح عبادته ربوبیته لم یستحق ان یعبد ولا رب بالحقیقة الا الله لانه منتهى جمیع الوسائط والاسباب الیه فلا یستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هی ان الله تعالى لا یصح ان یقول ان الله ربی وربكم فاعبدوه فالتقدیر قل یا محمد بعد اظهار البراهین الباهرة على ان عیسى عبد الله ان الله ربی وربكم وقال ابو مسلم الاصفهانی انه من تتمة كلام عیسى وما بینهما اعتراض وعن وهب منبه عهد الیهم حین اخبرهم عن حاله وصفته ان كلنا عبد الله تعالى فاختلف الاحزاب من بینهم ای من بین اهل الكتاب قال الكلبی هم الیهود والنصارى وقیل النصارى اختلفوا ثم اتفقوا على ان یرجعوا الى علماء زمانهم وهم یعقوب ونسطور وملكا فقیل للاول ما تقول فی عیسى فقال هو الله هبط الى الارض فاحیى ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثیر وهم الیعقوبیة وسئل الثانی فقال هو ابن الله فتابعهم غیرهم وهم النسطوریة وسئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبیا یطعم وینام فصار راسهم وهو المؤمن المسلم وقیل كانوا اربعة والرابع اسمه اسرائیل فقال هو اله وامه اله والله ثالثهم والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد فیه طول وقد یجری الكلام فیه الى مقامات یصعب الرقی الیها فلذلك الاصل فیه من ضل وذل عنه من زل والله سبحانه اعلى من جمیع ذلك واجل فویل للذین كفروا من مشهد یوم عظیم ای من شهودهم هذا الجزاء والحساب فی ذلك الیوم او من زمان شهودهم او من مكان شهودهم فیه وهو الموقف ویحتمل ان یكون المشهد من الشهادة ای من یشهد علیهم الملائكة والانبیاء او جوارحهم فیه بالكفر والقبائح او من مكان الشهادة او وقتها وقیل هو ما قالوه وشهدوا به فی عیسى وامه یوم ولادته ومعنى من التعلیل ای الویل لهم من اجل المشهد وبسببه اسمع بهم وابصر صیغتا للتعجب والمراد انه ما ابین

قال اهل البرهان انما قال ههنا فویل للذین كفروا وفی حم الزخرف فویل للذین ظلموا لان الكفر ابلغ من الظلم وقصة عیسى فی هذه الصورة مشروحة وفیها ذكر نسبتهم ایاه الى الله حین قال ما كان لله ان یتخذ من ولد فذكر بلفظ الكفر وقصته فی الزخرف مجملة فوصفهم بلفظ دونه وهو الظلم قلت ویحتمل ان یقال الظلم اذا ارید به الشرك كان اخص من الكفر بغیر ادلة ثم خصص كان البیان بالمقام الثانی الیق



الحاسنين منهم حيث ان يتعجب منهما في ذلك اليوم بعد ما كانوا صمّا وعميا في الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشيء بسبب عظم ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند بعض لا استعظام من غير خفاء السبب او من غير سبب قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابرهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه والمعنى انه صدر من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وقيل معنى الآية التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوؤهم وقيل كذا اسمع هؤلاء وابصرهم ليعتبروا ويسوء عاقبتهم والوجه هو الاول لوثيقه قوله لكن الظالمون اى لكنهم فوضع المظهر موضع المضمر اليوم وهو يوم التكليف في ضلال مبين حيث اغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد في تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة لحسرة اهل النار فيه وقيل اهل الجنة ايضا اذا راى الادنى مقام الاعلى والاول اصح لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة لانها دار السرور واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة ومعنى قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي (ص) انه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم قال ارباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن ان يصير حيوانا فالمراد انه لا موت بعد ذلك عن الحسن وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله وانذرهم اعتراض ويحتمل ان يتعلق بانذرهم اى انذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل ان يكونا ظرفا لانذر اى انذرهم حين قضى الامر بعيان الدلايل وشرح امر الثواب والعقاب ثم اخبر عنهما بانهم في غفلة وهم لا يؤمنون ثم قرر بقوله انا نحن نرث اى امور الدنيا كلها تزول وان الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه التأويل واذكر في الكتاب الازلي مريم القلب اذ انتبذت من اهلها تفردت من اهل الدنيا متوجها الى جانب شرق النور الالهي فاتخذت من دونهم حجابا للخلوة والعزلة وارسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت انى اعوذ بالرحمن منك ظنا منها انه يشغلها عن الله قال انما انا رسول الوارد الرباني لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانية وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسني بشر خاطر من عالم البشرية ولم اك بغيا طالبا غيرما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا الافتقار الى العبودية على منازل الشريعة والطريقة فاجاءها المخاض طلب النعب الى جذع النخلة وهي كلمة لا اله الا الله التي كان اصلها ثابتا في ارض نفسها قالت يا ليتني مت قبل هذا قال بعض اهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال علي (ع) يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده امه وقيل مريم قالت ذلك لعلمها بان الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسببها بسبب تهمتها وبسبب الغلو والتقصير في حق ابنها قلنا مريم القلب قالت يا ليتني مت عن اللذات الجسمية قبل هذا الوقت الذي فزت باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الخمول راحة والشهرة آفة فناديها من تحت الحال من تحت تصرفها من الانات القوى الا تحزني قد جعل ربك تحتك اى تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود او جدول الكشوف والعلوم الدينية وهزي اليك بجذع النخلة بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات حالا فحالا فكلي واشربي من خوان الافضال وبحر النوال من لدنه ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقري عينا بانوار الجمال في حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما كما قيل الدنيا يوم ولنا فيه صوم اى عن الالتفات لغير الله فاتت به قومها من عادة الجهال انكار احوال اهل الكمال يا اخت هرون النفس المطمئنة او الامارة بناء على ان هرون كان صالحا او طالحا ما كان ابوك وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت امك وهي القالب بغيا تنسبك الى غير عالم الطبيعة التي خلقت لاجلها فاشارت اليه فيه ان هذا القوم هم اهل الاشارات في المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح في مريم القالب يبشر بان الله ولا يحال له ولا تفسير في خلف الاحزاب فقوم عبد الله لاجله وقوم عبده طمعا في جنته وقوم عبد الهوى وذلك قوله ويل للذين كفروا اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لانهم بالله يسمعون وبه يبصرون

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا

و یاد کن در کتاب ابراهیم را بدرستیکه او بود راستگو پیغمبر چون گفت مر پدرش را ای پدر چرا میپرستی چیزی را که نمیشنود و نمیبیند و

يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ

دفع نمیکند از تو چیزی را ای پدر بتحقیق که آمد مرا از علم آنچه نیامد ترا پس پیروی کن مرا تا بنمایم ترا راه راست ای پدر

لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ

بندگی مکن شیطان را بدرستیکه شیطان باشد مر خدا را نافرمان ای پدر بدرستیکه من میترسم اینکه برسد ترا عذاب از خدا پس باشی

لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلَامٌ

مر شیطان را دوست گفت آیا روگردانی تو از خدایان من ای ابراهیم اگر باز نه ایستی هر آینه سنگسار کنم ترا و دوری کن مرا زمانی گفت درود

عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى

بر تو زود آمرزش خواهم مر تو را خدا را بدرستیکه او باشد بمن مهربان و کناره گیرم از شما و آنچه میخوانید از غیر خدا و میخوانم پروردگارم را شاید

أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

که نباشم بدعای پروردگارم ناامید پس چون کناره گرفت از ایشان و آنچه میپرستیدند از غیر خدا و بخشیدیم مر او را اسحق و یعقوب

ای يا اهل الله

اى عن عبادتهم قال الله والذين يا تيتنا ليهتدين وعن علي (ع) الا ان عيسى بن مريم ... اسمع الناس بحق لا ولدا

و کلا

وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ
و هر یک را گردانیدیم پیغمبر و بخشیدیم مر ایشان را از رحمت خود و گردانیدیم مر ایشان را زبان راست بلند و یاد کن در کتاب موسی را بدرستیکه او

كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا
باشد پاک و باشد فرستاده پیغمبر و ندا کردیم او را از جانب کوه طور دست راست و نزدیک کردیم او را راز گوینده و بخشیدیم او را از رحمت خود

أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ
برادرش هرون را پیغمبر و یاد کن در کتاب اسمعیل را بدرستیکه او باشد راستگوی وعده و باشد فرستاده پیغمبر و بود

يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
که امر میکرد اهل خود را بنماز و زکوة و بود نزد پروردگار خود پسندیده و یاد کن در کتاب ادریس را بدرستیکه او باشد راستگو

نَبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا
پیغمبر و بلند کردیم او را مکان بلند آن گروه آنکه انعام کرد خدا بر ایشان از پیغمبران از نسل آدم و از آنکه برداشتیم

مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا
با نوح و از فرزند ابراهیم و اسرائیل و از آنکه راه نمودیم و برگزیدیم ما چون خوانده شد بر ایشان آیتهای خدا بر و افتاده

سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
سجده کنندگان و گریان پس ترسید از بعد ایشان فرزند که ضایع کردند نماز را و متابعت کردند آرزوها را پس زود باشد برسند بجزای بد

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي
مگر آنکه توبه کرد و گروید و کرد کار شایسته پس آن گروه در می آیند بهشت را و ستم کرده نمیشوند چیزی را بهشتهای اقامت

وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ
که وعده کرده خدا بندگان را به پنهان بدرستیکه او باشد وعده او پاینده نمیشنوند در آن بیهوده مگر سلامی و مر ایشان راست

رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ
روزی ایشان در آن بامداد و شبانگاه این بهشت است که میراث دهیم از بندگان ما هر که باشد پرهیزکار و فرود نمی آییم مگر بامر

رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
پروردگار تو مر اوراست آنچه پیش ماست و آنچه در پس ماست و آنچه میان اینست و نباشد پروردگار تو فراموش کار پروردگار آسمان و زمین

وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝ القراءة ربي انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو
و آنچه میان آنهاست پس پرستید او را و صبر کن مر بندگان او را آیا میدانی مراد او را همنامی

مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ياتوه بكسرها ابرهام وما بعده هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذا يتلى بالياء التحتانية وكذا في سورة الحج قتيبة نورث بالتشديد رويس الوقوف ابرهيم نبياه شيئاه سوياه لا تعبد الشيطان ط عصياه ولياه يا ابرهيم ج وقد يوصل ويوقف على الهجي مليا ه سلام عليك ج للابتداء ببين الاستقبال مع ان الفعل واحد لك ربي ط حفياه وادعو ربي ز لانقطاع النظم والوصل اولى لان عسى لطمع الاجابة فيوصل بالدعا شقياه من دون الله لا لان ما بعده جواب لما ويعقوب ط نبيا عليا ه موسى ز للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبياه نجياه نبياه اسمعيل فلا مر نبياه ج للاية مع العطف والزكوة ص مرضياه ادريس ز نبياه عليا ه مع نوح على تقدير ومن ذرية ابرهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية ادم او على اسرائيل والاصح ان الكل عطف على ذرية ادم والوقف على قوله واجتبينا لئلا يحتاج الى الحذف ويرجع ثناء السجود والبكا الى الكل وبكياه غياه شيئاه لا بناء على ان جنات بدل من الجنة بالغيب ط ماتياه سلاماه وعشياه تقياه بامر ربك ج لا لاختلاف الجملتين ذلك ج لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسياه لان ما بعده بدل او خبر مبتدا محذوف لعبادته ط سمياه التفسير انه كان الذين اثبتوا معبودا سوى الله منهم من اثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الاوثان وكلا الفريقين ضال الا ان الفريق الثاني اضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدرجا من الاسهل الى الاصعب وانما بدا بقصة ابرهيم ع لانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وكمال دينه فكانه قال لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على ابيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله اذ قال بدل اشتمال من ابرهيم وما بينهما اعتراض ولمكان هذا الاعتراض صار الوقف على ابرهيم مط وجوز في الكشاف ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والصديق من ابنية المبالغة فهي اما مبالغة صادق لان ملاك امر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا ايضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه والحاصل انه كان صادقا جدا في اقواله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله

الناس بحيث جعلوا واسطة بينه وبين عباده وقيل انكان بمعنى صار والاصح انه بمعنى الثبوت والاستمرار اى انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في الاوقات الممكن لهذا لك فيها والتاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وقد مر في اول سورة يوسف وورد على ابيه الدلايل والنصايح وصدر كلا منها باسم المتضمن للرفق واللين شمالة لقلب ابيه وامتثالا لامر ربه على ما روى ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال اوحى الله الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه واظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري فقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر معنى المفعول لا منوي فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة او موصوفة اى الذى لا يسمع ومعبودا لا يسمع وشيئا مفعول به من قوله اغن عنى وجملة اى لا دفعه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اى شيئا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين اى لا يسمع شيئا من السماع الى اخره وحاصل الدليل ان العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الا اشرف الموجودات لا اخسها وهو الجماد غاية على ذم عن ذلك بل انها تماثيل لشيئا بتصور نفعها او ضرها كالكواكب وغيرها فيقول لهم اليس الكواكب وساير الممكنات ينتهي في الاحتياج الى الواجب لوجوده فاذا جعل شيئا من هذه الاشيا معبودا فقد سورك الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسايط من البين ادخل في الاخلاص واقرب الى الخلاص وقوله يا ابت انى قد جاءنى بنبيه ونصيحة وفيه ان هذا العلم يجب لحصوله فيكون اقرب الى التصديق وفى من العلم ما لم يأتك فائدة هي انه لم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق ولكنه قال ان معى طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب انا فى مفازة وعندى معرفة بالدلالة دونك فاتبعنى اهدك صراطا سويا مستويا مؤديا الى المقصود وهو سلام المعاش والمعاد سند لارباب التعليم بالاية فانه لا بد من الاتباع واجيب بانه لا يلزم من اتباع النبى اتباع غيره والانصاف ان هذا الطريق اسهل ثم اكد المعنى المذكور بنصيحة اخرى زاجرة عما هو عليه فقال يا ابت لا تعبد الشيطان اى لا تطعه فان عبادة الاصنام هى طاعة الشيطان ثم اسقط حسن نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لبنى ادم بل قدم حق ربه فقال ان الشيطان كان للرحمن عصيا حين ترك امره بالسجود عنادا واستكبارا الا نسيانا وخطأ بنبههم لهذه النصيحة على وجوب الرحمن ثم على وجوب الشيطان وان الرحمن مصدر كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوى وفى هذا القدر كاف من التنبيه لمن تامل وانصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال يا ابت انى اخاف وفيه مع التخويف من سوء العاقبة انواع من الادب ذكر الخوف والمس وتنكير العذاب قال الفراء معنى اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره لان ابرهيم عم لم يكن جازما بموت ابيه على الكفر والالم يشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى ذلك الغير مع تالم قلبه من ذلك كما يقال انا خائف على ولدى ذكروا فى الولى وجوها منها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان فى النار واللعنة سبب الولاية او سببها غالبا واطلاق احدهما على الاخر مجاز وليس هناك ولاية حقيقية لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو اى كفرت بما اشركتمون من قبل ومنها ان يحمل العذاب على الخذلان ومنها ان الولى بمعنى التالى والتابع فالحاصل الله جعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة اتباعه واوليائه اكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان فى مقابلة رضى الرحمن وقال عز من قائل ورضوان الله اكبر ولذا كان رضوان الله اكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان اعظم من عذاب النار ثم ان الشيخ قابل ملاطفات ابرهيم بالفظاظة والغلظة فقال اراغب انت عن الهتى يا ابرهيم فقدم الخبر على المبتدا اشعارا بانه عنده اغنى وفى هذا الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وفى قوله يا ابرهيم دون ان يقول يا بنى فى مقابلة يا ابت تهاون به وكيف لا وقد صرح بالاهانة قائلا لئن لم تنته لارجمنك باللسان اى لاشتمنك او باليد اى لاقتلنك واصله الرمى بالرجام ثم ههنا اضمار اى فاحذر واهجرنى مليا اى مانا طويلا من الملاوة او زادا مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل ان اثخنك بالضرب فلما راى ابرهيم اصراره على التمرد والجهالة قال سلام عليك يعنى توديع ومتاركة كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه ان مقاركة المنصوح اذا ظهر منه امارات اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ورفقا به بدليل قوله ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا بليغا فى البر والالطاف وقد مر فى اخر الاعراف احتج بالاية بعض من طعن فى عصمة الانبياء قال لانه استغفر لابيه الكافر وهو منهى عنه لقوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولقوله فى الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابرهيم الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التاسى والجواب لعل ابرهيم عم فى شرعه لم يجب ما يدل على القطع بتعذيب الكافر ولعل هذا الفعل منه من باب ترك الاولى ولعل الاستغفار بمعنى الاستبطاء كقوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى ساسئل ربى ان لا يجزيك بكفرك ما دمت حيا والجواب الحقيقى قد مر فى اخر سورة التوبة فى قوله عز من قائل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمنع من التاسى لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من خصايصه كما ان كثيرا من الامور كانت مباحة للرسول صلعم وهى محرمة علينا ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال واعتزلكم اى اهاجر الى الشام واعتزل ما تدعون اى ما تعبدون من دون الله وقد يعبر بالدعاء عن العبادة والدعاء كما يجىء فى سورة الشعراء وفى قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيا تعريض بشقاوتهم بدعاء الهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد من لفظة عسى قال العلماء ما خسر الله على احد فان ابرهيم لما ترك اباه الكافر وقومه فر ابدله بهم عوضه الله اولادا مؤمنين انبياء وذلك قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم شيئا من رحمتنا عن الحسن هى النبوة وعن الكلبى المال والولد والاظهر انها عامة فى ذلك كل خير دينى ودنيوى لسان الصدق الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية وقد مر تحقيق الاضافة فى اول يونس فى قوله قدم صدق ان ابرهيم من بيبه ابتغاء مرضات الله فسماه الله ابا المؤمنين ملة ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم واسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا

وسلم ما واشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فاشركه الله في الصلوة على النبي في الصلوات الخمس ووفى في حق سارة كما قال الله وابرهيم الذي وفى
فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم قفى
قصة ابرهيم بقصة موسى لانه تلوه في الشرف والمخلص بكسر اللام الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء واخلص وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله وكان
رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم قبل الاخص الا ان رعاية
الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله في طه برب هرون وموسى الايمن من اليمن اي من ناحيته اليمنى من موسى او هو من اليمن صفة للطور او للجانب و
قربناه حال كونه نجيا اي مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن ابي العالية انه التقريب
حسي قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية والاول اظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب وللملئكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا فيكون اخاه
بدلا وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا ونبيا حال من هرون قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى فتنصرف الهبة الى معاضدته و
موازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي وخص اسمعيل ابن ابرهيم بصدق الوعد وان كان الانبياء كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله
او الناس لانه المشتهر المتواصف من خصاله المرضية ذلك انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة
عن رسول الله صلعم انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعاده الى اي وقت ينتظره
فقال ان واعده في وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى وكان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء
بالاحسان الديني والدنيوي بمن هو اقرب اولى قوا انفسكم واهليكم نارا وابدأ بمن تعول ويحتمل ان يريد باهله امته كلهم اقرباؤه واباعدهم من حيث انه يلزمه
في جميعهم ما يلزم المرء في اهله خاصة من قضاء حقوق النصيحة والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلوة الصلوة
المفروضة والمندوبة كصلوة التهجد وغيرها واما الزكوة فالاقرب انها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص لان فاعلها يزكو
بها عند الله واما ادريس فالاصح انه اسم عجمي بدليل منع الصرف كما مر في ادم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل
معناه بالاعجمية قريب من الدراسة فظنه القائل مشتقا منها وفي رفعه اقوال منها ان المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل عليه ثلثون
صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه اخنوخ من اجداد نوح لان نوح بن
ملك بن متوشلخ بن اخنوخ واهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس ولهم نوادر في استخراج طوالع المواليد ينسبونها اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى
الجنة وهو حي لم يمت وقال اخرون رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس انه سأل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل له من الملئكة فسأله
ان يكلم ملك الموت حتى يؤخر في قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان في السماء الرابعة اذا بملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس
في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فرأى ملك الموت فقبض روحه هناك وعن ابن عباس انه رفع الى السماء السادسة
وعن الحسن المراد انه رفع الى الجنة ولا شيء اعلى منها اولئك المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم الذين انعم الله عليهم من النبيين من للبيان لان جميع
الانبياء منعم عليهم من ذرية ادم من للتبعيض وكذا في قوله وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل والمراد بمن هو من ذرية ادم ادريس لقربه منه لانه
من حملنا مع نوح ابرهيم ع لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم اسمعيل ومن ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم لان مريم من ذريته وممن
هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفي هذا الترتيب تنبيه على ان هؤلاء الانبياء اجتمع لهم مع كمال الاحسان شرف الانساب وان جميع ذلك بـ
هداية الله وبتيسيره واجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت الذين خبر اولئك كان اذا تتلى كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت في الوقوف
سائر الوجوه من قرأ يتلى بالتذكير لان تأنيث الايات غير حقيقي والفاصل حاصل والبكي جمع باك كقعود في ساجد ابدلت الواو ياء وادغمت وكسرها
قبلها للمناسبة ومن زعم انه مصدر فقد سها لانه قرن بسجدا عن رسول الله صلعم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو مسلم المراد بالايات التي فيها ذكر
العذاب وقال غيره الاطلاق في الايات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل اية اذا فكر فيها المفكر صح ان يسجد عنده ويبكي قلت لعل المراد بايات الله ما خصهم الله
نعم به من الكتب المنزلة لان القران حينئذ لم يكن منزلا واختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلوة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا
به ويحتمل انهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا مقدرين للسجود عن رسول الله صلعم اقرءوا
القران بحزن فانه نزل بحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وقالت العلماء ينبغي ان يدعو
في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرأ اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك
وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ ما في هذه السورة قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين
لك الباكين عند تلاوة اياتك ولما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا للغير في التأسي بهم وصف اضدادهم تنفيرا للناس عن طريقتهم فقال فخلف من بعدهم خلف وهو
عقب السوء كما مر في اخر الاعراف اضاعوا الصلوة في مقابلة خروا سجدا واتبعوا الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة
وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم النخعي ومجاهد اضاعوها بالتأخير وعن علي ع في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور
ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة فسوف يلقون غيا قال جار الله كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف اي جزاء غي

كقوله يلق اثاما اى مجازاة اثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها احتج بعضهم بقوله الا من تاب وامن على ان تارك
الصلوة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب انه اذا كان المذكورون هم الكفرة او اليهود كما يروى عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتج الاشاعرة
فى ان العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير واجاب الكعبى بانه عطف الايمان على التوبة مع انها من الايمان ومنع من ان التوبة من الايمان ولكنها
شرطه لانها العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف هيهنا وفى الفرقان وعمل عملا صالحا لانه اوجز فى ذكر المعاصى فاوجز فى التوبة
واطال هناك فاطال هنا وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره وامن ولم يدخل بعد وقت الصلوة او كانت المراة حائضا ثم مات فهو من اهل النجاة
مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيئا لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف تنبيها على ان تقدم الكفر لا يضرهم بعد ان يتوبوا ويحتمل ان ينتصب شيئا
على المصدر اى شيئا من الظلم ومعنى جنات عدن قدم فى سورة التوبة فى قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن ووصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلافا عليه جنات
الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها ويحتمل انتصابها على الاختصاص وكذا انتصاب التى قال جار الله عدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة
وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى ومعنى بالغيب
مع الغيبة اى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او الباء للسببية اى وعدها عبادها بسبب تصديقهم بالغيب والايمان به خلاف
حال المنافقين وقوله انه كان وعده ماتيا بالاول انسب وهو مفعول بمعنى فاعل وعلى اصله لان ما اتاك فقد اتيته وجوز فى الكشاف ان يكون من قولك اتى
اليك احسانا اى كان وعده مفعولا منجزا قوله الا سلاما استثناء متصل على التاويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم فى يمين اللغو فى
البقرة وفى المائدة اى انه كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملئكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عتابك السيف او استثناء منقطع
اى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز ان يكون متصلا بتاويل اخر وهو ان معنى السلام الدعاء بالسلامة واهل دار السلام عن
الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وفى الاية تنبيه ظاهر على وجوب نفاء اللغو حيث نزه الله
عنه الدار التى لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما احبوه فى الدنيا فلذلك ذكر اساور من الذهب والفضة ولبس الحرير التى كانت للعجم والارائك التى هى
الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف اليمن ولا شئ كان احب الى العرب من الغداء والعشاء الا انها المعادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك
فاتلا ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير اى ياكلون على مقدار الغداة الى العشى وقيل اراد دوام الرزق
كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التى نورث كقوله فى الاعراف ونودوا ان تلكم الجنة
اورثتموها وهى استعارة اى نبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال المورث قال القاضى فى الاية دلالة على ان الجنة يختص بدخولها من كان متقيا غير
مرتكب للكباير واجيب بمنع الاختصاص وبانه يصدق على صاحب الكبيرة انه اتقى الكفر سئل هيهنا ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث كلام الله وقوله بعده وما
نتنزل الا بامر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملئكة الذين ينزلون على الرسول كما روى ان قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسئلونهم
عن صفة محمد عم وهل يجدونه فى كتابهم فسالوا النصارى فزعموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده فى كتابنا وهذا زمانه وقد سالنا رحمن اليمامة عن خصال
ثلث فلم يعرف فسالوه عنهن فان اخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فسالوه عن فتية اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم
الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل
جبرئيل عم فقال له النبى صلعم ابطات عنى حتى ساء ظنى واشتقت اليك قال كنت اشوق ولكنى عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله
الاية وانزل قوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل اى نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت
ليس بامر الله عز وجل ثم اكد جبرئيل ما ذكره بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا من الجهات والاماكن او من الازمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من
المكان والزمان الذى نحن فيه فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة او من زمان الى زمان الا بامر ربك ومشيته وقيل له ما سلف من امر الدنيا وما
يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وهو ما بين النفختين اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها او ما قبل وجودنا
او بعد فنائنا وقيل الارض التى بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بينهما من السماء والارض وعلى الاقوال فالمراد انه المحيط بكل شئ لا يخفى عليه
خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل الا بامره وقال ابو مسلم فى وجه النظم انه قوله وما نتنزل من قول اهل الجنة لمن بحضرتهم اى ما ننزل
الجنة الا بامر ربك اما قوله وما كان ربك نسيا فعلى القول الاول معناه انه ما كان لامتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياك كقوله ما ودعك
ربك وما قلى وعلى قول غير ابى مسلم هو تاكيد لما تقدم بجميع الاشياء وانه لا يجوز عليه ان يسهو عن شئ ما البتة وعلى قول ابى مسلم المراد انه ليس ناسيا
لاعمال العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون من تتمة حكاية قول اهل الجنة او ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله رب السموات و
الارض اى بل هو رب السموات والارض وما بينهما فاعبده الفاء للسببية لانه كونه رب العالمين سبب موجب لان يعبد واصطبر لعبادته لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة
بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى اوجد الاصطبار لاجل مقاومته ثم اكد وجوب عبادته بقوله هل تعلم له سميا اى ليس له مثل ونظير حتى لا
يخلص العبادة له وان عديم النظير لابد ان يصبر على مواجب عبادته وتكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل اراد انه لا شريك له فى
اسمه وبيانه من وجهين احدهما انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا انهم لم يطلقوا لفظ الله على من سواه وعن ابن عباس لا يسمى بالرحمن غيره

قلت وهذا صحيح ولعله هو السر في انه لم يكرر لفظ الرحمن في سورة تكرره في هذه السورة وثانيهما هل تعلم سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية
على الباطل كما لا تسمية التأويل ولى ذكر في الكتاب الازلي ابرهيم القلب انه كان صديقا للصديق تلك المراتب صادق صدق في اقواله وصادق
صدق في اخلاقه واحواله وصديق صدق في قيامه مع الله في الله بالله وهو الفاني عن نفسه الباقي بربه اذ قال لابيه الروح الذي يعبد صنم الدنيا
بتبعية النفس قد جاءني من العلم اللدني ما لم يأتك ان القلب محل للفيض الالهي اقبل من الروح كالمرآة فانها تقبل النور لصفائها وينعكس النور عنها
لكثافتها وصفائها وهبنا له اسحق السر ويعقوب الخفي وناديناه من جانب الطور الايمن سمعنا موسى القلب من جانب طور الروح لا من جانب وادي
النفس الذي هو على ايسره وكان يأمر اهله اي الجسم والنفس والقلب والروح بالصلوة لم يتوجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالزكوة اي تزكية كل واحد منهم
من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا في مقعد صدق عند مليك مقتدر وايقلوبهم على عتبة العبودية متحدا بالتسليم للاحكام الازلية
ويكابكا السمع منه وبان الوجه على نار الشوق والمحبة عباده بالغيب اي بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم و
انفسهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم رؤية الله على ما جاء في الحديث اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوا وعشيا وما نتنزل الا بامر ربك المقدور في علم
الله ينادي اهل العزة من سرادقات العزة ان يا اهل الطبيعة اتقوا من المتمنيات فانا ما نتنزل من عالم الغيب الا بامر ربنا وما كان ربك نسيا يحتاج
الى تذكير منهم بل هو رب سموات الارواح وارض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار له فاعبده باركان الشريعة بجسدك وبآداب
الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء به بروحك وبسرك هل تعلم له نظيرا في المحبوبية لك والله اعلم بالصواب

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا
فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى
الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا
ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا
قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ
أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا أَلَمْ
تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا يَوْمَ نَحْشُرُ
الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ
عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ
مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا ۝ لَقَدْ أَحْصٰيهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ

نيست هر كه در آسمانها و در زمين مگر آيد خدا بنده را بتحقيق كه شمرد ايشان را شمردنى و همه ايشان

آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا ۝ فَإِنَّمَا

بيايند روز قيامت تنها بدرستيكه آنانكه گرويدند و كردند كارهاى شايسته زود بگرداند براى ايشان خدا دوستى پس جز اين نيست

يَسَّرْنٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ

آسان كرديم آنرا بزبان تو تا مژده دهى بآن پرهيزكاران را و بيم دهى بآن گروه ستيزه كاران را و بسا هلاك كرديم پيش از ايشان از قرنها

هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝ القراءة ولدا اذا مثل انكم فى الانعام يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم

آيا مى‌يابى از ايشان يكى را يا مى‌شنوى براى ايشان آواز پوشيده وسهل وروح والمعدل عن زيد الاخرون بالتشديد يخرجهما بضم الميم الباقون

بفتحها رتبا بالتشديد ابو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة فى الوقف وعن حمزة ايضا بالهمزة فى الوقف ليدل على اصل اللغة

الاخرون بهمزة بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلى الاخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلى ينفطرن من الانفطار ابو عمرو

وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والخراز عن هبيرة الباقون يتفطرن من التفطر **الوقوف** حيا ه شيا ه جثيا ه للا

وللعطف عتيا ه صليا ه واردها ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ه لتقريبها للنجاة من الورود مع ان ثم لترتيب الاخبار جثيا ه امنوا لا

لان ما بعدها مفعول قال نديا ه ورءيا ه مدا ه لان حتى لانتهاء مد الضلالة او لابتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو امنوا والساعة ط لابتداء

التهديد جندا ه هدى ط مردا ه وولدا ط لابتداء الاستفهام للتوبيخ عهدا ط للردع كلا ط مدا لا للعطف فردا ه نصف الجزء عزا ه كلا ط ضدا ه ازا لا لتعجيل

عليهم ط عدا ط وفدا ه وردا ه لئلا يشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ه حذرا من ايهام العطف ولدا ط ادا لا لان ما بعده صفة هدا لا لان هذا التقدير لان

دعوا ولدا ط عبدا ط عدا ط فردا ه ودا ه لدا ه من قرن ط ركزا ه **التفسير** لما امر نبيه ﷺ وامته بالثبات ان يعبدوا الله ويصطبروا لعبادته كان لمنكر ان يعترض

بان هذه العبادات لا منفعة فيها فى الدنيا لانها مشقة ولا فى الاخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال

ويقول الانسان وهو للجنس لان هذا الاستغراب مركوز فى الطباع قبل النظر فى الدليل ولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده

الى بنى نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو ابو جهل او ابى بن خلف وقيل

بعض الجنس وهم الكفرة وانتصب اذا بفعل مضمر يدل عليه اخراج المذكور ولا نفسره لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز

الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التاكيد كما خلصت الهمزة فى يا الله للتعويض واضمحل

عنها معنى التعريف وما فى اذا للتوكيد ايضا وكانهم قالوا مستنكرين احقا انا سنخرج احياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج

من الارض او الخروج من حال الفناء او التدرج من قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا فى العلم فكانه قال على سبيل الهزء ساخرج حيا نادرا

وانما قدم الظرف واولى حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك للمسىء الى المحسن احين تمت

عليك نعمة فلان اسات اليه ثم رد عليه بقوله او لا يذكر الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر او لم يذكر النشاة الاولى قال سبحانه منبها على ذلك

يذكر وههنا اضمار تقديره ايقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله ان الواو عطفت لا يذكر على يقول فى قوله ويقول الانسان ووسطت همزة

الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على ان يحدثوا جزءا من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات

اصعب من تغير الذات فى اطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنه عمل لان الاول لم يستقر بعد فى خزانة خياله والثاني قد ارتسم واستقر وثبت

له مثال واحتذاء واذا كان حال من يتفاوت فى قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على مجرد تعلق الارادة الازلية به

وفى قوله ولم يك شيئا بحث قدم فى اول السورة مثله وحين نبه على النكتة الضرورية اكدها بالاقسام قائلا فوربك لنحشرنهم قال الاستاذ وهو

يفيد الاعراض عن قصته والشروع فى اخرى عقيبها والواو للقسم وفى القسم شرف المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه وفى اضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله

باجماع المفسرين تفخيم لشانه ورفع من مقداره والواو فى الشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كل كافر مقرون مع شيطان فى سلسلة واذا حشر

جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكرى البعث فقط فلا اشكال

وكذا فى قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا اى جاثين على الركب غير مشاة على اقدامهم لما يدهشهم من شدة الامر التى لا يطيقون معها القيام على الارجل او على

العادة المعهودة فى مواقف طالبات الملوك ومقاولاتهم ثم لننزعن لنميزن من كل شيعة طائفة شاعت اى تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره

فى الانعام ايهم اشد قرئ بالنصب وهو ظاهر واما المعتبرون على الضم فذهب سيبويه الى انها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين احدهما اعراب

اى مع ان من حق الموصول ان يبنى والاخر حذف المبتدا مع ان الاصل فيه ان يكون مذكورا والتقدير ايهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة ولكنها

لم تنصب على ان يكون مفعول لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية اى من كل شيعة مقول فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك اكلت من كل

طعام اى بعضا من كل ويجوز ان يقدر لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد قال سيبويه لو جاز اضرب ايهم افضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث اى الذى يقال

ولداة لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف

له الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصا البه في سعة الكلام ومذهب يونس في مثله ان الفعل الذي قبل اي معلق عن العمل ويجيز التعليق في غير افعال
القلوب ثم ان علقت قوله على الرحمن باشد كقولهم هو اشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان
المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه ان يؤتى به تبيانا للمحذوف فكانه سئل ان عتوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام في اولى بها صليا تعلق
والمجرور بافعل من غير تأويل او يصليا على التأويل صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق اخرا ولا انه عين من كل فرقة صنا انه هو اصل ثم
بين بقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا انه يطرحهم اي اهل الضلال البعيد في الترتيب يقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم ولا ريب ان الضال
المضل يكون اولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين في شدة العتو ويجوز ان يراد بالذين هم اولى المتبعين
كانهم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وانهم اولى بالصلي لكون دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير التفات او للانسان المذكور
فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان اريد الجنس كله لم يكن في قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان
المؤمنين كيف يردون النار واجيب بما روي عن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله ص عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه ع ايضا ان رسول الله ص قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا
دخلها فيكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن
عباس يردونها كانها اهالة ومنهم من لم يفسر الورود هيهنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله تع ولما ورد ماء
مدين ومعلوم ان موسى لم يدخل الماء ولكنه اقترب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود و
الحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده في الدنيا قال ع الحمى من فيح جهنم وفي رواية الحمى
حظ كل مؤمن من النار وان اريد بالناس او بالانسان الكفرة فلا اشكال في ورودهم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجي الذين اتقوا وجوابه ان المراد
ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لانهم يردونها ثم يتخلصون اسئلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند من فسر الورود بالدخول
زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون في خلالها مواضع خالية عن النار اشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك
المواضع والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير ولهذا لا يضر النار الملئكة الموكلين بالعذاب
ما الفائدة في ايراد المؤمنين النار اذا لم يتعذبوا بها فيه وجوه منها ان يزدادوا سرورا اذا رأوا الخلاص منها ومنها افتضاح الكافرين اذا اطلع
المؤمنون عليهم ومنها انهم يزيد التذاذهم بالجنة فبضدها تتبين الاشياء هل ثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها
قد ثبت ان المحاسبة يكون في الارض وفي موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء فالاجتماع يكون
في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على راي الفلاسفة الاسلاميين
ظاهر فالمحاسبة يكون في الارض ومرور الكل على كرة النار ثم يرفع اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله كان اي الورود
على ربك حتما اي محتوما مصدر بمعنى المفعول مقضيا قضي به وعزم ان لا يكون غيره وفي ذلك ان العبور من جميع الجوانب على كرة النار واجمعت المعتزلة
بذلك على ان العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة شبهه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد سبق ان المتقي عند المعتزلة من
يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالاية قاعدة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين واجيب بان تنجية المتقين
اعم من ان يكون الى الجنة او الى غيرها وهب ان تنجيتهم الى الجنة الا ان الذي طاعته ومعصيته سيان غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فبقي حكمه
مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله ونذر الظالمين ومنع من ان الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بايات الوعد لما رد على منكري
البعث ذكر كيفية الحشر قال اذا تتلى عليهم اياتنا الاية والمراد انهم عارضوا حجج الله بكلام اعوج فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم
في الدنيا الطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به ان يهين اولياءه ويعز اعداءه يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويطيبون
ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله عز وجل منهم فالجواب معنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات
المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات وبتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها
او حججا وبراهين وعلى التقادير يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا يكون الا هذه الاوصاف ومعنى للذين امنوا انهم يخاطبونهم بذلك
او يفوهون به لاجلهم وفي شانهم والمقام بالضم موضع الاقامة اي المنزل وبالفتح موضع القيام والندي المجلس ومجمع القوم حيث ينتدون وتولهم اي
الفريقين يعني المؤمنين بالايات والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم والمقصود تحقق او فرحا على ما يظهر منا في احوالنا قياما وقعودا
وحسن الحال في الدنيا دليل ظاهر على الفضل والفقر وضده امارة على النقص والصغار فاجابهم الله تع بقوله وكم اهلكنا اي كثيرا من المرات اهلكنا
قبلهم اهل عصر من بيان المهلك ويجوز ان يكون زائدة للتاكيد وكم استفهامية لتقرير التكثير او خبرية عند من يجوز زيادتها في الموجب وهم احسن في
محل النصب صفة لكم او الجر صفة قرن والاثاث متاع البيت وقد مر في النحل في قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري من همز جعله من
رايت وهو ما راته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمز فاما ان يكون على تخفيف الهمزة اي قلب الهمزة ياء وادغم او يكون من الري لانهم جلوتهم

ومنها ان المؤمنون يوبخون الكفار ويعيرون بذنبهم ثم يرفع الله عنهم ع

ريا اى منظرا وحسنا وقال الجار الله الرى هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمزة قبلها يا على القلب كقولهم راء فى رأى وقرئ بالزاى المنقوطة وتشديد
من الزى بالفتح وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة وفى الاية حذف والتقدير احسن من هؤلاء والحاصل انه تعم اهلك من كان اكثر وجها لا منهم وفى
ذلك دليل على فساد احد مقدمتيهم وهى ان كل من وجد الدنيا كان حبيب الله او على فساد المقدمة الاخرى وهى ان كل من كان حبيب الله فانه لا يوصل
اليه غما ثم بين ان مآل الضال الى الخزى والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر خرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال و
انه مفعول لا محالة لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او ليزدادوا اثما كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما او هو فى معنى الدعاء
بان يمهله الله عز وجل وينفس فى مدة حيوته والغاية اعنى الامرين المذكورين اما انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى اذا راوا الى اخره فقد
قال فى الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اى الفريقين الى اخره وما بينهما اعتراض قالوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما
يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى ان يشاهدوا الموعود رأى عين اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم با
بالقتل والاسر وتغير احوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيمة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالتهم حتى
مقالتهم الى ان يعاينوا عذاب الدنيا او الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا فى مقابلة قولهم خير مقاما واحسن
نديا لان مقامهم هو مكانهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر مكان فى الدنيا ومكان عذاب
النار شر مكان فى الاخرة ولا شك ايضا انه لو كان لهم فى لو فيين ناصر قوى لم يلحقهم من الخزى والنكال ما لحقهم وحين بين حال اهل الضلال اراد ان يبين حال
اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض الاهتداء يجرى الى البعض الاخر كالايمان يجرى الى الاخلاص فيه كما ان بعض الغوايه
يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو فى ويزيد للاستيناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى
فليمدد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر فى سورة الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون
بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هى اعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير يقتضى عنه اكون
مشاركا له فى اصل الخيرية ويكون هذا اخر منه فان قد يكون للشيئا فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة او كسائر الاعمال الصالحة عند من يعتبر
الباقيات بمعنى الاخص منها انها خير ثوابا وخير مردا اى مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم هل لهذا الامر مرد وان قد يكون للشيئا لا ثواب فيه ولا
خيرية كما زعم الله ان المراد هى خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ويكون وجه التفضيل فى الخير ما قيل فى قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره من الشتاء فى برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها
قائلا على سبيل التعجب افرايت كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وانما استعملوا ارايت بمعنى اخبر لان رؤية
الشئ من اسباب صحة الخبر عنه عن الحسن انها فى وليد بن المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته
وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فانى اوتى ما لا وولدا حينئذ من قرا
ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرا بالضم والسكون فاما جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب والعرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من
قولهم اطلع الجبل اى ارتقى الى اعلاه ولا خيار هذه الكلمة شان كانه قال وقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى عالم الغيب الذى تفرد به علام الغيوب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبى هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو به ذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة
كلا ردع وتنبيه على الخطاء فيما تصوره لنفسه وتمناه وفى قوله سنكتب بسين التسويف مع ان الحفظة يكتبون ما قاله فى الحال دليل على ان السين جرد هيهنا
لمعنى الوعيد او اراد سيظهر له ولنا الكتابة بالتعذيب والانتقام او يؤيده قوله ونمد له نطول له من العذاب ما يستاهله امثاله من المستهزئين او نزيده
من العذاب ونضاعف له من المدد مدة واحدة بمعنى ثم اكد المدد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب اعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله ونرثه
ما يقول اى نمنع عنه منتهى ما زعم انه ينال له فى الاخرة من المال والولد لانه تألى على الله فى قوله لاوتين ومن يتأل على الله يكذبه لان ذلك غاية
الجزاء ونهاية الاشعبية مما اشتهاه انا نرثه منه فى العاقبة ويأتينا فردا بلا مال ولا ولد هذا كلام صاحب الكشاف فى الوجهين مخبط فليتأمل
فيه وكذا فى قوله فردا على الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين ياتى ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك ان
الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول اما انفراده فيتحقق فى حالة الاتيان ويتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل فى الاتيان منفردا لا مدخل له فى
المقصود فلا ادرى ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا مفردا
عنه غير قائل له او اراد ان هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضربه وجهه فى الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا
من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه خطيات تبعة قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة
الاصنام فقال ولا غرضهم وذلك ان يتعززوا بالهتهم ويشفعوا ابشفاعتهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر عن مآل حالهم بقوله
سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملئكة كقوله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن او اما الاصنام فلا يبعد ان
ينطق الله الجماد بذلك كقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

مستغنيا عنه

والمراد هبنا اعطيناه مع

اما العجم

اما الضمير في يكونون فللمعبودين وقوله عليهم ضد العز الذي للهون كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويحتمل ان يراد بالضد العون لانه يضاد العدو ووحد لاتفاق
كلمتهم وفرط تضامنهم وتوافقهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ويحتمل كون الالهة اضدادا اي اعوانا عليهم وجوز ان تكون الواو للمشركين عذبوا بسبب عبادتها ويحتمل
ان يكون الضمير في يكونون للمشركين اي يكون المشركون كفرة بالهتهم واعداءها بعد ان كانوا يعبدونها وحيث بين مذاهب الفرق الضالة اراد ان يبين منشاها
فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا تزعجهم وتهيجهم قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات لان قول القائل ارسل فلانا على فلان انه سلطه عليه
ثم ارسل كالكلب عليه ويؤيده قوله تؤزهم اي تغريهم على المعاصي بحثهم عليها بالوسوسة والتسويلات وقالت المعتزلة المراد بهذا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اذا لم يمنع الرجل كلبه
من دخول بيت جاره وحاصل كلامهم ان ارسال الانبياء كارسال الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين لانه خص اولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا اقوال الانبياء ومنع عنهم
تلك الالطاف وهو المعني بالخذلان حتى قبلوا اقوال الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا للهلاك الكفار وعد نبيه على لا بالحق انه لا ينجى انا نسبنا الكل الى الله تعالى ثم فرع على الفريقين لفظ
قريب فلا تعجل عليهم بعاجلت عليه بكذا اذا استعجلت منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح انت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة قال ابن عباس نزلت في المستهزئين وهم خمسة رهط وعنه رضي الله عنه انه كان اذا قراها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك
وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد وما اشعر بعضهم ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس فكيف
وكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس ثم لما قرر امر الحشر وازاح شبه منكريه اراد ان يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال يوم نحشر وانتصابه بمضمر مقدم
او متاخر اي اذكر يوم كذا وكذا يفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز ان ينتصب بلا يملكون خص المتقون بالجمع الى محل كرامة الرحمن والوفد جمع وافد يقال وفد اذا
على الامير وفادة اي وردوا رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن علي رضي الله عنه ان النبي ثم قال ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سرجها
ياقوت وخص المجرمون بالسوق الى جهنم وردا اي واردا وهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كانهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال ابن عباس حقيقة
الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قال بعض العلماء في الاية دلالة على ان اهوال يوم القيمة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا
النوع من الكرامة فكيف ينالهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل ان يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة
زمرا وهذا بعد ما تشارك الفريقين فالامن الكلي فيما بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون ان يقول الينا
من وضع الظاهر موضع المضمر فيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه العجمة للتاويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم وفاعله
من اتخذ على البدلية لانه في معنى الجمع ويجوز ان يكون الواو علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز ان ينتصب من
اتخذ على الاستثناء او على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك
غيرهم ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل او بكلمة الشهادة وهذا الاول يناسب اصول المعتزلة والثاني يناسب اصول الاشاعرة وعن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني الى نفسي فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير
واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى
مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز ان يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له فيها
كقوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله ثم حين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا من اليهود
والنصارى والعرب منهم من خص الاية بالرد على العرب القائلين بان الملائكة بنات الله لان الرد على النصارى تقدم في قال الكافرون وفي قوله لقد جئتم التفات من
الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخط الله والاد الامر العجيب المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه ادت الناقة تؤد ادا رجعت الحنين في
جوفها ويتفطرن بالتخفيف اذا شق ومطاوعه انفطر وبالتشديد للتكثير ومطاوعه تفطر وفي هذا البناء كثرة وانتصب هدا على المصدر لان الخر في معناه واما
لانها تهد هدا او على الحال اي مهدودة او على العلة اي لانها تهد ومحل ان دعوا اما مجرور بدلا من الهاء في منه واما منصوب بنزع الخافض اي هذا لان دعوا علة
الخر وتعلق الهد بالدعاء واما مرفوع بانه فاعل هدا اي هدها الدعاء وخير الوجوه اوسطها كما مر في الوقوف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول
الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى ولدا له واما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعى له ولدا واما بمعنى النسبة
اي نسبوا الى الرحمن ولدا وما ينبغي لا يصح ولا يستقيم وهو في الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا ينبغي مطلوبا لانه محال اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها
واما التبني فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه عن استحقاق اسم الرحمن المختص بمن هو مصدر اصول
النعم وفروعها الحسية كما قيل ليكشف عن بصيرتك غطاؤه فانت جميع ما عندك عطاؤه وهذا من فوائد تكرير هذا الاسم في هذا المقام سؤال كيف تؤثر هذه الكلمة في الجمادات
حتى تتفطر وتنشق وتخر جوابه انه سبحانه كانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي او هو تصوير
لاثر هذه الكلمة في الكائنات اذ هذا الاعتقاد يوجب ان لا يكون هذه الاجرام على ما نرى من النظام وهو قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال ابو مسلم ان
هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل لكادت تفعل ذلك ثم بين ان العابد والمعبود في السموات او في الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا وفي الاخرة وانه
محيط بجمل احوالهم وتفاصيلها فقال ان كل ان نافية اي ليس فرد من افراد الخلائق الا اتي الرحمن الا وهو ملتجئ الى ربوبيته مقر بعبوديته ثم لما حاله ان لو منهم

بما لا مزيد عليه في باب الكرامة قائلا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اى سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسباب التودد كقرابة او اصطناع ونحو ذلك كما يقذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اما الآن فالسورة مكية وكان المؤمنون ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند ظهور الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال لمكتوب في التورية لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن ابي مسلم ان المراد سيهب لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير وانما صار الى هذا القول لان المسلم المتقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون اكثرهم وقد تحصل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرزوقين بميل الناس الى اختلاطهم وصحبتهم فكيف يكون جعل ذلك انعاما في حق المؤمنين وايضا ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله فحمل الكلام على اعطاء المنافع الاخروية اولى واجيب بان المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين ومثل هذه لا يحصل للكافر والفاسق وبانه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامهم في قلوبهم ثم عظم شان ما في هذه السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة قائلا فانما يسرناه كأنه قيل بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك سهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الالد الشديد الخصومة بالباطل كقوله في البقرة وهو الد الخصام يريد اهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية في الانذار ونهاية في التخويف لانبائه عن انقضاء القرون الخالية بالفناء او بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص يحس ولا صوت يسمع فيعلم منه ان حال الباقين ايضا كذلك فيجتهدوا في تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا هممهم الى ما هو بصدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفي وركز الرمح تغييب طرفه في الارض [illegible] التأويل ويقول النفس الانسانية لجهلها بالحقائق اذا ما مت عن الصفات البشرية لسوف اخرج حيا بالصفات الروحانية لنحشرنهم والشياطين فلكل شخص قرين من الشياطين لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو واردها وهي هاوية الهوى بقدم الطبيعة حتما مقضيا لان حكمته الازلية اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوي والسفلي ثم ننجي الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة الموصل الى الحقيقة آياتنا الحقائق والاسرار قال الذين كفروا ستروا الحق للذين آمنوا تحقيقا وايقانا وكم اهلكنا بحب الدنيا والاغراق في بحر الشهوات والاحراق بنار المناصب المرضيات اما العذاب وهو الموت على الانكار والغفلة واما الساعة وهي الاماتة عن الصفات البشرية عند تجلي صفات الشهود والمحبة فسيعلمون من حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقي من الايمان الى الايقان ومن الايقان الى العيان ان دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا ان الرحمانية امهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا فالالوهية مقتضية لاهلاكهم في الحال فكلهم آتيه يوم القيمة فردا عن مشيته وارادته بخلاف ما هم في الدنيا فانهم يظنون ان لهم ارادة واختيارا فانما يسرناه فيه انه لولا تيسير الله لما قدر على قلب النبي صلى الله عليه وسلم والا فكيف يسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقايق كلام الازلية غير المتناهية وكم اهلكنا في تيه الضلالة او تسمع لهم ركزا بالثناء الحسن عليهم والله اعلم

سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون كلمها الف وثلثمائة واحدى واربعون آياتها مائة وخمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى

القراآت طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرا ابو عمرو ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب في الكشاف ان ابا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء والآخرون بتفخيمهما الا لاهله امكثوا بضم الهاء وكذلك في القصص حمزة اني انا الله بفتح ياء المتكلم فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو لعلي آتيكم بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر غير ابن مجاهد على النار هدى ممالة علي ليث وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر والنجاري عن ورش وابي عمرو وعن ابراهيم حماد اني انا ربك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو ويزيد بكسر الهمزة وفتح الياء نافع الباقون بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل لذكري اني لي ربي عيني اخي اشدد بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن كثير فيهما بالفتح حفص المفضل والاعشى والبرجمي والاصبهاني عن ورش مخير اخي اشدد بفتح الياء موصولا ابن كثير عن ابن فليح وابو عمرو وقرا اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها على التكلم ابن عامر الباقون بضم الاول وفتح الثاني على الامر ابو عمرو غير شجاع

مثل

وكثير كثير

والامالة فيهما عن ورش وحمزة وخلف الوقف لاخرون بالهمز الوقوف طه كوفي ومن قال معناه يا رجل او يا طالب الحق يا هادي لم يقف لتشقى لا للاستثناء يخشى لا بناء
على ان تنزيلا بدل تذكرة العلى لا لان الرحمن مبتدا استوى الثرى واخفى الا هو لا الحسنى حديث موسى ه لتعلق اذ بالحديث ظرف للاتيان هدى يا موسى نعليك للابتداء
بان مع اتحاد القول طوى ط الا للمجرد لما يوحى فاعبدني للعطف لذكرى تسعى فتردى يا موسى عصاي ج لامكان ان يجعل ما بعده مستانفا اوخا الاولى
اخفيها واستنبط بناء على ان هي بمعنى هذه اخرى يا موسى تسعى ه ولا تخف للعطف الاولى اية اخرى لا لتعلق اللام الكبرى ج للابتداء والاستيناف بالامر على ان المقول مقصود
متصل طغى ه صدري لا امري ه لساني ه قولي ص لطول الكلام اهلي ه اخي ه لا لمن قرا اشدد بفتح الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح الياء فله الوصل ومن قرا اشدد بضم
الهمزة فله الجواز لاتساق الدعاء على الدعاء بلا عاطف ازري لا امري لا لتعلق كي كثيرا بصيرا يا موسى التفسير في طه قولان احدهما انه من حروف التهجي وقد سلف
في امثاله ما الذي يراد وههنا امور منها قول الثعلبي طا شجرة طوبى والهاء الهاوية وكانه اقسم بالجنة والنار ومنها ما روي عن جعفر الصادق انا الطاهر
اهل البيت والهاء هدايتهم وقيل اراد يا طاهرا من الذنوب يا هاديا الى علام الغيوب ومنها قول سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل الطاء
تسعة في الحساب والهاء خمسة ومعناه يا ايها البدر القول الثاني انها كلمة مفيدة ومعناها يا رجل روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة
ثم قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان اليونانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبي بلسان عك بن عدنان اخو معد هو اليوم في اليمن
المحشر واصله طاء امرا بالوطي فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روي ان النبي صلعم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطاء الارض بقدميه معا ويا كل ما روي
انه صلعم صلى بالليل حتى اسمعت قدماه اي تورمتا فقال له جبرئيل ابق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت طه ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب بفعلك
وبكثرة تعبك بالجبهة السهلة وعند الاكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وتحسرك على ان يؤمنوا او الشقاء مجيء بمعنى التعب منه المثل اشقى من رائض
مهر والتعب في قيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابائك فرد الله عليهم بان القران هو السبب في كل سعادة قال جار الله ان
جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فقوله ما انزلنا ابتداء الكلام وان جعلتها اسما للسورة فمبتدا وما بعده خبره وقد اقيم الظاهر وهو القران مقام الضمير
وان جعلتها قسما فما بعده جواب وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل والثاني جاز
قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن ان يحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء
المنقطع الذي بمعنى لكن وفي قوله لتشقى والا تذكرة وجه اخر وهو ما انزلنا عليك القران لتتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة اي ما انزلنا عليك
هذا المتعب الشاق الا لهذا الغرض كما يقول ما شافهناك بهذا الكلام لتتاذى الا ليعتبر بك غيرك فانتصب تذكرة على انه حال او مفعول له وان كانت حالا جاز
ان يكون تنزيلا بدلا منها واذا كانت مفعولا لاجلها لم يجز ان يكون تنزيلا بدلا منها لان الشيء لا يعلل بنفسه فالانزال لا يعلل بالتنزيل في الظاهر
ان ينتصب تنزيلا بمضمر اي نزل تنزيلا وما انزلنا الا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه او على المدح والاختصاص ويجيء مفعولا ليخشى اي انزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله
عز وجل اي لمن يؤول امره الى الخشية لانه هو المنتفع به ومعنى كون القران تذكرة انه صلعم كان يعظهم به وببيانه ومن خلق متعلق بتنزيلا فيكون الظرف لغوا ويكون صفة
له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا امور منها الافتنان في الكلام على عادتهم ومنها تتبع الصفات مع لفظ الغيبة ومنها
ان الاسناد اولا الى ضمير المتكلم المطاع في انزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل انزلنا حكاية كلام جبرئيل والملائكة النازلين والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وفي وصف
السموات بها دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ويحصل منه تعظيم شان القران بالضرورة فعلى قدر المرسل يكون حال الرسالة
قول الحكماء عقول الرجال تحت اسنان اقلامهم وارتفع الرحمن على المدح اي هو الرحمن او هو مبتدا مشار بلامه الى من خلق والبحث في الاستواء على العرش من جانبي المشبهة والمعطلة
قد مر مشبعا في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وفي الاعراف في قوله ان ربكم الله الذي خلق الاية ولا حاجة الى الاعادة ثم اكد كمال ملكه وملكه بقوله له ما في السموات
الاية عن محمد بن كعب ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وقيل الثور او الحوت والتحقيق ان الثرى هو التراب الندي
وهو ما جاوز البحر من جرم الارض فالذي تحته هو ما بقي من جرم الارض الى المركز فيحتمل ان يكون هناك اشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب ان
الكل لله سبحانه ثم بين كمال علمه بقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى فالسر ما اسره الى غيره واخفى من ذلك ما اخطرته ببالك او السر ما فعلته واخفى منه ما ستسره وقيل اخفى
فعل ماض اي يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو قلت هذا المعنى صحيح ولكن تعجيم الاشياء لا يعزب عنه شيء ولا يحيط بشيء من الاشياء فلا يطلع على غيوبه احد الا
اللفظ يحصل منه ركاكة اذا حمل على هذا التفسير فلهذا قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط اجيب بان معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم
انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك واما ان يكون تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر كان يقصد به تصوير النفس
الاية زجر للمكلف عن القبائح ظاهرة كانت او باطنة وترغيب في الطاعات ظاهرة وباطنة وقد شرحنا شيئا من حقيقة علمه تعالى في تفسير قوله وعلم ادم الاسماء كلها وفي غيره
من المواضع المناسبة فلنقتصر الان على ذلك ثم ذكر انه موصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة دون غيره واعلم ان مراتب التوحيد
اربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تاكيد ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يدور في خلده سوى الاحد الصمد الاول بدون الثاني نفاق
والثاني بدون الاول غير مفيد لانه يجعل مهملا كما اذا نظر وعرف ولم يقر وما روي ان ملك الموت مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى اذا راه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه
ذلك وما روي انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان والاقرار بدون الثالث ايمان المقلد وفيه خلاف مشهور والاصح انه مقبول واما المقام الرابع
فهو مقام الصديقين والمخلصين من عباد الله وبه يقع التفريق ونقص التبلد ... الحقيقة والبقاء به قال النحويون لا اله الا الله تقديره

منتسب الى بلد او قبيلة فانه يبالغ في مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف ان يذكره بالاسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره الهنا حسن الاسم
ودليل حسن المسمى يدل على انه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الاحسان كما قيل بالحسن الوجه توقعا الحسنا لا تجعلن الزين بالشين فيا حسن الاسماء والصفات الاثر دفعا عن غوث وحسن المبتغى
احسانك بحر بين ذكر ان صيادا اصطاد سمكة وكانت له بنت فاخذتها والقتها في البحر فقالت انها ما وقعت في الشبكة الا لغفلتها الهنا تلك المرأة رحمتها بسبب غفلتها
ونحن قد اصطادنا ابليس اخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا الى بحر رحمتك يا ارحم الراحمين عن محمد بن كعب القرظي ان موسى ع قال يا رب اي خلقك اكرم عليك قال الذي لا يزال
لسانه رطبا من ذكري قال اي خلقك اعلم قال الذي يلتمس علما الى علمه قال فاي خلقك اعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال فاي خلقك اعظم جرما قال الذي
يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا انا لا نتهمك فانا نعلم ان كلما احسنت فهو فضل وكلما لا تفعله بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء اعمالنا
وعن الحسن انه اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من اهل الكرم اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال اين الذين لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي اين الحمادون لله على كل حال ثم يكون التبعة والحساب على من بقي الهنا نحن حمدناك واثنينا عليك بقدر قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك
وحسن امتنانك وحين عظم شأن القرآن وبين حال الرسول صلعم فيما كلف من اعباء الرسالة قفاه بقصة موسى تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبي معنى وهل أتاك
لم يأتك الى الآن وقد أتاك الآن فتنبه له ويقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا ليتطلع السامع لما يخبر به وعن مقاتل والضحاك عن ابن عباس ان المراد انه تقرر
في قلبي قد اتاك ذلك في الزمان المتقدم واذ ظرف الحديث لانه حدث او المراد اذكر وقت كذا ومظروفه محذوف اي حين راى نارا كان كيت وكيت قال اهل التفسير استأذن
موسى شعيبا ع في الخروج الى امه وخرج باهله وولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء
عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدي ظن انها من نيران الرعاة وقال الآخرون انه راها في شجرة واختلفوا
في ان الذي رآه كان نارا ام لا فالاول هو الصحيح انه كان نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء ويمكن ان يقال اطلاق اللفظ على ما يشبهه مما لم يكذب
قيل النار اربعة اقسام نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تأكل وتشرب هي نار المعدة ونار
لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى ع وبعبارة اخرى نور بلا حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الاشجار
فقال لاهله امكثوا الضمير للاهل لان الاهل جمع هم المرأة والخادم والولد يجوز ان يخاطب المرأة وحدها ولكن اخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وايضا فقد يخاطب
الواحد بلفظ الجماعة تفخيما اي اقيموا في مكانكم فقد آنست نارا اي ابصرت ابصارا لا شبهة فيه وابصارا يؤنس به والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك انسان
العين لانه يظهر الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الانس ضد الوحشة لظهور المطلوب هو لما نوسي قال جار الله لما وجد الايناس
مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم قائلا لعلي اتيكم قال المحققون فيه ان
على ابراهيم لم يكذب بالتبيين لان موسى قبل نبوته احترز عن الكذب المظنون فلم يقل اتيكم لئلا يعد ما لا يتيقن الوفاء به فابراهيم هو ابو الانبياء اولى بالاحتراز عن الكذب
الصريح والقبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة ونحوهما وهدى على حذف المضاف اي ذا هدى او اذا وجد الهدى فقد وجد الهادي والظاهر انه اراد قوما يهدونه الى
الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما ينعتونني جنابهم في ابواب الدين وذلك ان همم الابرار معقودة في جميع احوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء على
النار وهو مفعول ثان لاجد او حال من هدى وذلك ان اهل النار يشتغلون المكان القريب منها او المصطلون بها تكنفوها قياما وقعودا فهم مشرفون عليها اذا كان النار
مستوين فلما اتاها اي النار قال ابن عباس اي شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت
فالقيت عليه السكينة ثم نودي كانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى انها نار وقدت فاخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتأخر عنها
وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن اسرع من خمودها فكانها لم تكن ثم رمى موسى نظره الى فرعها فاذا خضرة ساطعة في السماء واذا نور بين السماء والارض
له شعاع تكل عنه الابصار فلما راى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودي يا موسى قرأ ابن كثير وابو عمرو بالفتح فتقديره نودي باني ومن قرأ بالكسر فلان النداء في معنى القول او لان التقدير فقيل
يا موسى وتكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي كأن كل جارحة مني صارت اذنا وقيل لعله سمع النداء من جماد كالحصى
والشجرة فيكون معجزا او ايضا انه راى النار في الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة فعرف انه لا يقدر عليه الا الله وجوز الاشاعرة
ان يكون قد خلق الله تعالى علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوه وقالوا لو حصل العلم الضروري بان ذلك المتكلم هو الله لاستلزم العلم الضروري بوجود الصانع لاستحالة
ان يكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلوما بالاستدلال ولو حصل العلم الضروري بوجود الصانع لنافى التكليف بالاتفاق ثم لم يخرج موسى عن التكليف قال الفاضل ان كانت
النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام في حصول هذه الخوارق والا وجب ان تكون المعجزات لغيره من الانبياء في زمانه كشعيب فالاول هذا اولى لان قوله وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى دليل على انه اول ما يوحي اليه وعند اهل السنة الارهاص جائز فلم يحمل تلك الخوارق على غيره وعندهم ان الله تعالى اسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا
صوت والمعتزلة انكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة وهو حادث وعلى ذلك اهل السنة ما وراء النهر اثبتوا الكلام القديم الا انهم
زعموا ان الذي سمعه موسى صوت خلقه الله في الشجرة لانه تعالى رتب النداء على انه اتى النار والمرتب على الحادث حادث ومثله استدلال المعتزلة بقوله فاخلع نعليك على ان
كلامه تعالى ليس بقديم لان الامر والمأمور معدوم سفه فلابد ان يكون هذا الامر عند مجيء موسى فيكون محدثا واجابت الاشاعرة بان كلامه الازلي امر الانهي ولو
فامره بالازل مستمر الى ان صار الشخص مأمورا من غير تغير في امر كالقدرة الازلية يتعلق بالمقدورات الحادثة واما الحكمة في الامر بخلع النعلين قال المفسرون انهما

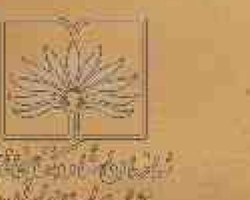


الاول لا يكره الا اذا كان عن جلد غير مدبوغ وقد صلى النبي صلعم في نعليه ثم خلعهما في الصلوة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال لهم ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال
فان جبرئيل اخبرني ان فيهما قذرا ثم روي ان موسى خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي قال الجوهري طوى بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله
اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشيء المثنى اي طوى مرتين اي قدس مرتين قال الحسن بثنت فيه البركة والتقديس
مرتين ويحتمل انه نودي نداءين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه الطي وعن ابن عباس انه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالواد المقدس الذي طويته هبتوه م
طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه وانا اخترتك اصطفيتك قيل فيه دلالة على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله تعالى وفي هذه
الاخبار غاية اللطف والرحمة ولكن في قوله فاستمع نهاية الجلال ففي الاول رجاء وفي الثاني خوف كانه قال لقد جاءك امر عظيم فتاهب له واجعل جميع والمهيبه م
همتك مصروفة اليه لما يوحى اي للذي يوحى او للوحي متعلق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا ورتب عليه فاعبدني ليعلم ان عبادته
انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز
لانه امره بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وايضا قال واقم الصلوة ولم يبين هيئاتها اجاب القاضي عن هذا الاخير بانه لا يمتنع ان موسى عم قد عرف الصلوة
التي تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب على البيان
اولى قال القاضي وقد بين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر ورد بان البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية ولقائل ان
يقول سلمنا ان المبين اكثر فائدة للمخاطب ولكن لا نسلم ان حكاية المبين اولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغرض [illegible] بعض هيئات ذلك التكليف مسوقا
وان كان اصله باقيا وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت او هي للتعليل والذكر اما بالبيان او هو ضد النسيان وياء المتكلم فاعل في الاصل
او مفعول وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف ام لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فيها ان اللام للتعليل والياء منصوب اي لتذكرني فان ذكري
ان اعبد ويصلى لي او اراد لتذكرني في الصلوة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد الفرق ان اطلاق الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية
وفي الثاني مجاز او نقول في الاول نفس الصلوة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر او اراد لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف اي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها ان الياء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء
واجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة ومنها ان يحمل الذكر على ضد النسيان
اي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطبا اللسان في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله او اراد لذكر الصلوة بعد نسيانها وكان نحو العبادة ان يقال لذكرها كقوله صلعم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ومنهم من حمل المضاف محذوف
اي لذكر صلوتي او ذكر الصلوة وهو ذكر الله فالياء في الاصل منصوب او الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعي من فاتته صلوة
يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان
بدأ بصلوة الوقت جاز واذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلوة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلوة الوقت اتمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة
الوقت بعدها وقال ابو حنيفة يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر في خلال صلوة الوقت بطلت الا ان يكون الوقت ضيقا فلا
يبطل حجة الشافعي ما روي في خبر قتادة انهم ناموا عن صلوة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فامرهم النبي صلعم ان يقودوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان
وقتا للانتباه متعينا للصلوة لما فعل كذلك فعلم انه وقت لتقرير الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة ابي حنيفة قوله تعالى اقم الصلوة لذكري
وقوله صلعم فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر ان عمر جاء الى النبي صلعم يوم الخندق يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله صلعم ما صليت صلوة العصر حتى
كادت تغيب الشمس فقال النبي صلعم وانا والله ما صليتها بعد قال فنزل الى البطحاء وصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها واما القياس
فهما صلوتان مفروضتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلوتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون كذلك حكم الفوائت بقوله م
فيما دون اليوم والليلة اما اذا دخل في حد الكثرة فيسقط هذا الترتيب لما امر موسى بالعبادة عامة وبالصلوة التي هي افضلها خاصة علل ذلك ٥٠
بقوله ان الساعة اتية مثل كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله اكاد اخفيها يكون معناه لا اخفيها وهو باطل كقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله لتجزى كل نفس
انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيمة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية
والجواب لا نسلم ان كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بانها اتية وان كان وقتها غير معين
كانه قال اكاد لا اقول هي اتية لارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعيينه وقتها من اللطف لما اخبرت به وبالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال
اراد اكاد اخفيها من نفسي اي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها عني وانكروا ذلك بانهم وجدوه في مصحف ابي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المخاطبة
اذا بالغوا في كتمان الشيء قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب وقيل اراد اكاد اخفيها من الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو قريب قاله الحسن وعن ابي مسلم
ان كاد بمعنى اريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقيل اكاد صلة والمعنى ان الساعة اتية اخفيها وقال ابو الفتح
الموصلي الهمزة للازالة اي اكاد ازيل خفاءها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ما روي عن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا اظهره
وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا او باتية فلولا القيمة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء فكان ذلك خلاف قضية العدل له والحكمة واحتج المعتزلة بالاية

ظاهر لانه قال بما تسعى اى بسعيها فلو لم يكن اعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن للباء السببية معنى والجواب ان
لعبادة الوسط لا ينافى انتهاء الكل الى الله واستناد الجزاء الى عناية الازلية التى لا علة لها ومعنى الفاء فى فلا يصدنك انه اذا وضح عندك انى اخبرتك بانها آتية
الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذى يصد عن التصديق بالساعة لان قوله ناش عن الهوى واتباعه وجوز ابو مسلم ان يكون الضمير فى عنها للصلوة والجزاء
تذكر شيئين ثم ترمى بضمير هما الى السامع اعتمادا على انه يكلمه بما يليق الى ما هو لهو وزيف بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا واما الخطاب
فالظاهر انه لموسى لان الكلام معه وجوز بعضهم ان يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم والمقصود الامة والنهى عن الصد فى الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهى
عن التكذيب او الوجه فيه ان صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب او صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى الدين ولين شكيمته
فذكر المسبب ليدل على المسبب كانه قيل كن فى الدين صلبا حتى لا يطمع فى اغوائك الكافر والذى دعا الى هذا النهى البالغ فى معناه هو ان فى التعليل
المجاهدة كثرة منزلة قدم فعلى المرء ان يكون مع المحققين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوى عن التقليد وانذار
بان الردى والهلاك مع اتباع الهوى وههنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه ودفع القاطع بشبهة الضد
الى الكافر بالبعث دليل على ان القبائح انما تصدر عن العباد عوض العلم والداعى كما مر مرارا قال اهل التحقيق قوله ولا لموسى اخلع نعليك اشارة الى
التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغى تحصيله واصول ذلك ترجع الى علم المبدا وهو قوله انى انا الله والى
علم الوسط وهو قوله فاعبدنى وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكرى وهو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة
آتية وايضا انه افتتح الخطاب بقوله انا اخترتك وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى آخره وهو تنبيها على ان رحمته سبقت غضبه وان يكون العبد لا بد
ان يكون سلوكه على قدمى الرجاء والخوف قوله وما تلك مبتدا وخبر وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة او الاستفهام وجوز الكوفيون ان يكون تلك
اسما موصولا صلته بيمينك اى ما التى بيمينك قيل لم يقل ما بيدك لانه يحتمل ان يكون فى يساره خاتم او شئ آخر وكان يلتبس عليه الجواب ثم سؤاله ما الفائدة فى
هذا السؤال اجيب بان الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشئ الحقير كقطعة من حديد شيئا شريفا كاللبوس المسرد عرضه على الحاضرين ويقول ما هذا
حتى انه بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويحقق الحق وهذا من ذلك القبيل فكانه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما فى يمينك وانه خشبة يابسة
حتى اذا قلبها ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة قال اهل الخطاب انه سبحانه لما اطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء واسمعه
تسبيح الملائكة ثم اسمعه كلام نفسه تعالى ممازحا باللطف والقهر اراد ان يبين عجز موسى ودهشه وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك يا موسى ليرد
موسى الى نفسه فيعرف ان فى يمينه العصا وايضا لما تكلم معه بكلام الالهية وتهيب موسى ان يدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة لا لان
عنده ما يقع منه الغلط كما ان السائل لا يخفى عليه الغلط نظيره حال المؤمن فى القبر يغلب الوجل والخجل والحياء فيسأل عن امر لا يشك فيه فى الدنيا وهو التوحيد
دفعا للايحاش وجلبا للاستيناس ايضا لما عرف موسى كمال الالهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر بعضها فعرفه الحق تعالى ان فيها منافع اجل
مما ذكر تنبيها على ان عقول البشرية قاصرة عن معرفة صفات الامور لولا التوفيق والارشاد ثم خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا عليه السلام بواسطة جبرئيل فلزم ان يكون
موسى افضل جواب المنع بدليل فاوحى الى عبده ما اوحى وبان الافضلية انما تكلم مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد صلى الله عليه وسلم لم يدنا هل له سر او ايضا حصل لامته
فى الدنيا شرف التكليم المتصل بالتناجى بحروف الآخرة شرف التكليم للتسليم سلام قولا من رب رحيم بلسان ومتى كان عند استغراقه فى بحر المحبة متعلقا بالنعمة
وبمنافعها ادب معه لم يلتفت الى الكونين حين عرضا عليه ما زاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار وهذا امر زائد والثناء منه على قوله انك
انت على نفسك وفيها نكرما انه سبحانه لما ذكر العصا والبد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى حصل فى كل منهما برهان باهر ومعجز باهر فاحد هما هو
الجماد جوانا والآخر هو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاى عجب ان ينقلب قلبه الجامد الميت حيا مستنيرا
ومنها ان العصا صارت بيمين موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذى هو بين اصبعين من اصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت
سحر السحرة كلهم فغلب المؤمن اولى ان يصير بمد نظر الرب فى كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى عليه السلام بقوله هى عصاى الا انه زاد على ذلك بقوله
لانه كان يحب المكالمة كان المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كانه سئل ما تصنع بها
فاخذ فى ذكر منافعها وقيل خاف ان ينكر عليه استصحاب العصا كالنعلين ومعنى اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع عند الطفرة واذا ركبت
يدركالوسيلة الى ذلك واهش بها اى اخبط الورق بها على رؤس غنمى ليأكله والتركيب يدل على الرخاوة واللين ومنه رجل هش الكسر اى سهل الشأن فيما يطلب
من الحوائج وهو مدح وهش الخبز هش بالكسر اذا كان يتكسر لرخاوته قال المحققون ان موسى عليه السلام كان يتوكأ على العصا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا
معاملة حسبنا الله ونعم الوكيل فورد فى حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اى حسبك وحسب من اتبعك وابتدأ موسى بمصالح نفسه فى قوله اتوكأ عليها
ثم بمصالح رعيته بقوله واهش بها على غنمى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل فى الدنيا الا باصلاح امر امته ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون لا جرم موعود
موسى يوم القيمة نفسى نفسى ومحمد يقول امتى امتى ثم قال ولى فيها مآرب اخرى جمع مأربة بضم الراء الحاجة وقد يفتح الراء وحكى ابن الاعرابى وقطرب بكسر الراء ايضا ومثله
الادب بتخفيف والادبة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال اخرى لان المآرب فى معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن آياتنا الكبرى قالوا انما اجمل موسى رعاية للادب
المآرب تطويلا كما للمؤدى قالوا انقطع بالهيبة كلامه فاجمل فى المآرب وقيل كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار

الغاها

الفها على غا تقتعلق بها اداوته من العوسج الكنانة والجانب عرضها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا
قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عم كان احس بانه تعالى انما سأله عن امر العصا لمنافع عظيمة فقال ما هذه العصا الا كغيرها لكنه
لما سألتني عنها وكلمتني بسببها عرفت ان لي فيها مآرب اخرى وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين
بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها ازواده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب
وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فذاك
وان كانت قبلها ففي صحة الرواية بعد الا ان كان لاثبات تقدمها عند تعدد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص او من معجزات شعيب وهي انه كان
قد اعطاها اياه قال اهل النكت ان موسى لما قال ولي فيها مآرب اخرى لا تنطق بها فقال القها يا موسى بوجه آخر كان في رجلي شيء وهو النعل وفي يدي شيء وهو العصا
والرجل للهرب واليد للطلب فامر بتركهما تنبيها على ان السالك ما دام في مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه طالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق
في بحر العرفان وفيه ان موسى عم مع جلالة منصبه وعلو شانه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل والقى العصا فانت مع الف قنطار من المعاصي كيف
يمكنك الوصول الى جنابه قال الكعبي الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما ان توجد والعصا في يده فذاك قولنا او توجد وهي خارجة عن يده وذلك تكليف
بان يلقي من يده ما ليس في يده ويمكن ان يجاب بان القدرة مع القاء العصا فاذا هي حية تسعى وفي موضع آخر فاذا هي ثعبان وفي آخر كانها جان عبارات عنه مع تعدد
لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان فهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف في الظاهر لا في التحقيق لانها حين انقلابها
كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم تتورم وتتزايد جرمها حتى يصير ثعبانا آخر الحال او انها كانت في شخص ثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعي
وهو المشي بسرعة وخفة حركة والعجب ان موسى قال اتوكؤ عليها فضل الله تعالى في ذلك فجعلها متكأ له بان كانت اعظم معجزاته وانما قلبها حية في ذلك الوقت ليكون
معجزة لموسى عم يعرف بها نبوة نفسه فان النداء والنور والكلام لم يكن في ظهور الدلالة كذلك ولان تتالي المعجزات كتتابع الخلع والتكرمات ولانه عرضها عليه
ليشاهدها ويوطن نفسه عليها لا يخافها عند فرعون فلولا سبق التجربة لعله العدو بين المنافي في صور المثالب فكيف اذا وجد مجال الطعن ومقدح وقد مر في الاعراف ان
كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا فلما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال حتى ذهل عن
نفسه ولو انه بلغ مقام ففروا الى الله لم يفر عن شيء ولعله لما حصل له مقام المكالمة بقي في قلبه عجب فازاله الله تعالى انه بعد في مقام نقص الامكاني ولم يفارق
عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده فقد روي انه قيل له ادبر لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها قال الشيخ
ابو القاسم الانصاري ذلك الخوف من اقوى الدلائل على صدقه في النبوة لان الساحر يعلم ان الذي اتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم خافها لانه
عرف ما لقي آدم منها قلت يحتمل ان يكون خوف موسى وهربه اياها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله سنعيدها سيرتها الاولى قال جار الله السيرة
من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي في
طريقتها الاولى فالها كانت عصا او يكون اعاد منقولا بالهمزة من عاده بنزع الخافض يعني عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او يكون المراد بالاعادة الانشاء
ونصب سيرتها بفعل مضمر في موضع الحال اي سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها ثم قوى عليه بمعجزة ثانية
فقال واضمم يدك الى جناحك يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين
لانه يجنحهما عند الطيران اي يميلهما فقيل المراد الابط تحت العضد بدليل قوله تخرج وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بانه لا يطابق قوله تخرج قلت لا شك
ان الصدر مستور بالقميص فيظهر عند ذلك معنى الخروج ويفسره قوله في موضع آخر وادخل يدك في جيبك والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكنى به عن البرص كما كنى
عن العورة بالسوءة والبرص ابغض شيء عند العرب بحيث تمجه اسماعهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها تبرق كشعاع الشمس قال في الكشاف من غير سوء
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعل المراد ان من للتعليل اي ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب عزه وحكمته وآية حال
اخرى معا او متداخلتان ويحتمل ان ينتصب بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ ودونك ونحو قوله لنريك من آياتنا فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندي ان يتعلق
بالاضمار المذكور من اي القها واضمم لنريك قال الحسن اليد اعظم في الاعجاز من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بانه ليس في اليد الا تغير اللون واما في
العصا تغير اللون والزيادة في الحجم وخلق الحياة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى ويجوز في الكشاف ان يكون المراد
لنريك بهما الكبرى من آياتنا ويرد عليه لزوم ان يكون الآيات الكبرى محصورة فيهما وليس كذلك فان معجزات نبينا محمد صلعم اكبر من الكل وكفاك بالقرآن شاهدا على
ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال اذهب الى فرعون وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة في ذلك فقال انه طغى وعن وهب ان الله تعالى قال لموسى اسمع
كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف
من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرفني واقسم بعزتي لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة
جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا وان ناصيته بيدي لا تطرف
ولا تتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري قال علماء
المعاني ولا يقولون ليقال اشرح لي ويسر لي يعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم يبين ورفع الابهام بذكر الصدر والامر كان آكد من جهة الاجمال ثم التفصيل كان



صدره وسع وضيق كما جاء في موضع آخر ويضيق صدري فسأل الله ان يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما انزل عليه من الوحي وقيل اراد بشجعني على مخاطبة فرعون
وعلى تحمل اعباء الرسالة واعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق منا في البقرة في تفسير قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني فاني
قريب لنذكر ههنا نكتة شريفة الاولى انه تعالى كامل في الازل فلا يتكمل وذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم عدد مفصل الحركات اهل الجنة لان كل ما هو مفصل عدد فهو
متناه وحركات اهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا النقص في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول وما كان الغرض من التكوين تكميل الناقص ذكر
الوجود اولا صفة من صفات الكمال الجلي لله سبحانه على هذه المائدة بعض المحدثات لانه لو اجلس الكل عليها لدخل في الوجود ما لا نهاية له ولا تتناهى الافراد
اللانهاية لامتناع تحقق الموجود وكما ان رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات دون بعض حتى صار ذلك البعض حساساً مدركاً للمنافي والملائم للذات
والآلام والخير والشر فقال الاحياء عند ذلك يا رب الارباب شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحيوة ولكن ازدادت حاجتنا لانا حال العدم وحال الجمادية ما كنا نحتاج
الى الملائم والموافق وما كنا نخاف المنافي والموذي والآن احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد في
الطريق عرضة للآفات وهدفاً لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص
بعض الموجودات بالحيوة فقال القادرون عند ذلك الهنا الجود الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا تكون الا للبهائم المسخرة في حمل الاثقال فافض علينا
من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك فاعطى بعضهم العقل فحصل لهم نور البصيرة وجوهر الهداية حتى صار مسلّماً ان خاتم النبيين كان افضل
المخلوقات فنظر العقل في نفسه فرأى نفسه كالحقة المملوة من الجواهر بل كسماء مزينة بالزواهر هي العلوم الضرورية البديهية المركوزة في بداية العقول وبدايع
الاذهان هنالك بها السائرون في ظلمات بر الشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الارقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فغلبته دهشة الالهية
لا ... وكاد يغرق في بحر الفكر ويضيق صدره لكثرة نطاق التأمل والتدبر ويقع في تجاذب ايدي الاعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فانتهاء جميع الحوادث اليك بتيسير الامور الكلية والجزئية من عندك هو الذي يعطي القابل قابليته والفاعل فاعليته الثانية انه تعالى
خاطبه ولامها التوحيد اعني انا الله لا اله الا انا وثانيها بالعبادة فاعبدني وثالثها معرفة المعاد ان الساعة آتية ورابعها تعليم رمز الحكمة في جملة ما تلك
بيمينك يا موسى وخامسها عرض المعجزات الباهرة عليه لنريك من آياتنا الكبرى وسادسها ارساله الى اعظم الناس كفراً وكانت هذه التكاليف الشاقة سبباً
لضيق العطن واحلال عقدة الصبر فلا جرم تضرع الى الله سبحانه قائلاً رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وههنا دقيقة هي ان شرح الصدر مقدمة
لسطوع الانوار الالهية في القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما اعطى موسى المقدمة فاستمع سبح موسى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لي صدري ولما
انتهى الامر الى محمد وكان خاتم النبيين ومقصود الكائنات خاطبه بقوله الم نشرح لك صدرك او في النجم فقيل له وقل رب زدني علما ووصف
بقوله سراجا منيرا فشرح الصدر هو ان يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين
الآخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد الثالثة انه تعالى ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنور احدها وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض
وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب اتبعوا النور الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفؤوا نور الله وخامسها
عدل الله واشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر فيهن نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا انزلنا التورية فيها هدى
ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فكان موسى قال اولا رب اشرح لي صدري بمعرفة انوار جلال
كبريائك وثانيا رب اشرح صدري بالتخلق باخلاق رسلك وانبيائك وثالثا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال امرك ونهيك ورابعا
رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بالهيتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا رب
اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى انوار جلالك وعزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لي صدري
عن مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع آياتك ومعاقد بيناتك
في رياض جنانك وتاسعا رب اشرح لي صدري في ان اكون خلف صدق انبيائك وعاشرا رب اشرح لي صدري بان يجعل سراج الايمان كالمشكوة التي
فيها المصباح الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج محتاج الى سبعة اشياء زند وحجر
وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى
ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وانيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن
الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا اصلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لي
صدري فهنالك تسمع قد اوتيت سؤلك يا موسى الخامسة هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية لوجوه احدها الشمس يحجبها
الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الليل للعاشقين ستر يا ليت اوقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى
وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى اصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر
انكسفت وشمس التوحيد وهي اشهد ان لا اله الا الله اذا لم يقرن بقمر النبوة وهي اشهد ان محمدا رسول الله لم يصل نورها الى عالم الجوارح ومسها

الا انه صفة الاتقان او التكميل مع جعل النقص علامة ... الازل

والمخالف

وان كانت العقول عاجزة عن ... الفطانين ... في الاوقات ... الغافلين

المعرفة

الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجه يوم تبيض وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق جز يا مؤمن فقد اطفا نورك
لهبي وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وتاسعها الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء وعاشرها الشمس فوقانية في الضوء تحتانية
في المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه ان الحشر مع التربع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف احوال الخلق والمعرفة
يصل القلب الى نور الشمس يقع على الولي والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولي فلما كان شرح الصدر الذي هو اول مراتب الروحانيات اشرف
من اعلى مراتب الجسمانيات بدا موسى بطلبه فقال رب اشرح لي صدري الثاني الشمس سراج اوقدها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج اوقدها
للبقاء يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت والذي خلق للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق فكيف يجد الشيطان رصدا والذي خلق للبقاء كيف يقرب منه
الشيطان رب اشرح لي صدري وايضا الشمس في السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك اولى ان تزيل
ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان
افلا يتعهده وهو معنى قوله رب اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانه سبحانه قد اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب
الشيطان منه رب اشرح لي صدري وايضا المجوس اذا اوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا اوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى باطفائها
رب اشرح لي صدري الثالث انه سبحانه اعطى قلب المؤمن تسع كرامات احدها او من كان ميتا فاحييناه وقال ثم من احيوا ارضا ميتة فهو له فهو سبحانه احيا
ارض القلب فحياها بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب ثانيها الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين ونبه انه اذا وضع الشفاء في العسل بقيت تلك الخاصية فيه
ابدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى ابدا وثالثها الطهارة اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ونبه ان الصائغ اذا امتحن الذهب مرة فبعد ذلك
لا يدخله في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعد ذلك ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه ونبه ان الرسول هدى نفسك الى
الجنة روحك الى المولى هدى قلبك الاول قد يحصل وقد لا يحصل انك لا تهدي من احببت وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما هداية القلب
فلا تزول لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة اولئك كتب في قلوبهم الايمان ونبه ان القرطاس اذا كتب
عليه القران لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي عليه القران وجميع احكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وايضا فيبقى الخادم في اكرم قرطاس فيه اسم
الله تعالى فنال السعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله اولى وايضا انك لو القيت القرطاس الذي كتب فيه اسم الله الاعظم في قذر لاتهمت بالكفر والحاضر
مسرفا فالقلب الذي فيه اكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث ان يمسه وسادسها هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وقيل ان ابا بكر لما نزلت
عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا بد ان يقول له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ونبه ان الدهقان اذا القى في الارض حبة فهو لا
يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين القى حبة المحبة في ارض القلب كيف يحرقها وثامنها والف بين قلوبكم ونبه ان محمدا حين الف بين قلوب اصحابه ما تركهم غيبة ولا
حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرم الاكرمين وارحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها الطمانينة الا بذكر الله تطمئن
القلوب ونبه ان الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي للمهمات لا يكون الا من له كمال غير متناه فلا
يزيل قلق الحوائج واضطراب القلب الا الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات وردت في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم في قلوبهم مرض فقلوبهم
قاسية انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ختم الله على قلوبهم ام على قلوب اقفالها كلا بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والهرب من اضدادها
قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري تنبيه في حقيقة شرح الصدر وذلك انه لا ينبغي للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب
بالاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بان يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا
توزعت على جهات كثيرة ضعف الكل وضاعت فاذا انصب الكل في موضع واحد ظهر اثرها وقويت فائدتها فسال موسى ربه ان يوقفه على مقامات الدنيا
ودفع صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لي صدري او نقول انه كلف بضبط الوحي في
قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله فاعبدني فكان مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى احدهما يمنع من الاشتغال بالاخر
فسال موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لي صدري او نقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من زوجة وولد وصديق
والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من دخول نور شمس القلب في فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى صار العرش الخلق وعلم فناءهم الدار
صغر في عينه كالذباب والبق والبعوضة فلا يدعوه رغبة الى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند
ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب بل الصدر للنور رب اشرح لي صدري الرابع لنضرب مثلا للملك فنقول البدن كالمملكة والصدر كالقلعة
والفؤاد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهسلار الذي
يشتغل بالضرب والتاديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك مطاع وانه يخاصم هذه البلدة والعلة
والهوى والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا اخرج الروح وزيره وهو العقل اخرج الشيطان في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو الى الله

تعالى والهوى الى الشيطان ثم ان الروح اخرج الفطنة اعانة للعقل فاخرج الخصم في مقابلة الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحبب
لذات الدنيا ثم ان الروح امد الفطنة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب من المعايب على ما قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين فاخرج الشيطان
في مقابلة الفكرة والغفلة ثم اخرج الروح الحلم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بازائه العجلة والسرعة
فلهذا قال عم ما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه وخلق السموات والارض في ستة ايام ليتعلم منه الرفق والثبات
فهذه هي الحصون والخنادق بين الضعفين وقلبك صدرك هو المعركة ثم ان لهذا الصدر الذي هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا والسور وهو
الرغبة في الاخرة وغم كل ما هو للنفس فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء
الظن بالله من النميمة والغيبة وسائر الخصال الذميمة وتحصن الملك في القصر ويضيق الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق واخرج هذا العسكر
من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لي صدري النكتة الثالثة في الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب فالصدر مقر الاسلام والقلب مقر الايمان حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم اولئك كتب في قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا
الالباب الذين خرجوا عن قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي ثم ان القلب كاللوح المحفوظ في العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة
التوفيق والقاها في بحار امواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رياح السعادة تارة ودبور الادبار اخرى فح
يضطر الراكب الى التماس انوار الهدايات وطلب انفتاح ابواب السعادات فيقول رب اشرح لي صدري وانما سأل موسى شرح الصدر دون القلب لان
انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحر يكفيه الاشارة فاذا علم انه طالب للمقدمة فلا يليق
ان يمنعه النتيجة وايضا انه راعى الادب في الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم اعطى المقصود فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترأ وطلب
الرؤية بقوله ارني انظر اليك اجيب بقوله لن تراني واعلم ان جميع المهيات الممكنة كالبلور الصافي الموضوع في مقابلة شمس القدس ونور العظمة و
مشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحترق
القلب ومعلوم ان المحرق كلما كان اكثر كان الاحتراق اتم فلهذا قال موسى رب اشرح لي صدري حتى اقوى على ادراك درجات الممكنات واصل الى مقام الاشارة
بانوار الجلال كما قال نبينا ارنا الاشياء كما هي وههنا دقيقة وهي ان موسى لما زاد لفظة لي في قوله رب اشرح لي صدري دون ان يقول رب اشرح صدري علم انه
لا بد ان يعود منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيمة نفسي نفسي وان نبينا صلعم لما لم يذكر في مقام الطلب اذ قيل له السلام عليك ايها النبي فقال السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيمة امتي امتي وشتان ما بين من يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لي صدري وبين من
يخاطب فيقال له الم نشرح لك صدرك ولا يخفى ان المراد بالشرح التيسير عند اهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الالطاف
المسهلة فانه يحتمل ان يكون هنا من الالطاف ما لا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال اما قوله سبحانه واحلل عقدة من لساني فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة
وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بغير توسيط العاطفة كانه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفي لسان الشاعر وهو زهير
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم وعن علي كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة او بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء
باصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفي مناظرة ادم والملئكة لم يظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق و
هذا النطق وان كان في التحقيق هو ادراك المعاني الكلية لكن النطق اللساني لا ريب انه اظهر خواص الادمي وقد ينطبق اسم عليه عندنا والمعبر عما في
ضميره فيقول موسى رب اشرح لي صدري اشارة الى طلب النور الواقع في القلب وقوله ويسر لي امري رمز الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب لسهولة الة
التكميل لان اللسان الة الافاضة والافادة ويكفيك في الخطب الجسيم المنصب العظيم وحسبك بالنطق شرفا وفخرا سكوت الحاضرين وانه
قائل ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قولهم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفي توابع الكلم يا بني في خاك
لا تقرع فقاك ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذي ضرره خالص او غالب او مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذي نفعه خالص
او غالب عسر المراعاة فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود او معدوم معلوم الا وهو او اللسان يتناوله باثبات او نفي بحق او بباطل بخلاف
سائر الاعضاء فالعين لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات وكذا باقي الجوارح اما اللسان فانه رحب الميدان
واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى الات وادوات للمعصية فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصات
ان الصمت في نفسه ليس بفضيلة لانه امر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عددها ذلك القائل فيرجع الحق الى ما
قال النبي صلعم رحم الله امرا قال خيرا فغنم او سكت فسلم قالوا لترك الكلام اربعة اسماء الصمت وهو اعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق
كقولهم مال ناطق او صامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وانصتوا
والاصاخة وهو ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد اما العقدة فقيل انها كانت في اصل خلقته وعن ابن عباس انه في حال صباه اخذ
بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده فقالت اسية انه صبي لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل بالياقوت
والجمر فاحضر بين يديه فاراد ان يمد اليد الى الياقوت فحول جبريل يده الى الجمر فاخذها ووضعها في فيه فظهرت به العقدة وكان عنده بعض الحروف

صحت هذه الرؤية فالنار انما احرقته واثرت منه اطفاء لنائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق
ابرهيم صلوات الرحمن عليه وكما في حق موسى حين القي في التنور وروي ان يده احترقت ايضا وان فرعون اجتهد في علاجها فلم يبرأ ولما دعاه قال
الى رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء انه لم يبرأ لئلا يعتقد بنبوته فرعون حيث القي الكلمة من صغره واخذ
وقيل لم يحرق يده لانه لو ظهرت بالبيت انما احرقت اللسان لانه خاطبه بقوله يا ابت وما الحكمة في حل العقدة لا ظهر كيلا يقع في اداء الرسالة
خلل ظهر ناقل يفقهوا قولي وقيل لان العقدة في اللسان قد يقتضي الاستحقار بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار للمعجزة فكما ان
حبس لسان ذكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله قد
اوتيت سؤلك والاصح انه بقي بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يقارب ان لا يبين وكان في
لسان الحسين عليه السلام رتة لانه عليه السلام طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة
بالكلية يختص بمحمد صلعم كان افصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ابي طالب لا جرم ما دار حوله
ومن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون قال اهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يحمل عن الملك اوزاره ومؤنته
او من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجي اليه في اموره او من المؤازرة وهي المعاونة فيكون من الازر اي القوة ومنه قوله تعالى اشدد
به ازري اي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري آزرت فلانا اي عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس ازيرا بالهمز على ما حكي
عن الاصمعي ووجه القلب حمل فعيل على مفاعل لاتحاد معنييهما في نحو عشير وجليس وضد وغيرها او حمله على اخواته من نحو الموازرة ويوازره ولا
بالوزير يحسن دائما باب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا صلعم فقال اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا اعانه عليه
وان اراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغني اجود السيوف عن الصيقل ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة
منقبة وفخرا وشرفا وذكر ان النبي صلعم المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والكرامة بطلبه منصب علي من اولى هذه الرتبة
ان يؤدي الى اللحوق نارا ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويتورع في ارض الوزارة ما لم يشد عليه وقت حصادا قيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك
الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والظهير او لانه راى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية ابعد عن التهمة واعون
على الغرض ولهذا حكي عن عيسى انه قال من انصاري الى الله وخوطب نبينا صلعم بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي انه
قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبرئيل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر ثم ان موسى طلب ان يكون
ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه ليكون الثقة به اكثر وليكون الشرف في بيته او قومه او انه كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب
الشريف قضاء لحقوق الاخاء ومن منع المستوجبين فقد ظلم وكان افصح منه لسانا واكبر سنا والين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون مفعولا اجعل قدم
ثانيهما عناية بامر الوزارة او لي ووزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان اخر وقيل يجوز فيمن
قرا اشدد على الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد خبره فيوقف على هرون ومعنى شد الازر عبارة عن تقويته وان يجعله ناصرا له فيما
يعسر عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله سببا له في امر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امري ثم ذكر غاية الادعية
فان المقصد الاسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد وغاية الاشتراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي مقدم على الاثبات فبالاول يندك العقايد الفاسدة وبالثاني يرتسم النقوش الحسنة المعتقدة
ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا ومن فوائده منها انه فوض استجابة الدعوات الى علمه باحوالهما وانهما بصدد اهلية الاجابة ام لا ومنها من حسن
الادب لا يخفى ومنها انه عرض فقره واحتياجه على علمه وانه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سال ما سال ومنها انه اعلم باحوال اخيه
هل يصلح للوزارة ام لا وان وزارته هل يصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من دقايق الادب في انواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلا
جرم اجاب الله تعالى مطالبه التي نجح ما يرجو فلا عدا وقال قد اوتيت سؤلك يا موسى السؤال بمعنى المسؤل كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى الماكول وزيادة قوله يا موسى
بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التمييز والتعيين والله اعلم بمصالح عبده انك يا من طاب بطهارته بساط النبوة ما انزلنا عليك القرآن لا
لتسعد بتخلقك بخلقه ويسعد بسببك الاولون والاخرون من اهل السموات واهل الارضين تنزيلا ممن خلق ارض بشريتك وسموات روحانيتك
التي هي اعلى الموجودات الممكنات كما قال اول ما خلق الله روحي الرحمن على العرش استوى بصفته الرحمانية على عرش قلبك ليكون معروفا كما لا يسعك فيه ملك
مقرب ولا نبي مرسل له ما في السموات الروحانية من الصفات الحميدة وما في الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما اي بين سماء الروح
وارض النفس وهو القلب مما فيه من الايمان والايقان والاخلاق الروحانية والصفات النفسانية وما تحت الثرى اي ما هو مركوز في جبلة الانسانية وان تجهر بالقول
شيء من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سريرتك واخفى مما هو خفي الله من خفيك والسر في اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب
والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط انوار الربوبية واسرارها وجملتها المعقولات وقد يحصل
الكل للانسان عند نشأته الاولى وان كان كما قال الاخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى كلا يحصل الا

اراي عجز في الكلام فقال رسول الله صلعم لذنها منه موروثي الغمر بكر عقدة في عقدة من عقدته



لمؤمن موحد صار مهبط الانوار الربانية ومحلها المشاهدات والمكاشفات وحقايق العلوم اللدنية ولهذا قال عليه السلام لا اله الا هو لان مظهر الالوهية وصفاته العليا واسمائه الحسنى هو الخفي الذي لا شيء اقرب الى الحضرة منه الا هو سره وعلم آدم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق آدم فتجلى فيه وهل اتاك حديث موسى القلب اذ راى نارا هو نور في الحقيقة ما نوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا في ظلمة الطبيعة الحيوانية الى انوار الشريعة او اجد على النار هدى باداب الطريقة الى الحقيقة فلما نودي من شجرة القدس بخطاب الانس فاخلع نعليك اي اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل في الرؤيا بهما او اترك الالتفات الى الكونين انك واصل الى جناب القدس وهما المقدمتان في نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك انه اذا غرق في لجة العرفان بقيت المقدمات على ساحل الوسائل وانا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلق وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع بسمع الطاعة والقبول انني انا بتجليت باثانية الوهيتي لانانية وجودك المجازي لا يبقى الا انا فاعبدني بافناء وجودك وادم المناجاة معي لنيل ذكري اياك بالتجلي ان قيامة العشق آتية اكاد اخفيها لعظم شانها الآن متقاضي الكرم اقتضى اظهارها لاخص عباده لتجزى كل نفس بما تسعى فالعبودية من السر والقلب النفس والقالب فلما كان سعي الروح بجذب الوطن الاصلي للرجوع الى مكمن اضافة ونفخت فيه من روحي فجزاؤه من تجلي صفات الجلال بانعدام الناسوتية وكان سعي السر بالخلو عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه بافاضة الفيض الالهي وسعي القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلي صفات الجمال والجلال فجزاؤه بدوام التجلي وان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذي يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب لكشف حقايق القلوب وسعي النفس بتبديل الاخلاق وانتفاء الاوصاف الحيوانية فجزاؤه باشراق نور ربها لازالة ظلمة صفاتها وعمل الى ذكر ربها لتصير قابلة للجذبة ارجعي الى ربك وسعي القالب باستعمال اركان الشريعة وآداب الطريقة فجزاؤه رفعة الدرجات ونيل الكرامات في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التي لا تؤمن بها ويحتمل ان يقال اكاد اخفي الساعة والجنة والنار لئلا يكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار قالوا الخطاب موسى في قوله هي عصاي وكان عليه ان يقول انت اعلم بحالها مني وفي قوله اتوكؤ عليها وكان عليه ان يتكل على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له القها يا موسى وفي قوله واهش بها على غنمي اذ نبه العصا لا تكون واسطة لرزق اغنامه وانما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا الا بيد واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء نقية عن دون السؤال وعار الطمع وباقي الحقايق مذكور في التفسير وفي قوله قد اوتيت بلفظ الماضي اشارة الى انه ذلك بالتقدير الازلي لا بالتدبير العملي والله اعلم بالصواب وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً اُخْرٰى اِذْ اَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّكَ مَا يُوْحٰى اَنِ اقْذِفِيْهِ فِي التَّابُوْتِ فَاقْذِفِيْهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّيْ وَعَدُوٌّ لَّهٗ وَاَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّيْ وَلِتُصْنَعَ عَلٰى عَيْنِيْ اِذْ تَمْشِيْ اُخْتُكَ فَتَقُوْلُ هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى مَنْ يَّكْفُلُهٗ فَرَجَعْنٰكَ اِلٰى اُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنٰكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنّٰكَ فُتُوْنًا فَلَبِثْتَ سِنِيْنَ فِيْ اَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلٰى قَدَرٍ يّٰمُوْسٰى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيْ اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوْكَ بِاٰيٰتِيْ وَلَا تَنِيَا فِيْ ذِكْرِيْ اِذْهَبَا اِلٰى فِرْعَوْنَ اِنَّهٗ طَغٰى فَقُوْلَا لَهٗ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشٰى قَالَا رَبَّنَا اِنَّنَا نَخَافُ اَنْ يَّفْرُطَ عَلَيْنَا اَوْ اَنْ يَّطْغٰى قَالَ لَا تَخَافَا اِنَّنِيْ مَعَكُمَا اَسْمَعُ وَاَرٰى فَاْتِيٰهُ فَقُوْلَا اِنَّا رَسُوْلَا رَبِّكَ فَاَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيْ اِسْرَآءِيْلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنٰكَ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ وَالسَّلٰمُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى اِنَّا قَدْ اُوْحِيَ اِلَيْنَا اَنَّ الْعَذَابَ عَلٰى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّٰى قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يٰمُوْسٰى قَالَ رَبُّنَا الَّذِيْ اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهٗ ثُمَّ هَدٰى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُوْنِ الْاُوْلٰى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّيْ فِيْ كِتٰبٍ لَا يَضِلُّ رَبِّيْ وَلَا يَنْسَى الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا وَّسَلَكَ لَكُمْ فِيْهَا سُبُلًا وَّاَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَاَخْرَجْنَا بِهٖ اَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتّٰى كُلُوْا وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّاُولِي النُّهٰى مِنْهَا خَلَقْنٰكُمْ وَفِيْهَا

هيكم

نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

باز میبریم شمارا و از آن بیرون میاوریم شمارا باری دیگر و بتحقیق نمودیم او را آیتهای خود همه را پس تکذیب کرد و ابا نمود گفت آمده ما را تا بیرون کنی ما را از زمین خود بسحر خود

يَا مُوسَىٰ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ

ای موسی پس آوریم ترا بسحری مانند آن پس بگردان میان ما و میان خود وعده گاهی که خلاف نکنیم از آن ما و نه تو بجائی هموار گفت وعده شما

يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

روز آرایش است و آنکه جمع شوند مردمان چاشتگاه پس بازگشت فرعون و فراهم آورد کید خود را پس آمد گفت مر ایشانرا موسی وای بر شما مبندید بر خدا دروغ را

فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ

پس براندازد شمارا بعذابی و بدرستیکه نومید شد آنکه افترا بست پس کشاکش کردند در کار شان میان خود و پنهان داشتند راز را گفتند بدرستیکه این دو هر آینه ساحرند میخواهند

أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ

که بیرون کنند شمارا از زمین خود بسحر شان و ببرند این شیوه شما را که خوبتر است پس جمع کنید کید را پس بیائید صف کشیده و بدرستیکه کامیاب شد امروز آنکه

اسْتَعْلَىٰ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ

غالب آمد گفتند ای موسی یا آنکه بیندازی و یا آنکه باشیم اول کسیکه انداخت گفت بلکه بیندازید پس آنگاه رسنهاشان و عصاهاشان وانموده شد بموسی

سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

از سحرشان که آنها میشتابند پس یافت در خود بیمی موسی گفتیم مترس بدرستیکه تو توئی برتر و بینداز آنچه در دست راست تست تا فرو برد آنچه

صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ قَالَ

ساخته اند بدرستیکه آنچه را ساختند مکر ساحر است و رستگار نمیشود ساحر هر جا آید پس انداخته شدند ساحران سجده کنان گفتند گرویدیم به پروردگار هرون و موسی گفت

آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي

آیا ایمان آوردید او را پیش از آنکه دستوری دهم مر شما را که او هر آینه بزرگ شماست که آموخت شما را سحر را پس هر آینه جدا کنم دستهای شما و پاهای شما از خلاف یکدیگر و هر آینه بردار کشم شمارا در

جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ

تنهای درخت خرما و هر آینه خواهید دانست که کدام از ما سختتر است از راه عذاب و پاینده تر گفتند هرگز اختیار نکنیم ترا بر آنچه آمد ما را از نشانهای روشن و قسم بآنکه آفرید ما را پس حکم کن

مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ

آنچه تو حکم کننده جز این نیست حکم میرانی در این زندگانی دنیا بدرستیکه ما گرویدیم به پروردگار ما تا بیامرزد برای ما گناهان ما را و آنچه اکراه نمودی ما را بران از سحر

وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ

و خدا بهتر است و پاینده تر بدرستیکه آنکه آید به پروردگار خود گناهکار پس برای اوست دوزخ نمیرد در آن و نه زندگانی کند و آنکه آید او را با ایمان و کرده باشد کار

الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ

کارهای شایسته پس مر ایشانراست مرتبهای بلندتر بهشتهای جای اقامت دائم که میرود از زیر آنها نهرها جاویدانیان در آن و آن پاداش کسی است

تَزَكَّىٰ القراءة ولتصنع بسكون اللام والعين على الامر يزيد الاخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكرى اذهبا بفتح

که پارسا شد

ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو خلفه بفتح اللام على انه فعل يضل الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الاخرون مهادا سوى بكسر السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وعلي الاخرون بالضم لا نخلفه بالجزم جوابا للامر يزيد يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف ورويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان مخففة ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذين ابو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم امر من الجمع ابو عمرو والاخرون على لفظ الامر من الاجماع وقد طرح بنقل الحركة الى الدال الجيم كان ورش وعباس وحمزة في الوقف يخيل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالتحتانية تلقف بالتشديد والرفع على الاستيناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرا البزي وابن فليح مشددة التاء كيد سحر على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال آمنتم بالمد ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وابو جعفر ونافع وابن كثير عن ابن مجاهد وابو عون عن قنبل قال امنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون ءامنتم بزيادة همزة الاستفهام ومن ياته مختلس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو وعن طريق الهاشمي عن ابن بدي ومن ياته بسكون الهاء خلاد ورجاء والعجلي ويحيى والبرجمي عن ابي شعيب ويحيى وحماد الباقون بالمد بالاشباع الوقوف اخرى ٥ لا لان التقدير المرة ابو حي ٥ لان ما بعد تفسير ابو حي وعلى منج لان الواو وقد تكون مقحمة وتعلق اللام بالتعب وقد يكون عاطفة على محذوف اي لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على عيني لامحالة

عيني ثم لئلا يوهم ان اذ ظرف لتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا تحزن
لابتداء منة اخرى فتونا يا موسى لنفسي لاتساق الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكري ج لمثل ما قلنا في المضمر وطغى ج لا لاتحاده مع الف الخشية يخشى ولا تقدم
لان قد لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على ان اتحاد القول يجيز الوصل من ربك لذلك فان لو ولا لابتداء الخطاب لاحتمال ما بعده الصفة و
الاستيناف ولا يجتنب بناء على ان الذي صفة الرب والاحسن تقدير هو الذي اعطى اذ ما علل الالتفات شتى انعامكم النهى جوى ولا يا موسى سوى
منجى اي بعذاب لاختلاف الجملتين امرى النجوى لئلا صفا استعلى القوا لان التقدير فالقوا ما القوا فاذا حبالهم مع فاء التعقيب ذا الفا
المتباينان للوقت تسعى موسى الاعلى ما صنعوا كيد ساحر اتى وموسى لكم السحر للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء التعقيب لتمام مقصود الكلام
النخل لابتداء معنى القسم ولفظ استفهام بعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وابقى قاض الحيوة الدنيا من السحر وابقى جهنم ولا يحيى العلى لا
لان ما بعده بدل فيها تزكى **التفسير** من عليه منا انعم ومن عليه منة اي امتن عليه كان الله سبحانه قال لموسى اني راعيت مصلحتك قبل سؤالك
فكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال وكنت ربيتك من عجزك قبل حتى فلو منعتك الحال مطلوبك لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا بعد
الاحسان وذلك ينافي الكرم لذا قالوا المنة تهدم الصنيعة فهي نوع من الاذى فقوله ولقد منا عليك يكون من الاذى لمن لا من المنة قلت
يحتمل ان لا يكون المنة من المنعم المطلق اذية ولعله يكون تنبيها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال
مرة اخرى لان الجملة قصة واحدة وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب او على لسان
ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ قالت الملائكة يا مريم او اراها في المنام انه وضع ولدها في التابوت وقذفه في البحر ثم رده الله
اليها او الهمها ذلك او لعل الانبياء المتقدمين كابرهيم واسحق ويعقوب اخبروا بذلك وانتهى خبره اليها ومعنى ما يوحى ما يجب ان يوحى لانه من
المصالح الدينية ولانه امر عظيم ولانه لا يعلم الا بطريق الوحي ان هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع اي ضعيه
في التابوت وقد مر معناه في البقرة في قصة طالوت قال جار الله الضمائر الباقيات في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه راجعة الى موسى
ايضا لتابوت يؤدي الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو في جوف التابوت لزم ان يكون التابوت ايضا مقذوفا وملقى ويؤيده
ان الضمير في قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة واذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالانسب باعجاز القرآن ان
يكون الضمير المتوسط ايضا له لان المعنى صحيح واللفظ مناسب فلا حاجة الى العدول عنه اعتمادا على القرينة واليم هو البحر والمراد هنا نيل مصر والساحل
شاطي البحر واصل الساحل القشر ولهذا قال ابن دريد هو مقلوب لان الماء سحله فهو مسحول قال اهل الاشارة من خصوصية انشراح الصدر بنور
الوحي ان يقذف في قلبه فقذفت الولد الذي هو اعز الاشياء في تابوت التوكل وبحر التسليم حتى يلقيه اليم بالساحل ارادة الله وسببه يروى
انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم فكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو
جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر
اللفظ يدل على ان التابوت التقط من الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فاداه النهر الى البركة اما كون فرعون
عدو الله من جهة كفره وعتوه فظاهر واما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المآل ولانه لو ظهر له حاله لقتله فحيث من يريد حيث في حجر
عدوه قالوا كان بحضرة فرعون حين ذاك اربع مائة غلام وجارية فحين اشار باخذ التابوت وعد من يسبق الى ذلك الاعتاق فتسابقوا جميعا ولم يظفر
باخذه الا واحد منهم فاعتق الكل وان تكن قيل ان عدو الله لم يجوز من كرمه حرمان البعض لان عزم الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يقبل عزائم
المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم تقصير في العمل قوله مني اما ان يتعلق بالقيت ويكون صفة للمحبة
اي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن احبه الله احبته القلوب واما محبة الناس التي زرعها الله في قلوبهم فقد يروى
انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من راه قال القفال هذا الوجه اقرب لانه في الصغر لا يوصف بمحبة الله التي
يرجع معناها الى ايصال الثواب ورد بان محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو اعم من ان يكون جزاء على العمل او لا يكون ولهذا بين المحبة بقوله
ولتصنع على عيني اي لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الشيء بالعين اذا عني بحفظه ولما كان العالم بالشيء حارسا له لا فا
كان الناظر اليه يحرسه اطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه وايضا نفس سبب الحراسة فاطلق السبب واريد المسبب يقال عين الله
عليك اذا دعي له بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المبني للمفعول في لتصنع وجوز في الكشاف ان يكون اذ تمشي ظرفا
لتصنع وليس بذلك انما هو ظرف لالقيت او بدل من اذ اوحينا على ان الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا
فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو في اولها وانت في آخرها يروى انه لما فشا الخبر ان آل فرعون اخذوا غلاما في اليم وانه لا يرتضع من ثدي
امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت اخت موسى واسمها مريم متنكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله فجاءت بالام فقبل ثديها
وذلك قوله فرجعناك الى امك وقال في القصص فرددناه الى امه كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن بسبب
وصول لبن غيرها الى معدتك وقتلت نفسا هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص فنجيناك من الغم وهو اقتصاص

فرعون



فرعون منك وقيل الغم هو القتل بالغين قريش وأراد بالغم خوف عذاب الله وذلك قوله فاغفر لي فغفر له وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي
كالشكور والكفور أو جمع كالظنون أو جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة والفتنة المحنة والابتلاء
بخير وشر قال نعم ونبلوكم بالشر والخير فتنة وفيها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب إذا أردت تخليصه عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن الفتون
فقال أي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان والقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز إطلاق اسم الفتان على الله
تعالى وإن جاء وفتناك لأنه صفة ذم في العرف وسيجيء قصة لبثه في أهل مدين وأنه على ثمان مراحل من مصر في سورة القصص ثم العزيز قوله
على قدر أي في وقت سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك فيه أو على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة أو على
موعد قد عرفته بإخبار شعيب أو غيره والصنع بالضم مصدر صنع إليه معروفا أو نحوها فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله في الخير أكثر واصطنع
فلان فلانا إذا اتخذه صنيعه واصطنعت فلانا لنفسي إذا اصطنعته وخرجته ومعناه أحسنت إليه حتى أنه يضاف إلى قوله لنفسي أي لأصرفن
جوامع همتك في أوامري حتى لا تشتغل بغير ما أمرتك به من تبليغ الرسالة وإقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك أهلا
للتقريب والتكريم لخصائص فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر إلا بعينه ولا يسمع إلا بأذنه ولا يأتمن على مكنون سره سواه وقال
جزء من المعتزلة أنه سبحانه إذا كلف عباده وجب عليه أن يلطف بهم ومن جملة الألطاف ما لا يعلم إلا سمعا فلو لم يصطنعه للرسالة لبقي في عهدة اللوم
فهذا أمر يفعله الله لأجل نفسه حتى يخرج عن عهدة ما يجب عليه ولما عد عليه المنن السابقة بإزاء الأدعية المذكورة رتب على ذكر ذلك مراده بهما
أما الأمر فقوله اذهب أنت وأخوك فيه بيان ما لأجله اصطنعه وهو الإبلاغ وأداء الرسالة بآياتي أي مع آياتي لأنهما لو ذهبا دونها لم يلزمهم الإيمان
وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وما هذه الآيات قيل العصا واليد لأنه لم يجر إلا ذكرهما فأطلق الجمع على الاثنين أو لأن كلا منهما مشتملة
على آيات أخر ولأنه يستدل بكل منهما على وجود الله وعلى أنه عالم بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر بقلب الجماد حيوانا والظلم منيرا
ومثله قوله فيه آيات بينات مقام إبراهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل إذا ذهبا أمدكما بآياتي وأظهرها على أيديكما متى وقع الاحتياج إليها
وأما النهي فقوله ولا تنيا ونيا يني بكسر العين مثل وعد يعد وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع والونى بفتحتين الضعف والفتور والكلال
والإعياء والمعنى لا تنيا بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل المقاصد واعتقدا أن أمرا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري فإن المداومة على ذكر الله
توجب عدم الخوف من غيره وأن يستحقر في نظره ما سواه لقوة نفسه واستئناسه بباطنه وقيل المراد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع على كل العبادات
فضلا عن أعظمها فائدة وأتمها عائدة وقيل اذكراني عند فرعون وقومه بأني لا أرضى بالكفر وأعاقب عليه وأثيب على الإيمان وأرضيه وبالجملة
كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب ما الفائدة في تكرير قوله اذهبا إلى فرعون والجواب بعد التفسير والتأكيد أن يشتغلا بأداء الرسالة معا أو
بنفسه دون موسى والأول أمر بالذهاب إلى كل بني إسرائيل والقبط والثاني مخصوص بفرعون الطاغي ثم إنه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لأنه
أصل وهو كقوله وإذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم ويحتمل أنه مرتب على حضور وفيه رواية أن الله عز وجل أوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى
وقيل ألهم بذلك وقيل سمع بمجيئه فتلقاه سؤال لم أمرا بتليين القول للعدو المعاند جوابه لأن عادة الجبابرة إذا أغلظ لهم في الكلام أن يزدادوا عتوا
وعلوا وقيل لما له من حق تربية موسى شبه حق الأبوة وكيف ذلك القول اللين الأصح أنه نحو قوله تعالى هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك
فتخشى لأن ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين وقيل وعداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وأن تبقى له لذة
المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته حكى عمرو بن دينار قال بلغني أن فرعون عمر أربعمائة وستين سنة فقال له موسى إن أطعتني فلك مثل
ما عمرت فإذا مت فلك الجنة وقيل ادعكنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس أبو الوليد وأبو مرة ويحتمل أن يكون أمرا بالقول اللين
لأنه كان في موسى حدة وخشونة بحيث إذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا فعالج حدته باللين ليكون حليما في أداء الرسالة أو يجيء فيقبل إنكاره
وإصراره قالت المعتزلة حدوا وأرسلهما إليه مع العلم بأنه لا يؤمن قطع المعذرة وإلزام الحجة وقالت الأشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدر
ولا سبيل إلا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان قالوا إنه كمن يدفع سكينا إلى من علم قطعا أنه يمزق بطن نفسه ثم يقول إني ما أردت
بدفع السكين إليه إلا الإحسان إليه وعن كعب أنه قال والذي يحلف به كعب إنه مكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن فلا ينبا
منه دليل على أنهم لم يكن ... كان تحاضرا وقد قلنا ... وسأل أنه اشرح صدره ويسر أمره فكيف قالا إننا نخاف فإن حصول الخوف ينافي شرح
الصدر وضبط الأوامر والنواهي وحفظ الشرائع والأحكام بحيث لا يتطرق إليها خلل وتحريف فهذا شيء آخر معناه بزوال الخوف قلت لعلهما خافا
أن لا يتمكنا من أداء الرسالة فقيل قوله أن يفرط علينا أي يسبق ومنا لنا ويبادرنا بالعقوبة أو أن يطغى أي يجاوز الحد بأن يقول فيك ما
لا ينبغي لجراءته وحصول القساوة في قلبه فيعاقبنا إن لم يعاجلنا فلا نتمكن من إقامة وظائف الأداء وأيضا الدليل النقلي السمعي إذا انضاف إلى الدليل العقلي
زاده إيمانا وطمأنينة ولهذا قال لا تخافا إنني معكما أي بالنصرة والتأييد أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل بكما ما يوجب صيانتكما وحراسته
فلا بد أن تكونا معي هماكما إلى أن تؤديا كرامتي لا تقطعت عنكما إذا فارقتما مقام الكلام قصما هنا الوهم سبب خوفكما ويجوز أن يكون الفعلان منزلين منزلة القصور

تقدم

المفعول لكانه قيل انا سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الاصوليين في الاية دلالة على ان الامر لا يقتضي
الفور والا كان تعللهما بالخوف معصية وانها غير جائزة على الرسل في الاصح قال بعض المتكلمين فيها دليل على ان السمع والبصر صفتان زائدتان
على العلم والا لزم التكرار وفان معتبرهي بالعلم والجواب ان يقول الخاص بعد العام ولكن لا يبانيه ثم كرر الامر قائلا فأتياه فقولا فارسل انهما امر
بان يقولا لفرعون الينا فكيف غلظاه اولا بقولنا انا رسولا ربك وفيه ايجاب انقياده لهما واكراهه على طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبابرة ثانيا
بقوله فارسل معنا بني اسرائيل وفيه ادخال النقص في ملكه لانه كان يحتاج اليهم في الاعمال الشاقة وثالثا بقوله ولا تعذبهم وفيه منعه عما
يريد بهم واجيب بان هذا القدر من التغليظ ضروري في اداء الرسالة قيل الاولى ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك بآية من ربك فارسل
معنا بني اسرائيل ليكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب ان قوله فارسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله بآية ومعه اثنان بل آيات
لقوله اذهب انت واخوك بآياتي لان المراد الجنس كانه قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه ايضا نوع من الادب
كما لو قلت انا رجل قد حصلت شيئا من العلم ولعل عندك علوم جمة على ان تخصيص عدد ما بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وايضا الاصل في معجز
موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما ان الاصل في معجزات نبينا صلعم كان هو القرآن فوقع لذلك التحدي به والسلام اي جنس
السلامة او سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون هذا ايضا مما امر ان يقولاه لفرعون ويحتمل ان يكون الرسالة قد تمت عند قوله
بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن آمن وصدق قالت الاشاعرة في قوله ان العذاب اي جنسه او كله على
من كذب وتولى دليل على انه لا يعاقب احد من المؤمنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام على ان العذاب
الشاق الاشد انما هو الى النعيم المقيم الذي لا نهاية له فكانه لم يعاقب اصلا وايضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون من اهل السلامة قال فمن
ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى موسى لانه الاصل في ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز انه خص موسى عليه السلم بالنداء لما عرف
من فصاحة هرون والرتة التي كانت في لسان موسى فاراد ان يعجز عن الجواب قال اهل الادب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يبد
بالسفاهة والشغب بل شرع في المناظرة وطلب الحجة فدل على ان الشغب من غير حجة شيء ماكان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك
بمن يدعي الاسلام والعلم وفي اشتغال موسى باقامة الدلالة على المطلوب دليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بان معرفة الله تستفاد من قول
الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وفيه ان المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها
واعلم ان العلماء اختلفوا في كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا انه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله في سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس الا انكار المعاد دون انكار
المبدأ وقوله في الشعراء وما رب العالمين الى قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على انه
اعترف باصل الوجود وايضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين
فكيف يعتقد مثل هذا الشخص انه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وايضا انه سال هاهنا
عن حال البا بالكيفية وفي الشعراء بما اي الماهية فكان موسى لما اقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه في هذا المقام لظهوره وشرع
في مقام اصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصلة للبشر وايضا انه قال في الجواب ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وصلة الذي لا بد ان يكون جملة معلومة
الانتساب ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق السموات والارض وما بينهما فمنهم
من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر اصلا ومنهم من قال انه فلسفي قائل بالعلة الموجبة او هو من عبدة الكواكب او من الحلولية والمجسمة واما ادعاء الالهية
والربوبية فبمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء انما قال فمن ربكما ولم يقل الهكما لان من اعترف بانه رب موسى كما قال الم نربك فينا
وليدا قلت يحتمل ان يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا المعنى ولم يعلم الكافر ان تربيته اياه لا يوجب الالهية التي ادعاها موسى في قوله انا رسولا ربك
عن هذه في الحقيقة ولا مشاركة بينهما الا في اللفظ وهذا كما عارض نمرود ابرهيم صلوات الرحمن عليه في قوله انا احيي واميت ولم يعلم ان احياءه واماتته
ليس من الاحياء والاماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان اصلا في النبوة
وان هرون تابع له لان الادب راعى ذلك فلم يشتغل بالجواب قبله لان الاصل في النبوة هو موسى ولان فرعون خصص موسى بالنداء من قرا خلقه بسكون اللام
فانما يعني الخليقة والضمير المجرور لله وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى والخليقة اي اعطى الخلائق ما يحتاجون اليه من المطعوم والمشروب
والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال واللآلي من البحار ويركبون الاغذية والادوية والاسلحة والالات
ونظير هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابرهيم الذي خلقني فهو يهدين واما ان يكون الخلق بمعنى الصورة
والشكل اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فاعطى العين هيئته التي تطابق الابصار والاذن ما يوافق الاستماع والانف
للشم واليد للبطش والرجل للمشي بل اعطى رجل الادمي شكلا يوافق مشيه ورجل الحيوانات الاخر شكلا يطابق مشيها بل اعطى ذوات القوائم
رجلا توافق حاجتهن وكذا الخف والحافر وذوات المخالب وقيل اذا اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل [illegible] والحجر زوجين وكذا

الابنية وانا

البعير والناقة والرجل والمرأة ومن وراء خلقه بفتح اللام صفة للمضاف او المضاف اليه والمفعول الثاني متروك اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه
وانعامه واعلم ان عجائب حكمة الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر
ههنا واحدا منها هي ان الطبيعة تحول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه
جعل العظم والشعر اصلب الاعضاء على الطبيعة الارضية جعل مكانهما فوق البدن وجعل مخنقة الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل محل النفس الذي هو
الهواء وجعل محل الحرارة الغريزية وهي القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهري والطبيعي وسائر الكفار و
ايضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب هذا اما ان يكون واجبا او جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك
المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان جائز الوجود افتقر في اتصافه بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم
انه يستغني عن بيانات التفصيل شواهد الافتقار وليس الا الله الواحد القهار وقال اهل النظم ان موسى عليه السلام لما قرر عليه امر المبدأ قال فرعون ان كان دليل وجود
الواجب في هذا الحد من الظهور فما بال القرون الاولى لم يؤمنوا وجحدوا فعارض الحجة بالتقليد والبال الحال وانه لما هدده بالعذاب في قوله
ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فاجاب بان هذا مما استأثر الله بعلمه وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني علام
الغيوب وانه سأله عن احوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من ان يميل
قلوب ملائه الى حجته الباهرة ودلائله الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال علمها عند ربي ولا يتعلق غرضي باحوالهم ويجوز ان يكون الكلام
قد جر ضمنا او صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شيء فادعى الكافر فما بال سوالف القرون في تمادي كثرتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط الله
باجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله
علمها عند ربي مع قوله في كتاب لا يتنافيان بل المراد انه تعالى عالم بجميع الغيب مطلع على الكليات والجزئيات من احوال الموجودات والمعدومات ومع
ذلك فان جميع الاحوال مثبتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل ان يقول لعلها اثبتت في اللوح لاحتمال الخطأ والنسيان فتدارك ذلك بقوله لا
يضل ربي ولا ينسى قال مجاهد هما واحد المراد انه لا يذهب عنه شيء ولا يخفى عليه والاكثرون على الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما
بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه والتركيب يدل على الغيبة يقال ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه
فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال ابو عمرو ولا يغيب عن شيء ولا يعزب عنه شيء
وقال ابن جرير لا يخطئ في التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قال القفال وعن ابن عباس لا يترك
من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات السماويات والارضيات من الانسان
والحيوان وانواع النبات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال ابو عبيدة الذي
اختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد الاسم والمهاد الجمع وقال المفضل هما مصدران وسلك اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها
بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشيء في الشيء سلكا بالفتح اي ادخلته فيه فاخرجنا به اي بواسطة انزال الماء وفيه رد على من
انكر تاثير الوسائط راسا ازواجا اي اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت
كمريض ومرضى او صفة للنبات لانه مصدر سمي به النبات كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها مختلفة النفع واللون والطعم والطبع
والرائحة والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا او قائلين كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم والامر
انعام الاكل يتضمن اباحة سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا اموالكم ومن نعم الله تعالى ان ارزاق العباد تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل
عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز ابو علي الفارسي ان يكون مصدرا
كالهدى وخص ارباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقناكم لان ادم مخلوق من الارض
اولان بني ادم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالب عليها الارضية او لما روي في الخبر ان الملك ليأخذ
من تربة المكان الذي يدفن فيه الادمي فيذرها على النطفة وفيها نعيدكم لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله تعالى الى السماء وهو
ايضا يحتمل ان يعاد اليها بعد الموت ومنها نخرجكم تارة اخرى بالحشر والبعث وبان نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد الاخراج او المراد الاحياء
في القبر وههنا بحث وهو ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى او هو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن
ان يوجه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع ازواجا من نبات شتى الا ان قوله كلوا وارعوا الى
قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه وان قيل ان كلام موسى تم عند قوله وانزل من السماء ماء لم يصلح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب
فالصواب ان يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال الذي هو اي الله الذي جعل الى اخره وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من قبيل
الالتفات افتنانا للكلام وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتخصيصا بان مثل هذا لا يدخل تحت قدرة احد سواه والحاصل انه
تعالى عدد عليهم ما تعلق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يتقلبون بها في اسفارهم وانبت فيها

اصناف النبات فمنافع لهم ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالام التي منها انشأوا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث كخروج الاجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله تمسحوا بالارض اي تيمموا واسجدوا عليها من غير حائل وتيمموا بها فانها بكم برة اي انها لكم كالام ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا ولقد اريناه اياتنا اي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف فيلزم حصول المعرفة فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم الا ان الاكثر فسروا بالرؤية البصرية يفيد العموم ولا سيما اذا اكد بالكل لكنه تعالى ما اراه جميع الايات لان من جملتها ما اظهرها على ايدي الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف للعهد في الاصح وحمل التعريف للعهد هو قيل الايات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ولو سلم العموم فالمراد انه اراه الايات الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة وعلى المعاد لان تسليم القدرة على الانشاء يستلزم تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى ولو اراد انه اراه ايات مخصوصة بموسى وعدد عليه سائر ايات الانبياء واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان او اراد بعض الايات كارادة الكل كما ان تكذيب بعض الايات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب اي بالايات كلها وابى قبول الحق قال القاضي الاباء الامتناع ولهذا لا يوصف به الا من يتمكن من الفعل والترك والالم يتوجه الذم وجواب الاشاعرة انه لا يسأل عما يفعل ثم ان فرعون خاف ان يميل قلوب ملائه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه وهو القدح في نبوته لادعاء امكان معارضته فاولا اجئتنا لتخرجنا فان الاخراج من الديار قرينة القتل بدليل قوله ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم طالب المعارضة موعدا فان جعلته زمانا او مصدرا كان قوله موعد كم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا الى الوعد المعلوم من الموعد او الى ما ان الوعد مجازا وانتصب مكانا على انه ظرف للوعد المقدر وان جعلته مكانا او الوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه توجه عود الضمير في لا نخلفه مثل ما قلنا ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مطابقا له معنى لانه لابد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان مشتهر عندهم وكانه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدرا لم يقع وصفه بمكانا الا على حذف من غير ارتكاب ضمار ويجوز انتصاب مكانا على انه ظرف ثم من قرأ يوم الزينة بالنصب فظاهر اي وعدكم كائن في يوم الزينة او وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم يحشر الناس هو ضحى اي ضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فيقدر مضافا محذوفا اي وعدكم وعد يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا ووسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد يوصف المكان بالاستواء قال ابن عباس نصفا وقال ابن زيد اي مستويا لا يحجب شيئا بارتفاعه وانخفاضه ليطلع على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الان قال القاضي الاظهران قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الاقرب انه من كلام موسى ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب لان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا بالمبطل الذي يعلم ان موعدكم خطاب الجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما ان يرتكب ان اقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح واما ان يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيدهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم سوقهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال ان يحشر من غير تسمية الفاعل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم ومحل ان يحشر رفع او جر عطفا على اليوم او الزينة عين اليوم ثم الساعة وهي ضحى ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع امره العجيب في الاقطار والاعصار والاطراف والاكناف ففي ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم فتولى فرعون انصرف الى مقام تهيئة الاسباب المعارضة فان صاحب السحر يحتاج في تدبير السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال مقاتل اعرض وثبت على اعراضه عن الحق فجمع كيده اي اسباب الكيد وادوات الحيلة وهو تهيئة من مهرة السحرة وغير ذلك ثم اتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل اربعمائة وقيل اكثر من ذلك نصر لفرعون فبتر طوفها سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله تعالى ان موسى قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من اهل النصح والاشفاق ولا سيما الانبياء المبعوثين رحمة للانام ويلكم نصب على المصدر الذي لا فعل له وعلى النداء لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا ان آياته سحر فيسحتكم اي فيستأصلكم بعذاب والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومعناه الاستيصال وخذ منهم امرهم خلطهما على لغة الدين والتنوين للتعظيم والاخر الخيبة والحرمان عن المقصود والتنوين لانقطاعه فتنازعوا امرهم بينهم كقوله اذ يتنازعون بينهم امرهم اي وقع التنازع بينهم واسروا النجوى والضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان نجويهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والاكثرون على الاول فذلك انهم تفاوضوا وتشاوروا حتى استقر رأيهم على شيء واحد وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى اخر الاية لا اشكال في قراءة ابي عمرو وكذا في قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيد لمنطلق واللام فارقة بين المخففة والنافية واما من قرأ ان بالتشديد مع هذان بالالف فاورد عليه ان لم يعمل في المثنى واجيب بانه على لغة بلحرث بن كعب وخثعم وبعض بني عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جني الى بعض بني ربيعة جعلوا التثنية كعصى وسعدى بالخوف الالف فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقيل ان بمعنى نعم واعترض بان ما بعده خبر بضعه كقوله ام الحليس لعجوز شهربة ولا يجوز مثله الا في ضرورة الشعر وانما يصح لام الابتداء في الخبر لو المبتدأ

والجواب ان الفرا نحجة على غيرهم وذكر الزجاج في جوابه ان لتقدير يرعما ساحران فاللام داخلة على عدتا الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول
على محمد بن يزيد وعلى اسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا انه اجود ما سمعناه في هذا الباب وضعفه بعضهم بان المبتدأ انما يجوز حذفه لو كان
امرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب اذا كان معروفا فقد استغنى معرفته عن تاكيده باللام وبان الحذف من باب الاختصار
والتاكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما محال مع ان ذكر المؤكد وحذف التاكيد احسن في العقول من العكس ايضا شيخ المصريون بن عل الله
في قولك زيد ضرب نفسه تاكيد المستكن فيدل ذلك على ان تاكيد المنوي غير جائز روايته لو كان ما ذهب اليه الزجاج جائزا لم يجز ان يسعها المبتدأ
وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المسند وذكر المبتدأ لا يدل على التاكيد فكان حذف المبتدأ احق وعن الثاني بان الكلام قد يكون موجزا
من وجه مطنبا من وجه اخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهات واحدة وعن الثالث بانهم منعوا من حمل النفس على التاكيد في المثال المذكور لانهم رادوا ان
الفعل في المظهر ونحو من اسناده الى المضمر لا لان تاكيد المنوي ممتنع على ان ابيانا ان المؤكد ليس بمحذوف في الاية مضمر فان الحد حرفي الكلام مذكور
وعن الرابع بان نمول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضي كونه باطلا فكم ترك الاول للاخر ثم رجع الى التفسير قال الفرا الطريقة اسم لوجوه الناس
واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه فتح امر موسى في عين الخاصة ونفرهم عنه بانه ساحر والطباع نفورة عن السحر
وبانه بصدد اخراجكم من دياركم وهذا ايضا مما يبغض المقاصد فانه يريد ان يذهب باشراف قومكم وكابركم قالوا وهم بنوا اسرائيل لقول موسى ارسل
معنا بني اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف اي باهل طريقتكم المثلى وسموا انفسهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل حزب بما لديهم
فرحون والمثلى تانيث الامثل اي الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب او بالسر من الدين يقال بر من قرا فاجمعوا بوصل الهمزة
فظاهر ومن قرا من الاجماع فمعناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا نظيره ما مر في سورة يونس فاجمعوا امركم وشركائكم سيما وقد لا بد لنا
ان السحر لا اصل له وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم امرهم بان ياتوا صفا اي مصطفين مجتمعين ليكون اهيب في الصدور
واوقع في النفوس وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى اي مصلى من المصليات وهو علم المصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلوتهم
وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب وهو اعتراض واعلم ان قصة السحرة اكثرها تشبه ما مر في الاعراف وقد فسرناها هنالك فنحن الان على ان
ان نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة اما ان تلقى اي اختر احد الامرين او الامر ان نكون اول من القى فاذا حبالهم هي اذ المفاجاة واصلها
الوقت اي فاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا اعين موسى حتى تخيل ذلك وقيل ان ذلك شاهد شيئا لولا علمه
بانه لا حقيقة لذلك الشئ لظن فيها انها تسعى فيكون تمثيلا فاوجس اضمر في نفسه خيفة هو مفعول اوجس وموسى فاعل اخر للفاصلة وذلك
الخوف اما من جبلة البشرية حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قاله مقاتل او خاف ان يتاخر
نزول الوحي عليه في ذلك الوقت او خاف ان يتفرق بعض القوم قبل ان يشاهدوا غلبته او خاف ان يتمادى الامر عليه وتكرره فازال الله تعالى خوفه
مجملا بقوله انك انت الاعلى وفيه من انواع التاكيد ما لا يخفى نحو الاستيناف والتصدير بان والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا بلفظ العلو
ومعناه الغلبة وصورة التفضيل لا افضل منهم ومفصلا بقوله والق ما في يمينك لم يقل عصاك لما علم من الاعراف ولما في هذه السورة وما
تلك بيمينك وقال جار الله هو تصغير لشان العصا وتهوين لامر السحرة اي الق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها
صنعوا اي زوروا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها او هو تعظيم لشانها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة كان في يمينك شيئا
اعظم شانا من كلها انما صنعوا ان الذي صنعوه كيد ساحر فيمن قرا على الوصف ليعلم ان المقصود هو الجنس كما قال ولا يفلح الساحر اي هذا
الجنس ولو جمع لاوهم ان المراد هو العدد وانما نكر ولا لان المراد تنكير الكيد كانه قال هذا الذي تواترتم به احد من اقسام السحر او من افعال السحرة
وجميع اقسام السحر وافراد السحرة لا فلاح فيها ومن نظائره ابى لا كره ان ارى احدكم سبهللا لا في امر دنيا ولا في امر اخرة ومعنى سبهلل التخبي في
في جزئي ومعنى حيث اتى اينما كان وابن سلك فالقى السحرة سجدا قال جار الله سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم
القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وقد نقل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن
عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة وا سعدوا لقا اضيف لانه كالالجا الى لا ايمان وانه ينافي التكليف قلت لعله كان
الايمان مقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لما لحقه الخجل والكرعليه بايمانهم والقى شبهة في البين انه كبيرهم اي مخترعهم
اعلمهم وحترف الصناعة او معلمهم واستاذهم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري اي استاذي في العلم او عبرهم او اعلمهم بقطع الايدي والارجل
خلاف قال في الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدا وناشئ من مخالفة العضو لا من وفاقه اياه قلت الاولى ان يقال الخلاف فيهما
بمعنى الحجة المخالفة من يصح معنى الابتداء اي لا تقطع ايديكم وارجلكم مبتدا من الجهتين المتخالفتين يمينا وشمالا فيكون الجار والمجرور في
موضع الحال اي لاقطعنها مختلفات الجهات وقيل جذوع النخل اي عليها والاصوات يقال هي على اصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الظرف
في المظروف ابينا اشد يريد نفسه وموسى بغير علف باقتداره وقهره وبان الفرعون ان يعذب الناس تحقيقا بموسى مع الهزء لان موسى لم يكن قط من
التعذيب في شئ قال في الكشاف قلت يحتمل ان يريد هو ورب موسى الله تعالى ونفسه فقد ذكر رب هرون وموسى وقد سبق عذاب الله في قوله ان العذاب

على من كذب وتولى وفي قوله فيسحتكم بعذاب وتوبه قول التحرم في جوابه والله خير وابقى لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات المعجزات الظاهرات على الذي فطرنا او لوا وللقسم وعلى هذا يجوز ان يكون على ما جاءنا بمعنى في ما جاءنا اى لن نميل اليك في الحال الزهد وعلى الوجه الاول لحوى الكلام لن نترك طاعة خالقنا والتصديق بمعجزات نبيه لاجل هواك فاقض ما انت قاض بما شئت من العذاب انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اى في مدة الحيوة العاجلة وقرئ تقضى مبنيا للمفعول هذه الحيوة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صمتم يوم الجمعة والحاصل ان قضاءك وحكمك مختص في مدة حيوتنا الفانية والايمان وثوابه باق لا يزول والعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني للفوز بالسعادة الباقية وللخلاص من العقاب الابدي وذلك قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان في طرفة عين فلم يتعاظم عندهم ان قالوا في ذات الله فاقض ما انت قاض وفيه ان احدهم ليصحب القران ستين عاما ثم انه يبيع دينه بثمن يسير وما كان من خطايانا هم عهد ما اظهروه من السحر قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس ان الفراعنة كانوا يكرهون الناس على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وروى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل فابى الا ان يعارضوه وعن الحسن انهم حشروا من المداين مكرهين وزعم عمرو بن عبيد ان دعوة السلطان اكراه وليس بقوي فلا اكراه الا مع الخوف مجيبنا وجه حكم بالاكراه والافلا وباقي الايات ابتداء اخبار من الله وهي من تتمة كلامهم فيه قولان والعل الاول اولى لما مر اى لشان من يات ربه اى حيث لا حكم الا هو فيسقط استدلال المجسمة حال كونه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة ممتعة قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالاية لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع بوعيد اصحاب الكبائر اجابت الاشاعرة بان المجرم كثيرا ما يجيء في القران بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين ولا ريب ان التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى اخر السورة فلم قلتم ان المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فبطل المقدمة الاولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كلها ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم العفو وح لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم يأته مؤمنا عندنا قلنا يصدق عليه المؤمن لان الايمان صدق عليه في الزمان الماضي كالضارب يصدق على من قد ضرب بالامس ولكن بين الحال والزمان الماضي منافاة كلية ولهذا صح جاءني زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات وانه حال وكانه قيل ومن يأته قد امن قد عمل ولئن قيل ان عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس اولى لان الدفع اسهل من الرفع والقياس الحقه على التنابع بعض التصور لاجل الحسنة لا لاجل التشكيل وقوله فكانه من الشخص من لم يتب بعد من الشرف سلمنا ان قوله ومن يأته مؤمنا لا يعم صاحب الكبيرة الا انه تحول فاولئك لهم الدرجات العلى من الجنة لمن اتى بالايمان والاعمال الصالحات اى الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فثابت له درجات لا بد ان يكون لغيرهم وما هم الا العصاة من اهل الايمان ثم عظم شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى اى قال لا اله الا الله قاله ابن عباس وفيه دليل على ان قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر

قال الاخرون تزكى اى تطهر من دنس الذنوب

وهر آینه وحی کردیم بموسی که شب ببر بندگان مرا پس بزن برای ایشان راهی در دریا

يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون

خشک بیم نخواهی داشت دریافتن و نخواهی ترسید پس از پی رفت ایشان فرعون با لشکر او پس در یافت ایشان را از دریا آنچه دریافت ایشان را و گمراه کرد فرعون

قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا

قوم خود را و راه ننمود ای فرزندان اسرائیل بتحقیق رهانیدیم شما را از دشمنان و وعده دادیم شما را جانب طور ایمن و فرو فرستادیم

عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه

بر شما من و سلوی بخورید از پاکیزه‌ها آنچه روزی دادیم شما را و تعدی مکنید در آن پس فرود آید بر شما خشم من و هر که فرود آید بر او

غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى

خشم من پس بتحقیق هلاک شد و بدرستیکه من آمرزنده‌ام مر آنرا که توبه کرد و گروید و کرد کار شایسته پس راه یافت و چه چیز شتاب آورد ترا از قوم تو ای موسی

قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري

گفت ایشانند اینان بر اثر من و شتافتم بسوی تو ای پروردگار من تا خوشنود شوی گفت که بتحقیق مبتلا نمودیم قوم ترا از بعد تو و گمراه کرد ایشان را سامری

فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم

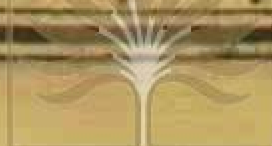
پس بازگشت موسی بسوی قوم خود غضبناک اندوهگین گفت ای گروه آیا نه وعده داد شما را پروردگار شما وعده نیکو آیا پس دراز شد بر شما زمان یا خواستید

ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة

که فرود آید بر شما غضب از پروردگار شما پس خلاف کردید وعده مرا گفتند خلاف نکردیم وعده ترا باختیار خود ولیکن بار کرده شدیم بارها از زیور

خبر ثالث لانه

وعلى هذا العمل صاحب الكبيرة



القوم

القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى

قوم پس بیفکندیم آنرا پس همچنین افکند سامری پس بیرون آورد برای ایشان گوساله کالبدی که او را بانگ بود پس گفتند این خدای شما و خدای موسی

فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما

پس فراموش کرد آیا پس نمی بینند که بر نمیگردد سوی ایشان سخنی را و مالک نمیباشد برای ایشان زیانی و نه سودی و هر آینه گفت مر ایشانرا هرون از پیش ای گروه جز این نیست

فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى

آزمایش کرده شدید بآن و بدرستیکه پروردگار شما بخشاینده است پس پیروی کنید مرا و فرمان برید امر مرا گفتند هرگز نمیگذریم بر او مقیمان تا باز گردد بسوی ما موسی

قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا

گفت ای هرون چه باز داشت ترا وقتیکه دیدی ایشانرا که گمراه شدند که پیروی کنی مرا آیا پس عصیان ورزیدی امر مرا گفت ای پسر مادر من مگیر بریش من و نه

برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري

سر مرا بدرستیکه من ترسیدم که بگوئی جدائی افکندی میان بنی اسرائیل و رعایت نکردی سخن مرا گفت پس چه بود کار تو ای سامری

قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال

گفت دیدم آنچه ندیدند بآن پس گرفتم مشتی از پی رسول پس افکندم آنرا و همچنین خوب وانمود برای من نفس من گفت

فاذهب فإن لك في الحيوة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي

پس برو پس بدرستیکه مر تراست در زندگانی که بگوئی دست نرسانیدن و بدرستیکه مر تراست وعده گاهی که خلاف کرده نشوی آنرا و بنگر بسوی خدای تو آنکه گشتی

ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل

با تمام روز بر او عاکف هر آینه میسوزانیم آنرا پس هر آینه پراکنده میکنیم آنرا در دریا پراکندنی جز این نیست خدای شما خدائی است که نیست خدائی مگر او و احاطه کرده و

شيء علما كذلك نقص عليك من أنباء الرسل ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه

چیز را از راه دانش همچنین میخوانیم بر تو از خبرهای آنچه گذشت و بدرستیکه دادیم ترا از نزد خود یا قرآن با نام نیک کسیکه روی گردانید از آن

فإنه يحمل يوم القيمة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم

پس بدرستیکه او بر میدارد روز قیامت بار گران روزیکه دمیده شود در صور و حشر نمائیم گناهکارانرا روز چنین کبود چشمان پنهان گویند میان خود که درنگ نکردید

إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ويسألونك عن الجبال

مگر ده روز ما داناتریم بآنچه میگویند هنگامیکه خواهد گفت خوبترشان در سلک که درنگ نکردید مگر روزی و میپرسند ترا از کوهها

فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي

پس بگو پراکنده سازد آنها را پروردگار من پراکندنی پس بگذارد آنرا ساده هموار که نبینی در آن کجی و نه بلندی آنروز پیروی کنند خواننده را

لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن

که نیست کجی مر او را و پست شود آوازها برای خدای بخشاینده پس نشنوی مگر آواز آهسته آنروز سود ندهد شفاعت مگر کسیکه دستوری داده باشد او را خدا

ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب

و رضا داده باشد برای او گفتاری میداند آنچه باشد میان دستهاشان و آنچه پشتشان و احاطه نمیکنند باو از راه دانش و خوار شد رویها برای زنده پاینده و بتحقیق نومید شد

من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا

آنکه برداشت ستمی را و کسیکه کند از خوبیها و اوست مومن پس نترسد از ستم و نه شکستی و همچنین فرستادیم آنرا قرآنی

عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن

عربی و گردانیدیم در آن از وعید باشد که ایشان بپرهیزند یا پدید آورد برای ایشان پندی پس برتر است خدا پادشاه حق و شتاب مکن بقرآن

من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما القرائة لا تخف دركا بالجزم حمزة الباقون لا تخاف بالرفع

پیش از آنکه گذارده شود بتو وحیش و بگو ای پروردگار من زیاده کن مرا دانش انجینکم وواعدنکم ورزقنکم على التوحيد حمزة وعلي وخلف

وواعدناكم من الوعد ابو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما علي الآخرون بالكسر بملكنا بفتح الميم ابو جعفر ونافع وعاصم

غير المفضل بضمها حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحاء والميم مخففة ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي و

خلف سوى حفص الآخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة تتبعني بالياء والباكنة في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ونافع غير

اسمعيل في الوصل وقرأ يزيد واسمعيل بفتح الياء الباقون بحذفها يا ابن ام بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص لم تبصروا

بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف الباقون على الغيبة فبذتها مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد وهشام وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير

وابو عمرو ويعقوب لا تخون بفتحها البحر فقد بفتح النون وضم الراء يريد لا تخون من البحر يبس فلا تخف بالجزم على النهي بركيتين نقضي النون
مبنيا للفاعل وحيدا بالنصب يعقوب لنا فوق بالياء مضمومة وبفتح الفصا وحده بالرفع **الوقوف** يبسا لا لان قوله لا تخاف يصلح صفة
للطريق مع حذف الضمير الى العائد اي لا تخاف فيه ويصلح مستانفا ومن قرا لا تخف فوقفه اجوز لعدم العاطف ووقوع الحائل مع تعقب
النهي الامر الا ان يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا تخشى ما غشيهم ط لان التقدير وقد اضل من قبل على الحال الماضية دون العطف
لانه عند ما غشيهم لم يتفرغ للاضلال وما هدى والسلوى غضبي هوى اهتدى يا موسى لترضى السامري اسفا لانتفاء
الماضي على الماضي بلا ناسوخ سنا ط موعدي السامري فنسي ط قولا للعطف ولا نفعا ط فتنتم للابتداء بان مع اتصال العطف امري
موسى الا تتبعن ط امري برأسي للابتداء بان مع اتصال المعنى واتحاد القايل قولي يا سامري تعني لا مساس لن تخلفه للاختلاف
الجملتين عاكفا للقسم المحذوف الا هو علما سيق للاستئناف والحال ذكرا لان الشرطية تصلح صفة للذكر وتصلح مبتدأ بها ووزرا
لان قوله خالدين حال من الضمير في حمل وهو عائد الى من ومن للجمع معنى فيه حملا لا لان يوم ينفخ بدل من يوم القيمة زرقا لان ما بعده يصلح
للصفة وللاستئناف عشرا يوما نسفا صفصفا امتا لا عوج له للاختلاف الجملتين همسا قولا علما القيوم ط ظلما هضما ذكرا الحق وحيه
لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما اضيف اليه علما **التفسير** هذا شروع في قصة انجاء بني اسرائيل واهلاك عدوهم
وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى فاضرب لهم طريقا اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله او
اراد بين لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا حتى يتعلق فعل الضرب الى الطريق ثم بين ان جميع الامن حاصل في ذلك الطريق واليبس
مصدر يوصف به ومثله اليبيس نحوهما العدم والعدم ويوصف به المؤنث لذلك فيقال ناقتنا يبس اذا جف لبنها والدرك والدرك
اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في لا تخشى اقوى لا تخف الوجه هو الاستئناف اي وانت لا تخشى وجوز
في الكشاف ان يكون الالف للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وان يكون كقول الشاعر كان لم ترى قبلي اسيرا
يمانيا والادلم ترلان ماقبله وتضحك مني شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة ولا ضرورة في الاية فاتبعهم فرعون الحق بهم
جنوده او معهم ومعه جنوده كما في يونس فغشيهم اي علاهم وهو دهمهم من اليم ما غشيهم وهذا من جملة ما هو علم في باب الاعجاز لانه
على انه غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقد سلف منعنى السور المذكورة ما حكي في الاخبار وروي في الاثار ونسبة الاضلال الى فرعون لا تنافي
انتهاء الكل الى ارادة الله ومشيته وقوله وما هدى تاكيد للاضلال وفيه تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما انعم به على
بني اسرائيل ويجوز ان يكون خطابا للذين هو المعاصرين لان النعمة على الاباء نعمة في حق الابناء ومثل قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن و
اي الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عائدة اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فكتب التورية في الالواح فاما شرائعهم
واستقامة امر معاشهم ومعادهم كلوا من طيبات الحلال وطعامهم في الرزق ولا يشغلهم اللهو والنعم عن القيام بشكرها فيعد واحد حدود الله
فيها بالاسراف والتقتير والغضب فيحل من قرا فيحل بالكسر فبمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومن قرا بالضم فبمعنى النزول والغضب
نزول ما يجده من العقوبات والتبعات ومعنى هوى هلك واصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى اي وقع في الهاوية سؤال كيف
اثبت المغفرة في حق من جمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما يتصور في حق من ذنبه اثم ما معنى قوله ثم اهتدى بعد الامور
المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها لا اقل ان يكون معها الجواب وانى لغفار لمن تاب من الكفر وامن وعمل صالحا وفيه دليل لمن
ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل ان الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز ان يراد انه
اذا تاب من الكفر واقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التي تصدر عنه في خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم واما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة على الخدمة اصعب من الشروع فيها كما قيل لكل الى شأو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال
ثبات ونظير هذا العطف قوله واهلكناها فجاءها باسنا وقد مر البحث فيه ويروى ان موسى قد مضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد
المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجزا ما وعد بناء على اجتهاده وظن ان ذلك اقرب الى رضا الله فانكر الله تعالى فقال وما اعجلك
عن قومك اي شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم النقباء لا جميع قومه على ما توهم بعضهم ويؤكده قوله هم اولاء على اثري ولم يكن جميع قومه على اثره قال
جار الله قد تضمن ما خوطب به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم فكان اهم الامرين الى موسى
تمهيد العذر عن انكار العجلة نفسها فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير لا يعتد به ومثله في العادة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم
ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى اي طلبت دوام رضاك عني او مزيد رضاك بناء على اجتهادي في التعجيل
الى مقام المكالمة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب الكرامة وقيل لما انكر عليه الاستعجال دهش خوفا من العقاب فتحير في الجواب قال فانا
قد فتنا قومك يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا ثم انهم افاموا بعد

معاذ فرعون

سورة طه

مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع اياما وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فسئل انه لم كيف قال لموسى عند مقدمه
انا قد فتنا قومك واجيب بانه على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع او اراد بدء الفتنة لان السامري قد عزم
عند موسى فعزم على اضلال قومه عند انطلاقه ولقائل ان يمنع كون هذه الاخبار عند مقدم موسى بل لعله عند رجوعه بدليل فاء التعقيب
في قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة واخذ التورية والسامري منسوب الى قبيلة من بني
اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا
وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز ان ينسب الى الله تعالى لانه تعالى بين انه اضاف قوله واضلهم السامري وانما الفتنة
بمعنى الامتحان بتشديد التكليف وهو منه حسن لذهب بنا بيان ذلك ان السامري لما اخرج لهم العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة
الاجسام على ان العجل لا يصلح للالهية وقالت الاشاعرة الشبهة في كون الشمس والقمر الها اعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد من الذهب بل
لا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه فيجب حمله على خلق الضلال فيهم واجابوا عن اضافة الضلال
الى السامري بان جميع المسببات العادية يضاف الى اسبابها في الظاهر وان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الاسف لغة الغيظ وفرق
بين الاغتياظ والغضب لان الغيظ تغير يلحق المغتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا اصح اطلاقه على الله
سبحانه ثم عاتب موسى قومه بامور منها قوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لانهم كانوا معترفين بالرب الاكبر لكنهم عبدوا العجل على التاويل الذي
نذكر عبدة الاصنام على تاويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التورية التي فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات وشله ما روى
عن مجاهد انه العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك فرعون وقد وعدهم ارضهم وديارهم وقد
ومنها قوله افطال عليكم العهد ويريد مدة مفارقته لهم وعده ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا في موعده بعبادتهم
العجل وقيل وادعهم بنعم شتى من الانجاء وغيره والاكثرون على الاول لما ثبت انه وعدهم ثلثين كما امر الله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة
فجاء بعد الاربعين لقوله تعالى واتممناها بعشر لما روي انهم حسبوا العشرين اربعين ومنها قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم قالوا هذا
لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهو خلاف الموعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لان مريد السبب
مريد للمسبب بالعرض اجمع العلماء بالاية وبما هو من قوله فيحل عليكم غضبي ان الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله
تعالى لا ينزل في شيء من الاجسام وموعد موسى هو ما ذكرنا من انهم وعدوه الاقامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق
به والمجيء على اثره قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بالحركات الثلث اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا
من جهة السامري وكيده والظاهر ان القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه كانهم
قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم نقدر على منعهم ولم نقدر ايضا على مخالفتهم حذرا من التفرقة وزيادة الفتنة ثم ان القوم بينوا
العذر بالعجل فقالوا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي اثقالا من حلي القبط كما مر في الاعراف وقيل الاوزار الاثام وانها في الحقيقة اثقال
مخصوصة معنوية سموا بذلك لان الغنائم لم تحل او لانهم كانوا مستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي
وقيل ان تلك الحلي كان القبط يتزينون بها في مجامع الكفر ومجالس المعاصي فلذلك وصفت بانها اوزار كما يقال في الالات الملاهي فقذفناها
اي في الحفرة كان هرون امرهم بجمع الحلي انتظار العود موسى او في موضع امرهم السامري بذلك بعد ان اوقد النار وكذلك القى السامري مثل فعلنا
اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حافر فرس جبرئيل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول
فنبذتها فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار قد مر في الاعراف فقالوا اي السامري ومن تبعه هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان يطلبه ههنا فذهب
ان يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر ثم نبه بالاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بقوله افلا يرون
الا يرجع ان مخففة من الثقيلة ولهذا لم يعمل وقرئ بالنصب على انها الناصبة قالت العلماء ظهور الخوارق على يد مدعي الالهية جائز لانه لا يحصل
الالتباس وههنا كذلك فوجب ان لا يمتنع خلق الحيوة في صورة العجل وروى عكرمة عن ابن عباس ان هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع
فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم اعطه ما سألك فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني اسألك ان يخور فخار وعلى هذا التقدير
يكون معجزا للنبي لا للسامري ثم انه سبحانه اخبر ان هرون لم يأل نصحا واشفاقا في شان نفسه وفي شان القوم قبل ان يقول لهم السامري ما قال اما
شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر وانه امتثل نفسه وفي شان القوم قبل ان يقول لهم السامري
ما قال اما شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر ام اخيه حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كانهم اول
ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون فزجرهم عن الباطل اولا بان هذا من جملة
الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله وان ربكم الرحمن ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام انهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم
ثم بين ان الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني واطيعوا امري وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم ان [illegible]

اى الزينة التنعم

الشفقة

الشفقة على خلق الله اصل عظيم في الدين وقاعدة متينة وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى
عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من اراد ان ينظر الى رجل
من اهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال الهي وسيدي هذا رسولك يشهد على باني من اهل النار وانا اعلم انه صادق فاذا كان
الامر كذلك فاسألك ان تجعلني فداء امة محمد وتشعل النار بي حتى تبر يمينه ولا يدخل النار احد فهبط جبرئيل وقال يا محمد بشر الشاب باني قد انقذته محمد ص
من النار بتصديقه لك وفدائه امتك بنفسه وشفقته على الخلق قال اهل السنة فيها ان الشيعة تمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هرون
من موسى ثم ان هرون ما منعته التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت امة محمد على الخطأ
لكان يجب على علي كرم الله وجهه ان يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف وللشيعة ان يقولوا ان هرون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا
عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وهكذا علي امتنع اولا من البيعة فلما آل الامر الى ما آل اعطاهم
ما سألوا وانما قلت هذا على سبيل البحث لا لاجل التعصب ثم ان القوم قابلوا حسن موعظة هرون بالتقليد والجحود قائلين لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من انواع التوكيد من جهة النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل
ومن تقديم الخبر ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن كقوله ما منعك ان لا تسجد
في ان لا صلة مزيدة ام لا وقد مر في الاعراف ومعنى هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس ما منعك من اتباعي ممن اطاعك واللحوق بي وترك المقام
بين اظهرهم وقال مقاتل اراد الاتباع في وصيته كانه قال هلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لا تباشر الامر كما كنت اباشره قال الامام ولو كنت في
قوله افعصيت امري دلالة على ان تارك المامور به عاص والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه
ان الامر للوجوب واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى اما ان يكون امر هرون باتباعه اولا وعلى التقدير الاول فهرون اما ان اتبعه اولا فان لم يأمره او امره
لكن اتبعه فلا ذنب لهرون ومع عتبه يكون موسى مذنبا وان امره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وايضا قوله افعصيت استفهام بمعنى الانكار فان لم يكن
موسى كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما ان يكون هرون عاصيا وايضا اخذه بلحية هرون وبرأسه ان كان بعد البحث والتفتيش
فهرون عاص والا فموسى والجواب ان كل ذلك امور اجتهادية جائزة الخطأ وهي من باب ترك الاولى وقد مر في اوائل البقرة في قصة آدم ما يتعلق
بهذه المسئلة قوله ولم ترقب قولي اي وصيتي لك بحفظ الدهماء واجتماع جمع الشمل يؤيده قوله خشيت ان تقول فرقت قال الامام ابو القسم
الانصاري لهذه الآية انفع من الكلام لان التجربة ما دا الآية واحدة فآمنوا وعملوا في الذين ما عملوا واما قوم موسى فقد رأوا ذلك
مع زيادة شبه الآيات التسع ومع ذلك عبدوا العجل وعكفوا على عبادته فعرفنا ان الغرض لا يحصل الا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى عن عتاب
هرون اقبل على السامري ويمكن ان يكون بعيدا ثم حضر او ذهب اليه موسى ليخاطبه قال فما خطبك والخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل
لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه قال اي السامري بصرت بما لم يبصروا به قال ابن عباس
ورواه ابو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصارة يعني العلم فقال الاخرون رأيت ما لم يروه فالباء للتعدية ترجيح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب
احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبي والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على ان المراد بالرسول
جبرئيل والاثر التراب الذي اخذه من موضع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحياة ومتى رآه الاكثرون على انه رآه يوم فلق البحر كان جبرئيل على الرمكة
وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبرئيل فتبعه فرس فرعون وعن علي ان جبرئيل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري
من بين الناس وكان راكب حيزوم فقال ان لهذا شأنا فقبض من تربة موطئه فمعنى الآية فقبضت من اثر الرسول المرسل اليك يوم
حلول الميعاد من المفسرين من جوز ان السامري لم يعرف انه جبرئيل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس انما عرفه لانه رباه في صغره وحفظه
من القتل حين امر فرعون بقتل اولاد بني اسرائيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فيأخذ الملائكة الولدان
فيربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري اخذه جبرئيل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى
عرفه وقال ابو مسلم اطلاق الرسول على جبرئيل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب ثم ايه تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبرئيل
وبمعرفة خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه فلقائل ان يقول لعل موسى اطلع على
شيء آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى ان يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون اطلاق
الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا به مكذبا واراد باثره سنته ورسمه من قولهم فلان يقفو اثر فلان اي عرفت ان الذي
عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئا من سنتك فطرحتها فعلى قول العامة يكون قوله وكذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما اوحى اليه
ابليس الشيطان ان تلك التربة اذا نبذ على الجماد صار حيوانا وعلى قول ابي مسلم يشير الى ان اتباع اثرك كان من تسويلات النفس الامارة فلذلك
تركته ثم بين موسى ان له عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة يروى انه اراد ان يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه سخي فبقي قوله
مساس وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس لا تراه اتفق انه ماسه احد حم الماس والممسوس فلذلك اذا رأى احدا صاح لا مساس فيقال ذلك

ان قومه باق فيهم ذلك الى الآن لتنافي ان المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى اخرجه من محلة بني اسرائيل وقال الحسن جعل انت واهلك
طريدا الى البراري اعترض لو اعتل عليه بان الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس وانما يقال له ذلك واجيب بان هذا على الحكاية اي
اجعلك بانسا دين بحيث اذا اخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس الثالث قول ابي مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بانه لا يمكن له مماسة
المرأة اي مجامعتها وانما حاله في الآخرة فذلك قوله وان لك موعدا لن تخلفه قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من اخلفت الموعد اذا وجدته
خلفا ثم بين ما لحال الهه فقال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا لنحرقنه من الاحراق وقيل
على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار وقد يقرأ لنحرقنه ثم قال السدي امر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم احرق ثم نسف رماده والنسف
النقض ومن جعله من الحرق اي لنبردنه بالمبرد فيشده لانه على انه لم ينقلب حيوانا الا اذا يبرد بردا عظاما ومن جعله من الاحراق فانه يحتمل الوجهين
والمراد ... السامري وابطال كيده ومحو صنيعه والله خبير لما كونه ثم ختم الكلام ببيان الدين الحق فقال انما الهكم اي المستحق للعبادة والتعظيم
الله لا اله الا هو وسع كل شيء علما قد مر مثله في الانعام قال مقاتل اي يعلم من يعبده ومن لا وحين فرغ من قصة موسى في تبيين سوء نام فقال كذلك
اي نحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامري نقص عليك من سائر اخبار الرسل مع اممهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شان القرآن
بقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي ما ذكرنا فيه كل ما يحتاج اليه المكلف في دينه ودنياه والوزر العقوبة الثقيلة التي تنقض ظهر صاحبها
او المراد جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله وساء فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف للقرينة اي ساء
حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ويجوز ان يكون ساء بمعنى بئس ويكون فيه ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز وهم حال من حملا ولا ادري
لم انكره صاحب الكشاف اللهم الا ان يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت الحمل بالفتح ما كان في بطن او على راس شجرة وبالكسر ما كان
على ظهر او راس في الصور قولان اشهرهما انه القرن يؤيده قوله فاذا نقر في الناقور ولعله تعالى يعرف امور الآخرة بامثال ما شوهد في الدنيا ومن عادة
الناس انهم ينفخون في البوقات عند الاسفار وفي العساكر يجعل الله النفخ في الصور علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات واقربهما من المعقول
ان الصور جمع صورة كما قرأ من قرأ بفتح الواو ويقال صورة وصور كدرة ودرر والنفخ نفخ الروح فيها والكتبة يرد عليه ان النفخ يتكرر لقوله تعالى
ثم نفخ فيه اخرى والاحياء لا يتكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو بمراد من النفخة الاولى بالاتفاق ونحشر المجرمين عن ابن
عباس هم الذين اتخذوا مع الله الها آخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة زرقا فيه وجوه قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة ابغض شيء
من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وانهم زرق العيون ومن كلامهم في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين وقال الكلبي
زرقا اي عميا قال الزجاج يخرجون بصراء اول مرة لقوله يوم تشخص فيه الابصار ولقوله اقرأ كتابك ثم يؤول حالهم الى العمى ... ونحشره
يوم القيامة اعمى وقيل زرقا اي عطاشا كقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكانهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حكاه ثعلب عن ابن
الاعرابي يتخافتون يتسارون بينهم لغاية خوفهم او لانه امتلأت صدورهم رعبا وهولا يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لانها ايام سرورهم ومن
نصابها انما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولا سيما بالنسبة الى الابد السرمد كان ظنهم يقول قد لبثنا في الدنيا بالقياس الى
لبثنا في الآخرة كعشرة ايام فقال اعقلهم بل كاليوم الواحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل اراد عشر ساعات اي بعض يوم وعلى
هذا فانه يدل عليهم استقصارهم وقيل المراد لبثهم في القبور قال اهل النظر كان سائلا سأل كيف يصح التخافت بين المجرمين وحال الجبال
حالهم ما تقدم فلذلك قال ويسألونك عن الجبال وقال الضحاك ان مشركي مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال
يوم القيامة فنزلت ويحتمل ان يكون هذا جواب شبهة يتمسك بها منكرو البعث منهم جالينوس زعم ان الافلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأت
بالنقصان حتى ينتهي الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم هذه المسألة الاصولية
من غير تأخير ولهذا ادخل فاء التعقيب في الجواب ينسف ... وقال الخليل النسف ... والادقاق كانه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها
وحاصل الجواب ان كل بطلان لا يلزم ان يكون ذبوليا بل قد يكون دفعيا والضمير في فيذرها للجبال اي مقارها ومراكزها او للارض
للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها والقاع المستوي من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء والصفصف الارض الملساء المستوية
التي لا نبات فيها والامت النتو اليسير وقيل التلال الصغار والعوج بالكسر في المعاني وكانه سبحانه نفى العوج الذي يدق عن الاحساس ولا يدرك
الا بالقياس الهندسي واذا كان هذا النوع من العوج الاعتباري منتفيا فكيف بالعوج الحسي وقد يستدل بالاية على ان الارض يومئذ يكون
كرة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مشتركة فيحصل الامتداد القائم عليها هناك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق
فيه يتبعون الداعي قيل هو النفخ في الصور وقوله لا عوج له اي لا يعدل عن احد بل يحشر الكل وقيل ان اسرافيل وملكا آخر هو على
صخرة بيت المقدس ينادي ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى ربك للحساب والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون
صوته من غير انحراف وخشعت الاصوات للرحمن خفضت من شدة الفزع فلا تسمع ايها السامع الا همسا وهو الصوت الخفي [illegible]
والادنى علموا ان لا مالك لهم سواه وحق لمن كان الله محاسبه ان يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة

وان زيد الهمس وطي الاقدام الى المحشر قوله الا لمن اذن له الرحمن يصلح ان يكون منتصبا على المفعولية وان يكون مرفوعا على البدلية بتقدير
حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له اي لاجله قوله قال الامام فخر الدين الرازي الاحتمال الاول اولى
لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تصلح ولا تحصل الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الاية على ذلك
كان من ابعاض الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع واقول الاحتمالان متقاربان بل متلازمان لان المشفوع لا يقبل الشفاعة في حقه
الا اذا اذن الرحمن لاجله منبوذ الى الشافع قالت المعتزلة الفاسق غير مرضي عند الله تعالى فوجب ان لا ينتفع بشفاعة الرسول واجيب بانه قد رضي
لاجله قولا واحدا وهو كلمة الشهادة قالوا هب ان الفاسق قد رضي الله قوله لاجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع في حقه والجواب انا ايضا من اقواله
نمنع من ان الاذن غير حاصل في حقه على انه قال في موضع اخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا احد القيدين ثم اخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم
ما بين ايديهم الضمير للذين يتبعون الداعي اي يعلم ما يتقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما وقال الكلبي ومقاتل
الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر في اية الكرسي وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا اي يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان
منهم بعد خلقهم من امر الاخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيئا من ذلك فكيف يصلحون للمعبودية ثم ذكر غاية قدرته وعنت
الوجوه اي ذلت رقاب الممكنات متقابلين لامره كالاسارى عند العنو عنوا اذا صار اسيرا وقيل المراد وجوه العصاة في القيامة كقوله سيئت
وجوه الذين كفروا والغرض ان الوجوه بالذكر لان اثر الذل والانكسار فيها ابين واظهر قال جار الله وقد خاب ما بعده اعتراض اي كل
من ظلم فهو خائب خاسر ولا لاهل السنة ان يخصوا الظلم هاهنا بالشرك او يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد ومن قرا فلا يخاف بالرفع
فعلى الاستيناف اي فهو لا يخاف كقوله فينتقم الله منه ومن قرا فلا يخف فمعناه فليامن لان النهي عن الخوف امر بالامن من فسر
الظلم بانه الاخذ فوق حقه والهضم النقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مضافا محذوفا اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه
لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بانه العقاب لا على جريمة والهضم بانه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال ابو مسلم الظلم
ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال
جار الله وكذلك عطف على قوله كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المضمنة للوعيد انزلنا
القران كله عربيا لان العرب افضل وغيرهم تبع لان النبي عربي وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه ويدخل تحته ضمنه الفرائض
والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك احدهما وبفعل الاخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا احتمل جار الله الاول على ارادة ترك المعاصي
والثاني على فعل الخير والطاعة لان الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة فلذلك لا يناسب القران منفرعا عن التشابه يبعث على الطاعات
من حيث ان فيه معاينه يؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى عبارة عن
فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان اي ان فيه شيئا من الترك والافعال احدث لهم ذكرا اذا تاملوا
معانيه وكلمة او على الاول للتخيير والاباحة وفي الثاني للتنويع وعلى الثاني يجوز ان يكون للشك وقيل اراد انزلنا القران ليتقوا فان لم يحصل ذلك
فلا اقل من ان يوجب القران لهم ذكرا اي شرفا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقادير يكون في انزال القران نفع ثم عظم
شان القران من وجه اخر هو عظمة شان منزله قائلا فتعالى الله الملك الحق ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين انزل القران لحكمة وتنزه
عما لا ينبغي وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر في البسملة قال جار الله فيه استعظام له ولما يصرف
عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك كما يجري عليه امر ملكوته قال ابو مسلم ان من قوله
ويسئلونك عن الجبال الى هاهنا كلام تام وقوله ولا تعجل خطاب مستانف وقال الحسن انه صلى الله عليه وآله كان يخاف ان يفوته
شيء فيقرا مع الملك فامره تعالى حين شرح كيفية نفع القران للمكلفين وبين انه سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصي وانه موصوف
بالملك الدائم والعز الذي لا يزول وكل من كان كذلك وجب ان يصون رسوله عن السهو والنسيان في امر الوحي وما يتعلق بصلاح العباد في المعاش والمعاد
قال ولا تعجل بالقران لانه تحصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يتم قراءة جبريل ونحوه قوله
ولا تحرك به لسانك لتعجل به قال مقاتل والسدي وابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة اراد ولا تعجل بالقران فتقراه على اصحابك
من قبل ان يوحى اليك بيان معانيه اي لا تبلغ ما كان مجملا حتى ياتيك البيان وقال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا
عن كذا وكذا وقد ضربنا لك اجلا ثلثة ايام فابطا الوحي عليه وفشت المقالة ان اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الاية اي لا تعجل بنزول
القران من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبريل ومنه اليك عن الحسن ان امراة اتت النبي فقالت
زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الاية فامسك رسول الله عن القصاص وتمام هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقران يحتمل
التعجيل بقراءته في نفسه او في ادائه الى غيره او في اعتقاد ظاهره او في تعريف الغير بالقضية لظم وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه
احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك تمامه او من قبل ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز ان يحصل عقيبه استثناء او شرط او غيرهما

من المخصصات

من المخصصات المبينات ويؤكد هذه المعاني قوله وقل رب زدني علما لان معرفة المبينات علم زائد على معرفة الاجمال والظاهر ان هذه الاستعجال كان امر اجتهاديا وكان الاولى تركه فلذلك نهى عنه قال جار الله هذا الامر متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم اى علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم ومن فضائل العلم ان النبي صلى الله عليه وآله ما امر بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وفيه اشارة الى ان اسرار القران غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره ونقصانه فاسالك بما سالك به نبيك ان تزودني بمتابعته علما ينفعني في الدارين التاويل ولقد اوحينا الى موسى القلب ان اسر بعبادي وهم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سرهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطين الصفات الحيوانية وباقي التاويل كما مر في يونس وتركنا عليكم من صفاتنا وسلوى اخلاقنا فاتصفوا بطيبات اخلاقنا ولا تطغوا فيه بافشاء اسرار الربوبية الى غير اهلها كمن قال انا الحق وسبحاني فان الحالات لا تصلح للمقالات واني لغفار لمن رجع عن الطغيان وآمن بالربوبية وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى فحقق ان حضرة الربوبية منزهة عن دنس الوهم والخيال ومقام الوصال مباين للقيل والقال وعجلت اليك ربي لترضى بشارات الشوق قد غلب فقطع العلائق وان مطلوب السالك لا ينبغي ان يكون الا رضاء الله قد فتنا قومك من بعدك فيه ان فتنة الامة والمريد مقرون بغيبة النبي والشيخ بملكنا اى باختيارنا وعشقنا ولكن بارادة الله ومشيته فكذلك القى السامري من غير اختيار منه ولكن باضطرار من القدر يا ابن ام فيه لطيفة نبه بها لكونه في قول الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقبضت قبضة من اثر الرسول فيه ان خوارق العادات الكرامة لاهل الكرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها في الباطل والطبيعة لا في الحق والحقيقة قوله لا مساس فيه ان معاقبة المفسد من اراد الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعقوبته بالتفرد والتوحش والتفادي عن الخلق فان الوجه اشرف اعضاء الانسان والعين اشرف اعضاء الوجه ونزرق العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان اشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا الاخلاق انما تعبر للامتزاج وعنت الوجوه اى كل جهة يتشبث بها المكلف الى الواجب يتبعون الداعي لان كل اناس يدعى بامامهم فيتبعونه السنة واهل الله لا يجيبون الا الى الله تعالى لقوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله استعانة

ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا

و بدرستیکه عهد کردیم با ادم از پیش پس واگذاشت و نیافتیم مراو را عزمی و چون گفتیم مر ملائکه را که سجده کنید مر ادم را پس سجده کردند مگر

ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا

ابلیس که ابا نمود پس گفتیم ای ادم بدرستیکه این دشمن است مر ترا و مر جفت ترا پس نباید که بیرون کند شما را از بهشت پس بزحمت افتی بدرستیکه مر ترا است که

تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك

گرسنه نشوی در این و نه برهنه شوی و بدرستیکه تو تشنه نشوی در آن و نباشی در آفتاب پس وسوسه کرد مر او را شیطان گفت ای ادم آیا دلالت کنم شما را

على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق

بر درخت جاودانی و پادشاهی که کهنه نشود پس خوردند از آن پس ظاهر شد مر ایشان را عورتهاشان و شروع کردند که بچسبانند بر آن دو از ورق

الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم

بهشت و نافرمانی کرد ادم خدایش را پس بی بهره شد پس برگزید او را پروردگارش پس رجوع کرد از او و هدایت کرد گفت فرو شوید از آن همه پاره شما

لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى

مر پاره را دشمن پس اگر آید شما را از من هدایتی پس آنکه پیروی کند هدایت مرا پس گمراه نشود و تعب نکشد و آنکه رو گرداند از ذکر من

فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك

پس او راست زیستنی تنگ و حشر میکنیم او را روز قیامت نابینا گفت پروردگارا چرا حشر کردی مرا نابینا و بدرستیکه بودم بینا گفت همچنین

اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب

آمد ترا آیات ما پس واگذاشتی آنرا و همچنین امروز واگذاشته شوید و همچنین جزا میدهیم کسی را که اسراف کرد و نگروید بآیتهای پروردگارش و هر آینه عذاب

الآخرة اشد وابقى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك

آخرت سخت تر و پاینده تر است آیا پس هدایت نکرد ایشانرا که بسیار هلاک کردیم پیش از ایشان از قرنها که میروند در مسکنهای ایشان بدرستیکه در این

لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح

هر آینه آیتهاست مر صاحبان خرد را و اگر نبود کلمه که پیشی گرفت از پروردگارت هر آینه بود لازم و مدتی نام برده شده پس صبر کن بر آنچه میگویند و تسبیح کن

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى و

التاويل

قاله

تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى

كشاى البته دو چشم را بسوى آنچه كامياب كرديم بدان صنفها را از ايشان خوشى زندگانى دنيا تا مفتون سازيم ايشان را در آن و روزى پروردگار تو بهتر و پاينده تر است

وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا

و امر كن كسان خود را بنماز و صبر كن بر آن نميخواهيم از تو روزى ما روزى ميدهيم ترا و عاقبت نيك مر پرهيزكارانرا و گفتند چرا نمى آرد

ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا

مر ما را نشانه از پروردگار او آيا نيامد بايشان بيان آنچه بود در كتابهاى نخستين و اگر آنكه ما هلاك كرديم ايشانرا بعذاب از پيش آن هرآينه گفتندى

ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون

چرا نفرستادى بسوى ما رسولى تا پيروى كرديم آيات ترا از پيش آنكه خوار شويم و رسوا گرديم بگو هر يك منتظرم پس منتظر باشيد پس زود بود كه بدانيد

من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

كيست اصحاب راه راست و كيست كه هدايت يافت

القراءات وانك لا تظمأ بالكسر ابو بكر وحماد والخراز عن نافع الباقون بالفتح عطفا على انك لا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه اعمى بالامالة حمزة وعلي وخلف حشرتني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير ترضى مبنيا للمفعول علي وابو بكر وحماد والمفضل زهرة بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب الآخرون بسكونها وقرأ حمزة وعلي وخلف هذه السورة وكل سورة اياتها على الياء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر

الوقوف عريانا لا ابليس ط ابى فتشقى ولا تعرى لمن قرأ وانك بالكسر ولا تضحى لا يبلى ج لنوع عدول عن ذكر حال الاثنين الى بيان فعل من هو المقصود فغوى ص وهدى ج عدو ج لابتداء الشرط مع الفاء ولا يشقى ج يوم القيمة اعمى ط بصيرا ط لعطف المختلفين ج تنسى ط بآيات ربه ط وابقى ج مساكنهم ط النهى ج مسمى ط غروبها ج لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى ج لنفتنهم فيه ط وابقى ج عليها ط رزقا ط نرزقك ط للتقوى ج من ربه ط الاولى ج ونخزى فتربصوا ج السوي لتعقيب حرف الفاء اهتدى ج

التفسير في تعلق قصة ادم بما قبلها وجوه منها انه لما قال كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ثم عظم شان القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد ومنها انه قال وصرفنا فيه من الوعيد فذكر هذه القصة ليعلم ان طاعة بني ادم للشيطان امر قديم وخلة موروثة وذلك انه عهد الى ادم من قبل هؤلاء الذين صرف لاجلهم الوعيد فنسي وترك العهد ومنها ان قوله ولا تعجل بالقرآن دليل على انه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب في رعايته امر الدين وكان مفرطا في اداء الرسالة وحفظ ما امر به فناسب ان يعطف عليه قصة ادم لانه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى اذ كان اول الانبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فما ظنك بغيرهما ومن هنا يعرف افضلية الخاتم فانه سعى في طلب الكمال الى ان خرج عن حد الاعتدال وادم توسط في جنب النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها ان محمدا صلى الله عليه وآله امر بان يقول رب زدني علما ثم ذكر عقيبه قصة ادم تنبيها على ان بني ادم هم مفتقرون في جميع احوالهم الى التضرع والالتجاء الى الله حتى يفتح عليهم ابواب التيسير في العلم والعمل ومعنى عهدنا الى ادم امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل محمد والقرآن وفي النسيان قولان احدهما انه نقيض الذكر عن الحسن والله ما عصى قط الا بنسيان والثاني ان معناه الترك وعلى هذا يحتمل ان يقال اقدم على الاكل من غير تاويل وان يقال اقدم عليه متاولا كما مر في البقرة قال اهل الاشارة عهد اليه ان لا يتعلق بوسوسة الشيطان وهو النسيان والعزم ايضا فيه قولان احدهما عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد وثانيهما عزما في العود الى الذنب ثانيا وثالثها ثباتا وصبرا اي لم يكن من اهل العزيمة والثبات لانه كان من حقه ان يتصلب في المامور به تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون بمعنى نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما قوله واذ قلنا للملائكة سلف في البقرة مستقصى قوله ان هذا عدو لك ذكروا في سبب عداوته له انه كان شابا عالما لقوله وعلم ادم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضله بفضيلة اصله والشيخ الجاهل ابدا يكون عدوا للشاب العالم وايضا الماء والتراب مضادان للنار فلا يخرجنكما فلا يكون سببا لاخراجكما لان الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه فتشقى فتتعب في طلب القوت وتحصيل ما يتعيش به الانسان اسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما في الخروج لان الرجل اصل في باب الانفاق والكسب والمرأة تابعة له ثم بين ان تلك ذلك الشقاء بقوله ان لا تجوع فيها ولا تعرى والظمأ العطش وقوله ولا تضحى لا تصيبك الشمس يقال ضحى بالكسر ضحى وضحا ممدودا اذا برزت لها والمراد به لكن مع ان الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها الضحى ففي كون هذه الامور في الجنة تثبت حصولها في غيرها ولا ريب ان اصول المتاع في الدنيا هي الشبع والري والكسوة والكن واما المنكوح فمشروط لان مؤن النكاح تختص بالدنيا وايضا ترجع الى المذكورات بعد ان كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع فوسوس اليه الشيطان انهى اليه وسوسته كما مر في الاعراف بيان الوسوسة انه قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل حيزوم فرس الحيوة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى اي لا ينقطع ولا يزول قال القاضي ليس في اللفظ انه قبل ذلك منه لانه لابد ان يحصل بين حال التكليف وحال المجازاة فصل بالموت والنبي

انه لا يجهل

ان لا يمنع فيلم هذا القدر واجيب بالمنع ولو سلم فلم يكفي الفضل بجرى دنو خفيف ولو سلم انه لا يكفي فلم لا يستحيل ان يحمل النهي ثم كما حمل عند
جواز الرؤية على ذلك حين قال رب ارني انظر اليك ومما يدل على ان آدم قبل وسوسته قوله تعالى فاكلا بالفاء والفاء مشعر بالعلية كقول القائل زنا
ماعز فرجم وباقي الاسئلة مذكور في تفسيره في الاعراف لا نؤكده وعصى آدم ربه فغوى قال بعض الناس ان آدم ذنبه كبيرة والا لم يوصف بالعصيان
والغواية فان العاصي والغاوي اسمان مذمومان عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليهما واجيب بان المعصية مخالفة للامر والامر قد يكون
مندوبا وزيف بالمنع من ان المندوب مأمور به ثم من ان مخالفه عاص والا كان الانبياء كلهم عصاة لانهم لا ينفكون عن ترك المندوب
قالوا يقال امرته بكذا فعصاني وامرته بشرب الدواء فعصاني واجيب بالمنع من ان هذا من مستعملات العرب لغة وعادة ولو سلم فلعله
انما يقال ذلك اذا عرفت المشيئة لا بد له ان يعقل ذلك ح يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك الايجاب
لم يحصل عن الشارع ومنهم من زعم انه ذنب صغيرة وهم عامة المعتزلة ورد بان العاصي اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغيرة
واجاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى اي خاب من نعيم الجنة لانه
هو ان يتوصل بشيء الى شيء فيصل الى المقصود الذي ضده وانه سعى في طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى اي بشم من كثرة الاكل
وزيفه جار الله وقد قوى قول ابي مسلم بان مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت في هذا نظر والاحوط في هذا الباب
ان يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة بدليل قوله ثم اجتباه ربه اي اختاره للرسالة وهي كالحفظ اسباب العصمة واصل الاجتباء هو الجمع
كما مر في اواخر الانعام وعن ابي امامة لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما قال العلماء فيه دليل على انه
لا راد لقضاء الله وما قدر يكون لا محالة وانه اذا جاء القضاء عمي البصر وان الدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على اعقل الناس
كما خفي على آدم عداوة ابليس انه يتعرض لسخط الله في شأنه حين امتنع من سجوده فكيف يقبل نصحه ووسوسته لولا كتاب من الله سبق قال المحققون
الاولى ان لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على آدم وان ورد في القرآن وعصى آدم ربه فغوى لانه لم يصدر عنه المعصية الا مرة واحدة وصيغة اسم
الفاعل ينبئ عن الاصرار ولان المسلم اذا تاب عن الشرب والزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز ان يشتم عبده
بما شاء وليس لغيره ذلك قال اهبطا فقد مر تفسير مثله في البقرة خاطبهما بالهبوط لانهما اصلا البشر ثم عم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما
يأتينكم اما قوله بعضكم لبعض عدو فقد قال القاضي يكفي في توفية هذا الكلام حقه ان يكون ابليس والشياطين اعداء للناس والناس
اعداء لهم فاذا ضم الى ذلك عداوة بعض الناس لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا
يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والسبب ان العقاب في الآخرة انما هو للضلال عن الدين في مدة التكليف ومن اتبع كتاب
الله يستلزم عدم الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب في الآخرة واما الشقاء الذي قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لقصره
على ان الرضا بالقضاء يهون عليه مصائب الدنيا وآفاتها ثم ذكر وعيد من اعرض عن ذكره وظاهر الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى المذكور
لان قوله ومن اعرض عن ذكري في مقابلة قوله فمن اتبع هداي وقد مر في اول البقرة ان المراد به البشر عقيبه والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو
القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر وصف به ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك
كانه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه وقصر مدته وكثرة شوائبه وانما العيش الواسع عيش الآخرة وهذا الضيق
المتوعد به اما في الدنيا او في القبر او في الآخرة فان كان الاول فلان المسلم الراضي بقضاء الله ومعه من التسليم والتوكل والقناعة ما
يعيش به عيشا راضيا والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض والقلق ما لبث بالمرء من الفراغ والدفاع الكلي
هم للاهم الدنيا عن ابن عباس المعيشة الضنك هي ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدي لشيء منها ومن الكفرة من ضربت عليه الذلة والمسكنة
وسئل الشبلي عن قوله اذا رأيتم اهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال اهل البلاء هم اهل الغفلة عن الله عقوبتهم ان يردهم الله الى انفسهم
واي معيشة اضيق واشد من ان يرد الانسان الى نفسه قلت التحقيق ان بعض البليات من العقوبات فطلب العافية منها لازم وبعضها لمزيد
الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا فربما يؤول امر الابتلاء الى الجزع والفزع فيحرم الثواب فيطلب العافية من هذا القسم ايضا هو فاشي لما ليدر اما الثاني
فعن ابن مسعود وابي سعيد الخدري وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس ان الآية نزلت في الاسود بن عبد الله المخزومي
والمراد ضغطة القبر تختلف فيها اضلاعه واما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبي انه ضيق في الآخرة في جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم
وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون اما قوله ونحشره يوم القيامة اعمى فكقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فيمن فسر الزرق بالعمى ونحشرهم يوم
القيامة على وجوههم عميا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال الجبائي اراد انه لا يهتدي يوم القيامة الى طريق ينال منه خيرا كالاعمى وعن مجاهد
والضحاك ومقاتل انه اراد اعمى عن الحجة وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ثم قال القاضي هذا القول ضعيف لانه لا بد في القيامة ان يعلمهم الله تعالى
بطلان ما كانوا عليه بتمييزه لهم الحق من الباطل ومن هذه حاله لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان لكن قوله وقد كنت بصيرا ينافيه قال
الامام فخر الدين الرازي وربما يؤكد هذا الاعتراض بانه تعالى علل ذلك العمى بان المكلف نسي الآيات في الدنيا فلو كان العمى الحاصل في الآخرة

ذلك لنسيانا لم يكن للمكلف تسبب لذلك ضرر كما في الدنيا قال والتحقيق في الجواب عن الاعتراض ان النفوس الجاهلة في الدنيا اذا فارقت
ابدانها بقي عليها جهلها في الآخرة فيصير ذلك الجهل سببا لاعظم الآلام الروحانية واقول على القاضي يحتمل ان يكون مجازا باعتبار الغاية فقد
يبلغ الشيء باعتبار عاقبته وثمرته فلا ينافي كونها اعمى في الآخرة يهتدي لا اشتبا اعلام اشتباه اياه الحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه اعمى في الآخرة
بالاعتبار المذكور لان المعرض عن الدليل يشبه ان يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ بعد يؤيده قوله تعالى في جوابه كذلك اي
مثل ذلك فعلت انت ثم فسر ذلك بقوله اتتك اياتنا اي دلائلنا واضحة مستنيرة فنسيتها اي تركتها وتركت العمل بها والعناية بموجبها وكذلك
اليوم تنسى تترك بلا فائدة النظر والاعتناء وعلى الامام انه لا يلزم من كون المكلف غير متصور بسبب الدلائل في الدنيا كونه يحشر
في الآخرة واما قوله في الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكيم ان جهل النفس يصير سببا لتعذيبها فان كان منعا لقول المعتزلة انه تعالى يعلم المكلف
بطلان ما كان عليه في الدنيا فذلك لا يفتقر الى العقل وان كان تسليما لقولهم فمن يجمل الاعراض هذه وقد ورد في بعض الآثار اشد
الناس عمى يوم القيمة هم الذين حفظوا القرآن ثم نسوه ولعله قوله اتتك اياتنا فنسيتها اللهم اجعلني ممن يواظب على تلاوة كتابك حتى لا ادنا
يوم التلاق وكذلك نجزي من اسرف قيل عصى ربه ولا ظهر اقترا اذا شرك وكفر بل قيل قوله ومن لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة وهو الحشر
على العمى اشد وابقى من ضيق المعيشة في العاجل وادوم كما انه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا ثم رجع الى توبيخ المعرضين عن الدلائل بعدم
الاعتبار باحوال القرون الخالية فقال افلم يهد لهم بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن اعرض عن ذكري وهنا
كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها وبعد ذلك وقد قصة موسى فناسب في سيئنا بالواو واما حذف من
ههنا واثباته هنالك فلما مر من ان من يفيد الاستيعاب وهنالك قد زاد في القرون بشرح قصة بني اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء
قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وانكره البصريون مثل هذا لان الجملة لا تقع فاعلا فلهذا قال يريد لم يهد لهم هذا المعنى ومضمون هذا الكلام
قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون مبينا لهم وقال الزجاج اي اولم نبين لهم ما يهدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله والرسول
والجملة بعده تفسيره يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والنهى العقول وقد مر في السورة
قال بعض اهل اللغة ان النهية هو على العقل فلا يقال الا لمن عقل ينهى به عن القبائح فقوله اولي النهى كقوله اولي العزم والحزم ومن هذه
فسره بعضهم باهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال ولولا كلمة هي العدة
بتأخير جزائهم الى الآخرة كتبها في اللوح المحفوظ واخبر بها ملائكته ورسله لانهم او في تسليم من يؤمن او لمصلحة اخرى خفية قال اهل السنة
انه بحكم المالكية له ان يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل فعال لما يفعل به فهو بمعنى ملزم كانه آلة اللزوم اي لكان
الاخذ العاجل لزاما واجل مسمى وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان وفصل
انما جوز ذلك للفصل اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل
حين بين الله لا يهلكهم بعذاب الاستيصال امره بالصبر على ما يقولون من التكذيب وسائر الاذيات زعم الكلبي ومقاتل انها منسوخة بآية القتال
وليس بذلك فان كلاهما معمول بهما في موضعهما وسبح بحمد ربك اي متلبسا بحمده على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والاكثرون انها بمعنى
الصلوة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلوة ولا تذكر اوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر لانهما واقعتان
في النصف الاخير من النهار ومن آناء الليل فسبح المغرب والعشاء وقوله واطراف النهار اي في طرفيه يجمع لما لغتر وامن الالباس او لان اقل الجمع اثنان
او اراد طرفي كل نهار تكرار الصلوتي الفجر والعصر او المغرب على ما ظن اعتناء بشأنهما كقوله والصلوة الوسطى وآناء جمع انى وهو الساعة وقدم
في العبارات وانما قدم آناء الليل وادخل الفاء في فسبح المؤذنة بلازم ما قبلها وما بعدها تنبيها على زيادة الاهتمام بشأن صلوة الليل لان
الليل وقت السكون والراحة وهدو الاصوات فالصلوة فيه اشق على النفس وادخل في الاخلاص واقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات
بعضهم اخرج من الآية صلوة الظهر لانه خصص قبل الغروب بصلوة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلوة في الاوقات المذكورة تشملها
والامر قد يكون للندب لا للفرض لعلك ترضى قال ابو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كانه لما امره بالصبر على اذية القوم بعثه على الاشتغال
بالتقديس والمواظبة في كل الاوقات وقوله لعلك ترضى كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى لان الاطماع من الكريم
واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته ولما حث رسوله على الاعراض عن الدنيا نهاه عن الميل الى زخارف الدنيوية فقال ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك
ومد النظر تطويله ان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه وفيه ان النظر الغير الممدود معفو عنه كما نظر فغض قال ابو مسلم المنهي عنه في الآية ليس هو النظر بل هو التطويل وانما هو الا
اي لا تأسف على ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قالوا ان ابا رافع نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي يستقرضه فقال لا اقرضه الا برهن فقال رسول
الله اني لأمين في السماء واني لأمين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت والازواج الاصناف وقيل اي اشكالا واشباها من الكفار لانهم
اشكال في الذهاب عن الصواب وقد مر في الحجر ولقد شدد العلماء المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة ومراكبهم لانهم انما اتخذوا
لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اعانة لهم على اتخاذها [illegible] منصب عبرة على الذم او على بطرهم [illegible]

ولا الزام

النظر

او على ابدال من محل الجار والمجرور او على الذم اي اذم زهرة وهي الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فمعناها ايضا او هي جمع زاهر كانهم لصفاء الوانهم وظهور
اثار النعمة عليهم زاهر واهل الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب قوله لنفتنهم اي لنبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبي ومقاتل لنشدد
عليهم في التكليف لان الاجتناب عن المعاصي مع القدرة يكون اشق على النفس ورزق ربك هو ثواب الاخرة او ما رزقك من الاسلام والنبوة خير
وابقى وقيل وادم الحلال الطيب الذي يحق ان ينسب الى ربك خير من اموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وابقى بركة ونماء وحسن
عاقبة وامر اهلك في سورة مريم وكان يأمر اهله بالصلوة اي امتك ومع اهلك على عبادة الله من السلف من كان اذا اصاب اهله خصاصة قال
قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الاية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلوة
الصلوة رحمكم الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية يأتي باب فاطمة وعلي كل صباح ويقول الصلوة وكان يفعل ذلك شهرا وقوله واصطبر عليها
اي داوم انت كما امرتهم بها وحافظ عليها فان الوعظ بلسان الفعل اتم منه بلسان القول لا نسألك رزقا كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خرجا
من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انا لما امرناك بالصلوة فذلك لاجل انتفاعك
بثوابها لا لانا ننتفع بها وقيل لا نسألك رزقا لنفسك ولا لاهلك بل نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة وفرغ بالك لامر الاخرة ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة
وفي معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله قال اهل الاشارة ورزق ربك رمز الى قوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني قال عبد الله بن
سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلوة والعاقبة اي الجميلة للتقوى ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى من جملة
شبهاتهم هي قولهم لولا يأتينا باية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقران الذي تحدى به فاسكتهم فرد الله عليهم بقوله اولم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى لان القران برهان سائر الكتب المنزلة لانه معجز وتلك ليست بمعجزة فهي مفتقرة الى شاهد على صحتها وانها من عند الله وقيل اراد بالبينة ما فيها من
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن جرير انه ما فيها من قصص الامم المكذبة وبيان اهلاكهم بعد اقتراح الايات وانما اتاهم هذا البيان في القران فلهذا
وصف القران بكونه بينة ما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول الاية القران ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل البرهان الذي
الدال عليه البينة لقالوا ربنا في القيمة لان الهالك لا قول له في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيمة
ثلثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول ولو اتاني لكنت اطوع خلقك ثم تلا قوله لولا ارسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول العقل
عقلا انتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا اعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه سعيد ويبقى من كان في علمه
انه شقي فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسلي لو اتاكم قوله من قبل ان نذل في هذا الحشر قالوا الاجابة لعقاب على ما لم يفعل
وقال الجبائي في الاية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان
لهم ان يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال الكعبي فيها اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من
عباده وليس معنى قوله لا يسأل عما يفعل ان الجور منه يكون عدلا بل تاويله انه لا يفعل منه
الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به لكان
لهم فيه اعظم حجة واستدل اهل السنة بها على ان الوجوب لا يتحقق
الا بالشرع والا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة
بوعيد اجمالي فقال قل كل اي كل منا ومنكم
متربص عاقبة امره وهذا الانتظار اما قبل
الموت بسبب الامر بالجهاد او ظهور
الدولة والغلبة
او بالموت
فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت وهو ظهور اثر الثواب والعقاب وتميز المحق والمبطل ويؤيده قوله فستعلمون الى اخره ههنا تم
كلام
المصنف وبالله المستعان

قد تمت المجلد الثاني المشتمل على جزء من الثاني عشر الى التاسع عشر من التفسير المسمى بغرائب القران ورغائب الفرقان والحمد لله على نواله والصلوة والسلام على
محمد وآله كتب المصنف في نسخة علقه مؤلفه الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري في بلدة من بلاد الهند من مملكتها
المدعو بدولت اباد في اوائل صفر سنة ثلاثين وسبعمائة

تقدم

انتفع به









